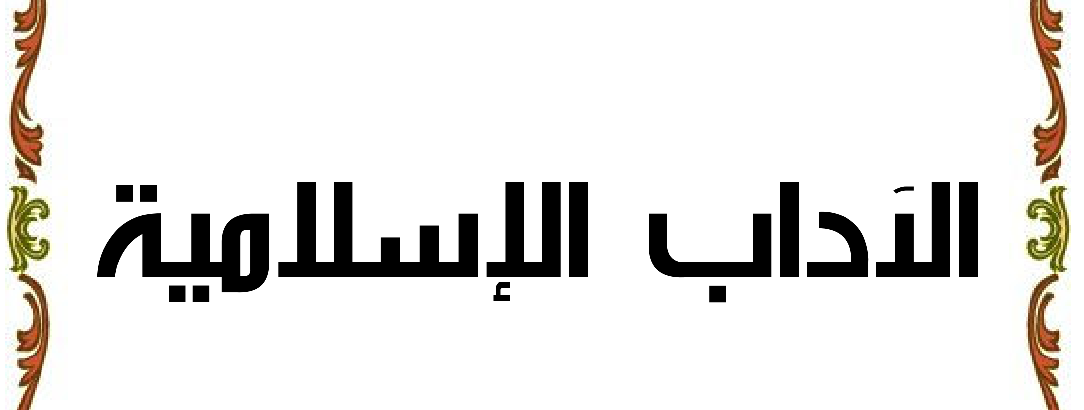
الآداب الإسلامية

الردمك



الآداب الإسلامية

جمع وإعداد

علي بن سليمان العبداني


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

إن الله سبحانه وتعالى جعل مدار شريعة الإسلام على: تزكية النفوس، وتطهيرها، وإصلاح الأخلاق، وتنقيتها، ولهذا صح عنه ﷺ قوله: «**إنما بُعِثت لأتمم مكارم الأخلاق**» (٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ – ٧١.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٧٠، رقم ٤٢٢١) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقي

فكأنَّ النبي ﷺ حَصَر بعثته على تقويم الأخلاق، وإتمام مكارمها، ولذلك فإن المتأمل في أركان الإسلام يجد أنها جميعًا تدعو إلى تقويم الأخلاق، وتهذيب الطِّباع، واستقامة السلوك.

فكأن مكارم الأخلاق بناء شيده الأنبياء، وبُعث النبي ﷺ ليتم هذا البناء، فيكتمل صرح مكارم الأخلاق ببعثته ﷺ، ولأن الدين بغير خلق ومنظمة آداب كمحكمة بغير قاضٍ، وكذا فإن الأخلاق والآداب بغير دين عبثٌ، والمتأمل في حال الأمة اليوم يجد أن أزمتها أزمة أخلاقية، لذلك نتناول في هذه السلسلة بعض المفاهيم الأخلاقية، وبعض محاسن الأخلاق والآداب التي يجب على المسلم أن يتحلى بها، ومساوئ الأخلاق التي يجب على المسلم أن يتخلى عنها.

* * * * *

حث الإسلام على مراعاة الآداب:

العبادات طريق لإصلاح الأخلاق وغرس الآداب السامية:

فالصلاة: تُبعِد المسلم عن الرذائل، وتطهّره من سوء القول والعمل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1].

والزكاة: ليست ضريبة تُدفَع أو مالاً يُبذَل مجردة عن المعاني والحكم، إنما

(١٠/ ١٩٢، رقم ٢٠٥٧٢). والديلمي (٢/ ١٢، رقم ٢٠٩٨). والبخاري في الأدب المفرد وصحّحه الألباني.

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

هي لتطهير النفس وتزكيتها، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

والصوم: ليس حرمانًا من الطعام والشراب والنكاح، بل هو خطوة إلى كفّ النفس عن شهواتها المحظورة ونَزَوَاتها المنكورة، قال النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» (٢).

والحج: ليس رحلة خالية من المعاني الأخلاقية، إنما هو سبيل إلى إبعاد النفس عن سَفَاسِف الأمور، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ (٣).

فهذه أركان الإسلام العظيمة وعباداته الجليلة، ليست طقوسًا مُبْهَمَة، ولا أعمالاً مجردة لا معنى لها، بل هي في مجملها لها صِلات وثيقة تعمل في نَسَقٍ واحد يكمل به بناء الأخلاق الشامخ، إنها عبادات مختلفة في مظهرها، ولكنها جميعًا تلتقي عند الغاية التي بُعِث محمد ﷺ من أجلها: «**إنما بُعِثت لأتمم مكارم الأخلاق**» (٤).

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٣، رقم ٩٧١٧)، والبخاري (٥/ ٢٢٥١، رقم ٥٧١٠)، وأبو داود (٢/ ٣٠٧، رقم ٢٣٦٢)، والترمذي (٣/ ٨٧، رقم ٧٠٧) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١/ ٥٣٩، رقم ١٦٨٩)، وابن حبان (٨/ ٢٥٦، رقم ٣٤٨٠). والنسائي في الكبرى (٢/ ٢٣٨، رقم ٣٢٤٦)، والبيهقي (٤/ ٢٧٠، رقم ٨٠٩٥).

(٣) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

(٤) سبق تخريجه.

تهذيب الأخلاق ومراعاة الآداب هو أساس الدعوة الإسلامية:

بُعِث نبينا ﷺ ليصدّق ما يدعو إليه بعمله، فكانت أخلاقه عنوانًا لدعوته وبرهانًا على نبوته وتبيانًا لصدق رسالته، ولهذا أثنى الله عليه بثناء يتردّد في سمع الوجود، ويتلوه الملأ الأعلى والمؤمنون، ولا تُنْسِيه سَرْمَدِيّة الزمان، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [١].

وجاء في صحيح مسلم رحمه الله أن سعد بن هشام سأل أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خُلق النبي فقالت: «أليس تقرأ القرآن؟!» قال: بلى، قالت: «فإن خلق نبي الله كان القرآن» [٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سَجِيّة له وخُلُقًا تطبّعه، وترك طبعه الجِبِلّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه» [٣].

فكان ﷺ عظيمَ الخلق بعد بعثته وقبل البعثة، فالمشركون لم يجدوا منه إلا أفضل الأخلاق، حتى لقبوه بالصادق الأمين، ولما فاجأه الوحي قال لزوجه خديجة رضي الله عنها: «**لقد خشيت على نفسي**»، قالت: كلا والله، لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلّ [٤]، وتُقْرِي الضيف [٥]،

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٤٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٠٣).

(٤) **الكَلُّ**: الثِّقَل مِن كل ما يُتكلَّف، وقيل: العيال ومن يحتاج إلى رعاية ونفقة.

(٥) **القِرَى**: ما يقدم إلى الضيف.

وتعين على نوائب[١] الدهر [٢]. إن ما ذكرته خديجة رضي الله عنها مآثر حسنة، وأخلاق كريمة، ومعاملات سامية، تدفع الأذى عن صاحبها بإذن الله سبحانه وتعالى.

فإنّ ثمّةَ تلازمًا بل تلاحُمًا بين السّلوك والاعتقاد والإيمَان والأخلاق، فالسّلوك الظّاهر مرتبطٌ بالاعتقاد الباطِن، ومن ثَمَّ فإنّ الانحرافَ الواقعَ في السّلوك والأخلاق ناشئٌ عن نقصٍ وخلل في الإيمان والباطن.

يقرّر ذلك شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله حين يقول: «إذا نقصَت الأعمال الظاهرةُ والباطنة كان ذلك لنقصِ ما في القلب من الإيمان، فلا يُتصوَّر مع كمال الإيمانِ الواجبِ الذي في القلب أن تعدَم الأعمال الظاهرة الواجبة، بل يلزم من وجودِ هذا كاملاً وجودُ هذا كاملاً، كما يلزم من نقصِ هذا نقصُ هذا» [٣].

كما يقول رحمه الله: «فما يظهَر على البدنِ من الأقوالِ والأعمالِ هو موجَب ما في القلبِ ولازمُه» [٤].

ويقول الشاطبيّ رحمه الله: «الأعمال الظاهرةُ في الشّرع دليل على ما في الباطن، فإن كان الظاهر منخرِمًا حُكِم على الباطن بذلك، أو مستقيمًا حُكم على الباطنِ بذلك أيضًا» [٥].

---

(١) **النوائب**: جمع نائبة وهي ما ينزل بالإنسان من الكوارث والحوادث المؤلمة.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٦١، رقم ٦٥٨١)، ومسلم (١/ ١٣٩، رقم ١٦٠)، وغيرهما.

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٨٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٤١).

(٥) الموافقات (١/ ٢٣٣).

بالأدب الحسن وحسن الخلق تزداد منزلة العبد عند ربه ﷻ:

إن المتأمل في أحاديث النبي ﷺ يجد أنها رفعت من منزلة الأخلاق الفاضلة وأصحابها، وجعلتها ميدان سَبْق ليتنافس فيه المتنافسون، قال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا، وخياركم خياركم لنسائهم**»(١).

وقال ﷺ: «**أنا زعيم ـ ضامن ـ ببيت في رَبَض الجنة ـ أدناها ـ لمن ترك الجدال ولو كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**» (٢).

وقال ﷺ: «**إن أحبّكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**»(٣).

وقال ﷺ: «**ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإنّ الله ليبغض الفاحش البذيء**» (٤).

وبيّن النبي ﷺ أنّ صاحب الأخلاق الحسنة يدرك مقام العابد الزاهد، فقال ﷺ: «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**» (٥).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٤٦٦ رقم ١١٦٢) وقال: حسن صحيح. وابن حبان (٩/ ٤٨٣، رقم ٤١٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٦١، رقم ٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٥٣، رقم ٤٨٠٠)، والطبراني في الكبير (٨/ ٩٨، رقم ٧٤٨٨)، والبيهقي (١٠/ ٢٤٩، رقم ٢٠٩٦٥)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٦٨، رقم ٤٦٩٣).

(٣) أخرجه والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١٠٤، رقم ٢٧٢)، وأحمد (٢/ ١٨٥، رقم ٦٧٣٥)، قال الهيثمي (٨/ ٢١): إسناده جيد. والخرائطي في مكارم الأخلاق (٣٢/ ٢٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٦٢، رقم ٢٠٠٢) وقال: حسن صحيح.

(٥) أخرجه أحمد (٦/ ٩٠، رقم ٢٤٦٣٩)، والحاكم (١/ ١٢٨، رقم ١٩٩) وقال: على شرط

تعريف الآداب:

وللآداب تعريفات عدة في اللغة والاصطلاح، نذكر منها ما يهمنا في هذا الكتاب، وهي كالتالي:

الفعل المستحسن:

قال صاحب آداب الصحبة: الهمزة والدال والباء أصل واحد تتفرع مسائله وترجع إليه، فالأدب أن تجمع الناس على طعامك، وهي المأدُوبة والمأدَبة، والمآدب جمع مأدبة، ومن هذا القياس الأدب لأنه مجمع على استحسانه.

التعلم والسلوك الحسن:

فالأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس، سُمِّي أدبًا لأنه يأدب الناس الذين يتعلمون على المحامد، وينهاهم عن المقابح، ويأدبهم: أي يدعوهم، وأصل الأدب: الدعاء. وأدبه فتأدب: علمه؛ لذلك يقال: هذا ما أدب الله تعالى به نبيه ﷺ. ولكل وجهة أدب [١].

ويشرح العلامة المناوي ما روي عن رسول الله ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» فيقول رحمه الله: الأدب هو ما يحصل للنفس من الأخلاق الحسن والعلوم المكتسبة [٢].

الشيخين. وأبو داود (٤/ ٢٥٢، رقم ٤٧٩٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٣٧، رقم ٧٩٩٨)، والديلمي (١/ ١٩٤، رقم ٧٣١).

(١) أدب الصحبة للسلمي (ص١٥)، وانظر لسان العرب لابن منظور (١/ ٤٣).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (١/ ٢٢٤، ٢٢٥).

الفعل يليق بالشخص:

ومن معانيها أنها تطلق على ما يليق بالشيء أو الشخص، فيقال: آداب الشخص، وآداب القاضي[١].

المحامد:

ففي شرح النوابغ: هو ما يؤدي بالناس المحامد، وكل الآداب متلقيات عن رسول الله ﷺ، فإنه مجمعها ظاهرا أو باطنا، ثم قال: والأدب استعمال ما يحمد قولاً، وفعلاً[٢].

وفي فتح القدير: الأدب: الخصال الحميدة، والمراد بالأدب في قول الفقهاء كتاب أدب القاضي أي ما ينبغي للقاضي أن يفعله لا ما عليه [٣].

❁ ❋ ❁ ❋ ❁

الآداب في مصطلح الفقهاء:

١- المستحبات لا يسيء تاركها:

يقسم الفقهاء على ما وراء الفرائض والواجبات، سنن تاركها مسيء، وآداب تاركها غير مسيء [٤].

---

(١) لسان العرب (١/ ٤٣).

(٢) ترتيب القاموس المحيط (١/ ٢٨٢).

(٣) البحر الرائق (٦/ ٢٧٧)، وقواعد الفقه (١ / ١٦٦).

(٤) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (١ / ٣٩٠).

٢- المستحبات يسيء تاركها:

فقد يطلقونه على السنة في جامع الرموز في بيان العمرة، وما سوى ذلك سنن وآداب تاركها مسيء [١].وحكي أن حاتم الأصم قدم رجله اليسرى عند دخوله المسجد، فتغير لونه، وخرج مذعورًا، وقدم رجله اليمنى. فقيل: ما ذلك؟ فقال: لو تركت أدبًا من آداب الدين، خفت أن يسلبني الله جميع ما أعطاني.

٣- مايفعله الشارع مرة ويتركه مرة:

ففي البزازية في كتاب الصلاة في الفصل الثاني أن: الأدب ما فعله الشارع مرة وتركه أخرى، والسنة ما واظب عليه الشارع، والواجب ما شرع لإكمال الفرض، والسنة لإكمال الواجب، والأدب لإكمال السنة [٢].

٤- الورع:

فالأدب عند بعض أهل الشرع الورع، وعند أهل الحكمة صيانة النفس.

كما قال حكيم: الأدب مجالسة الخلق على بساط الصدق ومطابقة الحقائق.

٥- ما يوقي من الخطأ:

كما قال أهل التحقيق: الأدب الخروج من صدق الاختيار والتفرغ على يسار الافتقار، وكذا في خلاصة السلوك في تعريفات الجرجاني أن: الأدب

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٢٤/ ٢٠٥).

(٢) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء (١ / ١٠٦).

عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ، وأدب القاضي وهو التزامه لما ندب إليها الشرع من بسط العدل، ورفع الظلم، وترك الميل [١].

٦- **الفعل المستحب عند ذوي الألباب:**

قال المرصفي: اعلم أن الأدب معرفة الأحوال التي يكون الإنسان المتخلق بها محبوبًا عند أولي الألباب، الذين هم أمناء الله على أهل أرضه، من القول في موضعه المناسب له، فإن لكل قول موضعًا يخصه، بحيث يكون وضع غيره فيه خروجًا عن الأدب.

كما قال جرْوَل الشاعر المشهور بالحُطَيْئة: فإن لكل مقام مقالاً، ومن الصمت وهو السكوت المقصود في موضعه، فإن للصمت موضعًا، يكون القول فيه خلاف الأدب.

يرشد على ذلك قوله ﷺ: «**رحم الله امرءا قال خيرًا فغنم، أو سكت فسلم**»[٢].

والكلام المنبه على مواضع الأقوال، وعلى مواضع الصمت كثير. ومن الأحوال التي يكون التخلق بها أدبًا، وضع الأفعال في مواضعها، كما قال الله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[٣]. فنبه سبحانه على أن المطلوب العفو المصلح دون المفسد.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٥٣، ٥٤).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ١٢٨، رقم ٣٨٠). وهناد (٢/ ٥٣٥، رقم ١١٠٦).

(٣) سورة الشورى: الآية ٤٠.

أهمية دراسة الآداب الشرعية وفضلها:

عن أنس ﵁، عن النبي ﷺ أنه قال: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(١). ولكن هذا الأمر ليس مطلقًا على كل العلوم الشرعية، فليس الفرض هو أن تكون كل الأمة علماء في الدين، ولكن هناك من العلم ما هو فرض عين على كل مسلم، حتى يقيم به حياته مثل العلم بكيفية الوضوء والصلاة، وهكذا. وهناك من العلوم ما هو فرض كفاية، مثل علم المواريث، وحفظ كتاب الله، وكثير من العلوم الشرعية، إذا قام بها جزء من المسلمين سقطت عن الباقي، فالعلم المفروض تعلمه على كل المسلمين هو الذي يقيم به المسلم حياته دون الوقوع في خطأ شرعي عن جهل.

فكل مسلم يصلي، وعليه تعلم الطهارة والصلاة، وكذلك في الصيام، وإذا تيسر له الحج والعمرة عليه التفقه في أركان الحج، بل وفي آداب السفر، وكذلك على المقبل علىٰ الزواج أن يتعلم فقه النكاح، وهكذا.

وهنا تظهر لنا أهمية تعلم مادة الآداب الشرعية، لأنها تملأ حياتنا اليومية، فمن منا لا يتكلم، حتى يستغني عن آداب الكلام؟ ومن منا لا يحاور فيستغني عن آداب الحوار في السنة؟ ومن منا لا يأكل كل يوم أكثر من مرة؟ فلا بد لنا من تعلم آداب الطعام والشراب، ومن منا لا يمزح سواء مع أصدقائه أو أهله؟ فلا بد أن نعرف كيف يكون المزاح دون الوقوع في المعصية.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٨١، رقم ٢٢٤) قال البوصيري (١/ ٣٠): هذا إسناد ضعيف. وابن عدي (٦/ ٧١، ترجمة ١٦٠٥ كثير بن شنظير المازني) وقال: وليس في حديثه شيء من المنكر وأحاديثه أرجو أن تكون مستقيمة.

ومن منا لا يلبس، أو ينام، أو يتثاءب، أو يتجشأ، أو يعطس كل يوم؟ فكل هذا من معلومات الآداب الشرعية، فبها نتعرف كيف نفعل كل هذه الأمور اليومية، دون أن نقع أثناء فعلها في مخالفة شرعية.

وكذلك آداب إكرام الضيف، وآداب المسجد، وآداب طلب العلم، وآداب الزيارة، والاستئذان، والمعاشرة الزوجية، وبر الوالدين، وصلة الرحم.

والآداب على هذا المعنى منها ما هو مستحب أو مكروه، ومنها ما هو واجبٌ أو محرَّم، ومنها ما هو مُباح. ولذلك اعتنى الإسلام بهذا الجانب وصنّف أهل العلم كثيراً من الكتب والمصنفات، وفي كتب السنة والحديث كتب وأبواب للأدب بل وقد أفرد البخاري رحمه الله كتاباً في الأدب سماه (الأدب المفرد) جمع فيه الأحاديث والآثار المتعلقة بالأدب.

طريق اكتساب الأدب:

بعد أن علمنا حاجتنا إلى الأدب وأهميته وفضله وأنواعه، فكيف السبيل إلى اكتسابه والتخلق به في مجتمعات المسلمين وفي أفرادهم ؟

١- **تربية الأولاد على الأدب منذ الصغر:**

وهذا واجب الوالدين والأساتذة في البيت والمدرسة، قال عبد الملك بن مروان رَحِمَهُ اللَّهُ لمؤدب ولده: «علمه الصدق كما تعلمه القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة وجالس بهم أشراف الناس وأهل العلم منهم فإنهم أحسن الناس وَرعًا وأحسنهم أدبا، واضربهم على الكذب وجنبهم شتم أعراض الرجال، واحملهم على صلة الأرحام، واعلم أن الأدب أولى بالغلام من

النسب»[(١)].

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في صغرٍ ... ولـيس ينفـع عنـد الـشيبةِ الأدبُ
إن الغصونَ إذا قومتهـا اعتدلـت ... ولا يلـين إذا قومتـه الخـشب

قال مالك رحمه الله: «كانت أمي تعمِّمُني[(٢)]، وتقول لي: اذهب إلى ربيعة، فتعلم منه آدابه قبل علمه»[(٣)].

٢- النظر في قصص القرآن وكتب الحديث والسيرة:

لمعرفة هدي وآداب رسول الله ﷺ، والالتزام بمجالس ودروس أهل الحديث؛ لأنهم أعلم الناس بآداب رسول الله ﷺ، كذلك النظر في ميراث أسلافنا من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والأئمة المشهورين – رحمهم الله - بالأدب والورع والدين رضي الله عنهم.

ومن أهم الكتب في سيرهم كتاب «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي رحمه الله.

٣- تعليم الناس وتذكيرهم دوما بأهمية الأدب في حياتهم:

وبيان خطورة تركه وإهماله، ويتحقق ذلك بإقامة الدروس والمحاضرات والخطب في ذكر الآداب الشرعية بالأدلة الصحيحة.

٤- مجاهدة النفس وتربيتها على الآداب الشرعية:

ولذلك قال ﷺ: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحرَّ

---

(١) لباب الآداب (ص ٢٠٣).
(٢) تعممني: تلبسني العمامة، أي تجهزني للخروج.
(٣) ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله.

الخير يُعطه، ومن يتق الشر يُوقّه»[١].

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: «فمن أراد مثلا أن يُحصِّل لنفسه خُلُق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجود وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه به، ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه حتى يصير ذلك طبعا ويتيسر عليه فيصير به جوادا ... وجميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق»[٢].

فإذا سلك المؤمن طرق اكتساب الأدب مع الإخلاص وفقه الله سبحانه وتعالى لذلك.

مراتب الأدب:

تتفاوت مراتب الأدب بحسب المتأدَّب معه، فليس الأدب مع الله كالأدب مع أنبيائه، وليس الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كالأدب مع سائر الناس، وليس للتعامل مع الناس أدب واحد، بل للوالدين أدب خاص، وللعلماء والكبار أدبٌ خاص، وهكذا.

وكذلك للتعامل مع النفس آداب، فمراتب الأدب أربعة هي:

١. الأدب مع الله سبحانه وتعالى.
٢. الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ١١٨، رقم ٢٦٦٣) قال الهيثمي (١/ ١٢٨٩): فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد وهو كذاب. والخطيب (٥/ ٢٠١)، وابن عساكر (١٨/ ٩٧).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٥٨).

٣. الأدب مع الناس.

٤. الأدب مع النفس.

أولا: الأدب مع الله عَزَّ وَجَلَّ:

فهو رأس الأمر وعموده، وأهم ما يقدمه العبد في دنياه. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأدب مع الله ثلاثة أنواع:

أحدها: صيانةُ معاملته أن يشوبها بنقيصةٍ.

الثاني: صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره.

الثالث: صيانة إرادته أن تتعلق بما يمقتك عليه».

ثم قال: «ومن الأدب مع الله عدم رفع البصر إلى السماء في الصلاة للنهي عن ذلك، ومن الأدب مع الله: أن لا يستقبل بيته، ولا يستدبره عند قضاء الحاجة في الفضاء والبنيان.

ومن الأدب مع الله: السكون في الصلاة، وعدم الالتفات فيها، والاستماع للقراءة في الصلاة، والمقصود أن الأدب مع الله تبارك وتعالى هو القيام بدينه، والتأدب بآدابه ظاهراً وباطناً، ولا يستقيم لأحدٍ قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه وما يُحب وما يكره، ونفسٌ مستعدة قابلة متهيئة لقبول الحق علماً وعملاً» [(١)].

ثانيا: الأدب مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الأدب مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالقرآن مملوء به،

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٣٨٦).

فرأس الأدب معه كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبرِه بالقبول والتصديق دون معارضته بالعقل أو الشك، أو يقدم عليه آراء الرجال، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما وحَّد اللهَ تعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، ومن الأدب مع الرسول ﷺ أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرف، حتى يأمر هو، وينهى، ويأذن كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

ومن الأدب معه: أن لا تُرفع الأصوات فوق صوته فما الظن برفع الآراء على سُنَّته!! ومن الأدب أن لا يُعارض نصه بقياس، ولا يُحرف كلامه عن حقيقته، ولا يوقَفُ قَبول ما جاء به على موافقة أحد، فكل هذا من قلة الأدب معه ﷺ وهو عين الجرأة ... »(٢).

ثالثا: الأدب مع الخلق:

فلا بد من أن يعامل كل واحد بما يليق به، ومن خلق الله الملائكة، وعلى المسلم أن يتأدب معهم.

ومن الأدب مع الملائكة: محبتهم وموالاتهم، ومن الأدب مع الملائكة: البعد عن الذنوب والمعاصي والروائح الكريهة، لأنها تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم، ومن الأدب معهم الامتناع عن كل ما يمنع قرب الملائكة أو دخولهم

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٩٠).

بيوتنا أو حضورهم مجالسنا، مثل الصورة والتمثال والكلب والجرس، وكذلك لا تقرب الملائكة سكرانا أو جنبا إلا أن يتوضأ، ومتشبها بالنساء وغيرهم.

كذلك لابد أن يعامَل الناس كل واحد بما يليق به، فهناك آداب التعامل مع الوالدين، وآداب مع الأرحام، وآداب مع الجار المسلم، وآداب مع العلماء، وآداب مع ولاة الأمر، وآداب مع الضيف، وآداب مع الأولاد، وآداب بين الزوجين، وآداب مع عامة المسلمين، وآداب مع المخالفين من أهل البدع والفاسقين، وكذلك آداب مع غير المسلمين.

قال ابن القيِّم رحمه الله: «أما الأدب مع الخلق فهو معاملتهم بما يليق بهم على اختلاف مراتبهم، فلكل مرتبة أدب، والمراتب فيها آداب خاصة، فمع الوالدين أدب خاص، وللأب منهما أدب هو أخص به، ومع العالم أدب آخر، ومع السلطان أدب يليق به، ومع الضيف أدب غير أدبه مع أهله، ولكل حالٍ أدب: فللأكل آداب....».

ثم قال: «وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبَواره ... ».

ثم قال: «ومن حقوق الخلق أن لا يفرِّط في القيام بحقوقهم، ولا يستغرق فيها بحيث يشتغل بها عن حقوق الله أو عن تكميلها، أو عن مصلحة دينه وقلبه ... » [(١)].

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٣٩٣).

رابعا: الأدب مع النفس:

وأدب الإنسان مع نفسه متنوع متفاوت كذلك، فمن الأدب مع النفس السعي إلى تزكيتها وإصلاحها ومحاسبتها وتدريبها على الطاعات والأخلاق، ومن الأدب مع النفس حثها على التوبة والإنابة والخشية وغيرها، وكذلك من الأدب مع النفس تدريبها وإلزامها على الآداب الشرعية.

بعض كتب التراث في الآداب الشرعية:

وفيما يلي نذكر بعضًا من كتب التراث المصنفة في الآداب الشرعية:

١. **أدب الخواص**: لأبي القاسم الحسين بن علي الوزير، المتوفى سنة ٤١٨هـ.
٢. **أدب الدنيا والدين**: للإمام الحسين بن علي محمد الماوردي الشافعي المتوفى سنة ٤٥٠هـ.
٣. **أدب السلوك**: مختصر لأبي الفضل عبد المنعم بن عمر الجلياني المتوفى سنة ٦٠٢هـ أورد فيه مشارع الحكمة.
٤. **أدب الشهود**: مختصر لابن سرافة، الإمام أبي بكر محمد بن إبراهيم الأنصاري الشاطبي، له مؤلفات في التصوف توفي سنة ٦٦٢هـ.
٥. **أدب الطبيب**: لإسحاق بن علي الرهاوي.
٦. **أدب القاضي على مذهب أبي حنيفة**: للإمام أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي المجتهد الحنفي صاحب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان المتوفى سنة ١٨٢هـ.
٧. **أدب القاضي على مذهب الشافعي**: صنف فيه الإمام أبو بكر محمد ابن علي القفال الشاشي.

٨. **أدب الكاتب**: لأبي محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة النحوي المتوفى سنة ٣٧٠هـ.

٩. **أدب الكاتب**: للإمام الأديب أبي بكر محمد بن القاسم بن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ.

١٠. **أدب المريض والعائد**: لأبي شجاع عمر بن محمد البسطامي المتوفى سنة ٥٦٢هـ.

١١. **أدب المفتي والمستفتي**: للشيخ تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح الشهرزوري الشافعي المتوفى سنة ٦٤٣هـ.

١٢. **الأدب المفرد في الحديث**: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ.

١٣. **أدب النفس**: لأبي العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي الطبيب المتوفى سنة ٢٨٦هـ.

١٤. **الأدب في استعمال الحسب**: للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني الحافظ المتوفى سنة ٥٦٢هـ (١).



---

(١) لمزيد من العلم: يمكنك الرجوع إلى: آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي ـ تحقيق وتعليق يوسف علي بديوي. مقدمة المحقق/ ١٥-١٨. انظر أيضًا موسوعة الفقه الإسلامي ٤/ ١٥٧-١٦١. ولباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر ٢٢٧-٢٣٤، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ـ بتحقيق محمد سعر العريان ٢/ ٢٤٧-٢٥٢.

الإخلاص

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

تعريف الإخلاص:

الإخلاصُ أن تكونَ نيّتك فيما تقوم به لله، لا تريد غيرَ الله، لا سمعةً ولا رياء ولا رِفعةً عند أحدٍ، ولا تزلّفًا، ولا تتقرَّب من الناس مدحًا، ولا تخشى منهم قَدحًا، والله سبحانه غنيّ حميد، لا يرضى أن يشرِك العبد معه غيرَه، فإن أبى العبد إلا ذلك ردّ الله عليه عملَه، قالﷺ في الحديث القدسي: «**قال الله ﷻ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركتُه وشركَه**»[(١)].

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ترك العمل لأجل الناس رياءٌ، والعمل لأجلهم شركٌ، والإخلاصُ: أن يعافيك الله منهما[(٢)].

والإخلاص أربعة أقسام: إخلاصٌ في الأقوال، وإخلاصٌ في الأفعال،

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨٩، رقم ٢٩٨٥)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٥، رقم ٤٢٠٢).

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (١ / ١٦٥)، وأمالي ابن سمعون (١ / ١٣١)، والرسالة القشيرية (١/ ٢٦)، وتاريخ مدينة دمشق (٤٨ / ٣٨٢).

وإخلاصٌ في الأعمال ـ أي العبادات ـ، وإخلاصٌ في الأحوال ـ أي إلهامات القلب وواردات الغيب ـ.

مكانة الإخلاص في الإسلام:

إن الإخلاص ركنٌ عظيمٌ:

بدونه يصير الإنسان مشركًا، والشرك درجات؛ إما شركٌ جليٌّ حيث يُظهر العبدُ غير ما يُبطن، ويعتقد خلاف ما يُظهر، فيكون والعياذ بالله ممن قال الله ﷻ فيهم في سورة النساء: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[١].

ومعنى **الشرك الخفي**: الذي هو الرياء أن يعمل العامل، ولا يريد إلا وجه الناس ومدحهم، وهربًا من ذمهم.

وقد قال الله ﷻ في العمل الخالص في آخر سورة الكهف: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[٢]، (عَمَلًا صَٰلِحًا) أي: صوابًا يتابع فيه النبي ﷺ، (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا) أي: عليه أن يخلص لله ﷻ، ولا يبتغي إلا وجهه.

واعلم أنه لا بد لكل عملٍ من نية، كما قال رسول الله ﷺ في حديث عمر رضي الله عنه الصحيح الذي أخرجه الجماعة: «**إنما الأعمال بالنيات**»[٣]، ولا بد للنية من

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٣) أحمد (١/ ٢٥، رقم ١٦٨)، والبخاري (١/ ٣، رقم ١)، ومسلم (٣/ ١٥١٥، رقم

الإخلاص لله ﷻ، كما قال ﷻ لنبيه ﷺ في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾(١).

وقال النبي ﷺ فيما أمره به ربه في السورة نفسها: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴾(٢)، فقال للناس: أنا أعبد الله مخلصًا له الدين، فاعبدوا ما شئتم من دونه.

وقال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾(٣)، من أحسن من هذا الذي أخلص في الباطن وتابع في الظاهر، تابع ملة إبراهيم حنيفًا؟! «حَنِيفٗا» أي: مائلًا عن الشرك، مبتغيًا وجه الله ﷻ، ولهذا قال: «وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا»، لأنه ما أمره الله ﷻ بشيء إلا امتثله، قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾(٤).

والواجب على المسلم أن يقصد الله ﷻ وحده بالعبادة في قوله وعمله، وذلك لا يكون إلا بإخلاص النية والقصد والإرادة لله، وتخليصها من كل

١٩٠٧)، والترمذي (٤/ ١٧٩، رقم ١٦٤٧)، وأبو داود (٢/ ٢٦٢، رقم ٢٢٠١)، والنسائي (٦/ ١٥٨، رقم ٣٤٣٧)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٣، رقم ٤٢٢٧).

(١) سورة الزمر: الآيتان ٢ – ٣.

(٢) سورة الزمر: الآية ١٤.

(٣) سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٤) سورة الزمر: الآية ٦٥.

غرض دنيوي، قال الله سبحانه وتعالى مُخاطبا نبيَّه الكريم ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، وقال أيضا سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[2]، وقال أيضا: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3]، وهذه الآية بيّنت أنّ العمل يشترط في صحّته أمران هما الإخلاص والمتابعة.

الإخلاص شرط لقبول العمل:

فالعمل إذا كان لله فهو مقبولٌ، وصاحبه مأجورٌ عليه، وإن كان لغير الله فهو مردودٌ على صاحبه، ويكون عليه وزرًا، فالله سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، كما في الحديث القدسي: «**قال الله ﷻ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»[4].

وتصحيح النيّة لله شرطٌ في صحّة العمل وقبوله، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[5].

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان ١٦٢ – ١٦٣.

(٢) سورة البينة: الآية ٥.

(٣) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

فائدة: النية عند العلماء يراد بها معنيان:

أحدهما: تمييز العبادات عن العادات؛ كتمييز غسل الجنابة عن غسل التبرد والتنظُّف، وتمييز العبادات بعضها عن بعض؛ كتمييز صلاة الظهر عن صلاة العصر مثلًا، وتمييز صيام رمضان عن غيره من صيام النوافل وما سنه رسول الله ﷺ.

وثانيهما: تمييز المقصود بالعمل؛ هل هو لله وحده، أم لغيره؟

وهذا هو محل الاهتمام ومناط السعادة والشقاوة والثواب والعقاب؛ فقد يعمل شخصان مثلًا عملًا واحدًا في الصورة، ويكون تعبهما متساويًا، لكن أحدهما يثاب، والآخر لا ثواب له، أو يعاقب؛ نظرًا لاختلاف المقاصد.

الإخلاص في العبادات:

فالإخلاص هو روح العبادة، بدونها تفقد العبادة فائدتها، وتصير بلا أثر في حياة المسلم، بل قد تنقلب عليه إثمًا، فعندما يفقد المسلم الإخلاص في صلاته تصبح عبارةً عن حركاتٍ وسكناتٍ وهمهماتٍ غير مفهومة، لا شيء فيها، فترى المُصلّي لا يعي شيئًا، ويفقد خشوعه، ويسيطر عليه وسواسه، فلا يتذوّق حلاوة الصلاة.

كذلك الزّكاة والصدقة، فإذا أخرجها المسلم مرضاةً لله قُبِلت منه، وإن أخرجها رياءً وسمعةً أو ليستَميل بها قلوبًا، أو يكسِب أنصارًا، فإنه لن ينال من ماله الذي أخرجه إلا ما كسبه من جزاء الدنيا، والله تعالى يمدح المتصدِّقين الذين لا يبغون من صدقاتهم جزاءً ولا شكورًا، ولا ينتظرون من الناس المدحَ

والشكر، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[(١)]، ويقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[(٢)].

كذلك الصوم فإن لم يقصد بصومه العبادةَ والتقرب إلى الله ﷻ كان صومه جوعًا وعطشًا أو إضرابًا عن الطعام، ولم ينل من صومه إلا ما أصابه من جوع وعطش، يقول النبي ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة ؓ: «**ربَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر**»[(٣)].

فإن أخلص صومه لربه أجزَل له الثواب وأعطاه أجرًا عظيمًا، يقول النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة ؓ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**»[(٤)].

كذلك الحج، فإن قصد بحجه السياحةَ أو التجارةَ أو الحصولَ على مكانة دينيةٍ في نظر الناس فلن ينال من حجه إلا التعبَ وخسارة المال، وإن

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٩.

(٢) سورة الليل: الآيات ١٨ – ٢١.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٣٩، رقم ١٦٩٠)، قال البوصيري (٢/ ٦٩): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وأخرجه أيضًا: النسائي في الكبرى (٢/ ٢٣٩، رقم ٣٢٤٩).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٢، رقم ٧١٧٠)، والبخاري (١/ ٢٢، رقم ٣٨)، ومسلم (١/ ٥٢٣، رقم ٧٦٠)، والترمذي (٣/ ٦٧، رقم ٦٨٣)، وأبو داود (٢/ ٤٩، رقم ١٣٧٢)، والنسائي (٤/ ١٥٧، رقم ٢٢٠٣)، وابن ماجه (١/ ٤٢٠، رقم ١٣٢٦)، وابن حبان (٨/ ٢١٨، رقم ٣٤٣٢).

أخلص وبرّ في حجه فإن الجزاء يكون مضاعفًا، يقول النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»(١).

إصلاح النية في العادات:

إنّ صلاح النّيّة وإخلاص الفؤاد لربّ العالمين ليرتفعان بالعمل الدّنيويّ البحت ليجعلاه عبادةً محضة، فليست العبادة وحدها تحتاج إلى صدق نية وإخلاص، بل إن المعاملات والعادات تحتاج إلى نيّة، وتصير طاعاتٍ وقرباتٍ إذا ارتبطت بنياتٍ صادقةٍ وأُريدَ بها وجه الله، فقد قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو يزوره في مرضه: «**وإنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجرتَ، حتى ما تجعل في فيّ امرأتك**»(٢).

والرّجل يواقع امرأته ويقضي منها وطره ويحقّق شهوته، فإذا صاحبَ ذلك نيّةٌ صالحةٌ وهدفٌ نبيلٌ كحفظ عفافه وصيانة دينه وغضّ بصره تحوّلت تلك اللّذّات إلى قرباتٍ ينال بها الأجر والثّواب.

---

(١) أحمد (٢/ ٤٦٢، رقم ٩٩٤٩)، والبخاري (٢/ ٦٢٩، رقم ١٦٨٣)، ومسلم (٢/ ٩٨٣، رقم ١٣٤٩)، والترمذي (٣/ ٢٧٢، رقم ٩٣٣) وقال: حسن صحيح. والنسائي (٥/ ١١٥، رقم ٢٦٢٩)، وابن ماجه (٢/ ٩٦٤، رقم ٢٨٨٨)، وابن حبان (٩/ ٩، رقم ٣٦٩٦).

(٢) أحمد (١/ ١٧٦، رقم ١٥٢٤)، والبخاري (٣/ ١٠٠٧، رقم ٢٥٩٣)، ومسلم (٣/ ١٢٥٢، رقم ١٦٢٨)، وأبو داود (٣/ ١١٢، رقم ٢٨٦٤)، والترمذي (٤/ ٤٣٠، رقم ٢١١٦) وقال: حسن صحيح. والنسائي (٦/ ٢٤١، رقم ٣٦٢٦)، وابن ماجه (٢/ ٩٠٣، رقم ٢٧٠٨)، وابن حبان (١٦/ ٢٥١، رقم ٧٢٦١).

النية خير من العمل:

إن الله ليجازي الصادقين بمجرّد نياتهم الصادقة، حتى ولو لم يوفّقوا إلى العمل، فقد حدث في غزوةِ تبوك ـ وتُسمّى العُسرة ـ أن أتى قومٌ حبسهم الجُهد إلى رسول الله ﷺ، وطلبوا منه الذهاب معه والخروج للجهاد، فردهم النبي ﷺ لأنهم عاجزون بدنيًّا وماليًّا، فعادوا وأعينهم تفيض من الدمع حُزْنًا على تخلّفهم عن الجهاد، فنزل فيهم القرآن كلامًا يتلى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[1]، وقد سجل لهم ثواب المُجاهدين لصدق نياتهم، فقال فيهم المصطفى ﷺ: «**إن أقوامًا خلفنا بالمدينة ما سلكنا شِعبًا ولا واديًا إلا وهم معنا فيه؛ حبسهم العذر**»[2].

ومن ذلك ما جاء عن أبي كبشة عمرو بن سعدٍ الأنماريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما الدّنيا لأربعة نفَر: عبدٍ رزقه الله مالًا وعلمًا، فهو يتّقي اللهَ ويصِل فيه رَحِمه ويَعلَم لله فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رَزَقه الله علمًا ولم يرزُقه مالًا، فهو صادِق النية يقول: لو أنَّ لي مالًا لعمِلتُ بعمَل فلان، فهو بنيّته فأجرهما سواء، وعبدٍ رزَقَه الله مالًا ولم يرزقه عِلمًا، فهو يخبِط في ماله بغيرِ عِلم، لا يتّقي فيه ربَّه ولا يصِل فيه رحِمه ولا يعلَم لله فيه حقًّا، فهذا بأخبَثِ المنازل،**

(١) سورة التوبة: الآية ٩٢.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٦١٠، رقم ٤١٦١)، وأبو داود (٣/ ١٢، رقم ٢٥٠٨)، وابن ماجه (٢/ ٩٢٣، رقم ٢٧٦٤)، وأبو عوانة (٤/ ٤٩٢، رقم ٧٤٥٥)، وابن حبان (١١/ ٣٣، رقم ٤٧٣١).

وعبد لم يرزقه الله مالًا ولا علمًا، فهو يقول: لو أنَّ لي مالًا لعمِلت فيه بعمل فلان، فهو بنيَّتِه فوِزرُهما سواء»[١].

والله ﷻ متّصِف بالحمد والكرم، وإذا أحسنَ العبد القصدَ ولم تتهيّأ له أسباب العمل فإنّه يؤجَر على تلك النية وإن لم يعمل، كرَمًا من الله وفضلًا، يقول ﷺ: «**مَن سأل الله الشهادةَ بصدقٍ بلّغه الله منازلَ الشهداء وإن مات على فراشه**»[٢]، ويقول النبي ﷺ عن الرّجل الذي لا مالَ عنده وينوي الصّدقة: لو أنّ لي مالًا لعملتُ بعمل فلان، قال: «**فهو بنيّته**»[٣]، بل إن الهمَّ بعملٍ صالح يؤجَر عليه العبد وإن تخلَّف العمل، قال ﷺ: «**من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عندَه حسنةً كاملة**»[٤].

أصناف الناس في الإخلاص:

الناس في الإخلاص والمتابعة أربعةُ أصناف:

الصنف الأول:

هم أهل الإخلاص والمتابعة، لم يريدوا بعملهم إلا وجه الله ﷻ، لم يريدوا ثناء الناس ولا طلب المنزلة والمحمدة في قلوبهم ولا الهرب من ذمهم،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٣١، رقم ١٨٠٦٠)، والترمذي (٤/ ٥٦٢، رقم ٢٣٢٥) وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥١٧، رقم ١٩٠٩).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨٠، رقم ٦١٢٦)، ومسلم (١/ ١١٨، رقم ١٣١).

إنما كل أعمالهم لله تبارك وتعالى، أعمالهم وأقوالهم وحبهم وبغضهم وعطاؤهم ومنعهم لله رب العالمين، فعملهم ظاهرًا وباطنًا لوجه الله وحده، لا يريدون من الناس جزاءً ولا شكورًا.

الصنف الثاني:

لا إخلاص لهم ولا متابعة، وهم أمْقَتُ الخلق إلى الله ﷻ، وهم شرهم عنده؛ إذ لم يريدوا بعملهم وجه الله ﷻ، ولم يتابعوا رسول الله ﷺ، فتزينوا للناس بما لم يشرعه الله ﷻ، فيا ويلهم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

الصنف الثالث:

هم الذين أخلصوا ولم يتابعوا رسول الله ﷺ، وذلك مشهودٌ ملحوظٌ ملموسٌ في جُهّال العُبّاد الذين أخلصوا لله ﷻ، ولكن أفسد الشيطان عليهم، فجعلهم يعملون بالنية الحسنة أعمالًا غير مشروعة، فيصومون يوم فطر الناس، ويعتقدون أن الخلوة والتخلف في البيوت معتزلين فيها أفضل من الجُمَع والجماعات، إلى غير ذلك مما يعتقده المنتسبون للطرق.

الصنف الرابع:

هم أهل المتابعة الظاهرة الذين لا يصدق ظاهرهم باطنهم، فأتوا بأعمال تابعوا فيها رسول الله ﷺ، لكن لم يكن من ورائها إخلاصٌ، فحبطت وزالت وراحت كأنها لم تكن.

هذه هي الأصناف الأربعة في أمر الإخلاص والمتابعة، ويقول الله ﷻ مُرغبًا في الإخلاص ومحذرًا من الرياء، يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ

ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[١].

فوائد الإخلاص[٢]:

إن في الإخلاص فوائد كثيرة منها:

أولا: أن الله تعالى يرفع به درجات المؤمن:

قال المصطفى ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**وإنك لن تُخَلَّف فتعملَ عملًا تبتغي به وجهَ الله إلا ازدَدتَ به درجةً ورفعة**»[٣].

ثانيا: المخلصُ لربّه مجابُ الدعوة:

قال النبيّ ﷺ: «**انطلقَ ثلاثة نفرٍ ممّن كان قبلَكم حتى آواهم المبيتُ إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرةٌ من الجبل فسدّت عليهم الغار، فقالوا: إنّه لا ينجّيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال كلّ واحدٍ منهم متوسّلًا إلى الله بصالح عملِه وإخلاصِه: اللهمّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك ففرّج عنّا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجَت فخرجوا يمشون**»[٤].

ثالثا: بالإخلاص تزول أحقادُ القلوب وضغائن الصدور:

قال النبيّ ﷺ: «**ثلاثٌ لا يغلّ عليهنّ قلبُ مسلم: إخلاص العمل لله،**

---

(١) سورة البينة: الآية ٥.

(٢) انظر نضرة النعيم (٢، ١٢٤-١٤٠).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٤٣٥، رقم ١٢٣٣)، ومسلم (٣/ ١٢٥٠، رقم ١٦٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٧٩٣، رقم ٢١٥٢)، ومسلم (٤/ ٢١٠٠، رقم ٢٧٤٣).

ومناصحةُ ولاة الأمر، ولزوم جماعةِ المسلمين»[١].

رابعا: أنه سبب من أسباب غفران الذنوب:

وكذلك يجعل الأعمال مقبولةً عند مُقلِّب القلوب، فقد ورد عن أبي أمامة ﵁ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلًا غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا شيء له**»، ثم قال: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتُغِي به وجه الله**»[٢].

خامسا: الإخلاص من أسباب حفظ الأمة وأمانها:

فقد بيّن رسول الله ﷺ لنا أن الأمة الإسلامية تُحفَظ وتُنصَر بإخلاص رجالها، وقد بشّر المخلصين بالرّفعة والتمكين في الأرض، فقال ﷺ: «**بشّر هذه الأمة بالسَّناء والدين والرفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب**»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٨٠، رقم ١٦٧٨٤)، والدارمي (١/ ٨٦، رقم ٢٢٨)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٠٨، رقم ٧٤١٣)، والطبراني (٢/ ١٢٦، رقم ١٥٤١)، والحاكم (١/ ١٦٢، رقم ٢٩٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ٢٥، رقم ٣١٤٠) والطبراني (٨/ ١٤٠، رقم ٧٦٢٨) قال الحافظ في الفتح (٦/ ٢٨): إسناده جيد.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٣٤، رقم ٢١٢٥٨) قال الهيثمي (١٠/ ٢٢٠): رجاله رجال الصحيح. وابن حبان (٢/ ١٣٢، رقم ٤٠٥)، والحاكم (٤/ ٣٤٦، رقم ٧٨٦٢)، وقال: صحيح الإسناد. وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٨٧، رقم ١٠٣٣٥). والضياء (٣/ ٣٥٨، رقم ١١٥٢)

سادسا: قيمة العمل بقيمة نيته:

فقيمة العمل عند الله ﷻ ترجع قبل كلّ شيءٍ إلى طبيعة البواعث الّتي تمخّضت عنها، فالصدقة مثلًا لا يعتدّ بها في الإسلام إلا إذا خلصت من شوائب النّفس ورذيلة الرّياء وتنزّهت عن السّمعة، فإذا تمخّضت من الشّوائب وكانت خالصةً لله وحده على وصف الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾[(١)].

وكما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾[(٢)]، قبلت.

سابعا: به قبول العمل:

كما سبق من حديث أبي أمامة مرفوعًا أنه ﷺ قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتغي به وجهه»[(٣)].

ثامنا: أن الإخلاص سبب لقوة القلب:

فالإخلاص سبب لقوة القلب ورباطة الجأش، وتحمل أعباء العبادة وتكاليف الدعوة، ولو تأمل الواحدُ منّا حال بعض المخلصين الصادقين لتبين له ذلك.

فمن ذلك رباطة جأش النبي ﷺ وقوته، مع توافر أسباب الهلاك عليه،

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٩.

(٢) سورة الليل: الآيات ١٨ – ٢١.

(٣) سبق تخريجه.

حيث قال لصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[(١)].

فالإخلاص والصدق مع الله سبحانه وتعالى يعين على النهوض بالحق ومجابهة الباطل، مهما عظمت قوة الباطل، فهذا نبي الله هود عليه السلام لم تكن له آية بارزة كما كان لغيره من الأنبياء، دعا قومه إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، فجادله قومه، وقالوا كما قص الله علينا نبأهم في كتابه: ﴿قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾[(٢)].

تاسعا: التخلص من كيد الشيطان:

فمن فوائد الإخلاص التخلص من كيد الشيطان وتسلطه، قال الله سبحانه وتعالى إخبارًا عما قاله إبليس لما طلب أن ينظره ربّ العالمين: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[(٣)].

عاشرا: أنه سبب لصرف السوء والفحشاء:

قال سبحانه وتعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا

---

(١) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٢) سورة هود: الآيات ٥٣ – ٥٥.

(٣) سورة الحجر: الآيتان ٣٩ – ٤٠.

بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[١].

حادي عشر: أن العبد ينصر بإخلاصه:

قال النبي ﷺ: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»[٢].

ثاني عشر: مضاعفة العمل:

فالعملُ وإن كان يسيرًا يتضاعف بحُسن النيّة والصدقِ والإخلاص، ويكون سببًا في دخول الجنات، يقول النبي ﷺ: «**مرّ رجل بغُصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله، لأنحيَنَّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأدخِل الجنة**»[٣].

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: «رُبّ عملٍ صغيرٍ تعظّمه النية، وربّ عملٍ كبيرٍ تصغّره النية»[٤]، وقال ابن كثير رحمه الله في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٥]، «أي: بحسب إخلاصه في عمله»[٦].

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢٤.

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ٤٥، رقم ٣١٧٨).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢١، رقم ١٩١٤).

(٤) قوت القلوب (٢ / ٢٦٨)، وإحياء علوم الدين (٤ / ٣٦٤)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٠)، وتاريخ الإسلام (١٢ / ٢٣٧)، وجامع العلوم والحكم (١/ ١٣).

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٦١.

(٦) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣١٨.

ثالث عشر: الأجر العظيم في الجنة:

حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[١].

خطر الرياء ونقص الإخلاص:

حذر النبي ﷺ من الرياء تحذيرًا شديدًا، فقال ﷺ: «**إن أول الناس يُقضى عليه يوم القيامة:**

رجلٌ استُشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، بل قاتلت ليقال: جريء، وقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، بل تعلّمت ليقال: عالم، وقرأت ليقال: قارئ، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل ثالث وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تُحب أن ينفق فيه

---

(١) سورة الصافات: الآيات ٤٠ – ٤٩.

إلا أنفقت فيه لك، قال: كذبت، بل فعلت ليقال: جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[(١)]. هذا في حق الذين عملوا أعمالًا تابعوا فيها النبي ولكنهم أرادوا بها وجه الناس وثناءهم ومدحهم، هذا جزاؤهم يوم القيامة.

وهكذا فإنّ انعدام الإخلاص وفساد النِّيَّة قد أحال الأعمال الصالحة إلى معاصٍ استوجبت لأصحابِها النَّارَ، كما جاءَ في هذا الحديثِ، وهذا مصداقُ قولِه تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[(٢)]. فالصلاةُ معَ الرياء قد أمست جريمةً عندما فقدت عنصرَ الإخلاص، وكذلك الجهاد والصدقة والعلم.

فالإخلاص شرط من شرطي قبول أي عمل صالح، فالله يأبى أن يقبل من العبد شيئًا ليس خالصًا له سبحانه، يأبى أن يقبل عملًا فيه شركٌ أو رياءٌ أو سمعةٌ أو حبٌّ للظهور، أو غير ذلك من مفسدات الأعمال، وفي رواية لأحمد والترمذي عن أبي سعيد بن فضالة يقول: **«إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ: من كان أشرك في عمل عمله لله أحدًا فليطلب ثوابه عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»**[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥١٣، رقم ١٩٠٥).

(٢) سورة الماعون: الآيات ٤ – ٧.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٦، رقم ١٥٨٧٦)، والترمذي (٥/ ٣١٤، رقم ٣١٥٤) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٢/ ١٤٠٦، رقم ٤٢٠٣)، والطبراني (٢٢/ ٣٠٧، رقم ٧٧٨)، وابن حبان (٢/ ١٣٠، رقم ٤٠٤).

وروى أبو داود عن النبيﷺ قال: «**من تعلّم علمًا مما يبتغي به وجه الله ﷻ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»(١)، أي: ريحها يوم القيامة.

والمهلك حقًّا هو أن يغيب الإخلاصُ كليًّا عن العمل، أو أن يرائي المرء متعمدًا، فهذا هو الهلاكُ والعياذُ بالله، لهذا وجهَنا رسولُ الله ﷺ إلى ما يُذهب هذا الرياء والشركَ، فعن أبي بكر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلك على شيء إن فعلته أذهب الله عنك صغار الشرك وكباره، تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**»(٢).

من أقوال السلف الصالح في الإخلاص:

قال الحارث بن قيس ﵀: «إذا كنت في صلاتك وجاءك الشيطان فقال: إنك مراء فزدها طولًا»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٨، رقم ٨٤٣٨)، وأبو داود (٣/ ٣٢٣، رقم ٣٦٦٤)، وابن ماجه (١/ ٩٢، رقم ٢٥٢)، والحاكم (١/ ٦٠، رقم ٢٨٨) وقال: صحيح سنده ثقات رواته على شرط الشيخين. والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٨٢، رقم ١٧٧٠). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٥، رقم ٢٦١٢٧)، والخطيب (٥/ ٣٤٦).

(٢) أخرجه هناد في الزهد (٢/ ٤٣٤، رقم ٨٤٩)، والحكيم (٤/ ١٤٢)، وأبو يعلى (١/ ٦٠، رقم ٥٨).

(٣) الزهد لابن المبارك (١ / ١٢)، ومصنف ابن أبي شيبة (٢ / ٢٢٣)، وتهذيب الآثار مسند عمر بن الخطاب (٢/ ٨٠٨).

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: «الإخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم»[(١)].

وقال السوسي رحمه الله: «مراد الله من عمل الخلق الإخلاص فقط»[(٢)].

وقال الجنيد رحمه الله: «إن لله عبادًا عقلوا، فلما عقلوا علموا، فلما علموا أخلصوا، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع؛ إذ المخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له»[(٣)].

طرق اكتساب الإخلاص:

مما يعين على الإخلاص بعد توفيق الله أمور، وهي:

١ - **أن يجعل العبد ربه نصب عينيه:** فيقصد بعمله وجه الله سبحانه وتعالى، ويلجأ دائمًا إلى ربه، ويسأله ويكثر من قول: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث».

٢ - **أن نعلم أن الناس لا ينفعون ولا يضرون:** فعلينا أن نقطع اعتبارهم وأخذ حسابهم في أي عبادة.

٣ - **أن يحذر العبد المسكين من نفسه الأمارة بالسوء:** التي تريد العلو والمباهاة والتقديم والتكريم والمدح وغلبة الرأي، وتريد احتقار الآخرين والتعالي عليهم والسخرية منهم.

٤ - **أن نحذر من الشيطان الرجيم:** لا يأتينا من أبواب نأمنها كما يحدث

---

(١) إحياء علوم الدين (٤ / ٣٧٨).

(٢) المرجع السابق (٤ / ٣٧٩).

(٣) المرجع السابق نفسه.

عند الكلام والمفاخرة، أو عند الغيرة على الدين، أو عند إعجاب الناس وثنائهم.

مسالك دقيقة للرياء:

وهناك مسالك دقيقة جدًّا من مسالك الرياء، يوقع الشيطان فيها العبد المؤمن من حيث يشعر أو لا يشعر، وسأذكر لك بعضها، لأن الحديث عن الرياء والعجب وغيرهما مما ينافي الإخلاص حديث طويل جدًّا.

ولكن حسبي في هذا المقام أن أورد لك ثلاثة من تلك المسالك الدقيقة للرياء، وهذه المسالك غالبًا يقع فيها الصالحون إلا من رحمه الله.

المسلك الأول:

ما ذكره أبو حامد الغزالي رحمه الله حيث قال أثناء ذكره للرياء الخفي: «وأخفى من ذلك أن يختفي العامل بطاعته، بحيث لا يريد الاطلاع، ولا يسرُّ بظهور طاعته، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدأوه بالسلام، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه، وأن ينشطوا في قضاء حوائجه، وأن يسامحوه في البيع والشراء، وأن يوسعوا له في المكان، فإن قصر فيه مقصرٌ ثقل ذلك على قلبه، ووجد لذلك استبعادًا في نفسه، كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها، مع أنه لم يطلع عليه، ولو لم يكن قد سبق من تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه، وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون»[1].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٠٥)، وموعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٦).

المسلك الثاني:

فهو أن يجعل الإخلاص لله وسيلة لا غاية وقصدًا، فيجعل الإخلاص وسيلة لأحد المطالب الدنيوية.

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على تلك الآفة الخفية، فكان مما قال رحمه الله: «حُكي أن أبا حامد الغزالي بلغه أن من أخلص لله أربعين يومًا تفجرت ينابيعُ الحكمة من قلبه على لسانه، قال: فأخلصت أربعين يومًا فلم يتفجر شيء، فذكرت ذلك لبعض العارفين، فقال لي: إنك إنما أخلصت للحكمة، ولم تخلص لله تعالى»(١).

وهذا مسلكٌ خطيرٌ كما سمعتَ وقليل من يتفطن له.

والأمثلة عليه كثيرة من الواقع، فتجد بعض الناس يكثر من الأعمال الصالحة في أيام الاختبارات مثلًا، كصيام النوافل، وقيام الليل، وكثرة الصلاة والخشوع، وقلبه منعقد على أنه إذا أكثر من العبادات سيوفق في اختباره، أو سيفوز بوظيفةٍ ما، فهذا بالحقيقة إنما أخلص للاختبارات، وذلك أخلص للوظيفة.

ومن ذلك أيضًا أن بعض الناس يذهب إلى المسجد ماشيًا أو يحج كل سنة أو غير ذلك من العبادات التي فيها رياضة، ويكون قد انعقد في قلبه أنه يفعل ذلك لينشط جسمه، أو يحرك الدورة الدموية كما يقولون.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «فإن خالط نية الجهاد مثلًا نية غير الرياء،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٦٦).

مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة، أو التجارة، نقص بذلك أجر جهادهم، ولم يبطل بالكلية»[(١)].

بل اجعل مشيك للمسجد وحجك وعبادتك خالصة لله ﷻ، وهذه الأشياء تحصل حتمًا دون أن تعقد عليها قلبك.

المسلك الثالث:

وهو ما أشار إليه الحافظ ابن رجب ؒ بقوله: «ههنا نكتة دقيقة، وهي أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس، يريد بذلك أن يري الناس أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء، وقد نبه عليه السلف الصالح»[(٢)].

إضاءات:

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعريّ ﭫ: «من خلُصت نيّته كفاه الله ما بينه وما بين الناس»[(٣)].

وقال عليّ ﭬ: «لا تهتمّوا لقِلّة العمل، واهتمّوا للقَبول»[(٤)].



---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (١ / ٤٦٨)، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (١ / ٤٤٧).

(٢) إحياء علوم الدين (ج ٣ / ص ٣٠٥).

(٣) الزهد لابن السري (٢ / ٤٣٦)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١ / ٥٠).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ٣٧٩)، وموعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (١/ ٤٤٢).

آداب البيوت (١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فينظر الإسلام للمنزل باعتباره مكانًا يأوي إليه الناس ليجدوا فيه الراحة والأمن والطمأنينة، والبيوت لم تُزين ولن تُزين بأدبٍ وعملٍ أعظم من تقوى الله ﷻ، فإن عُمّرتْ بطاعة الله ﷻ. وقد شرع الإسلام الحنيف للدخول والخروج من البيوت آدابًا يتحقق معها كل ذلك.

الاستئذان:

تشريع الاستئذان حتى من أهل البيت:

ويتأكد ذلك في الأوقات التي يضع الناس فيها ثيابهم ، قال تعالى :
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ

(١) لمزيد من التفاصيل يمكنك قراءة الآداب (الاستئذان، واللباس والزينة، والمساجد، والسواك، والطهارة) من كتابنا هذا.

فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

وكان ابن عمرو رضي الله عنهما إذا بلغ بعض ولده الحلم لم يدخل عليه إلا بإذن، وسأل رجل حذيفة رضي الله عنه أستأذن على أمي ؟ قال: «**إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره**»[2].

قال المباركفوري: «ومن طريق موسى بن طلحة: دخلت مع أبي على أمي، فدخل واتبعته، فدفع في صدري، وقال: تدخل بغير إذن. ومن طريق عطاء: سألت ابن عباس: أستأذن على أختي؟ قال: نعم. قلت: إنها في حجري، قال: أتحب أن تراها عريانة؟! وأسانيد هذه الآثار كلها صحيحة »[3].

إلقاء السلام:

وذلك لأن السلام هو تحية أهل الجنة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ** ﴾[4]، بل سمى الله سبحانه وتعالى الجنة دار السلام ، لما في السلام من الراحة والطمأنينة ، حيث إن السلام يحمل في طياته كل الخير وإلا لما كان جزاء أهل الجنة.

---

(١) سورة النور: الآيتان ٥٨-٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٦٤، رقم ١٠٦٠)، وحسنه الألباني.

(٣) تحفة الأحوذي (٧/ ٤٠٦).

(٤) سورة يونس: الآية ١٠ .

قال تعالى سبحانه وتعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

لذا كان من الأدب لمن يدخل بيته أن يسلم، حتى لو لم يكن في البيت غيره، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ (٢).

وكيفية السلام أن يقول : «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، ويجاب عليه بـ: «و عليكم السلام ورحمة الله وبركاته»، بصيغة الجمع كذلك ، كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**هذا جبريل يقرأ عليكم السلام**»، قالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته» (٣).

وعن جابر رضي الله عنه: «إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة» (٤)، قال : ما رأيته إلا توجيه قوله: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (٥).

وعند الترمذي رحمه الله: **عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك»** (٦).

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٧ .

(٢) سورة النور: ٦١ .

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٧، رقم ٥٨٩٨)، ومسلم (٤/ ١٨٩٥، رقم٢٤٤٧).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٧٥، رقم١٠٩٥).

(٥) سورة النساء: ٨٦.

(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٩ ، رقم ٢٦٩٨)، وقال: حسن غريب.

ذكر الله تعالى:

فينبغي لداخل البيت أن يسمي الله تعالى ، لأن الشيطان لا بقاء له مع اسم الله ﷻ. وإذا كان المنزل يراد منه أن يكون مكانًا للراحة والطمأنينة، فلا يمكن أن يحصل ذلك مع بقاء الشيطان الذي يسعى لإضلال بني آدم، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[1].

و لكن أخبر الله ﷻ بأن السلاح الذي يواجه به هذا العدو هو ذكره ﷻ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2].

الذكر عند دخول المنزل:

عن جابر ﵁ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله ﷿ عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء. فإذا دخل ولم يذكر الله قال : أدركتم المبيت. وإن لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان : أدركتم المبيت والعشاء**»[3].

ومن الأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ ذكرًا لدخول المنزل: « **اللهم إني أسألُك خيرَ الْـمَوْلِجِ وخيرَ الْـمَخْرَجِ بسمِ اللهِ وَلَـجْنَا وبسمِ اللهِ خرجْنا وعلى اللهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا**»[4].

---

(١) سورة فاطر: الآية ٦ .

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٠٠ .

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٩٨ ، رقم ٢٠١٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٢٥ ، رقم ٥٠٩٦) ، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٩٦ ، رقم

الذكر عند الخروج من المنزل:

وأما إذا أراد الإنسان أن يخرج من بيته فليسلم على أهله، ثم يخرج متزينا متسترا، ثم يذكر دعاء الخروج من المنزل، وهو: «**باسم الله آمنت بالله، واعتصمت بالله، وتوكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل علي**» [١].

و عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال إذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان**» [٢]، وفي رواية أبي داود: «**فيقول**- يعني الشيطان- **لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي**» [٣].

إشعار من بالبيت:

أدب الإشعار لأهل المنزل عند الدخول عليهم لئلا يرتاعوا بمفاجأته، أو يكون كالمتخوّن لهم.

٣٤٥٢)، وفي مسند الشاميين (٢/ ٤٤٧ ، رقم ١٦٧٤) .

(١) أخرجه الخطيب (٩/ ١٤٥) ، وابن عساكر (١٨/ ٣٠٢) . وأحمد (١/ ٦٥ ، رقم ٤٧١) .

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٩٠ ، رقم ٣٤٢٦) قال : حسن صحيح غريب . والضياء (٤/ ٣٧٢ رقم ١٥٤٠) وقال : إسناده صحيح .

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٢٥ ، رقم ٥٠٩٥) ، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٦ ، رقم ٩٩١٧)، وابن السني (ص ٧٥ ، رقم ١٧٧) ، وابن حبان (٣/ ١٠٤ ، رقم ٨٢٢) ، والضياء (٤/ ٣٧١ ، رقم ١٥٣٩) . والترمذي (٥/ ٤٩٠ ، رقم ٣٤٢٦) وقال : حسن صحيح غريب ، والبيهقي (٥/ ٢٥١ ، رقم ١٠٠٩٠) .

إعلام أهل البيت:

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا دخل الرجل بيته، استحب له أن يتنحنح أو يحرك نعليه [١]، وفي الصحيحين عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً- أي أن يأتيهم ليلاً من سفر أو غيره على غفلة كأنه- يتخونهم أو يلتمس عثراتهم» [٢].

الدخول بلطف:

وهو اللطف في الدخول إلى بيتك أو بيت أخيك، بغض الطرف والصوت، وخلع الحذاء وصفّه في محله ولا يدعه هكذا. يخلع اليسرى أولاً، ويلبس اليمنى أولاً، وليمط عنهما من أثر الطريق، فإن الإسلام دين النظافة واللطافة.

السواك:

السواك عند دخول البيت:

فيستحب السواك عند دخول المنزل، عن شريح بن هانئ قال: قلت لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بأي شيء كان يبدأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل بيته . قالت بالسواك [٣]، قال النووي: «فيه ندب السواك عند دخول المنزل وذلك لإزالة ما يحصل عادة

---

(١) تفسير ابن كثير (٦ / ٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٨، رقم ٧١٥).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٠، رقم ٢٥٣).

بسبب كثرة الكلام الناشئة عن الاجتماع»[(١)].

السواك عند الخروج من البيت:

لحديث زيد بن خالد الجهني ﷺ قال: «ما كان رسول الله ﷺ يخرج من بيته لشيء من الصلاة حتى يستاك»[(٢)].

أن يجعل للبيت نصيبًا من الطاعات:

فينبغي للمسلم أن لا يحرم بيته من أن يكون له نصيب من الطاعات، وقد حث النبي ﷺ على تنفيذ بعض الطاعات في البيت، لينال بركة هذه الطاعات، وكذلك حتى يكون ذلك حثا لبقية أهل البيت على الطاعات والخيرات، من ذلك:

أن يجعل للبيت نصيبا من الصلاة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ﷺ: «**اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورا**»[(٣)].

وفي حديث جابر بن عبد الله ﷺ عن رسول الله ﷺ: «**إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته، فإن الله جاعلٌ في بيته من صلاته خيرًا**»[(٤)].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٧/ ٢٢).

(٢) قال المنذري رحمه الله في الترغيب: «رواه الطبراني بإسناد لا بأس به»، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٩٠).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٦٦ ، رقم ٤٢٢) ، ومسلم (١/ ٥٣٨ ، رقم ٧٧٧).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٩ ، رقم ٧٧٨) .

أن يجعل للبيت نصيبا من التلاوة:

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما وفيه: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة**» (١).

تطهير البيت من المخالفات الشرعية:

فكما ينبغي للمسلم أن يهتم بالطاعات في بيته، لينال بركة هذه الطاعات، ويعلمها أهله، عليه أيضا اجتناب المخالفات الشرعية، ليجتنب إثمها، وشؤمها على البيت، وليجتنبها أهله اقتداءً به، ونذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

الصور والتماثيل:

فعلى المسلم أن يطهر بيته من الصور والتماثيل، ففي حديث أبي طلحة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة**» وفي لفظ البخاري «**ولا صورة تماثيل**» (٢).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**ولا تدخل الملائكة بيتا فيه تماثيل وتصاوير**» (٣).

ففي هذين الحديثين وأمثالهما مسائل:

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٩، رقم ٧٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٢٢، رقم ٥٦١٣)، ومسلم (٣/ ١٦٦٥، رقم ٢١٠٦).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٧٢، رقم ٢١١٢).

•أن الصور المعلقة للعظماء والرؤساء والآباء محرمة وكذا التي للذكرى على الراجح.

•أما الصور الممتهنة في الفرش والوسائد فلا بأس بها وكذا الصور التي على العلب كعلب الحليب وبعض الأغذية فإنها في حكم الممتهنة وكذا التي للضرورة أو الحاجة.

•أما الحيوانات المحنطة فلا يجوز اتخاذها وقد منعها شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ من ثلاثة وجوه، من حيث الإسراف وأن فيها عملا وتصويرا ممن يحنطها، وأن بعض الناس يعتقد بها اعتقادات.

•فائدة:آفة هذه التصاوير والتماثيل هو الوجه وفي قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الصورة الرأس، فإذا قطع الرأس فلا صورة» [1]، وتسمية الوجه صورة موجود في أحاديث كثيرة ثابتة في الصحيحين وغيرهما.

ومما ينبغي التنبيه عليه أيضا حسن انتقاء لعب الأطفال لأن كثيرًا من هذه اللعب لا تخلو من محاذير شرعية متعددة.

الكلاب بدون ضرورة شرعية:

فلا يؤوي المسلم الكلاب في بيته ولا يربيها إلا بضرورة شرعية، ففي حديث أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق: «**لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تصاوير**»[2].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من اقتنى كلبًا لا يغني عنه زرعًا ولا ضرعًا نقص من عمله**

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٧/ ٢٧٠، رقم ١٤٣٥٧).

(٢) سبق تخريجه.

كل يوم قيراط» [١]، وفي لفظ: **«من اقتنى كلبًا إلا كلب ماشية أو ضاريًا نقص من عمله كل يوم قيراطان»** [٢].

والقيراط المذكور هنا جزء مقدر من الحسنات في ذلك اليوم إما من عشرين جزءًا، أو أربعة وعشرين جزءًا، وقيل غير ذلك. فينقص هذا كل يوم من حسناته، وأما القيراط في الجنائز فقد قيل إنه مثل القيراط هنا وأنهما متساويان، وقيل إن الذي في باب الجنائز أعظم لأنه من باب الفضل والذي هنا من باب العقوبة وباب الفضل أوسع من غيره [٣].

ففي الحديث من الأحكام:

- تحريم اقتناء الكلاب.
- أن اقتناءها من التشبه بالكفرة.

نقض الصلبان:

فالمسلم لا يترك الصليب، ولا ما فيه تصاليب في البيوت، عن عائشة رضي الله عنها: «لم يكن النبي ﷺ يترك شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه» [٤]، ولعلّه ﷺ أراد بذلك قياس نقض الصّور المحرّمة على نقض الصّلبان، لاشتراكهما في أنّهما عبدا من دون الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨١٨، رقم ٢١٩٨)، ومسلم (٣/ ١٢٠٤، رقم ١٥٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٨٨، رقم ٥١٦٥)، ومسلم (٣/ ١٢٠١، رقم ١٥٧٤).

(٣) مختصرا من كلام الحافظ في الفتح (٣/ ١٩٤-١٩٥)، و(٥/ ٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٢٠، رقم ٥٦٠٨).

جلود السباع:

والمقصود هنا هو تعليق جلود السباع، أو افتراشها، أو الركوب عليها، وقد جاءت فيها أحاديث منها حديث المقدام بن معد يكرب ﷺ، وفيه: «**ونهى عن جلود السباع والركوب عليها**» (١).

وعن أسامة بن عمير ﷺ قال: **نهى رسول الله ﷺ أن نفترش جلود السباع**» (٢).

ومنها حديث معاوية: «**لا تركبوا الخز ولا النمار**» (٣).

وأيضا حديث علي ﷺ: «نهى رسول الله ﷺ عن الخز وعن ركوب عليه وعن جلوس عليه وعن جلود النمور وعن جلوس عليها وعن ركوب عليها» (٤). وهذه الأحاديث -وهناك غيرها أيضا- تدل بمجموعها على أن النهي عن جلود السباع ومنها النمور محفوظ بلا شك.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٣٢) ، والترمذي (١٧٧٠ م ٢ و م ٣) ، والنسائي (٧/ ١٧٦) وفي الكبرى (٤٥٧٩) ، وقال الحافظ في الفتح (١٠/ ٢٩٤) حديث ثابت.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣١٤، رقم ٣٦٤١٧)، وأحمد (٥/ ٧٤، رقم ٢٠٧٢٥)، والدارمي (٢/ ١١٧، رقم ١٩٨٣)، وأبو داود (٤/ ٦٩، رقم ٤١٣٢)، والترمذي (٤/ ٢٤١، رقم ١٧٧٠ ، ١٧٧١)، والنسائي (٧/ ١٧٦، رقم ٤٢٥٣)، وابن الجارود (٢٢١، رقم ٨٧٥)، والحاكم (١/ ٢٤٢، رقم ٥٠٧)، والطبراني (١/ ١٩٢، رقم ٥١١).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٦٧ ، رقم ٤١٢٩) . وأحمد (٤/ ٩٣ ، رقم ١٦٨٨٦) والبيهقي (١/ ٢٢ ، رقم ٧٦) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٧٠ ، رقم ٢١٨) .

آلات اللهو والمعازف:

فلا يتخذ المسلم آلات اللهو والمعازف ولا يستعملها، فكل ذلك محرم وكذلك آلات الفساد كالدشوش والتلفاز وما شابهها. ومما يحسن التنبيه عليه هنا ما أنعم الله به علينا من وسيلة الاتصال (الهاتف)، وهذه النعمة، وإن كانت عظيمة لكن من أساء استخدامها أو غفل عن بعض أضرارها وقع في مهالك، وبعض الناس يدع الرد على الهاتف لكل أحد في البيت من رجل أو امرأة صغيرا كان أو كبيرا، وهذا غلط ظاهر؛ فالذي يتولى الرد على الهاتف ينبغي أن يكون من الذكور البالغين إن تيسر، ولا أرى داعيًا لرد المرأة على الهاتف مع وجود الرجال، وهذا الأمر معدود من مسؤولية الرجل على أهل بيته، وحفظه لهم، ويقظته المحمودة، وغيرته المشروعة.

ستر الجدر:

فقد جاءت السنة بالنهي عن ستر الجدر إلا لحاجة، فعن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ رأى سترًا فهتكه، وقال: «**إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين**»[١].

قال في الاختيارات في باب الوليمة: «ورخص أبو محمد في ستر الحيطان لحاجة من وقاية حر أو برد.

ومقتضى كلام القاضي المنع لإطلاقه على مقتضى كلام أحمد: يكره تعليق الستور على الأبواب من غير حاجة لوجود أغلاق غيرها من أبواب الخشب

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٦٦، رقم ٢١٠٧).

ونحوها، وكذا تكرار الستور في الدهليز لغير حاجة، فإن ما زاد على الحاجة فهو سرف. وهل يرتقي إلى التحريم؟ فيه نظر».

وقال شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «ستر الجدار أقل أحواله الكراهة لأنه نوع إسراف لا حاجة إليه وأما ستر النوافذ فلا بأس به، وكذا إذا كان على الأبواب أما الجدر فينكر».

المبالغة في البناء:

فلا يبالغ المسلم في البناء، قال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**من أشراط الساعة إذا تطاول رعاة البهم في البنيان**» (١)، كما ورد ذم البناء مطلقا في حديث خباب: «**يؤجر الرجل في نفقته كلها إلا التراب**» (٢).

وهذا محمول على ما لا تمس الحاجة إليه مما لا بد منه للتوطن وما يقي البرد والحر، ومن حديث أنس رضي الله عنه: «**أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا إلا ما لا**» (٣)، أي إلا ما لا بد منه.



(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٧ ، رقم ٥٠) ، ومسلم (١/ ٤٠ ، رقم ١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٥١، رقم ٢٤٨٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٦٠، رقم ٥٢٣٧)، قال ابن حجر في الفتح (١١/ ٩٢-٩٣): رواته موثوقون إلا الراوي عن أنس وهو أبو طلحة الأسدي فليس بمعروف، وله شاهد من حديث واثلة بن الأسقع عند الطبراني.

آداب الجوار

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

إن الإسلام أوجب بين الناس التعاونَ والإحسانَ وحرّم الأذى والعدوانَ وأقام العلائقَ بين الخلائقِ على الحب والإخاء والتراحم والوفاء، ومن جملة تلك الحقوق العظيمة حقوق الجار التي أمر الله ﷻ بها رسوله ﷺ، وحذر من إيذائه، فحقوق الجار قد عظم الله من شأنها وعظم من شأنها رسول الله ﷺ، والموفَّق من وُفِّق للقيام بحقوق الجار، والمحرومُ من أخفقَ فيها.

تعريف الجار وحدُّه:

الجار: من يقرب مسكنه منك.

حد الجوار: جاء عن علي رضي الله عنه «**من سمع النداء فهو جار**»[(١)]، وقيل: «**من صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار**»[(٢)]، وعن عائشة رضي الله عنها: «**حد الجوار أربعون دارًا من كل جانب**»[(٣)].

---

(١) شرح البخاري لابن بطال (٦/ ٣٨٣)، وتفسير القرطبي (٥/ ١٨٥)، وسبل السلام (٤/ ١٦٦)، وفتح الباري (١٠/ ٤٤٧).

(٢) سبل السلام (٤/ ١٦٦)، وفتح الباري (١٠/ ٤٤٧)، وعمدة القاري (٢٢/ ١٠٨).

(٣) أخرجه البيهقي (٦/ ٢٧٦، رقم ١٢٣٩١) من طريقين، وبنحوه من حديث أبي هريرة

من صور الجوار:

يظن بعض الناس أن الجار هو فقط من جاوره في السكن، ولا ريب أن هذه الصورة هي واحدة من أعظم صور الجوار، لكن لا شك أن هناك صورًا أخرى تدخل في مفهوم الجوار، فهناك الجار في العمل، والسوق، والمزرعة، ومقعد الدراسة،... وغير ذلك من صور الجوار.

عناية الكتاب والسنة بحقوق الجار:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾[(١)].

ولقد عظَّم الإسلام حق الجار، وظل جبريل عليه السلام يوصي نبي الإسلام ﷺ بالجار حتى ظنَّ النبي ﷺ أن الشرع سيأتي بتوريث الجار، فقال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[(٢)].

فضائل رعاية حقوق الجار:

الإحسان إلى الجار من علامات الإيمان:

وإيذاؤه ينفي عن الإنسان هذا الإيمان. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن**

رضي الله عنه: أخرجه أبو يعلى (١٠/ ٣٨٥، رقم ٥٩٨٢).

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٩، رقم ٥٦٦٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٥، رقم ٢٦٢٥).

بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[١].

وقال ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**»، قيل: يا رسول الله! خاب وخسر، من هذا؟ قال ﷺ: «**من لا يأمن جاره بوائقه**[٢]»[٣]، وفي هذا تعظيم لحق الجار، وترهيبٌ من إيذائه، وإضراره، وأن الإحسان إليه يكون بتأدية حقه، وكف الأذى عنه، وبذل العون إليه[٤].

أنه وصية جبريل عليه السلام:

كما قال ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** »[٥]، ومن المعروف أن وصية جبريل هي في الأصل وصية الله سبحانه وتعالى.

نصيحة السلف الصالح بالإحسان إليه وإن أساء إلينا:

فيروى أن رجلًا جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له: إن لي جارًا يؤذيني ويشتمني ويضيق عليّ فقال: «**اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه** »[٦].

أنه من مقاييس الخيرية عند الله سبحانه وتعالى:

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الأصحاب عند**

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٧٢، رقم ٥٧٨٤)، ومسلم (٣/ ١٣٥٢، رقم ٤٨)، وغيرهما.

(٢) بوائقه: غوائله وشره أو ظُلمه وغشمه. (لسان العرب: ١٠/ ٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في (١٠ / ٤٤٣، رقم ٦٠١٦).

(٤) خطب مختارة – ٤٢٢.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) إحياء علوم الدين (٢/ ٢١٢).

الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره»(١).

تعظيم النبيﷺ لحرمة الجار:

فقد ثبت عنهﷺ أنه قال: «**ما تقولون في الزنا؟**» قالوا: حرام، حرمه الله ورسوله، قال: «**لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره، ما تقولون في السرقة؟**» قالوا: حرام، حرمها الله ورسوله، قال: «**لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره، ومن أغلق بابه من جاره مخافة على أهله أو ماله فليس الجار بمؤمن**»(٢).

فلماذا كانت السرقة من الجار أشدَّ إثمًا من السرقة من عشرة بيوت؟ وما الذي ضاعف الجرم في تلك الجريمة؟ إنها حرمة الجار.

أنه يشفع إذا نقصت الطاعات:

فهو مما يدخل الجنة إذا قلت طاعات المرء، كما أن الإساءة إلى الجار من أسباب رد الطاعات ولو كثرت.

وقد روى أبو هريرة أن رجلًا قال: يا رسول الله**!** إن فلانة تذكر من كثرة

---

(١) أخرجه الترمذي (٤ / ٢٩٤، رقم ١٩٤٤)، والدارمي (٢ / ١٣٤، رقم ٢٤٤٢)، وأحمد (٢ / ١٦٨) والحاكم (٤ / ١٦٤). وذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (١٠٣).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٨، رقم ٢٣٩٠٥) ، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٥٠، رقم ١٠٣)، والطبراني (٢٠/ ٢٥٦، رقم ٦٠٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٨١، رقم ٩٥٥٢)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٢٥٤، رقم ٦٣٣٣)، قال الهيثمي (٨/ ١٦٨): رواه أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله ثقات .

صلاتها، وصدقتها، وصيامها. وفي رواية تصوم النهار، وتقوم الليل، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قالﷺ: «**هي في النار**»، وقال: إن فلانة تذكر من قلة صيامها، وصلاتها، وإنها تصّدق بالأثوار من الأقط [١]، ولا تؤذي جيرانها، قال: «**هي في الجنة**»[٢].

حسرات الإساءة إلى الجار:

أنه من علامات انعدام الإيمان أو نقصه:

فكما كان الإحسان إلى الجار من علامات الإيمان، فإن الإساءة إليه من علامات عدم الإيمان أو نقصه.

عن عبد الله بن المساور قال: سمعت ابن عباس يخبر ابن الزبير يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع** »[٣].

---

(١) **بالأثوار من الأقط**: الأثوار جمع ثور وهي قطعة من الأقط، وهو لبن جامد مستحجر ومنه الحديث: «**توضأوا مما مست النار ولو من ثور أقط**»، يريد غسل اليد والفم منه. النهاية (١/ ٢٢٨). وتصّدق أي تتصدق.

(٢) أخرجه في كنز العمال (٢٥٦١٨)، وإسحاق بن راهويه (١/ ٣١١، رقم ٢٩٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٩): رواه أحمد والبزار، ورجاله ثقات.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٤ رقم ١١٢) وأبو يعلى في مسنده (٥ / ٩٢ رقم ٢٦٩٩)، والطبراني (١٢ / ١٥٤ رقم ١٢٧٤١)، والحاكم في المستدرك (٤ / ١٦٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠ / ٣٩١) . وقال الحاكم حديث صحيح ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي (٨ / ١٦٧) ورجاله ثقات . وذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ١٤٩ وذكر شواهده .

الحسرة يوم القيامة:

قال ﷺ: «كم من جارٍ متعلّق بجاره يوم القيامة، يقول: يا رب، هذا أغلق بابه دوني فمنع معروفه»[(١)].

وذلك **لأنه مبدد للحسنات:** كما قيل للنبي ﷺ إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتصدق وتؤذي جيرانها بلسانها، فقال رسول الله ﷺ: «**لا خير فيها، هي من أهل النار**»، قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة وتصوم رمضان ولا تؤذي أحدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**هي من أهل الجنة**»[(٢)].

أنه أذية لله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ:

كما روي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من آذى مسلما فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**»[(٣)].

أنه من الخسران المبين:

لقوله ﷺ: «**لا يدخل الجنة مَن لا يأمن جاره بوائقه**»[(٤)].

كما **أنه من أسباب اللعنة:** فلما جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ يشكو إليه أذى جاره، قال ﷺ: «**اطرح متاعك في الطريق**»، ففعل؛ وجعل الناس يمرون به

---

(١) أخرجه الديلمي (١/ ٢٥٤، رقم ٩٨٤)، والبخاري في الأدب المفرد (ص ٥٢، رقم ١١١)، وهنّاد (٢/ ٥٠٨، رقم ١٠٤٥)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (١/ ١٠٧، رقم ٣٤٦).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٧٨، رقم ٩٥٤٥).

(٣) عزاه المنذري في الترغيب : ٣/ ٢٣٤ لأبي الشيخ ابن حبان في كتاب (التوبيخ) وضعفه، و أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ٦٠ ، رقم ٣٦٠٧).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٦٨، رقم ٤٦)، وأبو يعلى (١١/ ٣٧٥، رقم ٦٤٩٠).

ويسألونه، فإذا علموا بأذى جاره له لعنوا ذلك الجار، فجاء هذا الجار السيئ إلى رسول الله ﷺ يشكو أن الناس يلعنونه، فقال ﷺ: «**فقد لعنك الله قبل الناس**»(١).

حقوق الجار:

لا شك أن الجار له حقوق كثيرة نشير إلى بعضها، فمن أهم هذه الحقوق:

رد السلام وإجابة الدعوة:

وهذه وإن كانت من الحقوق العامة للمسلمين بعضهم على بعض، إلا أنها تتأكد في حق الجيران، لما لها من آثار طيبة في إشاعة روح الألفة والمودة.

كف الأذى عنه:

وهذا الحق من أعظم حقوق الجيران، والأذى وإن كان حرامًا بصفة عامة فإن حرمته تشتد إذا كان متوجهًا إلى الجار.

فقد حذر النبي ﷺ من أذية الجار أشد التحذير، وتنوعت أساليبه في ذلك، ومن ذلك قوله: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**».

قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «**مَن لا يأمن جاره بوائقه**»(٢).

وكذلك في حديث المرأة التي تصلي الليل، وتصوم النهار، وفي لسانها

---

(١) (البيهقي في شعب الإيمان) [كنز العمال ٢٥٦١٠].

(٢) سبق تخريجه.

شيء تؤذي جيرانها. قال ﷺ: «**لا خير فيها، هي في النار**»(١).

تحمل أذى الجار:

وإنها والله لواحدة من شيم الكرام ذوي المروءات والهمم العالية، إذ يستطيع كثيرٌ من الناس أن يكفّ أذاه عن الآخرين، لكن أن يتحمل أذاهم صابرًا محتسبًا فهذه درجة عالية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾(٢).

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(٣).

وقد ورد عن الحسن رحمه الله قوله: «**ليس حُسْنُ الجوار كفّ الأذى، حسن الجوار الصبر على الأذى**»(٤).

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ يحب ثلاثة، ويبغض ثلاثة**».

وذكر في الثلاثة الذين يحبهم: «**رجل كان له جار سوء يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يكفيه الله إياه بحياة أو موت**»(٥).

واعلم أن هذا من باب الدفع بالتي هي أحسن، ذكروا عن الإمام أبي

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٩٦.

(٣) سورة الشورى: الآية ٤٣.

(٤) كنز العمال ٤٤٢٢٦.

(٥) أخرجه الطيالسي (ص ٦٣، رقم ٤٦٨)، والطبراني (٢/ ١٥٢، رقم ١٦٣٧)، والحاكم (٢/ ٩٨، رقم ٢٤٤٦) وقال: صحيح على شرط مسلم، والبيهقي (٩/ ١٦٠، رقم ١٨٢٨٢).

حنيفة رحمه الله أن رجلًا كان بجواره يسيء إليه كل يوم في بيته، فكان يخرج ويبعد الأذى أو الإساءة وهو صابرٌ، وفي يومٍ من الأيام خرج فلم يجد تلك الإساءةَ التي كان يعهدها، فسأل عن جاره عندما رآه تخلف عن عادته! فأُخبر أنه أحدث حدثًا وسُجن، فذهب وشفع عند صاحب الشرطة حتى أخرجه، ولم يعلم هذا الجارُ بالذي جاء يشفع له، فلما خرج قال: من الذي أخرجني؟ قالوا: جارك جاء يشفع لك، قال: من هو؟ قالوا: أبو حنيفة ! فندم على إيذائه، وكف عن ذلك(1).

تفقده وقضاء حوائجه:

إن رسول الله ﷺ يقول: «**ما آمن بي من بات شبعانًا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم**»(2). وإن الصالحين كانوا يتفقدون جيرانهم ويسعون في قضاء حوائجهم، فقد كانت الهدية تأتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ فيبعث بها إلى جاره، ويبعث بها الجار إلى جار آخر، وهكذا تدور على أكثر من عشرة دور حتى ترجع إلى الأول(3).

---

(١) رسالة في فضل الأندلس (٢/ ١٩٥)، وجذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (١/ ٥).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٥٢، رقم ١١٢)، وأبو يعلى (٥/ ٩٢، رقم ٢٦٩٩)، والطبراني (١٢/ ١٥٤، رقم ١٢٧٤١)، قال الهيثمي (٨/ ١٦٧): رجاله ثقات. والحاكم (٤/ ١٨٤، رقم ٧٣٠٧)، وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي (١٠/ ٣ ، رقم ١٩٤٥٢)، والخطيب (١٠/ ٣٩١). وأخرجه أيضًا: البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٢٥ ، رقم ٣٣٨٩).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١/ ٥٨)، وتهذيب الآثار مسند عمر بن الخطاب (١/ ١٢٢)، والمستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٢٦)، وفتح القدير (٥/ ٢٠٢)، وروح المعاني

ستره وصيانة عرضه:

وإن هذه لمن أوكد الحقوق، فبحكم الجوار قد يطَّلع الجار على بعض أمور جاره، فينبغي أن يوطن نفسه على ستر جاره، مستحضرًا أنه إن فعل ذلك ستره الله في الدنيا والآخرة، أما إن هتك ستره فقد عرَّض نفسه لجزاء من جنس عمله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾[(١)].

وقد كان العرب يفخرون بصيانتهم أعراض الجيران حتى في الجاهلية، ومن ذلك قول عنترة[(٢)]:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي ... حتى يــــواري جارتي مأواهــا

وأما في الإسلام فيقول أحدهم[(٣)]:

مـا ضر جــاري إذ أجـــاوره ... ألا يكــــــون لبـيتـــه ســتر

أعمى إذا مـا جــارتي خرجـت ... حتى يـــواري جــارتي الخدر

ومن ذلك أنك إذا صعدت على سطح منزلك ورأيت عورة لجارك فحقُّ الإسلام غض البصر، وحق الجوار عدمُ خيانة جارك، وهذا الحكم يدخل فيه الصعود إلى السطح أو النظر من النوافذ أو الشرفات أو النظر مما يسمّى بالمنور، ففيه النوافذ المطلة على أخيك المجاور، فمن الأدب والإسلام أن تستأذن قبل صعودك، كي لا تؤذي مسلمًا في بيته.

(٢٨/ ٥٣)، وموعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (١/ ٣٤٠).

(١) سورة فصلت: الآية ٤٦.

(٢) ديوان عنترة بن شداد (ص٢٢٦).

(٣) خزانة الأدب (٣/ ٧٠).

إذا شئت أن ترقى جدارك مرة لأمرٍ فآذِنْ جارَ بيتك من قبلُ
ولا تفجأنْه بالطلوع فربما أصاب الفتى من هتك جارته خبلُ [(١)]

الإهداء إليه ومودته:

وإن من مجال الإحسان إلى الجار التودد إليه بالهدية والقول اللطيف، ولهذا أوصى رسول الله ﷺ الصحابي الجليل أبا ذر فقال له: «**يا أبا ذر! إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**» [(٣)].

ومعنى الحديث باختصار: أي لا تحقرن أن تُهدي إلى جارتها شيئًا، ولو أنها تُهدي لها ما لا ينتفع به.[(٤)]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله! إن لي جارتين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: «**إلى أقربهما منك بابًا**»[(٥)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والحكمة في ذلك أن الجار الأقرب يرى ما يدخل بيت جاره من هديةٍ وغيرها، فيتشوف لها، بخلاف الأبعد، وكذلك فإن

---

(١) البيتان لأبي العلاء المعري، في ديوانه (ص٩٧٨).

(٢) أخرجه ابن المبارك (١/ ٢١٤، رقم ٦٠٦)، وابن حبان (٢/ ٢٦٩، رقم ٥١٤)، والطيالسي (ص ٦٠، رقم ٤٥٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٤١، رقم ٣٤٣٣)، أخرجه ابن حبان (٢/ ٢٦٨، رقم ٥١٣)، وأحمد (٥/ ١٥٦ ، رقم ٢١٤١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٩٠٧، رقم ٢٤٢٧)، ومسلم (٢/ ٧١٤، رقم ١٠٣٠).

(٤) فتح الباري (١٠/ ٤٥٩).

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤١، رقم ٥٦٧٤)، وأبو داود (٤/ ٣٣٩، رقم ٥١٥٥).

الأقرب أسرع إجابة لما قد يقع لجاره من المهمات، ولا سيما في أوقات الغفلة»[١].

ومن جملة حق الجار أن يُبدأ بالسلام، ويعوده في المرض، ويعزّيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنأه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا يضيق طريقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صدعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغضّ بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف لولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه.[٢]

ومن حديث معاذ بن جبل ﷺ: « قالوا: يا رسول الله! ما حق الجار على الجار؟ قال: إن استقرضك أقرضته، وإن استعانك أعنته، وإن مرض عدته، وإن احتاج أعطيته، وإن افتقر عدت عليه، وإن أصابه خير هنيته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له، وإن اشتريت فاكهة فأهدِ له، وإن لم تفعل فأدخلها سرًّا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده»[٣].

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٤٧).

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص١٦٥).

(٣) أخرجه ابن عدي (٥/ ١٧٠، ترجمة ١٣٢٧ عثمان بن عطاء الخراساني)، والبيهقي في

حقّ الجار غير الصالح:

فقد اعتنى الإسلام بحق الجار وإن لم يكن صالحًا، ومن حقوقه: إرادة الخير له، وموعظته بالحسنى، والدعاء له بالهداية، وترك الإضرار له إلا في الموضع الذي يجب فيه الإضرار له بالقول والفعل، ...وكفّه عن الذي يرتكبه بالحسنى، على حسب مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعظ الكافر بعرض الإسلام عليه، ويبين محاسنه والترغيب فيه برفق، ويعظ الفاسق بما يناسبه بالرفق أيضًا، ويستر عليه وينهاه برفق، فإن أفاد فبه، وإلا فيهجره قاصدًا تأديبه على ذلك، مع إعلامه بالسبب ليكفّ، وفي هذا المعنى قال ابن الوردي في لاميته:

دارِ جارَ الدار إن جار وإن ... لم تجد صبرًا فما أحلى النقل

وقد اهتم السلف الصالح بحقوق الجار الذمي، ومن ذلك أن عبد الله بن عمر ﷺ كان إذا ذبح شاة قال لغلامه: «**إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي**»[(١)].

وعن الحسن البصري ﷺ: أنه كان لا يرى بأسًا أن تطعم جارك اليهودي والنصراني من أضحيتك.

ولذلك قال العلماء: الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان،

شعب الإيمان (٧/ ٨٣ ، رقم ٩٥٦٠)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٩٤ ، رقم ٢٤٧) قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص ١٤٠): إسناده ضعيف، ورفع هذا الكلام منكر، ولعله من تفسير عطاء الخراساني.

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٥٨)، وشرح مشكل الآثار (٧/ ٢٢٠).

وجار له ثلاثة حقوق:

- فالجار الذي له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم، فله حق الجوار، وحق الإسلام، وحق الرحم.
- وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام.
- وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك.

من مظاهر الإساءة إلى الجار:

من علامات الساعة التي أخبر بها الرسول ﷺ سوء الجوار، قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش، والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة**»(١). وقد وقع ما أخبر به الرسول ﷺ فنرى الفساد ظاهرًا بين الناس، كما نرى التقاطع وسوء الجوار حاصلًا بينهم، وحل التباغض والتنافر بينهم محل المحبة والصلة والمودة، حتى أن الجار لا يعرف جاره، بل قد يبتلى بالمصائب فلا يعزيه، أو يموت دون أن يشيعه، ولا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل، وقد تعددت مظاهر الإساءة للجار في زماننا، ومن ذلك:

التلصص وإعلان السوء:

وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «**ثلاث فواقر** –أي: مهلكات–: **أمير ظالم إن أحسنت لا يشكر، وإن أسأت لا يعفو، وجار سوء إن علم شرًّا أذاعه، وإن علم خيرًا كتمه**»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٠ / ٢٦ – ٣١) وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٧٥) وقال : هذا حديث صحيح .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٨٢ ، رقم ٩٥٥٤)، وابن عدي (٣/ ٣٥٤ ، ترجمة

وهذا كما قال الشاعر:

صم إذا سمعوا خيرًا ذُكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

أي: إن سمعوا خيرًا عني فهم صم لا يسمعون، وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا، أي: استمعوا ذلك، وهذا من سوء الجوار.

الإزعاج والضوضاء:

ويدخل في الإزعاج ارتفاعُ صوت المذياع، أو المرئية، أو الموسيقى الصاخبة، أو تشغيل الآلات الكهربائية المزعجة وقت الراحة والهدوء، كتشغيل المكنسة الكهربائية، أو الغسالة، أو استخدام المطرقة، أو المثقاب، والأسوأ من ذلك أذية الجار بالكلام البذيء والسباب والشتم.

إهمال نظافة وصيانة بيتك مما يؤثر عليه:

كعدم إصلاحك خزان مياهك فوق العمارة، مما يسبب أذى الجيران بالمياه، أو برمي الأوساخ من النوافذ وعلى شرف الجيران، وهذه الأخلاق مرفوضة من حيث الدين، ومن حيث الخلق، قال رسول الله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١).

تعطيل مصالح الجيران:

وذلك بمثل غلق الطريق المشاع بين جميع السكان والجيران بالسيارة وغيرها. أو **إلقاء فضلاتك ومهملاتك أمام منزله:** فلا ترمِ الأوساخ أمام

٧٩٨ سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري).

(١) أخرجه البيهقي (١٠/ ١٩١، رقم ٢٠٥٧١)، وأحمد (٢/ ٣٨١، رقم ٨٩٣٩).

جيرانك، بل حاول أن تزيل الأذى عنهم، لأن الرسول ﷺ يقول: «**وتميط الأذى عن الطريق صدقة**»[1].

الهدي النبوي في معالجة إساءة الجوار:

والآن نذكر هدي النبي ﷺ في معالجة إساءة الجار: وقد اشتكى رجل إلى النبي ﷺ سوء معاملة جاره، فقال: اذهب واصبر -ثلاث مرات- وأخيرًا أمره بإخراج متاعه.

فأخرجه وجلس في الطريق، فكان كلُّ من مر به سأله عن شأنه، فيقول: جاري آذاني، فيقول المار: لعنة الله على هذا الجار، ويسُبّه ويلعنُه، وكل من سمع بهذا لعن الجار، فجاء الجار يشتكي للرسول ﷺ، فقال: «**لا، وعذاب الآخرة أشد**»، فرجع إلى جاره وقال: أدخل متاعك، وادخل بيتك، فوالله لن أؤذيك بعد هذا.

والذي يهمُّنا في هذا الحديث المنهج النبوي في هذا التعامل مع إساءة الجار، فهل الرسول ﷺ قال: احبسوه؟ أو قال: اضربوه؟ لا، بل جعل المجتمع كله يشارك في علاج هذه القضية؛ لأن قضايا الجيران والجوار قضايا اجتماعية، وليس حلها على السلطان فقط، بل على المجتمع بكامله إذا كان مترابطًا؛ لأن هؤلاء حينما يرون فردًا من المجتمع قد أسيء إليه في جواره، وقد أوذي من جاره، فإنهم يتعاونون على إصلاح هذه الإساءة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩٠، رقم ٢٨٢٧)، ومسلم (٢/ ٦٩٩، رقم ١٠٠٩).

فالصحابة انتقموا من ذلك الجار المؤذي بالدعاء عليه، وبسبه، واستقبحوا فعله؛ وهذا الفعل يستقبح عقلًا، فصاحب الإساءة لما سمع بأن المجتمع كله صار ضده، رجع عن غيّه، وكف أذاه عن جاره، وبهذا رجع الجار إلى بيته وقد أمن من إيذاء جاره.

إضاءات:

الجار الصالح: عن نافع بن الحارث عن النبي ﷺ قال: « **من سعادة المرء المسلم: المسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء** »[(١)].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق ».

قال الشاعر:

اطلبْ لنفسك جيرانًا تُجاورُهُمْ ... لا تَصلُحُ الدَّارُ حتى يَصْلُحَ الجارُ

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من حق الجار أن تبسط إليه معروفك، وتكف عنه أذاك »[(٢)].

❁ * ❁ * ❁

---

(١) أخرجه ابن حبان (٩/ ٣٤٠، رقم ٤٠٣٢) ، والحاكم (٢/ ١٧، رقم ٢٦٨٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٨٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٨٢ ، رقم ٩٥٥٦)، والخطيب (١٢/ ٩٩)، والضياء (٣/ ٢٤٠ ، رقم ١٠٤٨).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢ / ١٠٢).

آداب الدعاء

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فقد قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (1)

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ (2).

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (3).

وقال ﷺ في فائدة الدعاء: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر**» (4).

---

(1) سورة غافر: الآية ٦٠.

(2) سورة النمل: الآية ٦٢.

(3) سورة الأعراف: الآية ٥٥.

(4) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٤٨، رقم ٢١٣٩) وقال: حسن غريب. والطبراني (٦/ ٢٥١، رقم ٦١٢٨). والبزار (٦/ ٥٠٢، رقم ٢٥٤٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٠٩، رقم ٢٩٨٦٧)، والحاكم (١/ ٦٧٠ رقم ١٨١٤) وقال: صحيح الإسناد. وأحمد (٥/ ٢٨٠، رقم ٢٢٤٦٦).

الدعاء عبادة :

في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[1]، أبلغ دلالة على أن الدعاء لا يكون ولا يصرف إلا لله ﷻ.

وقد استدل النبي ﷺ بهذه الآية على أن الدعاء عبادة لله ﷻ، ففي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**»، ثم قرأ الآية[2].

وبهذا يتبين أن من لم يدعُ الله ، أودعا غيره فيما لا يقدر عليه إلا هو فهو مستكبر عن عبادته .

وقد قال ﷺ: « **من لم يدْعُ الله غضب اللهُ عليه** »[3].

فضل الدعاء :

تحقيق التوحيد:

من أعظم ما يجلبه الدعاء إلى الداعي أنه سبب في تحقيق التوحيد الذي به

---

(١) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧١ ، رقم ١٨٤١٥) ، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٤٩ ، رقم ٧١٤) ، وأبو داود (٢/ ٧٦ ، رقم ١٤٧٩) ، والترمذي (٥/ ٢١١ ، رقم ٢٩٦٩) وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٥٠ ، رقم ١١٤٦٤) ، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٨ ، رقم ٣٨٢٨) ، وابن حبان (٣/ ١٧٢ ، رقم ٨٩٠) ، والحاكم (١/ ٦٦٧ ، رقم ١٨٠٢) وقال : صحيح الإسناد .

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٣ ، رقم ٩٧١٧) ، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٨ ، رقم ٣٨٢٧) ، وابن أبي شيبة (٦/ ٢٢ ، رقم ٢٩١٦٩) ، وحسنه الألباني (الصحيحة ٢٦٥٤).

نجاة العبد وفلاحه، لأن الداعي الذي صرف دعاءه وسؤاله لله دون غيره وأخلص له فيه ، قد حقق جانبًا من جوانب التوحيد وهو أن الدعاء عبادةٌ لله وحده لا تصرف إلا له .

ذوق حلاوة مناجاة الله ، والتذلل بين يديه:

فإن في الانكسار بين يدي الرب ومناداته ودعائه لذة لا توصف . قال ابن القيم : «قال بعض العارفين : إنه لتكون لي حاجة إلى الله ، فأسأله إياها ، فيفتح علي من مناجاته ومعرفته ، والتذلل له ، والتملق بين يديه : ما أحب أن يؤخر عني قضاءها وتدوم لي تلك الحال» (١) .

أنه يرد القدر والقضاء:

لما ثبت في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر**» (٢)، والمعنى أن الدعاء كان سبباً في رد القضاء، فالمريض قد يدعو ربه فيشفى بسبب دعائه .

وعند النظر والتأمل نجد أن الأمر يعود لقضاء الله وقدره ، فهو سبحانه وتعالى الذي قدر أن فلاناً من الناس يمرض ، ثم ألهمه ووفقه وقدر أنه يدعوه لرفع البلاء والضر عنه ، ثم شفاه . فعاد الأمر لقضاء الله أولاً وآخراً ، وكانت صورته ظاهراً أن الدعاء رد القضاء (٣) .

---

(١) تهذيب مدارج السالكين . تهذيب عبد المنعم العزي . المكتبة العلمية . ص٣٨٢.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين . جمع أشرف بن عبد المقصود (١/ ٥٦) .

من أسباب إجابة الدعاء:

بر الوالدين من أسباب إجابة الدعاء :

بر الوالدين من الأسباب العظيمة التي بها يستجاب الدعاء ، وهو من أعظم الأعمال الصالحة التي يفعلها المسلم ، وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على بيان فضله وآثاره الحميدة . ولذا كان البار بوالديه أو أحدهما موفقاً للخير دائماً ، محبوباً عند الناس لما وضع الله في قلوب العباد من محبته وهو مع ذلك قريب جداً من تحقق إجابة دعائه .

روى عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره؛ فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**» [(١)].

وكذا حديث ابن عمر ﷺ في قصة الثلاثة نفر الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار ، فقال أحدهم: «**اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي ، وإنه ناء بي الشجر فيما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما ، فحلبت كما كنت أحلب ، فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك**

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٦٩ ، رقم ٢٥٤٢).

ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ، ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء ... الحديث» [(١)].

استحباب تقدم الأعمال الصالحة بين يدي الدعاء :

كالصلاة والزكاة والصدقة والصلة ونحوها من القرب التي تجلب محبة الله للعبد وتقربه منها ، فمحبة الله للعبد تعني رضاه عنه وتأييده ونصره واستجابة دعائه .

وغضب الله على العبد تعني رد دعائه وخذلانه والسخط عليه . فإذا صلى العبد ثم دعا ، أو صام ثم دعا ، أو وصل أرحامه ثم دعا ، كان ذلك أقرب لاستجابة دعائه وقبوله منه . والله أعلم.

الإكثار من نوافل العبادات بعد الفرائض من أسباب إجابة الدعاء :

كثرة نوافل العبادات بعد الفرائض كصلاة النافلة ، وصوم التطوع ، والصدقات المستحبة ، ونحوها من نوافل العبادات تؤدي إلى إجابة دعاء هذا المتقرب إلى ربه بالنوافل بعد الفرائض .

ومصداق ذلك في حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني**

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٢٨، رقم ٥٦٢٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٥، رقم ٢٩٦٤) .

لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته»(١).

استحباب استقبال القبلة عند الدعاء :

أشرف جهات الأرض ما كان ناحية بيت الله الحرام ، فإليها يتجه المصلون بصلواتهم ومنهم من يستقبلها إذا أراد دعاءً ، ولهم في ذلك سلف ، هو خير سلف ، رسول الله ﷺ فإنه كان يستقبل القبلة في بعض دعائه ، فمن ذلك دعاؤه ﷺ على كفار قريش . فقد روى ابن مسعود ﷺ قال : استقبل النبي ﷺ الكعبة فدعا على نفر من قريش ، على شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأبي جهل بن هشام ، فأشهد الله لقد رأيتهم صرعى قد غيرتهم الشمس وكان يوماً حاراً (٢).

ومن دعائه ﷺ ما كان يوم بدر . قال عمر بن الخطاب ﷺ لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه اللهم أنجز لي ما وعدتني ... الحديث (٣).

استحباب رفع الأيدي عند الدعاء :

يستفاد من حديث عمر بن الخطاب ﷺ استحباب رفع الأيدي في

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨٤ ، رقم ٦١٣٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٥٧، رقم ٣٧٤٣)، ومسلم (٣/ ١٤٢٠، رقم ١٧٩٤).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٨٣، رقم ١٧٦٣).

الدعاء لقول عمر بن الخطاب ﷺ: «ثم مد يديه».

استحباب إخفاء الدعاء :

قال الله ﷻ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[١]. أمر الله ﷻ عباده أن يجتهدوا في دعائه مع إسرارهم وإخفائه وعدم رفع الصوت به . وفي إخفاء الدعاء أدب وإخلاص بالغان، يقربان من إجابة دعاء الداعي.

قال ابن تيمية رحمه الله: «ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ، أي ما كانت إلا همسًا بينهم وبين ربهم ﷻ»[٢].

فائدة : في إخفاء الدعاء فوائد عديدة : ذكر شيخ الإسلام جملة منها نذكر ملخصها :

أحدها : أنه أعظم إيمانًا، لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي .

وثانيها : أنه أعظم في الأدب والتعظيم ، لأن الملوك لا ترفع الأصوات عندهم ، ومن رفع صوته لديهم مقتوه ، ولله المثل الأعلى ، فإذا كان يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به.

وثالثها : أنه أبلغ في التضرع والخشوع .

ورابعها : أنه أبلغ في الإخلاص .

وخامسها : أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء ، فإن رفع الصوت يفرقه .

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٥.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٥) .

وسادسها : وهو من النكت البديعة جداً – أنه دال على قرب صاحبه للقريب ، لا مسألة نداء البعيد للبعيد ، ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله ﷻ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾[١] .

وسابعها : أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال ، فإن اللسان لا يمل ، والجوارح لا تتعب ، بخلاف ما إذا رفع صوته ، فإنه قد يمل اللسان ، وتضعف قواه .

وثامنها : أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات .

وتاسعها : أن أعظم النعم الإقبال والتعبد ، ولكل نعمة حاسد على قدرها دقت أو جلت ، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة .

وعاشرها : أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه وتعالى ، متضمن للطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه ، فهو ذكر وزيادة [٢] .

حضور القلب من أسباب قبول الدعاء :

حضور قلب الداعي، من الأسباب التي تقرب من إجابة دعائه ، وعموم النصوص تدل على ذلك، كقوله ﷻ: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾[٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[٤] .

---

(١) سورة مريم: الآية ٣.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٥-١٨) بتصرف يسير .

(٣) سورة الأعراف: ٥٥ .

(٤) سورة الأعراف: ٥٦.

فإن الدعاء بتضرع وخفية وخوف وطمع يستلزم – ولا بد – حضور قلب الداعي ، وهو ظاهر .

وفي الحديث أنه ﷺ قال: «**ادْعُوا الله وأنتم مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أن الله لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً من قلب غَافِلٍ لاَهٍ**» (١).

استحباب تكرير الدعاء والإلحاح فيه :

الإلحاح في الدعاء عين العبودية (٢) لله ﷻ، وإذا كان الداعي مكرراً وملحاً في دعائه مظهراً ذله وفاقته وفقره لربه ، فإنه يقرب من إجابة الله له ، ومن أكثر طرق الباب يوشك أن يفتح له ، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض** ».

فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥١٧ ، رقم ٣٤٧٩) وقال : حديث غريب . والحاكم (١/ ٦٧٠ ، رقم ١٨١٧) ، وقال : مستقيم الإسناد . وتعقبه الذهبي في التلخيص بأن فيه صالحًا المري متروك . وأخرجه أيضًا : ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٧٥) ، والطبراني في الأوسط (٥/ ٢١١ ، رقم ٥١٠٩)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٩٤).

(٢) انظر تهذيب مدارج السالكين (٣٨١) .

تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾[١]، فأمده الله بالملائكة ... الحديث»[٢].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي ﵁ إلى رسول الله ﷺ فقال: إن دوسًا قد عصت وأبت فادع الله عليهم، فاستقبل رسولُ الله القبلة ورفع يديه فقال الناس هلكوا فقال: «**اللهم اهد دوسا، وأت بهم، اللهم اهد دوسا، وأت بهم**»[٣].

العزم في الدعاء[٤]:

ينبغي على الداعي أن يجزم بطلبه عند الدعاء ولا يعلقه على المشيئة، أو يتردد في دعائه غير موقن بالإجابة.

بل يجب أن يتيقن في إجابته فإن ذلك من أسباب حصول المطلوب، لأن الجزم واليقين يدلان على ثقة الداعي بربه، وأنه يدعو سميعاً بصيراً وهو على كل شيءٍ قدير، لا يعجزه شيء في السموات والأرض.

والمعول عليه في هذا الباب ما رواه أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعوتم الله فاعزموا في الدعاء، ولا يقولن أحدكم: إن شئت فأعطني، فإن**

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٩.

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٨٣، رقم ١٧٦٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٧٣، رقم ٢٧٧٩)، ومسلم (٤/ ١٩٥٧، رقم ٢٥٢٤).

(٤) كما أن العزم في المسألة سبب من أسباب إجابة الدعاء، وقد يكون تعليقه مانعاً من إجابته وصاداً عن حصول مطلوب الداعي.

الله لا مستكره له» [١]، وفي لفظ عند مسلم: «... **ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»** [٢].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا دعوتم الله فاعزموا في الدعاء أي اجزموا ولا ترددوا ، مِنْ عزمتَ على الشيء إذا صممت على فعله ، وقيل عزم المسألة الجزم بها من غير ضعف في الطلب ، وقيل هو حسن الظن بالله في الإجابة. والحكمة فيه أن في التعليق صورة الاستغناء عن المطلوب منه وعن المطلوب ، وقوله: «**لا مستكره له**» أي لأن التعليق يوهم إمكان إعطائه على غير المشيئة وليس بعد المشيئة إلا الإكراه والله لا مكره له» [٣].

استحباب تقديم الحمد والثناء على الله ، ثم الصلاة على رسوله قبل الدعاء:

افتتاح الدعاء بالثناء على الله وحمده وتمجيده ثم الصلاة على رسوله ﷺ وختمه بهما من الأسباب العظيمة التي تستوجب قبول دعاء الداعي.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء عليه ، ثم الصلاة على رسول الله ﷺ، وكذلك تختم الدعاء بهما» [٤].

---

(١) البخاري (٥/ ٢٣٣٤ ، رقم ٥٩٧٩) ، ومسلم (٤/ ٢٠٦٣ ، رقم ٢٦٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦٣، رقم ٢٦٧٩).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٤٥٩) .

(٤) الأذكار . ص١٧٦ .

وروى فضالة بن عبيد ﷺ قال : سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**عجلت أيها المصلي**»، ثم علمهم رسول الله ﷺ، وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يصلي فمجد الله وحمده وصلى على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**ادع تجب ، وسل تعط**» [(١)].

ولفظ الترمذي [(٢)]: قال بينما رسول الله ﷺ قاعد إذ دخل رجل فصلى، فقال : اللهم اغفر لي وارحمني ، فقال رسول الله ﷺ: «**عجلت أيها المصلي ، إذا صليت فقعدت ، فاحمد الله بما هو أهله ، وصل علي ، ثم ادعه**»، قال: ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**أيها المصلي : ادع تجب**».

ومثله حديث ابن مسعود ﷺ قال : كنت أصلي والنبي ﷺ وأبو بكر وعمر معه فلما جلست بدأت بالثناء على الله ثم الصلاة على النبي ﷺ ، ثم دعوت لنفسي ، فقال النبي ﷺ: «**سل تعطه ، سل تعطه**» [(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩٣ ، رقم ٢٣٣٨٤) . قال الهيثمي (١٠/ ٦٨) : إسناده حسن .

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٥١٦ ، رقم ٣٤٧٦) وقال : حسن . والنسائي (٣/ ٤٤ ، رقم ١٢٨٤) ، والطبراني (١٨/ ٣٠٧ ، رقم ٧٩٢) قال الهيثمي (١٠/ ١٥٦) : فيه رشدين بن سعد وحديثه في الرقاق مقبول وبقية رجاله ثقات .

(٣) أخرجه الترمذي (٢/ ٤٨٨، رقم ٥٩٣)، وقال : حديث حسن صحيح. ورواه أحمد (٣٦٥٤) مختصراً.

التوسل بالأعمال الصالحة عند الدعاء من أسباب إجابته :

مما يقرب من إجابة الدعاء أن يسأل الداعي ربه ويتوسل إليه بأعماله الصالحة ، ويقدمها بين يدي الدعاء . والحديث في هذا الباب قصة الثلاثة نفر الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار ولم يستطيعوا الخلاص ، فقال بعضهم لبعض : «**انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعل الله يفرجها**»(١) ، ثم قدم كل واحد منهم أرجى عمل صالح له ثم دعا ربه ، فاستجاب الله لهم وخلصهم مما هم فيه وأنجاهم من الهلاك .

استحباب الإتيان بجوامع الدعاء:

وأجمع الدعاء ما كان في القرآن والسنة ، فالقرآن كلام الله ، أشرف كلام وأعلاه ، والسنة وحي أوحى الله ﷻ به إلى نبيه ، فهو ﷺ قد أوتي جوامع الكلم؛ ولا نشك أن من دعا بما ورد في القرآن والسنة يكون أقرب إلى الإجابة ممن دعا بغير الكتاب والسنة.

استحباب ختم الدعاء بما يناسب طلب الداعي :

وذلك أبلغ في الدعاء وأجمع له . كقوله ﷻ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾(٢)، فلما كان سؤال الداعي أن يهب الله له من لدنه رحمة ، ناسب أن يختم الدعاء بوصف المولى بأنه هو الوهاب. ومثله قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٢١، رقم ٢٢٠٨) .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨.

﴿ٱلْمِيعَادَ﴾(١)، ولما كان سؤال المؤمنين لربهم أن يأتيهم ما وعدوا على لسان رسله وأن لا يخزيهم يوم القيامة ، ناسب أن يختم الدعاء بوصف الله أنه صادق في وعده وقوله حق فقالوا : ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

ومثله قوله تعالى – حكاية عن قول عيسى عليه السلام – لما سأله إنزال مائدة من السماء : ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(٢)، فناسب أن يختم الدعاء بأن الله هو خير الرازقين .

والداعي يستحب له أن يختم دعاءه بما يناسب طلبه ، فإن سأل الولد فيختم دعاءه – مثلاً – بأن الله هو الوهاب الرازق . وإن سأل غفران الذنوب فليختم دعاءه بأنه هو الغفور الرحيم ، وإن سأل المال فليختم دعاءه بأنه هو الرازق الجواد الكريم . وهكذا .

الدعاء بعد التشهد الأخير في الصلاة وقبل السلام من أسباب قبول الدعاء وإجابته :

ففي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ علمهم التشهد في الصلاة ثم قال في آخره : «**ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو**» (٣)، وفي لفظ: «**ثم يتخير من المسألة ما شاء**» (٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ١١٤.

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٨٨ ، رقم ٦٩٤٦) ، ومسلم (١/ ٣٠١ ، رقم ٤٠٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠١ ، رقم ٥٨٧٦) ، ومسلم (١/ ٣٠١ ، رقم ٤٠٢).

والصلاة من أفضل الأعمال التي يفعلها العبد ، وهي من أحب الأعمال إلى الله ، لأن العبد فيها يناجي ربه ويسأله ويدعوه ويسجد له ، وفيها من الهيئات والأذكار التي تستوجب ذلة العبد لربه ، وخضوعه له ، وانكساره .

ثم إذا دعا العبد بعد هذا كان أقرب لإجابة دعائه !، كيف وقد حث النبي ﷺ أمته على الدعاء في هذا الموطن ، مما يدلنا على أنه موطن فاضل ينبغي اغتنامه والحرص على الدعاء عنده .

استحباب الدعاء عند صياح الديك :

ثبت عنه ﷺ أنه قال : « **إذا سمعتم أصواتَ الدِّيَكَةِ فاسألوا الله من فضلِهِ فإنها رأتْ ملكًا وإذا سمعتم نهيقَ الحميرِ فتعوذوا باللهِ من الشيطانِ فإنها رأتْ شيطانًا** »[١] .

وقوله ﷺ : «**إذا سمعتم أصوات الديكة فسلوا الله من فضله**»، قال النووي: «قال القاضي: سببه رجاء تأمين الملائكة على الدعاء ، واستغفارهم ، وشهادتهم بالتضرع والإخلاص »[٢] .

تحريم الاعتداء في الدعاء :

قال تعالى : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[٣]، وسمع عبد الله بن مغفل ابنه يقول : اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٠٢ ، رقم ٣١٢٧) ، ومسلم (٤/ ٢٠٩٢ ، رقم ٢٧٢٩).

(٢) شرح مسلم . المجلد التاسع (١٧/ ٤١) .

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٥.

الجنة إذا دخلتها ، فقال : أي بني سل الله الجنة ، وتعوذ به من النار ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء**» (١).

والاعتداء في الدعاء مانع من قبول وإجابة مطلوب الداعي ، لأن الداعي سأل ما لا يجوز له سؤاله فكان معتديًا، والمعتدي غير محبوب من ربه بعيد من إجابة دعائه .

قال ابن تيمية رحمه الله: «وعلى هذا فالاعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من المعونة على المحرمات . وتارة يسأل ما لا يفعله الله ، مثل أن يسأل تخليده إلى يوم القيامة ، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية : من الحاجة إلى الطعام والشراب . ويسأله بأن يطلعه على غيبه ، أو أن يجعله من المعصومين ، أو يهب له ولداً من غير زوجة ، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء لا يحبه الله ، ولا يحب سائله . وفسر الاعتداء برفع الصوت أيضاً في الدعاء» (٢).

كراهية السجع في الدعاء :

لا ينبغي التكلف في الدعاء ، ولا السجع فيه ، وما كان من السجع (٣) في

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٥٣ ، رقم ٢٩٤١١) ، وأبو داود (١/ ٢٤ ، رقم ٩٦) ، وابن ماجه (٢/ ١٢٧١ ، رقم ٣٨٦٤) ، وأحمد (٤/ ٨٦ ، رقم ١٦٨٤٢) ، وابن حبان (١٥/ ١٦٦ ، رقم ٦٧٦٣) ، والحاكم (١/ ٢٦٧ ، رقم ٥٧٩) ، والبيهقي (١/ ١٩٦ ، رقم ٩٠٠) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٢) .

(٣) السجع : الكلام المقفى ... (أو) : تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير

في دعاء النبي ﷺ فهو محمول على السجع غير المتكلف ، قال ابن حجر رحمه الله: «ولا يرد على ذلك ما وقع في الأحاديث الصحيحة لأن ذلك كان يصدر من غير قصد إليه ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام كقوله ﷺ في الجهاد : «**اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، هازم الأحزاب**» [1]، وفي حديث ابن عباس لعكرمة قال : ... فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه ، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب [2].

عدم الدعاء بإثم أو قطيعة رحم ، أو تعجل الإجابة:

مما يمنع من إجابة دعاء الداعي أن يدعو بإثم ، أو قطيعة رحم ، أو يتعجل الإجابة، جاء ذلك مصرحاً به في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال يستجاب للعبد مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم . ما لم يستعجل**»، قيل : يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال : «**يقول : قد دعوت ، وقد دعوت ، فلم أر يستجب لي . فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء**» [3].

فائدة: عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن تعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**» ،

وزن. (لسان العرب (٨/ ١٥٠) مادة : سجع .

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٨٢ ، رقم ٢٨٠٤) ، ومسلم (٣/ ١٣٦٢ ، رقم ١٧٤٢).

(٢) فتح الباري (١١/ ١٤٣) .

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٩٦ ، رقم ٢٧٣٥).

قالوا : إذا نكثر ، قال : «**الله أكثر**» [(١)].

أكل المال الحرام مانع من إجابة الدعاء :

وهو من أكبر الموانع التي ترد الدعاء في وجه الداعي . عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [(٢)]، وقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [(٣)]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ؟**» [(٤)].

وقوله ﷺ: «**فأنى يستجاب لذلك**» أي : من أين يستجاب لمن هذه صفته ، وكيف يستجاب له؟! قاله النووي [(٥)].

فانظر إلى حال ذلك الرجل الذي طال سفره ، وشعث شعره ، واغبرت قدماه وجسمه ، ومد يده سائلاً مولاه ، فمن كانت تلك حاله فهو قريب من

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٦٦ ، رقم ٣٥٧٣) وقال : حسن صحيح غريب . وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٥/ ٣٢٩ ، رقم ٢٢٨٣٧) ، والضياء (٨/ ٢٦١ ، رقم ٣١٦) وقال : إسناده حسن .

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٢.

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٣ ، رقم ١٠١٥).

(٥) شرح مسلم للنووي . المجلد الرابع (٧/ ٨٥) .

الإجابة ، ولكن لما كان هذا الداعي آكلاً للحرام امتنع استجابة دعائه لشؤم المال الحرام وآفته وآثاره السيئة على العبد في الدنيا والآخرة .

مواطن وأحوال يستجاب عندها الدعاء :

الدعاء في ثلث الليل الآخر :

وفيه أحاديث صحيحة مشهورة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول : من يدعوني فأستجيب له ! من يسألني فأعطيه! من يستغفرني فأغفر له!**» (١) .

في السجود :

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**» (٢)، ولعل الحكمة في قرب العبد الساجد من ربه ، أن يقال : لما كانت هيئة السجود فيها من مظاهر العبودية والخضوع والذل والافتقار ما ليس في غيرها من الهيئات والأحوال.

وكان الساجد واضعاً جبهته على الأرض على مواطئ الأقدام – لا يبالي بذلك – وهو على تلك الحال من الذل والافتقار والعبودية ناسب أن يكون هذا الساجد الداعي قريبًا من ربه ، مجابًا دعوته . والله أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٨٤ ، رقم ١٠٩٤) ، ومسلم (١/ ٥٢١ ، رقم ٧٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٠ ، رقم ٤٨٢).

بين الأذان والإقامة :

ثبت عنه ﷺ من حديث أنس بن مالك ؓ أنه قال: «**الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة**» [(١)].

في الساعة المستجابة يوم الجمعة:

وفيه حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : «**فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي ، يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه، وأشار بيده يقللها**» [(٢)].

الصائم عند فطره:

فللصائم عند فطره دعوة لا ترد، ثبت ذلك من حديث أبي هريرة ؓ أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم**»، ذكر منهم: «**الصائم حتى يفطر..الحديث** » [(٣)].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٤٩٥ ، رقم ١٩٠٩) ، وابن أبي شيبة (٢/ ٢٣٢ ، رقم ٨٤٦٥) ، وأحمد (٣/ ١١٩ ، رقم ١٢٢٢١) ، وأبو داود (١/ ١٤٤ ، رقم ٥٢١) ، والترمذي (١/ ٤١٥ ، رقم ٢١٢) وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٢ ، رقم ٩٨٩٥) ، وابن خزيمة (١/ ٢٢٢ ، رقم ٤٢٦) ، والبيهقي (١/ ٤١٠ ، رقم ١٧٩٤) ، والضياء (٤/ ٣٩٣ ، رقم ١٥٦٣) .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣١٦ ، رقم ٨٩٣) .

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٥ ، رقم ٩٧٤١) ، والترمذي (٥/ ٥٧٨ ، رقم ٣٥٩٨) وقال : هذا حديث حسن . وابن حبان (٣/ ١٥٨ ، رقم ٨٧٤) ، وابن ماجه (١/ ٥٥٧ ، رقم ١٧٥٢) ، والبيهقي (٣/ ٣٤٥ ، رقم ٦١٨٦) . وأخرجه أيضًا : ابن خزيمة (٣/ ١٩٩ ، رقم ١٩٠١) ، وإسحاق بن راهويه (١/ ٣١٧ ، رقم ٣٠٠) .

دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه – حين بعثه إلى اليمن – : «**إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**» ... وفي آخره قال : «**واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**» [1].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده**» [2].

تنبيه : ليحرص المسافر على اغتنام الدعاء في سفره ، ولا يفرط فيه ، فرب دعوة أورثت صلاحاً في الدنيا وفلاحاً في الآخرة .

وليحذر الظالم المعتدي أن تصيبه دعوة مظلوم خرجت من قلب مكلوم، ليس بينها وبين الله حجاب، فما أسرع ما تجاب دعوته .

وليحذر الوالدان من الدعاء على أولادهم ، فإن دعاءهم مستجاب ، وقد تخرج كلمة يستجاب لها تورث في قلب الوالد حسرة .

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٦١،رقم ١٣٩٥)، ومسلم (١/ ٥٠، رقم ٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥١٧ ، رقم ١٠٧١٩) ، وأبو داود (٢/ ٨٩ ، رقم ١٥٣٦) ، والترمذي (٥/ ٥٠٢ ، رقم ٣٤٤٨) وقال : حسن . وابن حبان (٦/ ٤١٦ ، رقم ٢٦٩٩) ، والعقيلي (١/ ٧٢ ، ترجمة ٧٥ إبراهيم بن يزيد) وقال : في حديثه وهم وغلط . والطيالسي (ص ٣٢٩ ، رقم ٢٥١٧) ، وعبد بن حميد (ص ٤١٦ ، رقم ١٤٢١) ، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١٦٩ ، رقم ٤٨١) .

الدعاء عند الالتحام في القتال، وعند النداء:

ثبت ذلك من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثنتان لا تردان أو قلما تردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا**»[١].

دعوة ذي النون عند الكرب:

روى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له**»[٢].

مواطن يرجى عندها إجابة الدعاء:

ومنها المواطن التي يرجى فيها قبول الدعاء:

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٢١، رقم ٢٥٤٠)، وابن خزيمة (١/ ٢١٩، رقم ٤١٩)، والطبراني (٦/ ١٣٥، رقم ٥٧٥٦)، والحاكم (٢/ ١٢٤، رقم ٢٥٣٤) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي (٣/ ٣٦٠، رقم ٦٢٥١). وأخرجه أيضًا: الدارمي (١/ ٢٩٣، رقم ١٢٠٠)، وابن الجارود (ص ٢٦٧، رقم ١٠٦٥)، والروياني (٢/ ٢٠٩، رقم ١٠٤٦)، قال المناوي (٣/ ٣٤٠): قال في الأذكار: إسناده صحيح، لكن قال الصدر المناوي: فيه موسى بن يعقوب الزمعي روى له أصحاب السنن، قال النسائي: ليس بقوي. ووثقه ابن معين وقال الذهبي: صويلح فيه لين. وقال الحاكم: تفرد به موسى وله شواهد.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٧٠، رقم ١٤٦٢)، والترمذي (٥/ ٥٢٩، رقم ٣٥٠٥)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٦٨، رقم ١٠٤٩٢)، والحاكم (١/ ٦٨٤، رقم ١٨٦٢) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٣٢، رقم ٦٢٠)، والضياء (٣/ ٢٣٣، رقم ١٠٤١).

الدعاء عشية عرفة لأهل الموقف:

سن النبي ﷺ لأهل الموقف يوم عرفة أن تجمع صلاتي الظهر والعصر جمع تقديم ، لكي يتفرغ الحاج لمناجاة ربه ودعائه ، وهذا كان فعل النبي ﷺ فإنه لما قضى الصلاة دفع إلى الموقف أسفل الجبل ثم وقف على راحلته يدعو ربه حتى غربت الشمس [١] .

وهذا موقف يحبه الله ﷻ، ويباهي به الملائكة ، وهو يوم يكثر فيه العتق من النار . فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : إن رسول الله ﷺ قال : «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة ، فيقول : ما أراد هؤلاء**» [٢] .

الدعاء عند الصفا والمروة :

لما دنا النبي ﷺ من الصفا – في حجة الوداع – قرأ: ﴿**إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ**﴾ [٣]، «**أبدأ بما بدأ الله به**»، فبدأ بالصفا فرقى عليه . حتى رأى البيت فاستقبل القبلة . فوحد الله ، وكبره . وقال : «**لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده**»، ثم دعا بين ذلك . قال مثل هذا ثلاث مرات . ثم نزل إلى المروة ... حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا» [٤] .

---

(١) انظر صحيح مسلم (١٢١٨) .
(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٩٨٢ ، رقم ١٣٤٨) .
(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٨ .
(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٨٨٦ ، رقم ١٢١٨) .

الدعاء بعد رمي الجمرة الصغرى والوسطى للحاج :

روى سالم بن عبد الله أن أباه عبد الله بن عمر ﵄، كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات ثم يكبر على إثر كل حصاة ، ثم يتقدم فيسهل فيقوم مستقبل القبلة قياما طويلا فيدعو ويرفع يديه ، ثم يرمي الجمرة الوسطى كذلك فيأخذ ذات الشمال فيسهل ويقوم مستقبل القبلة قياما طويلا فيدعو ويرفع يديه ، ثم يرمي الجمرة ذات العقبة من بطن الوادي ولا يقف عندها ويقول: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل.



آداب الزيارة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فالإنسان بطبعه يحب التآلف مع غيره، والإسلام دينُ تجمُّع وأُلفةٍ، والاختلاط بالناس والتعارف بينهم من تعاليمه الأساسية، وقد فضّل الرسولﷺ الذي يخالط الناس على من هجرهم، ونأى عنهم فقالﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظمُ أجرًا من المؤمن الذي لا يخالط الناسَ ولا يَصبرُ على أذاهم**»[(١)].

والزيارة وسيلةٌ من وسائلِ المخالطة، وهي تُفضي إلى التواصل، وبها تشيع المودَّة، وتتآلف القلوب، وتقوى الروابط، ويتذكر الناس، وينبّه الغافل، ويُعلَّم الجاهل، ويروح بها عن النفوس، وتخفف المصائب والأحزان، ومصالح أخرى لا تخفى، ومن المعلوم أن زيارة الأخ لأخيه مستحبة لتقوية رابطة الأخوة، وتتأكد إن كانت معها مجاملة في فرح أو عيادة في مرض أو عزاء في موت.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ١٠٩، رقم ٥٩٥٣)، والبيهقي (١٠/ ٨٩، رقم ١٩٩٦١). والطيالسي (ص ٢٥٦، رقم ١٨٧٦)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٦٢)، وابن قانع (٢/ ٨٣).

فضل التزاور:

الزيارة في الله بين المسلمين تدخل البهجة في القلوب، وهي سبب محبة الله للعبد، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «**أن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله تعالى على مدرجه[1] ملَكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة ترُبُّها[2] عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»[3].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ**»[4].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله ناداه منادٍ: بأن طبت، وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلًا**»[5].

---

(١) في اللسان: المدرجة: ممرُّ الأشياء على الطريق وغيره. (٢/ ٢٦٧) مادة (درج).

(٢) أي: تقوم بإصلاحها وتنهض إليها بسبب ذلك. (شرح مسلم المجلد الثامن ١٦/ ١٠٦) (ح٢٥٦٧).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٨، رقم ٢٥٦٧).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣، رقم ٢٢٠٨٣)، والطبراني (٢٠/ ٨٠، رقم ١٥٠)، والحاكم (٤/ ١٨٦، رقم ٧٣١٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٨٣، رقم ٨٩٩٢). ومالك (٢/ ٩٥٣، رقم ١٧١١)، وعبد بن حميد (ص ٧٢، رقم ١٢٥)، وابن حبان (٢/ ٣٣٥، رقم ٥٧٥)، والقضاعي (٢/ ٣٢٢، رقم ١٤٤٩).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٢٦، رقم ٣٤٥)، وابن أبي الدنيا في الإخوان (١/ ١٤٩، رقم ٩٧)، وابن حبان (٧/ ٢٢٨، رقم ٢٩٦١)، والبيهقي في شعب الإيمان

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع**». قيل: يا رسول الله! وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناه**»(١).

أنواع الزيارة:

الزيارات منها الواجب والمستحب، وهي حقوق يُجْمع الخلق على الإقرار بها، ولا يخفى أن ضغط الواقع، والانفتاح اللامع، أصاب كثيرًا منا بالذهول، فالتبست عليه الأوليات، وقدمت المباحات على الواجبات والمستحبات، كما أن الضخّ الإعلاميّ الهادر ضخّم أمورًا لا قيمة لها في الحياة، فأُهملت على ذلك بعض الحقوق الواجبة والمستحبة، ولعل من نافلة القول، أن زيارة الوالدين من برهما، زيارة دائمة تشمل أداء حقوقهما، بتفقد أحوالهما ومساعدتهما والتلطف معهما، ومهما بلغت المشاغل فلا عذر للأبناء في تجاهل الوالدين، أو تحول برّهما إلى مجرد مغريات عابرة، وقد جعل الله حقهما عظيمًا وتكليمهما واجبًا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا**﴾(٢).

والزيارة للأرحام بنية صلة الرحم، ودوام الترابط، وتفقد أحوالهم،

(٦/ ٤٩٣، رقم ٩٠٢٧). وأحمد (٢/ ٣٤٤، رقم ٨٥١٧) والترمذي (٤/ ٣٦٥، رقم ٢٠٠٨) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (١/ ٤٦٤، رقم ١٤٤٣).

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٩، رقم ٢٥٦٨).

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

ومساندتهم ماديًّا ومعنويًّا، وقد جعل الله صلة الرحم من صلته، فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك، قالت: بلى، يا رب، قال: فهو لكِ، قال رسول الله فاقرؤوا إن شئتم:** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1]»[2].

ومن أنواع الزيارات زيارة الجيران لتفقد أحوالهم ومساعدتهم ومشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم، ولعظم حق الجار ومكانته قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[3].

وزيارة المرضى من حق المسلم على أخيه المسلم، ولها آثار طيبة على المريض، فهي تُطَمْئن قلبه، وتشرح صدره، وتنسيه مرضه، وتخفف آلامه، خاصة إذا قارنها ذكرٌ ودعاءٌ، إن التكاسل عن زيارة المريض تفريطٌ في حقٍّ من حقوق الله.

فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو زرته**

---

(١) سورة محمد: الآية ٢٢.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٢، رقم ٥٦٤١)، ومسلم (٤/ ١٩٨٠، رقم ٢٥٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٩، رقم ٥٦٦٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٥، رقم ٢٦٢٥).

لوجدتني عنده»[(١)].

وإذا دخلت على المريض هوّن عليه مرضه، فقد كان النبيﷺ إذا دخل على من يعوده قال: «**لا بأس طهورٌ إن شاء الله**»[(٢)].

علِّق رجاء المريض في الله وحده، ذكِّره بأن الله هو الشافي، ذكِّره بأنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ذكِّره بفضائل الصبر والرضا بقضاء الله ﷻ وقدره.

ومن الزيارة زيارة أهل الميّت لتعزيتهم، لما روى ابن ماجه عن عمرو بن حرام مرفوعًا: «**ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة**»[(٣)].

ومن الزيارة زيارة الأيتام، والعطف عليهم، وتأمل قول النبيﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**»، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئًا[(٤)]، قال النووي رحمه الله: «كافل اليتيم القائم بأموره»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٠، رقم ٢٥٦٩).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٥٨، رقم ٩٨٣٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥١١، رقم ١٦٠١) قال البوصيري (٢/ ٥٠): هذا إسناد فيه مقال. وأخرجه أيضًا: الديلمي (٤/ ٢٧، رقم ٦٠٨١)، والرافعي (٢/ ٢٥٠) قال المناوي (٥/ ٤٩٥): قال النووي في الأذكار: إسناده حسن.

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٧، رقم ٥٦٥٩).

(٥) رياض الصالحين (١ / ٦٦)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١١٣).

ومن الزيارات المثمرة زيارة العلماء وأهل الصلاح والتقى، يقتبس فيها من عبادتهم وزهدهم ووقارهم وخشيتهم، قال ابن المبارك: «كنت إذا نظرت إلى الفضيل جدد لي الحزن، ومقت نفسي»[١]، ثم بكى.

ومع زيارة العلماء المعاصرين لك أن تتجول مع العلماء المتقدمين - رحمهم الله - بزيارتهم في بطون الكتب التي حكت سيرتهم.

من المباحات عند الزيارة:

الإكثار من الزيارة إن لم يثقل على المزور أو يوجد مانع شرعي: لما ثبت من أن النبي ﷺ زار عددًا من أصحابه، وكان يزور أبا بكر رضي الله عنه باستمرار.

عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «لم أعقل أبويَّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسول الله طرفي النهار بكرة وعشيًّا، فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل: هذا رسول الله في ساعة لم يكن يأتينا فيها»[٢].

الأكل عند المزور: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ زار أهل بيت من الأنصار فطعم عندهم طعامًا... إلى آخر الحديث »[٣].

آداب زيارة الإخوان وأحكامها:

إن الشريعة لما اعتنت بالزيارة وبينت فضلها وأجرها اعتنت ببيان آدابها

---

(١) التعديل والتجريح (٣/ ١٠٥١).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥٦٤)، وأحمد (٦/ ١٩٣)، وغيرهما.

(٣) أخرجه البُخَارِي (٨/ ٢٦، رقم٦٠٨٠).

وأحكامها، وهذا من التفاصيل الحسنة؛ لأن إيضاح المسألة والتفاصيل وبيان الآداب والأحكام، يدل على عظم منزلة هذا الواجب، وهذه الفريضة الإسلامية؛ وهي الزيارة في الله ﷻ، والهدف من اتباع هذه الآداب أنها تجعل المخالطة تقوم على أساسٍ سليم، وتتحقق بها هدف الزيارة، من بث روح المودة والمحبة، وحسن الأجر والفائدة، ومن أبرز آداب الزيارة:

الزيارة في غير الأوقات الثلاثة التي في آية الاستئذان[١]:

أرشد الله ﷻ المؤمنين أن يمنعوا خدمهم، والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، من الدخول عليهم في أوقات العورات الثلاثة، وهي: من قبل صلاة الفجر، ووقت القيلولة، ومن بعد صلاة العشاء. والعلة في ذلك أن هذه الأوقات مظنة النوم، والإخلاد إلى الراحة، والإفضاء إلى الأهل، فلذلك حصل المنع من الدخول في هذه الأوقات إلا بإذن. والزيارة في أحد هذه الأوقات الثلاثة لا شك أنها تعكر على أهل البيت صفوهم، وتقلق راحتهم، وتسبب لهم الحرج لأن الناس في الغالب لا يكونون مستعدين لاستقبال أحد في هذه الأوقات. ويخرج من ذلك ما لو كان الإنسان مدعوًّا لوليمة طعام الغداء أو العشاء فهذا ليس من هذا. ولعلنا نستأنس في هذا بحديث وأثر.

فأما الحديث فهو ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة أم المؤمنين ﵂ قالت: «لقلَّ يومٌ كان يأتي على النبي ﷺ إلا يأتي فيه بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، فلما أُذن له في الخروج إلى المدينة لم يرعنا إلا وقد أتانا ظهرًا،

---

(١) ولمزيد من التفصيل انظر آداب الاستئذان من هذا الكتاب.

فخُبِّر به أبو بكر فقال: ما جاءنا النبي ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث... الحديث»[١].

فقدوم النبي ﷺ في وقتٍ ليس بوقت زيارة، وهو وقت القيلولة، وتعجب أبو بكر رضي الله عنه من قدوم النبي ﷺ في هذه الساعة دلالة على أن هذا الوقت ليس بوقت زيارة عندهم.

وأما الأثر ما رواه ابن عباس عن نفسه وفيه: «قال: فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائلٌ فأتوسد ردائي على بابه، فتسفي الريح على وجهي التراب...»[٢]. فابن عباس رضي الله عنهما مع حرصه على طلب العلم، واغتنام الأوقات، إلا أنه آثر أن ينتظر حتى يخرج إليه من يريد، لأن مجيئه كان في وقت القيلولة وهو وقت راحة القوم.

لا يؤم الزائر صاحب البيت:

ولا يجلس على فراشه إلا بإذنه، وذلك لأن الرجل في بيته أحق من غيره، فكانت إمامة الصلاة، والجلوس على فراشه المعد له، لا يكون إلا بإذنه. جاء ذلك في حديث أبي مسعود الأنصاري يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: «**يؤُم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في**

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٧٥٢، رقم ٢٠٣١).

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ١٥١، رقم٥٧٠)، و قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٦١٩ ، ٦٢٩٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

السنة سواء، فأقدمهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سلمًا[وفي رواية:سنًّا]، ولا يؤمن الرجلُ الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته[١] **إلا بإذنه [وفي رواية : إلا أن يأذن لك أو بإذنه]»**[٢].

قال النووي: معناه... أن صاحب البيت والمجلس وإمام المسجد أحق من غيره، وإن كان ذلك الغير أفقه وأقرأ وأورع وأفضل منه، وصاحب المكان أحق فإن شاء تقدم وإن شاء قدم من يريده، وإن كان الذي يقدمه مفضولًا بالنسبة إلى باقي الحاضرين لأنه سلطانه فيتصرف فيه كيف شاء[٣].

الإقلال من الزيارة:

يشير حديث عائشة أم المؤمنين ﵂ السابق وهو قولها: «لقلَّ يومٌ كان يأتي على النبي ﷺ إلا يأتي فيه بيت أبي بكر أحد طرفي النهار» وفي رواية: «..ولم يمر عليهما يومٌ إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية»[٤]. إلى أنه ﷺ كان يُكثر من زيارته لأبي بكر ﵁.

وأما الحديث المشهور: «**زر غبًّا تزدد حبًّا**». فقد قال عنه ابن حجر ﵀: وكأن البخاري رمز بالترجمة إلى توهين الحديث المشهور: «**زر غبًّا تزدد حبًّا**»،

---

(١) التكرمة: الفراش ونحوه مما يبسط لصاحب المنزل ويخص به. (النووي/ شرح مسلم/ المجلد الثالث ٥/ ١٤٣ / ح٦٧٣)

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٤٦٥، رقم ٦٧٣).

(٣) شرح مسلم للنووي (المجلد الثالث / ٥/ ١٤٢) (ح٦٧٣)

(٤) سبق تخريجه.

وقد ورد من طرق أكثرها غرائب لا يخلو واحد منها من مقال[١]، وعلى فرض صحته فإنه لا منافاة بينه وبين حديث عائشة ﵂.

قال ابن حجر[٢]: لأن عمومه يقبل التخصيص، فيحمل على من ليست له خصوصية ومودة ثابتة، فلا ينقص كثرة زيارته من منزلته، قال ابن بطال[٣]: الصديق الملاطف لا يزيده كثرة الزيارات إلا محبة، بخلاف غيره.

تطهير الزيارة من دواعي الشر والفتنة:

كالاختلاط مثلًا، فقد تفشت ظاهرة الاختلاط في بعض الزيارات العائلية في بعض البلدان، حتى أصبحت عُرفًا وعادة بين الأزواج وأقربائهم، وهذه لا شك تؤدي إلى الفتنة والفساد، وتفتح أبوابًا واسعة للشيطان كما لا يخفى.

الاطمئنان على تقبل المزور لهذه الزيارة:

وذلك بتحديد موعد لها، حتى يستعد لها المزور، بتنظيم مواعيد عمله، وإعداد ما يلزم للمقابلة، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ

---

(١) رواه الطبراني عن عبد الله بن عمرو، ورواه البزار عن أبي هريرة، ثم قال: لا يعلم فيه حديث صحيح. يقول الحافظ المنذري: وهذا الحديث قد روي عن جماعة من الصحابة، وقد اعتنى غير واحد من الحفاظ بجمع طرقه والكلام عليها، ولم أقف له على طريق صحيح كما قال البزار، بل له أسانيد حسان عند الطبراني وغيره.

(٢) فتح الباري (١٠/ ٤٩٩).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩ / ٢٧٤).

حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

قال بعض العلماء: المراد بالاستئناس هو الاستئذان في الزيارة قبل الذهاب بوقت كافٍ لعمل اللازم لها، وقال بعض آخر: المراد به الاستئذان وهو واقف أمام البيت.

الاستئذان في دخول البيت عند المفاجأة بالزيارة:

أو عدم الاستعداد للاستقبال، ويكون الاستئذان بوسائل تختلف باختلاف البيئات والعصور، كدق الباب بالإصبع أو دق الجرس الكهربائي أو التنحنح أو الكلام أو إلقاء السلام أو غير ذلك. وكانت وسيلة الاستئذان أيام الرسول ﷺ هي قول: «**السلام عليكم، أأدخل؟**»[2].

تحين الوقت المناسب للزيارة:

فلا تكون مبكرة في الصباح مثلا، أو في وقت الراحة ظهرًا، أو بعد ساعات طويلة من الليل، والناس يختلفون في تعيين الأوقات التي لا تستحب فيها الزيارة، وذلك باختلاف البيئات والظروف، وقد ورد زيارة جماعة لابن مسعود بعد صلاة الفجر وهو مستغرق في التلاوة حتى بعد طلوع الشمس.

---

(١) سورة النور: الآية ٢٧.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٨، رقم ٢٣١٧٦) قال الهيثمي (١/ ٤٣): رجاله كلهم ثقات أئمة. والبخاري في الأدب (١/ ٣٧٢، رقم ١٠٨٤)، وأبو داود (٤/ ٣٤٥، رقم ٥١٧٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٨٧، رقم ١٠١٤٨).

تقليل زمن الزيارة ومراعاة ظروف المزور حتى لا يمل من الزائرين:

وبخاصة إذا كان مريضًا أو مشغولًا بأمور مهمة وجاءت الزيارة مفاجئة لم يسبقها استعداد، والقرآن الكريم ينهى عن ذلك بما حدث من المدعوين لوليمة بمناسبة زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش ﵂ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾[1].

إذا لم يكن المزور موجودا في بيته ينبغي ألا يدخل الزائرون حتى لو كانوا أقارب للزوجة:

فقد كره أبو بكر ﵁ ذلك عندما حضر فوجد جماعة من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عُميس ولم ير إلا خيرًا، وشكا ذلك للنبي ﷺ فأكد له براءتها، ثم خطب على المنبر، وقال: «**لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مُغيْبَة إلا ومعه رجل أو اثنان**»[2]، والمغيبة هي التي غاب زوجها عن المنزل.

ومن السنة أن يجلس الزائر في المكان الذي يختاره له صاحب البيت:

ولا يتمسك بمكان معين قد يطلع منه على بعض ما لا يحب صاحب البيت أن يطلع عليه أحد!

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٣.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٧١١، رقم ٢١٧٣).

إضاءة:

قال أبو حاتم رحمه الله: الواجب على العاقل تعاهد الزيارة للإخوان وتفقد أحوالهم لأن الزائر في قصده الزيارة يشتمل على مصادفة معنيين أحدهما استكمال الذخر في الآجل بفعله ذلك وقد قال بعض القدماء إن الرجل إذا زار أخا له في الله لم يبق في السماء ملك إلا حياه بتحية مستأنفة[١].



(١) روضة العقلاء (١ / ١١٤).

آداب السلام

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾[١].

ومن فضله سبحانه وتعالى أن جعل تحية الإسلام هي السلام والرحمة.

تعريف السلام:

السلام اسم من أسماء الله عز وجل؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾[٢]، ومعنى السلام: السالم من النقائص .

قال ابن دقيق العيد: السلام معناه: السلامة أو التحية [٣].

مشروعية السلام:

هو التحية التي جعلها الله للبشر:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ثم قال اذهب فسلم على أولئك الملائكة فاستمع ما يحيونك، تحيتك وتحية ذريتك. فقال:**

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٦.

(٢) سورة الحشر: الآية ٢٣.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٤ / ٩٤).

السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوا: ورحمة الله ... الحديث»(١).

أنها من أسباب التحاب بين المؤمنين:

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**» (٢). والمَحبَّة الحاصلةُ هنا سببُها أنَّ كلَّ واحد من المتلاقيَين يدعو للآخَر بالسلامة من الشرور، وبالرحمة الجالبة لكلِّ خير، ولهذا ثبت في المسند وغيره عن النَّبِيِّ ﷺأنَّه قال: «**أفشوا السلام تسلموا**»(٣).

أي: تسلموا من كلِّ موجِب للفُرقة والقطيعة، وكيف إذا انضمَّ إلى هذا

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٥ ، رقم ٨١٥٦) ، والبخاري (٥/ ٢٢٩٩ ، رقم ٥٨٧٣) ، ومسلم (٤/ ٢١٨٣ ، رقم ٢٨٤١) . وأخرجه أيضًا : البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٣٩ ، رقم ٩٧٨) ، وابن حبان (١٤/ ٣٣ ، رقم ٦١٦٢) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٩١ ، رقم ٩٠٧٣) ، ومسلم (١/ ٧٤ ، رقم ٥٤) ، وأبو داود (٤/ ٣٥٠ ، رقم ٥١٩٣) والترمذي (٥/ ٥٢ ، رقم ٢٦٨٨) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (١/ ٢٦ ، رقم ٦٨) ، وابن حبان (١/ ٤٧١ ، رقم ٢٣٦) .

(٣) أخرجه مسدد كما في المطالب العالية (١١/ ٧٩٧، رقم ٢٦٩٨)، وإتحاف الخيرة المهرة (٧/ ٣٨٣، رقم ٧٠٩٢) ، وإسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية (١١/ ٧٩٧ ، رقم ٢٦٩٨) ، والبخاري في الأدب المفرد من طريق مسدد (١/ ٣٤٠ ، رقم ٩٧٩) ، وابن حبان (٢/ ٢٤٤ ، رقم ٤٩١) ، وأبو يعلى (٣/ ٢٤٦ ، رقم ١٦٨٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٢٦ ، رقم ٨٧٥٧) . وأخرجه أيضاً: أحمد (٤/ ٢٨٦ ، رقم ١٨٥٥٣)، والقضاعي (١/ ٤١٧ ، رقم ٧١٨). قال الهيثمي (٨/ ٢٩) : رواه أحمد ، وأبو يعلى ، ورجاله ثقات.

بشاشةُ الوجه وحُسنُ الترحيب وجمالُ الأخلاق.

السلام من حقوق الأخوة الإيمانية:

وقال رسول الله ﷺ: «**حق المسلم على المسلم ست. قيل وما هن يا رسول الله؟ قال : إذا لقيته فسلم عليه ... الحديث**» (١).

أنَّه من خير أعمال الإسلام:

ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**» (٢).

من أحكام السلام:

من السنة إلقاء السلام، أما رده فهو واجب:

وأدلة السنية كثيرة جداً، وقد سبق قوله ﷺ:« **حق المسلم على المسلم ست :... إذا لقيته فسلم عليه ..**»الحديث، وكذلك فعل النبي ﷺ، وفعل صحابته رضي الله عنهم. وشهرة ذلك تغنينا عن إيراد النصوص.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٢ ، رقم ٨٨٣٢) ، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣١٩ ، رقم ٩٢٥) ، ومسلم (٤/ ١٧٠٥ ، رقم ٢١٦٢) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (١/ ٤٧٧ ، رقم ٢٤٢) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩ ، رقم ٦٥٨١) ، والبخاري (١/ ١٣ ، رقم ١٢) ، ومسلم (١/ ٦٥ ، رقم ٣٩) ، وأبو داود (٤/ ٣٥٠ ، رقم ٥١٩٤) ، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥٣١ ، رقم ١١٧٣١) ، وابن ماجه (٢/ ١٠٨٣ ، رقم ٣٢٥٣) .

وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[(١)].

-وقال ﷻ: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[(٢)].

وأما رد السلام فهو واجب، يتعين على المُسلَّم عليه الرد وإن لم يرد أثم، وأدلة فرضيتها كثيرة منها: قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾[(٣)].

وقد ذكر ابن حزم وابن عبد البر والشيخ تقي الدين الإجماع على وجوب الرد[(٤)].

وإن سلم رجل على جماعة، فإن ردوا كلهم فهو أفضل، وإن رد واحدٌ منهم، سقط الحرج عن الباقين، ولا إثم[(٥)]. عن علي بن أبي طالب قال: «يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم»[(٦)].

---

(١) سورة النور: الآية ٢٧.

(٢) سورة النور: الآية ٦١.

(٣) سورة النساء: الآية ٨٦.

(٤) انظر الآداب الشرعية (١/ ٣٥٦) ط. مؤسسة الرسالة.

(٥) انظر النووي شرح صحيح مسلم حديث رقم(٢١٦٠)ط. دار الفكر ، فتح الباري حديث رقم(٦٢٣١) ط. دار الريان . والآداب الشرعية

(٦) رواه أبو داود (٥٢١٠) . وقال الألباني : صحيح . ورواه ابن عبد البر بسنده إلى النبي ﷺ؛ ووصفه بأنه حسن لا معارض له. وفيه سعيد بن خالد الخزاعي؛ مدني . قال عنه ابن عبد البر: ليس به بأس عند بعضهم، وقد ضعفه جماعة .اهـ(التمهيد٥/ ٢٩٠)ط. دار

صفة السلام:

أفضلها: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يليها: السلام عليكم ورحمة الله.

يليها: السلام عليكم.

ودليل ذلك: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً مر على رسول الله ﷺ وهو في مجلس فقال: السلام عليكم، فقال:«**عشر حسنات**». فمر رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال: «**عشرون حسنة**». فمر رجل آخر فقال:السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال: «**ثلاثون حسنة**» [(١)].

أما صفة الرد فإنه يكون بمثل السلام أو بأحسن منه، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾[(٢)]. ويكون الرد بضمير الجمع، وإن كان المسلِّم واحداً؛ فيقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ولا يزاد بعد البركة شيء، عند الرد على السلام، ولو كان المبتدئ انتهى إلى البركة، وإن استحسن هذا بعض العلماء بناءً على ظاهر الآية؛ ولكن اتباع

طيبة .وفي إرواء الغليل وصفه الشيخ الألباني بالحسن،وذكر قول النيسابوري:(هذا حديث حسن)، ثم ساق عدة طرق يتقوى بها هذا الحديث، وقال في آخر مبحثه: ولعل الحديث بهذه الطرق يتقوى فيصير حسناً، بل هذا هو الظاهر والله أعلم.(الإرواء حديث رقم٧٧٨) . تنبيه: أطلت في هذا الموضع، لأنه يترتب على صحة هذا الحديث سقوط الإثم عن الجماعة إذا رد أحدهم، وهو أمر يلزم معرفته، والله الموفق.

(١) أخرجه عبد بن حميد (ص ١٧٢ ، رقم ٤٧٠) ، والطبراني (٦/ ٧٥ ، رقم ٥٥٦٣) قال الهيثمي (٨/ ٣١) : فيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٦.

السنة أولى. قال ابن عبد البر: وقال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم: انتهى السلام إلى البركة، كما ذكر الله سبحانه وتعالى عن صالح عباده: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾[(١)]. وكانا يكرهان أن يزيد أحد في السلام على قوله: وبركاته[(٢)].

كراهة الابتداء بـ (عليك السلام):

جاء في ذلك أحاديث صحيحة منها ما رواه جابر بن سليم الهجيمي رضي الله عنه أنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: عليك السلام. فقال: «**لا تقل عليك السلام، ولكن قل : السلام عليك**». وعند أبي داود رحمه الله بلفظ: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: عليك السلام يا رسول الله. قال: «**لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى**»[(٣)]. فدلت الأحاديث على كراهة الابتداء بـ (عليك السلام).

من الأحوال التي لا يشرع فيها السلام[(٤)] :

١- إذا كان المسلم عليه مشتغلاً بالبول .
٢- المصلي ، والمؤذن في حال أذانه أو إقامته الصلاة .
٣- السلام في حال خطبة الجمعة .

---

(١) سورة هود: الآية ٧٣.

(٢) الاستذكار (٨ / ٤٧٠)، والتمهيد (٥/ ٢٩٣)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٨٧)، وفتح الباري (١١ / ٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٥٣ ، رقم ٥٢٠٩) ، والترمذي (٥/ ٧٢ ، رقم ٢٧٢٢) وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (٦/ ٨٧ ، رقم ١٠١٤٨) ، والطبراني (٧/ ٦٦ ، رقم ٦٣٨٩) ، والحاكم (٤/ ٢٠٦ رقم ٧٣٨٢) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (١٠/ ٢٣٦ ، رقم ٢٠٨٨٢) .

(٤) آداب البيت المسلم – الأهدل ، ٢٥٨-٢٥٩.

٤- إذا كانت اللقمة في فمه .

٥- المشتغل بقراءة القرآن أو الدعاء .

٦- من كان في حال التلبية .

فوائد إفشاء السلام [١] :

١- السلام من أسماء الله تعالى والجنة دار السلام .

٢- السلام أمان الله في الأرض وهو تحية المؤمنين في الجنة وتحية أهل الإسلام في الدنيا .

٣- وهو طريق المحبة والتعارف بين المسلمين .

٤- في إشاعة السلام بين المسلمين تنشأ المودة والمحبة ويشعر كل مسلم بالاطمئنان تجاه الآخرين .

٥- البخل بالسلام أشد من البخل بالمال .

٦- بالمداومة عليه تمييز للمسلمين وكيد لأعداء الدين .

٧- من حافظ عليه حاز فضل الاتباع وجزاء الطاعة .

٨- كلما زادت كلمات السلام زادت حسناته .

آداب السلام:

استحباب تكرار السلام ثلاثاً، إذا كان الجمع كثيراً، أو شُك في سماع المسلَّم عليه:

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، وإذا أتى قومًا فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً [٢].

---

(١) نضرة النعيم (٢/ ٤٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٨ رقم: ٩٥).

قال النووي رحمه الله (بعد هذا الحديث): وهذا محمولٌ على ما إذا كان الجمع كثيراً[(١)]. وأضاف ابن حجر: وكذا لو سلم وظن أنه لم يسمع فتسن الإعادة فيعيد مرة ثانية وثالثة ولا يزيد على الثالثة [(٢)].

من السنة الجهر بالسلام وكذلك الرد:

ولقد كان هدي النبي ﷺ في السلام أن يرفع صوته بالسلام، وكذلك في الرد، فلا يحصل بالإسرار الأجر. فأخرج البخاري في أدبه أثراً عن ابن عمر: عن ثابت بن عبيد قال: أتيت مجلساً فيه عبد الله بن عمر فقال: إذا سلَّمت فأسمع فإنها تحية مباركة طيبة [(٣)].

وذكر ابن القيم: أن من هديه ﷺ أنه كان يُسمع المسلم رده عليه [(٤)].

وقال ابن حجر: واستدل بالأمر بإفشاء السلام على أنه لا يكفي السلام سراً بل يشترط الجهر، وأقله أن يسمع في الابتداء والجواب ولا تكفي الإشارة باليد ونحوه [(٥)].

---

(١) أي ولم يسمع بعضهم وقصد الاستيعاب(قاله ابن حجر -فتح الباري١١/ ٢٩) وكلام النووي في رياض الصالحين (باب كيفية السلام ص٢٩١) ط. دار عالم الكتب. الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٩هـ.

(٢) فتح الباري حديث رقم (٦٢٤٤) (١١/ ٢٩) . وانظر كذلك زاد المعاد (٢/ ٤١٨) ط. مؤسسة الرسالة .

(٣) الأدب المفرد (١٠٠٥) وقال الألباني: صحيح الإسناد ، وكذا قال الحافظ (١١/ ١٨) . صحيح الأدب المفرد ص٣٨٥.

(٤) زاد المعاد (٢/ ٤١٩).

(٥) فتح الباري (١١/ ٢١).

وقال النووي: وأقل السلام الذي يصير به مسلِّماً مؤدياً سنة السلام أن يرفع صوته بحيث يُسمع المسلَّم عليه، فإن لم يسمعه لم يكن آتياً بالسلام، فلا يجب الرد عليه. وأقل ما يسقط به فرض ردّ السلام أن يرفع صوته بحيث يسمعه المسلِّم، فإن لم يسمعه لم يسقط عنه فرض الرد [١].

من السنة تعميم السلام:

أي: تسلم على من عرفت ومن لم تعرف. للحديث المروي في الصحيحين وغيرهما: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**» [٢].

فهذا الحديث فيه الحث على إفشاء السلام ونشره بين الناس، لما فيه من المصالح العظيمة، لعل من أعظمها: التأليف بين المسلمين، وسلامة قلوبهم لبعض.

وبضده السلام على الخاصة، أي: أن لا يسلم الرجل إلا على من يعرفه، وهذا فعل غير محمود؛ بل إن سلام الخاصة من علامات الساعة، فقد جاء في مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشراط الساعة إذا كانت التحية على المعرفة** ـ وفي رواية: **أن يسلِّم الرجل على الرجل، لا**

(١) الأذكار ص ٣٥٤،٣٥٥ . وقد أكثرت النقل، لكثرة من يتساهل في رد السلام، فليعتن المسلم بذلك حتى يسقط عنه الإثم .

(٢) سبق تخريجه.

يسلم عليه إلا للمعرفة» [١]. وفي رواية: «**إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة...الحديث**» [٢].

استحباب ابتداء القادم بالسلام:

وهذا أمر مشهور، ومنتشر بين الناس، وتشهد له النصوص الكثيرة، حيث إن استحباب السلام متوجه للقادم دون المقدوم عليه. وسبق قصة الثلاثة الذين جاءوا إلى النبي ﷺ، فقال الأول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وقال الآخر: السلام عليكم ورحمة الله، وقال الثالث: السلام عليكم. قال النووي: ...أما إذا ورد على قعود أو قاعد، فإن الوارد يبدأ بالسلام على كل حال، سواء كان صغيراً أو كبيراً، قليلاً أو كثيراً [٣].

من السنة أن يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير:

وفي ذلك أحاديث صحاح، منها:

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يسلم الراكب على

---

(١) أخرجه الطبراني (٩/ ٢٩٦، رقم ٩٤٨٩). وأخرجه أيضًا: ابن خزيمة (٢/ ٢٨٣، رقم ١٣٢٦)، والشاشي (١/ ٣٠٦، رقم ٢٦٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٣١، رقم ٨٧٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٧، رقم ٣٨٧٠) قال الهيثمي (٧/ ٣٢٩): رواه أحمد والبزار والطبراني ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح. والحاكم (٤/ ١١٠، رقم٧٠٤٣) وقال: صحيح الإسناد.

(٣) الأذكار ص٣٧٠.

الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير»[(١)].

وفي رواية للبخاري: «**يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير**»[(٢)].

وقد ذكر بعض أهل العلم الحكمة من ابتداء هؤلاء المذكورين بالسلام، فقالوا:

سلام الصغير على الكبير: لحق الكبير من التوقير والتكريم، وهو الأدب الذي ينبغي سلوكه.

وسلام الراكب على الماشي: حتى يحمل السلامُ الراكبَ على التواضع وعدم التكبر.

وسلام الماشي على القاعد: لشبهه بالداخل على أهل المنزل.

وسلام القليل على الكثير: لحق الكثير فحقهم أعظم[(٣)].

ولا يلحق المخالف في ذلك إثم، ولكنه تاركٌ للأولى. قال المازري: ولا يلزم من ترك المستحب الكراهة، بل يكون خلاف الأولى، فلو ترك المأمور بالابتداء فبدأه الآخر كان المأمور تاركاً للمستحب والآخر فاعلاً للسنة، إلا إن بادر فيكون تاركاً للمستحب أيضاً[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠١، رقم ٥٨٧٨)، ومسلم (٤/ ١٧٠٣، رقم ٢١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠١، رقم ٥٨٧٧).

(٣) فتح الباري (١١ / ١٧)، وعون المعبود (١٤/ ٧١).

(٤) فتح الباري (١١ / ١٧)، و البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢ / ١٧٦).

مسألة: إذا تقابل ماشيان أو راكبان، فمن يبدأ بالسلام؟

الجواب: يستحب أن يبدأ أصغرهما للحديث السابق. فإن كانا في السن سواء، واستويا من جميع الجهات فخيرهما الذي يبدأ بالسلام لقوله ﷺ: «**وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» [(١)]. في حديث المتهاجرين.

مسألة:

وإذا كان هناك ماشيان ثم حال بينهما حائل، كشجرة أو جدار ونحو ذلك فيشرع لهما السلام ولو تكرر ذلك مرات، وذلك لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: «**إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه**»[(٢)].

سلام الرجل على المرأة الأجنبية:

سلام الرجل على المرأة الأجنبية، منعه بعض أهل العلم، وأجازه البعض بقيد أمن الفتنة، وبعضهم فصل فقال: إن كانت شابة جميلة لم يجز، وإن كانت عجوزاً جاز، وبعضهم أطلق فمنعه في الشابة، وأجازه مع الكبيرة، وهذا هو منصوص أحمد رحمه الله، قال صالح: سألت أبي: يسلم على المرأة؟ فقال : أما

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٠٦ ، رقم ١٦١٤) ، والطيالسي (ص ٨١ ، رقم ٥٩٢) ، وعبد بن حميد (ص ١٠٣ ، رقم ٢٢٣) ، وأحمد (٥/ ٤١٦ ، رقم ٢٣٥٧٥) ، والبخاري (٥/ ٢٢٥٦ ، رقم ٥٧٢٧) ، ومسلم (٤/ ١٩٨٤ ، رقم ٢٥٦٠) ، وأبو داود (٤/ ٢٧٨ ، رقم ٤٩١١) ، والترمذي (٤/ ٣٢٧ ، رقم ١٩٣٢) وقال : حسن صحيح . وابن حبان (١٢/ ٤٨٤ ، رقم ٥٦٦٩) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٥١ ، رقم ٥٢٠٠) ، وأبو يعلى (١١/ ٢٣٣ ، رقم ٦٣٥٠).

الكبيرة، فلا بأس، وأما الشابة فلا تستنطق [١]. وصوب ابن القيم في هذه المسألة: أنه يسلم على العجوز وذوات المحارم دون غيرهن [٢]. وهو المختار، وعلة المنع ظاهرة، وهي سد الذريعة،وخشية الافتتان.

وما ورد عن الرسول ﷺ في ذلك، فهو معصوم مأمون من الفتنة. وما ورد عن الصحابة، يحمل على أمن الفتنة. ومثاله: ما رواه ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل قال:... كانت لنا عجوز ترسلُ إلى بُضاعة-نخل بالمدينة- فتأخذ أُصول السِّلق فتطرحه في قدرٍ وتكركر حبات من شعير، فإذا صلينا الجمعة انصرفنا ونسلم عليها، فتقدمه إلينا، فنفرح من أجله، وما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة [٣].

استحباب السلام على الصبيان:

وذلك لتعويدهم وتدريبهم منذ الصغر على آداب الشريعة، وفاعله متأسٍّ بالنبي ﷺ، أخبرنا بذلك أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه كان يمشي مع رسول الله ﷺ . فمر بصبيان فسلم عليهم[٤]. وفي السلام على الصبيان حمل النفس على التواضع، وسلوك لين الجانب.

وإذا سلم بالغٌ على صبي فإنه لا يلزم الصبي الرد، وذلك لأنه ليس من

---

(١) الآداب الشرعية (١ / ٣٥٢).

(٢) زاد المعاد (٢ / ٤١٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥ / ٢٣٠٦).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٠٨).

أهل الفروض. أما إذا سلم الصبي على البالغ، فإنه يتعين عليه الرد وهو قول الجمهور.

السلام على الأيقاظ في موضع فيه نيام:

إذا سلم المرء على أيقاظ في موضع فيه نيام فإنه يخفض صوته، فيسمع يقظاناً ولا يوقظ نائماً، جاء ذلك في حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه، وفيه قال:...فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه، ونرفع للنبي ﷺ نصيبه. قال: فيجيءُ من الليل فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً، ويسمع اليقظان... [(١)]. وفي هذا أدب نبويٌّ رفيع، حيث يُراعى فيه حال النائم فلا يكدر عليه نومه، وفي الوقت نفسه لا تفوت فضيلة السلام !

النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام:

لقد مُنعنا على لسان نبينا ﷺ أن نبدأ أهل الكتاب بالسلام، بقوله: «**لا تبدؤُوا اليهود والنصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه**» [(٢)]. ولا كلام لأحد بعد هذا النهي الصريح.

مسألة:

إذا دعت الحاجة للسلام على أهل الكتاب، فهل يجوز السلام عليهم؟

الجواب: الحديث السابق ظاهر في المنع، ولكن إن احتيج لذلك، فليكن بغير السلام، كقول: كيف أصبحت، أو كيف أمسيت ونحو ذلك. قال ابن

---

(١) أخرجه مسلم (٣ / ١٦٢٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٠٧ ، رقم ٢١٦٧).

مفلح: قال الشيخ تقي الدين: إن خاطبه بكلامٍ غير السلام مما يُؤنسه به، فلا بأس بذلك [(١)].

وقال النووي: قال أبو سعد-المتولي-: لو أراد تحية ذمي، فعلها بغير السلام، بأن يقول: هداك الله، أو أنعم الله صباحك. قلت [أي:النووي]: هذا الذي قاله أبو سعد لا بأس به إذا احتاج إليه، فيقول: صُبحت بالخير، أو السعادة، أو بالعافية، أو صبحك الله بالسرور، أو بالسعادة والنعمة، أو بالمسرة، أو ما أشبه ذلك. وأما إذا لم يحتج إليه، فالاختيار أن لا يقول شيئاً، فإن ذلك بسط له وإيناس وإظهار صورة ود، ونحن مأمورون بالإغلاظ عليهم ومنهيون عن ودهم فلا نظهره. والله أعلم [(٢)].

رد السلام على أهل الكتاب بـ (وعليكم) :

وقد جاء بيان ذلك في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم**» [(٣)]. فالحديث بين لنا أن صفة الرد على أهل الكتاب أن نقول: وعليكم.

وقال ابن القيم رحمه الله: لو تحقق السامع أن الذي قال له: سلام عليكم لا شك فيه، فهل له أن يقول: وعليك السلام، أو يقتصر على قوله «وعليك»، فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة أن يقال له، وعليك السلام.

---

(١) الآداب الشرعية (١ / ٣٩١).

(٢) الأذكار للنووي (١ / ٢٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٩ رقم ٥٩٠٣) ، ومسلم (٤/ ١٧٠٥ رقم ٢١٦٣).

فإن هذا من باب العدل، والله تعالى يأمر بالعدل والإحسان، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[(١)].

فندب إلى الفضل، وأوجب العدل، ولا ينافي هذا شيئاً من أحاديث الباب بوجه ما فإنه ﷺ إنما أمر بالاقتصار على قول الراد (وعليكم) بناء على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم، وأشار إليه في حديث عائشة رضي الله عنها فقال: «**ألا ترينني قلت : وعليكم، لما قالوا: السّام عليك**»، ثم قال: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم**»[(٢)].

والاعتبار وإن كان لعموم اللفظ فإنما يعتبر عمومه في نظير المذكور لا فيما يخالفه. قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾[(٣)]. فإذا زال السبب، وقال الكتابي : (سلام عليكم ورحمة الله) فالعدل في التحية أن يرد عليه نظير سلامه. اهـ[(٤)].

جواز السلام على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين:

وهو مأخوذ من فعل النبي ﷺ، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما: «أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكافٌ تحته قطيفة فدكية، وأردف وراءهُ

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٦.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة المجادلة: الآية ٨.

(٤) أحكام أهل الذمة .(١/ ٤٢٥-٤٢٦) رمادي للنشر . ط.الأولى ١٤١٨هـ. وانظر فتاوي العقيدة لابن عثيمين ص٢٣٥-٢٣٦. والسلسلة الصحيحة للألباني (٢/ ٣٢٧-٣٣٠).

أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج- وذلك قبل وقعة بدر- حتى مرَّ في مجلس فيه أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبد الله بن أبيٍّ بن سلول، وفي المجلس عبد الله بن رواحة. فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمَّر عبد الله بن أبيٍّ أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن ...الحديث»[(١)].

والابتداء بالسلام على قوم فيهم مسلمون وكفار مجمع على جوازه؛ قاله النووي[(٢)]. ولا يعكر على هذا؛ حديث المنع من ابتداء أهل الكتاب بالسلام، فإن ذلك الحديث في ما إذا كان المُسَلَّم عليه ذمياً أو كانوا جماعة من أهل الكتاب، أما هنا فإن المجلس فيه مسلمون، ولذلك فإنه يجوز السلام على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين بنية السلام على المسلمين فقط.

قيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: نعامل اليهود والنصارى ونأتيهم في منازلهم وعندهم قوم مسلمون، أُسلم عليهم؟ قال: نعم، وتنوي السلام على المسلمين[(٣)].

وقال النووي: إذا مرَّ واحد على جماعة فيهم مسلمون، أو مسلم وكفار،

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٠٣ ، رقم ٢١٨١٥) ، والبخاري (٥/ ٢٣٠٧ ، رقم ٥٨٩٩) ، ومسلم (٣/ ١٤٢٢ ، رقم ١٧٩٨) والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٥٦ ، رقم ٧٥٠٢) ، والطبراني في الشاميين (١/ ١٦٢ ، رقم ٢٦٨) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢ / ١٥٨).

(٣) المغني لابن قدامة (٩ / ٢٩٠)، والآداب الشرعية (١ / ٣٩٠).

فالسنة أن يسلم عليهم ويقصد المسلمين أو المسلم [١].

مسألة: هل يقال لجماعة فيهم مسلمون وكفار عند السلام: السلام على من اتبع الهدى؟

الجواب: لا يقال: «السلام على من اتبع الهدى» لجماعة فيهم مسلمون وكفار، بل يسلم عليهم كما سبق وينوي بذلك المسلمين.

جواز السلام بالإشارة لعذر:

الأصل في السلام بالإشارة النهي، لأنه من فعل أهل الكتاب ونحن أمرنا بمجانبتهم، وعدم التشبه بهم. وقد أخرج الترمذي حديثا في النهي عن التسليم بالإشارة وأنها من شعار أهل الكتاب، ووسمه الترمذي بالغرابة، وقال عنه الحافظ ابن حجر: وفي سنده ضعف؛ ولكن أخرج النسائي بسند جيد عن جابر رضي الله عنه رفعه: «**لا تسلموا تسليم اليهود، فإن تسليمهم بالرءوس والأكف والإشارة**» [٢].

وقد يرد على هذا الحديث ما روته أسماء بنت يزيد أنها قالت: «ألوى النبي صلى الله عليه وسلم بيده إلى النساء بالسلام» [٣].

ولكن هذا محمولٌ على قرن الإشارة بالتلفظ بالسلام. قال النووي بعد حديث الترمذي: فهذا محمولٌ على أنه صلى الله عليه وسلم جمع بين اللفظ والإشارة. وقال

---

(١) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب) (٥ / ١٨٢).

(٢) أخرجه الديلمي (٥/ ٢٠ ، رقم ٧٣٢٣) . وأخرجه أيضًا : النسائي في الكبرى (٦/ ٩٢ ، رقم ١٠١٧٢) .

(٣) الأدب المفرد (١/ ٣٤٧).

الحافظ: والنهي عن السلام بالإشارة مخصوص بمن قدر على اللفظ حساً وشرعاً، وإلا فهي مشروعة لمن يكون في شغل يمنعه من التلفظ بجواب السلام كالمصلي والبعيد والأخرس، وكذا السلام على الأصم [(١)].

استحباب السلام عند دخول البيت :

عن أبي أمامة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**ثلاثة كلهم ضامن على الله إن عاش كُفي ، وإن مات دخل الجنة : من دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز وجل ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله**» [(٢)].

رد السلام على من حمل إليه السلام والمحمول إليه :

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أبي يقرئك السلام ، فقال ﷺ: «**عليك وعلى أبيك السلام**» [(٣)].

وفي حديث عائشة أم المؤمنين ﵂، قالت: إن النبي ﷺ قال لها: إن

---

(١) فتح الباري (١١ / ١٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣/ ٧ ، رقم ٢٤٩٤) ، وابن حبان (٢/ ٢٥٢ ، رقم ٤٩٩) ، والطبراني (٨/ ٩٩ ، رقم ٧٤٩١) قال الهيثمي (١٠/ ٣٥٤) : فيه كلثوم بن زياد وبكر بن سهل الدمياطي وكلاهما وثق وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح . والحاكم (٢/ ٨٣ ، رقم ٢٤٠٠) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (٩/ ١٦٦ ، رقم ١٨٣١٩) . وأخرجه أيضًا : الطبراني في الشاميين (٢/ ٤٠٨ ، رقم ١٥٩٦) .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٦ ، رقم ٢٣١٥٣) . وأخرجه أيضًا : ابن أبي شيبة (٥/ ٣٤٢ ، رقم ٢٦٧١٣) ، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٠١ ، رقم ١٠٢٠٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٥٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٦٥ ، رقم ٨٩٢٠) .

جبريل يقرأ عليك السلام . قالت : وعليه السلام ورحمة الله [(١)].

جواز السلام على المصلي، ورده بالإشارة:

من الجائز السلام على المصلي، وهذا ثابت لإقرار النبي ﷺ لصحابته رضي الله عنهم ، حيث كانوا يسلمون عليه وهو في الصلاة ولم ينكر عليهم ذلك، فدل إقراره علىٰ جوازه. فمن ذلك حديث جابر رضي الله عنه قال:إن رسول الله ﷺ بعثني لحاجة. ثم أدركته وهو يسير(قال قتيبة: يصلي) فسلمت عليه. فأشار إلي. فلما فرغ دعاني فقال:«**إنك سلمت آنفا وأنا أصلي**». وهو موجه حينئذ قبل المشرق [(٢)]. ومنه: حديث صهيب رضي الله عنه أنه قال: مررت برسول الله ﷺ، وهو يصلي، فسلمت عليه، فرد إشارة. قال: ولا أعلمه إلا قال: إشارة بأصبعه [(٣)].

ففي هذه الأحاديث وغيرها دليل على جواز إلقاء السلام على المصلي، ورده بالإشارة.

جواز السلام على تالي القرآن، ووجوب رده:

السلام على المشتغل بتلاوة القرآن منعه بعض العلماء وأجازه بعضهم، والصواب مع من أجازه، فلا دليل على إخراج تالي القرآن من عمومات النصوص التي تحث على إفشاء السلام، وعلى وجوب رده.

وكونه مشتغلاً بأعلى أنواع الذكر وهو قراءة القرآن ؛ لا يمنع من إلقاء

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٧ ، رقم ٣٠٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (١ / ٣٨٣).

(٣) أخرجه أحمد (٤ / ٣٣٢)، وأبو داود (١ / ٢٤٣)، والترمذي (٢ / ٢٠٣).

السلام عليه، ولا يسقط عنه واجب الرد. قالت اللجنة الدائمة في ردها على أحد الأسئلة : يجوز بدء قارئ القرآن بالسلام وعليه أن يرد السلام؛ لأنه لم يثبت دليل شرعي على المنع من ذلك والأصل عموم الأدلة في مشروعية البدء بالسلام والرد على من سلم حتى يثبت ما يخصص ذلك من الأدلة [١].

كراهية السلام على المتخلي:

الأصل في ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما : أن رجلاً مر ورسول الله ﷺ يبول فسلم فلم يرد عليه [٢]. فعلى هذا فإن المتخلي ببول أو غائط يكره له رد السلام باتفاق أهل العلم.

ويستحب لمن أُلقي عليه السلام وهو يقضي حاجته أن يرد السلام بعد الوضوء تأسياً برسول الله ﷺ، فقد روى المهاجر بن قنفذ رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ وهو يبول، فسلم عليه، فلم يرد عليه حتى توضأ ، ثم اعتذر إليه، فقال: «**إني كرهت أن أذكر الله عز وجل إلا على طهر**»، أو قال: «**على طهارة**» [٣].

استحباب السلام عند دخول البيت:

فإن كان البيت خالياً، فقد استحب بعض أهل العلم من الصحابة وغيرهم أن يسلم الرجل على نفسه إن كان البيت خالياً. فعن عبد الله بن عمر

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٤/ ٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (١ / ٢٨١).

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ٥ رقم ١٧) ، والنسائي (١/ ٣٧ رقم ٣٨) ، وابن حبان (٣/ ٨٦ رقم ٨٠٦) ، والحاكم (١/ ٢٧٢ ، رقم ٥٩٢) .

ﷺ قال: «إذا دخل البيت غير المسكون فليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» [١].

قال ابن حجر: ويدخل في عموم إفشاء السلام، السلام على النفس لمن دخل مكاناً ليس فيه أحد، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾الآية [٢].

تقديم تحية المسجد على السلام على من بالمسجد:

فالداخل للمسجد يستحب له أن يقدم تحية المسجد قبل تحية أهله، وفي حديث المسيء في صلاته ما يدل لذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل، فصلى، ثم جاء، فسلم على النبي ﷺ، فرد النبي ﷺ السلام، فقال: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**(ثلاثاً) ..» [٣].

قال ابن القيم رحمه الله: «ومن هديه ﷺ أن الداخل إلى المسجد يبتدئ بركعتين تحية المسجد، ثم يجيءُ، فيسلم على القوم، فتكون تحية المسجد قبل تحية أهله، فإن تلك حق لله تعالى، والسلام على الخلق حق لهم.وحق الله في مثل هذا أحق بالتقديم...» ثم ساق حديث المسيء في صلاته مستدلاً به على قوله، وقال: «فأنكر عليه صلاته، ولم ينكر عليه تأخير السلام عليه ﷺ إلى ما بعد الصلاة» [٤].

---

(١) موطأ مالك (٢ / ٩٦٢)، والأدب المفرد (١ / ٣٦٣)، والاستذكار (٨ / ٤٧١)، والذخيرة (١٣/ ٢٩١).

(٢) سورة النور: الآية ٦١.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٧، رقم ٥٨٩٧)، ومسلم (١/ ٢٩٨، رقم ٣٩٧).

(٤) زاد المعاد (٢ / ٤١٤).

فتبين لنا من إقرار النبي ﷺ لهذا الصحابي أن السنة في تقديم تحية المسجد على السلام على أهله.

كراهية السلام حال خطبة الجمعة:

والأصل في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت- والإمام يخطب- فقد لغوت**» (١).

وعلى هذا لا يشرع السلام حال الخطبة لأمر النبي ﷺ المأمومين بالإنصات حال خطبة الإمام. وليس لمن في المسجد أن يرد عليه والإمام يخطب، ولكن إن رد عليه بالإشارة جاز (٢).

وللمأموم إذا سلم عليه من بجانبه وصافحه أثناء خطبة الجمعة أن يصافحه بيده ولا يتكلم، ويرد عليه السلام بعد انتهاء الخطيب من الخطبة الأولى، وإن سلم والإمام يخطب الخطبة الثانية فأنت تسلم عليه بعد انتهاء الخطيب من الثانية (٣).

الترغيب في السلام قبل الكلام:

فالذي عليه سلف الأمة وخلفها أنهم كانوا يقدمون السلام قبل كلامهم، وسؤال حاجاتهم. قال النووي رحمه الله: السنة أن المسلِّم يبدأ بالسلام

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣١٦، رقم ٨٩٢)، ومسلم (٢/ ٥٨٣، رقم ٨٥١).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء(٨/ ٢٤٣).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٨/ ٢٤٦).

قبل كل كلام، والأحاديث الصحيحة وعمل سلف الأمة وخلفها على وفق ذلك مشهورة، فهذا هو المعتمد في هذا الفصل[١].

من السنة إلقاء السلام قبل مفارقة المجلس:

فكما أنه يسن السلام عند القدوم على المجلس، فكذلك من السنة أن يُلقى السلام عند مفارقة ذلك المجلس. فعن أبي هريرة ﵁ قال: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة»[٢].

السلام على أهل المعاصي والمبتدعة:

أما أهل المعاصي فهم يسلم عليهم ويرد عليهم سلامهم، قال النووي: اعلم أن الرجل المسلم الذي ليس بمشهور بفسق ولا بدعة يسلِّم ويسلَّم عليه، فيسن له السلام، ويجب الرد عليه[٣].

ولكن إن كان العاصي مشهوراً بفسقه ومعصيته، فإذا كان في ترك السلام عليه مصلحة راجحة، كأن يرتدع العاصي عن معصيته إذا لم يُسلم عليه أو لا يرد عليه سلامه، فإن كان في ذلك مصلحة تُرك السلام عليه لعله ينتهي،

---

(١) الأذكار (١ / ١٩٧)، وتنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث (١ / ٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٩ ، رقم ٩٦٦٢) ، وأبو داود (٤/ ٣٥٣ ، رقم ٥٢٠٨) ، والترمذي (٥/ ٦٢ ، رقم ٢٧٠٦) وقال : حسن، وابن حبان (٢/ ٢٤٦ ، رقم ٤٩٣) . وأخرجه أيضًا : النسائي في الكبرى (٦/ ١٠٠ ، رقم ١٠٢٠١) .

(٣) الأذكار (١ / ١٩٩)، وشرح مختصر خليل (٣ / ١١٠)، وتنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث (١/ ٣٧).

أما إن كان العكس وغلب على ظننا أن معصيته تزيد؛ فإننا نسلم عليه ونرد عليه سلامه تقليلاً للمفسدة لأنه لا مصلحة من ترك السلام عليه . وهذا ينبني على مسألة الهجر.

وأما أهل البدع؛ فإن من البدع ما يكون مكفراً، ومنها دون ذلك. فصاحب البدعة المكفرة لا يسلم عليه بحال، وأما صاحب البدعة غير المكفرة فإنه يأخذ حكم أهل المعاصي كما سبق بيانه.

والأصل في ذلك كله حديث كعب بن مالك ﵁ الطويل في تخلفه عن الغزو مع رسول الله ﷺ، وتوبة الله عليه، وفيه قال كعب ﵁: «ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي بالتي أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه بردِّ السلام عليَّ أم لا؟» (١).

من أحكام المصافحة:

استحباب المصافحة:

عن قتادة قال: قلت لأنس ﵄: أكانت المصافحة في أصحاب رسول

(١) أخرجه البخاري (٤ / ١٦٠٥)، ومسلم (٤ / ٢١٢٤).

الله ﷺ؟ قال: «نعم» (١).

وعن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا» (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم زيد بن حارثة المدينة، ورسول الله ﷺ في بيتي، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه النبي ﷺ يجر ثوبه (٣)، فاعتنقه وقبله (٤).

تحريم المصافحة للمرأة الأجنبية:

ويستدل على ذلك بما رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة – أم المؤمنين رضي الله عنها في مبايعة المهاجرات، قالت: «... فكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن رسول الله ﷺ: «**انطلقن فقد بايعتكن**». لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير أنه بايعهن بالكلام ... إلى آخر الحديث (٥).

---

(١) سنن البيهقي الكبرى (٧ / ٩٩)، والجمع بين الصحيحين (٢/ ٦٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٩، رقم ١٨٥٧٠)، وأبو داود (٤/ ٣٥٤، رقم ٥٢١٢)، والترمذي (٥/ ٧٤، رقم ٢٧٢٧) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٢/ ١٢٢٠، رقم ٣٧٠٣)، والبيهقي (٧/ ٩٩، رقم ١٣٣٤٩). وابن أبي شيبة (٥/ ٢٤٦، رقم ٢٥٧١٧).

(٣) **يجر ثوبه**: كناية عن السرعة.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٧٦، رقم ٢٧٣٢) وقال: حسن غريب.

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٢٥، رقم ٤٩٨٣).

استحباب عدم نزع اليد عند المصافحة حتى يكون الآخر هو البادئ بذلك:

لما رواه أنس بن مالك ﵁ قال: «كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجلُ الذي ينزع .... الحديث »[(١)].



(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٥٤، رقم ٢٤٩٠)، وهو في صحيح سنن ابن ماجه - باختصار السند، برقم ٢٩٩٥.

آداب السواك

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن السواك من السنن التي حث عليها النبي ﷺ، فهو من سنن الفطرة التي ينبغي المحافظة عليها، وقد كان النبي ﷺ يحافظ عليه ولا يتركه أبدًا؛ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما زال رسول الله يأمرنا بالسواك حتى ظننت أنه سينزل عليه فيه»[(١)]، لهذا كان لا بد من معرفة أحكامه وآدابه وما يستحب فيه، والمواضع التي يستحب فيها.

تعريف السواك:

قال أهل اللغة: السِّواك بكسر السين، وهو يطلق على الفعل فعل التسوك وعلى العود الذي يتسوك به. وهو مذكر وتؤنثه العرب أيضًا.

قال الشيخ سيد سابق: «السواك: يطلق على العود الذي يستاك به وعلى الاستياك نفسه، وهو دلك الأسنان بذلك العود أو نحوه من كل خشن تنظف به الأسنان، وخير ما يستاك به عود الأراك ، لأن من خواصه أن يشد اللثة، ويحول دون مرض الأسنان، ويقوي على الهضم، ويدر البول، وإن كانت السنة

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١ / ٣٦٣).

تحصل بكل ما يزيل صفرة الأسنان وينظف الفم كالفرشة ونحوها» [(١)].

والسواك فعلك بالسواك، يقال: ساك فمه يسوكه سوكًا، وجمع سواك سُوُك، مثل: كتاب كُتُب [(٢)]. وقيل: السواك مأخوذ من ساك إذا دلك، وقيل: من جاءت الإبل تساوك أي تمايل.

وفي الاصطلاح: استعمال عود أو نحوه في الأسنان لتذهب الصفرة وغيرها عنها [(٣)].

الفرق بين التسوك وتخليل الأسنان:

الفرق بين تخليل الأسنان والسواك أن تخليل الأسنان هو إخراج ما بينها من فضلات بالخلال، مثل العود ونحوه، فالفرق بين الاستياك والتخليل أن التخليل خاص بإخراج ما بين الأسنان، أما السواك فهو لتنظيف الفم والأسنان واللسان بنوعٍ من الدلك، فهو مطهر للفم عمومًا.

الحكمة من السواك:

قال النبي ﷺ: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب** ﷻ» [(٤)]، أي: سبب

---

(١) فقه السنة (١ / ٤٥).

(٢) لسان العرب، والمعجم الوسيط، والقاموس مادة (سوك)، والشرح الصغير وحاشيته ١ / ١٢٦.

(٣) الحطاب (١ / ٢٦٣، ٢٦٤)، والجمل (١ / ١١٦ - ١١٧)، والشرح الصغير (١ / ١٢٤)، والمجموع (١ / ٢٦٩)، ونهاية المحتاج (١ / ١٦٢).

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٤٧، رقم ٢٤٢٤٩)، والنسائي (١/ ١٠، رقم ٥)، وابن خزيمة (١/ ٧٠، رقم ١٣٥)، وابن حبان (٣/ ٣٤٨، رقم ١٠٦٧)، والبيهقي (١/ ٣٤، رقم

لتطهير الفم، وسبب لمرضاة الرب ﷻ.

حث النبي ﷺ على السواك:

جاءت في الحث عليه أحاديث كثيرة، منها هذا الذي تقدم في الحكمة منه، ومنها: حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «**لولا أن أشق على أمتي -أو على الناس- لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**» (١)، لأمرتهم بالسواك، أي: باستعمال السواك.

حكم السواك:

حُكْمُهُ التَّكْلِيفِيُّ :

٤ - يَعْتَرِي الِاسْتِيَاكَ أَحْكَامٌ ثَلاَثَةٌ :

الأَْوَّل : النَّدْبُ:

وَهُوَ الْقَاعِدَةُ الْعَامَّةُ عِنْدَ فُقَهَاءِ الْمَذَاهِبِ الأَْرْبَعَةِ ، حَتَّى حَكَى النَّوَوِيُّ إِجْمَاعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِرَأْيِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَامَّةً عَلَى ذَلِكَ ، لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنْ رَسُول اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَال : «**لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُل صَلاَةٍ**» (٢) قَال الشَّافِعِيُّ : لَوْ كَانَ وَاجِبًا لأَمَرَهُمْ بِهِ ، شَقَّ أَوْ لَمْ يَشُقَّ ، وَفِي

١٣٤). والحميدي (١/ ٨٧، رقم ١٦٢)، وإسحاق بن راهويه (٢/ ٥٣٣، رقم ١١١٦)، والدارمي (١/ ١٨٤، رقم ٦٨٤)، وأبو يعلى (٨/ ٧٣، رقم ٤٥٩٨)، والطبراني في الأوسط (١/ ٩١، رقم ٢٧٦)، والديلمي (٢/ ٣٤٢، رقم ٣٥٤٨)، وابن عساكر (٣٧/ ٣٢٣).

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٤٥، رقم ٦٨١٣)، ومسلم (١/ ٢٢٠، رقم ٢٥٢).

(٢) إعانة الطالبين (١ / ٤٤)، ونيل الأوطار للشوكاني (١/ ١٢٤)، والمجموع (١ / ٢٧١)،

الْحَدِيثِ أَيْضًا: «**السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ**» (١) وَلِمُوَاظَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ حَتَّى فِي النَّزْعِ ، (٢) وَتَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ مِنْ خِصَال الْفِطْرَةِ (٣).

الثَّانِي : الْوُجُوبُ:

وَبِهِ قَال إِسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيْهِ ، فَقَدْ رَأَى أَنَّ الأَصْل فِي الاِسْتِيَاكِ الْوُجُوبُ لاَ النَّدْبُ ، وَاحْتَجَّ لِذَلِكَ بِظَاهِرِ الأَمْرِ فِي الْحَدِيثِ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْوُضُوءِ لِكُل صَلاَةٍ، طَاهِرًا أَوْ غَيْرَ طَاهِرٍ ، فَلَمَّا شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَمَرَ بِالسِّوَاكِ لِكُل صَلاَةٍ (٤).

والدر المختار على حاشية ابن عابدين (١ / ٧٨) ، والحطاب (١ / ٢٢٤) . والحديث رواه الأئمة الستة من حديث أبي هريرة ، وعند مسلم بلفظ «**عند كل صلاة**». قال ابن منده : وإسناده مجمع على صحته ، (تلخيص الحبير ١ / ٦٢) .

(١) المجموع (١ / ٢٧١) الطباعة المنيرية ، والمغني (١ / ٧٨) ط المنار ، والحطاب (١ / ٢٧١) ط النجاح . والحديث سبق تخريجه.

(٢) المغني (١ / ٧٨) ط المنار ، والحطاب (١ / ٢٦٤) . والحديث رواه البخاري في آخر كتاب المغازي عن عائشة . (نصب الراية ١ / ٨) .

(٣) الجمل (١ / ١١٩)، والمغني (١ / ٨٠) ، وإعانة الطالبين (١ / ٤٤) البابي الحلبي . والحديث أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي من حديث عائشة مرفوعا: «**عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء . . .**» صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (١ / ٢٢٣) ط عيسى الحلبي ١٣٧٤ هـ ، وجامع الأصول في أحاديث الرسول ٤ / ٧٧٤ نشر مكتبة الحلواني ١٣٩٠ هـ .

(٤) المجموع (١ / ٢٧١)، والمغني (١ / ٧٨) . والحديث أخرجه أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن حنظلة ، قال الشوكاني : وفي إسناده محمد بن إسحاق وقد عنعن ، وفي الاحتجاج به خلاف ، وأخرجه الحاكم ببعض الزيادات وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي (مختصر سنن أبي داود للمنذري (١ / ٤٠) نشر دار المعرفة ١٤٠٠ هـ ، ونيل الأوطار (١ / ٢٦٥) ط دار الجيل ، والمستدرك (١ / ١٥٦ نشر دار الكتاب العربي .

الثَّالِثُ : الْكَرَاهَةُ:

إِذَا اسْتَاكَ فِي الصِّيَامِ بَعْدَ الزَّوَال عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ ، وَهُوَ الرِّوَايَةُ الأُخْرَى لِلْحَنَابِلَةِ ، وَأَبِي ثَوْرٍ وَعَطَاءٍ ، لِحَدِيثِ الْخُلُوفِ الآتِي (١).

وَمَذْهَبُ الْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالرِّوَايَةُ الأُخْرَى لِلْحَنَابِلَةِ أَنَّ حُكْمَهُ فِي حَال الصَّوْمِ وَعَدَمِهِ سَوَاءٌ ، أَخْذًا بِعُمُوم أَدِلَّةِ السِّوَاكِ (٢).

وَالَّذِي اخْتَارَهُ بَعْضُ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ - بَعْدَ نَظَرٍ فِي الأَدِلَّةِ - أَنَّ السِّوَاكَ لاَ يُكْرَهُ بَعْدَ الزَّوَال ، لأَنَّ عُمْدَةَ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالْكَرَاهَةِ حَدِيثُ الْخُلُوفِ وَلاَ حُجَّةَ فِيهِ ، لأَنَّ الْخُلُوفَ مِنْ خُلُوِّ الْمِعِدَةِ ، وَالسِّوَاكُ لاَ يُزِيلُهُ ، وَإِنَّمَا يُزِيل وَسَخَ الأَسْنَانِ . قَالَهُ الأَذْرُعِيُّ (٣).

الحكمة من استحباب السواك عند كل صلاة:

الحكمة في استحباب السواك عند القيام إلى الصلاة هي كون الصلاة مناجاةً للرب ﷻ، فاقتضى أن تكون على حال كمال ونظافة إظهارًا لشرف العبادة وهي الصلاة.

---

(١) الجمل (١ / ١١٩)، والمغني (١ / ٨٠) ، وإعانة الطالبين (١ / ٤٤) ط البابي الحلبي .

(٢) الطحطاوي على مراقي الفلاح (ص ٣٧٢) ، ومواهب الجليل (٢ / ٤٤٢) .

(٣) هامش المجموع (١ / ٢٧٩) . والحديث أخرجه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة ﵁ مرفوعا ، ولفظ مسلم: « **فوالذي نفس محمد بيده لخلفة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**» (جامع الأصول (٩ / ٤٥٠) ط مكتبة الحلواني ١٣٩٢ هـ ، وصحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (٢ / ٨٠٦)، ط عيسى الحلبي ١٣٧٤ هـ .

كما أن الأمر يتعلق بالملك الذي يستمع القرآن من المصلي؛ فإنه قد جاء في الحديث الذي حسنه بعض أهل العلم: «أن الإنسان إذا قام فتسوك وتطهر وصلى وقرأ القرآن، لا يزال الملك يدنو منه حتى يضع فاه على فيه -حتى يضع الملك فاه على فم المصلي- فلا يخرج منه قرآن إلا دخل في جوف الملك» (١).

إذًا: حتى يكون الملك غير متأذٍّ، فإن السواك يفيد بالإضافة للأدب مع الرب الأدب مع الملائكة.

وقد ذكر النبي ﷺ أنه قد أكثر علينا في السواك فقال: «**أكثرت عليكم في السواك**» (٢)، أي: بالغت في تكرير طلبه منكم وإيراد الأخبار المرغبة فيه.

السواك من سنن الفطرة:

والسواك من سنن الفطرة التي ذكرها النبي ﷺ وقال: «**عشرٌ من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء**» أي: الاستنجاء قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة (٣).

وقت استعمال السواك عند الوضوء:

أما بالنسبة لقوله ﷺ: «**لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**» (٤)، وفي رواية:

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٨١، رقم ٢١١٧)، وتمام في الفوائد (١/ ٣٦٧، رقم ٩٣٥)، وابن المبارك في الزهد (١/ ٤٢٨، رقم ١٢١٨)، وانظر حديث رقم: ٧٢٠ في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٠٣، رقم ٨٤٨).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٣، رقم ٢٦١).

(٤) سبق تخريجه.

«**عند كل وضوء**»[(١)]، فنحتاج أن نعرف متى يستعمل السواك.

اتفق أهل المذاهب الأربعة على أن السواك سنة عند الوضوء، لكن اختلفوا هل هو من سنن الوضوء، أم سنة منفصلة عن الوضوء؟

وهذا التفريق ليس من ورائه طائلٌ كبير، فذهب الحنفية والمالكية وهو رأي عند الشافعية: أن الاستياك سنة من سنن الوضوء؛ لأنه ﷺ قال: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء**»، وفي رواية: «**لفرضت عليهم السواك مع كل وضوء**»[(٢)].

وقال الحنابلة -وهو الرأي الأوجه عند الشافعية-: أن السواك سنة خارجة عن الوضوء، متقدمة عليه وليست منه، فتفعل قبل الوضوء.

مواضع يستحب فيها السواك:

هناك أمورٌ أخرى غير الوضوء والصلاة يستحب لها السواك، مثل:

قراءة القرآن ولو كان خارج الصلاة، لأن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح: «**إن أفواهكم طرق للقرآن فطيّبوها بالسواك**»[(٣)]، وقد جاء عدد من

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٢/ ١٩٧ ، رقم ٣٠٤١).

(٢) أخرجه الدارقطني في الأفراد كما في أطرافه لابن طاهر (٤/ ٢٠٧ ، رقم ٤٠٧٠)، والحاكم (١/ ٢٤٥ ، رقم ٥١٦)، وقال: لم يخرجا لفظ الفرض فيه وهو صحيح على شرطهما جميعًا وليس له علة وله شاهد بهذا اللفظ، والنسائي في الكبرى (٢/ ١٩٧ ، رقم ٣٠٤١)، وابن أبي شيبة (١/ ١٥٦ ، رقم ١٧٩٧) .

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ١٠٦ ، رقم ٢٩١) .، وصححه الألباني (الصحيحة ١٢١٣).

الأحاديث في هذا الموضوع فمن ذلك أن النبي ﷺ قال: **«إذا تسوّك أحدُكم ثم قام يقرأ طاف به الملك يستمع القرآن حتى يجعل فاه على فيه فلا تخرج آية من فيه إلاّ في فيّ الملك»** [(١)].

وهذا الحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله وغيره، فمن فوائد السواك لقارئ القرآن أنه لا يخرج من فمه أذى يؤذي الملك، فلا يقرأ آيةً إلا دخلت في فم الملك، وأن الملك يضع فاه على فم قارئ القرآن القائم بالليل.

ويستحب عند ذكر الله عمومًا، قال بعضهم: يندب أن يزيل وسخ الفم وقلح الأسنان بالسواك لذكر الله تعالى، والملائكة تحضر مجالس العلم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإذا كانوا يحضرون مجالس العلم فإن السواك من آداب مجالس العلم، ولأن الملائكة يحضرون الميت قالوا: لو تسنى للمحتضر أن يستاك فليستك.

وقد ورد أن النبي ﷺ تسوك قبيل موته، فقالوا: إذا تمكن المحتضر من الاستياك أو أشار أن يعطوه سواكًا فليعطوه قبل الموت، فالملائكة تحضر، حتى قالوا: إنه يسهل خروج الروح ونحو ذلك.

وهذا الله أعلم به وهو من أمور الغيب، لكن النبي ﷺ ثبت أنه استاك وهو يحتضر.

---

(١) قال ابن الملقن في البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير (٢/ ٢٢): «أَبُو نعيم ، قَالَ الشَّيْخ تَقِيّ الدِّين فِي «الإِمام» : وَإِسْنَاد رِوَايَة جَابر كلهم موثقون».

ويستحب كذلك الاستياك عند قيام الليل، وسيأتي الحديث فيه عن رسول الله ﷺ [(١)].

ويستحب -أيضًا- الاستياك لمجامع الناس؛ فإن الإنسان إذا أراد أن يذهب إلى الناس، خصوصًا إذا كان قادمًا من سفر وهناك معانقة كأن يسلم على عالم مثلًا، ويقترب منه، ويضع وجهه قبل وجهه، أو سائل يسر إلى عالمٍ بشيء أو نحو ذلك.

وكذلك عند الذهاب إلى المسجد، فإنه من تمام الزينة، وقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [(٢)]، والمسجد فيه اجتماع الملائكة واجتماع الناس، وتطييب الرائحة فيه مؤكد.

ويستحب الاستياك للالتقاء بالأهل، ودليله قوي وهو حديث عائشة ﵂ قالت: «كان النبي ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسواك»[(٣)]، فيتزين للقاء زوجته وأهله كما يحب أن تتزين له، ولذلك قالوا: حتى عند الجماع؛ لأن فيه ملامسة الرجل المرأة والاقتراب منها.

وكذلك عند القيام من النوم لتغير رائحة الفم، وإذا تغير بعطشٍ أو جوعٍ أو اصفرار أو غير ذلك، ويستعمل السواك عند الفراغ من الطعام أيضًا، وعمومًا فإن حديث: «**السواك مطهرةٌ للفم مرضاة للرب**» [(٤)]، معناه: في أي

---

(١) تحت عنوان «التسوك عند الاستيقاظ من النوم».

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٠، رقم ٢٥٣).

(٤) سبق تخريجه.

وقتٍ من ليل أو نهار يمكن أن يستعمله.

مسائل متفرقة في السواك:

وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ في كيفية التسوك أشياء فمن ذلك:

إمرار السواك على اللسان:

وهي سنة مجهولة عند كثيرين، عن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ فوجدته يستن [١] بسواكٍ بيده يقول: أع أع، والسواك في فيه كأنه يتهوع» [٢].

ومعنى يستن: من السِّن أو من السَّن، بكسر السين من السِّن؛ لأن السواك يمر على الأسنان، وبالفتح يقال: السَّن؛ لأنه يسن الأسنان أي يحدها، فيكون مأخوذًا من سن السكين وسن المقص، وهذا السواك يسن الأسنان.

ففيه أن السواك لا يختص بالأسنان، وإنما يشمل اللسان أيضًا، وأن التنظيف والتطييب فيه إزالة الأذى عن كل ما هو داخل الفم.

التسوك عند الاستيقاظ من النوم:

وقد كان ﷺ يستاك ليلًا، ويحضر له سواكه، وقد جاء في الحديث الصحيح أن رجلًا سأل عائشة رضي الله عنها فقال: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ؟

---

(١) يستن: يدلك أسنانه بالسواك أو غيره.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٩٦، رقم ٢٤١).

فقالت: ألست تقرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [(١)]؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولًا، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرًا في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعًا بعد فريضة، قلت: يا أم المؤمنين! أنبئيني عن وتر رسول الله ﷺ؟ فقالت: كنا نعد له سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيها إلا في الثامنة، فيذكر الله ويحمده ويدعوه فيقرأ ويقوم الليل» [(٢)].

وقد جاء في كيفية السواك في الليل حديث حذيفة رضي الله عنه: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص [(٣)] فاه بالسواك» [(٤)]، قال ابن دريد: «الشوص : الاستياك من سفل إلى علو ، وبه سمي هذا الداء الشوصة ، لأنه ريح يرفع القلب عن موضعه» [(٥)].

استحباب السواك ليوم الجمعة:

السواك حسنٌ في الأحوال كلِّها، لكنَّه بين يدي الصلوات عمومًا وصلاة الجمعة خصوصًا أشدُّ استحبابًا، وآكد على سائر الأحوال والأوقات.

---

(١) سورة المزمل: الآية ١.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥١٢، رقم ٧٤٦).

(٣) **يشوص**: يمره على أسنانه ويدلكها به.

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٣٨٢، رقم ١٠٨٥)، ومسلم (١/ ٢٢١، رقم ٢٥٥).

(٥) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١ / ٣٦٤).

وقد ورد الأمر به في خصوص الجمعة في حديث أبي سعيد الخدري ﵁ عن النبيِّ ﷺ قال: «**غسل يوم الجمعة واجب على كلِّ محتلم وسواكٌ ويمسُّ من الطيب ما قدر عليه**»[(١)]، وعن ابن عباس ﵄ عن رسول الله ﷺ قال: «**من جاء الجمعة فليغتسل، وإن كان طيب فليمسَّ منه، وعليكم بالسواك**»[(٢)].

دفع السواك إلى الأكبر:

عن ابن عمر ﵄ أن النبي ﷺ قال: «**أراني أتسوك بسواك، فجاءني رجلان، أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر منهما، فقيل لي: كبر، فدفعته إلى الأكبر منهما**»[(٣)]. قال ابن حجر ﵀: «فيه تقديم ذي السن في السواك ويلتحق به الطعام والشراب والمشي والكلام؛ وقال المهلب: هذا ما لم يترتب القوم في الجلوس فإذا ترتبوا فالسنة حينئذ تقديم الأيمن»[(٤)].

وجاء بإسنادٍ حسنٍ عن عائشة ﵂ قالت: «**كان رسول الله ﷺ يستن وعنده رجلان، فأوحي إليه أن أعط السواك الأكبر**»[(٥)]. وفي هذا احترام كبير السن وتقديم ذي السن في السواك.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٠٠، رقم ٤٠)، ومسلم (٢/ ٥٨٠، رقم ٨٤٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٣٤٩، رقم ١٠٩٨)، وحسنه الألباني (المشكاة ١٣٩٨ و ١٣٩٩، الروض ٤٠٨، التعليق الرغيب ١ / ٢٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٩٦، رقم ٢٤٣)، ومسلم (٤/ ١٧٧٩، رقم ٢٢٧١).

(٤) فتح الباري (١ / ٣٥٧).

(٥) أخرجه أبو داود (١/ ١٣، رقم ٥٠)، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (١/ ٣٥٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١ / ٨٦).

جواز التسوك بسواك الغير بإذنه:

والحديث السابق فيه إشارة إلى مسألة، وهي التسوك بسواك الغير «**أراني أتسوك بسواك، فجاءني رجلان فناولت الأصغر فقيل: كبر، فدفعته للأكبر**»، لذلك أخذوا منه أن استعمال سواك الغير ليس بمكروه، إلا أن المستحب أن يغسله ثم يستعمله، قال ابن حجر رحمه الله: «وفيه أن استعمال سواك الغير ليس بمكروه الا أن المستحب أن يغسله ثم يستعمله» (١).

وفيه حديث عائشة رضي الله عنها: «**كان رسول الله ﷺ يعطيني السواك لأغسله، فأبدأ به فأستاك ثم أغسله ثم أدفعه إليه**» (٢)، ترجو بركة ريقه.

استحباب غسل السواك:

من الحديث السابق أنه ﷺ كان يعطي عائشة رضي الله عنها السواك لتغسله فتستاك به ثم تغسله ثم تناوله إياه، وهذا يدل على عظيم أدبها وكبير فطنتها؛ لأنها لم تغسله ابتداءً حتى لا يفوتها الاستشفاء أو التبرك المشروع بريقه صلى الله عليه وسلم، ثم غسلته تأدبًا وامتثالًا لما أمرها به صلى الله عليه وسلم.

ومن فوائد غسل السواك: تليينه بعد جفافه؛ لأن السواك يتعرض للجفاف، فالغسل يفيد في تنظيفه وتليينه، وهذه سنة الغسل؛ لأن التسوك بالسواك الجاف يسبب جرح اللثة وخروج الدم.

---

(١) فتح الباري (١ / ٣٥٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ١٤، رقم ٥٢)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٣٩ ، رقم ١٦٨)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (ج ١ / ص ٨٨).

الوضوء بالماء المنقوع فيه السواك:

جاء عن جرير بن عبد الله ﵁ أنه أمر أهله أن يتوضئوا بفضل سواكه[١]، والمقصود به التطهر، والمقصود بفضل السواك الماء الذي يبقى.

السواك للمحرم:

قال صاحب أضواء البيان: « وأما السواك في الإحرام، فلا خلاف في جوازه بين أهل العلم. قال الشيخ الحطاب في شرحه لقول خليل في مختصره: وربط جرحه ما نصه: قال التادلي في مناسك ابن الحاج: وأجمع أهل العلم على أن للمحرم أن يتسوك، وإن دمي فمه. انتهى. وقال ابن عرفة الشيخ: روى محمد والعتبي: للمحرم أن يتسوك، ولو أدمى فاه انتهى، ثم قال: قلت: لا يلزم من منع القاضي الزينة منع السواك بالجوزاء ونحوه. انتهى والله أعلم. انتهى كلام الحطاب» [٢].

حُكْمُ السِّوَاكِ لِلصَّائِمِ بَعْدَ الزَّوَال :

لا خلاف بين الفقهاء في جواز السواك للصائم قبل الزوال [٣]، اخْتَلَفَ

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (١/ ٢٥٥، رقم ١١٣٥)، وابن أبي شيبة (١/١٥٨، رقم ١٨١٧)، قال الألباني: «وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، وعلَّقه البخاري» السلسلة الضعيفة (ج ٢٤ / ص ٩٤١). «بفضل سواكه»: أي الماء الذي يغمس فيه السواك أو ينقع.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٤ / ١٩١).

(٣) بدائع الصنائع (١ / ١٩) ، وحاشية العدوي (١ / ٣٩٢) ، والمجموع (١ / ٢٧٥) ، والإنصاف (١/ ١١٩) .

الْفُقَهَاءُ فِي حُكْمِ السِّوَاكِ لِلصَّائِمِ بَعْدَ الزَّوَال :

فَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ إِلَى أَنَّهُ لاَ بَأْسَ بِالسِّوَاكِ لِلصَّائِمِ فِي جَمِيعِ نَهَارِهِ أَيْ قَبْل الزَّوَال وَبَعْدَ الزَّوَال، لِلأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْكَثِيرَةِ فِي فَضْل السِّوَاكِ[١].

وَذَهَبَ الشَّافِعِيَّةُ فِي الْمَشْهُورِ عِنْدَهُمْ وَالْحَنَابِلَةُ إِلَى أَنَّهُ يُكْرَهُ لِلصَّائِمِ التَّسَوُّكُ بَعْدَ الزَّوَال سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِسِوَاكٍ يَابِسٍ أَوْ رَطْبٍ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»[٢]، وَالْخُلُوفُ إِنَّمَا يَظْهَرُ غَالِبًا بَعْدَ الزَّوَال[٣].

آلة السواك:

يتسوك بكل عودٍ لا يضر، وقسمه بعض الفقهاء إلى أربعة أقسام بحسب أفضليته.

أفضلها هو الأراك -عود الأراك المعروف المشهور- لما فيه من طيبٍ وريحٍ وتشعيرٍ، فهذا النوع فيه تشعير، فشعرات السواك هي التي تخرج ما احتشى في الأسنان وتنقي، وقد جاء في حديث وفد عبد القيس أنه أمر لهم بأراك وقال: «**استاكوا بهذا**»[٤]، وفي إسناده من تفرد به.

---

(١) البدائع (١ / ١٩)، الفواكه الدواني (١ / ٣٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٨٠٧، رقم ١١٥١).

(٣) المجموع (١ / ٢٧٥ – ٢٧٩)، وكشاف القناع (١ / ٧٢).

(٤) أخرجه ابن سعد (٧/ ٤٢٦). والطبراني (٢٢/ ٣٦٨، رقم ٩٢٣) قال الهيثمي

ويليه جريد النخل، وقيل: إن النبي ﷺ قد تسوك به، وهذا يحتاج إلى إثبات الحديث.

ثم يليه ما أخذ من شجر الزيتون لأنها شجرة مباركة.

ثم بعد ذلك بكل ما له رائحة طيبة ولا يضر، من قضبان الأشجار الناعمة التي لا تضر ولها رائحة طيبة، فالمقصود: أي شيء يحصل به التطييب والتنظيف.

فإن قيل: فرشاة الأسنان؟

فالجواب: فرشاة الأسنان يحصل بها المقصود من جهة التنظيف والتطييب؛ لأن الشعيرات هذه هي شعيرات بلاستيكية أو مصنوعة من نايلون أو غيره من المواد الصناعية، فيحصل بها المقصود، لكن إذا قال قائل: ما هو الأفضل السواك أم فرشاة الأسنان؟ الجواب: السواك أفضل، فإن قال: أجمع بينهما؟ نقول: خيرٌ على خير اجمع بينهما، خصوصًا أن بعض المعاجين قد يكون فيها علاج أو تقوية، لكن هؤلاء الكفار اكتشفوا أن السواك فيه مواد مقوية للثة، حتى جعلوا بعض معاجين الأسنان مستخلصة من السواك.

كيف يكون الاستياك؟

كيف يحرك السواك في الفم:

يكون الاستياك طولًا أو عرضًا، ولا بأس بذلك، لكن استعماله طولًا ثبت في السنة في اللسان، واستعماله طولًا في الأسنان وارد لكنه يجرح اللثة،

(٥/ ٦٢) : فيه جماعة لم أعرفهم . والدولابي في الأسماء والكنى (١/ ٧٦ ، رقم ١٧٠) .

وقد ورد حديث أنه كان يستاك عرضًا ولا يستاك طولًا، لكنه لم يصح عن النبي عليه الصلاة والسلام، فيتبع ما يريح الإنسان ويؤدي القصد، فإذا كان الاستياك عرضًا على الأسنان أنفع وطولًا على اللسان كما ثبت في السنة فليكن ذلك.

ومن لا أسنان له فله أن يستاك على اللثة واللسان وسقف الحلق؛ لأن تغيير الرائحة حاصل حتى في هذا.

هل يمسك السواك باليمنى أو اليسرى؟

بعضهم يستحب إمساك السواك باليمنى؛ لأن المنقول عن النبي ﷺ: «كان يعجبه التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله» [(١)]، جاء في رواية: «وسواكه» لكن بعض العلماء فصل في هذا فقال: إذا كان عند الصلاة وعند الوضوء استعمل اليمنى، وإذا كان لمجرد التنظيف، تريد أن تنظف أسنانك فقط لا عند وضوء ولا عند صلاة ولا عند قيام الليل فاجعله باليسرى.



(١) أخرجه البخاري (١/ ٥٣، رقم ١٦٨)، ومسلم (١/ ١٥٥، رقم ٢٦٨).

آداب الصحبة والأخوة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن الأخوّة الإيمانية نعمة من أعظم النعم التي يمتن الله بها على عباده، هي رابطة بين أفراد المجتمع الإسلامي يصعب أن نجد مثلها في المجتمعات الأخرى، إنما هي أخوّة لله بين القلوب والأرواح، تربط المؤمنين برباط وثيق لا يمكن فصمه.

إن الشيطان قد يعجز عن الإنسان العابد لله أن يجعله يتجه بالعبادة لغير الله، ولكنه مع ذلك يحتال في إيقاد نار العداوة والبغضاء في القلوب، فإذا اشتعلت هذه النار استمتع الشيطان برؤيتها وهي تحرق حاضر الناس ومستقبلهم وتقطع أواصرهم، ويقوم شياطين الإنس بعد ذلك بإلهابها كلما خمدت أو كادت. يقول ﷺ: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكنه لم ييأس من التحريش بينهم**»[1].

ولهذا فإن دين الإسلام يسعى لعلاج بوادر الجفاء وما يثير البغضاء وينمي الشحناء لكي يكون المجتمع مجتمعًا متماسكًا يحب أفراده الخير لبعضهم، مجتمعًا تسوده المحبة والألفة والأخوة.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٦، رقم ٢٨١٢).

وإن الأخوّة الإيمانية بمفهومها الشمولي والعميق هي التي يمكن أن تحل محل العداوة والبغضاء والتنافس غير الشريف، وهي التي يمكن أن تجعل المجتمع صفًّا واحدًا متماسكًا يصعب خرقه.

حرص الإسلام على تأسيس الأخوة بين المسلمين:

الأخوّة الإيمانية من أوثق عرى الإيمان، وتحقيقها عبادة من أعظم العبادات، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﵁ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « **مَنْ أَحَبَّ لله ، وَأَبْغَضَ لله ، وَأَعْطَى لله ، وَمَنَعَ لله ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**»[١]. فهذا شرح نبوي للأخوّة الإيمانية، تحب لله، وتبغض لله، وتعطي لله، وتمنع لله. قال عبدالرؤوف المناوي[٢]: «فدل على أن من لم يحب لله ويبغض لله لم يستكمل الإيمان».

ولقد كان من الحكم العظيمة لأركان الإسلام الخمسة إرساء دعائم الأخوة الإيمانية، فالشهادتان هما الشعار الجامع للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

أركان الإسلام من دعائم الأخوّة:

أتت أركان الإسلام تراعي جانب الأخوة بين المسلمين، فالصلاة شرع

---

(١) ابن أبي الدنيا في الإخوان ج١/ ص٦٤ ح١٧، وسنن أبي داود (ج ٤ / ص ٣٥٤، ح ٤٦٨٣)، وصححه الألباني، والطبراني في الكبير (ج ٨/ رقم ٧٦١٣ ، ٧٧٣٧ ، ٧٧٣٨)، والبيهقي في الاعتقاد (١٧٨-١٧٩) ، والبغوي في شرح السنة (١٣/ ٥٤) ، والشجري في الأمالي (٢/ ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٥٢) من طريق يحيى بن الحارث ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة مرفوعًا به .

(٢) فيض القدير (١ / ٢١٧).

أداؤها في جماعة ليجتمع المسلمون في الصلوات الخمس اجتماعًا صغيرًا، ثم يأتي الاجتماع الأكبر لأهل الحي في صلاة الجمعة، ثم اجتماع أكبر لأهل البلد في صلاة العيد؛ والغرض من هذه الاجتماعات أن يتعارف المسلمون، وأن يتآلفوا، ويتعرفوا على حوائج من يحتاج منهم إلى مساعدة.

ثم الزكاة تؤدي إلى التآخي والتراحم بين الأغنياء والفقراء.

ثم الصيام صورة لاجتماع المسلمين على شعيرة ظاهرة، يمسكون عن الطعام في وقت واحد، ويفطرون في وقت واحد، ويشعر الصائمون بحاجة الجائعين.

ثم الحج اجتماع للمسلمين يضم وفودًا من كل فج عميق من فجاج الأرض، فيتعرف المسلمون من خلاله على أحوال إخوانهم في شتى بقاع الأرض.

المسلم أخو المسلم:

لقد كثر التعبير عن المسلم بالأخ في كتاب الله سبحانه وتعالى وفي سنة نبيه ﷺ، حتى إن الله سبحانه وتعالى سمى ولي القتيل أخًا للقاتل فقال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾(١).

وسمي أهل الجنة إخوانًا فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٨.

(٢) سورة الحجر: الآية ٤٧.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1].

وقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[2].

ويقول ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»[3].

ويقول ﷺ: «**يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه**»[4].

مؤاخاة النبي بين أصحابه:

وقد أسس الإسلام صرح الأخوة بين المسلمين منذ بدء الدعوة الإسلامية، فقد آخى النبي ﷺ بين أصحابه مرتين، مرة بمكة آخى فيها بين المهاجرين، وكان الغرض من هذه المؤاخاة أن بعض المهاجرين كان أكثر مالًا أو أقوى عشيرة، ليحسن الأعلى إلى الأدنى وينصره، وليعين الأدنى الأعلى فيما يحتاج إلى الإعانة فآخى النبي بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث كان يقوم

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٧٧، رقم ٧٧١٣)، ومسلم (٤/ ١٩٨٦، رقم ٢٥٦٤).

(٤) أخرجه ابن المبارك (ص ٧٠، رقم ٢١٢). وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٠٧، رقم ٥٩٢)، وابن حبان (١٣/ ٧٣، رقم ٥٧٦١)، والقضاعي (١/ ٣٥٦، رقم ٦١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣١١، رقم ٦٧٦١).

بتربية علي منذ صباه وآخى بين حمزة وزيد بن حارثة رضي الله عنهما لأن زيدًا كان مولاهم [١].

ثم كانت المؤاخاة في المدينة بين المهاجرين والأنصار، وكانوا مائة وخمسين من كل فريق، وكانت المؤاخاة على الحق والمواساة والتوارث بعد الممات دون ذوي الأرحام، كما روى ذلك البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم نسخ التوارث وبقيت المؤاخاة على المواساة والنصيحة.

صور للأخوة الصادقة عند السلف:

ومما روي في أمر التطبيقات العملية لهذه المؤاخاة، قصة عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضي الله عنهما، حين قال سعد لعبد الرحمن رضي الله عنه: إني أكثر الأنصار مالًا، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويتَ نزلتُ لك عنها، فإذا حلت تزوجتَها، فقال له عبد الرحمن رضي الله عنه: «لا حاجة لي في ذلك، هل، من سوق فيه تجارة؟».فدله على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم أخذ يتردد على السوق، يبيع ويشتري حتى استغنى بماله عن مال أخيه سعد.

ثم لما تيسر أمر عبد الرحمن تزوج امرأة من الأنصار، وأمهرها بنواة من ذهب، وطلب منه الرسول أن يولم ولو بشاة بهذه المناسبة [٢].

---

(١) فتح الباري (١٥/ ١٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٧٩، رقم ٤٨٥٨)، ومسلم (٢/ ١٠٤٢، رقم ١٤٢٧).

الرابطة الدينية أشرف الروابط وأوثقها:

إن أعظم رابطة تجمع الناس هي رابطة الدين ، ليس بين المسلمين فحسب، بل بين كل قوم يجمعهم دين واحد، ولكن المسلمين يمتازون عن غيرهم بأنهم على الحق، وأنهم على صراط مستقيم من الله سبحانه وتعالى.

وإن تفريق الناس حسب أديانهم لهو التفريق الحق، والفاصل المتين بين كل ذوي نحلة وأخرى، ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3].

الرابطة الدينية تخترق الزمان والمكان:

فالمؤمنون إخوة في جميع الأزمان من أول الخليقة إلى آخرها، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦٧.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٧٣.

(٣) سورة المائدة: الآية٥١.

سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[١].

وهم إخوة في جميع أقطار الأرض وإن تباعدت ديارهم، يدعو بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض، ويحب بعضهم بعضًا، ويُعين بعضهم بعضًا على البِرِّ والتقوى، وينصح بعضهم لبعض، ويصدقون في تعاملهم فيما بينهم، ويحترم بعضهم حقوقَ بعض، لأن الله ربط بينهم برابطة الإيمان التي هي أقوى من رابطة النسب والوطن واللغة.

وهذا المعنى عبَّر عنه مصعب بن عمير حين قال لرجل من الأنصار في غزوة بدر، رآه قد أَسَر أخاه أبا عزيز بن عمير، قال: «اشدد وثاقه، فإن له أمًّا غنية ستفديه»، فقال أبو عزيز لمصعب: أهكذا وصاتُك بأخيك؟ فقال مصعب: «إنه أخي دونك»[٢].

في الشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وأهل النيل جيراني
وأينما ذكر اسم الله في بلد عددت أرجاءه من لب أوطاني

مفهوم الأخوة الإسلامية:

ليست الأخوة شعارًا يُرفع، بل هي سلوك ينظم الحياة، أي أن المسلم يسعى جادًّا إلى إفادة غيره، تصوروا ذلك الاستقبال الرائع المثالي الذي أولاه الأنصار رضي الله عنهم للمهاجرين، حين خلع كل أنصاري رداء الأنانية عن نفسه،

---

(١) سورة الحشر: ١٠.

(٢) المغازي للواقدي (١ / ١٣٤)، والسيرة النبوية لابن هشام (٣ / ١٩٦)، والبداية والنهاية (٣ / ٣٠٧).

وألقاه جانبًا، وضرب مثلا في السمو والرفعة لم يعرف له التاريخ مثلا في القديم ولا في الحديث، ولن يعرفه حتى يرث الله الأرض ومن عليها، تنازل الأنصاري عن جزء من ماله وما يملك لأخيه المهاجر، بل رضي أن يطلق زوجته - إن كانت له أخرى - ليتزوجها المهاجر بدينه بعد انقضاء عدتها، إنها أخوة الروح قبل أن تكون أخوة الجسد، عدّها الله نعمة من جلائل النعم، ولله الفضل والمنة.

الأسس والثوابت التي يجب أن تبنى عليها الأخوَّةُ:

إن الأخوَّةَ بين أفراد المجتمع المسلم ـ قبائل وشعوبًا وجماعاتٍ ـ يجب أن تكون قائمةً على الأركان والثوابت التي أسس عليها المصطفى ﷺ المجتمع الإسلامي.

وينبغي لها أن تكون كذلك وتستمر عليه، مجتمع كالجسد الواحد، يتآلف ويتعاون ويترابط، يظهر فيه الإيثار والمحبة، وتسوده المودة والألفة والعفو عن الزلات والصفح عن الأخطاء والهفوات، وحسن الظن، ويزول منه الحسد والقطيعة والشحناء والضغينة والاحتقار والسخرية والبغضاء والخديعة، وتختفي منه الأنانية وحب الذات، وينبغي أن تكون تلك المعاني ظاهرةً في التعامل بين جميع المسلمين، يلتزم بِها الكافة قولًا وفعلًا وسلوكًا وتعاملًا.

فمن وجد في نفسه شيئًا من التعالي والزهو، أو أحسّ باحتقارٍ أو انتقاصٍ لأي من إخوانه المسلمين بنظرته للجنس أو البلد أو اللون أو العرق أو المال أو الجاه فليراجع نفسه، وليتفقد إيمانه. ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ(١).

علامات الأخوة ومظاهرها:

ولهذه الأخوة الإيمانية علاماتٌ لا بد أن تظهر في السلوك والمشاعر والإحساس والكتاب والكلام، ومن هذه العلامات:

١- أن يعرف حقوق إخوَتِه ومصالحهم عنده:

فيبادر إلى تأديتها، وأن يشعر بالألم والحزن لأيّ مصيبة تقع بهم، ويندفع إلى كشف ذلك عنهم بحدود طاقته، قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**»(٢).

والستر خلاف التستّر أو قلب الحقائق أو المداهنة أو المحاباة أو الدفاع بالباطل أو السكوت عن الحق أو المجاملة فيه.

٢- أن يشعر المسلم بأن إخوانه ظهير له في السراء والضراء:

وأن قوته لا تتحرك في الحياة وحدها إلا إذا تساندت مع قوى إخوانه المؤمنين، لذا كان من الواجب أن يعمل من أجل هذا التساند ليشدّ من أزر نفسه وإخوانه لقوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»(٣).

---

(١) سورة سبأ: ٣٧.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٢، رقم ٢٣١٠)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦، رقم ٢٥٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٣، رقم ٢٣١٤)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٥).

وفي بعض الروايات: وشبك بين أصابعه ﷺ.

٣- التناصر بين المسلمين:

وهو التناصر بين المسلمين من أجل إحقاق الحقّ، وإزهاق الباطل، وردع المعتدي، وإجارة المهضوم، ونصرة المظلوم، فلا يجوز خذلان المسلم وتركه وحده في المعترك، بل لا بد من الوقوف بجانبه -على أيّ حال- لإرشاده إن ضلّ، وحجزه إن تطاول، والدفاع عنه إن هوجم واستبيح، وهذا معنى قوله ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»[١]. ونصرته إذا كان ظالمًا ردعُه عن ظلمه، بأن تردَعه عن الظلم، فلا تتركه يتمادى فيه، وحتى يثوب إلى رشده، ويقلع عن غيِّه.

٤- مراعاة هذا الإخاء:

حتى لا يعدو عليه بما يكدره، فلا يجوز لمسلم أن يسبب لأخيه قلقًا أو تخويفًا أو هلعًا أو فزعًا، أو كل ما يؤدّي إلى إيذاء أخيه والاعتداء عليه، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه، حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»[٢].

وكما قال رسول الله ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه**»..الحديث[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٣، رقم ١٤٥٠٧) ومسلم (٤/ ١٩٩٨، رقم ٢٥٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢٠، رقم ٢٦١٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٧٧، رقم ٧٧١٣)، ومسلم (٤/ ١٩٨٦، رقم ٢٥٦٤).

فضل الأخوة الإيمانية:

تذوق حلاوة الإيمان:

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بهن حلاوة الإيمان**»، ذكر منها: «**أن تحب المرء لا تحبه إلا لله**»(١). وقد تقدم ما يدل على أن الأخوة الإيمانية أحد متطلبات الإيمان.

الأخوّة الإيمانية تؤدي إلى محبة الله للمجتمع المسلم:

بينما العداوة بين المجتمع وتناحرهم والبغض الذي بينهم يستجلب سخط الله عليهم جميعًا، يُفهم هذا الكلام من خلال المفهوم العكسي لقوله ﷻ في الحديث القدسي الذي يرويه ﷺ عن ربه: «**يقول الله ﷻ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**»(٢).

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٤، رقم ١٦)، ومسلم (١/ ٦٦، رقم ٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣، رقم ٢٢٠٨٣)، والطبراني (٢٠/ ٨٠، رقم ١٥٠)، والحاكم (٤/ ١٨٦، رقم ٧٣١٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٨٣، رقم ٨٩٩٢). ومالك (٢/ ٩٥٣، رقم ١٧١١)، وعبد بن حميد (ص ٧٢، رقم ١٢٥)، وابن حبان (٢/ ٣٣٥، رقم ٥٧٥)، والقضاعي (٢/ ٣٢٢، رقم ١٤٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٩٧، رقم ٢٣٩٠)، وقال: حسن صحيح.

الأخوّة الإيمانية سبيل إلى ظل عرش الرحمن ﷻ:

وهذا في يوم لا ظل إلا ظله، حيث يكون العبد أحوج ما يكون إلى بادرة أمان، ففي الحديث المشهور عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ**»، ذكر منهم: «**وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**»[1].

الأخوة الإيمانية مما يعين على التلذذ بالعبادة:

ويعين أيضا على الخشوع فيها، وذلك بأن يحضر المسلم إليها وليس في قلبه غل، أو حقد، أو حسد، على أحد من إخوانه المسلمين؛ لأن من يحضر إليها وقد امتلأ قلبه بهذه الأمراض يكون بعيدًا كل البعد عن الخشوع.

ولهذا امتن الله ﷻ على المؤمنين بأن ألف بين قلوبهم، فقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[2].

من حقوق الأخوة:

ولهذه الأخوة بين المسلمين والمؤمنين حقوقٌ عظيمةٌ، وثمرات كريمة قد بينها الله ورسوله في الكتاب والسنة، تجب مراعاتها والقيام بها، ولا يجوز إهمالها والتهاون بها. ومن هذه الحقوق والثمرات ما يلي:

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٣٤، رقم ٦٢٩)، ومسلم (٢/ ٧١٥، رقم ١٠٣١).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

١- الإصلاح بين المسلمين:

فيجب الإصلاح بين المسلمين عندما يحصل بينهم اختلاف ونزاع، أو تظهر بينهم عداوة وقطيعة، قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1].

٢- عدم الاعتداء على حُرُماتهم:

ومن حقوق الأخوة بين المسلمين والمؤمنين: تعظيم بعضهم لحرمات بعض، وعدم تنقص بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[2].

ينهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن سخرية بعضهم من بعض رجالا ونساء، فربما يكون المسخور منه خيرًا من الساخر في الدنيا والآخرة، والسخرية لا تصدر إلا من ناقص. ونهى سبحانه وتعالى عن اللمز، وهو الطعن في حق المسلم، وعن التنابز بالألقاب، وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سمي به، واللقب ما يسوء الشخص سماعه.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٩ – ١٠.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١١.

قال بعض المفسرين، ومنه قول: يا فاسق، يا كلب، يا حمار،.. وقد سمى الله السخرية واللمز، والتنابز بالألقاب فسوقًا، مما يدل على قبح ذلك وشناعته ووجوب الابتعاد عنه.

٣- **حسن الظن بهم:**

ومن حقوق الأخوة بين المسلمين والمؤمنين: تجنب إساءة الظن فيما بينهم، والتجسس من بعضهم على بعض، واغتياب بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وفسر النبي الغيبة بأنها ذكرك أخاك بما يكره، والغيبة محرمة بالإجماع تحريمًا شديدًا. وقد شبهها الله بأكل اللحم من الإنسان الميت، وذلك تبغيضًا للغيبة في النفوس، أي: كما تكرهون هذا طبعًا فاكرهوه شرعًا، فإن عقوبته أشد من هذا.

٤- **التعاون على البر والتقوى:**

ومن حقوق الأخوة الإيمانية والإسلامية: التعاون بين المسلمين على البر والتقوى، والتعاون على تحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[2].

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٢.

وقال النبي ﷺ: «**مثل المسلمين في توادهم، وتعاطفهم، وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(١).

فالمسلم يفرح لفرح أخيه المسلم، ويسره ما يسره، ويتألم لألم أخيه.

٥- التناصح:

ومن حقوق الأخوة الإيمانية والإسلامية: التناصح بين المسلمين، والتآمر بالمعروف، والتناهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾(٢). وقال ﷻ: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾(٣).

وقال النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**» ثلاث مرات، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**»(٤).

٦- محبة الخير للمؤمنين:

ومن حقوق الأخوة الإسلامية والإيمانية: أن يحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه. كما قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٠، رقم ١٨٤٠٤)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٦).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٣) سورة التوبة: الآية ٧١.

(٤) خرجه أحمد (٤/ ١٠٢، رقم ١٦٩٨٢)، ومسلم (١/ ٧٤، رقم ٥٥).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ١٤، رقم ١٣)، ومسلم (١/ ٦٧، رقم ٤٥).

والمراد المحبة الدينية لا المحبة البشرية، فإن بعض النفوس البشرية قد تحب الشر.

فالواجب على المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب من الخير والنفع لنفسه، ومن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه كان حسودًا، والحسد مذمومٌ.

٧- عدم الغش والخديعة:

ومن حقوق الأخوة في الإيمان والإسلام: عدم الغش والخديعة للمسلمين قال ﷺ: «**من غشنا فليس منا**»(١). وفي رواية زيادة: «**من غشنا فليس منا والمكر والخديعة في النار**»(٢). ومن ذلك الغش في البيع والشراء. فإن كثيرًا من الناس اليوم اتخذوا البيعَ والشراءَ وسيلة احتيال يحتالون بهما للاستيلاء على أموال الناس بالكذب والخداع والغش.

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما وفي لفظ رزقا بركة في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**»(٣).

وعن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده رضي الله عنهما: أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى المصلى، فرأى الناس يتبايعون فقال: «**يا معشر التجار**»، فاستجابوا لرسول الله، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه. فقال: «**إن التجار**

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٩٩، رقم ١٠١).

(٢) أخرجه الطبراني (١٠/ ١٣٨ رقم ١٠٢٣٤) قال الهيثمي (٤/ ٧٩): رجاله ثقات.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٧٣٢، رقم ١٩٧٣)، ومسلم (٣/ ١١٦٤، رقم ١٥٣٢).

يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق»(١).

وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**»، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقلت: خابوا وخسروا يا رسول الله، ومن هم؟ قال: «**المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»(٢).

٨- احترام حقوقهم التي سبقوا إليها:

فلا يبع بعضهم على بيع بعض، بأن يقول لمن اشترى سلعة بثمن: أنا أعطيك مثلها أو أحسن منها بأقل من ذلك الثمن. ولا يسُم بعضهم على سوم بعض، وذلك إذا سام سلعة وأراد صاحبها أن يبيع عليه جاء آخر وقال له: لا تبع، أنا أزيد في السّوم.

ولا يخطب على خطبة أخيه، وذلك إذا خطب امرأة رضيت به جاء آخر يخطبها، فقد نهى النبي ﷺ عن هذه الأشياء كلها فقال ﷺ: « **ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك**»(٣).

(١) أخرجه الدارمي (٢/ ٣٢٢ ، رقم ٢٥٣٨) ، والترمذي (٣/ ٥١٥ رقم ١٢١٠) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (٢/ ٧٢٦ ، رقم ٢١٤٦) ، وابن حبان (١١/ ٢٧٦ ، رقم ٤٩١٠) ، والطبراني (٥/ ٤٤ ، رقم ٤٥٤٢) ، والحاكم (٢/ ٨ ، رقم ٢١٤٤) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (٥/ ٢٦٦ ، رقم ١٠١٩٤) .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٠٢ ، رقم ١٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٧٦ ، رقم ٤٨٤٩) ، ومسلم (٤/ ١٩٨٥ ، رقم ٢٥٦٣).

وقال ﷺ: «**لا يزيد الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبته**»(١).
وقال ﷺ: « **لا يسم المسلم على سوم المسلم**»(٢).

ومما نهى عنه الرسول ﷺ: التناجش بين المسلمين، وهو أن يزيد في السلعة المعروضة للبيع من لا يريد شراءها، وإنما يريد رفع قيمتها على المشتري، قال : « **لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض**»(٣).

والتدابر: أن يعرض عن الإنسان ويهجره، ويجعله كالشيء الذي وراء الظهر والدبر.

مفسدات الأخوة :

كيف يطيب لعاقل أن يقطع أواصر الأخوة ليعيش حياة الهموم والغموم، بعيدًا عن فضائل الأخوة في الله ونتائجها العظيمة، هناك مفاسد كثيرة نذكر منها:

١- الطمع فيما أيدي الإخوان:

الطمع في الدنيا بما في أيدي إخوانك، قال ﷺ: « **ازهدْ فى الدنيا يحبَّك اللهُ وازهدْ فيما في أيدي الناسِ يحبَّك الناسُ**»(٤). ولا شك أن الذي يتطلع لما في

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ١٢٣ ، رقم ٩١٢) .

(٢) أخرجه البيهقي (٥/ ٣٤٥ ، رقم ١٠٦٧٨) .

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٧٧ ، رقم ٧٧١٣) ، ومسلم (٤/ ١٩٨٦ ، رقم ٢٥٦٤) .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٧٣ ، رقم ٤١٠٢) . قال البوصيري (٤/ ٢١٠) : هذا إسناد

يدك لا تحبه، والذي يشعرك بالزهد في ما بين يديك تكنه وتجله، وتجعل له تقديرًا لائقًا به، لذلك لا ينبغي للعاقل أن يتطلع لما في أيدي الناس.

والله سبحانه وتعالى امتدح الأنصار بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

نزلت في أنصاريٍّ، قصته أنّ النبي ﷺ أتاه رجل يعاني من اللأواء وضيق العيش، ويطلب ولو طعامًا يسد جوعته، فاستنفر ﷺ الأنصار مَن يؤويه، فانبري أحد الأنصار رضي الله عنه وكان فقيرًا، فأتي به إلى أهله، وطلب منهم أن يصنعوا طعامًا لضيفه، الذي دفعه إليه النبي ﷺ، فالمرأة تقول: البيت ليس فيه إلا طعام الصبية، طعام الصبية فقط لهذه الليلة، فقال: اطبخوه وكان قليلًا، وأشغل الأطفال حتى ناموا ولم يتعشوا، وبدأ الضيف يأكل والطعام قليل، وأطفأ النور ليأكل الضيف ليشعر الضيف بأنه يأكل معه، فاستحق بهذا الصنيع أن ينزل فيه قرآن (٢).

ضعيف . والطبراني (٦/ ١٩٣ ، رقم ٥٩٧٢) ، والحاكم (٤/ ٣٤٨ ، رقم ٧٨٧٣) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٤٤ ، رقم ١٠٥٢٢) وقال : خالد بن عمرو هذا ضعيف . وأخرجه أيضًا : القضاعي (١/ ٣٧٣ ، رقم ٦٤٣) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٨٠٨ ، رقم ١٣٥٢) ، وأورده ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ١٠٧ ، رقم ١٨١٥) ، وقال : قال أبي : حديث باطل يعني بهذا الإسناد . قال المنذري (٤/ ٧٤) : رواه ابن ماجه ، وقد حسن بعض مشايخنا إسناده

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

(٢) الحديث أخرجه مسلم (٣/ ١٦٢٤ ، رقم ٢٠٥٤).

٢- المعاصي:

ومن الأمور التي تقدح في الأخوة وتبعثر الأصدقاء: المعاصي وتضييع الطاعات والقربات، والتنافس في المعاصي عياذًا بالله، فإذا خلَتْ ساعة الصحبة من الذكر والعبادة، أو التناصح والتذكير والتعليم فإن الجفاف ينزل في هذه الصحبة والعلاقة بسبب قسوة القلب والملل؛ حيث ينفتح باب الشر، بل أبواب الشر، فينشغل كل واحد بأخيه، وصدق رسول الله ﷺ عندما قال: **«ما توادَّ اثنان في الإسلام فيفرق بينهما إلا من ذنب يحدثه أحدهما»**[١].

فالذنوب تمحق الشركات، كما سبق في قوله ﷺ: **«فإن صدقا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»**[٢]. والشريكان في بركة إذا صدقا، وإذا تسربت المعاصي والنيات تبعثرت الأوراق، وهكذا العلائق والإخوة.

لذلك قال ابن القيم رحمه الله: «من آثار المعصية وحشة يجدها العاصي مع إخوانه»[٣].

ولذلك تجد المنتكسين الذين بدأوا في مسلسل الضعف يتحاشون لقاء الإخوان، لأنه لما قطع الصلة بالله سبحانه وتعالى انقطعت الصلة مع أحبته في الله سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٤٥، رقم ٤٠١)، وابن المبارك في الزهد (١/ ٢٥٠، رقم ٧١٩)، وإسحاق بن راهويه (١/ ٤٠٦، رقم ٤٥٣)، قال العجلوني (٢/ ٣٩٨) رواه هناد بن السري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الجواب الكافي (١/ ٣٥).

٣- عدم التزام أدب الأخوة:

كذلك من مفسدات الأخوة عدم التزام الآداب الشرعية في الحديث، فقد ترك لنا النبيُّ ﷺ منهجًا رائعًا راقيًا يبني علاقاتنا ويزكي نفوسنا، ويهذب مشاعرنا ويصفي علاقاتنا، من ذلك اختيار أطايب الكلام في محادثة الإخوان، قال ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[1]. فإذا ألقى المرء كلمة ولم يقصد بها شرًّا، لكن تحتمل معاني، هذه فرصة الشيطان، يقصدك، تنقصك، يرمي إلى كذا، هل يقصد كذا؟

لذلك وجب على المتحابين أن ينتقوا أطايب الكلام، كما ينتقون أطايب الطعام، قال النبي ﷺ: «**الكلمة الطيبة صدقة**»[2]. وقال ﷻ موجهًا إلى خفض الصوت مع الإخوان: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[3].

تكلم بالكلمة التي تسمع أخيك، أما أن تتطاول بالكلام وترفع صوتك فأنت تقطع علاقاتك من حيث تشعر أو لا تشعر.

وقد وصف عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما النبي ﷺ بقوله: «**لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا**»[4]. لم يكن فاحشًا: يعني لم يكن قبيحًا في قوله أو

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٣.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩٠، رقم ٢٨٢٧)، ومسلم (٢/ ٦٩٩، رقم ١٠٠٩).

(٣) سورة لقمان: الآية ١٩.

(٤) أخرجه الطيالسي (ص ٢١٤، رقم ١٥٢٠)، وأحمد (٦/ ٢٣٦، رقم ٢٦٠٣٢)، وابن

فعله؛ ولا متفحشًا: أي ولا يتعمد ذلك، فكانت سجيته ﷺ الكلام الطيب.

٤- **المبالغة في المزاح:**

كذلك من مفسدات الأخوة - مما يتعلق بالأدب - المبالغة في المزاح إلى حد الجرأة، خاصة مع أهل الفضل، لذلك قالوا: «كثرة المزاح تجرأ السفهاء وتسقط الهيبة»[(١)]. ولم يكن النبي ﷺ بهذا الشكل، كان مزحه خفيفًا ومدروسًا ملائمًا، وكثير من الناس تقطعت علاقاتهم بسبب مزحة ثقيلة، أو تعليقة سخيفة، أليس كذلك؟

٥- **الجدل والمراء:**

وقد تنقطع العلاقة المتينة الضاربة في الزمن بسبب جدال عقيم، داخلته حظوظ النفس، وبتغريرٍ من الشيطان يدافع عن عقيدته ووطنه، وهو في الحقيقة يدافع عن ذاته وكبريائه، بسبب بروز طبائع العناد والمكابرة؛ فلا يبقى معها مكان للأخوة، ولا تقدير للعِشرة، يضرب بالعشرة والمودة لما تصل إلى ملامسة ذاته وكبريائه؛ بسبب أنه لم ينصهر بعد في بوتقة الإيمان، وفي بحبوحة العقيدة.

وصدق رسول الله ﷺ، إذ يقول: «**أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِم**»[(٢)]. كثير الخصومة، افتعال المعارك الكلامية، وحب الجدال والمناظرة وإظهار الرأي، هذا أبغض الناس إلى الله.

عساكر (٣/ ٣٨٠).

(١) مجمع الأمثال (١ / ٢٢٠)، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني (٢/ ٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٧، رقم ٢٣٢٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٤، رقم ٢٦٦٨).

وقال ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل**»(١). إذن من علامات الخذلان وضياع الهداية أن يؤتى الإنسان الجدل، ولذلك وعد النبي ﷺ من ترك الجدال ولو كان محقا بقوله ﷺ: « **أنا زعيم ببيت في ربض الجنة وببيت فى أعلاها وببيت فى أسفلها لمن ترك الجدال وهو محق وترك الكذب وهو لاعب وحسن خلقه للناس**»(٢).

أما الجدال بالتي هي أحسن لبيان الحق للجاهل والمبتدع لا بأس به، لكن إذا خرج الجدال عن إطاره المشروع، وبدأت حظوظ النفس تتسلل وظهر لك أن الخصم جدلي مقيت لا يريد حقًّا، إنما يريد مشاغبة فانسحب بلطف وبطريقة جميلة تدل على حكمة، قال ﷻ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾(٣).

٦- **النجوى:**

كذلك من مفسدات الأخوة: النجوى، وهي من الأشياء البسيطة في ظاهرها، لكن لها معانٍ عميقةٌ لمن يفكرون في بناء العلاقات الصحيحة المؤسسة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢ ، رقم ٢٢٢١٨) ، والترمذي (٥/ ٣٧٨ ، رقم ٣٢٥٣) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (١/ ١٩ ، رقم ٤٨) ، والطبراني (٨/ ٢٧٧ ، رقم ٨٠٦٧) ، والحاكم (٢/ ٤٨٦ ، رقم ٣٦٧٤) وقال : صحيح الإسناد .

(٢) أخرجه الطبراني (١١/ ١٣٩ ، رقم ١١٢٩٠) . قال الهيثمي (٨/ ٢٣) : فيه أبو حاتم سويد بن إبراهيم ضعفه الجمهور ووثقه ابن معين وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[١].

ما معنى النجوى؟

يفصلها النبي في الحديث الثابت في الصحيحين، يقول: « **إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجى رجلانِ دونَ الآخرِ حتى تختلطوا بالناسِ فإنَّ ذلك يُحْزِنُه**»[٢]. قال العلماء: إن الشيطان يوسوس له ويقول له: إنهم يتكلمون فيك، ويستهدفونك في كلامهم، فاشترط العلماء كما أشار ابن كثير رحمه الله إلى طلب الإذن قبل المناجاة إن كان هناك حاجة، وليس طلبه الإذن كعادة بعض الناس يأخذه بيده ويقول: عن إذنك، لا، لا بد أن تطيب نفسه قبل الشروع في الابتعاد.

٧- **كثرة المعاتبة، وعدم التسامح:**

لذلك قالوا: السيد هو من يتغافل وليس المغفل، الذي يتغافل ويتجاهل العثرات ويسكت عن الزلات هو السيد والمربي، وهو الذي يشعر بقدر الأخوة.

هذا على افتراض أنها هفوات وزلات، وليست أخطاء متكررة توجب النصيحة، وربما الصدود المؤقت حتى يستشعر المخطئ أنه أخطأ، لذلك وجه النبي ﷺ النساء لكثرة الصدقة؛ لأنه رآهن أكثر أهل النار، ما السر؟ «**يكفرن**

(١) سورة المجادلة: الآية ١٠.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣١٩، رقم ٥٩٣٢)، ومسلم (٤/ ١٧١٨، رقم ٢١٨٤).

العشير»[١]. بمجرد زلة وغلطة تنقلب الحسنات إلى سيئات وتنسى تلك المناقب العظيمات.

فالمؤمن يعدل وينصف ويعطي كل ذي حق حقه وينسى الزلات، لذلك قال الله ﷻ: ﴿ **فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ** ﴾[٢]. قال علي في تفسير هذه الآية: «الرضا بغير عتاب»[٣]. لو أخطأ في حقه يرضى ولا يعاتب، يبلعها ويهضمها ويدخلها في نسيج خبراته.

وقال الفضيل رحمه الله: «الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان؛ لأن كثرة المعاتبة تقطع حبال المودة»[٤].

٨- الخلط بين الحب في الله والإعجاب الشخصي:

فإن الإعجاب الشخصي ضرب بجرانه في واقع فتياتنا وشبابنا، بسبب إعجابهم بالكافرين والفاسقين، فأصبح عندهم خلط، فمن أصبحت نفسه تميل إليه بهندامه وشكله ونكاته أصبح يظهر شيئًا من الحب بدعوى الحب في الله، وقديمًا قال الشاعر:

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٩ ، رقم ٢٩) . ومسلم (٢/ ٦٢٦ ، رقم ٩٠٧) .

(٢) سورة الحجر: الآية ٨٥.

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (٣ / ١٧٠)، وإحياء علوم الدين (٤/ ١٥٢)، والدر المنثور (٥ / ٩٤)، و كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (٢ / ١٨٩).

(٤) تفسير السلمي وهو حقائق التفسير (١ / ٤٠٤)، والرسالة القشيرية (١ / ٢٦١)، وتاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل (٤٨/ ٤٣٠)، ومدارج السالكين (٢ / ٣٤١)، وآداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة (١/ ١).

لا تـركنن إلى ذي منظـر حـسن ... فـربَّ رائعـة قـد سـاء مخبرهـا
مـا كـل أصـفر دينـارٌ لـصفرته ... صفر العقارب أرداها وأنكرها[١]

إذن ليست القضية قضية منظر، بل القضية هي المخبر، وقد وجد في واقعنا إعجاب، إعجاب بعض الطالبات بالمعلمات، إعجاب بشكلها، بقصتها، بآخر التقليعات التي تقلد بها أحفاد القردة والخنازير، فأصبحت تتقمص هذه الشخصية، بسبب غياب مفهوم الحب في الله المبني على الإيمان والصدق في ذلك.

لذلك حدد النبي ﷺ في أسباب التمتع بالإيمان -كما سبق-: «**وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**»[٢]. لله وفي الله، حبه لدينه لخلقه وقربه من الله.

٩- الإصغاء للنمامين والحاسدين والحاقدين:

الله ﷻ وضع لنا دستورًا لضبط علاقاتنا، واستقبال الأخبار والوشايا، فقال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ**﴾[٣]. نزلت هذه الآية في صدر الإسلام في وجود صحابة النبي الكرام -رضي الله عنهم وأرضاهم-، إذن نحن أحرى أن نأخذ بهذا المنهج، نحن أحوج أن نغربل الأخبار، وأن ندرس مصادرها، وأن نتأكد من منابعها، حتى لا نصيب قومًا بجهالة فنظلم أنفسنا، ونظلم إخواننا، خاصة في

(١) أدب الدنيا والدين (١ / ٢٠٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة الحجرات: الآية ٦.

هذا الوقت الذي ضعف فيه الإيمان، ورق الدين، وتعددت المصالح، فوجب المصير إلى هذا المنهج بشكل أظهر وأكبر.

١٠- إذاعة السر:

قال ﷺ: « **إذا حَدَّثَ الرجلُ الحديثَ ثم التفت فهي أمانةٌ**»[(١)]، إذا حدثك أخاك بحديث فهو أمانة. وتصور نفسك تحدث أخًا لك بخصوصياتك، وتبث له مشاكلك لعلك تجد منه رأيًا سديدًا، ولعلك تجد منه شعورًا بمشكلتك، فتُفاجأ بأن هذه الخصوصيات والدقائق قد سارت بها الركبان، وانتقلت هذه المشكلة إلى الآفاق بسبب عدم حفظ السر.

إن أهل المروءة فضلًا عن الديانة لا ينشرون الأسرار، ولو بدون وصية، لأنهم يعلمون أهمية الخبر، فيدفنونه في أغوار نفوسهم.

١١- اتباع الظن:

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[(٢)]، وقال ﷺ: «**إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث**»[(٣)].

والظن هو أن يُحَمِّل التصرف ما لا يتحمل، وأن يطير بالكلام فيحمله ما

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ٢٤٢، رقم ١٧٦١)، وأحمد (٣/ ٣٧٩، رقم ١٥١٠٤)، وأبو داود (٤/ ٢٦٧، رقم ٤٨٦٨)، والترمذي (٤/ ٣٤١، رقم ١٩٥٩) وقال: حسن. وأبو يعلى (٤/ ١٤٨، رقم ٢٢١٢) والبيهقي (١٠/ ٢٤٧، رقم ٢٠٩٥٠). والطبراني في الأوسط (٣/ ٥٦، رقم ٢٤٥٨).

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٧٦، رقم ٤٨٤٩)، ومسلم (٤/ ١٩٨٥، رقم ٢٥٦٣).

لا يحتمله، بسبب ضعف نفسه وحقده وحسده، لا يبحث عن المحامد الطيبة.

وقال جعفر بن محمد: «إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره فالتمس له عذرا واحدا إلى سبعين عذرا فإن أصبته وإلا قل لعل له عذرا لا أعرفه»[(١)].

ولو لم تجد واحدًا من السبعين، فصارحه، وقل: سمعت كذا، رأيت كذا، لعلك تقصد شيئًا لا أدري عنه، عامل أخاك بالمكاشفة والمصارحة، بدلًا من ملء القلوب بمخزون الحقد والحسد والرواسب.

١٢- التدخل في الخصوصيات:

وإقحام النفس في ميادين لا علاقة له بها، مما يسميه الناس في هذا الزمن التطفل والفضولية، وقد وضع لنا النبي ﷺ معلمًا آخر من معالم حفظ الإخوان، فقال: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[(٢)].

فعندما يسألك شخص عن أحوالك المادية، راتبك، رصيدك، ممتلكاتك، تطلعاتك، تصرفاتك الخصوصية الخاصة بك، هل تحبه؟ أم تشعر بأنه ضيف ثقيل، وأنه متطفل أيما تطفل، فيسقط من عينيك؟

١٣- عدم الشعور بمشاكلهم والوقوف معهم في ظروفهم:

قد يحتاج أخوك دَيْنًا، أو مساعدة، أو شفاعة، وأبخل الناس من يبخل

---

(١) شعب الإيمان (٦/ ٣٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٥٨ رقم ٢٣١٧) وقال: غريب. وابن ماجه (٢/ ١٣١٥، رقم ٣٩٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٥٥، رقم ٤٩٨٧)، وابن حبان (١/ ٤٦٦، رقم ٢٢٩)، وابن عساكر (٤١/ ٤٢٦)، وأخرجه أحمد (١/ ٢٠١، رقم ١٧٣٧)، والطبراني (٣/ ١٢٨، رقم ٢٨٨٦) قال الهيثمي (٨/ ١٨): رجالهما ثقات.

بجاهه، ولكن البخل والشح فنون ودروب وعلوم، قال ﷺ: **«من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»**(١).

وقال ﷺ: **«أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربًا أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهرًا»**(٢). في مسجده ﷺ، الصلاة تعدل ألف صلاة مما سواه، ومن يمشي في حاجة أخيه خير من أن يعتكف شهرًا في هذا المسجد.

وقد أخبر النبي ﷺ عن رجل ممن كانوا قبلنا، فقال: **«إن رجلا ممن كان قبلكم أتاه ملك الموت ليقبض نفسه فقال له هل عملت من خير قال ما أعلم قال له انظر قال ما أعلم شيئا غير أني كنت أبايع الناس وأجازيهم فأنظر المعسر وأتجاوز عن الموسر فأدخله الله الجنة»**(٣).

من الوسائل المعينة على زيادة المحبة والأخوة:

من الأمور التي يحسن أن نقف عندها أن لا نفرِّط في زيادة رصيد المحبة والإخاء، وأن نكون فعلًا إخوانًا متحابين، يُرى حبُّنا في الله من خلال تعاملنا وتصرفاتنا، هناك أمورٌ كثيرةٌ شرعها لنا نبيُّنا ﷺ تزيد من حبنا في الله، ومما يعين

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج (ص ٤٧ ، رقم ٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧٢ ، رقم ٣٢٦٦) ، ومسلم (٣/ ١١٩٥ ، رقم ١٥٦٠).

على زيادة المحبة والأخوة فيما بيننا، ما يلي:

١- اختيار الأخ الصالح:

فإنه لابد لك في هذه الحياة من أخ تبثه شكواك، ويعينك على بلواك، فاختره أخًا لك من أهل الدين والعلم والصدق والمروءة، من مثل الذين عناهم الشاعر الحكيم بقوله:

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

فإذا ظفرت بمثل هذا الأخ فحافظ عليه حفاظك على الثمين العزيز، واحذر أن يفلت منك، فقد قيل: «أعجز الناس من فرط في طلب الإخوان الأوفياء الأخلاء، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم»، والرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال.

٢- أخبر أخاك بحبك له:

ومن المعاني الجميلة التي تزيد الحب، أن تخبر أخاك بأنك تحبه في الله، يقول النبي ﷺ: « **إذا أحب أحدُكم صاحبَه فليأتِهِ في منزِلِهِ فَلْيُخْبِرْهُ أنه يحبُّه لله**»(١)، ليقل له: أحبك في الله، وليقل الآخر: أحبك الله الذي أحببتنا فيه، ولَيتنا نطبق هذا الأمر ونحييه في حياتنا، لماذا تجعل هذا الشعور مدفونًا، لماذا لا تقوله لأخيك كما قال النبي ﷺ؟! أخبره أنك تحبه في الله.

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٤٥ رقم ٢١٣٣٢) وقال الهيثمي (١٠/ ٢٨١) : إسناده حسن . وابن المبارك (١/ ٢٤٧ رقم ٧١٢) .

٢- الهدية:

كذلك من موجبات الأخوة الهدية، وليست الهدية عبارةً عن مكافأة وعادة كما يصنع الناس الآن، بل الهدية في قيمتها المعنوية، ولو بسواك، أشعره بأنك تحبه، قال ﷺ: «**تهادوا تحابوا**»[١]، كلمتان، يقولها النبي ﷺ.

٣- الشكر للناس:

فالشكر للناس والاعتراف بالفضل لهم والمعروف من مقومات الأخوة، ومن تعزيزاتها، يقول النبي ﷺ: «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**»[٢].

وقال ﷺ: «**من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء**»[٣]. كل ذلك يزيد معدل الحب في الله.

٤- الثناء والمدح في وجهه:

إذا لم يخشَ عليه مفسدة، فقد قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس رضي الله عنه: «**يا**

---

(١) أخرجه البيهقي (٦/ ١٦٩، رقم ١١٧٢٦). وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٠٨، رقم ٥٩٤)، وأبو يعلى (١١/ ٩، رقم ٦١٤٨) وابن عدي (٤/ ١٠٤، ترجمة ٩٥٣ ضمام بن إسماعيل مصري).

(٢) خرجه أحمد (٣/ ٣٢، رقم ١١٢٩٨)، والترمذي (٤/ ٣٣٩، رقم ١٩٥٥) وقال: حسن صحيح. وأبو يعلى (٢/ ٣٦٥، رقم ١١٢٢)، والطبراني (٢/ ٣٥٦، رقم ٢٥٠١). قال الهيثمي (٨/ ١٨١): رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٨٠، رقم ٢٠٣٥) وقال: حسن جيد غريب. والنسائي في الكبرى (٦/ ٥٣، رقم ١٠٠٠٨)، وابن حبان (٨/ ٢٠٢، رقم ٣٤١٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٢٢، رقم ٩١٣٨)، والضياء (٤/ ١١٠، رقم ١٣٢٢). وأخرجه أيضًا: البزار (٧/ ٥٤، رقم ٢٦٠١).

أشج إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والتؤدة»(١).

وقال في محضر من الصحابة رضي الله عنهم: «**أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكرٍ وأشدُّهم في أمرِ الله عمرُ وأصدقُهم حياءً عثمانُ وأقرؤُهم لكتابِ الله أبيُّ بنُ كعبٍ وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ ولكلِّ أمةٍ أمينٌ وأمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدةَ بنُ الجراح**»(٢). فذكر ﷺ مناقب وفضائل هؤلاء الصحب الأجلاء، لأنه يعلم بأنهم ليسوا ممن يتأثرون بمثل هذا، وإنما يحمدون الله سبحانه وتعالى، وهذه عاجل بشرى المؤمن كما قال ﷺ.

٥- التبسم:

والتبسم شعور نبيل، يدل على صلاح القلب، وهو التبسم النابع من القلب، وليس تبسم التماسيح، تبسم المنافقين، تلك الابتسامات الصفراء، الابتسامات العريضة التي تشعر بالحقد، قال ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٠١ ، رقم ٤١٨٧) . قال البوصيرى (٤/ ٢٣٢) : هذا إسناد ضعيف . والبخاري في خلق أفعال العباد (ص ٥٩) .

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٢٨١ ، رقم ٢٠٩٦) ، وأحمد (٣/ ٢٨١ ، رقم ١٤٠٢٢) ، والترمذي (٥/ ٦٦٥ ، رقم ٣٧٩١) وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (٥/ ٦٧ ، رقم ٨٢٤٢) ، وابن ماجه (١/ ٥٥ ، رقم ١٥٤) ، وابن حبان (١٦/ ٨٥ ، رقم ٧١٣٧) ، والحاكم (٣/ ٤٧٧ ، رقم ٥٧٨٤) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين . وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٢٢) ، والبيهقي (٦/ ٢١٠ ، رقم ١١٩٦٦) ، والضياء (٦/ ٢٢٥ ، رقم ٢٢٤٠) .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٣٠٧ ، رقم ٨٩١) ، والترمذي (٤/ ٣٣٩ ، رقم

فالتبسم عمل تؤجر عليه، لما لها من إبهاج لأخيك وتودد له، تشرح صدره وتشعره بمخزون الحب.

٦- **السلام:**

وقد تعود الكثير من الأبناء والبنات ترك السلام، يمر في السوق ولا يسلم بسبب هجمة المسلسلات التي لا تقيم للقضايا الكبار فضلًا عن هذه القضايا أي قيمة. بينما النبي ﷺ يقول: «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(١).

أفشوا السلام، السلام عليكم، عليكم السلام، في السوق، في الشارع، في السيارة، في أي مكان، أفشوا السلام بينكم فإنه رسالة إلى القلوب.

٧- **الدعاء بظهر الغيب:**

وذلك كرامة للداعي والمدعو له، فالدعاء بظهر الغيب من أظهر علامات الحب في الله، الدعاء بحضور المدعو له طيب لا بأس به، لكن قد يخالطه نوع رياء، لكن لما تدعو لأخيك وأنت في سجودك وأخوك لا يدري، وتدعو له في سجودك بالثبات والتسديد والتوفيق، أي حب أجل من هذا؟! لا يدري عنك إلا الله، من كان هذا حاله، فاسمع الجائزة والبشرى له، يقول ﷺ: «**إذا دعا الرجلُ لأخيه بظهرِ الغيبِ قالت الملائكةُ ولك بمثلِهِ**»(٢).

١٩٥٦) وقال: حسن غريب. وابن حبان (٢/ ٢٨٧، رقم ٥٢٩)، والبزار (٩/ ٤٥٧، رقم ٤٠٧٠) ومحمد بن نصر (٢/ ٨١٧، رقم ٨١٣).

(١) أخرجه مسلم (١/ ٧٤، رقم ٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٩٤، رقم ٢٧٣٢).

وفي رواية: «**دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك آمين ولك مثل ذلك**»(١).

٨- **الذب عن عرضه في غيبته:**

يأتي شخص فاسق، شخص متسرع، شخص حقود، شخص حسود، يبث الأراجيف والشكوك والأوهام، وأنت تسمع لأخيك غيبة وكلامًا وأنت بارد الشعور متبلد، لا، بل تذب عن عرضه، دافع، وأسكت هذا الحامل للوشاية والنميمة باللطف والحسنى، وإن بالغ فاطلب منه الدليل والبينة حتى لا ينخدع بكلامه الرعاع والجهال، فيظنون بأفاضل الأمة سوءًا، وما أكثر الهجمات على الصالحين في هذا الزمان، فنحن في حاجة إلى أن نذب عن رجال الحسبة ورجال الدعوة حتى تبقى صورتهم بيضاء، تتعلق بها القلوب؛ فتكون سبيلًا للاهتداء بها، ومن ثم إن شاء الله تكون الأمة في خير عميم.



(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٥، رقم ٢١٧٥٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٩٤، رقم ٢٧٣٣).

آداب الصلاة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن الصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وهي الفارق بين الكفر والإيمان، وهي العهد بين الله والمؤمنين، كرمها الله ﷻ ففرضها في السماء ليلة الإسراء والمعراج، وهي الفرض الذي لا ينفك عنه مؤمن مهما كان حاله من سفر أو مرض أو خوف، وهي أول الفروض بعد الشهادتين، لذا فهي أحق من غيرها بالاهتمام والعناية، ومن ثم كان هذا المبحث.

تعريف الصلاة:

الصلاة في اللغة:

الدعاء قال الله ﷻ: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ﴾[(١)] أي ادع لهم وفي الحديث قوله ﷺ: «**إذا دعي أحدكم فليجب، فإن كان صائمًا فليصلّ، وإذا كان مفطرًا فليطعم**»[(٢)]، ومعنى: «**فليصلّ**» أي فليدع لأهل الطعام.

أما معنى الصلاة في قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾[(٣)]،

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٥٤، رقم ١٤٣١).

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٣.

فالصلاة من الله تعالى علينا هي الرحمة ومن الملائكة الاستغفار والدعاء.

ومنه قوله ﷺ: «**ما من عبد يصلي عليَّ إلا صلت عليه الملائكة**»(١) أي دعت، وقد تأتي الصلاة بمعنى الثناء كما في قوله ﷻ: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ** ﴾(٢) أي ثناء حسن من الله تعالى عليهم(٣).

تعريفها في الاصطلاح:

عرفها جمهور الفقهاء بقولهم: «أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم مع النية بشرائط مخصوصة»(٤).

وقيل: «عبادة ذات أقوال أو تقول التعبد لله ﷻ بأقوال وأفعال معلومة حتى يتبين أنها من العبادات»(٥).

مكانة الصلاة في الإسلام:

الصلاة صورة من الصور التي يقوم بها الإنسان لعبادة خالقه فهي صلة بين العبد وربه ومنزلتها من الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد قال ﷺ: «**رأس**

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ١٥٦ ، رقم ١١٤٢) ، وأحمد (٣/ ٤٤٥ ، رقم ١٥٧١٨) ، وعبد ابن حميد (ص ١٣٠ ، رقم ٣١٧) ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٨٠) ، والضياء (٨/ ١٨٩ ، رقم ٢١٦) وقال : إسناده حسن . وأبو يعلى (١٣/ ١٥٤ ، رقم ٧١٩٦).

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٧.

(٣) تاج العروس للزبيدي (١٩/ ٦٠٦، ٦٠٧).

(٤) انظر في ذلك فتح القدير (١/ ١٩١)، مواهب الجليل (١/ ٣٧٧)، مغني المحتاج (١/ ١٢٠)، كشاف القناع (١/ ٢٢١).

(٥) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٢/ ٥).

الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد»[١].

أما من حيث الأركان التي يقوم بها الإسلام فهي تمثل الركن الثاني بعد الشهادتين قال ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان»[٢].

فتقدم الصلاة على جميع الأركان بعد الشهادتين لمكانتها وعظيم شأنها فهي أول عبادة فرضها الله ﷻ على عباده في مكة وأول عبادة تكتمل في المدينة المنورة، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر»[٣].

ماذا يتحقق بالصلاة:

الصلاة من أجلِّ العبادات، بها يتحقق دوام ذكر الله ودوام الاتصال به، وتمثل تمام الطاعة والاستسلام لله والتجرد له وحده لا شريك له، وتربي النفس وتهذب الأخلاق وتنير القلب بما تغرس فيه من جلال الله وعظمته، فهي عمل من صميم الدين، بها يقف المرء بين يدي ربه في خشوع وخضوع مستشعرًا

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ٧٦ ، رقم ٥٦٠) ، وأحمد (٥/ ٢٣١ ، رقم ٢٢٠٦٩) ، والترمذي (٥/ ١١ ، رقم ٢٦١٦) ، وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (٢/ ١٣١٤ ، رقم ٣٩٧٣)، والحاكم (٢/ ٤٤٧ ، رقم ٣٥٤٨) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٣ ، رقم ٤٢٢٥) ، والطبراني (٢٠/ ١٤٣ ، رقم ٢٩٢) .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٢ ، رقم ٨) ، ومسلم (١/ ٤٥ ، رقم ١٦).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٤٧٨، رقم ٦٨٥).

بقلبه عظمة المعبود مع الحب والخوف من جلال وجمال المعبود طامعًا فيما عند الله، وراغبًا في كشف الضر.

فضائل الصلاة:

عن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرَاً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرنه شَيْءٌ ؟**» قالوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرنِهِ شَيْءٌ ، قَالَ : «**فَذلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا**»[1].

وعن جابرٍ ﷺ، قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يوم خَمْسَ مَرَّاتٍ**»[2].

وعن ابن مسعود ﷺ: أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِن امْرَأَةٍ قُبْلَةً ، فَأتَى النبيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[3]، فَقَالَ الرَّجُلُ أَلِيَ هَذَا ؟ قَالَ : «**لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ**»[4].

وعن أَبي هريرة ﷺ: أَنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ : «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ ، مَا لَمْ تُغشَ الكَبَائِرُ**»[5].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٩٧، رقم ٥٠٥)، ومسلم (١/ ٤٦٢، رقم ٦٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٤٦٣، رقم ٦٦٨).

(٣) سورة هود: الآية ١١٤.

(٤) أخرجه البُخاري(١/ ١٤٠، رقم ٥٢٦)، ومسلم (٨/ ١٠١، رقم ٧١٠١).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٩، رقم ٢٣٣).

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قَالَ : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول : « **مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءها ؛ وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا ، إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوب مَا لَمْ تُؤتَ كَبِيرةٌ ، وَذلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**»[(١)].

الأصل في فرضية الصلوات الخمس :

دلت الأدلة المستفيضة من الكتاب والسنة على فرضية الصلوات الخمس وانعقد الإجماع على ذلك.

أولاً : أدلة الكتاب:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[(٢)] وقد كررها الله تعالى في غير موضع في كتابه وقال أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[(٣)].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[(٤)].

والآيات التي جاءت في الأمر بها كثيرة معروفة.

ثانيًا : الدليل من السنة:

جاءت أحاديث كثيرة منها: حديث «**بني الإسلام على خمس...**»[(٥)] ، وحديث:

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٦ ، رقم ٢٢٨).

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٣) سورة النساء: الآية ١٠٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.

(٥) سبق تخريجه.

«**رأس الأمر الإسلام**»[(١)]، ومن ذلك أيضًا حديث أبو أمامة ﵁ بأن النبي ﷺ قال في حجة الوداع: «**اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وحجوا بيتكم وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم تدخلوا جنة ربكم**»[(٢)].

ثالثًا: الإجماع:

انعقد الإجماع على فرضية الصلوات الخمس وتكفير من أنكرها[(٣)]، واستُثني من ذلك من كان حديث عهد بكفر وجحد وجوبها فإنه لا يكفر لكن يبين له الحق فإن أعرض عن قبول الحق وأصر على جحودها كفر.

شروط صحة الصلاة:

المراد بشروط صحة الصلاة ما لا تصح الصلاة بدونها، بحيث إذا فُقد شرط من دون عذر لم تصح الصلاة وتكون باطلة ويجب إعادتها وهذه الشروط هي:

١- الطهارة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥١، رقم ٢٢٢١٥)، وابن حبان (١٠/ ٤٢٦، رقم ٤٥٦٣)، والدارقطني (٢/ ٢٩٤)، والحاكم (١/ ٥٤٧، رقم ١٤٣٦) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٣) المغني لابن قدامة (٣/ ٣٥١).

(٤) سورة المائدة: الآية ٦.

والطهارة التي هي شرط في صحة الصلاة نوعان: طهارة حقيقية وطهارة حكمية.

فالطهارة الحقيقية: المراد بها طهارة الثوب والبدن والمكان من النجاسات الحقيقية؛ فطهارة الثوب دليلها قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[١]، وقوله ﷺ في حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: أن امرأة سألت النبي ﷺ عن الثوب يصيبه الدم من الحيضة؟ فقال رسول الله: «**حتيه**[٢]، **ثم اقرصيه**[٣]، **ثم رشيه، ثم صلي فيه**»[٤].

أما طهارة البدن من النجاسة فلأنه إذا وجبت طهارة الثوب فطهارة البدن من باب أولى وقد جاءت أدلة السنة بذلك، فمن ذلك قوله ﷺ: «**إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلي**»[٥].

أما طهارة المحل (المكان) فقد أمر الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[٦].

---

(١) سورة المدثر: الآية ٤.

(٢) **حتيه**: الحتّ و الحكّ سواء.

(٣) **تقرصه، القرص**: الأخذ بأطراف الأصابع ، وإنما أمرها بالحت والقرص ؛ لأن غسل الدم بها أذهب وأبلغ من الفرك بجميع اليد.

(٤) أخرجه النسائي (المجتبى) (١/ ١٨٨، رقم ٣٧٢)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٢٤٤، رقم١٠٩٠)، وابن خزيمة (١/ ١٤٠، رقم ٢٧٦).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ١٢٢، رقم ٣١٤).

(٦) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

أما الطهارة الحكمية: والمراد بها طهارة البدن من الحدثين الأكبر والأصغر، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾[(١)].

وقال ﷺ: «**لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**»[(٢)].

٢- **ستر العورة:**

من شروط صحة الصلاة ستر العورة دليل ذلك قوله ﷻ: ﴿يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[(٣)]، والمراد بأخذ الزينة هنا هو الثياب في الصلاة وقوله ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار**»[(٤)].

وله ﷺ في حديث جابر ﷺ: «**إن كان واسعًا فالتحف به وإن كان ضيقًا فاتزر به**»[(٥)].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٦٣، رقم ١٣٥)، ومسلم (١/ ٢٠٤، رقم ٢٢٥).

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣١

(٤) أخرجه أبو داود (١/ ١٧٣، رقم ٦٤١)، والحاكم (١/ ٣٨٠، رقم ٩١٧)، وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقي (٣/ ٨٣، رقم ٤٨٦٩). وإسحاق بن راهويه (٣/ ٦٨٧، رقم ١٢٨٤)، وأحمد (٦/ ٢١٨، رقم ٢٥٨٧٦) والترمذي (٢/ ٢١٥، رقم ٣٧٧) وقال: حسن. وابن ماجه (١/ ٢١٥، رقم ٦٥٥)، وابن حبان (٤/ ٦١٢، رقم ١٧١١).

(٥) المبسوط للشيباني (١/ ١٩٤)، والأم (١/ ٥٧)، والأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (٢/ ٦٥).

فمتى صلى الإنسان من غير أن يلبس ما يستر به العورة أو ما يجب ستره في الصلاة على الأصح فصلاته باطلة وقد انعقد الإجماع على أن من صلى عريانًا مع قدرته على اللباس فصلاته باطلة[١].

حد العورة في الصلاة:

العورة في الصلاة على المشهور من مذهب الحنابلة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: مغلظة ـ مخففة ـ متوسطة.

أولاً: العورة المغلظة:

هي عورة الحرة البالغة فكلها عورة إلا وجهها فإنه ليس بعورة في الصلاة وإن كان هو عورة في النظر، فلو صلت المرأة في بيتها وليس عندها أحد لوجب أن تستر كل شيء إلا وجهها.

ثانيًا: العورة المخففة:

وهي عورة الذكر من سبع إلى عشر سنوات وهما الفرجان فقط، فإذا ستر قبله ودبره فقد أجزأه الستر ولو كانت أفخاذه بادية لكن على ولي أمره أن يأمره بالستر والعفاف وبخاصة إذا كان يعوده الصلاة.

ثالثًا: العورة المتوسطة:

وهي ما سوى ذلك وحدها ما بين السرة والركبة فيدخل فيها الذكر من عشر سنوات فصاعدًا والحرة دون البلوغ والأمة ولو بالغة.

فهذه هي أقسام العورات الثلاث التي يجب سترها في الصلاة وأمام الناس فيها وفي غيرها.

---

(١) انظر في ذلك: التمهيد (٦/ ٣٧٦)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٢/ ١١٦، ١١٧).

٣- **أن يكون الثوب مباحًا:**

فمتى كان الثوب محرمًا لعينه كالثوب الحرير للرجل أو محرمًا لوصفه كأن يكون الثوب به إسبال أو به صور أو محرمًا لكسبه كأن يكون مغصوبًا ومسروقًا فلا تصح الصلاة به، وهذا الشرط هو المذهب عند الحنابلة[١] ذكر ذلك صاحب الإنصاف[٢] وقال: وعليه جماهير الأصحاب.

لبس الحرير للضرورة:

إذا لبس الحرير لضرورة كأن يكون به مرض في جلده كالحساسية مثلًا فإن صلاته تصير صحيحة ولا إثم عليه لأننا لو ألزمناه بثوب آخر لم يحصل المقصود من الصلاة وهو الخشوع والاطمئنان فيها فيصير مشغولًا بذلك فيفقد لبّ الصلاة أعني الخشوع فيها.

٤- **استقبال القبلة:**

يشترط لصحة الصلاة استقبال القبلة، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[٣].

ودليل السنة ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم

(١) منار السبيل (١/ ٧٤-٧٥).

(٢) الإنصاف (٣/ ٢٢٣).

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة»[١].

أحوال المصلي في استقبال القبلة:

١- الصلاة على الدابة: أجمع أهل العلم[٢] على أنه يجوز لكل من سافر سفرًا يقصر فيه الصلاة أن يتطوع على دابته حيثما توجهت ولا يلزم تحري القبلة دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[٣] قال ابن عمر رضي الله عنهما: «نزلت هذه الآية في التطوع خاصة حيث توجه به بعيره»[٤].

وعلى ذلك فمن كان راكبًا في طائرة أو قطار أو سيارة ونحو ذلك يجوز أن يصلي ما شاء من التطوع دون التحري للقبلة، لكن لا يجوز للسائق فعل ذلك لما يترتب عليه من المفاسد.

هذا كما ذكرنا في السفر الذي تقصر فيه الصلاة، لكن هل يشرع ذلك في السفر القصير الذي لا يشرع فيه القصر؟

هذا محل خلاف بين أهل العلم؛ فالجمهور[٥] على جواز ذلك أي جواز الصلاة على الراحلة دون تحري القبلة.

---

(١) أخرجه البُخَاريّ (١/ ١١١، رقم ٤٠٣)، ومسلم (٢/ ٦٦، رقم ١١١٤).

(٢) المغني (٢/ ٩٥).

(٣) سورة البقرة: الآية ١١٥.

(٤) انظر في ذلك: تفسير الطبري (٢/ ٥٣٠).

(٥) المغني (٣/ ٩٦).

وذهب مالك[١] إلى أنه لا يباح إلا في سفر طويل لأنه رخصة سفر.

قال القاضي أبو يعلى: الأحكام التي يستوي فيها الطويل من السفر والقصير ثلاثة: التيمم وأكل الميتة في المخمصة والتطوع على الراحلة[٢].

٢- **استقبال القبلة للخائف**: من اشتد به الخوف بحيث لا يتمكن من الصلاة إلى القبلة أو احتاج إلى المشي أو عجز عن بعض أركان الصلاة إما لهرب مباح من عدو أو سيل أو سبُع أو نحو ذلك مما لا يمكنه التخلص منه إلا بالهرب ونحو ذلك فله أن يصلي على حسب حاله راجلًا أو راكبًا إلى القبلة إن أمكن أو إلى غيرها إن لم يتمكن[٣].

٣- الاجتهاد في القبلة:

أ- اتفق الفقهاء على وجوب الاجتهاد في القبلة إذا لم يكن هناك من يخبره ولا ما يستدل به على جهتها إن كان من أهل الاجتهاد فإن ضاق عليه الوقت عن الاجتهاد صلى على حسب حاله. لكن صرح ابن قدامة بأن شرط الاجتهاد لا يسقط بضيق الوقت مع إمكانه.

والأولى هو مراعاة الوقت، لكن إن تبين أنه صلى لغير القبلة هل يعيد الصلاة؟ خلاف بين الفقهاء؛ الصحيح أنه لا يلزمه الإعادة إذا صلى حسب اجتهاده أو ضاق الوقت عليه ولم يجتهد لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[٤]

---

(١) مواهب الجليل (١/ ٥٠٧).

(٢) المغني (٦/ ٩٦).

(٣) المغني (٢/ ٩٢-٩٣).

(٤) سورة التغابن: الآية ١٦.

ولقوله ﷺ: «**وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[١].

ب- إذا اختلف اجتهاد مجتهدين في اتجاه القبلة؛ فالحنفية[٢] والمالكية[٣] والشافعية[٤] والحنابلة[٥] يرون أنه لا يتبع أحدهما الآخر ولا يؤمه لأن كلًّا منهما يعتقد خطأ الآخر فلم يجز الائتمام.

والأقرب للصواب أنه يجوز اتباع أحدهما الآخر مع اختلافهما في جهة القبلة بل إذا كانت الصلاة صلاة جماعة واجبة وجب اتباع أحدهما الآخر لأن كل واحد منهما يعتقد خطأ الآخر لاجتهاده أما الصلاة فيعتقد كل منهما صحة صلاة الآخر فلم يمنع اختلاف الجهة الاقتداء به وهذا هو اختيار ابن قدامة[٦]. قال الشيخ محمد بن العثيمين: وهذا القول أقرب للصواب[٧].

العجز عن استقبال القبلة:

من عجز عن استقبال القبلة لعذر به يمنعه من الاستقبال كالمريض والمربوط ونحوهم فإنه يصلي على حسب حاله ولو إلى غير القبلة؛ لأن الاستقبال شرط لصحة الصلاة وقد عجز عنه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٥٨، رقم ٦٨٥٨)، ومسلم (٢/ ٩٧٥، رقم ١٣٣٧).

(٢) حاشية رد المختار (١/ ٢٩١).

(٣) حاشية الدسوقي (١/ ٢٢٦).

(٤) نهاية المحتاج (١/ ٤٢٩).

(٥) المغني لابن قدامة (١/ ١٠٨).

(٦) المرجع السابق (١/ ١٧٨).

(٧) الشرح الممتع (٢/ ٢٨٣).

هل يلزم المتنفل افتتاح الصلاة إلى القبلة؟

المذهب عند الحنابلة[١] أنه يجب افتتاح الصلاة إليها ثم بعد ذلك يكون حيث كان وجهه، واستدلوا لذلك بحديث أنس بن مالك ﵁: «أن النبي ﷺ كان إذا سافر فأراد أن يتطوع استقبل بناقته القبلة، فكبر ثم صلى حيث وجهه ركابه»[٢].

والصحيح: أنه ليس بواجب؛ لأن هذا مجرد فعل ولا يدل على الوجوب وإنما يدل على أنه الأفضل.

ويدل على ما رجحناه حديث ابن عمر وهو أصح من حديث أنس، حيث إن حديث أنس اختلف في صحته.

ولكن غايته أنه حسن وحديث ابن عمر في الصحيحين حيث قال: «إن النبي ﷺ كان يصلي حيث كان رسول الله ﷺ يسبح على الراحلة قبل أي وجهة توجهه ويوتر عليها غير أنه كان لا يصلي عليها المكتوبة»[٣].

فظاهره أنه من ابتداء الصلاة إلى آخرها.

٥- دخول الوقت:

هذا هو الشرط الرابع من شروط صحة الصلاة، دليل ذلك قوله ﷻ:

---

(١) المغني (٢/ ٩٨)، الإنصاف (٣/ ٣٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٩، رقم ١٢٢٥)، والدارقطني (١/ ٣٩٦، رقم ٣)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٥ ، رقم ٢٠٤٠)، والطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٧٥، رقم ٢٥٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٣٧١، رقم ١٠٤٧)، ومسلم (١/ ٤٨٧، رقم ٧٠٠).

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[٢].

أما السنة فقوله ﷺ: «**أمني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين فصلى الظهر في الأولى منهما حين كان الفيء مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان كل شيء مثل ظله ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وأفطر الصائم ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصائم. وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله لوقت العصر بالأمس ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه ثم صلى المغرب لوقته الأول ثم صلى العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل ثم صلى الصبح حين أسفرت الأرض ثم التفت إلي جبريل فقال يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين**»[٣].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

(٢) سورة النساء: الآية ١٠٣.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٥٣١، رقم ٢٠٢٨)، وابن أبي شيبة (١/ ٢٨٠، رقم ٣٢٢٠)، وأحمد (١/ ٣٣٣، رقم ٣٠٨١)، وأبو داود (١/ ١٠٧، رقم ٣٩٣)، والترمذي (١/ ٢٧٨، رقم ١٤٩) وقال: حسن صحيح غريب. وابن خزيمة (١/ ١٦٨، رقم ٣٢٥)، والطبراني (١٠/ ٣٠٩، رقم ١٠٧٥٢)، والحاكم (١/ ٣٠٦، رقم ٦٩٣)، والشافعي (١/ ٢٦)، والبيهقي في المعرفة (٢/ ١٨٩رقم ٢٣٢٣). وعبد بن حميد (ص ٢٣٣، رقم ٧٠٣)، وابن الجارود (ص ٤٦، رقم ١٤٩)، وأبو يعلى (٥/ ١٣٤، رقم ٢٧٥٠)، والبيهقي (١/ ٣٦٤، رقم ١٥٨٣).

وفي حديث مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**وقت الظهر إذا زالت الشمس وكان ظل الرجل كطوله ما لم يحضر العصر ووقت العصر ما لم تصفر الشمس**»[١].

أركان الصلاة:

والركن هو ما لا تصح الصلاة بدونه وتركه يوجب البطلان، سواء كان عمدًا أو سهوًا. وأركان الصلاة عند الفقهاء منها ما هو متفق عليه بينهم ومنها ما هو مختلف فيه وسنبين ذلك مع بيان الراجح من أقوالهم.

الركن الأول: تكبيرة الإحرام:

ذهب جمهور الفقهاء[٢] إلى أن تكبيرة الإحرام فرض من فروض الصلاة واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾[٤].

هذه الأوامر مقتضاها الافتراض ولم تفرض خارج الصلاة فوجب أن يراد بها الافتراض الواقع في الصلاة إعمالًا للنصوص في حقيقتها[٥] واستدلوا

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٢٧، رقم ٦١٢).

(٢) انظر عمدة القارى (٥/ ٢٦٨)، فتح القدير (١/ ٢٣٩)، حاشية الدسوقي (١/ ٢٣١)، نيل المآرب (١/ ١٣٤).

(٣) سورة المدثر: الآية ٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.

(٥) فتح القدير (١/ ٢٣٩).

على ذلك أيضًا بقوله ﷺ: «**مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم**»[١].

الركن الثاني: قراءة الفاتحة:

١- ذهب المالكية[٢] والشافعية[٣] والحنابلة[٤] إلى أن قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة فتجب قراءتها في كل ركعة من كل صلاة فرضًا أو نفلًا جهرية كانت أو سرية. احتجوا لذلك بما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[٥].

٢- وذهب الحنفية[٦] إلى أن قراءة الفاتحة ليست ركنًا من أركان الصلاة

(١) أخرجه الشافعي (١/ ٣٤)، وابن أبي شيبة (١/ ٢٠٨، رقم ٢٣٧٨)، وأحمد (١/ ١٢٣، رقم ١٠٠٦) ، وأبو داود (١/ ١٦٧ ، رقم ٦١٨) ، والترمذي (١/ ٨ ، رقم ٣) وقال : هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب . وابن ماجه (١/ ١٠١ ، رقم ٢٧٥). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (١/ ٤٥٦، رقم ٦١٦) ، والدارقطني (١/ ٣٦٠)، والضياء (٢/ ٣٤١، رقم ٧١٨) وقال : إسناده حسن . وحديث أبي سعيد : أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٠٨ ، رقم ٢٣٨٠)، والحاكم (١/ ٢٢٣، رقم ٤٥٧) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم. والبيهقي (٢/ ٨٥، رقم ٢٣٨٦). والطبراني في الأوسط (٣/ ٣٦، رقم ٣٩٠) .

(٢) حاشية الدسوقي (١/ ٢٣١- ٢٣٦).

(٣) مغني المحتاج (١/ ١٥٥).

(٤) كشاف القناع (١/ ٣٣٦، ٣٨٦).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٢٦٣ ، رقم ٧٢٣) ، ومسلم (١/ ٢٩٥ ، رقم ٣٩٤).

(٦) حاشية ابن عابدين (١/ ٣٠٠).

بل هي واجبة وتتحقق القراءة بآية غيرها من القرآن، واحتجوا لذلك بقوله تعالى: ﴿مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[(١)].

وبالقول بوجوبها في الصلاة أخذ الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله[(٢)].

والذي يظهر أنها واجبة في السرية على المأموم وأما في الجهرية فيتحملها الإمام عنه لكن يتأكد في حق المأموم أن يقرأها في سكتات الإمام وبهذا تجتمع الأدلة وهذا هو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)].

الركن الثالث: الركوع:

انعقد الإجماع على ركنية الركوع في الصلاة، دليل ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾[(٤)].

ومن السنة حديث المسيء صلاته وفيه قوله ﷺ: «**ثم اركع حتى تطمئن راكعًا**»[(٥)].

الركن الرابع: الاعتدال من الركوع:

وهو ركن في الفرض والنفل لقول النبي ﷺ في حديث المسيء صلاته: «**ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا**»[(٦)].

---

(١) سورة المزمل: الآية ٢٠.

(٢) مجموع فتاوى الشيخ رحمه الله (١١/ ٢١٨-٢١٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٩٥).

(٤) سورة الحج: الآية ٧٧.

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٧، رقم ٥٨٩٧)، ومسلم (١/ ٢٩٨، رقم ٣٩٧).

(٦) المرجع السابق.

ولأن النبي ﷺ داوم عليه كما ذكر ذلك أبو حميد في صفة صلاة النبي ﷺ حيث قال: «**فإذا رفع رأسه استوى حتى يعود كل فقار مكانه**»(١).

وتصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها صلاة النبي ﷺ فتقول: «وكان إذا رفع رأسه من الركوع لم يسجد حتى يستوي قائمًا»(٢)، وعن أبي مسعود الأنصاري البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجزئ صلاة لا يقيم فيها الرجل - يعني - صلبه في الركوع والسجود**»(٣).

حد الاعتدال المأمور به شرعًا:

الاعتدال هو القيام مع الطمأنينة بعد الرفع من الركوع. والطمأنينة في الاعتدال عرفها الشافعي(٤) بأنها هي أن تستقر أعضاء المصلي على ما كان قبل ركوعه بحيث ينفصل ارتفاعه عن عوده إلى ما كان عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٨٤، رقم ٧٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٧، رقم ٤٩٨).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٦٩ ، رقم ٣٧٣٦) ، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٠٣ ، رقم ٣٦٢٩٥) ، والنسائي (٢/ ٢١٤ ، رقم ١١١١) ، وابن ماجه (١/ ٢٨٢ ، رقم ٨٧٠) ، والبيهقي (٢/ ١١٧ ، رقم ٢٥٥٦) . وأخرجه أيضًا : الحميدي (١/ ٢١٦، رقم ٤٥٤) ، وأبو داود (١/ ٢٢٦ ، رقم ٨٥٥) وأبو عوانة (١/ ٤٣٤ رقم ١٦١١)، والطبراني (١٧/ ٢١٢ رقم ٥٧٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٣٩ ، رقم ٣١٣٠) .

(٤) مغني المحتاج (١/ ١٦٥).

أما حد الاعتدال فقد صرح المالكية[١] بأنه أن لا يكون منحنيًا، وعند الحنابلة[٢] مالم يصر راكعًا وقالوا بأن كمال الاعتدال هو الاستقامة حتى يعود كل عضو محله.

والصواب أن يقال بأن حد الاعتدال من الركوع هو أن يكون الظهر منتصبًا وإن كان ظهره منحنيًا إلى حد الركوع فليس بمعتدل ولا تصح صلاته إلا مع العجز وإن كان انحناؤه لظهره قليلًا أجزأه، لكن الأكمل هو أن يعود كل فقار إلى مكانه كما جاءت السنة به.

الركن الخامس: السجود:

هذا هو الركن الخامس من أركان الصلاة وقد انعقد الإجماع على ركنية السجود لقوله ﷻ: ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾[٣]، وكما جاء في حديث المسيء صلاته وفيه: «**ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا**»[٤].

حد السجود المأمور به:

حد السجود المأمور به في الصلاة هو أن يسجد المصلي على الأعضاء السبعة: الجبهة مع الأنف واليدين والركبتين والقدمين وهذا كله ركن مع القدرة.

دليل ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس مرفوعًا «**أمرت أن**

---

(١) حاشية الدسوقي (١/ ٢٤١).

(٢) كشاف القناع (١/ ٣٨٧)، مطالب أولي النهى (١/ ٤٤٦).

(٣) سورة الحج: الآية ٧٧.

(٤) سبق تخريجه.

أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة ـ وأشار بيده إلى أنفه ـ **واليدين والركبتين وأطراف القدمين**»[١].

أما عند عجز المصلي عن السجود بجبهته فقد قال الحنابلة يسقط عنه لزوم باقي الأعضاء لأن الجبهة هي الأصل في السجود وغيرها تبع لها فإذا سقط الأصل سقط التبع.

والصحيح: أنه إذا كان المصلي يستطيع أن يومئ بحيث يكون إلى السجود التام أقرب منه إلى الجلوس التام فإنه يلزمه أن يسجد على بقية الأعضاء فيدنو من الأرض بقدر ما يمكنه ثم يضع يديه، دليل ذلك عموم قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[٢].

وقوله ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[٣].

الركن السادس: الجلوس بين السجدتين:

هذا هو الركن السادس من أركان الصلاة، دليل ذلك حديث المسيء صلاته وفيه: «**ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا**»[٤].

وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا رفع رأسه من السجدة لم يسجد حتى يستوي جالسًا»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٨٠ ، رقم ٧٧٩) ، ومسلم (١/ ٣٥٤ ، رقم ٤٩٠).

(٢) سورة التغابن: الآية ١٦.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٧، رقم ٤٩٨).

الركن السابع: الجلوس للتشهد الأخير:

هذا هو الركن السابع من أركان الصلاة، وقد اتفق الفقهاء على ركنية الجلوس مع اختلافهم هل الجلوس للتشهد الأخير أم هو للسلام فقط؟

١- فالشافعية[١] والحنابلة[٢] على أن الجلوس هو للتشهد الأخير.

٢- وذهب المالكية[٣] إلى أن الجلوس للسلام فقط وعلى قولهم هذا لو تشهد المصلي قائمًا ثم جلس للسلام من الصلاة فصلاته صحيحة.

والصحيح: أن الجلوس يكون للتشهد والسلام، فلو قام المصلي وقرأ التشهد فإنه لا يجزئه لأنه ترك ركنًا وهو الجلسة فلا بد أن يجلس للتشهد والسلام.

الركن الثامن: التشهد الأخير:

اختلف الفقهاء في ركنية التشهد الأخير في الصلاة:

١- فذهب الشافعية[٤] والحنابلة[٥] إلى أن التشهد الأخير ركن في الصلاة إذا تركه المصلي بطلت صلاته.

٢- وذهب المالكية[٦] إلى أن التشهد الأخير سنة وليس بفرض.

---

(١) مغني المحتاج (١/ ١٧١).
(٢) كشاف القناع (١/ ٣٨٨).
(٣) حاشية الدسوقي (١/ ٢٤٠).
(٤) مغني المحتاج (١/ ١٧٢).
(٥) كشاف القناع (١/ ٣٨٨).
(٦) حاشية الدسوقي (١/ ٢٤٣).

والصحيح: ما ذهب إليه الشافعية والحنابلة وهو القول بركنية التشهد الأخير فمتى تركه المصلي في صلاته بطلت، دليل ذلك قوله ﷺ: «**فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله، والصلوات الطيبات لله...**»[١].

ولأن النبي ﷺ كان يفعله ويداوم عليه وقد قال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[٢].

حد التشهد الذي هو ركن:

حدّ التشهد الذي هو ركن أن يقول المصلي: «التحيات لله والصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله» هذا هو حدّ التشهد المأمور به شرعًا.

الركن التاسع: الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير:

اختلف الفقهاء في ركنية الصلاة على النبي ﷺ:

١- فالشافعية[٣] والحنابلة[٤] قالوا بركنيتها لقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠١، رقم ٥٨٧٦)، ومسلم (١/ ٣٠١، رقم ٤٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٨٢، رقم ٧٨٥). ومسلم (١/ ٤٦٥، رقم ٦٧٤).

(٣) مغني المحتاج (١/ ٧٢).

(٤) كشاف القناع (١/ ٣٨٨).

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

وكذلك حديث بشير بن سعد أنه قال للنبي ﷺ يا رسول الله أمرنا الله أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك؟ فسكت، ثم قال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»[١]، وأيضًا فعله ﷺ حيث كان يصلي على نفسه وقد قال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[٢].

٢- وفي رواية أخرى عند الحنابلة[٣] أنها واجبة وليست بركن فتجبر بسجود السهو عند النسيان.

٣- ويرى المالكية[٤] أن الصلاة على النبي ليست بركن ولا بواجب بل هي سنة وهي رواية أخرى عند الحنابلة[٥]، ولو تعمد الإنسان تركها فصلاته صحيحة.

والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن الصلاة على النبي ﷺ واجبة في التشهد الأخير من كل صلاة وهذا هو قول ابن قدامة[٦]. وبه أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء[٧].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) المغني (٢/ ٢٢٨- ٢٢٩).

(٤) حاشية الدسوقي (١/ ٢٤٣).

(٥) المغني (٢/ ٢٢٨- ٢٢٩).

(٦) المغني (٢/ ٢٢٨).

(٧) فتاوى اللجنة الدائمة (٧/ ١٣).

الركن العاشر: التسليم:

هذا هو الركن العاشر من أركان الصلاة، ومعنى التسليم هو قول المصلي: السلام عليكم ورحمة الله.

وبركنية التسليم قال المالكية[(١)] والشافعية[(٢)] والحنابلة[(٣)] واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: «**وتحليلها التسليم**»[(٤)] وحديث عائشة رضي الله عنها قال: «كان رسول الله يختم الصلاة بالتسليم»[(٥)].

لو اقتصر المصلي على تسليمة واحدة فهل يجزئ؟

هذه المسألة محل خلاف بين الفقهاء:

١- فالمالكية[(٦)] والشافعية[(٧)] وبه قال ابن قدامة في المغني[(٨)] يرون أن الواجب تسليمة واحدة أما الثانية فهي سنة.

---

(١) حاشية الدسوقي (١/ ٢٤١).

(٢) مغني المحتاج (١/ ١٧٧).

(٣) كشاف القناع (١/ ٣٦١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٧، رقم ٤٩٨).

(٦) حاشية الدسوقي (١/ ٢٤١).

(٧) مغني المحتاج (١/ ١٧٧).

(٨) المغني (٢/ ٢٤٣).

٢- وذهب الحنابلة[١] إلى وجوب التسليمتين.

والصحيح القول بوجوب التسليمتين، فالواجب على المصلي أن يسلم من الصلاة عن يمينه وشماله وهذا هو المحفوظ من فعله ﷺ في الصلوات، دليل ذلك حديث عامر بن سعد رضي الله عنه عن أبيه قال: «كنت أرى النبي ﷺ يسلم عن يمينه وعن يساره حتى أرى بياض خده»[٢].

وهذا الحديث وما في معناه يستدل به على مشروعية التسليمتين وأنه هو الواجب في الصلاة نفلًا كانت أو فرضًا، وبالقول بوجوب التسليمتين أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في السعودية[٣].

إذا اقتصر المصلي على قوله «السلام عليكم» هل يجزئ؟

محل خلاف بين العلماء:

١- فالمذهب عند المالكية[٤] والشافعية[٥] أنه يجزئه ذلك.

٢- والمشهور عند الحنابلة[٦] أنه لا يجزئ «السلام عليكم» فإذا لم يقل «ورحمة الله» في غير صلاة الجنازة لم يجزئه.

---

(١) كشاف القناع (١/ ٣٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٩١، رقم ١٢٥٣).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٧/ ٦٨- ٦٩) برقم (٢٢٩٤).

(٤) حاشية الدسوقي (١/ ٢٤١).

(٥) مغني المحتاج (١/ ٣٦١).

(٦) المغني (٢/ ٢٤٥).

والصحيح: أنه يجزئه ذلك فالواجب «السلام عليكم» أما زيادة «ورحمة الله» فهي سنة وليست بواجب، دليل ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «صليت مع رسول الله ﷺ فكنا إذا سلمنا قلنا بأيدينا: السلام عليكم، السلام عليكم»[(١)] فلم يذكر «ورحمة الله» فدل هذا على أنه إذا اقتصر المصلي على «السلام عليكم» أجزأه ذلك. وهذه هي إحدى الروايتين عن أحمد[(٢)].

الركن الحادي عشر: الطمأنينة:

لا بد من الطمأنينة في جميع الأركان سابقة الذكر. أما معناها فقال بعض الفقهاء: الطمأنينة هي السكون وإن قل وهذا هو رواية عن الحنابلة[(٣)]، وفي رواية أخرى: أن الطمأنينة هي السكون بقدر الذكر الواجب.

والفرق بين المعنيين:

أن المعنى الأول أنه إن سكن سكونًا قليلًا حتى وإن لم يتمكن من الذكر الواجب فصلاته صحيحة.

أما على المعنى الثاني: فإنه لابد من السكون حتى يتمكن من الإتيان بالذكر المشروع كسبحان ربي العظيم أو سبحان ربي الأعلى، فإن لم يتمكن من الإتيان به فصلاته باطلة على هذا المعنى، وهذا هو المعنى الصحيح للطمأنينة

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٢٢، رقم ٤٣١).

(٢) الإنصاف (٣/ ٥٦٧).

(٣) كشاف القناع (١/ ٣٨٧)، الإنصاف (٣/ ٦٦٧).

فلابد من استقرار الأعضاء زمنًا بحيث يتمكن المصلي من الإتيان بالذكر الواجب داخل الصلاة.

دليل ركنية الطمأنينة في الصلاة:

حديث المسيء صلاته حيث ذكر فيه ﷺ الطمأنينة في جميع الصلاة.

وأيضًا ما رواه البخاري عن حذيفة رضي الله عنه: «أنه رأى رجلًا يصلي ولا يتم الركوع ولا السجود فقال له: ما صليت، ولو مت مت على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمدًا ﷺ»(١).

الركن الثاني عشر: ترتيب الأركان:

أي لابد أن يأتي بها كما جاءت عن النبي ﷺ فلا يقدم السجود على الركوع.

حكم من ترك ركنًا من أركان الصلاة:

المتروك إما أن يكون تكبيرة الإحرام وإما غيرها فمن ترك تكبيرة الإحرام عمدًا أو سهوًا لم تنعقد صلاته.

ومن ترك ركنًا غير تكبيرة الإحرام عمدًا بطلت صلاته، أما تركه سهوًا ففيه تفصيل، وذلك كما يأتي:

أولًا: إن وصل المصلي إلى موضع تركه من الركعة التالية ألغيت الركعة التي نسي فيها الركن وقامت الثانية مقامها ويسجد للسهو بعد السلام ثم يسلم عقب سجوده. مثاله: نسي قراءة الفاتحة في الركعة الأولى

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٧٣، رقم ٧٥٨).

فلما نهض إلى الركعة الثانية تذكر أنه نسي قراءة الفاتحة فهنا يلغي الركعة الأولى وتقوم الثانية مقامها.

ثانيًا: إن لم يصل إلى موضع الركن المتروك سهوًا عاد إليه فأتى به وبما بعده وجوبًا وسجد بعد السلام وسلم عقب سجوده. مثاله: نسي المصلي قراءة الفاتحة ثم تذكر أثناء سجوده أنه لم يقرأ الفاتحة فهنا يقوم من سجوده الذي هو فيه ثم يقرأ الفاتحة ولا يعتد بما أداه سابقًا بل يأتي بالركوع والسجود مرة أخرى.

ثالثًا: إن تذكر المصلي بعد الصلاة أنه ترك ركنًا من الأركان، فهذا حاله لا يخلو من أمرين:

١- إذا لم يفصل فاصل طويل، وكان قريب الوقت من الصلاة فإنه يقوم دون تكبير ويأتي بركعة كاملة مع التشهد الأخير والسلام ثم يسجد للسهو ويسلم، وقد صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر فسلم من ركعتين فقام ذو اليدين فقال: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال النبي ﷺ: «**كل ذلك لم يكن**»، قال: قد كان بعض ذلك يا رسول الله، فأقبل النبي ﷺ على الناس فقال: «**صدق ذو اليدين؟**» فقالوا: نعم. فأتم النبي ﷺ ما بقي من الصلاة ثم سجد سجدتين وهو جالس بعد التسليم [١].

٢- إذا فصل فاصل زمن طويل، فإنه يعيد الصلاة لبطلانها بترك ركن من أركانها.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٠٤، رقم ٥٧٣).

واجبات الصلاة:

الواجب هو ما أمر به الشارع على وجه الإلزام.

وحدّه في الصلاة أنه ما تبطل الصلاة بتركه عمدًا ويسقط جهلًا ويجبر به سجود السهو سهوًا.

وواجبات الصلاة لم يقل بها سوى الحنفية والحنابلة مع وجود الاختلاف في هذه الواجبات في المذهبين.

الواجبات التي دلت عليها الأدلة وهي:

أولاً: تكبيرات الانتقال:

أي جميع التكبيرات سوى تكبيرة الإحرام فهي كما ذكرنا ركن من أركان الصلاة. وقد اختلف الفقهاء في هذا الواجب:

١- فذهب جمهور الفقهاء[١] إلى أن تكبيرات الانتقال سنة، واحتجوا لذلك بحديث المسيء في صلاته فإن النبي ﷺ علَّمه صلاته فعلمه واجباتها وذكر فيها تكبيرة الإحرام ولم يذكر تكبيرات الانتقال، فقالوا: وهذا موضع البيان ووقته ولا يجوز تأخيره عنه.

٢- وذهب الحنابلة[٢] إلى القول بوجوب تكبيرات الانتقال، واحتجوا لذلك بقوله ﷺ وكذلك فعله.

---

(١) انظر في ذلك المجموع للنووي (٣/ ٣٩٧)، الفتاوى الهندية (١/ ٧٢)، حاشية الدسوقي (١/ ٢٤٩)، عمدة القاري (٦/ ٥٨).

(٢) المغني (٢/ ١٦٩- ١٧٠).

أما دليل القول فهو ثابت بقوله ﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا...**»(١).

وكذلك قوله ﷺ: «**إنه لا تتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيضع الوضوء - يعني مواضعه - ثم يكبر ويحمد الله عز وجل ويثني عليه ويقرأ بما تيسر من القرآن ثم يقول الله أكبر ثم يركع حتى تطمئن مفاصله ثم يقول سمع الله لمن حمده حتى يستوي قائمًا ثم يقول الله أكبر ثم يسجد حتى تطمئن مفاصله...**»(٢).

فهذا الحديث والذي قبله نص في وجوب التكبير للانتقال.

أما دليل فعله ﷺ فقد روى أبو داود وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنه كان يكبر في كل صلاة من المكتوبة وغيرها: يكبر حين يقوم ثم يكبر حين يركع ثم يقول: سمع الله لمن حمده ثم يقول ربنا ولك الحمد قبل أن يسجد ثم يقول الله أكبر حين يهوي ساجدًا ثم يكبر حين يرفع رأسه ثم يكبر حين يسجد ثم يكبر حين يرفع رأسه ثم يكبر حين يقوم من الجلوس في اثنتين، فيفعل ذلك في كل ركعة حتى يفرغ من الصلاة ثم يقول حين ينصرف والذي نفسي بيده إني لأقربكم شبهًا بصلاة رسول الله ﷺ إن كانت هذه لصلاته حتى فارق الدنيا»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٥٧، رقم ٧٠٠)، ومسلم (١/ ٣٠٨، رقم ٤١١).

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٢٢٧، رقم ٨٥٨)، والنسائي (٢/ ٢٢٥، رقم ١١٣٦)، وابن ماجه (١/ ١٥٦، رقم ٤٦٠)، والطبراني (٥/ ٣٧، رقم ٤٥٢٥)، والحاكم (١/ ٣٦٨، رقم ٨٨١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٧٦، رقم ٧٧٠).

وروى البخاري ومسلم أيضًا عن مطرف رضي الله عنه قال: «صليت أنا وعمران بن الحصين خلف علي بن أبي طالب فكان إذا سجد كبر وإذا رفع رأسه كبر وإذا نهض من الركعتين كبر. فلما انصرفنا من الصلاة قال: أخذ عمران بيدي ثم قال: لقد صلى بنا هذا صلاة محمد ﷺ أو قال قد ذكرني هذا صلاة محمد ﷺ»(١).

فهذه أدلة فعله ﷺ وقد قال ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي...**»(٢).

وهذا ثابت عن صحابته الكرام حيث إنهم لم يتركوا التكبير للركوع والسجود وغير ذلك.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يكبر في كل خفض ورفع وقيام وقعود وأبو بكر وعمر»(٣).

الراجح من القولين: هو ما ذهب إليه الحنابلة من وجوب تكبيرات الانتقال لقوة الأدلة وصراحتها في الوجوب.

محل تكبيرات الانتقال:

تكون تكبيرات الانتقال أثناء الانتقال؛ فلو كبر للركوع مثلًا يكون التكبير في حال هو يه إلى الركوع فلا يبدأ قبله ولا يؤخره.

ومن هنا نعلم خطأ بعض الأئمة في هذا الأمر فإنهم إما أن يقدموا

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٧٢، رقم ٧٥٣)، ومسلم (١/ ٢٩٥، رقم ٣٩٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٧٢، رقم ٧٥٤).

التكبير على الركن أو يؤخروه حتى يصلوا إلى الركن أي لا يأتون به فيما بين الركنين لاجتهادات عندهم خاطئة.

لكن إن ابتدأ التكبير قبل الهوي إلى الركوع وأتمه بعده فلا حرج ولو ابتدأ حين الهوي وأتمه بعد وصوله إلى الركوع فلا حرج لكن الأفضل أن يكون فيما بين الركنين بحسب الإمكان.

تكبيرة المسبوق:

إذا أدرك المسبوق الإمام راكعًا فهل يأتي بتكبيرة الإحرام ثم يأتي بتكبيرة الانتقال؟ نقول: بأنه إذا دخل المسبوق في الصلاة والإمام راكع فالذي يلزمه أن يأتي بتكبيرة الإحرام لأنها ركن، أما تكبيرة الركوع فإن شاء كبر وإن شاء لم يكبر لأن التكبيرة الصغرى هنا تدخل في الكبرى وتكبيرة الركوع في هذه الحالة تكون في حقه مستحبة هكذا قال أهل العلم.

ثانيًا: قول: «سمع الله لمن حمده» للإمام والمنفرد:

هذا هو الواجب الثاني من واجبات الصلاة وهو قول الإمام والمنفرد: «سمع الله لمن حمده» دليل ذلك أن النبي ﷺ أمر به فقال: «**لا تتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ** ـ إلى قوله ـ **ثم يقول: سمع الله لمن حمده**»[1].

وأيضًا: هذا ثابت من فعله ﷺ كما ذكرنا عند الكلام على تكبيرات الانتقال.

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٢٢٦، رقم ٨٥٧)، وابن ماجه (١/ ١٥٧، رقم ٤٦٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٣٨، رقم ٤٥٢٦)، وصححه الألباني.

وبوجوب التسميع على الإمام والمنفرد قال الحنابلة[١] وخالف الجمهور[٢] فقالوا بسنية ذلك.

والصحيح هو وجوب التسميع والتحميد وذلك لما يأتي:

١- أن الرسول ﷺ أمر به وفعله وواظب عليه ولم يدع قول: «سمع الله لمن حمده» بأي حال من الأحوال.

٢- أن التحميد والتسميع شعار الانتقال من الركوع إلى القيام.

٣- قوله ﷺ: «**إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد**»[٣].

الصحيح أن الواجب في حق المأموم أن يأتي بقول: «ربنا لك الحمد» لقوله ﷺ: «**إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد**».

أما ما ذهب إليه البعض[٤] من وجوب قول المأموم: «سمع الله لمن حمده» احتجاجًا بقوله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**».

فنقول: بأن هذا عام وأما قوله ﷺ: «**إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد**» فهذا خاص والخاص يقضي على العام فيكون المأموم مستثنى من هذا العموم.

---

(١) كشاف القناع (١/ ٣٤٨)، مطالب أولي النهى (١/ ٤٤٦).

(٢) حاشية ابن عابدين (١/ ٣٣٤)، حاشية الدسوقي (١/ ٢٤٣)، مغني المحتاج (١/ ١٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٧٤، رقم ٧٦٣)، ومسلم (١/ ٣٠٦، رقم ٤٠٩).

(٤) وبه قال الصنعاني في سبل السلام (١/ ٣٤٧).

ثالثًا: قول الإمام والمنفرد والمأموم: «ربنا ولك الحمد»:

يرى الجمهور[١]، أن قول ذلك سنة. والصحيح وجوب ذلك وهو قول الحنابلة[٢]، للأدلة التي ذكرناها آنفا.

رابعًا: قول «سبحان ربي العظيم» مرة في الركوع:

هذا هو الواجب الرابع من واجبات الصلاة لما روى حذيفة رضي الله عنه «أنه صلى مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الأعلى**»[٣] وهو القائل ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[٤].

وجاء فيما رواه أبو داود وأحمد وغيرهم «أن النبي ﷺ لما نزل قول الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[٥]، قال النبي ﷺ: «**اجعلوها في ركوعكم**» ولما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[٦]، قال: «**اجعلوها في سجودكم**».

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) أخرجه الشافعي (١/ ٣٩)، وابن أبي شيبة (١/ ٢٢٥، رقم ٢٥٧٥)، وأبو داود (١/ ٢٣٤، رقم ٨٨٦) وقال: هذا مرسل؛ عون لم يدرك عبد الله. والترمذي (٢/ ٤٧، رقم ٢٦١) وقال: ليس إسناده بمتصل. وابن ماجه (١/ ٢٨٧، رقم ٨٩٠)، والبيهقي (٢/ ٨٦، رقم ٢٣٩١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سورة الواقعة: الآية ٧٤.

(٦) سورة الأعلى: الآية ١.

وبوجوب ذلك قال الحنابلة[١]، وهو قول الشيخين ابن باز وابن عثيمين[٢]، وهو الصحيح؛ لهذه الأدلة المذكورة.

أما الجمهور فيرون سنية ذلك احتجاجًا بما جاء في حديث المسيء صلاته فإنه ﷺ لم يذكر فيها أنه يقول في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم**» وفي سجوده: «**سبحان ربي الأعلى**».

خامسًا: قول: «رب اغفر لي» بين السجدتين:

هذا هو الواجب الخامس من واجبات الصلاة، وبوجوبه قال الحنابلة[٣]. والجمهور على أن ذلك سنة.

والصحيح هو وجوب ذلك لأنه ثابت من فعله ﷺ وقد قال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[٤].

أما دليل قوله ﷺ لذلك فقد قال حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين: «**رب اغفر لي**»[٥].

سادسًا: التشهد الأول:

هذا هو الواجب السادس من واجبات الصلاة، وبوجوبه قال

---

(١) منار السبيل (١/ ٨٨).

(٢) فتاوى سماحة الشيخ (١/ ٢٨)، الشرح الممتع (٣/ ٣١٧).

(٣) منار السبيل (١/ ٨٨).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه ابن ماجه (١/ ٢٨٩، رقم ٨٩٧)، وأحمد (١/ ٣١٥، رقم ٢٨٩٧)، والطيالسي (١/ ٥٦، رقم ٤١٦٩، وعبد الرزاق (٢/ ١٨٧، رقم ٣٠٠٩).

الحنفية[١]، والحنابلة[٢].

وذهب المالكية[٣] والشافعية[٤] إلى سنية التشهد الأول.

واحتجوا لذلك بما جاء في الصحيحين «أن النبي ﷺ قام من ركعتين من الظهر ولم يجلس، فلما قضى صلاته كبر وهو جالس فسجد سجدتين قبل السلام ثم سلم»[٥].

والصحيح ما ذهب إليه الحنفية والحنابلة من وجوب التشهد الأول وذلك لأن النبي ﷺ فعله وداوم عليه وأمر به وسجد للسهو حين نسيه وهذا هو الأصل المعتمد عليه في سائر الواجبات لسقوطها بالسهو وانجبارها بالسجود[٦].

سابعًا: الجلوس للتشهد الأول:

هذا هو الواجب السابع وهو واجب على غير من قام إمامه سهوًا ولم ينبه فيسقط عنه حينئذ التشهد الأول ويتابع إمامه وجوبًا.

دليل ذلك حديث عبدالله بن بحينة «أن النبي ﷺ قام في صلاة الظهر

---

(١) حاشية ابن عابدين (١/ ٣١٢).

(٢) كشاف القناع (١/ ٣٤٧).

(٣) حاشية الدسوقي (١/ ٢٤٣).

(٤) مغني المحتاج (١/ ١٧٢).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٢٨٥، رقم ٧٩٥).

(٦) الشرح الممتع (٣/ ٣٢٣).

وعليه جلوس فلما أتم صلاته سجد سجدتين فكبر في كل سجدة وهو جالس قبل أن يسلم وسجدهما الناس معه مكان ما نسي من الجلوس»[١].

وبوجوب الجلوس للتشهد الأول ذهب الحنفية[٢] والحنابلة[٣]، وذهب المالكية[٤] والشافعية[٥] إلى سنيته.

حكم من ترك واجبًا من واجبات الصلاة:

من ترك شيئًا من هذه الواجبات ففيه تفصيل:

١- إن تركها متعمدًا بطلت صلاته.

٢- إن تركها ناسيًا فلا يخلو من أمور:

الأمر الأول: أن يذكره قبل أن يفارق محله من الصلاة فيأتي به ولا شيء عليه.

الأمر الثاني: أن يذكره بعد مفارقته محله قبل أن يصل إلى الركن الذي يليه فيرجع ويأتي به ثم يكمل صلاته ويسلم ثم يسجد للسهو ويسلم.

الأمر الثالث: أن يذكره بعد وصوله الركن الذي يليه فلا يرجع إليه ويستمر في صلاته ويسجد للسهو قبل السلام.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٤١٣، رقم ١١٧٣)، ومسلم (١/ ٣٩٩، رقم ٥٧٠).

(٢) حاشية ابن عابدين (١/ ٣١٢).

(٣) كشاف القناع (١/ ٣٤٧).

(٤) حاشية الدسوقي (١/ ٢٤٧).

(٥) مغني المحتاج (١/ ١٧٢).

سنن الصلاة:

السنن هي الأفعال التي لا تبطل الصلاة بتركها عمدًا أو سهوًا واستحباب سجود السهو لها محل نظر عند أهل العلم. وسنن الصلاة هي:

رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام:

اتفق الفقهاء على أنه يسن للمصلي عند تكبيرة الإحرام أن يرفع يديه، دليل ذلك ما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: «كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة»[١].

وضع اليد اليمنى على اليسرى:

أ- ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[٢] والشافعية[٣] والحنابلة[٤] إلى أن من سنن الصلاة وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة.

ب- وخالف في ذلك المالكية[٥] فقالوا يندب الإرسال.

والصحيح ما ذهب إليه الجمهور من سنية وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة. ودليل ذلك:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٥٧، رقم ٧٠٢).

(٢) بدائع الصنائع (٢/ ٥٢٣).

(٣) مغني المحتاج (١/ ١٥٢).

(٤) كشاف القناع (١/ ٣٣٣).

(٥) مواهب الجليل (١/ ٥٣٧).

اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة، قال أبو حاتم: لا أعلمه إلا أنه ينمي (يرفع) ذلك إلى النبي ﷺ»[١].

وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنا معشر الأنبياء أمرنا بتعجيل فطرنا وتأخير سحورنا ووضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة**»[٢].

وعن جابر رضي الله عنه قال: «مرّ رسول الله ﷺ على رجل وهو يصلي وقد وضع يده اليسرى على يده اليمنى فانتزعها ووضع اليمنى على اليسرى»[٣].

فهذه الأدلة تدل على سنية وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة.

كيفية قبض اليدين في الصلاة:

والصحيح هو أن يضع المصلي يده اليمنى على يده اليسرى على صدره لا تحت السرة ولا تحت الصدر لحديث وائل بن حجر: «صليت مع رسول الله ﷺ ووضع يده اليمنى على يده اليسرى على صدره»[٤].

وضع اليد اليمنى على اليسرى على الصدر بعد القيام من الركوع:

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٥٩، رقم ٧٠٧).

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٣٤٦ ، رقم ٢٦٥٤) ، والبيهقي (٤/ ٢٣٨ ، رقم ٧٩١٤) . والطبراني في الكبير (١١/ ١٩٩ ، رقم ١١٤٨٥)، وفي الأوسط (٢/ ٢٤٧ ، رقم ١٨٨٤). قال الهيثمي (٣/ ١٥٥) : رجاله رجال الصحيح . وصححه الألباني في صفة الصلاة (ص:٨٧).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨١، رقم ١٥١٣١).

(٤) أخرجه ابن خزيمة (١/ ٢٤٣، رقم ٤٧٩).

القول الأول: أن وضع اليدين على الصدر بعد القيام من الركوع من السنن المستحبة في الصلاة وهذا قول القاضي أبي يعلى من الحنابلة.

قال الإمام شمس الدين بن مفلح الحنبلي المقدسي في النكت على المحرر: «لم يذكر حكم يديه بعد الرفع من الركوع قال الإمام أحمد: إن شاء أرسلها وإن شاء وضع يمينه على شماله. وقطع به القاضي في الجامع لأنه حالة قيام في الصلاة فأشبه قبل الركوع ولأنه حالة بعد الركوع فأشبه حالة السجود والجلوس...»[(١)].

وباستحباب وضع اليدين على الصدر قبل الركوع وبعده أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في السعودية[(٢)]، وهو قول الشيخين ابن باز وابن العثيمين[(٣)].

القول الثاني: أنه لا يشرع وضع اليدين على الصدر بعد الركوع وبه قال بعض العلماء منهم الألباني رحمه الله[(٤)].

والصحيح من القولين هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول وذلك لوجوه منها:

---

(١) المحرر في الفقه (١/ ٦١).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١١/ ٣٥٠) فتوى رقم (١٨١) ورقم (٢١٣٩).

(٣) مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (١١/ ١٣١) تحت عنوان: أين يضع يديه بعد الرفع من الركوع، ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١٣/ ١٦٥-١٦٦).

(٤) صفة صلاة النبي ﷺ، (ص:١٣٩).

الوجه الأول: أن الأحاديث التي ذكرناها في مشروعية وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة في حال القيام لم يذكر فيها تفصيل قبل الركوع أم بعد الركوع والأصل عدمه حتى يأتي دليل يدل على أنه قبل الركوع فقط.

الوجه الثاني: حديث وائل بن حجر ففيه التصريح بذلك حيث قال: «بأنه رأى النبي ﷺ يقبض يمينه على شماله إذا كان قائمًا في الصلاة»(١).

الوجه الثالث: أن العلماء ذكروا أن الحكمة في وضع اليمين على الشمال أنه أقرب للخشوع والتذلل وأبعد عن العبث وهذا المعنى مطلوب قبل الركوع وبعد الركوع فلا يجوز أن يفرق بين الحالين إلا بنص ظاهر ثابت يجب المصير إليه.

الوجه الرابع: أن الأصل بقاء ما كان حتى يأتي دليل ينقله عن أصله، فالأصل وضع اليدين حال القيام قبل الركوع على الصدر فهي كذلك توضع حال القيام بعد الركوع على الصدر إلا إذا كان هناك دليل ناقل عن الأصل فيصار إليه.

ومن هنا كانت السنة هي وضع اليدين على الصدر بعد القيام من الركوع.

دعاء الاستفتاح:

١- ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يسن للمصلي أن يأتي بدعاء الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام، واحتجوا لذلك بأدلة منها: حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

---

(١) سبق تخريجه.

كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة قال: «**سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك**»[١].

٢- وذهب المالكية[٢] إلى كراهية دعاء الاستفتاح، واحتجوا لذلك بحديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا يفتتحون الصلاة بـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣].

وكذلك حديث المسيء صلاته فليس فيه استفتاح.

والصحيح أن دعاء الاستفتاح سنة؛ لحديث عائشة المذكور.

التأمين:

اتفق الفقهاء على أن التأمين بعد قراءة الفاتحة سنة لما رواه البخاري عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقولوا: آمين فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٤].

التأمين سنة للمصلي عمومًا سواء كان إمامًا أو مأمومًا أو منفردًا، لكن استثنى المالكية[٥] من ذلك الإمام في الصلاة الجهرية فإنه لا يندب له التأمين عندهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٢٠٦، رقم ٧٧٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٣٥)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٤).

(٢) حاشية الدسوقي (١/ ٢٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٥٩، رقم ٧١٠).

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٢٧٤، رقم ٧٦٣)، ومسلم (١/ ٣٠٦، رقم ٤٠٩).

(٥) حاشية الدسوقي (١/ ٢٤٨).

والصحيح أنه يندب له التأمين لقوله ﷺ: «إذا أمّن الإمام فأمّنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[١].

لكن هل يجهر بالتأمين في الصلاة الجهرية أم يسن الإسرار؟ محل خلاف بين الفقهاء:

أ- فذهب الحنفية[٢] والمالكية[٣] إلى أن الإتيان بالتأمين يكون سرًّا وذلك لأنه دعاء والأصل فيه الإخفاء.

ب- وذهب الشافعية[٤] والحنابلة[٥] إلى أن التأمين يسن الجهر به في الصلاة الجهرية ويسر به في الصلاة السرية، وهذا هو الصحيح.

رفع اليدين عند الركوع والرفع منه والقيام للركعة الثالثة:

اختلف الفقهاء في جعل ذلك من السنة:

أ- فالشافعية[٦] والحنابلة[٧] على أن ذلك من السنة لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «رأيت رسول الله ﷺ إذا قام في الصلاة رفع يديه حتى تكونا حذو

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٧٠ رقم ٧٤٧)، ومسلم (١/ ٣٠٧، رقم ٤١٠).

(٢) حاشية ابن عابدين (١/ ٣٢٠- ٣٢١).

(٣) حاشية الدسوقي (١/ ٢٤٨).

(٤) مغني المحتاج (١/ ١٦٠).

(٥) كشاف القناع (١/ ٣٣٩).

(٦) مغني المحتاج (١/ ١٦٢).

(٧) كشاف القناع (١/ ٣٤٦).

منكبيه وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ويفعل ذلك إذا رفع رأسه من الركوع»[١].

قال الإمام البخاري: «رواه سبعة عشر من الصحابة ولم يثبت عن أحد منهم عدم الرفع»[٢].

هذا عند الركوع وعند الرفع منه. أما عند القيام للركعة الثالثة في الصلاة الثلاثية والرباعية، فقيل: يندب الرفع وهي رواية عن الإمام أحمد[٣] وهي المذهب عند الشافعية[٤].

واحتجوا لذلك بحديث نافع: أن ابن عمر رضي الله عنهما: «كان إذا دخل في الصلاة كبر ورفع يديه وإذا ركع رفع يديه وإذا قال سمع الله لمن حمده رفع يديه وإذا قام من الركعتين رفع يديه ورفع ذلك ابن عمر إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم»[٥].

والرواية الثانية عن أحمد عدم الرفع وهي المذهب عند الحنابلة[٦].

والراجح أنها سنة.

ب- أما الحنفية[٧] والمالكية[٨] فلا يرون رفع اليدين إلا في تكبيرة

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٥٨، رقم ٧٠٣).
(٢) المرجع السابق.
(٣) كشاف القناع (١/ ٣٦٣).
(٤) مغني المحتاج (١/ ١٦٤).
(٥) أخرجه البخاري (١/ ٢٥٨، رقم ٧٠٦).
(٦) المرجع السابق للحنابلة.
(٧) تبيين الحقائق (١/ ١٢٠)
(٨) حاشية الدسوقي (١/ ٢٤٧)

الإحرام فلا يشرع رفعهما عند الركوع ولا عند الرفع منه أو القيام إلى الركعة الثالثة.

والصحيح ما ذهب إليه الشافعية والحنابلة من سنية رفع اليدين في الأمور المذكورة.

تنبيه: ذهب بعض أهل العلم إلى سنية رفع اليدين في كل رفع وخفض، فمع كل تكبيرة يقولون بسنية الرفع لليدين.

والصحيح أنه لا يسن ذلك إلا في الأمور المذكورة آنفًا فما سواها لا يشرع فيه الرفع.

واحتجاجهم بحديث: «كان يرفع يديه عند كل تكبيرة»[(١)] عام يخصص بما رواه ابن عمر عنه ﷺ.

الجهر في الصلاة الجهرية والإسرار في الصلاة السرية:

يسن للمصلي أن يجهر بالقراءة في الصلاة الجهرية وهي الفجر والمغرب والعشاء، والإسرار في الصلاة السرية وهي الظهر والعصر لورود ذلك عن النبي ﷺ، عن جبير بن مطعم قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور»[(٢)]، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ:

---

(١) صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٤٣)، رقم (٧٠٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١١٠، رقم ٢٨٨٥).

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ في العشاء ما سمعت أحدًا أحسن صوتًا أو قراءة منه»[(١)].

أما الإسرار فعن أبي معمر قال: «سألنا خبابًا أكان النبي ﷺ يقرأ في الظهر والعصر؟ قال: نعم، قلنا: بأي شيء كنتم تعرفون؟ قال: باضطراب لحيته»[(٢)].

وضع اليدين مفرجتي الأصابع على الركبتين في الركوع:

دليل ذلك حديث عقبة بن عمرو قال: «ألا أصلي لكم كما رأيت رسول الله ﷺ يصلي؟ فقلنا بلى فقام فلما ركع وضع راحتيه على ركبتيه وجعل أصابعه من وراء ركبتيه... ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يصلي وهكذا كان يصلي بنا»[(٣)].

البداية بوضع الركبتين قبل اليدين في السجود:

وقد اختلف الفقهاء في هذه الكيفية على قولين:

القول الأول: أن السنة هي وضع الركبتين قبل اليدين حين الهوي إلى السجود وهذا هو قول جمهور الفقهاء من الحنفية[(٤)] والشافعية[(٥)] والحنابلة[(٦)]

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٦٦، رقم ٧٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٦٠، رقم ٧١٣).

(٣) صححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١/ ٢٢٣) برقم (٩٩٢).

(٤) حاشية ابن عابدين (١/ ٣٢٥).

(٥) مغني المحتاج (١/ ١٧٠).

(٦) كشاف القناع (١/ ٣٥٠).

وهو قول الشيخين ابن باز وابن العثيمين[١].

استدلوا لذلك بما روي عن وائل بن حجر ﵁ قال: «رأيت النبي ﷺ إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه وإذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه»[٢] وكان عمر ﵁ وابن مسعود يفعلان ذلك[٣].

القول الثاني: وهو قول المالكية[٤] وإحدى الروايتين عن أحمد[٥] وهو قول أصحاب الحديث[٦] وبه قال أحمد شاكر[٧] والألباني[٨] وغيرهم؛ أن المصلي الأفضل في حقه تقديم اليدين على الركبتين عند السجود، واحتجوا لذلك بأدلة منها:

١- حديث أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه**»[٩].

---

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ (١١/ ١٥٩)، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ (١٣/ ٢١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٢٢٢، رقم ٨٣٨)، والترمذي (٢/ ٥٦، رقم ٢٦٨) ، وابن حبان (٥/ ٢٣٧، ١٩١٢)، والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٢٤٧، رقم ٧٤٠)، والدارمي (١/ ٣٤٧، رقم ١٣٢٠).

(٣) انظر: شرح معاني الآثار للطحاوي (١/ ٢٥٦).

(٤) حاشية الدسوقي (١/ ٢٥٠).

(٥) المحرر (١/ ٦٣)، المبدع (١/ ٤٥٢).

(٦) عون المعبود (١/ ٣١١).

(٧) تحقيق سنن الترمذي لأحمد شاكر (٢/ ٥٩).

(٨) صفة صلاة النبي ﷺ للألباني (ص:١٢٢).

(٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ١٥٨).

٢- بوّب البخاري لذلك بابًا قال فيه: «باب يهوي بالتكبير حين سجد وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يضع يديه قبل ركبتيه»[(١)].

وفي رواية: قال نافع «كان ابن عمر يضع يديه قبل ركبتيه ويقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك»[(٢)].

قالوا: فهذا ابن عمر رضي الله عنه وهو أشد الصحابة متابعة للنبي صلى الله عليه وسلم يصف هوي النبي بالسجود أنه يقدم يديه على ركبتيه فيكون بروك البعير خلافه.

قال الأوزاعي: «أدركت الناس يضعون أيديهم قبل ركبهم»[(٣)]، وقالوا أيضًا: إن ركبة البعير في يده كما جاء ذلك عند أعلام أهل اللغة كعلقمة والأسود وذكر ذلك الأزهري[(٤)].

قال الإمام الطحاوي: «إن البعير ركبتاه في يديه وكذلك سائر البهائم وبنو آدم ليسوا كذلك»[(٥)].

فإذا كانت ركبة البعير في يده والبعير حين يخر إنما يخر على ركبتيه اللتين في يده ويرمي بنفسه على الأرض فيحدث سقوطه صوتًا فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفة البعير في ذلك وأمر بتقديم اليدين على الركبتين.

---

(١) كتاب صفة الصلاة، والأثر علقه البخاري بصيغة الجزم تحت حديث رقم (٧٧٠).

(٢) وصححه الألباني في صحيح ابن خزيمة.

(٣) صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (ص:١٢٢).

(٤) تهذيب اللغة (١٠/ ٢١٦).

(٥) شرح معاني الآثار للطحاوي (١/ ٢٥٤).

والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن الأمر في ذلك واسع ولله الحمد، فمن رأى أن السنة تقديم الركبتين فعل ذلك، ومن رأى أن السنة تقديم اليدين فعل ذلك لصحة الأخبار المنقولة عن السلف في ذلك.

توجيه أصابع القدمين حال السجود إلى القبلة:

لحديث أبي حميد في صفة صلاة النبي ﷺ قال: «...فإذا سجد وضع يديه غير مفترش ولا قابضهما واستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة...»(١).

الافتراش في التشهد الأول والتورك في التشهد الأخير:

دليل ذلك حديث أبي حميد في صفة صلاة النبي ﷺ: «...فإذا جلس في الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى وإذا جلس في الركعة الآخرة قدم رجله اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعدته»(٢).

وقد اختلف الفقهاء في هذه السنة:

أ- فالحنفية(٣) ذهبوا إلى التفريق بين الرجل والمرأة فالرجل يسن له الافتراش والمرأة يسن لها التورك لا فرق بين التشهد الأول والأخير أو الجلسة بين السجدتين.

ب- أما المالكية(٤) فالمسنون عندهم هو التورك في جميع جلسات الصلاة

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٨٤، رقم ٧٩٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) حاشية ابن عابدين (١/ ٣٢١)، الفتاوى الهندية (١/ ٧٥).

(٤) حاشية الدسوقي (١/ ٢٤٩).

والمرأة والرجل في ذلك سواء.

ج- أما الشافعية[١] فالمشهور عندهم التورك في كل تشهد بعده سلام.

د- وأما الحنابلة[٢] فالمسنون عندهم أن الافتراش يكون في بقية الجلسات والتورك في التشهد الأخير من الثلاثية والرباعية.

وهذا هو الصحيح لما ذكرناه من الأدلة ويستوي في ذلك الرجل والمرأة حيث لم ترد نصوص تدل على التفريق والأصل هو المساواة حتى يأتي دليل يدل على التفريق.

الإشارة بالسبابة عند الذكر:

اتفق الفقهاء على أنه يسن للمصلي أن يشير بسبابته أثناء التشهد، ودليل ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ إذا قعد في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد ثلاثة وخمسين وأشار بالسبابة»[٣]. وَقَوله : «**ثَلَاثَة وَخمسين**» شَرحه عِنْد الْحساب أَن يضع طرف الْخِنْصر عَلَى البنصر، وَلَيْسَ هَذَا مرَادا هُنَا، بل الْمُرَاد أَنه وضع الْخنْصر عَلَى الرَّاحَة كالبنصر، وَتَكون كالصورة الَّتِي يسميها الْحساب تِسْعَة وَخمسين . وَقيل: إِن اصطلاحهم حِينَئِذٍ كَانَ هَكَذَا [٤].

---

(١) مغني المحتاج (١/ ١٧٢).

(٢) كشاف القناع (١/ ٣٥٦، ٣٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٤٠٨، رقم ٥٨٠).

(٤) خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام (١ / ٤٢٦).

أما محل الرفع فقد اختلف فيه الفقهاء؛ فالشافعية[١] يرون رفع السبابة عند قوله: «إلا الله». أما الحنابلة[٢] فيرون أنه يشير بسبابته مرارًا كل مرة عند ذكر «الله» تنبيهًا على التوحيد ولا يحركها.

والأظهر ـ والله أعلم ـ أنه يشير بسبابته حال تشهده لحديث وائل بن حجر في صفة صلاة النبي ﷺ: «...ثم قبض ثنتين من أصابعه وحلق حلقة ثم رفع إصبعه فرأيته يحركها يدعو بها»[٣] ويحرك سبابته عند الدعاء تحريكًا خفيفًا وهذا هو قول الشيخين[٤] رحمهما الله.

الدعاء بعد التشهد الأخير:

يسن للمصلي أن يدعو بما شاء بعد التشهد الأخير لقوله ﷺ: «**إذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله ـ إلى قوله ـ ثم يتخير من المسألة ما شاء أو أحب**»[٥]، وفي رواية عند البخاري: «**ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو**»[٦].

---

(١) مغني المحتاج (١/ ١٧٣).

(٢) كشاف القناع (١/ ٣٦١).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٣٥، رقم ٨٢)، وابن الجارود (١/ ٦٢، رقم ٢٠٨)، وابن خزيمة (١/ ٣٥٤، رقم ٧١٤).

(٤) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله (١١/ ١٨٥)، مجموع فتاوى ورسائل شيخنا محمد العثيمين رحمه الله (١٣/ ٢٠٠).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٣٠١، رقم ٤٠٢).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٢٨٧، رقم ٨٠٠).

والمالكية[(١)] يرون أنه مندوب وليس بسنة. أما الحنفية[(٢)] فيرون بأن المصلي يدعو بالأدعية المذكورة على أن لا ينوي القراءة إذا دعا بأدعية القرآن لكراهية قراءة القرآن في الركوع والسجود والتشهد.

قلنا: الأفضل هو الدعاء بالمأثور؛ ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي بكر الصديق ﵁ أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: «**قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»[(٣)].

حكم التعوذ من الأربع «من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال».

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: وجوب ذلك في الصلاة لما رواه مسلم عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال**»[(٤)].

---

(١) حاشية الدسوقي (١/ ٢٥١، ٢٥٢).

(٢) حاشية ابن عابدين (١/ ٣٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٨٦ ، رقم ٧٩٩) ، ومسلم (٤/ ٢٠٧٨ ، رقم ٢٧٠٥).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٤١٢، رقم ٥٨٨).

وقد ذهب إلى القول بوجوب ذلك الإمام أحمد في إحدى الروايتين[١] عنه وهو قول ابن حزم[٢]، والألباني[٣].

القول الثاني: أن الاستعاذة بهذه الأربع سنة وليس بواجب وهو قول جمهور الفقهاء، وهذا هو الصواب، ولكن لا ينبغي تركها لما يخشى على ذلك من إثم أو بطلان عند بعض أهل العلم لما جاء في ذلك فعن طاوس فقد جاء عنه أن ابنه صلى بحضرته فقال له: «أدعوت بها في صلاتك؟ فقال: لا، قال: أعد صلاتك»[٤].

مكروهات الصلاة:

والمكروه: هو عكس المندوب، فالمندوب هو ما يكون في فعله الثواب ولا يكون في تركه العقاب، فيكون المكروه هو ما في تركه الثواب ولا يكون في فعله عقاب.

أما مكروهات الصلاة فقد اختلف الفقهاء في تحديدها وحدها، فمن ذلك:

الالتفات فيها:

فيكره للمصلي أن يلتفت في صلاته وذلك لأن النبي ﷺ سئل عن

---

(١) الإنصاف (٢/ ٨١).

(٢) المحلى (٣/ ٣٥١).

(٣) صفة صلاة النبي ﷺ (ص:١٦٣).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٤١٣، رقم ٥٩٠).

الالتفات في الصلاة فقال ﷺ: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»(١).

والكراهة هنا مقيدة بعدم الحاجة والضرورة فإن احتيج للالتفات فلا بأس كخوف على نفسه أو ماله أو كانت هناك امرأة عندها صبيها وتخشى عليه فصارت تلتفت إليه فهنا يجوز لحديث سهل بن الحنظلية قال: «ثوب بالصلاة ـ يعني صلاة الصبح ـ فجعل رسول الله ﷺ يصلي وهو يلتفت إلى الشعب»، قال أبو داود: «وكان أرسل فارسًا إلى الشعب من الليل يحرس»(٢).

رفع البصر إلى السماء:

ذهب جمهور الفقهاء إلى كراهة رفع البصر إلى السماء أثناء الصلاة لحديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء**» فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «**لينتهين عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم**»(٣).

وذهب ابن حزم(٤) وجماعة إلى القول بتحريم رفع البصر إلى السماء في الصلاة وهذا هو اختيار الشيخ ابن العثيمين(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٩٨، رقم ٣١١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٢٤١، رقم ٩١٦)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٦١ ، رقم ٧١٧).

(٤) المحلى لابن حزم (٤/ ١٥).

(٥) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٣/ ٢٢٧).

تغميض العينين:

ذهب جمهور الفقهاء[(١)] إلى كراهة تغميض العينين في الصلاة، وعللوا الكراهة هنا لأنه من فعل اليهود ومظنة النوم، ولأن السنة أن يرمي ببصره إلى موضع سجوده وفي التغميض تركها.

لكن استثنى بعض الفقهاء من ذلك؛ إن كان التغميض لكمال الخشوع وذلك بأن يخاف فوات الخشوع بسبب رؤية ما يشغله في صلاته، فهنا لا يكره بل قال بعضهم بأن الأولى في هذه الحالة التغميض[(٢)].

النظر إلى ما يلهي:

اتفق الفقهاء على كراهة نظر المصلي إلى ما يلهيه في صلاته لأن ذلك يشغله عن مقصود الصلاة الأعظم المتمثل بالخشوع فيها، ولأنه قد يشغله ذلك عن كمال الصلاة.

دليل ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: صلى النبي ﷺ في خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما انصرف قال: «**اذهبوا بخميصتي**[(٣)] **هذه إلى**

---

(١) انظر: حاشية ابن عابدين (١/ ٤٣٤)، حاشية الدسوقي (١/ ٢٥٤)، مغني المحتاج (١/ ١٨١)، كشاف القناع (١/ ٣٧٠)

(٢) حاشية ابن عابدين (١/ ٤٣٤)، وانظر تعليق شيخنا محمد العثيمين رحمه الله على هذه المسألة في الشرح الممتع (٣/ ٢٢٩).

(٣) الخميصة : ثوب أسود معلم من خز أو صوف.

أبي جهم وأتوني بأنبجانية [١] أبي جهم فإنها ألهتني آنفا عن صلاتي» [٢].

التخصر في الصلاة:

تعريف التخصر: هو أن يضع المصلي يده على خاصرته في القيام، والخاصرة هي المستدق من البطن الذي فوق الورك أي وسط الإنسان.

ودليل ذلك هو نهي النبي ﷺ عنه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى النبي ﷺ أن يصلي الرجل مختصرًا» [٣].

وقد ذهب ابن عابدين [٤] إلى أن الكراهة فيه تحريمية.

والذي يظهر أن الكراهة فيه ليست تحريمية وهذا هو قول جمهور الفقهاء [٥].

افتراش الذراعين حال السجود:

يكره للمصلي أن يفرش ذراعيه حال السجود، وذلك لورود النهي من النبي ﷺ عن ذلك؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اعتدلوا في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب**» [٦].

---

(١) **الأنبجانية** : كساء له خمل، وقيل: الأنبجانية: الغليظ من الصوف.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٤٦ ، رقم ٣٦٦) ، ومسلم (١/ ٣٩١ ، رقم ٥٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٤٠٨، رقم ١١٦٢) ، ومسلم (١/ ٣٨٧، رقم ٥٤٥).

(٤) حاشية ابن عابدين (١/ ٤٣٢).

(٥) حاشية الدسوقي (١/ ٢٥٤)، مغني المحتاج (١/ ٢٠٢)، كشاف القناع (١/ ٣٧٢).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٢٨٣ ، رقم ٧٨٨) ، ومسلم (١/ ٣٥٥ ، رقم ٤٩٣).

العبث في الصلاة:

العبث هو تشاغل المصلي بما لا تدعو الحاجة إليه ومفاسده في الصلاة معلومة؛ فمن ذلك: أنه يشغل القلب وينافي كمال الخشوع في الصلاة، وكذلك فيه حركة بالجوارح دخيلة على الصلاة، وكل هذا بلا شك يؤثر على صلاة العبد.

الصلاة بحضرة الطعام:

يكره للمصلي أن يصلي بحضرة طعام تتوق نفسه إليه، والكراهة هنا تكون بشروط:

- أن يكون الطعام حاضرًا.
- أن تتوق إليه نفسه.
- أن يكون قادرًا على تناوله حسًّا وشرعًا.

المقصود بالقدرة الحسيّة أي يستطيع تناوله، فلو كان الطعام حارًّا لا يستطيع أن يتناوله مثلًا فهنا لا تكره الصلاة. والمقصود بالقدرة الشرعية أي أن لا يكون ممنوعًا منه شرعًا كالصائم إذا حضر أمامه طعام فالصلاة لا تكره في حقه لأنه ممنوع منه شرعًا.

دليل ذلك حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان** [(١)]»[(٢)].

---

(١) **الأخبثان**: البول والغائط.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٩٣، رقم ٥٦٠).

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه كان يوضع له الطعام وتقام الصلاة فلا يأتيها حتى يفرغ وإنه ليسمع قراءة الإمام»[(١)].

مدافعة الأخبثين:

اتفق الفقهاء على كراهة صلاة من يدافع الأخبثين لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان**»[(٢)] ويسمى مدافع البول حاقنًا ومدافع الغائط حاقبًا.

رجل على وضوء وهو يدافع البول أو الريح فلو قضى حاجته لم يكن عنده ماء يتوضأ به فماذا يشرع في حقه؟

نقول: المشروع في حقه أن يقضي حاجته ويتيمم ولا ينبغي له أن يصلي في حالته تلك.

رجل حاقن أو حاقب فإن قضى حاجته وتوضأ خرج وقت الصلاة فماذا يفعل؟

نقول: الفقهاء اختلفوا في هذه المسألة؛ فالجمهور على أنه يصلي على حالته تلك حفاظًا على الوقت. وذهب بعض أهل العلم إلى أنه يقضي حاجته ويصلي ولو خرج الوقت، وهذا هو الأقرب لقواعد الشريعة.

الصلاة عند مغالبة النوم:

إذا غلب الإنسان النوم بحيث إنه لا يدري ولا يعي ما يقول في صلاته

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٣٩، رقم ٦٤٢).

(٢) سبق تخريجه.

فإنه يكره في حقه الصلاة وهو في هذه الحالة، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه**»[(١)].

كف الشعر أو الثوب أو تشمير الكمين عن الذراعين في الصلاة:

لا يجوز ذلك ودليله حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أمرت أن أسجد على سبعة ولا أكف شعرًا ولا ثوبًا**»[(٢)].

التلثم في الصلاة:

التلثم هو تغطية الفم والأنف، ويكرهه جمهور أهل العلم لأن النبي ﷺ «نهى أن يغطي الرجل فاه في الصلاة»[(٣)].

السدل في الصلاة:

السدل اختلف الفقهاء في تفسيره؛ فقال الحنفية[(٤)] السدل هو إرسال الثوب بلا لبس معتاد.

وقال الشافعية[(٥)]: السدل هو أن يرسل الثوب حتى يصيب الأرض.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٨٧ ، رقم ٢٠٩) ، ومسلم (١/ ٥٤٢ ، رقم ٧٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٨١، رقم ٧٨٣).

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ١٧٤، رقم ٦٤٣) ، والحاكم (١/ ٣٨٤، رقم ٩٣١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وابن حبان (٦/ ١١٧، رقم ٢٣٥٣)، وابن خزيمة (١/ ٣٧٩، رقم ٧٧٢) ، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢٤٢، رقم ٣١٢٥).

(٤) حاشية ابن عابدين (١/ ٤٢٩).

(٥) مغني المحتاج (٢٠٠).

وقال الحنابلة[١]: السدل هو أن يطرح ثوبًا على كتفيه ولا يرد أحد طرفيه على الكتف الأخرى.

ودليل الكراهة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «نهى عن السدل في الصلاة وأن يغطي الرجل فاه»[٢].

السدل المنهي عنه في الصلاة : هو أن يلتحف بثوبه، ويدخل يديه من داخل، فيركع ويسجد، وهو كذلك، وكان هذا فعل اليهود، فنهوا عنه، وهو مطرد في القميص وغيره من الثياب، وقيل: هو أن يضع وسط الإزار على رأسه، ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه [٣].

اشتمال الصماء:

تعريفها: اشتمال الصماء هو أن يشتمل بالثوب حتى يجلل به جسده ويرفع منه جانبًا فيكون فيه فرجة تخرج منها يده وهو التلفع[٤].

اشتمال الصماء [٥]: هو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه ، فيضعه على منكبيه. والمراد به : كراهة الكشف وإبداء العورة. هذا قول الفقهاء في معناه. وأهل الغريب يقولون فيه هو أن يشتمل بالثوب حتى يجلل جسده ، لا يرفع منه جانبا فيكون فيه فرجة يخرج منها يده والمراد به

---

(١) كشاف القناع (١/ ٢٧٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول (٥ / ٥٠٢).

(٤) لسان العرب مادة «شمل».

(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول (٥ / ٢٦١).

على هذا : كراهة أن يغطي جسده ، مخافة أن يضطر إلى حالة تسد متنفسه فيتأذى.

أما دليل الكراهة فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : «أن رسول الله ﷺ نهى عن اشتمال الصماء وأن يحتبي الرجل في ثوب واحد ليس على فرجه منه شيء»(١).

تنكيس السور في الصلاة:

ومعناه: أن يقرأ في الركعة الثانية بسورة مسبوقة عن السورة التي قرأها في الركعة الأولى، وذهب إلى كراهة ذلك جمهور الفقهاء.

والذي يظهر أنه لا يكره؛ لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قرأ في قيام الليل بالبقرة ثم قرأ النساء ثم قرأ آل عمران فلا كراهة إذًا، إذا كان لحاجة، وإلا فالأولى القراءة حسب ترتيب المصحف.

الاقتصار على الفاتحة:

لا خلاف بين الفقهاء في كراهة الاقتصار على سورة الفاتحة في الركعتين الأوليين في الفرائض وكذلك النوافل.

لكن تزول الكراهة إذا كان المصلي في نافلة وأقيمت الصلاة فيشرع له تخفيفها فيجوز له الاقتصار على الفاتحة حينئذ.

الصلاة مستقبلاً لرجل أو امرأة:

يكره للمصلي أن يصلي مستقبلًا لرجل أو امرأة إذا كان متحدثا أو نائما،

---

(١) أخرجه البُخَارِي (٣/ ٥٥، رقم ١٩٩١).

وقد اتفق الفقهاء على كراهية ذلك.

قال الإمام البخاري في صحيحه: «كره عثمان رضي الله عنه أن يستقبل الرجل وهو يصلي»[١] هذا إذا كان الرجل مستقبلًا بوجهه المصلي، أما إذا كان جالسًا وجعله المصلي سترة له فلا حرج في ذلك.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لا تصلوا خلف النائم ولا المتحدث**»[٢].

مبطلات الصلاة:

الكلام فيها:

اتفق الفقهاء على أن الصلاة تبطل بالكلام أثناءها بما ليس من جنسها، دليل ذلك ما رواه مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[٣]، فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام»[٤].

وقوله ﷺ لمعاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»[٥].

---

(١) ذكره البخاري (١ / ١٩١).

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ١٨٥ رقم ٦٩٤) والبيهقي (٢/ ٢٧٩ رقم ٣٣٣٠) . والديلمي (٥/ ٢٤ ، رقم ٧٣٣٥).

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٣٨٣، رقم ٥٣٩).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٣٨١ ، رقم ٢٣٧).

والصحيح أن صلاة من تكلم ناسيًا أو جاهلًا لا تبطل[(١)]. دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[(٣)] قال سبحانه: «**قد فعلت**»[(٤)].

القهقهة:

إذا ضحك المصلي بصوت يسمعه هو أو غيره بطلت صلاته قلّ أو كثر لمنافاته للصلاة، ولأنه أقرب للهزل واللعب وهذا هو قول جمهور الفقهاء من الحنفية[(٥)] والمالكية[(٦)] والحنابلة[(٧)]، أما التبسم فيها فلا يبطلها.

فإن ضحك بغير اختياره كأن يرى أو يسمع شيئًا ولم يملك نفسه من القهقهة فهل تبطل صلاته بذلك؟ هذا محل خلاف بين الفقهاء، والراجح أنها لا تبطل.

الأكل والشرب:

اتفق الفقهاء على أن من أكل أو شرب في صلاته متعمدًا بطلت صلاته،

---

(١) الشرح الممتع (٣/ ٣٦٥).
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(٤) أخرجه مسلم (١/ ٨١، رقم ٢٤٦).
(٥) حاشية ابن عابدين (١/ ٩٧).
(٦) حاشية الدسوقي (١/ ٢٨٦).
(٧) مطالب أولي النهى (١/ ٥٢٠، ٥٣٨).

لكن اختلف الفقهاء فيمن أكل أو شرب ناسيًا؛ فالحنفية[١] يرون بطلان الصلاة، أما المالكية[٢] والشافعية[٣] فيرون عدم بطلانها.

والحنابلة[٤] يفرقون بين نوعية الصلاة، فإن كانت فرضًا بطلت، وإن كانت نفلًا لم تبطل، وقول آخر في المذهب: إن كان الأكل أو الشرب يسيرًا فلا تبطل وإن كان كثيرًا بطلت.

والصحيح قول المالكية والشافعية من عدم بطلان من أكل أو شرب ناسيًا في صلاته سواء كانت الصلاة فرضًا أو نفلًا [٥]، لعموم قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[٧]، قال الرب سبحانه: «**قد فعلت**». وقوله ﷺ: «**إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[٨].

---

(١) حاشية ابن عابدين (١/ ٤١٨).

(٢) حاشية الدسوقي (١/ ٢٨٩).

(٣) مغني المحتاج (١/ ٢٠٠).

(٤) كشاف القناع (١/ ٣٩٨).

(٥) الفقه الميسر، د. عبد الله المطلق، ود. عبد الله الطيار، ود. محمد الموسى (١/ ١٢٣).

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٥.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٨) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٥٩، رقم ٢٠٤٣)، من حديث أبي ذر؛ قال الحافظ في التلخيص (١/ ٢٨٢): فيه شهر بن حوشب، وفي الإسناد انقطاع. وقال البوصيري (٢/ ١٢٥):

هذا إذا كان الأكل أو الشرب يسيرًا، أما إن كان كثيرًا فلا شك أنه من المحال وقوعه إذ كيف يأكل أو يشرب المصلي ولا يزال كذلك دون أن يدري أنه في صلاة، ولو حصل ووقع فالصواب إبطاله للصلاة لخروجه عن هيئة الصلاة.

وحد الكثير واليسير مرجعه على الراجح إلى العرف.

العمل الكثير:

يبطل الصلاة العمل الكثير الذي هو من غير جنس الصلاة إذا كان لغير ضرورة، وتعرف الكثرة بالعرف وهو ما يخيل لمن ينظر إليه أنه ليس في صلاة.

أما إن كان العمل يسيرًا كحمل طفل أو فتح باب قريب ونحو ذلك من الأعمال اليسيرة فإنه لا تبطل الصلاة به.

دليل ذلك ما رواه البخاري عن أبي قتادة رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس فإذا سجد وضعها وإن قام حملها»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «جئت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في البيت والباب

هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف أبي بكر الهذلي. وأخرجه الطبراني (١١/ ١٣٣ ، رقم ١١٢٧٤) ، والدارقطني في الأفراد كما في أطراف ابن طاهر (٣/ ٢٢٠ رقم ٣٤٧٩)، والحاكم (٢/ ٢١٦ ، رقم ٢٨٠١) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي (١٠/ ٦٠ ، رقم ١٩٧٩٨) . والطبراني في الصغير (٢/ ٥٢ ، رقم ٧٦٥) من حديث ابن عباس.

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٩٣، رقم ٤٩٤)، ومسلم (١/ ٣٨٥، رقم٥٤٣).

عليه مغلق فمشى حتى فتح لي ثم رجع إلى مكانه»[١].

بطلان الصلاة بفقد شرطها:

إذا طرأ ما ينافي الصلاة كما لو نزلت على ثوبه نجاسة وهو يصلي ولم يستطع إزالتها أو سبقه حدث وهو يصلي فأصبح على غير طهارة ونحو ذلك فإن الصلاة تبطل به لاشتراط طهارة البدن والثوب والمكان كما سبق ذكره.

التأوه والأنين والتأفيف والبكاء والنفخ والتنحنح:

اختلف الفقهاء في بطلان الصلاة بالأشياء المذكورة. أما التأوه وهو قول «آه» بالمد، والأنين وهو قول «أه» بالقصر، فقد اختلف فيه الفقهاء؛ فالحنفية[٢] والشافعية[٣] يرون بطلان الصلاة به، لكن الحنفية يفرقون بين من كان مريضًا وبين من لم يكن مريضًا، فالمريض الذي لا يملك نفسه لا تبطل الصلاة بتأوهه وأنينه وببكائه.

والصحيح عدم بطلان الصلاة بذلك، وبه قال الحنابلة[٤] لأنه لا يتعلق به حكم من أحكام الكلام.

أما البكاء فيرى الشافعية[٥] بطلان الصلاة به سواء كان البكاء من

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٣٤، رقم ٢٦٠١٤)، والترمذي (٢/ ٤٩٧، رقم ٦٠١)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢٦٥، رقم ٣٢٤٨).

(٢) حاشية ابن عابدين (١/ ٤١٥).

(٣) مغني المحتاج (١/ ١٩٦).

(٤) مطالب أولي النهى (١/ ٥٢٠- ٥٢١).

(٥) مغني المحتاج (١/ ١٩٦).

خوف الآخرة أم لا.

والصحيح عدم بطلان الصلاة بالبكاء إن كان من خشية الله لكونه غير داخل في وسعه وهو مذهب الحنابلة[١]، واختاره الشيخ ابن عثيمين[٢]. لكن ينبغي للمؤمن أن لا يرفع الصوت به وليحرص على أن لا يسمع صوته بالبكاء وليحذر من الرياء فإن الشيطان قد يجره إليه.

أما التنحنح في الصلاة فالجمهور على أنه إن كان لغير عذر بطلت الصلاة إن ظهر منه حرفان، فإن كان لعذر أو فعله لغرض صحيح لم تفسد الصلاة به.

والصحيح أنه لا تبطل الصلاة بذلك وهو أحد قولي الإمام مالك[٣].

أما النفخ في الصلاة فالمالكية[٤] صرحوا ببطلان الصلاة بتعمده وهذا هو أحد الأقوال عندهم، وقيّد الحنابلة[٥] بطلان الصلاة بالنفخ فيها إذا بان حرفان.

والصواب عدم بطلان الصلاة بالنفخ فيها وهذا هو أحد الأقوال عند المالكية إلا إن كان النفخ لعبث فإنه يبطل الصلاة لمنافاة العبث لها وإن كان لحاجة لم يبطل الصلاة.

---

(١) مطالب أولي النهى (١/ ٥٢٠- ٥٢١).

(٢) الشرح الممتع (٣/ ٣٦٨).

(٣) حاشية الدسوقي (١/ ٢٨١).

(٤) حاشية الدسوقي (١/ ٢٨١).

(٥) مطالب أولي النهى (١/ ٥٢٠- ٥٢١).

تخلف شرط استقبال القبلة:

ذكرنا فيما سبق أنه يشترط لصلاة الفريضة استقبال القبلة وما يترتب على عدم استقبالها من أحكام.

ترك ركن من أركان الصلاة:

اتفق الفقهاء على أن من ترك ركنا من أركان الصلاة عمدًا بطلت صلاته ولم تصح، وإن تركه سهوًا أو جهلًا فقد اتفقوا على وجوب الإتيان به إن أمكنه تداركه فإن لم يمكنه تداركه فقد اختلف الفقهاء في ذلك.

فالحنفية(١) يرون أن صلاته تفسد، والجمهور(٢) على أنه تلغى الركعة التي ترك منها الركن فقط، وذلك إذا كان الركن المتروك غير النية وتكبيرة الإحرام، أما هما فلا بد أن يستأنف الصلاة لأنه غير مصل.



(١) حاشية ابن عابدين (١/ ٢٩٧- ٣٦٨)، بدائع الصنائع (١/ ١١٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠).

(٢) انظر حاشية الدسوقي (١/ ٢٣٩، ٢٧٩)، شرح روضة الطالبين (١/ ١٨٧، ١٨٨)، كشاف القناع (١/ ٣٨٥، ٤٠٢).

آداب الضيافة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فقد جاء الكثير من الأحاديث الحاثة على إكرام الضيف والمبينة أنه من الإيمان، فالضيافة من آداب الإسلام وشرائعه وأحكامه، وهي من سنن المرسلين عليهم السلام، ومن أخلاق السلف رضوان الله عليهم، وللضيافة أحكام وآداب نذكرها فيما يلي:

الضيافة من سنن الأنبياء والمرسلين:

صح في الحديث عن النبي ﷺ أن أول من ضيف الضيف هو إبراهيم عليه السلام [1]، وقال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾[2]، فوصفهم بأنهم أُكرِموا. وقصته عليه السلام لما قدم لهم عجلًا حنيذًا نزلًا وضيافةً معروفة.

وأما لوطٌ عليه السلام فإنه كان يكرم الضيوف أيضًا، كيف لا وهو قد تعلم من إبراهيم عليه السلام، ولما جاءه ضيوفه وجاء قومه يهرعون إليه لعمل الفاحشة

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٩٧، رقم ٩٦١٥).

(٢) سورة الذاريات: الآية ٢٤.

فدافعوه الباب حتى كادوا يغلبونه وهو يخاطبهم ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾[١]، وأخبر ﷻ أنهم راودوه عن ضيفه فطمس أعينهم ولم يرجمهم فقط، ولكن طمس أعينهم ثم رجمهم، وهذا دليلٌ على أهمية وخطورة إيذاء الضيف.

وأما نبينا ﷺ فقد كان أعظم الناس في إكرام الضيف على الإطلاق، وقد وصفتْه خديجة بمثل ذلك من أيام الجاهلية، فلما دخل عليها فزعًا مما لقي في الغار بعد نزول سورة اقرأ وقال: «**زملوني**» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لـخديجة : «**أي خديجة مالي لقد خشيت على نفسي؟**» -فأخبرها الخبر- فقالت خديجة : «كلا. أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبدًا، فو الله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتُكسب المعدوم، وتقري الضيف»[٢].

الحث على إكرام الضيف:

عد النبي ﷺ إكرام الضيف من علامات الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه** ... إلى آخر الحديث »[٣].

وفي الصحيحين أن أبا طلحة وامرأته رضي الله عنهما نزل بهما ضيف، فقال لامرأته:

---

(١) سورة هود: الآية ٧٨.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥، رقم ٤)، ومسلم (١/ ١٤٣، رقم ١٦١).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٠، رقم ٥٦٧٣)، ومسلم (١/ ٦٩، رقم ٤٨).

أعندكِ من القرى[١] شيء؟ قالت: ليس إلا قوت العيال، فقال: هيئيه، فلما هيأته أطفأ المصباح، ووضع الطعام أمام الضيف، وجعلا يريانه أنهما يأكلان وهما لا يأكلان، فلما أصبح قال النبي ﷺ: «**إن الله عجب من صنيعكما البارحة**»[٢]، فنزل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

ومن الأحاديث القاضية بوجوب إكرام الضيف والندب إليه، ما رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله! إنك تبعثنا، فننزل بقومٍ فلا يقروننا، فما ترى؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن نزلتم بقومٍ فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم**»[٤]. ولفظ الترمذي: «**إن أبوا إلا أن تأخذوا كرهًا فخذوا**»[٥].

وكذلك قوله ﷺ: «**الضيافة ثلاثة أيام، وجائزته**[٦] **يوم وليلة، ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه**»، قالوا: يا رسول الله! وكيف

---

(١) القرى: طعام وشراب.

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٢٤، رقم ٢٠٥٤)، وابن حبان (١٢/ ٩٥، رقم ٥٢٨٦).

(٣) سورة الحشر: الآية ٩.

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٧٣، رقم ٥٧٨٦)، ومسلم (٣/ ١٣٥٣، رقم ١٧٢٧).

(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ١٤٨، رقم ١٥٨٩).

(٦) **قال ابن الجوزي**: الجائزة: العطية. وجوائز السلطان عطاياه. والمراد بالجائزة هنا ما يجوز به مسافة يوم وليلة. كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٨٦).

يؤثمه؟ قال: «**يقيم عنده، ولا شيء له يقريه به**»[١].

وذكر النووي الإجماع على الضيافة وأنها من متأكدات الإسلام[٢].

والحديث عن آداب الضيافة ينقسم إلى شقين، هما آداب المضيف وهو صاحب الضيافة، وآداب الضيف، وهو ما نوضحه فيما يلي:

أولاً: آداب المضيف:

بعض الناس يظن أن إكرام الضيف يقتصر على إطعامه الطعام فحسب، لكن مفهوم الضيافة وإكرام الضيف في الإسلام أشمل من معنى الإطعام وأوسع؛ إذ يدخل في إكرام الضيف ملاطفته وإيناسه، وحسن استقباله، والإقبال إليه بالوجه إذا تحدث، والحذر من الإشاحة عنه، أو السخرية بحديثه، وسأتناول هنا بعض هذه الآداب بمزيد من التفصيل:

استحباب الترحيب بالضيوف:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ، قال: «**مرحبًا[٣] بالوفد غير خزايا ولا ندامى ... الحديث**»[٤]، والذي لا شك فيه أن

---

(١) أخرجه البخاري(٦١٣٥)، مسلم(٤٨/ كتاب اللقطة)، واللفظ له.

(٢) انظر شرح مسلم المجلد السادس(١٢/ ٢٦).

(٣) في اللسان (١/ ٤١٤) مادة (رحب): وقولهم في تحية الوارد: أهلا ومرحبا أي صادفت أهلا ومرحبا.

(٤) أخرجه ابن سعد (٧/ ٨٧)، والطبراني (٢٢/ ٣٦٨، رقم ٩٢٤)، قال الهيثمي (٢/ ١٠٠): إسناده حسن. والبخاري تعليقًا في التاريخ الكبير (٩/ ٢٨، رقم ٢٣٥)،

استقبال الرجل لضيوفه بعبارات الترحيب وما شابهها، تدخل السرور والأنس عليهم، والواقع يصدقه.

مراعاة الضيف في الخطاب:

فلا تجرحه بأي كلمة ولو تعريضًا، وأنت جالس على المائدة، مثلًا لا تقل: قالﷺ: «**ما ملأ ابن آدم وعاءً قط شرًّا من بطنه**»[1]، هذا حديث صحيح، ولكن هذا ليس مكان التحديث.

وكان النبي ﷺ وهو أذكى وأعلم وأرحم الناس إذا أراد أن يعظ أصحابه موعظة جعل لها مناسبة، كما كان يمشي مع أصحابه ذات يوم فرأى جديًا أسكَّ مقطوع الأذن ميتًا ملقى على قارعة الطريق، فقال: «**من يشتري هذا؟**» فقالوا: ومن يشتري هذا يا رسول الله؟ والله لو كان حيًّا ما اشتريناه - لأنه أسك مقطوع الأذن وهذا عيب فيه- فكيف وهو ميت، قال: «**والله للدنيا**

وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/ ٢٨٧٧، رقم ٦٧٦٥)، والدولابي في الأسماء والكنى (١/ ٧٦، رقم ١٧٠)، وأبو أحمد الحاكم في الكنى (٤/ ٣٦١، رقم ٢٠٧٦)، والحافظ في الإصابة (٧/ ٥٣، ترجمة ٣٦٠).

(١) أخرجه ابن المبارك (١/ ٢١٣، رقم ٦٠٣)، وأحمد (٤/ ١٣٢، رقم ١٧٢٢٥)، والترمذي (٤/ ٥٩٠، رقم ٢٣٨٠)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١١١١، رقم ٣٣٤٩)، وابن سعد (١/ ٤٠٩)، والطبراني (٢٠/ ٢٧٢، رقم ٦٤٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٨، رقم ٥٦٥٠)، والحاكم (٤/ ٣٦٧، رقم ٧٩٤٥) وقال: صحيح الإسناد. والنسائي (٤/ ١٧٧، رقم ٦٧٦٨)، وابن حبان (١٢/ ٤١، رقم ٥٢٣٦)، والقضاعي (٢/ ٢٧١، رقم ١٣٤٠)، والديلمي (٤/ ٦٧، رقم ٦٢١٠).

أهون على الله من هذا على أحدكم»[(١)]، فاختارﷺ مناسبة جيدة حتى يضمن أن الكلام قرع القلب.

أن يتجنب المضيف تكليف الضيف بعمل ولو خفيفًا:

فهذا من منكرات الضيافة ومسقطات المروءة، كأن يكون بالقرب من الزائر كتابٌ، فيطلب منه مناولته إياه، أو أن يكون بجانبه الزرّ الكهربائي، فيشير إليه بالضغط عليه؛ لإِنارة المنزل، أو أن يأمره بإدارة أقداح الشاي على الضيوف، أو نحو ذلك.

قال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ﵀: «قال لي رجاء بن حيوة: ما رأيت رجلًا أكمل أدبًا، ولا أجمل عشرةً من أبيك؛ وذلك أني سهرت معه ليلة، فبينما نحن نتحدث إذ غشي المصباح، وقد نام الغلام، فقلت له: يا أمير المؤمنين، قد غشي المصباح، أفنوقظ الغلام؛ ليصلح المصباح؟ فقال: لا تفعل. فقلت: أفتأذن لي أن أصلحه؟ فقال: لا؛ لأنه ليس من المروءة أن يستخدم الإنسان ضيفه، ثم قام هو بنفسه، وحط رداءه عن منكبيه، وأتى إلى المصباح، فأصلحه، وجعل فيه الزيت، وأشخص الفتيل، ثم رجع وأخذ رداءه، وجلس، ثم قال: قمتُ وأنا عمرُ بن عبد العزيز، وجلست وأنا عمر بن عبدالعزيز»[(٢)].

أما إذا قام الزائر، وتكرّم بخدمة مزوره فلا بأس في ذلك، خصوصًا إذا

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢٧٢، رقم ٢٩٥٧).

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز (١ / ٤٤).

كان المزور له حقٌّ، أو كان من أهل الفضل والعلم والتقى، أو كان الزائر ممن تُلغى الكلفة بينه وبين المَزُور.

بسط العذر له إذا تأخر:

فقد يحبسه حابس، فيتأخر قليلًا أو كثيرًا؛ فإذا أخذت بالعدل كان لك أن تعاتبه على تأخره، وإذا أخذت بالإحسان والتكرم بسطت له العذر، ولقيته بوجه وضّاح، وجبين طلق؛ فيكون ذلك إكرامًا آخر، خصوصًا إذا كان كريم الطبع، أو ممن ليس من عادته التأخر، وهب أنك أفرطت في عتابه، ثم أعطاك ظهره، وعاد أدراجه، ما مصيرُك أنت؟ لا شك أنك ستندم، ولات ساعة مندم.

ألا تحوج الضيف إلى مد يده:

فينبغي ألا تحوج الضيف إلى أن يمد يده، وهذا أدب نُعلمه لربات البيوت، أدب تنظيم المائدة، وتنظيم الأكل، حتى لا تحوج الضيف إلى أن يمد يده؛ بل يوضع من كل الأصناف أمام كل الضيوف، حتى لا يحتاج أحدٌ إلى أن يمدّ يده، فهذا أدب من آداب وضع الطعام.

الدخول بإذن والانصراف بعد الفراغ من الطعام:

وهذا أدبٌ بينه القرآن، حيث قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾[1]، حيث نهى الله ﷻ المؤمنين أن

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٣ .

يدخلوا بيوت النبي ﷺ إلا بإذن، والمؤمنون كذلك لا يدخلوا بيوت بعضهم إلا بإذن، فالنهي يدخل فيه جميع المؤمنين.

قال الشوكاني: فنهى الله ﷻ المؤمنين عن ذلك في بيت النبي ﷺ، ودخل في النهي سائر المؤمنين، والتزم الناس أدب الله لهم في ذلك فمنعهم من الدخول، إلا بإذن عند الأكل لا قبله لانتظار نضج الطعام(١).

تقديم الأكبر فالأكبر، وتقديم الأيمن فالأيمن:

ينبغي على من أضاف قومًا أن يقدم أكبرهم ويخصه بمزيد عناية، وذلك لحث النبي ﷺ على ذلك، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أراني في المنام أتسوك بسواك، فجذبني رجلان، أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر منهما، فقيل لي: كَبِّر. فدفعته إلى الأكبر**»(٢).

وقال ﷺ: «**من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا**»(٣).

وقال ﷺ: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن؛ غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»(٤).

---

(١) فتح القدير (٤ / ٢٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٩٦، رقم ٢٤٣)، ومسلم (٤/ ١٧٧٩، رقم ٢٢٧١)، والبيهقي (١/ ٣٩، رقم ١٧٠).

(٣) أخرجه الطبراني (٨/ ٢٢٧، رقم ٧٨٩٥)، قال الهيثمي (٥/ ٨١) : رواه الطبراني من طريق أبي عبد الملك عن القاسم، ولم أعرف أبا عبد الملك، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر.

(٤) أخرجه ابن المبارك (١/ ١٣٠، رقم ٣٨٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٢١، رقم ٣٢٥٦١)،

استحباب الخروج مع الضيف إلى باب الدار:

وهذا من تمام الضيافة، وحسن الرعاية للضيف، وتأنيسه حتى يغادر الدار، ولا يثبت في ذلك خبر مرفوع صحيح يُعول عليه، إنما هي آثار عن سلف هذه الأمة وأئمتهم، نقتصر على واحدٍ منها: زار أبو عبيد القاسم بن سلام أحمد بن حنبل رحمه الله، قال أبو عبيد: «فلما أردت القيام قام معي، قلت: لا تفعل يا أبا عبد الله، فقال: قال الشعبي: من تمام زيارة الزائر أن تمشي معه إلى باب الدار وتأخذ بركابه ...»(١).

ثانيًا: آداب الضيف:

ألا يزيد عن ثلاثة أيام:

فعن أبي شريح العدوي قال: سمعتْ أذناي وأبصرت عيناي حيث تكلم النبي ﷺ فقال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته**»، قيل: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «**يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه**»(٢).

استحباب دعاء الضيف لأهل الطعام:

فقد نزل رسول الله ﷺ على أحد الصحابة فقرب إليه طعامًا، فأكل منه

وأبو داود (٤/ ٢٦١، رقم ٤٨٤٣)، والبيهقي (٨/ ١٦٣، رقم ١٦٤٣٥)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١٣٠، رقم ٣٥٧).

(١) طبقات الحنابلة (١ / ٢٥٩)، والآداب الشرعية والمنح المرعية (٣ / ٢٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٧٢، رقم ٥٧٨٤)، ومسلم (٣/ ١٣٥٢، رقم ٤٨).

ﷺ، فقال الصحابي ﭬ وأخذ بلجام دابة النبيﷺ: ادع الله لنا، فقالﷺ: «**اللهم بارك لهم في ما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم**»[١]. وعن أنسٍ ﭬ أن النبيﷺ جاء إلى سعد بن عبادة، فجاء بخبزٍ وزيتٍ، فأكل، ثم قال النبيﷺ : «**أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلَّت عليكم الملائكة**»[٢]، وفي حديث المقداد بن الأسود ﭬ الطويل في احتلاب اللبن، وفيه دعاء النبيﷺ: «**اللهم أطعم من أطعمني واسق من أسقاني**»[٣]. قال النووي: فيه الدعاء للمحسن والخادم، ولمن يفعل خيرًا[٤]. والداعي فاعلٌ للخير.

ويحق للضيف إذا رأى منكرًا في بيت المضيف أن يرجع:

فعن علي ﭬ، قال: صنعت طعامًا. فدعوت رسول الله ﷺ. فجاء فرأى في البيت تصاوير، فرجع[٥].

أن يجلس في مكان مناسب:

وذلك بألا يقعد في صدر المجلس، إلا إذا أذن صاحب البيت؛ لأن صاحب البيت أحق بصدر مجلسه وصدر دابته من غيره.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١١١، رقم ٢٩٨٧٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٥٦، رقم ١٧٤٧)، وابن حبان (١٢/ ١٠٧، رقم ٥٢٩٦).

(٣) مسند الطيالسي (١ / ١٥٨)، ومسند ابن أبي شيبة (١ / ٣٣١)، ومسند الإمام أحمد بن حنبل (٦/ ٢).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٤).

(٥) أخرجه النسائي (٨/ ٢١٣، رقم ٥٣٥١)، وأبو يعلى (١/ ٣٤٢، رقم ٤٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٨١)، والضياء (٢/ ٩٩، رقم ٤٧٣).

وكذلك فإن الضيف إذا جلس في مكان فلا يجلس في المكان الذي يرى فيه الباب، ويرى ما وراء الباب إذا انفتح، وما وراء الستارة؛ حتى لا يطَّلع على عورات صاحب البيت.

وبما أن الضيافة تعتمد كثيرًا على الدعوة، احتاج الأمر أن نذكر شيئًا من آداب الدعوة، من حيث الدعوة إليها، وحضورها، فيما يلي:

أولا: في الدعوة إليها:

١- **أن يدعو لضيافته الأتقياء دون الفساق والفجرة:** لقول النبي ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»(١).

٢- **أن لا يخص بضيافته الأغنياء دون الفقراء:** لقول الرسول ﷺ: «**شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء**»(٢).

٣- **أن لا يقصد بضيافته التفاخر والمباهاة:** بل يقصد الاستنان بسنة النبي ﷺ، والأنبياء من قبله كإبراهيم عليه السلام، والذي كان يلقب بأبي الضيفان، كما

---

(١) أخرجه ابن المبارك (١/ ١٢٤، رقم ٣٦٤)، والطيالسي (ص ٢٩٤، رقم ٢٢١٣)، وأحمد (٣/ ٣٨، رقم ١١٣٥٥)، والدارمي (٢/ ١٤٠، رقم ٢٠٥٧)، وأبو داود (٤/ ٢٥٩، رقم ٤٨٣٢)، والترمذي (٤/ ٦٠٠، رقم ٢٣٩٥)، وقال: حسن. وأبو يعلى (٢/ ٤٨٤، رقم ١٣١٥)، وابن حبان (٢/ ٣١٤، رقم ٥٥٤)، والحاكم (٤/ ١٤٣، رقم ٧١٦٩)، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٢، رقم ٩٣٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٤١، رقم ٣٧٤٢)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٥٩، رقم ١٢٧٥٤)، والأوسط (٦/ ٢٠٢، رقم ٦١٩٠)، قال الهيثمي (٤/ ٥٣): رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير، وفيه سعيد بن سويد المعولي، ولم أجد من ترجمه، وفيه عمران القطان، وثقه أحمد وجماعة، وضعفه النسائي وغيره.

يَنوي بها إدخال السرور على المؤمنين، وإشاعة الغبطة والبهجة في قلوب الإخوان.

٤- **أن لا يدعو إليها من يعلم أنه يشق عليه الحضور**: أو أنه يتأذّى ببعض الإخوان الحاضرين تجنبًا لأذية المؤمن، وأذيته محرمة.

ثانيًا: في آداب إجابتها:

١- **أن يجيب الدعوة ولا يتأخر عنها إلا من عذر**: كأن يخشى ضررًا في دينه أو بدنه، لقول الرسول ﷺ: «**من دُعي فليجب**»(١)، وقوله ﷺ: «**لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، أو أهدي إليَّ ذراع أو كراع لقبلت**»(٢).

٢- **أن لا يميز في الإجابة بين الفقير والغني**: لأن في عدم إجابة الفقير كسرًا لخاطره، ومما يروى في إجابة دعوة الفقراء أن الحسن بن علي رضي الله عنهما مر بمساكين، وقد نشروا كِسرًا على الأرض وهم يأكلون، فقالوا له: هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله ﷺ، فقال: «**نعم؛ إن الله لا يحب المتكبرين، ونزل من على بغلته وأكل معهم**»(٣).

٣- **أن لا يفرق في الإجابة بين بعيد المسافة وقريبها**: وإن وجهت إليه دعوتان أجاب السابقة منهما، واعتذر للآخر.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٤١، رقم ٣٧٤١)، والبيهقي (٧/ ٦٨، رقم ١٣١٩٠). وأخرجه أيضًا: القضاعي (١/ ٣١٤، رقم ٥٢٨)، وابن عدي (١/ ٣٩٠، ترجمة ٢٠٨ أبان بن طارق).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٩٠٨، رقم ٢٤٢٩)، والبيهقي (٦/ ١٦٩، رقم ١١٧٢٠).

(٣) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (٢/ ٣٨٩).

٤- **أن لا يتأخر من أجل صومه بل يحضر**: فإن كان صاحبه يسر بأكله أفطر، لأن إدخال السرور على قلب المؤمن من الخير، وإلا دعا لهم بخير، لقول الرسول ﷺ: «**إذا دعي أحدكم فليجب، فإن كان صائمًا فليصلِّ**[1]**، وإن كان مفطرًا فليطعم**»[2]، وقوله ﷺ: «**تكلف لك أخوك وصنع ثم تقول: إني صائم، كل وصم يوما مكانه**»[3].

٥- **أن ينوى بإجابته إكرام أخيه المسلم ليثاب عليه**: كما قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[4]، إذ بالنية الصالحة ينال المرء الأجر الكبير وتنقلب العادة إلى عبادة .

ثالثًا : آداب حضورها[5] :

١- **أن لا يطيل الانتظار عليهم فيقلقهم**: وأن لا يعجل المجيء فيفاجئهم قبل الاستعداد لما في ذلك من أذيتهم.

٢- **إذا دخل فلا يتصدر المجلس بل يتواضع في المجلس**: وإذا أشار إليه

---

(١) أي: يدعو.

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٥٤، رقم ١٤٣١)، وأبو داود (٢/ ٣٣١، رقم ٢٤٦٠)، والترمذي (٣/ ١٥٠، رقم ٧٨٠)، وابن حبان (١٢/ ١١٨، رقم ٥٣٠٦).

(٣) أخرجه الدارقطني (٢/ ١٧٧) وقال: هذا مرسل. وابن عدي (٥/ ٢٥٠، ترجمة ١٣٩٤ عيسى بن إبراهيم بن طهمان الهاشمي)، وابن الجوزي في التحقيق من طريق الدارقطني (٢/ ١٠٢، رقم ١١٤٥).

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٣، رقم ١)، ومسلم (٣/ ١٥١٥، رقم ١٩٠٧).

(٥) وانظر منهاج المسلم – الجزائري – ١٢٣.

صاحب المحل بالجلوس في مكان جلس فيه، ولا يفارقه.

٣- **أن يعجل بتقديم الطعام للضيف**: لأن في تعجيله إكرامًا له، وقد أمر الشارع بإكرامه: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»[1].

٤- **أن لا يبادر إلى رفع الطعام قبل أن ترفع الأيدي عنه**: ويتم فراغ الجميع من الأكل.

٥- **أن يقدم لضيفه قدر الكفاية**: إذ التقليل نقص في المروءة، والزيادة تنطع ومراءاة، وكلا الأمرين مذموم.

٦- **إذا نزل ضيفا على أحد فلا يزيدن على ثلاثة أيام**: إلا أن يلح عليه مضيفه في الإقامة أكثر، وإذا انصرف استأذن لانصرافه.

٧- **أن يشيع الضيف بالخروج معه إلى خارج المنزل**: لعمل السلف الصالح ذلك، ولأنه داخل تحت إكرام الضيف المأمور به شرعًا.

٨- **أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى في حقه تقصير ما**: لأن ذلك من حسن الخلق الذي يدرك به العبد درجة الصائم القائم.

٩- **أن يكون للمسلم ثلاثة فرش**: أحدها له، والثاني لأهله، والثالث للضيف، لقول الرسول ﷺ: «**فراش للرجل، وفراش للمرأة، وفراش للضيف، والرابع للشيطان**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٠، رقم ٥٦٧٣)، ومسلم (١/ ٦٩، رقم ٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٥١، رقم ٢٠٨٤)، وأبو داود (٤/ ٧٠، رقم ٤١٤٢)، والنسائي (٦/ ١٣٥، رقم ٣٣٨٥)، وأبو عوانة (٥/ ٢٤٢، رقم ٨٥٥٨)، وابن حبان (٢/ ٤٤٨، رقم ٦٧٣).

هل يستضاف الكافر؟

يظهر الرد على هذا السؤال مما جاء في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: (ضافه ضيفٌ كافر -يعني: نزل عليه- فأمر له رسول الله ﷺ بشاة، فحلبت، فشرب حلابها، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب حلاب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ بشاةٍ فحلبت فشرب حلابها، ثم أمر له بأخرى فلم يستتمها[1]، فقال رسول الله ﷺ: «**المؤمن يشرب في معي واحد والكافر يشرب في سبعة أمعاء**»[2]، والحديث يؤخذ منه جواز تضييف الكافر.

والأصل في جواز ضيافتهم هو تأليفهم لعلهم يتأثرون من باب الدعوة، أو إذا كانوا معاهدين فلهم حقوق المعاهدة، أما أن يدعو الإنسان كافرًا إلى بيته فيأتيه بنساءٍ عاريات أو يأتيه بنجسٍ أو بشركٍ وكفرٍ، فلا.

وإذا أضاف المسلم كافرًا هل يؤاكله، أم يقدم له الطعام فقط، ولا يجلس معه للأكل؟ يقول الإمام مالك ﷺ: ترك مؤاكلة النصراني في إناء واحد أحب إليّ ولا أراه حرامًا، ولا نصادق نصرانيًا.

فنهى عن مؤاكلته لما في ذلك من معنى المصادقة، وأما تضييفه فيمكن أن يكون للاستئلاف، ورجاء الإسلام، فيكون فيه أجر إسلامه بإذن الله ﷻ.

---

(١) **لم يستتمها**: أي لم يستطع شربها.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٦١، رقم ٥٠٧٩)، ومسلم (٣/ ١٦٣١، رقم ٢٠٦١).

إضاءات:

قال حاتم الطائي(١):

سلي الجائع الغرثان يا أم منذر إذا ما أتاني بين ناري ومجزري
هَلَ ابسط وجهي إنه أول وأبذل معروفي له دون منكري

وقال مسكين الدارمي(٢):

لحافي لحاف الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزالٌ مُقَنَّعُ
أحدثه إن الحديث من القِرى وتعلم نَفسي أنه سوف يهجع

ويعني بالغزال المقنع: الزوجة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «أَعزُّ الناسِ عليَّ جليسي، الذي يتخطى الناس إليَّ، أما والله إن الذباب يقع عليه فيشق عليَّ!»(٣).

قال دعبل(٤):

وإني لعبد الضيف ما دام نازلًا وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

❁ ❁ ❁

---

(١) البيان والتبيين (١ / ٢٠).

(٢) الحماسة البصرية (٢ / ٢٤٧).

(٣) عيون الأخبار (١ / ١٣٠)، وتاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، (٢٥ / ٢٧٥).

(٤) عيون الأخبار (١ / ٣٥٩)، وديوان دعبل بن علي (١ / ٤٨).

آداب الطريق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فلقد حذر النبي ﷺ أصحابه من الجلوس في الطرقات لأنه ﷺيدرك خطورة تلك المجالس التي كثيراً ما ترتكب فيها الحماقات وتدبر فيها المؤامرات، بل وتتردد فيها الإشاعات وتنتهك فيها الحرمات، لذلك حذرهم خوفاً عليهم وتحصيناً لهم ضد أهوائهم وغرائزهم النفسية التي قد تعيدهم إلى ما كانوا عليه في الجاهلية التي أنقذهم منها الله ﷻ، ولكنهم عندما حذرهم طمأنوه بأنهم لم يجلسوا من أجل هدف دنيوي أو شيطاني، وإنما قد جلسوا من أجل هدف ديني.

كما في حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال: كنا قعوداً بالأفنية نتحدث فيها فجاء رسول الله ﷺ فقام علينا فقال: «**مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعُدَاتِ اجْتَنِبُوا مَجَالِسَ الصُّعُدَاتِ**» فقلنا: إنما قعدنا لغير ما بأس، قال: «**إِمَّا لاَ فَأَدُّوا حَقَّهَا غَضُّ الْبَصَرِ وَرَدُّ السَّلاَمِ وَحُسْنُ الْكَلاَمِ**»(١) .

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٠٣ ، رقم ٢١٦١)، والصعدات: مفردها الصعد . وهو الطريق .

تعريف الطريق:

الطَّرِيقُ فِي اللُّغَةِ :

هو السَّبِيل، يُذَكَّرُ ، وَيُؤَنَّثُ . بِالتَّذْكِيرِ جَاءَ الْقُرْآنُ : ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ (١)، وَيُقَال : الطَّرِيقُ الأَعْظَمُ كَمَا يُقَال: الطَّرِيقُ الْعُظْمَى (٢).

الطريق فِي الاصطلاحِ :

لاَ يَخْرُجُ عَنِ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ ، وَيُطْلَقُ عَلَى النَّافِذِ ، وَغَيْرِ النَّافِذِ ، وَالْوَاسِعِ وَالضَّيِّقِ ، وَالْعَامِّ ، وَالْخَاصِّ .

والطَّرِيقُ قَدْ يَكُونُ عَامًّا ، وَقَدْ يَكُونُ خَاصًّا : فَالطَّرِيقُ الْعَامُّ : مَا يَسْلُكُهُ قَوْمٌ غَيْرُ مَحْصُورِينَ ، أَوْ مَا جُعِل طَرِيقًا عِنْدَ إِحْيَاءِ الْبَلَدِ ، أَوْ قَبْلَهُ ، أَوْ وَقَفَهُ مَالِكُ الأَرْضِ لِيَكُونَ طَرِيقًا ، وَلَوْ بِغَيْرِ إِحْيَاءٍ .

وَإِنْ وُجِدَ سَبِيلٌ يَسْلُكُهُ النَّاسُ عَامَّةً ، اعْتُمِدَ فِيهِ الظَّاهِرُ وَاعْتُبِرَ طَرِيقًا عَامًّا ، وَلاَ يَبْحَثُ عَنْ أَصْلِهِ .

أَمَّا بِنْيَاتُ الطَّرِيقِ - وَهِيَ الْمَمَرَّاتُ الْخَفِيَّةُ الَّتِي يَعْرِفُهَا الْخَوَاصُّ - فَلاَ تَكُونُ بِذَلِكَ طَرِيقًا (٣).

مما ينطبق عليه حكم الطريق في الحاضر:

الطرقات المقصودة بأحكام وآداب الطريق –كما سبق- ليست هي

---

(١) سورة طه: الآية ٧٧ .

(٢) لسان العرب ، والمصباح المنير .

(٣) نهاية المحتاج (٤ / ٣٩٦) ، وأسنى المطالب (٢ / ٢٢٠) ، وحاشية ابن عابدين (٥ / ٣٨٠) .

الطرق فقط، بل تشمل أماكن عدة، فمنها الجلوس على الأرصفة، ومنها الجلوس على أبواب المحلات والدكاكين، ومنها الجلوس في الأسواق أمام الذاهب والآيب، ومنها الجلوس على قارعة الطريق في الشوارع والأزقة، ومنها ركوب السيارة ، فكل هذا يدخل في معنى الطرقات، وينطبق عليه أحكام الطريق.

حكمة النهي عن الجلوس في الطرقات:

النهي عن الجلوس بالطرقات سد للذرائع:

الطريق مرفق عام، ومن حق كل شخص الاستفادة منه دون أن يتعرض للأذى أو المضايقة من أحد ، بل إذا احتاج للعون والنجدة وجدهما من إخوانه بدون مقابل ، وفي نهي الشرع عن الجلوس في الطرقات سد للذريعة إلى المحرم، فإن الجلوس في الطرقات مظنة النظر إلى من يمر من النساء الأجنبيات، وتعمد النظر إليهن حرام وذريعة إلى الافتتان بهن؛ وهذا من علل النهي عن الجلوس في الطرقات.

حال الطرقات اليوم:

نهى النبي ﷺ عن الجلوس بالطرقات في زمان كانت العفة فيه طبعا لأهله، وفي قوم لا يُنتظر منهم إلا كل خير، واليوم تجد جميع الطرقات والأمكنة مليئة بالشباب الضائع، يتصيدون النساء، وبالذات طالبات المدارس بعد انصرافهن، فتجد الأرصفة ملأى بهؤلاء الشباب الذين لم يعطوا أي حق للطريق، فأطلقوا البصر بدل غضه، وآذوا النساء بدل كف الأذى، وأمروا

بالمنكر بدل أن يأمروا بالمعروف، فهؤلاء يحرم عليهم المكث في الطرقات، ويأثمون ببقائهم فيها؛ لأنهم لم يعطوا الطريق حقه، فمثلا هناك بعض الذين يجلسون عند أبواب محلاتهم سواء كانت معارض أو مكاتب عقار أو بقالات، فهؤلاء يؤذون جيرانهم بجلوسهم أمام بيوتهم، يتابعون بنظراتهم الداخل والخارج، وينظرون إلى نوافذ الجيران، ويضحكون ويقهقهون بأعلى أصواتهم، مما يؤذي جيرانهم؛ وهم مع ذلك لا يكفون عن هذا الفعل الشنيع الذي نهى عنه النبي ﷺ، فالذي لا يستطيع أن يغض بصره عن المحارم، ولا يكف أذاه عن الناس فليلزم داره، ولا يبرحه؛ فهو خير له من الإثم والمقت.

من آداب الطريق:

وفيما يلي عدد من آداب الطريق حسب ما أرشدت إليه السنة النبوية، ويقتضيه الصالح العام، فمن ذلك:

غض البصر:

قد أمر الله تعالى به الرجال والنساء على السواء، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[1].

إن الإسلام بهذا التشريع الحكيم يريد أن يقطع الداء من أصله، فقد حرم الزنا، وحرم كذلك الطرق الموصلة إليه، وأعظمها النظر، لذلك سئل ﷺ عن

(١) سورة النور: الآيتان ٣٠ - ٣١.

نظر الفجأة فقال: «**اصرف بصرك**» [١]، وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: « **يا علي! لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة**» [٢] . أي: «لا تنظر مرة ثانية لأن الأولى إذا لم تكن بالاختيار فهو معفو عنها فإن أدام النظر أثم» [٣] .

وَفِي التَّبْصِرَةِ : كَانَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام يَقُولُ: «**النَّظْرَةُ تَزْرَعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ وَكَفَى بِهَا خَطِيئَةً**».

وَقَالَ الْحَسَنُ رضي الله عنه: مَنْ أَطْلَقَ طَرْفَهُ كَثُرَ أَسَفُهُ [٤] .

قال ابن تيمية رحمه الله: «تعمد النظر يورث القلب علاقة يتعذب بها الإنسان، وإن قويت حتى صارت غراماً وعشقاً زاد العذاب الأليم، سواء قدر أنه قادر على المحبوب أو عاجز عنه، فإن كان عاجزاً فهو في عذاب أليم من الحزن والهم والغم، وإن كان قادراً فهو في عذاب أليم من خوف فراقه، ومن السعي في تأليفه وأسباب رضاه» [٥] .

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٩٩، رقم ٢١٥٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٧، رقم ٢٣٠٧١) وحسنه شعيب الأرنؤوط، وأبو داود (٢/ ٢٤٦، رقم ٢١٤٩) ، والترمذي (٥/ ١٠١ ، رقم ٢٧٧٧) وقال : حسن غريب . وحسنه الألباني. والروياني (١/ ٦٩ ، رقم ٢٢) ، والحاكم (٢/ ٢١٢ ، رقم ٢٧٨٨) وقال: صحيح على شرط مسلم . والبيهقي (٧/ ٩٠ ، رقم ١٣٢٩٣) . وابن أبى شيبة (٤/ ٦ ، رقم ١٧٢١٨) ، والطحاوي (٣/ ١٥) .

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٦ / ١٣١).

(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (١ / ٦٥).

(٥) مجموع الفتاوى (١٤ / ١٥٦).

وَقَالَ الإِمَامُ المُحَقِّقُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ : أَمَّا اللَّحَظَاتُ فَهِيَ رَائِدَةُ الشَّهْوَةِ وَرَسُولُهَا ، وَحِفْظُهَا أَصْلُ حِفْظِ الْفَرْجِ ، فَمَنْ أَطْلَقَ بَصَرَهُ أَوْرَدَهُ مَوَارِدَ الْهَلَكَاتِ [١] .

وقبل غض البصر أمر الله سبحانه وتعالى النساء بالاحتجاب عن الرجال، وإذا خرجن فليخرجن كما أمر الله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ...﴾ الآية [٢] .

ولا تخرج المرأة المسلمة إلا للضرورة، وإذا خرجت فلتخرج محتشمة في لباسها ومشيها، بعيدة عن حركات الريبة ومواضع التهم، غير متعطرة ولا متلفتة، حذرة كل الحذر من قول الرسول ﷺ: «**إذا اسْتَعْطَرَتِ المَرْأَةُ فَمَرَّتْ على القوم لِيَجِدُوا رِيحَهَا فهى زَانِيَةٌ**» [٣]، أي: هي بسبب ذلك متعرضة للزنا ساعية في أسبابه فسميت لذلك زانية .

وهذا يدل على خطورة هذا العمل، وفيه دليل على سد الذرائع؛ لأن هذا من سد الذرائع، فكون المرأة تتعطر هذا ذريعة إلى الفتنة بها، وإلى رغبة الرجال السفهاء بها بحيث يطمعون بها ويحاولون الوصول إليها؛ لأن مثل هذا العمل

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) (١ / ١٠٦).

(٢) سورة النور: الآية ٣١.

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٧٩ ، رقم ٤١٧٣) ، والترمذي (٥/ ١٠٦رقم ٢٧٨٦) وقال : حسن صحيح . والنسائي (٨/ ١٥٣ ، رقم ٥١٢٦) . وأحمد (٤/ ٤٠٠ ، رقم ١٩٥٩٣) ، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

يمكن أن يستدل به على أنها فعلت ذلك لأنها ترغب أن تراود أو أن يتصل بها.

كف الأذى:

أما كف الأذى الوارد في الحديث الشريف أنه من حقوق الطريق، فهو إماطة الأذى وإزالته عن الطريق إن وجد من غيرك، قال ﷺ: «**نَزَعَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَط غُصْنَ شَوْكٍ عَنِ الطَّرِيقِ إِمَّا كانَ في شَجَرَةٍ مُقَطَّعَةٍ فَأَلْقَاهُ، وَإِمَّا كانَ مَوْضُوعاً فَأَمَاطَهُ فَشَكَرَ الله لَهُ بِهَا فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ**»[(١)]. وفي لفظ عند أحمد رحمه الله: «**دَخَلَ عَبْدٌ الْجَنَّةَ بِغُصْنِ شَوْكٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ فَأَمَاطَهُ عَنْهُ**»[(٢)].

قال العيني: «اعلم أن الشخص يؤجر على إماطة الأذى وكل ما يؤذي الناس في الطريق وفيه دلالة على أن طرح الشوك في الطريق والحجارة والكناسة والمياه المفسدة للطرق وكل ما يؤذي الناس يخشى العقوبة عليه في الدنيا والآخرة ولا شك أن نزع الأذى عن الطريق من أعمال البر وأن أعمال البر تكفر السيئات وتوجب الغفران ولا ينبغي للعاقل أن يحقر شيئا من أعمال البر»[(٣)].

وأن لا تتعرض لأحد بما يكره، ولا تذكر أحداً من الناس إلا بخير، ولا تهزأ بالمارة، ولا تسخر براكب ولا ماشٍ، ولا تشير بيديك ولا عينيك إلى رجل

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٦٢، رقم ٥٢٤٥)، وقال الألباني: حسن صحيح. وأخرجه ابن حبان (٢/ ٢٩٧، رقم ٥٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (ج ٢ / ص ٤٠٤)، وصححه الأرنؤوط.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩ / ٣١٩).

أو امرأة بسوء، ولا تحتقر ضعيفًا، لا تضحك من شيخ أحدب ولا عجوز شوهاء، ولا تفعل ما يفعله السفهاء والأراذل من قول فاحش، كنقد لاذع وتهكم مزرٍ.

ومن الأذى المخدرات والمسكرات، واختلاط الرجال بالنساء اختلاطاً أقل ما يقال عنه إنه يشبه اختلاط الحيوانات في الغابات، ينزو ذكرانها على إناثها والناس ينظرون، فهذا من أعظم الأذى الذي نهى عنه النبي ﷺ، وأمر بكفه، وجعله حقًّا من حقوق الطريق.

أخرج الطبراني رحمه الله من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ** »(١).

وفي حديث أبي هريرة عند مسلم: «**اتقوا اللعَّانين**» قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: «**الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلِّهم**»(٢). سمي ذلك باللعانين لأثر هذين الأمرين الجالبين للشتم والطرد الباعثين عليه .

الأول : الذي يتبرز فى طريق الناس .

والثاني : الذي يتبرز في ظلهم : أي الذي اتخذوه مقيلاً .

المحافظة على نظافة الطريق :

وهذا الأدب يندرج تحت كف الأذى، فلا يلقي المرء في الطريق الأوساخ، لا سيما ما يؤذي الناس ، كالأشياء التي تسبب الانزلاق ، لقوله

---

(١) أخرجه الطبراني (٣/ ١٧٩ ، رقم ٣٠٥٠) . قال الهيثمي (١/ ٢٠٤) : إسناده حسن .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٦ ، رقم ٢٦٩).

ﷺ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**»[(١)].

بل المطلوب من المسلم أن يرفع عن الطريق ما يؤذي المارة من حجر أو شوك أو كل ما يسبب ضررًا بالآخرين، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله؛ وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[(٢)].

رد السلام:

وأما رد السلام فهو شعار المسلم، فالله سبحانه وتعالى من أسمائه السلام، وجنته دار السلام، وتحية أهل الجنة السلام، لذلك جعل الله سبحانه وتعالى رد السلام فرضًا، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[(٣)].

وجعله النبي ﷺ وسيلة لتحقيق السلام بين المسلمين، فقال ﷺ: «**أَفْشُوا السَّلَامَ تسلموا**»[(٤)]، أي: من التنافر والتقاطع وتدوم بينكم المودة وتجمع

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣١٣، رقم ٢٨٦٧)، وابن ماجه (٢/ ٧٨٤، رقم ٢٣٤١) قال البوصيري (٣/ ٤٨): هذا إسناد فيه جابر (يعني الجعفي) وقد اتهم. والطبراني (١١/ ٢٢٨، رقم ١١٥٧٦). وابن ماجه (٢/ ٧٨٤، رقم ٢٣٤٠)، قال البوصيري (٣/ ٤٨): هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع. والبيهقي (٦/ ١٥٦، رقم ١١٦٥٧). والطبراني (٢/ ٨٦، رقم ١٣٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٢، رقم ٩)، ومسلم (١/ ٦٣، رقم ٣٥)، واللفظ لمسلم.

(٣) سورة النساء: الآية ٨٦.

(٤) أخرجه مسدد كما في المطالب العالية (١١/ ٧٩٧، رقم ٢٦٩٨)، وإتحاف الخيرة المهرة (٧/ ٣٨٣، رقم ٧٠٩٢)، وإسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية (١١/ ٧٩٧، رقم ٢٦٩٨)، والبخاري في الأدب المفرد من طريق مسدد (١/ ٣٤٠، رقم ٩٧٩)،

القلوب وتزول الضغائن والحروب .

وذلك لأن إفشاء السلام رابطة محبة بين من يتبادلونه ويفشونه فيما بينهم، كما قال ﷺ: «**أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ**» (١) .

قال النووي رحمه الله: «السلام أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تُـمَكّن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين» (٢) .

ولا فرق بين توجه إفشاء السلام ابتداءً أو ردا، كما قال ابن حجر رحمه الله: «لا مغايرة في المعنى، لأن ابتداء السلام ورده متلازمان، وإفشاء السلام ابتداء يستلزم إفشاءه جوابا» (٣) .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات التي قصر فيها

وابن حبان (٢/ ٢٤٤ ، رقم ٤٩١) ، وأبو يعلى (٣/ ٢٤٦ ، رقم ١٦٨٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٢٦ ، رقم ٨٧٥٧) . وأخرجه أيضاً : أحمد (٤/ ٢٨٦ ، رقم ١٨٥٥٣) ، والقضاعى (١/ ٤١٧ ، رقم ٧١٨) . قال الهيثمي (٨/ ٢٩) : رواه أحمد ، وأبو يعلى ، ورجاله ثقات .

(١) أخرجه مسلم (١/ ٧٤ ، رقم ٥٤).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢ / ٣٦).

(٣) فتح الباري (١١ / ١٨).

الخاصة والعامة من المسلمين إلا من رحم الله، تحت ستار الحرية وحقوق الإنسان.

أمثلة للأمر بالمعروف في الطريق:

فيكره أن يترك الجالس فيها معروفًا حاضرًا أمامه لا يفعله الجالسون إلا أمرهم به، كأن يؤذن المؤذن للصلاة فلا يجيبه أحدٌ من الجالسين، فإن عليه أن ينادي فيهم أن يجيبوا داعي الله.

أو أن يمر أمامه جائع عارٍ فعليه أن يكسوه ويطعمه، وإن كان غير قادر ماديًّا أمر الناس الجالسين بذلك.

مثال النهي عن المنكر في الطريق:

كأن يجلس مع الناس ثم يأتي شربة خمرٍ أو حشيش، أو يرى إنساناً يُسلَب ماله.

أو يرى شخصا يُضرَب ظلما، فعليه أن ينصره، ويقف في وجه الظالم في حدود طاقته ووسعه.

ارتباط هذا الحق بالاستطاعة:

لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، كما قال ﷻ: ﴿**لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[1]، ولقوله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ**

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[(١)].

قال القاضي عياض رحمه الله: «هذا الحديث أصل فى صفة التغيير فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولا كان أو فعلا»[(٢)].

ولكن ينبغي الإشارة هنا إلى أمور[(٣)]:

أولاً: التدرج في الإنكار: فلا يتحول المرء إلى مرتبة حتى يعجز عن التي قبلها، فلا ينكر بقلبه من يستطيع الإنكار بلسانه، وهكذا.

الثاني: أن من كانت له ولاية فإنكاره يكون بأعلى مراتب الإنكار: فرب الأسرة هو السيد المطاع في البيت وتغييره يكون بيده فهو قادر على إزالة المنكر بيده ولا يعذر بترك ذلك.

الثالث: العلم بالمنكر أنه منكر قبل الإنكار: وهل هو من الأمور التي يسوغ فيها الخلاف، وهذا باب غلط فيه فئام من الناس، فليتنبه له.

الرابع: يجب أن يستشعر المُنكِرُ قاعدة المفاسد والمصالح: وأن لا يبادر إلى الإنكار إلا إذا علم أن مصلحته راجحة على مفسدته، ومتى علم رجحان المفسدة وجب عليه الكف حتى لا يفتح باب شر وإفساد.

الخامس: إذا عجز المُنكرُ عن المرتبة الأولى والثانية: فلا يغفل عن قلبه ويمر عليه المنكر دون إنكار بالقلب وظهور آثار ذلك على صفحات وجهه.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٩، رقم ٤٩).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٥).

(٣) انظر آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من هذا الكتاب.

هداية السائل عن الطريق:

ومن حقوق الطريق إرشاد السائل عن الطريق، وهدايته إليه، سواءً كان ضالاً أو أعمى. وجاء هذا الحق مصرحاً به في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الذين سألوا النبي ﷺ عن حق الطريق قال: «**وَإِرْشَادُ السَّبِيلِ**»(١). أي: إذا احتاج أحد إلى معرفة الطريق فإنه يرشده، ويبصره بالطريق الذي يحتاج إلى سلوكه وإلى معرفته.

فإذا كانوا جالسين وجاء أحد يريد أن يسلك طريقاً يوصله إلى بغيته، والطرق متعددة، ولا يدري الطريق الذي يوصله إلى بغيته، فإنه إذا سئل الجالس فعليه أن يرشده إلى الطريق، ويبين له السبيل، وهذا من حق الطريق.

وفي حديث آخر لأبي هريرة رضي الله عنه ما يبين أن هداية السبيل من الصدقات، قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَدَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»(٢).

التواضع في المشي :

بأن يمشي الإنسان على الأرض مشيًا لينًا رفيقًا، وذلك لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾(٣). وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٥٦ ، رقم ٤٨١٦) ، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩٠ ، رقم ٢٨٢٧) ، ومسلم (٢/ ٦٩٩ ، رقم ١٠٠٩).

(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣٧.

إعانة الرجل في حمله:

ومن آداب الطريق المستحب فعلها أن تعين رجلاً على ركوب دابته إذا كان ذلك يشق عليه، أو تعينه في حمل متاعه، ويمكن فعل ذلك الآن، فإن بعض كبار السن قد لا يتمكن من الركوب في العربات المتحركة بسهولة، وخصوصاً إذا كانت كبيرة.

وفعل ذلك من الصدقة التي يؤجر المسلم عليها. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «.. **وَتُعِينُ الرَّجُلَ على دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَو تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**... الحديث»(١)

تجنب الأخطار:

وذلك بأخذ الحذر من كل ما قد يسبب ضررًا من حيوان، أو إنسان، أو مركبة، وذلك أخذًا من عموم قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾(٢).

وعلى المسلم -أيضا- أن يرد عن الآخرين تلك الأخطار بتنبيههم إليها، أو كفها عنهم إن استطاع.

وليعلم كل مسلم أن هذه السيارة التي يركبها من نعم الله سبحانه وتعالى التي يجب شكرها، ومن الشكر ألا تؤذي بها الناس، وألا تفسد بها في الأرض. وإذا كان الإسلام حذر المسلم من أن يمشي بين الناس وهو يحمل سلاحًا من أي نوع كان بطريقة مخيفة.

---

(١) الحديث السابق.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٥.

لأن له تأثيراً على نفوس الناس بالإزعاج والإخافة. فكيف بمن يلحق الأذى بالناس، أو كيف بمن يزهق أرواحهم بسيارته؟

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِى مَسْجِدِنَا ، أَوْ سُوقِنَا ، وَمَعَهُ نَبْلٌ ، فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا ، أَوْ فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ ، أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَىْءٌ» [(١)]. أي: ضع يدك على نصالها جمع نصل وهو ما يجرح منها والغرض حتى لا يخدش بها أحدا دون قصد.

الرجال أحق بوسط الطريق:

ومن حرص الإسلام على تميز النساء عن الرجال، وقطع كل طريق يؤدي إلى الفتنة بهن، أن جعل حافة الطريق للنساء وأوسطه للرجال، حتى لا يختلط الرجال بالنساء وتعظم الفتنة، كما هو الحال الآن إلا من رحم الله.

فعن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول للنساء وهو خارج من المسجد ذات يوم بعد أن شاهد اختلاط الرجال مع النساء في الطريق: «**اسْتَأْخِرْنَ فإنه ليس لَكُنَّ أن تَحْقُقْنَ الطريقَ** [(٢)]**، عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطريق**» [(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٩٢ ، رقم ٦٦٦٤) ، ومسلم (٤/ ٢٠١٩ ، رقم ٢٦١٥).

(٢) تحققن: أي تمشين في وسط الطريق .

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٦٩ ، رقم ٥٢٧٢) ، وحسنه الألباني في الصحيحة (٨٥٦) ، المشكاة (٤٧٢٧)، والطبراني (١٩/ ٢٦١ ، رقم ٥٨٠) . والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٧٣ ، رقم ٧٨٢٢) .

وسير النساء بمحاذاة جوانب الطريق أستر لهن، وأقرب للحياء، حتى لا ينافسن الرجال في طريقهم ويقتحمنه معرضات أنفسهن وغيرهن للفتنة؛ وأول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، وهلاكها كان بسبب ذلك.

وهكذا قد دعا الإسلام إلى حفظ الحقوق العامة والخاصة، ومنها آداب الطريق، والتي ذكرنا بعضها؛ وقد جمع محدث زمانه، وحافظ عصره، الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمه الله، بعض هذه الحقوق والآداب بقوله:

جمعت آداب من رام الجلوس على الطر
يق من قول خير الخلق إنساناً
أفش السلام، وأحسن في الكلام
وشمت عاطسًا، وسلامًا رد إحساناً
في الحمل عاون، ومظلومًا أعن
لهفان، اهد سبيلاً، واهد حيراناً
بالعرف مر، وأنه عن نكر، وكف أذى
وغض طرفًا، وأكثر ذكر مولانا [1]

نظرات في قيادة السيارات:

لو تأملنا الحال في تعامل بعض الناس في قيادة السيارات لوجدنا بعض الأخطاء التي ترتكب من قبل البعض بقصد أو بغير قصد، مما يتعلق بالسير في الطرقات العامة والشوارع المخصصة لسير السيارات أو المشاة.

---

(١) فتح الباري (١١/ ١١).

الأصل أن يسلك الإنسان الطريقَ بسيارته بهدوء واتزان، وأن يراعي أحوال المشاة ومن يسلك الشارع من إخوانه السائقين بسياراتهم، وأن يتجنب الوقوع في أي مخالفة قد تكون سببًا في إلحاق الضرر بالآخرين أو إيذائهم، وإذا كانت النصوص الشرعية تبين أن إزالة الأذى وإماطته عن الطريق يكتب به الأجر والثواب للمؤمن فإن إلحاق الأذى والضرر بالآخرين يكون سببًا في تحمل الفاعل للإثم ووقوعه في الذنب.

السرعة الهائلة:

بعض السائقين قد يقود سيارته بسرعة هائلة في الشوارع المزدحمة وفي وسط المدن، حيث تكتظ الشوارع بالسيارات والمشاة، مما يتسبب في كثير من الأحيان بوقوع الاصطدام أو إزهاق نفس بريئة، فيتسبب في أذية نفسه بإتلاف سيارته وتحمله مبالغ لإصلاحها وإعادتها لحالتها الأولى، كما يتسبب في تحميل الآخرين تكاليف إصلاح سياراتهم، أو يكون ذلك عليه إذا كان هو المتسبب الرئيس فيه.

كما لا ننسى أنه حين تُزهق روح إنسان بسبب سرعته هذه فإنه يتسبب في إدخال الحزن واليتم والترمل لأفراد أسرة ذلك الذي تسبب في وفاته، بسبب سرعته الجنونية وعدم التزامه بآداب قيادة السيارة والتمهل في مشيه وسيره.

ولا شك أن الحكم الشرعي في ذلك أنه يكون ضامنًا لكل ما يترتب على التلف الذي وقع بسبب سرعته، سواء كان تلفًا في آلة أو مركبة أو إزهاق نفس أو إلحاق ضرر بإنسان كإصابته بجروح أو كسور أو نحو ذلك.

ومما يتصل بهذا الجانب المخالفات المرورية التي يرتكبها كثير من السائقين، من عكس خط السير أو تجاوز إشارة المرور الحمراء أو الوقوف في الأمكنة والمواقف التي يُمنع الوقوف فيها أو غير ذلك من المخالفات الأخرى، وكم رأينا من مشاهد محزنة وصور دامية لحوادث ذهب ضحيتها الأنفس البريئة، أو كانت سببًا في إصابة البعض بإعاقات تامة أو جزئية، والسبب في ذلك قلة الوعي لدى البعض في قيادة السيارات والمركبات، أو إصرار بعض السائقين على عدم التنازل عن شيء من حقوقهم المؤقتة في القيادة التي يكتسبونها أثناء السير، كأفضلية المرور والأولوية في استخدام الطريق ونحو ذلك، مما يؤدي إلى وقوع الحوادث.

أمور يجب أن تراعى:

دعاء الركوب:

عند ركوب الإنسان سيارته يبتدئ بالأدب الإسلامي الذي وجه إليه، وهو ما ورد أن عليًّا أُتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: «بسم الله»، فلما استوى على ظهرها قال: «الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون»، ثم قال: «الحمد لله» ثلاث مرات، ثم قال: «سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، ثم ضحك عليٌّ فقيل له: يا أمير المؤمنين، من أي شيء ضحكتَ؟ فقال: رأيت النبي فعل مثل ما فعلتُ ثم ضحك، فسألته فقال : «**إن ربك سبحانه يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري**»[1].

---

(١) أخرجه الطيالسي (١/ ٢٠ ، رقم ١٣٢) ، وأحمد (١/ ٩٧ ، رقم ٧٥٣) ، وعبد بن حميد

التأكد من سلامة السيارة:

على المرء أن يتفقد سيارته من أي خلل قد يكون فيها؛ لأن المركبة إذا كانت غير صالحة للاستعمال بسبب خلل في بعض أجزائها قد يؤدي إلى إلحاق الضرر بقائدها وبالآخرين، والنبي ﷺ قال: «**إذا مَرَّ أحدكم في مجلس أو سوق وبيده نبل فليأخذ بنصالها، ثم ليأخذ بنصالها، ثم ليأخذ بنصالها؛ أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء**»[1].

وهذا تأكيد منه لأمته بعدم إيذاء الآخرين بشيء من الآلات المستعملة في ذلك الوقت كالسهام، وفي معناها كل شيء يملكه الإنسان يؤدي استعماله إلى إلحاق الضرر بالناس، والسيارات من أكثر ما يستخدم في هذا الوقت، فينبغي أن يكون الاستعمال بالطريقة المثلى الصحيحة، والتي لا تؤدي إلى إيذاء الآخرين وإضرارهم.

الالتزام بقواعد وإشارات المرور:

على السائق أن يلتزم بأنظمة المرور وقواعده التي وضعت لسلامة السائق وسلامة غيره، وقد قال ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[2].

(١/ ٥٨ ، رقم ٨٨) ، وأبو داود (٣/ ٣٤ ، رقم ٢٦٠٢) ، والترمذي (٥/ ٥٠١ ، رقم ٣٤٤٦) ، والنسائي (٥/ ٢٤٧ ، رقم ٨٧٩٩) ، وأبو يعلى (١/ ٤٣٩ ، رقم ٥٨٦) ، وابن حبان (٦/ ٤١٥ ، رقم ٢٦٩٨) ، والحاكم (٢/ ١٠٨، رقم ٢٤٨٢) ، والبيهقي (٥/ ٢٥٢ ، رقم ١٠٠٩٧) ، والضياء (٢/ ٢٩٥ ، رقم ٦٧٦) .

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٧٣ ، رقم ٤٤٠) ، ومسلم (٤/ ٢٠١٨ ، رقم ٢٦١٤).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣١٣ ، رقم ٢٨٦٧) ، وابن ماجه (٢/ ٧٨٤ ، رقم ٢٣٤١) وقال

مراعاة المشاة:

على قائد السيارة كمسلم أن يراعي غيره من إخوانه المشاة عند قيادته السيارة، فإذا رأى أحدًا يريد عبور الطريق فليعطه الفرصةَ ليمر إذا أمكنه ذلك دون أن يسبب مشاكل في المرور، وليقف حتى يتخطى من أمامه، فإن ذلك من تفريج الكربات، وقد قال ﷺ: «**من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**» (١).

عدم الوقوف اعتراضا للطريق:

من العادات التي ينبغي للسائقين نبذها تلك التي يقوم بِها البعض ـ وهم قلة ـ حين يقف اثنان كل واحد منهما بسيارته وسط الطريق يتحدثان، أو يسلم أحدهما على الآخر، ووراءهما قطار طويل من السيارات، مما يتسبب في عرقلة حركة المرور، وذلك من الأذى المنهيّ عنه، كما قال ﷺ: «**والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**» (٢).



البوصيري (٣/ ٤٨) : هذا إسناد فيه جابر (يعني الجعفي) وقد اتهم . والطبراني (١١/ ٢٢٨ ، رقم ١١٥٧٦) .

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٢ ، رقم ٢٣١٠) ، ومسلم (٤/ ١٩٩٦ ، رقم ٢٥٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٦٥ ، رقم ٤١) .

آداب الطعام والشراب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فقد قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[2].

فالأكل والشرب من المباحات، التي ترتقي في جوانب كثيرة إلى الواجبات، وقد وضعت الشريعة الإسلامية للأكل والشرب آدابا، نذكر بعضها فيما يلي:

النهي عن الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة:

جاءت الأحاديث بالوعيد الشديد لمن شرب في آنية الذهب والفضة، أو أكل في صحافها. فعن حذيفة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة**»[3].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٥١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦٠.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٣٣، رقم ٥٣١٠)، ومسلم (٣/ ١٦٣٨، رقم ٢٠٦٧).

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر**[(١)]**في بطنه نار جهنم**» [(٢)].

وأجمع العلماء على أنه لا يجوز الشرب بها [(٣)]، وليس ثمة نصٌّ في علة هذا الحكم، والمسلم إذا جاءه الدليل من الكتاب أو من السنة الصحيحة، لا ينبغي له أن يتعداه قيد أنملة، ولا يتكلف التأويل ليستسيغ الفعل .

وقد تطرق بعض أهل العلم لحكمة هذا النهي واختلفوا فيه، فمن هذه العلل: التشبه بالجبابرة وملوك الأعاجم، والسرف والخيلاء، وأذى الصالحين والفقراء الذين لا يجدون من ذلك ما بهم الحاجة إليه. قاله ابن عبد البر [(٤)].

فائدة : قال الإسماعيلي: قوله: (ولكم في الآخرة) [في رواية] أي: تستعملونه مكافأة لكم على تركه في الدنيا، ويمنعه أولئك جزاء لهم على معصيتهم باستعماله. قلت[أي:ابن حجر]: ويحتمل أن يكون فيه إشارة إلى أن الذي يتعاطى ذلك في الدنيا لا يتعاطاه في الآخرة كما تقدم في شرب الخمر [(٥)].

---

(١) في اللسان: الجرجرة: الصوت. والجرجرة:تردد هدير الفحل، وهو صوت يردده البعير في حنجرته وقد جرجر... وفي الحديث: الذي يشرب في إناء الفضة والذهب إنما يجرجر في بطنه نار جهنم؛ أي يَحْدُرُ فيه، فجعل الشرب والجرع جرجرة، وهو صوت وقوع الماء فيه .(٤/ ١٣١) مادة:(جرر).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٣٣ ، رقم ٥٣١١) ، ومسلم (٣/ ١٦٣٤ ، رقم ٢٠٦٥).

(٣) ذكر الإجماع ابن عبد البر في التمهيد (١٦/ ١٠٤)، وابن المنذر. انظر فتح الباري (١٠/ ٩٧). ولا شك أن الأكل في حكم الشرب.

(٤) التمهيد(١٦/ ١٠٥). وانظر فتح الباري (١٠/ ٩٧).

(٥) فتح الباري (١٠/ ٩٨).

النهي عن الأكل متكئاً، أو منبطحاً على وجهه:

روى أبو جحيفة ﵁ أنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده: «**لا آكُلُ وأنا متكئٌ**» (١)، قال ابن حجر: «اختلف في صفة الاتكاء فقيل: أن يتمكن من الجلوس للأكل على أي صفة كان، وقيل أن يميل على أحد شقيه، وقيل أن يعتمد على يده اليسرى من الأرض، قال الخطابي: تحسب العامة أن المتكئ هو الآكل على أحد شقيه، وليس كذلك بل هو المعتمد على الوطاء الذي تحته.

وقال ابن حجر: وإذا ثبت كونه مكروهاً أو خلاف الأولى فالمستحب في صفة الجلوس للآكل أن يكون جاثياً على ركبتيه وظهور قدميه، أو ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى» (٢).

ووجه الكراهة في ذلك أن هذه الهيئة من فعل الجبابرة وملوك العجم، وهي جلسة من يريد الإكثار من الطعام (٣).

والهيئة الثانية هي أكل الرجل وهو منبطح على بطنه: فمن حديث ابن عمر ﵄ أنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن مطعمين؛ عن الجلوس على مائدة

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٦٢، رقم ٥٠٨٣).

(٢) فتح الباري(٩/ ٤٥٢). قلت: وهذه الصفة أعني: نصب الرجل اليمنى والجلوس على اليسرى، رواها أبو الحسن بن المقري في الشمائل من حديثه(كان إذا قعد استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ...) وسنده ضعيف. قاله العراقي في تخريج إحياء علوم الدين .(٢/ ٦) . ط. دار الحديث، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

(٣) انظر زاد المعاد(٤/ ٢٢٢)، وفتح الباري(٩/ ٤٥٢).

يشرب عليها الخمر، وأن يأكل وهو منبطح على بطنه [(١)].

فائدة: هديه ﷺ في هيئة الجلوس للأكل: أنه كان يأكل وهو مقعٍ، ويُذكر عنه أنه كان يجلس للأكل متوركاً على ركبتيه، ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى تواضعاً لربه ﷻ، قاله ابن القيم رحمه الله [(٢)].

فأما الأولى: فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: رأيت النبي ﷺ مقعيًا[(٣)] يأكل تمرًا [(٤)].

وأما الثانية: فعن عبد الله بن بُسرٍ رضي الله عنه قال : أهديت للنبي ﷺ شاةً فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه يأكل فقال أعرابيٌّ ما هذه الجلسة؟ فقال: «**إن الله جعلني عبدًا كريمًا ولم يجعلني جبارًا عنيدًا**» [(٥)].

تقديم الأكل على الصلاة عند حضور الطعام:

وفيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « **إذا وُضِعَ عَشَاءُ**

---

(١) رواه أبو داود(٣٧٧٤) وصححه الألباني، وابن ماجه(٣٣٧٠).

(٢) زاد المعاد (٤/ ٢٢١).

(٣) أي جالساً على إليته ناصباً ساقيه. شرح مسلم . المجلد السابع(١٣/ ١٨٨).

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٦١٦، رقم ٢٠٤٤).

(٥) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٤٨ ، رقم ٣٧٧٣) ، وابن ماجه (٢/ ١٠٨٦ ، رقم ٣٢٦٣) قال البوصيري (٤/ ٨) : هذا إسناد صحيح . والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ١٠٧ ، رقم ٥٩٧٤) . قال الحسيني في البيان والتعريف (١/ ١٧٦) : قال النووي : إسناده جيد ، وقال غيره : رواته ثقات ، وحسن إسنادها ابن حجر في الفتح (٩/ ٤٥٢)، وقال الألباني صحيح (٢٦٥٨) . وهي عند أبي داود (٣٧٧٣) دون ذكر ركبتيه .

أحدِكم وأقيمتِ الصلاةُ فابدءوا بالعشاءِ ولا يَعْجَلْ حتى يفْرُغَ منه» [١]. وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قُدم له عشاؤه وحضرت الصلاة لا يقوم حتى يفرغ منه.

روى الإمام أحمد في مسنده: عن نافع أن ابن عمر كان أحياناً يبعثه وهو صائم فيُقدم له عشاؤه وقد نودي صلاةُ المغرب ثم تُقام وهو يسمع فلا يترك عشاءهُ حتى يقضي عشاءه ثم يخرج فيصلي. قال: وقد كان يقول: قال نبي الله ﷺ: «**لا تعجلوا عن عشائكم إذا قُدم إليكم**» [٢].

والعلة في ذلك؛ لئلا يقوم المرء ونفسه تتوق إلى الطعام فيحصل له من التشويش الذي يذهب معه خشوعه. قال ابن حجر [٣]: روى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة بإسناد حسن. وعن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم: أنهما كانا يأكلان طعاماً وفي التنور شواء، فأراد المؤذن أن يقيم، فقال له ابن عباس: لا تعجل لئلا نقوم وفي أنفسنا منه شيء، وفي رواية ابن أبي شيبة: «**لئلا يعرض لنا في صلاتنا**» [٤].

وليس هذا الأمرُ خاصًّا بالعشاء وحده، إنما هو في كل طعام تتشوّف النفس إليه، ويؤيد ذلك نهي النبي ﷺ عن الصلاة بحضرة الطعام، وعند مدافعة الأخبثين، والعلة ظاهرة.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٣٩، رقم ٦٤٢)، ومسلم (١/ ٣٩٢، رقم ٥٥٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٤٨، رقم ٦٣٥٩)، وأبو عوانة (١/ ٣٦٠، رقم ١٢٩٥).

(٣) فتح الباري (٢/ ١٦١).

(٤) المصنف-ابن أبي شيبة - (١٥/ ٤٧٠).

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان**» (١).

فائدة : قال بعض العلماء: من حضر طعامه ثم أقيمت الصلاة، فإنه ينبغي عليه أن يأكل لقيمات يكسر بها سورة الجوع. ورد ذلك النووي فقال: وقوله ﷺ: «**ولا يعجلن حتى يفرغ منه**»(٢). دليل على أنه يأكل حاجته من الأكل بكماله، وهذا هو الصواب، وأما ما تأوله بعض أصحابنا على أنه يأكل لقماً يكسر بها شدة الجوع فليس بصحيح وهذا الحديث صريحٌ في إبطاله (٣).

مسألة: إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة، فهل يجب الأكل منه لظاهر الحديث، أم أن ذلك على الاستحباب ؟

الجواب: فعل ابن عمر رضي الله عنهما في رواية أحمد وغيره، يدل على تقديم الأكل مطلقاً، ومن أهل العلم من قيد ذلك بتعلق النفس وتشوفها إلى الطعام، فإن كانت نفسه تتوق إلى الطعام فإن الأولى في حقه أن يصيب منه حتى يقبل على صلاته وهو خاشع، ومن ذلك قول أبي الدرداء رضي الله عنه من فقه المرء إقباله على حاجته حتى يُقبل على صلاته وقلبه فارغ (٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٩٣ ، رقم ٥٦٠) .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٩٢، رقم ٥٥٩).

(٣) مسلم بشرح النووي . المجلد الثالث (٥/ ٣٨).

(٤) علقه البخاري في كتاب الأذان . باب : إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة. وهذا الأثر وصله ابن المبارك في كتاب الزهد. وأخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من طريقه. قاله ابن حجر . فتح الباري(٢/ ١٨٧).

والمختار من ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر- فإنه بعد أن ساق أثر ابن عباس رضي الله عنهما، وأثر الحسن بن علي رضي الله عنهما: «العشاء قبل الصلاة يذهب النفس اللوامة» قال: وفي هذا كله إشارة إلى أن العلة في ذلك تشوف النفس إلى الطعام، فينبغي أن يدار الحكم مع علته وجوداً وعدماً ولا يتقيد بكل أو بعض [(١)].

غسل اليدين قبل الطعام وبعده:

لم أقف على سنة صحيحة مرفوعة إلى النبي ﷺ يعول عليها في غسل اليدين قبل الطعام.

ولكن قال البيهقي رحمه الله: الحديث في غسل اليدين بعد الطعام حسنٌ، ولم يثبت في غسل اليدين قبل الطعام حديث [(٢)].

ولكن يُستحب ذلك لإزالة ما قد يعلق بها من الأوساخ ونحوه التي تضر بالبدن، وللإمام أحمد رحمه الله في ذلك روايتان، كراهة واستحباب.

وفصَّل الإمام مالك رحمه الله وقيد الغسل قبل الطعام بوجود القذر، وصنيع ابن مفلح في آدابه يدل على أنه يذهب إلى استحباب غسلهما قبل الطعام،وعليه جماعة من أهل العلم [(٣)].

---

(١) فتح الباري (٢/ ١٨٩-١٩٠).

(٢) الآداب الشرعية (٣/ ٢١٤).

(٣) انظر الآداب (٣/ ٢١٢).

وأما غسل اليدين بعد الطعام، فقد رويت في ذلك آثارٌ صحيحة، فمنها : ما رواه أبو هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من نام وفي يده غَمَرٌ** [١]**ولم يغسله فأصابه شيءٌ فلا يلومن إلا نفسه**» [٢].

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ أكل كتف شاةٍ فمضمض وغسل يديه وصلى [٣]، وعن أبان بن عثمان أن عثمان بن عفان ﷺ أكل خبزاً ولحماً ثم مضمض وغسل يديه ومسح بهما وجهه ثم صلى ولم يتوضأ[٤].

فائدة : استحب بعض أهل العلم الوضوء الشرعي قبل الطعام لمن كان جُنباً، وفي ذلك حديث وأثر .

أما الحديث، فعن عائشة ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا كان جنباً فأراد أن يأكل أو ينام توضأ وضوءه للصلاة [٥].

---

(١) في السان : الغَمَرُ بالتحريك: السَّهك وريح اللحم وما يعلق باليد من دسمه. (٥/ ٣٢) مادة (غمر).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٣ ، رقم ٧٥٥٩) ، وأبو داود (٣/ ٣٦٦ ، رقم ٣٨٥٢) ، والبيهقي (٧/ ٢٧٦ ، رقم ١٤٣٨٣) .

(٣) رواه أحمد (٢/ ٣٨٩، رقم ٩٠٣٧)، وابن ماجه (١/ ١٦٥، رقم ٤٩٣) وصححه الألباني (٤٩٨).

(٤) رواه مالك (٥٣).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٦٢، رقم ٦٥٨) .

وعند أحمد مرفوعا أنه ﷺ، قال: «**إذا أراد أحدكم أن ينام وهو جُنُبُ فليتوضأ وضوءَه للصلاة**» [١].

وأما الأثر فعن نافع : أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا أراد أن ينام أو يطعم وهو جنبٌ غسل وجهه ويديه إلى المرفقين ومسح برأسه ثم طعم أو نام [٢].

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله :ولم نعلم أحداً استحب الوضوء للأكل إلا إذا كان الرجل جُنباً، اهـ [٣].

تنبيه : استدل المحدث الألباني رحمه الله، بحديث عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنبٌ توضأ، وإذا أراد أن يأكل غسل يديه [٤]، على مشروعية غسل اليدين قبل الطعام على الإطلاق لهذا الحديث [٥].

ولكن في إطلاقه نظر لأمور:

أولها: أن الحديث كان لبيان فعل النبي ﷺ حال الجنابة من نوم وأكل وشرب .

وثانيها: أن بعض الروايات جاءت بلفظ الوضوء وبعضها جاءت بلفظ غسل اليدين لبيان جواز الفعلين؛ قال السندي في حاشيته: قوله: «غسل يديه»،

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٩١ ، رقم ٢٤٦٥٢) .

(٢) رواه مالك(١١١) .

(٣) الآداب الشرعية (٣/ ٢١٤).

(٤) رواه النسائي(٢٥٦) وأحمد(٢٤٣٥٣) وغيرهما .

(٥) انظر السلسلة الصحيحة (١/ ٦٧٤) رقم (٣٩٠).

أي أحياناً يقتصر على ذلك لبيان الجواز، وأحياناً يتوضأ لتكميل الحال. اهـ [١].

وثالثها: أن الأئمة والمحدثين كمالك وأحمد وابن تيمية والنسائي -رحمهم الله- [٢] وغيرهم - وقد نقلنا كلامهم - لم يذهبوا إلى إطلاق الحديث كما أطلقه العلامة الألباني رحمه الله مع روايتهم لهذا الحديث.

مما يدل على أن هذا الأمر عندهم يحمل علىٰ حال الجنابة، فيبقى الوضوء وغسل اليدين قبل الأكل في هذا الحديث مقيداً في حال الجنابة، والله أعلم.

التسمية في ابتداء الأكل والشرب، وحمد الله تعالى بعدهما:

أولا: التسمية في ابتداء الأكل:

من السنة أن يسمي الآكل قبل أكل طعامه، ويحمد الله تعالى بعد الفراغ منه. قال ابن القيم رحمه الله: «وللتسمية في أول الطعام والشراب، وحمد الله في آخره تأثيرٌ عجيب في نفعه واستمرائه، ودفع مضرته. قال الإمام أحمد: إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل: إذا ذُكر اسم الله في أوله، وحُمد الله في آخره، وكثرت عليه الأيدي، وكان من حِل [٣].

---

(١) شرح سنن النسائي. للسيوطي ، وحاشية السندي . دار الكتاب العربي. (١/ ١٣٨-١٣٩).

(٢) حيث ترجم على هذا الحديث بثلاث تراجم: الأولى:وضوء الجنب إذا أراد أن يأكل، والثانية: اقتصار الجنب على غسل يديه إذا أراد أن يأكل. والثالثة: اقتصار الجنب على غسل يديه إذا أراد أن يأكل أو يشرب . انظر كتاب الطهارة في سنن النسائي .

(٣) زاد المعاد (٤/ ٢٣٢).

وفائدة التسمية قبل الطعام أنه يحرم الشيطان من المشاركة في الأكل والإصابة منه. فعن حذيفة ﵁ قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا فجاءت جارية كأنها تُدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها؛ ثم جاء أعرابي كأنما يُدفع فأخذ بيده .

فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان يستحلُّ الطعام أن لا يُذكر اسم الله عليه وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها . فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به، فأخذت بيده. والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها**» [(١)].

ولفظ التسمية أن يقول الآكل: «بسم الله»، عن عمر بن أبي سلمة ﵄ قال: كنتُ غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك. فما زالت تلك طِعمتي بعد**» [(٢)].

واختار النووي في أذكاره أن الأفضل أن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، فإن قال: بسم الله كفاه وحصلت السنة [(٣)].

ورده ابن حجر بقوله: فلم أر لما ادعاه من الأفضلية دليلاً خاصاً [(٤)]، قلت:

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٩٧ ، رقم ٢٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٥٦ ، رقم ٥٠٦١) ، ومسلم (٣/ ١٥٩٩ ، رقم ٢٠٢٢).

(٣) الأذكار للنووي(٣٣٤).

(٤) فتح الباري(٩/ ٤٣١).

وغالب النصوص جاءت بلفظ (سَمِّ الله) ونحو ذلك، دون زيادة (الرحمن الرحيم)، بل جاء التصريح بلفظ التسمية عند الطبراني، دون زيادة (الرحمن الرحيم).

من حديث عمرو بن أبي سلمة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا غلام إذا أكلت فقل: بسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»[(١)].

وإذا نسي الآكل أن يسمِّي الله قبل الطعام، ثم ذكر في أثنائه فإنه يقول: «بسم الله أوله وآخره»، أو «بسم الله في أوله وآخره». عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره**»[(٢)].

ثانيا: حمد الله بعد الفراغ من الأكل:

ففي حمد الله سبحانه وتعالى بعد الفراغ من الطعام فضل عظيم، إذ فيه العودة إلى الله سبحانه وتعالى بالحمد لأنه تفضل بنعمه على عباده، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»[(٣)].

وقد تعددت ألفاظ الحمد عنه ﷺ بعد الفراغ من طعامه وشرابه ومنها :

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، وأدخله الألباني في سلسلته الصحيحة وقال: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين (١/ ٦١١)، برقم (٣٤٤).

(٢) رواه أبو داود (٣٧٦٧) واللفظ له وصححه الألباني، وأحمد (٢٥٥٥٨)، والترمذي (١٨٥٨)، وابن ماجه (٣٢٦٤)، والدارمي (٢٠٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٩٥ ، رقم ٢٧٣٤).

أ- «**الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفيٍّ ولا مودَّعٍ** [١] **ولا مستغنًى عنه ربنا**» [٢].

ب- «**الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفيٍّ ولا مكفور**» [٣].

ت- «**الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حولٍ مني ولا قوة**» [٤].

ث- «**الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجاً**» [٥].

الأكل والشرب باليد اليمنى والنهي عن الشمال:

مر معنا قوله ﷺ لعمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: «**يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**» [٦].

---

(١) قوله: (غير مودِّعٍ) أي : غير متروك الطلب إليه، والرغبة فيما عنده، ومنه قوله سبحانه وتعالى:{ ما ودعك ربك } أي : تركك . ومعنى المتروك: المستغنى عنه، وقرأ بعضهم (غير موِّعٍ) أي : غير تارك طاعة ربي، قاله البغوي في شرح السنة (١١/ ٢٧٧-٢٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥ / ٢٠٧٨، رقم ٥١٤٢) .

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٩ ، رقم ١٥٦٧٠)، والترمذي (٥/ ٥٠٨، رقم ٣٤٥٨)، وابن ماجه (٢/ ١٠٩٣، رقم ٣٢٨٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ١٨١، رقم ٣٨٩)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٦٨٧، ١٨٧٠).

(٥) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٦٦، رقم ٣٨٥١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٧٩، رقم ١٠١١٧)، والطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٣٠٤، رقم ٥٣٨٤).

(٦) سبق تخريجه.

ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تأكلوا بالشمال فإن الشيطان يأكل بالشمال**» (١).

وفي حديث عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**» (٢).

قال ابن الجوزي رحمه الله: «لما جُعلت الشمال للاستنجاء ومباشرة الأنجاس، واليُمنى لتناول الغذاء، لم يصلح استعمال أحدهما في شغل الأخرى، لأنه حطٌّ لرتبة ذي الرتبة، ورفع للمحطوط، فمن خالف ما اقتضته الحكمة وافق الشيطان» (٣).

ومع أن الأحاديث في هذا مشهورة لا تكاد تخفى على عامة الناس، إلا أن بعض المسلمين -هداهم الله- لا زال متمسكاً بهذه الخصلة الذميمة، وهي الأكل والشرب باليد الشمال.

وإذا قيل لهم في ذلك، قالوا: هذا أمرٌ أصبح لنا عادة ويصعب أن ننفك منه، ولا يعلمون أن هذا من تزيين الشيطان لهم، وصدهم عن اتباع الشرع، وهو في الجملة دليلٌ على نقص الإيمان في قلوبهم؛ وإلا فما معنى مخالفة أمر الرسول ﷺ ونهيه ! . وشرهم وأخبثهم من فعل ذلك تكبراً وتجبراً .

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٩٨ ، رقم ٢٠١٩).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٩٨ ، رقم ٢٠٢٠).

(٣) كشف المشكل (٢/ ٥٩٤) (١٢٢٧).

روى سلمة بن الأكوع ﷺ أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله. فقال: «**كل بيمينك**». قال: لا أستطيع. قال : «**لا استطعت**» ما منعه إلا الكبرُ، فما رفعها إلى فيهِ [١].

قال النووي رحمه الله: «وفي هذا الحديث: جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر، وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل حال حتى في حال الأكل، واستحباب تعليم الآكل آداب الأكل إذا خالفه» [٢] .

فائدة: إذا كان عذرٌ يمنع من الأكل باليد اليمنى كالمرض والجراحة ونحوهما، فلا حرج في الأكل بالشمال، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

الأكل مما يلي الآكل:

في إحدى روايات حديث عمر بن أبي سلمة، أنه قال أكلت يومًا مع رسول الله ﷺ فجعلتُ آخذ من لحمٍ حول الصحفة. فقال رسول الله ﷺ: «**كل مما يليك**» [٣]، وعلة النهي في ذلك؛ لأن الأكل من موضع أيدي الناس فيه سوء أدب، وقد يتقذر الآكلون من هذا الفعل- وهو الغالب-.

استحباب الأكل من حوالي الصحفة، دون أعلاها:

وفيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إذا أكل أحدكم طعاماً**

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٩٩، رقم ٢٠٢١).

(٢) شرح صحيح مسلم . المجلد السابع(١٤/ ١٦١).

(٣) سبق تخريجه.

فلا يأكل من أعلى الصحفة، ولكن ليأكل من أسفلها فإن البركة تنزل من أعلاها» (١)، ولفظ أحمد: «**كلوا في القصعة من جوانبها، ولا تأكلوا من وسطها فإن البركة تنزل في وسطها»** (٢).

وخُص الوسط بنزول البركة، لأنه أعدل المواضع، وعلة النهي حتى لا يُحرم الآكل البركة التي تحِلُّ في وسطه، وقد يُلحق به ما إذا كان الآكلون جماعة، فإن المتقدم منهم إلى وسط الطعام قبل حافته قد أساء الأدب معهم، واستأثر لنفسه بالطيب دونهم، والله أعلم (٣).

استحباب الأكل بثلاثة أصابع ولعق اليد بعده:

من هديه ﷺ أنه كان يأكل بأصابعه الثلاث، وكان يلعق يده بعد الفراغ من طعامه. جاء ذلك في حديث كعب بن مالك عن أبيه أنه قال: «كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها» (٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فإن الأكل بأصبع أو أصبعين لا يستلذ به الآكل، ولا يمريه، ولا يشبعه إلا بعد طول، ولا تفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها في

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٤٨، رقم ٣٧٧٢)، والترمذي (٤/ ٢٦٠، رقم ١٨٠٥) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (٤/ ١٧٥، رقم ٦٧٦٢)، وابن ماجه (٢/ ١٠٩٠، رقم ٣٢٧٧).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٠، رقم ٢٤٣٩)، والبيهقي (٧/ ٢٧٨، رقم ١٤٣٩٠).

(٣) انظر عون المعبود. المجلد الخامس (١٠/ ١٧٧).

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٠٥، رقم ٢٠٣٢).

كل أكلة... والأكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على آلاته، وعلى المعدة، وربما انسدت الآلات فمات، وتُغصب الآلات على دفعه، والمعدة على احتماله، ولا يجد له لذة ولا استمراء، فأنفع الأكل أكله ﷺ، وأكل من اقتدى به بالأصابع الثلاث» (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « **إذا أكل أحدُكم طعاما فلا يمسح يدَه بِالْمِنْدِيلِ حتى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا** » (٢).

والعلة في ذلك مبينة في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: «**إنكم لا تدرون في أَيِّهِ البركة**» (٣).

وفي قوله ﷺ: «**لا تدرون في أيه البركة**» معناه - والله أعلم - أن الطعام الذي يحضره الإنسان فيه بركة، ولا يدري أن تلك البركة فيما أكله أو فيما بقي على أصابعه أو فيما بقي في أسفل القصعة أو في اللقمة الساقطة.

فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصل البركة، وأصل البركة الزيادة وثبوت الخير والإمتاع به، والمراد هنا والله أعلم ما يحصل به التغذية وتسلم عاقبته من أذى ويقوى على طاعة الله وغير ذلك، قاله النووي(٤).

---

(١) زاد المعاد(٤/ ٢٢٢) بتصرف يسير .

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٠٦ ، رقم ٢٠٣٣).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٠٦، رقم ٢٠٣٣).

(٤) شرح مسلم . المجلد السابع (١٣/ ١٧٢).

استحباب رفع اللقمة عند سقوطها ومسح ما علق بها وأكلها:

وفيه حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **إذا سقطت لُقْمَةُ أحدكم فَلْيُمِطْ ما بها من الأذى وَلْيَأْكُلْهَا ولا يدعْها للشيطانِ..** الحديث» [(١)]، وفي رواية: «**إن الشيطان يحضُرُ أحدكم عند كل شيء من شأنه، حتى يحضرُه عند طعامه. فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان. فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أيِّ طعامه تكون البركة**» [(٢)].

النهي عن القران بين التمرتين:

وهذا النهي يتنزل على الجماعة لا الواحد. وفيه أحاديث صحيحة، منها: عن شعبة عن جبلة قال: كنا بالمدينة في بعض أهل العراق فأصابنا سنةٌ، فكان ابن الزبير يَرْزقنا التمر، فكان ابن عمر رضي الله عنهما يمر بنا فيقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم: نهى عن الإقران، إلا أن يستأذن الرجل منكم أخاه [(٣)].

قال ابن الجوزي رحمه الله في المشكل: فأما حكم الحديث فإن هذا إنما يكون في الجماعة، والعادة تناول تمرة واحدة، فإذا قرن الإنسان زاد على الجماعة واستأثر عليهم، فافتقر إلى الإذن. اهـ [(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٠٧، رقم ٢٠٣٣).

(٢) السابق.

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٦١٧، رقم ٢٠٤٥).

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٥٦٥) رقم (١١٦٥).

والنهي هنا إما للتحريم أو الكراهة وكلٌّ قد قال به أهل العلم . وذهب النووي إلى التفصيل فقال: والصواب التفصيل، فإن كان الطعام مشتركاً بينهم فالقران حرام إلا برضاهم ويحصل الرضا بتصريحهم به أو بما يقوم مقام التصريح من قرينة حالٍ أو إدلال عليهم كلهم بحيث يعلم يقيناً أو ظناً قوياً أنهم يرضون به، ومتى شك في رضاهم فهو حرام، وإن كان الطعام لغيرهم أو لأحدهم اشترط رضاه وحده، فإن قرن بغير رضاه فحرام، ويستحب أن يستأذن الآكلين معه ولا يجب، وإن كان الطعام لنفسه وقد ضيفهم به فلا يحرم عليه القران، ثم إن كان في الطعام قلة فحسن أن لا يقرن لتساويهم، وإن كان كثيراً بحيث يفضل عنهم فلا بأس بقرانه، لكن الأدب مطلقاً التأدب في الأكل وترك الشره إلا أن يكون مستعجلاً ويريد الإسراع لشغل آخر [١].

استحباب الأكل بعد ذهاب حرارته:

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها أنها كانت إذا ثردت [٢] غطته شيئًا حتى يذهب فوره، ثم تقول: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه أعظم للبركة**» [٣].

---

(١) شرح مسلم . المجلد السابع(١٣/ ١٩٠).

(٢) أي: صنعت ثريداً .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٣٥٠ ، رقم ٢٧٠٠٣)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٣١، رقم ٧١٢٤)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٢٨٠، رقم ١٤٤٠٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٨٤ ، رقم ٢٢٦).

وقال أبو هريرة ﷺ: «لا يؤكل طعام حتى يذهب بخاره» [(١)]، ولم يكن النبي ﷺ يأكل طعاماً في وقت شدة حرارته، قاله ابن القيم [(٢)].

وأقرب المعاني للبركة هنا هو ما يحصل به التغذية وتسلم عاقبته من أذى ويقوى على طاعة الله وغير ذلك، قاله النووي [(٣)].

النهي عن عيب الطعام واحتقاره:

وفيه حديث أبي هريرة ﷺ قال: ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، كان إذا اشتهى شيئًا أكله، وإن كرهه تركه [(٤)]. وعيب الطعام كقولك: «مالح، قليل الملح، حامض، رقيق، غليظ، غير ناضج .... ونحو ذلك»، قاله النووي[(٥)].

كراهية التنفس في الإناء، والنفخ فيه:

من آداب الشرب، أن لا يتنفس الشارب في الإناء، ولا ينفخ فيه، وفي ذلك أحاديث صحيحة، فمنها: قوله ﷺ من حديث أبي قتادة ﷺ: «**إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء** ... الحديث» [(٦)]، ومنها:

---

(١) قال الألباني في إرواء الغليل (١٩٧٨) : صحيح : أخرجه البيهقي (٧/ ٢٥٨٠).

(٢) زاد المعاد(٤/ ٢٢٣).

(٣) شرح مسلم . المجلد السابع (١٣/ ١٧٢).

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٣٢، رقم ٢٠٦٤).

(٥) شرح مسلم . المجلد السابع (١٤/ ٢٢).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٦٩ ، رقم ١٥٢)، ومسلم (١/ ٢٢٥ ، رقم ٢٦٧) .

حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ: «نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه»(١).

والنهي عن التنفس في الإناء هو من طريق الأدب مخافة من تقذيره ونتنه وسقوط شيء من الفم والأنف فيه ونحو ذلك، قاله النووي(٢).

وأما النفخ في الشراب فإنه يُكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يُعاف لأجلها، ولاسيما إن كان متغير الفم. وبالجملة: فأنفاس النافخ تخالطه، ولهذا جمع رسول الله ﷺ بين النهي عن التنفس في الإناء والنفخ فيه، قاله ابن القيم(٣).

استحباب التنفس في الإناء ثلاثاً، وإباحة الشرب دفعة واحدة:

وفيه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتنفس في الشراب ثلاثاً ويقول: «**إنه أروى وأبرأُ وأمرأُ**»(٤)، قال أنس: فأنا أتنفس في الشراب ثلاثاً.

والمراد بالتنفس في الشراب ثلاثًا، هو إبعاد الإناء عن فِيِّ الشارب ثم

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٠، رقم ١٩٠٧)، وأبو داود (٣/ ٣٣٨، رقم ٣٧٢٨)، والترمذي (٤/ ٣٠٤، رقم ١٨٨٨) وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود(٣٧٢٨) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٧/ ٣٦، رقم ١٩٧٧)، قال: على شرط البخاري.

(٢) شرح صحيح مسلم . المجلد الثاني(٣/ ١٣٠).

(٣) زاد المعاد(٤/ ٢٣٥).

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٠٢، رقم ٢٠٢٨).

التنفس خارجه، وإلا فالتنفس في الإناء منهيٌّ عنه .

ويباح الشرب دفعة واحدة ولا كراهة في ذلك، ويستدل لذلك بحديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنه لما دخل على مروان بن الحكم قال له: أسمعت رسول الله ﷺ أنه نهى عن النفخ في الشراب ؟

فقال له أبو سعيد: نعم.

فقال له رجلٌ: يا رسول الله إني لا أروى من نفسٍ واحدٍ، فقال له رسول الله ﷺ: «**فأبِنْ القدح عن فيك ثم تنفس**» قال: فإني أرى القذاة فيه ؟ قال : فأهرقها [(١)].

استحباب كون ساقي القوم آخرهم شرباً :

والأصل في ذلك حديث قتادة ﷺ الطويل، قال: « ...فجعل رسول الله ﷺ يصب وأسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ. قال: ثم صب رسول الله ﷺ فقال: اشرب .

فقلت : لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله . قال: «**إن ساقي القوم آخرهم شرباً**» . قال: فشربت وشرب رسول الله ﷺ... الحديث) [(٢)].

ودلالة هذا الحديث ظاهرة في أن من تولى سقاية قوم فإنه يقدمهم على

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٥٧، رقم ١١٥٥٨)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٢٥، رقم ١٦٥٠)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٥٥، رقم ٧٢٠٨).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٤٧٢ ، رقم ٦٨١) .

نفسه ويكون هو آخرهم شرباً اقتداءً برسول الله ﷺ.

استحباب الكلام على الطعام:

مخالفة للعجم فإنها من عاداتهم [(١)] والمشابهة منهيٌّ عنها . قال ابن مفلح: قال إسحاق بن إبراهيم: تعشيت مرة أنا وأبو عبد الله [أحمد بن حنبل رحمه الله] وقرابة له، فجعلنا لا نتكلم وهو يأكل ويقول: الحمد لله وبسم الله، ثم قال: أكلٌ وحمدٌ خيرٌ من أكل وصمت. ولم أجد عن أحمد خلاف هذه الرواية صريحًا، ولم أجدها في كلام أكثر الأصحاب. والظاهر أن أحمد رحمه الله اتبع الأثر في ذلك ؛ فإن من طريقته وعادته تحري الاتباع [(٢)].

استحباب الاجتماع على الطعام:

من الآداب النبوية، استحباب الاجتماع على الطعام، وأن اجتماعهم سببٌ لحلول البركة فيه ، وكلما زاد عدد الآكلين زادت البركة، ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية**»[(٣)].

قال ابن حجر رحمه الله: وعند الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ما يرشد إلى العلة في ذلك، وأوله: «**كلوا جميعاً ولا تفترقوا فإن طعام الواحد يكفي**

---

(١) انظر إحياء علوم الدين للغزالي(٢/ ١١) دار الحديث ط. الأولى ١٤١٢هـ.

(٢) الآداب الشرعية (٣/ ١٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٣٠ ، رقم ٢٠٥٩).

الاثنين» [١]، الحديث، فيؤخذ منه أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع، وأن الجمع كلما كثر ازدادت البركة [٢].

وعن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع . قال: «**فلعلكم تفترقون**». قالوا: نعم . قال: «**فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يُبارك لكم فيه**» [٣].



---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٠٩٣، رقم ٣٢٨٧)، والطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٢٥٩، رقم ٧٤٤٤).

(٢) فتح الباري (٩/ ٤٤٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٤٦، رقم ٣٧٦٤) وصححه الألباني، وابن ماجه (٢/ ١٠٩٣، رقم ٣٢٨٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ١٣٩، رقم ٣٦٨).

آداب العشرة الزوجية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فالعلاقة بين الزوجين أمرٌ مهمٌّ، فإنَّ استقامتها سببٌ لاستقامة الحال وعمارةِ المنزل، وانتظامِ شأن الولد وحياة الأولاد بين الأبوين المتعاونين في سبيل إصلاح الأولاد وتربيتهم التربية الصالحة. والله ﷻ في كتابه العزيز وضع للزوجين نظامًا إنْ هما سارا عليه فإنَّ ذلك سبب لسعادتهما واجتماعهما وتآلف قلوبهما، فقوله ﷻ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1]، يبين أن للمرأة حقًّا كما عليها حق، وللرجل حق على امرأته كما له عليها حق، فله عليها حق، ولها عليه حق، فإذا قام الزوجُ بالواجب عليه وقامت المرأة المسلمة بالحق الواجب عليها وتعاون الجميع على ذلك فعند ذلك تكون الحياة الزوجية حياةً طيبة سعيدة.

وصية النبي بالنساء.

نجد في سنة رسول الله ﷺ ترغيبَ الأزواج في القيام بحق النساء، ووصيتَهم بذلك، فرسولنا ﷺ يقول: «**استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خُلقت من ضلع، وإن أعوجَ ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرتَه،**

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٨ .

فاستوصوا بالنساء خيرًا» [١]، ويقول ﷺ: «**المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتَها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج**» [٢].

فأخبرنا ﷺ عن المرأة وضعفِها وعجزها، وأنها خُلقت من ضلع أعوج، وأنَّ الرجلَ يجب أن يكون أقوى منها تحمّلاً، وأشدَّ منها صبرًا، لا يعاتِب على كلّ قليل وكثير، ولا يأمَل الكمالَ المطلق، وإنما يقبل منها ما جاء، ويتحمَّل بعضَ ما فات، فبذا تستقيم الحياة، وفي لفظ: «**ولن تستقيم لك على طريقة**» [٣]، فهي لا تستقيم لك على كلّ ما تريد، لكن الزوج هو أقوى وأشد تحملاً وصبرًا وعلاجًا للمشاكل.

كما بين ﷺ أن المرأة المؤمنة قد يكون منها شيء من الأخلاق التي لا يرضاها الزوج، وهي أخلاق لا تتنافى مع الشرف والفضل والفضيلة، ولكن طباع بعض الناس، فيقول ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**» [٤].

فالمرأة المؤمنة قد تكره منها شيئًا من الطباع، ولكن في مقابل ذلك ترضى بأخلاق حسنة وسيرة طيبة، فليكن ما لديها من خلق كريم وعمل طيب مقابلَ ما قد ترى منها من بعض المخالفات.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢١٢، رقم ٣١٥٣)، ومسلم (٢/ ١٠٩١، رقم ١٤٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٩١، رقم ١٤٦٨).

(٣) هذا أحد ألفاظ مسلم للحديث السابق.

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٩١، رقم ١٤٦٩).

ضرورة أداء الحقوق والواجبات والتمسك بآداب القرآن.

بتدبّر القرآن والسنة يعلم كل من الزوجين ما له وما عليه، وإن قيامَ كلٍّ منهما بما يجب عليه هو الذي يحقّق السعادة، وهو الذي يرسي دعائمَ الاستقرار في المنزل، وهو الذي يجعل الأبوين يقومان بالواجب المُلقى عليهما نحوَ أولادهما، فينشأ الولدُ وتنشأ البنتُ نشأةً صالحة بين أبوين مسلمين، محترمًا بعضهم بعضًا، فتنشأ البنت تحترم زوجَها، وينشأ الابن يحترم أمَّه وأباه.

وإنما يُصاب النشء بالعُقد النفسية عندما يشاهد الأطفال الأمَّ والأب وما بينهما من شِجار ونزاع وتبادلٍ للتّهم وتراشقٍ بالكلمات البذيئة التي لا خير فيها، ولا تحقِّق خيرًا، وإنما تنشر سوءًا وبلاء، ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[1].

فالتعامل بالأخلاق الكريمة بين الزوجين، واحترامُ كلٍّ منهما لصاحبه، وقيامُ كلّ منهما بالواجب عليه، هو الأمر المطلوب من المسلمين، هذا الذي دعا إليه القرآن، وأرشدت إليه سنة المصطفى ﷺ.

تأكيد الشريعة على حسن العشرة بين الزوجين:

العلاقة بين الزوجين علاقة في غاية الأهمية، عُني الإسلام بتوثيقها، وعمل على بقائها واستمرارها، وأكد على ضرورة المحافظةِ على هذه الرابطة، وحضَّ الزوجين على الحرص على إنمائها وديمومتها.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٣.

ولذلك نجد أن حسن العشرة بين الزوجين من أهم الركائز التي يؤكد عليها الدين الحنيف، وينتج عنها عيش الأسرة في ود وسلام وصفاء ووئام، قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾[(١)]، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله**»[(٣)].

تكريم الإسلام للمرأة له صور:

مما لاشك فيه أن الإسلام شرع مركز المرأة في الحياة، وجعل لها من الحقوق والواجبات ما لم تجعله شريعة سابقة، في حين نجد في بعض الأديان والعقائد من اعتبر المرأة حيواناً لا روح له، أو أنها خلقت لخدمة الرجل، ومنهم من جعل حياتها مرتبطة بحياة الرجل، فإذا مات الرجل أصبحت المرأة لاحق لها في الحياة فيحكم عليها بالموت معه.

ثم جاءت شريعة الإسلام السمحة، لتجعل لها من الحقوق والواجبات مثل ما للرجل، فأعطاها الإسلام حرية التصرف في أموالها، كما أعطاها حرية

---

(١) سورة النساء: ١٩ .

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٧٠٩ ، رقم ٣٨٩٥) وقال : حسن غريب صحيح . وابن حبان (٩/ ٤٨٤ ، رقم ٤١٧٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤١٥ ، رقم ٨٧١٨) . والدارمي (٢/ ٢١٢ ، رقم ٢٢٦٠) .

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٩٩ ، رقم ٢٤٧٢١) ، والترمذي (٥/ ٩ ، رقم ٢٦١٢) وقال : صحيح، وبنحوه أخرجه الحاكم (١/ ١١٩ رقم ١٧٣) وقال : رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات على شرط الشيخين . والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٣٢ ، رقم ٧٩٨٣) .

اختيار زوجها بل جعلها الله تعالى آية من آياته، يقول ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١).

فالمرأة خلقت من نفس الرجل لا من طينة أخرى، فهي ليست حيواناً بل هي من الرجل، والرجل منها، وقد خلقها الله لتكون زوجة لا خادمة فقط، زوجة يسكن إليها الرجل، وتسكن إليه، والسكن أمر نفساني وسر وجداني يجد فيه المرء سعادته وراحته وأمنه وطمأنينته.

وبهذا فقد قرر الإسلام ما بين الزوج والزوجة من أصول التعاون على رسالة الحياة الزوجية، وجعل حقوقًا مشتركة بين الزوجين، وهذا ما تطرقنا إليه في الخطبة الماضية، وحقوقاً للزوج على زوجته وهكذا نتركه إلى الخطبة القادمة إن شاء الله، وجعل حقوقًا للزوجة على زوجها نذكرها في هذه الخطبة(٢).

ولتكتمل الصورة، ويعرف كل من الزوجين ما عليه من حقوق وما له من واجبات، نعرض فيما يلي الحقوق الزوجية، بادئين بالحقوق المشتركة بين الزوجين، ثم حقوق كل من الزوج والزوجة على حدة.

الحقوق الزوجية المشتركة:

الحقوق المشتركة هي حقوق تجب لكل واحد من الزوجين تجاه الآخر،

---

(١) سورة الروم: ٢١.

(٢) ويمكنك الرجوع إلى كتاب المرأة المسلمة المعاصرة، د. أحمد أبابطين.

وليست خاصة بأحدهما، نلخصها فيما يلي [١]:

أولاً: حق المعاشرة بالمعروف:

ومعنى هذا أن يعاشر كل من الزوجين صاحبه معاشرة حسنة، فلا يؤذيه بالفعل ولا بالقول ولا بما يستنكر شرعاً ولا عرفاً ولا مروءة، وإنما الصبر والرحمة واللطف والرفق، وأن يعامل كل واحد منهما الآخر كما يحب هو أن يعامل.

قَال الْكَاسَانِيُّ: مِنْ أَحْكَامِ النِّكَاحِ الصَّحِيحِ الْمُعَاشَرَةُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَأَنَّهُ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ وَمُسْتَحَبٌّ . . وَكَذَلِكَ مِنْ جَانِبِهَا هِيَ مَنْدُوبَةٌ إِلَى الْمُعَاشَرَةِ الْجَمِيلَةِ مَعَ زَوْجِهَا [٢].

وَقَال الْبُهُوتِيُّ : وَيُسَنُّ لِكُلٍّ مِنْهُمَا تَحْسِينُ الْخُلُقِ لِصَاحِبِهِ ، وَالرِّفْقُ بِهِ ، وَاحْتِمَال أَذَاهُ [٣].

وَذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ إِلَى : وُجُوبِ الْعِشْرَةِ بِالْمَعْرُوفِ دِيَانَةً لاَ قَضَاءً .

قَال ابْنُ الْعَرَبِيِّ : هَذَا - أَيِ الْعِشْرَةُ بِالْمَعْرُوفِ - وَاجِبٌ عَلَى الزَّوْجِ وَلاَ يَلْزَمُهُ ذَلِكَ فِي الْقَضَاءِ إِلاَّ أَنْ يَجْرِيَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ عَلَى سُوءِ عَادَتِهِمْ ، فَيَشْتَرِطُونَهُ وَيَرْبِطُونَهُ بِيَمِينٍ [٤].

---

(١) انظر فقه السنة (٢ / ١٥٤) ، والموسوعة الفقهية الكويتية (٤١ / ٣١٠) .

(٢) بدائع الصنائع (٢ / ٣٣٤) .

(٣) كشاف القناع (٥ / ١٨٥) .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (١ / ٣٦٣) .

ثانياً: المناصحة بينهما:

فإن للتناصح دوراً كبيراً في الارتقاء بمستوى الأسرة، وإنارة لدرب السلامة من التردي في الخطأ، غير أن كثيراً من الأزواج يرى من غير الطبيعي أن تؤدي المرأة دورها في نصيحة زوجها، وأن من السائغ أن تكون النصيحة من جانبه هو فقط، ويصل الظن ببعض الأزواج إلى أن قيامها بالنصيحة نوع من التطاول على حقه، وخَدش لكرامته ولقوامة الزوج، وهذا خطأ لأن التناصح مأمور به شرعاً، وحق للمسلم على المسلم، وحق مشترك بين الزوجين وخاصة أن النبي ﷺ يقول: «**الدين النصيحة**»[1].

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل في هذا، وهو حق لكل مسلم على أخيه المسلم، ومن واجب كلا الزوجين أن يأمر صاحبه بالمعروف وينهاه عن المنكر.

ثالثاً: الشورى:

بمعنى أن يكون التشاور وتداول الرأي قائماً بين الزوجين فيما يتعلق بشؤون البيت، وتدبير أمر الأسرة وتربية الأولاد، وليس من الحكمة في شيء أن يستبدّ الرجل برأيه ولا يلتفت إلى مشورة امرأته، لا لشيء إلا لأنها امرأة، ومشورتها قدح لقوامته عليها في نظره، فكم من امرأة أدلت برأي أرجح من رأي رجل، وكم من امرأة أشارت برأي صار له أكبر الأثر في استقامة الأمور وإصلاح الأحوال، وخير من يقتدى به في ذلك رسول الله ﷺ يوم أن دخل

(١) أخرجه مسلم (١/ ٧٤، رقم ٥٥).

على أم سلمة ﵂ غاضباً مما فعل أصحابه يوم الحديبية حيث أمرهم بالحلق والتحلل فكأنهم تحرجوا وتباطؤوا، فأشارت عليه أم سلمة ﵂ أن يحلق هو أمامهم حتى يحلقوا، فأخذ الرسول بمشورتها، فما كان إلا أن بادروا إلى امتثال أمره ﷺ [(١)].

رابعًا: حق الإنجاب:

يقول الله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ ﴾ [(٢)].

إن حق الإنجاب والرغبة في الولد أمر فطري عند الرجل والمرأة على السواء، لكن قد يزهد في طلب الولد لاعتبار ما في زمن ما، وعندها ينبغي لمن زهد منهما في الولد أن يراعي حق الآخر، وخاصة إذا كان الدافع إلى الزهد في الولد مصلحةً كماليّةً لا مصلحة ضرورية أو شرعية، ولهذا رأى الفقهاء رحمهم الله لما تحدثوا عن العزل أن يكون بإذن الزوجة، مراعاة لحقها في قضاء الوطر، وحقها كذلك في الولد، والرسول ﷺ حرض على طلب الولد حين قال: «**تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٢٦، رقم ١٨٩٣٠).

(٢) سورة النحل: الآية ٧٢ .

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٢٠ ، رقم ٢٠٥٠) ، والنسائي في الكبرى (٣/ ٢٧١ ، رقم ٥٣٤٢) ، والطبراني (٢٠/ ٢١٩ ، رقم ٥٠٨) ، والحاكم (٢/ ١٧٦ ، رقم ٢٦٨٥) ، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي (٧/ ٨١ ، رقم ١٣٢٥٣) . وابن حبان (٩/ ٣٦٣ ، رقم ٤٠٥٦) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٦٢) ، وصححه الحافظ في الفتح

خامسا: تربية الذرية:

فأمر التربية حق مشترك بين الزوجين، فكل واحد منهما يقوم بواجبه، إلا أنه من المتفق عليه أن ثمة مجالات تختلف باختلاف سن الولد وطبيعته، فمنه ما يكون رائد التربية فيها الأب، ومجالات أخرى يكون رائد التربية فيها الأم، فعلى كل واحد منهما تقدير مجال صاحبه وعدم التعدي على حقه فيه، مع التسليم إلى القوامة للرجل، وهذا لا يعني أن يلجأ أحدهما إلى الآخر ويُخطأه أمام الأولاد، ولا يليق تجريحه والنيل من كرامته، أو أن يختلف الأبوان في الأسلوب الأمثل لحل واقعة بين الأولاد بحضورهم؛ فإن ذلك يؤدي إلى جرح عميق في نفوسهم يبقى أثره أبد الدهر، وأقل ما يحصل من ذلك عقوق الأولاد لأحدهما، واستهانتهم بالمهزوم منهما.

فالملاحظات في شؤون التربية لا تكون أمام الأولاد ولكن بعيداً عنهم، إذا انفرد بها قال لزوجته ما شاء، وإذا انفردت به قالت ما شاءت.

حقوق الزوجة على الزوج:

الحقوق ثبتت للزوجة بقول الله ﷻ: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾[1]، ولقوله ﷺ: «**إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً**»[2].

(٩/ ١١١)، والألباني في صحيح سنن أبي داود [١٨٠٥].

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٧٣ ، رقم ٣٠٨٧) وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى

ومن الحقوق التي أقرها الإسلام للمرأة التالي:

١- **المهر:**

لقوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةً ﴾[١]، والمهر نوع من أنواع الهدية يقدمه الرجل بين يدي عقد الزواج، وهو حق للزوجة تأخذه عاجلاً أم آجلاً.

٢- **النفقة والسكن المناسب:**

فالنفقة تلزم الزوج من حين عقد الزواج، يعد لها السكن والمتاع ويوفر لها الطعام والشراب والكسوة، ولا تلزم الزوجة ولو كانت ذات مال أن تنفق على نفسها شيئاً من مالها، قليلاً أو كثيراً إلا أن تتطوع به عن طيب نفس منها، ولا يحق للزوج أن يجبرها على شيء من هذا، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «**ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**»[٢].

ولما روى حكيم بن معاوية عن أبيه رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله ماحق الزوجة على أحدنا؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وأن تكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت**»[٣].

(٢/ ٤٤٤ ، رقم ٤١٠٠) ، وابن ماجه (٢/ ١٠١٥ ، رقم ٣٠٥٥) .

(١) سورة النساء: ٤.

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٨٨٦ ، رقم ١٢١٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٤٤ ، رقم ٢١٤٢) ، وابن ماجه (١/ ٥٩٣ ، رقم ١٨٥٠) . وأحمد (٤/ ٤٤٧ ، رقم ٢٠٠٢٧) ، والبيهقي (٧/ ٣٠٥ ، رقم ١٤٥٥٦) .

والنفقة والكسوة والسكن يجب أن يكونوا على حسب طاقة الزوج وقدرته، فالغني ينفق من سعته، والمقل على قدره لقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾[1]، أي على قدر ما يطيقه كل منكم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[2].

فلذا على المسلمة أن لا تكلف زوجها فوق طاقته ولا تكلفه بشراء ما يعجز عنه، كما على الزوج أن لا يبخل، وليعلم كل زوج أن أفضل صدقة ينفقها هي التي ينفقها على أهله، لقول الرسول ﷺ: «**دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته، أعظمها أجراً الذي تنفقه على أهلك**»[3].

٣- **تعليمها وتربيتها:**

أن يعلمها أمور دينها، فالزوج راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، وعليه أن يعلم زوجته أمور دينها، وخاصة إذا لم تكن المرأة قد أخذت من العلم الشرعي ما يكفيها في أمور دينها ودنياها، هذا إن كان متعلماً؛ وإلا أذن لها أن تحضر مجالس العلم كأن يصحبها معه أو أن يجلب لها ما تستفيد منه وتتعلم منه ككتاب أو شريط.

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٦ .

(٢) سورة الطلاق: الآية ٧.

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٦٩٢ ، رقم ٩٩٥) .

وهذا الأمر يتساهل فيه كثير من الأزواج ونسوا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾[٢].

٤- الصبر عليها وتحمّلُها:

أن يصبر عليها وعلى أذاها، وأن يتحمل ويتغافل عما يصدر عنها من قول أو عمل رحمة بها وشفقة عليها وعملاً بوصية الرسول ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً**»[٣]، ولأن هذا داخل في المعاشرة بالمعروف، وليعلم أن الناس في العشرة طرفان مذمومان، منهم من لا يعرف الرحمة والعطف إلى قلبه سبيلاً، ومنهم من يفرط ويتساهل ويتسامح حتى ينفلت زمام الأمور من يده، والحق وسط بين الغالي فيه والجافي عنه.

ومن هنا نقول: يجب على الزوج أن يكون حازماً في وقت الحزم غير متساهل في الأمور الشرعية والدينية، كما عليه أن لا يألو جهداً في الترفيه عن زوجته بما يدخل عليها السرور، وأن يكون طلق الوجه يحسن اختيار الكلمة الطيبة الحلوة وأن لا يهجرها على أمر دنيوي فوق ثلاث ليال.

٥- عدم تغيبه عن المنزل إلا بضرورة:

فيجب على الزوج أن يجلس الوقت الكافي في بيته لتأنس به زوجته،

---

(١) سورة التحريم: الآية ٦ .

(٢) سورة طه: الآية ١٣٢.

(٣) سبق تخريجه.

وأن يبتعد عن كثرة السهر خارج البيت إلى ساعات متأخرة من الليل، وهذا حق يجب أن يراعى حتى لا تضطر الزوجة إلى الخروج عن حيائها، فبعض الأزواج تراه في دنياه لاهياً أو يدمن على السهرات مع الأصدقاء والخلان ولايعود إلا متأخرًا، قد أرهقه التعب وأضناه، واستنفد ما في جعبته من المرح واللهو مع أصدقائه، فيدخل وربما لا بسلام ولا كلام ويرتمي على فراشه كالجيفة.

ولو قدر الله أن يقضي وطره منها قضاه على وجه لا تشعر معه الزوجة بسعادة، وكأنها ما بقيت في البيت إلا للكنس والطبخ والخدمة وتربية الأطفال فهي في نظره أو كما يعبر عنه حاله وواقعه معها، ليست بحاجة إلى قلب يَعطف عليها ورجل يُداعبها ويَحنّ إليها ويروي عاطفتها، ويشبع غريزتها، وإذا كان الرجل ينهى عن الانهماك والاشتغال بالعبادة لأجل إتمام هذا الحق لزوجته فكيف بإهدار الوقت وإضاعته في السهرات العابثة والليالي اللاهية؟

جاء سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما يزوره وقد آخى رسول الله بينهما، فإذا بأم الدرداء رضي الله عنها متبذلة فقال: ما شأنك؟ قالت: إن أخاك لا حاجة له في الدنيا، يقوم الليل ويصوم النهار، فجاء أبو الدرداء فرحب به وقرب إليه طعاماً فقال له سلمان: كُل، قال: إني صائم، قال: أقسمت عليك لتفطرنّ، فأكل معه ثم بات عنده فلما كان الليل، أراد أبو الدرداء أن يقوم فمنعه سلمان وقال: إن لجسدك عليك حقًا، ولربك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، صم

وأفطر، وصلّ وائت أهلك وأعط كل ذي حق حقه، فلما كان وجه الصبح قال: قم الآن إن شئت فقاما فتوضآ ثم ركعا ثم خرجا إلى الصلاة فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك فقال له النبي : «**صدق سلمان**» [(١)].

٦- **أن لا يمنعها من زيارة أهلها وأقاربها:**

فلا يمنعها الزوج من زيارة أهلها وأقاربها بلا إفراط، لأن ذلك من صلة الرحم، وهي واجبة في الإسلام، وذلك بعد أن تستأذنه عند الخروج وأن يكون خروجها شرعيًّا بحيث لا تمس طيبًا ولا تخرج بزينة، وأن لا يكون في زيارتها تلك ما يؤدي إلى الحرام، وهذا يكون في كل خروج اضطرت إليه المرأة لتخرج.

٧- **أن يغار عليها ويصونها:**

فعلى الزوج أن يصون زوجته وأن يغار عليها، فيصون كرامة زوجته ويحفظ عرضها، ومن المؤسف أن بعض حيوانات الغابة أكثر غيرة على زوجته من بعض الرجال اليوم، فتراه يطلق العنان لزوجته تختلط مع الرجال تحادثهم وتذهب للأسواق وحدها، وإذا كان الحَمْو هو قريب الزوج كأخيه الذي قال عنه النبي ﷺ: «**الحمو الموت**» [(٢)]، إذا كان لا يجوز لها أن تخالطه وتختلي به ويدخل عليها في غياب زوجها، فما بالك بغيره من البقال والسائق وغيره؟!!

وينبغي أن تكون هذه الغيرة محمودةً لا مذمومة، لقول جابر رضي الله عنه كان

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٧٤، رقم: ٥٧٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٠٥، رقم ٤٩٣٤)، ومسلم (٤/ ١٧١١، رقم ٢١٧٢).

النبي ﷺ يقول: «**من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغضه الله فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، وأما التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة**» (١)، فيجب أن لا تتجاوز الغيرة حدَّها حتى لا تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه.

٨- العدل بين الزوجات:

ويقصد به إذا كان للزوج أكثر من زوجة، فحق كل واحدة أن يعدل بينهنّ، فإن الله ﷻ عندما أباح للرجال الزيادة على الواحدة قيّد ذلك بالعدل لقول الله تعالى: ﴿**فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ**﴾ (٢).

ويكون العدل في أمور كثيرة ذكر منها الطعام والشراب والكسوة والسكن والمبيت والكلام وحتى الابتسامة، أما المحبةُ فهذا الأمر لا يقدر عليه لأن القلوب بيد الله ﷻ يقلبها كيف يشاء، فمن حق المرأة أن يعدل زوجها وأن لا يحابي وأن لا يميز بين زوجاته في هذه الأمور المقدور عليها، وليعلم قول رسول الله ﷺ: « **من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**» (٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٤٦، رقم ٢٣٨٠٣)، وأبو داود (٣/ ٥٠، رقم ٢٦٥٩)، والنسائي (٥/ ٧٨، رقم ٢٥٥٨)، وابن حبان (١/ ٥٣٠، رقم ٢٩٥)، والبغوي (١/ ٤٥٦، رقم ٤٩٦)، وابن قانع (١/ ١٤٠)، والطبراني (٢/ ١٨٩، رقم ١٧٧٢)، والبيهقي (٩/ ١٥٦، رقم ١٨٢٥٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ١٥٨، رقم ٢١٤٢).

(٢) سورة النساء: الآية ٣.

(٣) أخرجه الطيالسي (ص ٣٢٢، رقم ٢٤٥٤)، وأحمد (٢/ ٤٧١، رقم ١٠٠٩٢)، وأبو داود

تأكيد الإسلام على هذه الحقوق:

هذه هي حقوق الزوجة على الزوج التي ينبغي على كل زوج مسلم أن يؤديها لزوجته كما أمر بها الله ورسوله؛ فالزوجة هي الجانب الأضعف والأحوج إلى العطف والرحمة وحسن الرعاية، وعن أبي شريح صويلة عمرو الخزاعي ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أحرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة**»[(١)]، ومعنى أحرج الحق: الحرج أي الإثم، أي أؤثم وأتوعد وأحذر من ذلك تحذيرًا بليغًا.

حقوق الزوج على زوجته:

وأما حقوق الزوج فهي كالتالي:

١- الطاعة بالمعروف:

قال ﷺ: «**لو كنت آمراً أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»[(٢)]، فطاعة الزوج شيء مقدم على كل أمر ما لم يتعارض مع أمر الله،

(٢/ ٢٤٢، رقم ٢١٣٣)، والنسائي (٧/ ٦٣، رقم ٣٩٤٢)، وابن ماجه (١/ ٦٣٣، رقم ١٩٦٩)، والبيهقي (٧/ ٢٩٧، رقم ١٤٥١٥)، والدارمي (٢/ ١٩٣، رقم ٢٢٠٦).

(١) أخرجه ابن حبان (١٢/ ٣٧٦، رقم ٥٥٦٥) والحاكم (٤/ ١٤٢، رقم ٧١٦٧) وقال: صحيح على شرط مسلم. وابن مردويه (كما في تفسير ابن كثير ١/ ٤٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ٤٦٥، رقم ١١٥٩)، وقال: حسن غريب. والدارمي (١/ ٤٠٦، رقم ١٤٦٤)، والحاكم (٤/ ١٩٠، رقم ٧٣٢٧، وقال: صحيح الإسناد، وبنحوه أخرجه أبو داود (٢/ ٢٤٤، رقم ٢١٤٠)، قال المنذري (٣/ ٣٦): في إسناده شريك، وقد أخرج له مسلم في المتابعات ووثق؛ والحاكم (٢/ ٢٠٤، رقم ٢٧٦٣)، وقال:

حتى أمر الوالد وأمر الوالدة، فلو أمرها أبوها بأمر وأمرتها أمها بأمر، وزوجها قال: لا.

فمن الطاعة ألا تقدم أمر أحدٍ على أمر زوجها، فله وحده الطاعة المطلقة حتى جعلها النبي ﷺ ربع الطريق إلى الجنة، كما في قوله ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها -انظروا ربع الطريق- قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئتِ**»(١).

٢- حسن العشرة مع الزوج:

كما أن الزوج مأمور بأن يحسن عشرتها أيضًا هي مأمورة بأن تحسن عشرته، وتبحث عن الأسباب التي تجلب له السعادة، وتهتم به، حتى يشعر بأن زوجته جديرة بأن تكون شريكة لحياته؛ لأن الزواج مسئولية، بعض النساء تهتم بكل شيء إلا الزوج، تهتم بالطبيخ، وتهتم بالغسيل، وتهتم بالكنس، وتهتم بالأطفال، والزوج آخر من تهتم به، وهذا غير صحيح، فالزوج لا يريد نظافة الجدران، ولا رائحة الطعام، بل يريد أن يجد اهتمامًا به شخصيًّا، اهتمامًا بموعد نومه، واهتمامًا بموعد أكله، واهتمامًا بملابسه،

صحيح الإسناد. والبيهقي (٧/ ٢٩١، رقم ١٤٤٨٢).

(١) أخرجه ابن حبان (٩/ ٤٧١، رقم ٤١٦٣)، وأخرجه أحمد (١/ ١٩١، رقم ١٦٦١)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٣٣٩ رقم ٨٨٠٥)، قال المنذري (٣/ ٣٣): رواته رواة الصحيح خلا ابن لهيعة وحديثه حسن في المتابعات. وقال الهيثمي (٤/ ٣٠٦): فيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح.

واهتمامًا بمشاعره، واهتمامًا بكل شؤونه، حتى الدواء إذا كان مريضًا وعنده حالة مرضية وعنده دواء ويأتي بالعلاج هي التي تذكره، بل وتعينه على أموره وعزائمه ما دامت في الخير.

ولنذكر النبي ﷺ لما دخل على خديجة ﵂ وقال: «**دثروني دثروني، زملوني**»، فقالت ﵂: «كلا والله لا يخزيك الله أبدا: إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[(١)].

٣- الاعتدال في الغيرة:

للمرأة أن تغار على زوجها ولكن بنسبة، خصوصًا إذا كان الرجل معدِّدًا؛ لأن الغيرة دائمًا تكون من بعض النساء على الزوج تجاه الأخرى، فتغار، لا نقول: تترك الغيرة؛ لأن تركها مستحيل، فهي فطرة، لكن هذبي الغيرة، ولا تتعمقي في التجسس وفي التحسس، وفي التدقيق وفي المراقبة.

وقد أوصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ؓ ابنته فقال حين زوجها: «**إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق**»[(٢)]، وما حصل كثير من المشاكل إلا بسبب الغيرة الغير منضبطة.

٣- حماية عرضه وماله وأولاده:

فإنها مؤتمنة على هذا، العرض أمانة ولا ينبغي لها أن تسمح بأن يدنس عرضه، أو أن يضيع شيء من ماله، أو أن تضيع أولاده، لأنها مؤتمنة عليه

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧٤ ، رقم ٤٦٣٨) ، ومسلم (١/ ١٤٤ ، رقم ١٦١).

(٢) تحفة العروس (١/ ١٤٢)، والمحاسن والأضداد (١/ ١٩٥)، والبيان والتبيين (١/ ٢٥٩).

والرجل لا يعلم، فإذا خانت هانت، وسقطت من عين الله، وحصل لها دمار في الدنيا والآخرة، إن الخيانة الزوجية -والعياذ بالله- من أسوأ ما يمكن، ويترتب عليها فساد في الدنيا والآخرة.

٤- عدم الخروج إلا بإذنه:

قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [(١)]، ففي الآية دلالة على أن النساء مأمورات بلزوم البيت، منهياتٌ عن الخروج.

وقال ﷺ: « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**» [(٢)]، فيفهم من الحديث أنها إذا أرادت الخروج لا بد أن تستأذن، كما يُفهمُ منه أن للزوج منع زوجته من الخروج إلا ما استثني شرعًا، فالإسلام حينما جعل بيت المرأةِ قرارًا لها، وحذرها من الخروج منه، فإنه أباح لها الخروج عند الحاجة أو الضرورة.

ومن ذلك الخروج لحضور صلاة الجماعة في المسجد كما في الحديث السابق، وكذا الخروج إلى مصلى العيد أو الجهاد أو ما إليه ضرورة.

ومع أن الإسلام أمر المرأة بعدم الخروج، إلا أن حسن المعاشرة يحتم على الزوج أن يكون حكيمًا، وأن يدرك أن المرأة ليست حبيسة المنزل، فيأذن لها في

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣ .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٠٥ ، رقم ٨٥٨) ، ومسلم (١/ ٣٢٧ ، رقم ٤٤٢).

الخروج فيما تحتاج في نفسها، أو ما تحتاجه من زيارة أبويها أو أقاربها؛ لأن في ذلك صلة للرحم التي أمر الشرع بصلتها، وهذا مشروط بأن لا يكون في خروجها ضرر يعود على زوجها أو على نفسها.

ويجب على المرأة اجتناب ما اجترأ كثير من النساء عليه في هذا الزمن من الخروج من بيوتهن بلا ضرورة، بل لارتياد المتاجر، لا لشراء ما هن في حاجة إليه، بل لمعرفة ما استحدث من نماذج وموضات جديدة للملابس التي تظهر المفاتن.

وتجتنب أيضا أن تكشف عما أُمرت المرأة بستره، وكأنها بخروجها تعرض مفاتنها لتوجه أنظار الرجال إليها، أو تثير إعجابهم بمحاسنها، وأصبح خروجها بهذه الطريقة عادة مألوفة في كثير من المجتمعات.

وقد توعد النبيّ ﷺ المرأة التي تخرج على تلك الصفة، فقال ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرَّت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية**»[(١)].

٥- أن تؤدي حقوق زوجها أكثر من حقوق والديها:

فمن حق الزوج أن تنظر زوجته إلى أن حقه أعظم عليها من حق

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤١٣، رقم ١٩٧٢٦)، والنسائي (٨/ ١٥٣، رقم ٥١٢٦)، والحاكم (٢/ ٤٣٠، رقم ٣٤٩٧)، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٣/ ٢٤٦، رقم ٥٧٦٩)، والدارمي (٢/ ٣٦٢، رقم ٢٦٤٦)، وابن خزيمة (٣/ ٩١، رقم ١٦٨١)، وابن حبان (١٠/ ٢٧٠، رقم ٤٤٢٤)، والصيداوي في معجم الشيوخ (١/ ١٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٧١، رقم ٧٨١٥)، والبزار (٨/ ٤٧، رقم ٣٠٣٣).

والديها، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ: أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: «**زوجها**»، قلت: فأي الناس أعظم حقًّا على الرجل؟ قال: «**أمه**» (١).

٦- ألا تصوم تطوعاً إلا بإذنه:

وعلة ذلك أن صومها يمنعه من الاستمتاع بها، أما الفريضة فتصوم بغير إذنه، لكن أن تتطوع وتصوم نافلة وهو موجود لا يجوز لها، إلا أن يأذن لها؛ لقوله ﷺ: «**لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه**»(٢).

٧- تدبير المنزل:

فتقوم بالخدمة في بيته، وتصبر على ما قد تعانيه من تعب ومشقة، وليس الزوج ملزمًا بأن يؤمّن لها خادمةً، بل الصحيح من أقوال العلماء أنه يجب على الزوجة خدمة زوجها، ويدل لذلك حديث عليٍّ رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ أتت النبيّ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى، وبلغها أنه جاءه رقيق فسألته خادمًا، فقال النبيّ ﷺ: «**ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما ـ أو أويتما إلى فراشكما ـ فسبّحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا**

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ١٦٧ ، رقم ٧٢٤٤) . والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٦٣ ، رقم ٩١٤٨)، وأخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٩) قال الهيثمي: فيه أبو عتبة ولم يحدث عنه غير مسعر وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٩٤ ، رقم ٤٨٩٩) .

وثلاثين، وكبرا أربعًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم»[(١)] .

وفي بنت رسول الله ﷺ التي جُرحت يدُها مما تزاول من أعمالِ بيتها أسوةٌ حسنةٌ لزوجات المؤمنين، وقد كان نساءُ النبيِّ وغيرهن من نساء الصحابة يخدمن أزواجهنَّ في بيوتهن وخارج بيوتهن إذا دعت الحاجة، ولا خير في حدوث إشكالٍ بين الزوجين بسبب خدمة البيت، والخيرُ في تعاونهما جميعًا، والله تعالى يأمر المؤمنين بالتعاون، وهو بين الزوجين آكد من غيرهما.

قال ابن القيم رحمه الله: «إن عقد الزواج يُنزلُ على العرف السائد بين الناس، والعرف بين الناس أن الزوجة تقوم بخدمة الزوج كما تقوم بشؤون البيت الداخلية» .

أن تبر أهله وأقاربه:

خصوصاً والديه، إذ يجب عليها برهما، وإكرامهما، وخدمتهما شكرًا لله على ما أنعم عليها من ولدهما الذي أصبح زوجها، وبعض النساء أوّل ما تكره من الناس أمَّ بعلها، والمفروض أن تعرف فضلها، وتقدرها كتقديرها أمها.

وما يذكر من الخلاف اللازم بين أم الزوج وبين الزوجة أمر مستغرب جدًّا، فهو من كيد الشيطان، ومن إضلاله لإفساد الترابط الأسري، ولحمل الزوج على عقوق والدته ووالده.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٢٩، رقم ٥٩٥٩)، ومسلم (٨/ ٨٤، رقم ٢٧٢٧).

ودور الزوجة الصالحة يجب أن يكون بارزًا في التحمل، وعدم إثارة المشاكل، والصبر على ما تجد من ألم أو مرارة أو من سوء معاملة من الأم أو من الأب، وعدم الشكوى إلى الزوج من والدته.

٨- أن تصبر على فقره وإعانته:

فتصبر على قلة ذات يده إن كان الزوج فقيرًا، بل يجوز أن تتصدق عليه من مالها في حالة فقره، كما قال ﷺ: «**زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم**» (١).

٩- أن تعينه على الخير وتدله عليه:

فتذكره بطاعة الله ﷻ إذا نسي أو غفل، إذا نام عن الفجر والعصر مثلاً، وإذا نسي أن يصل والديه، وإذا ترك الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالرسول ﷺ قال: «**قلب شاكر ولسان ذاكر وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك خير ما اكتسب الناس**» (٢).

وقال ﷺ: «**ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة**» (٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٣١ ، رقم ١٣٩٣) .

(٢) أخرجه الطبراني (٨/ ٢٠٥ ، رقم ٧٨٢٨) قال الهيثمي (٤/ ٢٧٣) : فيه علي بن يزيد وهو ضعيف وقد وثق . والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٠٤ ، رقم ٤٤٣٠) ، وهو في صحيح الجامع (٤/ ١٤٢).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٢ ، رقم ٢٢٤٩٠) ، والترمذي (٥/ ٢٧٧ ، رقم ٣٠٩٤) ، وقال :

ثم يهيب ﷺ بالزوجين معًا بأن يجتهد كل منهما في إعانة الآخر على طاعة الله ﷻ، فيقول: «**رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء**»[١].

١٠- أن تتزين لزوجها:

وللأسف فبعض الزوجات لا يتزينّ ولا يتطيّبن إلا عند خروجهن من المنزل وإلى الأسواق والشوارع. أما عندما تكون في المنزل فحدّث ولا حرج، فهي طوال الوقت بملابس المطبخ، ومحملة بروائح الطبخ والنفخ، وغير مهتمة بنظافة أو ترتيب؛ مما ينتج عنه نفور الزوج منها، خاصة وقد امتلأت أمامه الطرقات بالكاسيات العاريات وقد تبرّجن بكل ما يفتن الرجال، مما ينتج عنه حدوث المشاكل بينهما.

وقد حث الإسلام على أن تتزين النساء لأزواجهن، ففي الحديث عن جابر ﷺ قال كنا مع النبي في غزاة، فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال ﷺ:

حسن. وابن ماجه (١/ ٥٩٦، رقم ١٨٥٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٨٢).

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠، رقم ٧٤٠٤)، وأبو داود (٢/ ٣٣، رقم ١٣٠٨)، والنسائي (٣/ ٢٠٥، رقم ١٦١٠)، وابن ماجه (١/ ٤٢٤، رقم ١٣٣٦)، والحاكم (١/ ٤٥٣، رقم ١١٦٤) وقال: صحيح على شرط مسلم. وابن حبان (٦/ ٣٠٦، رقم ٢٥٦٧)، والبيهقي (٢/ ٥٠١، رقم ٤٤١٩). وابن خزيمة (٢/ ١٨٣، رقم ١١٤٨).

«أَمْهِلُوا حتى ندخل ليلًا - أي عشاء - لكي تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ ، وَتَسْتَحِدَّ الـمُغِيبَةُ»(١)، والشعثة هي البعيدة العهد بالغسل وتسريح الشعر والنظافة ، والمغيبة التي تغيّب عنها زوجها.

وفي هذا الحديث بيان على أن المرأة ما دام زوجها حاضراً مقيماً فهي دائمة التزين، ولا تهجر هذه الخصلة إلا عند غياب زوجها، لهذا على الزوجة الصالحة أن تتزين لزوجها وتتجمل له لأنه إذا لم تتزين وتتجمل لزوجها، فلمن تتزين، وبالطبع يدخل في هذا نظافة منزلها وترتيبه، لأن هذه الأمور من أهم أسباب دوام الحياة الزوجية واستمرارها.

١١- إجابة دعوة الزوج إلى الفراش:

فلا يحق لها أن تمنعه نفسها متى طلب منها ذلك لأن، من أعظم غايات الزواج إحصان النفس بالجماع الحلال؛ وعدم استجابة الزوجة لزوجها قد يترتب عليه عواقب وخيمة وقد تتعرض الحياة الأسرية للهدم والتصدع؛ لأنه قد يخيل للزوج أن زوجته لا تحبه، أو قد يضعفه ذلك أمام كم الشهوات والعري التي اكتظت بها الطرقات.

لهذا قال ﷺ: **«والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه: فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»**(٢).

وقال ﷺ: **« إذا دعا الرجلُ امرأتَه إلى فراشِهِ فأبتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عليها**

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٨٨ ، رقم ٧١٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٦٠ ، رقم ١٤٣٦) .

لعنتها الملائكةُ حتى تُصْبِحَ» (١).

فعلى الزوجة الاهتمام بهذا الحق والاستجابة لزوجها، خاصة في هذا العصر الذي ينتشر فيه الإغراء والتبرج، فما يراه الرجل سواء في الشارع أو في الأسواق من تبرج للنساء المتزينات، يؤدي به إلى الإثارة والشهوة؛ وقد نبه النبي ﷺ إلى هذا بقوله: « **إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما في نفسه»** (٢).

وفي رواية: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطان ، وتدبر في صورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم امرأة أعجبته فليأت أهله ؛ فإن الذي معها مثل الذي معها»**(٣).

وليس لها أن تنشغل عن ذلك الواجب بأي عمل، لقوله ﷺ: «**إذا دعا الرجلُ زوجتَه لحاجتِهِ فَلْتَأْتِهِ وإن كانتْ على التَّنُّورِ**»(٤)، أي وإن كانت تخبز على الفرن.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٨٢ ، رقم ٣٠٦٥) ، ومسلم (٢/ ١٠٦٠ ، رقم ١٤٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٢٢ ، رقم ١٤٠٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣/ ٤٦٤ ، رقم ١١٥٨) وقال : صحيح حسن غريب . وابن حبان (١٢/ ٣٨٤ ، رقم ٥٥٧٢) .

(٤) أخرجه الترمذي (٣/ ٤٦٥، رقم ١١٦٠) وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى (٥/ ٣١٣، رقم ٨٩٧١)، وابن حبان (٩/ ٤٧٣، رقم ٤١٦٥)، والبغوي (٣/ ٤٤١، رقم ١٣٧٥)، والطبراني (٨/ ٣٣١، رقم ٨٢٤٠)، والبيهقي (٧/ ٢٩٢، رقم ١٤٤٨٧)، والضياء (٨/ ١٦٠، رقم ١٧٠)، وابن أبي شيبة (٣/ ٥٥٨، رقم ١٧١٣٥).

١٢- أن لا تتصدق من ماله إلا بإذنه:

لما روى أبو أمامة الباهلي ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تنفق المرأة شيئًا من بيتها إلا بإذن زوجها**»، قيل: يا رسول الله، ولا الطعام؟! قال: «**ذلك أفضلُ أموالنا**» [1]، غير أن المتصَدَّقَ به إذا كان يسيرًا من عادة الزوج أن يسمح بمثله فللزوجةِ التصدق به ولو لم يأذن الزوج.

ضرورة استخدام الحكمة والرفق في الخلافات الزوجية:

لا تسلم الحياة الزوجية من منغصات تأتيها بين الحين والآخر، والتي يجب أن يتصدى لها الزوجان، فحين يدب الخلاف بين عمودي الأسرة نتيجة سوء العشرة بينهما فإن الرياح العاتية والعواصف المدمرة تنذر بهدم ذلك الكيان القائم وتشتيته في كل اتجاه، وعند حدوث أي خلاف بين الزوجين فإنه ينبغي التغلب عليه داخل كيان الأسرة بالتفاهم والتراضي والعمل على القضاء عليه واستئصالِ جذوره، دون سريانه إلى أطرافٍ أخرى أجنبية عن الأسرة.

ولا ينبغي للزوج أن يتسرع، أو يعجز عن مقاومةِ الخلاف من أول وهلة، بل عليه أن يصبر، فإن استعجاله في حسم الخلاف قد يندم عليه ندمًا

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ١٥٤، رقم ١١٢٧)، وأحمد (٥/ ٢٦٧، رقم ٢٢٣٤٨)، والترمذي (٤/ ٤٣٣، رقم ٢١٢٠) وقال: حسن صحيح . والطبراني (٨/ ١٣٥، رقم ٧٦١٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٥١، رقم ١٧٦٨٨)، وأبو داود (٣/ ٢٩٦، رقم ٣٥٦٥)، وابن ماجه (٢/ ٩٠٥ ، رقم ٢٧١٣)، وعبد الرزاق (٤/ ١٤٨، رقم٧٢٧٧)، والبيهقي (٦/ ٢١٢، رقم ١١٩٨٢)، والدارقطني (٣/ ٤٠) .

يصحبه طيلة حياته، فقد قال ﷻ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [(١)].

وإذا كان بعض النساء تميل بطبعها إلى بعض التصرفات الخطأ، فعلى الزوج أن يكون أعقل وأثبت وأحلم في موقفه منها، فلعل فيها من الصفات الأخرى والمحاسن والمحامد ما يُغطّي زلاتها ويمحو أخطاءها، وقد قال ﷺ: «**لا يفرك ـ أي: لا يبغض ـ مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلقًا رضي منها آخر**» [(٢)].

إلا أن بعض النساء تنظر إلى صفح الزوج عنها وتسامحه عن هفواتها وعفوه عن زلاتها بأنه ضعف في جانبه، وخَوَرٌ في موقفه، واهتزازٌ لشخصيته، فيزيد استعلاؤها، وتتمادى في عنادها، وكلما اقترب من رأب الصدع والتئام الشمل ابتعدت عنه وترفعت عن التفاهم معه، لذا فعلى الزوجين معرفة كيف يتغلبان على النزاعات والخلافات الأسرية.

الخطوات الشرعية لحل النزاعات الأسرية:

يضع الإسلام خطواتٍ متوالية ، وإجراءات متتابعة لحل النزاع وإعادة الأُنس والصفاء الذي كانت تعيش في ظلاله الوارفة وسمائه الصافية، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ

---

(١) سورة النساء: الآية ١٩.

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٩١ ، رقم ١٤٦٩).

﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(١).

الخطوة الأولى: الوعظ والتذكير:

فيبدأ الزوج بوعظ شريكة حياته وملاطفتها بالكلام بأسلوب رقيق وألفاظ حسنة مهذبة، تؤثر في نفسها، وتقرب عاطفتها، ويعيدها بذاكرتها إلى أيام حياتهما الزوجية الأولى، وما كان بعدها من المشاعر والأحاسيس الرقيقة الفياضة التي جمعت بينهما في محبة ووئام ومودةٍ، والمرأةُ العاقلة هي التي تؤثر فيها تلك الكلمات الصادقة من الزوج، فتعود إلى رشدها وتلبي رغبته.

الخطوة الثانية: الهجر في المضجع:

إن لم تعبأ الزوجة بالوعظ انتقل الزوج إلى هجرها في فراشها، وذلك بأن يدير ظهره إليها، ويبدي لها امتعاضه منها، فلا يكلمها ولا يلتفت إليها، وليس المراد من هجرها نومه في غرفة مستقلةٍ عنها، فإن ذلك ربما أدى إلى زيادة تأزُّم العلاقة بينهما واتساع الفجوة في حياتهما.

الخطوة الثالثة: الضرب غير المبرح:

فإذا لم تستجب الزوجة لهذا التأديب المعنوي انتقل الزوج إلى الخطوة الثالثة وهي قوله ﷻ: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾، فإن الضرب هو الذي يصلحها له، ويحملها على توفيةِ حقوقه وقيامها بها.

لكن لا يتبادر إلى الذِّهن الضربُ الشديد القاسي الذي من شأنه التأثير في جسدها، أو إلحاق عاهةٍ أو أذى بها، أو إهانتها والانتقام منها، أو قهرها

---

(١) سورة النساء: ٣٤.

وإذلالها، بل المراد الضرب التأديبي غير المبرح، أي: الذي لا يؤدي إلى شيء مما ذُكر، بل يضربها ضربًا خفيفًا.

وقد نبه إلى ذلك رسول الله ﷺ بقوله في خطبة عرفات: «**فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح**»(١).

وقد بين ﷺ أن البعد عن العنف وترك القسوة في التعامل مع الزوجة دليل على حسن العشرة، وذلك مما يجب على الزوج تجاهها، فقد سأل أحد الصحابة رضي الله عنهم رسول الله عن حق المرأة على الزوج، فقال ﷺ: «**حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر إلا في البيت**»(٢).

فهذا يدل على أن الضرب المراد في الآية هو ما قُصد منه تنبيه المرأة إلى أنها قد حادت عن الطريق الأمثل في تعاملها مع زوجها، وأن عليها أن تعود إلى رشدها وتؤوب إلى صوابها. وقد سُئل ابن عباس رضي الله عنهما عن صفة الضرب الوارد في الآية فقال: «بالسواك ونحوه».

فعُرف أن المقصود من ذلك تهذيب المرأةِ وتقويم اعوجاجها

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٨٦، رقم ١٢١٨).

(٢) أخرجه الطبراني (١٩/ ٤٢٨، رقم ١٠٣٩)، والحاكم (٢/ ٢٠٤، رقم ٢٧٦٤) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٧/ ٢٩٥، رقم ١٤٥٠٣)، وأحمد (٤/ ٤٤٧، رقم ٢٠٠٢٧)، وابن ماجه (١/ ٥٩٣، رقم ١٨٥٠)، وابن حبان (٩/ ٤٨٢، رقم ٤١٧٥).

وإصلاحها، دون أن يؤدي الضرب إلى إيذائها أو إهانتها أو إلحاق الضرر بها، فإن جاوز ذلك فهو متعدٍّ قد جنى عليها ، وخالف المراد من ذلك.

الخطوة الرابعة: تدخل المصلحين بينهما:

إن لم تُجْدِ الخطوات السابقة ولم يكن لها نتيجة إيجابية في إعادة صفو العلاقة الزوجية إلى ما كان عليه، وازداد الخلاف والتباين بين الرجل والمرأة، وظهرت في الأفق بوادر وعلامات التباعد، فإن على المصلحين المسارعة إلى لمِّ الشمل، واختيار اثنين من أهل الرأي وأصحاب الخبرة والمشورة، يعملان على التقريب بين الزوجين، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [1].

فينظر الحكمان الثقتان في الأصلح للزوجين من دوام العلاقة الزوجية بينهما واستمرارها أو التفريق بينهما، من خلال دراستهما لأحوال الزوجين ومعرفة أسباب الخلاف بينهما وما كَدَّرَ صفو حياتهما حتى الوصول إلى هذه الحال، ومحاولة التقريب بينهما، واستفراغ وسعهما في إزالة كافة العوائق والعقبات التي تقف في طريق حياتهما الزوجية، وسيهديهما الله تعالى إلى السبيل الأمثل إذا قصدا الجمع والتقريب بين الزوجين، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾.



(١) سورة النساء: الآية ٣٥.

آداب العطاس

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فمن المهمات في بدء كلامنا عن العطاس أن نعرف أنه نعمةٌ من الله ﷻ، وأنه يُفيد الجسم، ويطرد الداء؛ بخلاف التثاؤب الذي هو دليلٌ على امتلاء البدن والكسل، ولذلك فإنَّ العطاسَ يحبه الله ﷻ، وهو نعمةٌ منه، قال ﷺ: «**إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب**»[(١)].

يقول ابن الجوزي[(٢)]: «ومعنى حُبِّ العطاس وكراهة التثاؤب أن العطاس إنما يكون مع انفتاح المسامِّ وخفة البدن وتيسير الحركات، وسبب هذه الأمور تخفيف الغذاء، والإقلال من الطعام، والتثاؤبُ إنما يكون مع ثِقَل البدن وامتلائه، وعند استرخائه للنوم وميله للكسل، فصار العطاسُ محمودًا لأنه يُعينُ على الطاعات، والتثاؤب مذمومًا لأنه يثبّط عن الخيرات وقضاء الواجبات».

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٩٧، رقم ٥٨٦٩)، وأبو داود (٤/ ٣٠٦، رقم ٥٠٢٨)، والترمذي(٥/ ٨٧، رقم ٢٧٤٧)، وابن حبان (٢/ ٣٥٩، رقم ٥٩٨).

(٢) كشف المشكل (٣/ ٥٣٠).

آداب العطاس:

حمد الله تعالى عند العطاس:

وتشميت العاطس، قال ﷺ: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله، ويصلح بالكم**»(١).

تشميت العاطس مأمورٌ به، ومندوبٌ إليه. ومن محاسن ديننا أن شرع للمسلمين دعاء يقولونه بعد العطاس - الذي هو نعمة من الله عليهم -، فبه يحمدون الله، وبه يتراحمون، ويسألون الله الهداية وصلاح البال.

قال ابن القيم: ولما كان العاطسُ قد حصلتْ له بالعطاسِ نعمةٌ ومنفعةٌ بخروج الأبخرة المحتقنة في دماغه، التي لو بقيت فيه أحدثت له أدواءً عَسِرة، شُرع له حمد الله على هذه النعمة، مع بقاء أعضائه على التئامها وهيئتها بعد هذه الزلزلة التي هي للبدن كزلزلة الأرض لها(٢).

حكم التشميت:

وتشميت العاطس فرض على الكفاية إذا فعله بعض الحاضرين سقط الأمر عن الباقين(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٩٨، رقم ٥٨٧٠)، وأبو داود (٤/ ٣٠٧، رقم ٥٠٣٣).

(٢) زاد المعاد ٢/ ٤٣٨.

(٣) انظر الآداب الشرعية (٢/ ٣١٧)، وشرح صحيح مسلم. المجلد السابع (١٤/ ٢٦).

ولا ينبغي تركه لقوله ﷺ: «**فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقًّا على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله**»(١). ولقول البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «أمرنا النبي ﷺ بسبعٍ» وذكر من المأمورات بهن: «**تشميت العاطس**»(٢).

معنى التشميت :

الدعاء بالخير والبركة، قال ابن سيده: شمت العاطس، وسمت عليه، دعا له أن لا يكون في حال يشمت به فيها؛ والسين لغة عن يعقوب(٣).

ولأجل هذا المعنى كان السلف يحبون أن يشمتهم الناس، لا سيما أهل الخير والصلاح.

وقد ورد عن أبي بردة قال: دخلت على أبي موسى رضي الله عنه وهو في بيت بنت الفضل فعطست فلم يشمتني، وعطستْ فشمتها، فرجعتُ إلى أمي فأخبرتها، فلما جاءها قالت: عطسَ عندك ابني فلم تشمته، وعطستْ فشمّتَّها، فقال رضي الله عنه: إن ابنك عطس فلم يحمد الله فلم نشمته، وعطستْ فحمدتِ الله فشمتُّها، وسمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه وإذا لم يحمد الله فلا تشمتوه**»(٤)، وهذا هو الأدب التالي:

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٩٧، رقم ٥٨٦٩).

(٢) أخرجه البخاري(٢٤٤٥)، ومسلم(٢٠٦٦).

(٣) لسان العرب (٢/ ٥٢) (مادة: شمت)، والنهاية (٢ / ٤٩٩).

(٤) كتاب الأدب لابن أبي شيبة (١ / ٣١٤)، والبخاري في الأدب المفرد (١ / ٣٢٣).

أن لا يشمت إلا من حمد الله ﷻ:

قال ﷺ: «**إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه**»(١). فتشميت العاطس يكون عند سماع حمد العاطس، وكذلك روى أنس رضي الله عنه قال: «عطس رجلان عند النبي ﷺ، فشمت أحدهما ولم يُشمت الآخر. فقال الرجل: يا رسول الله! شمَّت هذا ولم تشمتني ؟ قال: «**إن هذا حمد الله، ولم تحمد الله**»(٢).

مسألة: هل يلزم سماع حمد العاطس لتشميته، أو يُكتفى بعلم ذلك من تشميت من حوله؟

الجواب: الأظهر أنه يشمته إذا تحقق أنه حمد الله، وليس المقصود سماع المشمِّت للحمد، وإنما المقصود نفس حمده، فمتى تحقق ترتب عليه التشميت، كما لو كان المشمّت أخرس، ورأى حركة شفتيه بالحمد. والنبيﷺ قال: «**فإن حمد الله، فشمتوه**». هذا هو الصواب، قاله ابن القيم(٣).

مسألة ٢ : هل يستحب تذكير من نسي حمد الله بعد العطاس حتى يُشمت؟

الجواب: اختار بعض أهل العلم كالنخعي والنووي تذكيره، لأنه من باب التعاون على البر والتقوى، والنصيحة، والأمر بالمعروف. واختار بعضهم

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٢، رقم ٢٩٩٢).

(٢) رواه البخاري(٦٢٢٥)، ومسلم(٢٩٩١).

(٣) زاد المعاد (٢/ ٤٤٢).

كابن العربي وابن القيم أنه لا يُذكّر، قال ابن قيم الجوزية: وظاهر السنة يقوي قول ابن الأعرابي: لأن النبي ﷺ لم يشمت الذي عطس، ولم يحمد الله، ولم يذكره، وهذا تعزيرٌ له، وحرمانٌ لبركة الدعاء لما حرم نفسه بركة الحمد، فنسي الله، فصرف قلوبَ المؤمنين وألسنتَهم عن تشميته، والدعاء له، ولو كان تذكيرُه سنةً، لكان النبيﷺ أولى بفعلها وتعليمها، والإعانة عليها [(١)].

كما يقوي الرأي بعدم التذكير ما روي عن الحسن البصري وابن سيرين أنهما كانا لا يشمتان العاطس حتى يحمد الله[(٢)].

التقيُّد بما ورد في السنة:

ومن ذلك أن رجلًا عطس عند ابن عمر، فقال : الحمد لله والسلام على رسول الله، قال ابن عمر: وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله وليس هكذا، علمنا رسول اللهﷺ أن نقول: «**الحمد لله على كل حال**»[(٣)].

فالسنة أن يقول المشمت: «**يرحمك الله**». لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله...الحديث**»[(٤)].

والسنة أن يرد العاطس على المشمّت: «**يهديكم الله ويصلح بالكم، أو**

---

(١) زاد المعاد(٢/ ٤٤٢).

(٢) كتاب الأدب لابن أبي شيبة (١ / ٣١٤).

(٣) رواه الترمذي وحسنه الألباني.

(٤) رواه البخاري(٦٢٢٤)، وأحمد(٨٤١٧)، وأبو داود(٥٠٣٣). قال ابن القيم عن رواية أبي داود : إسناده صحيح(زاد المعاد ٢/ ٤٣٦). وقال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح.

يرحمنا الله وإياكم، ويغفر لنا ولكم». ففي حديث أبي هريرة ﷺ السابق أن النبي ﷺ قال: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم»[(١)].

أو يقول: «يرحمنا الله وإياكم ويغفر لنا ولكم»، جاء ذلك صريحًا في حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان إذا عطس فقيل له: يرحمك الله. قال: يرحمنا الله وإياكم، ويغفر لنا ولكم»[(٢)].

وضع اليد أو المنديل على الفم وخفض الصوت قدر الإمكان:

فقد كان ﷺ: «**إذا عطس غطى وجهه بيده أو ثوبه، وغضّ بها صوته**»[(٣)].

وفائدته أنه لما كان العاطس -غالباً- يُحدث صوتًا رفيعًا مزعجًا اُستحب له أن يخفض من صوته بوضع يده على وجهه أو بثوبه، وفي وضع اليد أو الثوب على الفم فائدة أخرى وهي: أن العاطس لا يأمن-غالباً- من خروج شيءٍ من فمه، فاستُحب له أن يضع يده على فيه، وفي هذا سنة.

التشميت ثلاثاً، فما زاد فهو زكام:

ففي الحديث: أنه عطس رجلٌ عند رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «**رحمك الله**»، ثم عطس ثانية، فقال له مثل الأولى، ثم عطس ثالثة، فقال ﷺ: «**أنت**

---

(١) أي شأنكم.

(٢) رواه مالك (١٨٠٠). وقال محققو زاد المعاد: إسناده صحيح. (٢/ ٤٣٧) (حاشية ٢)

(٣) رواه الترمذي(٢٧٤٥) وقال: حسن صحيح، ورواه أبو داود(٥٠٢٩) وقال الألباني: حسن صحيح.

مزكوم»[1].

وهذا الحديث قيّد التشميت بمرتين فقط، ولكن جاءت نصوص أخرى تفيد أن العاطس يُشمت ثلاثًا، فعن أبي هريرة ﵁ قال: «**شمت أخاك ثلاثاً فما زاد فهو زكام**»[2]. قال النووي: واختلف العلماء فيه، فقال ابن العربي المالكي: قيل: يقال له في الثانية: إنك مزكوم، وقيل: يقال له في الثالثة، وقيل: في الرابعة، والأصح أنه في الثالثة. قال: والمعنى أنك لست ممن يشمت بعد هذا؛ لأن هذا الذي بك زكام ومرض، لا خفة العطاس[3].

وقوله ﷺ في الحديث: «**الرجل مزكوم**» تنبيهٌ على الدعاء له بالعافية، لأن الزكمة علةٌ، وفيه اعتذارٌ من ترك التشميت بعد الثلاث، وفيه تنبيهٌ له على هذه العِلّة ليتداركها ولا يهملها، فيصعب أمرها، فكلامه ﷺ كلُّه حكمة ورحمة، وعلم وهدى، قاله ابن القيم[4].

تحويل الوجه قبل العطاس عن وجوه الناس:

أو الطعام لئلا يصيبه رذاذُ العطاس، والبعد عن إخراج صوتٍ عند تنظيف الأنف بمحضر الناس، لأن هذا مما يستقذره الناس، وفي الحديث «**لا**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٣)، وأحمد (١٦٠٦٦)، والترمذي (٢٧٤٣)، وأبو داود (٥٠٣٧)، والدارمي (٢٦٦١).

(٢) أخرجه أبو داود(٥٠٣٤) وقال الألباني : حسن موقوف ومرفوع.

(٣) الأذكار (٣٩٣).

(٤) زاد المعاد (٢/ ٤٤١).

يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[(١)].

جواز تشميت أهل الذمة:

وفيه حديث أبي موسى ﷺ قال: كانت اليهود تعاطس عند النبي ﷺ، رجاء أن يقول لها يرحمكم الله، فكان يقول: «**يهديكم الله ويصلح بالكم**»[(٢)].

وعلى هذا يجوز الدعاء لأهل الذمة -إذا حمدوا الله بعد عطاسهم- بالهداية والتوفيق للإيمان، ولا يُدعى لهم بالرحمة والمغفرة، فهم ليسوا أهلاً لذلك.

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ ﷺ في (الفتح) تعليقًا على حديث أبي موسى ﷺ: «وأَمَّا مِنْ حيْث الشَرع فحديث أَبِي موسى دال على أَنهم يدْخلون فِي مطلق الْأَمر بِالتشميت، لَكِن لَهُم تَشْمِيت مَخصوص وهو الدعاء لَهم بِالْهداية وَإِصْلاح البال، وهو الشّأن، وَلَا مَانع مِن ذلك، بِخِلاف تَشميت المسلمينَ فَإِنّهم أَهْل الدّعاء بِالرّحمة بِخلاف الكفّار».

فائدة: يجوز لمن عطس في الصلاة أن يحمد الله، ولا يجوز لمن سمعه أن يشمته[(٣)].

حكم تشميت المرأة الأجنبية:

وبالنسبة لتشميت المرأة الأجنبية قال ابن مفلح ﷺ: قال ابن تميم: لا

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٤، رقم ١٣)، ومسلم (١/ ٦٧، رقم ٤٥).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٣٨) وقال الألباني: صحيح. ورواه أحمد(١٩٠٨٩)، والترمذي(٢٧٣٩)، ورواه البخاري في الأدب المفرد، باب إذا عطس اليهودي، وصححه الألباني، انظر : صحيح الأدب المفرد (ح ٧١٩).

(٣) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء برقم (٢٦٧٧) (٧/ ٣٠).

يشمت الرجل الشابة ولا تشمته[1].

وقال في الرعاية الكبرى: للرجل أن يشمت امرأة أجنبية -وقيل: عجوزًا- ولا تشمته هي، وقيل: لا يشمتها، وذكروا قصة عن أحمد أنه كان عنده رجل من العباد، فعطست امرأةُ أحمد فقال لها العابد: يرحمك الله، فقال أحمد رحمه الله: عابد جاهل، وقال حرب: قلت لأحمد: الرجل يشمت المرأة إذا عطست؟ فقال: إن أراد أن يسمع كلامها فلا؛ لأن الكلام فتنةٌ، وإن لم يرد ذلك؛ فلا بأس[2].

فإذًا هناك فرق بين الشابة والعجوز، قال: العجوز تشمتها، لأنها سترد عليك وتدعو لك، فالعجوز لا تُشتهى ولا يطمع فيها، وأما الشابة فلا.

وبعضهم قال: إذا قصد المشمت سماع كلامها -وهذه مسألة تتعلق بالنيات- فلا يجوز له أن يشمتها، وإذا لم يقصد فلا بأس، وهي عليها أن تنتبه إلى أنه إذا شمتها رجل أجنبي ألا ترفع صوتها إذا كانت امرأة شابة أو تخشى أن يفتن بصوتها.

إضاءة

عن أبي داود صاحب السنن[3]: أنه كان في سفينة فسمع عاطساً على

---

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٣٤١).

(٢) انظر حاشية العدوي على كفاية الطالب شرح الرسالة (٢ / ٣٩٩)، والشرح الصغير (٤ / ٧٦٤).

(٣) فتح الباري (١١/ ٦١٢). وسبل السلام (٤ / ١٥٠).

الشط - أبو داود في البحر في السفينة أو في النهر- فسمع عاطساً على الشط حمد الله ولم يكن عنده أحد يشمته، فاستأجر قارباً بدرهم حتى جاء إلى العاطس فشمته، قال: يرحمك الله ثم رجع، فسئل أبو داود عن ذلك: ما الذي حملك على ما صنعت، وتكلفت، واستأجرت قارباً وذهبت؟ فقال: لعله يكون مجاب الدعوة فيقول لي: يغفر الله لنا ولكم، أو يهديكم الله ويصلح بالكم، فأستفيد، فلما رقدوا سمعوا قائلاً يقول: يا أهل السفينة إن أبا داود اشترى الجنة من الله بدرهم، وجَوَّد إسناده ابن حجر رحمه الله.



آداب الفرح

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

الفرح من آيات الله في نفس الإنسان:

يقول الله ﷻ في محكم التنزيل: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[2].

وإن الآيات العظام التي أودعها الله جل وعلا نفوس بني آدم لهي كثيرة حقاً، يعز على اللبيب حصرها ويعيي المتحدث سردها، ولو كلف المرء نفسه مرة في أن يستخلص بعضاً مما يثير الإعجاب في هذا التكوين، لوجد أن من الملفت حقاً ما يكمن في نفسه التي بين جنبيه من الأضداد المزدوجة والمتقابلة، والتي تكيف نفسها بقدر من الله وحكمة، بالتعامل مع الأحداث والمواقف، ولوجد المرء نفسه بين خلايا من الشعور اللاإرادية التي فطر الله الناس على أصله وقاعدته.

---

(١) الذاريات: الآيتان٢٠ – ٢١.

(٢) فصلت: الآية٥٣.

ويبدو ذلك بوضوح في مثل الضحك والبكاء، والقوة والضعف، والرغبة والرهبة، والذلة والعزة، والخوف والرجاء، والحب والفرح، والغضب والرضا، كل ذلك يجتمع في النفس الواحدة في غير ذهول ولا جنون، وإنما هي خلال جبلية أودعها الله النفس البشرية.

حقيقة الفرح:

إننا بحاجة ملحة إلى أن نلقي الضوء قليلاً في عدل وإنصاف، ومن منطلق النصح والتوجيه على واحد من تلك الأضداد الآنف ذكرها، ألا وهو الفرح، الفرح الذي يكون مقابله الحزن والكآبة، الفرح الذي هو لذة في القلب بسبب الحصول على أمر محبوب، وانشراح في الصدر عند بلوغ مقصد مطلوب، أنساً بما يسر عند بلوغ مقصد مطلوب، والذي يترجم عنه بالجوارح بالابتسامة حيناً، أو بأسارير الوجه حيناً آخر، ولربما بلغت العاطفة نفس الفرح فكان من فرط ما قد سره أبكاه.

تعريف الفرح:

وقد عرف أهل اللغة الفرح بأنه: السُّرورُ ... والمِفْراحُ : الكثيرُ الفَرَحِ. والفُرْحَةُ بالضم : المَسَرَّةُ ويُفتَحُ وما يُعْطيهِ المُفَرِّحُ لك (١).

إن الله ﷻ بقسطه وعدله جعل الفرح والروح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن بالسخط والشك، فالساخط والشاك لا يذوق للفرح طعماً، ولا

(١) القاموس المحيط (١ / ٢٩٨).

يرى له طيفاً؛ لأن الساخط العيش كثير الطيش، بل إن حياته كلها سواد ممتد وليل حالك لا يعقبه نهار إلا بفضل من الله ومَنّ، فهو دائم الكآبة ضيق بالناس، ضيق بنفسه، كأن الدنيا في عينه سم الخياط حتى يكون حرضاً أو يكون من الهالكين.

الفرح فرحان

إن المقاصد المثيرة للفرح برمتها منها ما هو شريف ومنها غير شريف، والإسلام بشرعته ومنهاجه يحرض أتباعه في كل حين على أن يفرحوا بما يحمد ويذكر، من الأمور والأعمال الظاهرة والباطنة؛ ولأجلها نهاهم الله ﷻ عن أن يفرحوا بزخرف الدنيا ومتاع الحياة الزائل، أو يفرحوا بالسطوة في الأرض بغير الحق، أو يفرحوا فرح الاعتزاز أو الادخار الكاذب ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾[1].

قال الطبري[2]: «وفرحوا بالحياة الدنيا يقول تعالى ذكره وفرح هؤلاء الذين بسط لهم في الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ومعصيتهم إياه بما بسط لهم فيها وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم». وقال السعدي رحمه الله [3]: وفرحوا بالحياة الدنيا: «فرحا ، أوجب لهم أن يطمئنوا بها ، ويغفلوا عن الآخرة ، وذلك لنقصان عقولهم».

---

(١) الرعد: الآية ٢٦.

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ١٤٤).

(٣) تفسير السعدي (١ / ٤١٧).

وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾[(١)]. قال الماوردي [(٢)]: «في الفرح والمرح وجهان:

أحدهما: أن الفرح: السرور، والمرح: البطر، فسرّوا بالإمهال وبطروا بالنعم

الثاني: الفرح: السرور، قاله الضحاك، والمرح العدوان.

روى خالد عن ثور عن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يبغض البذخين الفرحين المرحين، ويحب كل قلب حزين ويبغض أهل بيت لحمين، ويبغض كل حبر سمين**»[(٣)].

فأما أهل بيت لحمين فهم الذين يأكلون لحوم الناس بالغيبة، وأما الحبر السمين فالمتحبر بعلمه ولا يخبر به الناس، يعني المستكثر من علمه ولا ينفع به الناس».

وفي المقابل أمرنا الله ﷻ بالفرح بما يخص أمر الدين والآخرة ومرضاته ﷻ، فقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ

---

(١) سورة غافر: الآية ٧٥.

(٢) النكت والعيون تفسير الماوردي (٥/ ١٦٥).

(٣) تهذيب الآثار للطبري (ج ٦ / ص ٥٢)، وتهذيب الآثار مسند ابن عباس (ج ١ / ص ٣٠٤)، وذكره العجلوني في كشف الخفا، وقال: «**رواه البيهقي في الشعب، وحسنه عن كعب من قوله بلفظ يبغض، وزاد أهل البيت اللحميين**». وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (ج ٥ / ص ٣٦٥)، من كلام كعب الأحبار.

مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[١]. وهكذا فلا يفرح عاقل إلا بثابت لا بزائل، ولهذا الفرح الذي نسب إلى الله في فرحه بتوبة عبده، لأن التوبة أمر لازم دائم الوجود، ولا سيما في الآخرة لأن العبد راجع إلى الله في كل ما هو عليه.

فرح الله سبحانه وتعالى:

الفرح صفة جبلية في البشر، وهو قبل ذلك صفة لله سبحانه وتعالى تليق بجلاله سبحانه وتعالى، وهي في منتهى الكمال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢].

ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**للهُ أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم كان على راحلة في أرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فيئس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**»[٣].

إن لفرح الله سبحانه بتوبة عبده شأناً لا ينبغي لأحد أن يغفله، أو يعرض عنه، بل إن من عرف ذلك فهو الموفق، إذ لا يتنبه لمثل هذا، إلا من له معرفة بالله وبأسمائه وبصفاته، وما يليق بالباري جل ذكره، ومثل هذا الحديث قد تقصر عنه أفهام بعض بني هذا الزمان؛ لضعف عقولهم وعلومهم عن احتماله،

---

(١) سورة يونس: الآيتان ٥٧ – ٥٨.

(٢) الشورى: الآية ١١.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٤، رقم ٢٧٤٧).

إبان نقص في العلم وجنوح غير يسير عن تربية المرء على التعلق بالله ﷻ.

غير أننا نقول كما قال ابن القيم رحمه الله: «إن الله عز وجل سيتم هذه البضاعة إلى تجارها ومن هو عارف بقدرها، وإن وقعت في الطريق بيد من ليس عارفاً بها فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»(١).

حاجة المؤمن إلى السكينة حال الفرح:

إن العبد محتاج إلى السكينة في حال الفرح؛ لئلا يتجاوز هذا الفرح ما يحبه الله إلى ما لا يحبه الله، كما قال قوم قارون له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾(٢)، فالله ﷻ لا يحب الفرح الذي ينقلب إلى فسق وفساد واعتداء، وإنما الفرح المطلوب هو الفرح المعتدل الذي يكون بسبب صحيح، فحتى في حال الفرح، يحتاج الإنسان إلى السكينة؛ لئلا يتحول فرحه إلى فرح يبغضه الله ﷻ ولا يحبه ولا يحب أهله، ومن ذلك ما كان عليه الرسول ﷺ من اعتدال ووسطية في الفرح كما كان ﷺ في كل أمره.

وسطية الرسول ﷺ في الفرح والحزن:

كان الرسول ﷺ وسطاً في رسالته، ليس بالضاحك الذي أسرف على نفسه في الضحك، وليس بالذي تقمص شخصية الحزن والكآبة والحسرة والندامة، والناس قليل منهم الوسط، فهو ﷺ كان وسطًا في كل شيء، وسطا

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٢١٠).

(٢) سورة القصص: الآية ٧٦.

في المعتقد، ووسطا في العبادة والتشريع، ووسطا في الآداب والسلوك.

وتجد كثيراً من الناس يضحكون ويقهقهون حتى يتمايلوا ويتساقطوا، وفي المقابل تجد بعضهم لا يضحك أبدًا، ولا حتى في العيدين، فتجد الناس يتعاودون والكباش تذبح وهو لا يضحك. ويقال له: ابتسم، فلا يتبسم.

كان ضحكه ﷺ ابتسامًا:

كان ﷺ يبكي من خشية الله بكاءً ربما أحدث صوتًا أحيانًا، وكان يتبسم كثيرًا، والضحك نادر في حياته، وأكبر ضحكه -كما ورد في الأحاديث- أنه ضحك حتى بدت نواجذه [١] ﷺ [٢].

قال جرير بن عبد الله: ما رآني ﷺ إلا تبسم في وجهي [٣]، والبسمة ليست عبثاً، بل شرى بها قلوب الناس وقلوب القبائل والشعوب عليه الصلاة والسلام، يقول الله ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [٤]، ويقول له: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٥].

---

(١) النواجذ: جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ١٤٦، رقم ٦٥٧١)، ومسلم (١/ ١١٨، رقم ٣٠٨).

(٣) أخرجه البُخَارِي (٤/ ٧٩، رقم ٣٠٣٥)، ومسلم (٧/ ١٥٧، رقم ٦٤٤٦).

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٥) سورة الأنفال: الآية ٦٣.

مقياس الفرح والحزن عند الصحابة ﭫ:

كان صحابة رسول الله ﭫ يفرحون بما يرضي الله ﻷ ويرضي رسوله ﷺ، في غير مخيلة ولا كبر ولا سرف.

هذا حنظلة بن أبي عامر الأسيدي كما ورد في صحيح مسلم: كان كسف البال مغتماً، منكس الرأس، فلقيه أبو بكر الصديق ﭬ، فقال له: ما بالك يا حنظلة ؟ قال: نافق حنظلة ! قال: وما ذاك؟ قال: إنا إذا كنا مع رسول الله ﷺ يحدثنا عن الإيمان والجنة والنار، فكأنا نرى كل ذلك بأعيننا، فإذا انقلبنا إلى أهلنا وعافسنا الأزواج والنساء تغيرنا، وفي رواية: أنكرنا نفوسنا. فقال أبو بكر: لئن كان كما تقول فكلنا ذلك الرجل، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، فقال الرسول ﷺ: «**لو تدومون على حالكم التي تكونون عليها عندي لصافحتكم الملائكة في الطرقات، ولكن ساعة وساعة**»(١).

وهكذا ينبغي أن تكون مشاعرنا؛ فرحاً بالطاعة وحزناً على فواتها، وعلى ما يقع من تفريط في جنب الله سبحانه وتعالى، لا نفرح بما قد يكون من أمر الدنيا، فإن فرحنا لأنه يعين على الطاعة والآخرة فلا بأس؛ فينبغي أن نتنبه في هذه المسألة.

تلك كانت ساعتا الصحابة، وليست كالتي عندنا التي يستشهد بها الناس ويطبقونها تطبيقاً سيئاً ساعة فيها شيء من الطاعة قليل، وساعة فيها من المعاصي ما لا يعلمه إلا الله ﻷ.

---

(١) أخرجه مسلم (٨ / ٩٤، رقم ٧١٤٢).

الفرح المحمود:

الفرح شأنه شأن الوعاء، الحكم عليه مبني على ما يكون فيه من المادة الداعية إليه، فالفرح إنما يكون محمودًا حينما تجده في مقابل نعمة التوفيق بطاعة من الطاعات أو قربة من القربات، أو كفرحة المجاهد الذي قهر شهواته وقاوم رغباته، أو كانتصار ما يحبه الله على ما لا يحبه، وكذا دفع الباطل بالحق فإذا هو زاهق، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(١)].

وإن للمسلمين كل الحق في أن يبتهجوا ويفرحوا؛ إذا نالوا نعمة خالصة أو أمنية خالية من شوائب الحظوظ العاجلة في دينهم ودنياهم مما يضر ولا ينفع، ولكنهم يفرحون إذا فرحوا فرح الأقوياء والأتقياء، وهم في الوقت نفسه لا يبغون ولا يزيغون ولا ينحرفون عن الصواب ولا يتعسفون، ناهيكم عن كونهم يعمرون فرحتهم بذكر ربهم الذي أتم عليهم نعمته ورزقهم من الطيبات، وهيأ لهم في كونه كثيراً من أسباب البهجة والسرور، بل ولربما تعدى الأمر إلى أبعد من ذلك حتى إلى مقابلة الابتلاء والامتحان بالفرح لما يفضي إليه، من محو للسيئات ورفع للدرجات.

الفرح بالابتلاء لأنه من المكفرات:

فعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك[(٢)]،

---

(١) سورة الروم: الآيتان ٤ – ٥.

(٢) الوعك الحمى وقيل ألمها . وقد وعكه المريض وعكا . ووعك فهو موعوك.

فوضعت يدي عليه؛ فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف، فقلت: يا رسول الله! ما أشدها عليك، قال: «**إنا كذلك يضعَّف لنا البلاء ويضعَّف لنا الأجر**»، قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء، قال: «**الأنبياء**»، قلت: يا رسول الله! ثم من؟ قال: «**ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء**»[1].

قال ابن القيم رحمه الله: «ولو رزق العبد من المعرفة حظاً وافراً لعد المنع نعمة، والبلاء رحمة، وتلذذ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية، ولتلذذ بالفقر أكثر من لذته بالغنى، وكان في حال القلة أعظم شكراً من حال الكثرة. وهذه كانت حال السلف، فالعاقل الراضي من يعد البلاء عافية، والمنع نعمة، والفقر غنى، فالراضي هو الذي يعد نعم الله عليه فيما يكرهه أكثر وأعظم من نعمه عليه فيما يحبه، وقال سفيان الثوري رحمه الله: «منعه عطاء وذلك أنه لم يمنع عنه بخلاً ولا عدماً وإنما نظر في خير عبده المؤمن فمنعه اختياراً وحسن نظر»[2].

الفرح بأداء فروض الله سبحانه وتعالى:

مثل فرح الصائم بفطره الذي عناه المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله: «**للصائم فرحتان يفرحهما: إذ أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه**»[3].

---

(١) سنن ابن ماجه (٢ / ١٣٣٤، رقم ٤٠٢٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (ح ١٤٤).

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٢١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٦٧٠، رقم ١٧٩٥)، ومسلم (٢/ ٨٠٧، رقم ١١٥١).

أما فرحة الصائم عند فطره فهي فرحةٌ دنيوية وفرحةٌ عاجلة، وهي سعادة لأن السعادة في الحقيقة هي فرح القلب، فالذين يبحثون عن السعادة لا يجدونها إلا في طاعة الله تعالى وتقواه، وهذا نموذج للسعادة.

فالذي يفطر يفرح عند فطره، وفرحه يكون من وجهين: الأول: فرحه بأن الله تعالى أباح له الأكل والشرب، والنفس مجبولة على حب الأكل والشرب، ولذلك تعبدنا الله تبارك وتعالى بتركهما، كما يترك الإنسان الجماع، مع أنه يرغبه وقد ركب في طبعه وجبلته، فيتركه طاعة لله تعالى، فإذا أذن له في ذلك فرح بأنه سوف يأكل ويشرب.

والأمر الآخر الذي يفرح به، وهذا فرح أعلى وأسمى من الفرح الأول: أنه يفرح لأن الله تعالى وفقه لإتمام صيام ذلك اليوم، فيفرح بإكمال هذه العبادة وإتمامها على الوجه المطلوب، فهو فرح من الوجهين.

الفرح بشريعة الله ﷻ:

ومن الفرح المحمود فرح المؤمن بشريعة ربه، وأمره ونهيه، وعدم التقديم بين يدي الله ﷻ ورسوله ﷺ، بل يفرح أشد الفرح إن كان ممن عناه الله بقوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وممن قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[2].

---

(١) سورة النور: الآية ٥١.

(٢) سورة الرعد: الآية ٣٦.

ففي هاتين الآيتين دعوة محضة للارتقاء بفرح القلب بالإسلام ومجيء المصطفى ﷺ، خلافاً لمن يشاقّون بها أو يناقشون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾(١).

من مظاهر الفرح المحمود:

الفرح المحمود يترجم في الواقع بما تحمله في طيات نفسك لأخيك المسلم، فتفرح لفرحه وتسر لوصول النعمة إليه، أضف إلى ذلك الفرح حينما يسلم عبد أو يتوب عاصٍ، كما فرح الصحابة رضي الله عنهم بإسلام الفاروق رضي الله عنه أو غيره من الصحابة، لا الازدراء الموجه تجاه من يتمسك بدينه ويعتز بكونه من ركاب الصالحين والطائفة الناجية المنصورة.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت: يا رسول الله! إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره؛ فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اهدِ أم أبي هريرة**»، فخرجت مستبشرًا بدعوة النبي ﷺ فلما جئت وصرت إلى الباب فإذا هو مجافى، فسمعت أمي صوت قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة! وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة! أشهد أن لا إله إلا

---

(١) سورة يونس: الآيتان ٥٧ – ٥٨.

الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قلت: يا رسول الله! أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه(١).

مظاهر الفرح المذموم:

والفرح المذموم هو الذي يولد الأشر والبطر، وهو ما كان ناتجاً عن الغفلة والخواء، وليس من شأن المسلم أن يكون مفراحًا إلى درجة الإسراف؛ إذ ما من شيء من أمور الدنيا إلا والإسراف يشينه كما أن الاعتدال يزينه، إلا عمل الخير ولذلك قيل: لا خير في الإسراف ولا إسراف في الخير.

ومن هذا المنطلق فإن الإسراف في الفرح سواء كان في الأعراس أو شبهها، مدعاة للخروج عن المقصود بل ولربما أدى إلى الوقوع فيما لا يرضي الله ﷻ من معاصٍ أو ضجيج وأهازيج، تقلق الذاكر، وتنغص الشاكر.

ومن الطوام العظام في الفرح المذموم فرح المرء بالعمل وإظهاره للناس والتسميع والمراءاة به، ورسول الله ﷺ يقول: «**من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به**»(٢).

ويشتد الأمر خطورة حينما يفرح المرء بما لم يفعل من باب الرياء والتكبر، ففيهم يقول جل وعلا: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا

---

(١) أخرجه مسلم (٧/ ١٦٥، رقم ٦٥٥١).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨٩ ، رقم ٢٩٨٦) .

لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

ومثل ذلك في الخطورة فرح المرء بتقصيره في طاعة الله أو تخلفه عن ركب الصلاح والاستقامة، ونكوصه عن دعوة الداعي وأمر الآمر ونهي الناهي ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[2].

الفرح بمصيبة المؤمنين والتضايق من مسراتهم:

وهو من علامات النفاق أيضا، قال ﷻ: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾[3].

فهؤلاء إذا جاء حادث على الصالحين، فرحوا ونشروا الخبر وأظهروا أنهم متألمون، وفي باطنهم الفرح والمسرة والتروح لهذا الأمر، وإذا أصاب المسلمين كذلك مسرة غضبوا وتذمروا وتضايقوا، والله يتولى السرائر.



(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٨.

(٢) سورة التوبة: الآية ٨١ – ٨٢.

(٣) سورة التوبة: الآية ٥٠.

آداب اللباس والزينة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فقد قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلوا، واشربوا، وتصدقوا، والبسوا في غير إسرافٍ ولا مخيلة**»[2].

وقد جاءت في الشريعة الإسلامية، النصوص التي تحدد آداب اللباس والزينة، كما يلي:

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان ٢٦ – ٢٧.

(٢) أخرجه النسائي (٥/ ٧٩، رقم ٢٥٥٩)، وابن ماجه (٢/ ١١٩٢، رقم ٣٦٠٥). وابن أبي شيبة (٥/ ١٧١، رقم ٢٤٨٧٧)، وأحمد (٢/ ١٨١، رقم ٦٦٩٥)، والحاكم (٤/ ١٥٠، رقم ٧١٨٨)، وقال: صحيح الإسناد. وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (رقم ٢٣٩٩).

وجوب ستر العورة:

امتن الله سبحانه وتعالى على عباده حيث سترهم بلباس حسيٍّ، ثم أرشدهم إلى لباس آخر معنوي أعظم من اللباس الأول، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله: «يمتن الله على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش، فاللباس ستر العورات وهي السوآت، والريش ما يتجمل به ظاهرًا، فالأول من الضروريات والريش من التكميلات والزيادات»[2].

وستر العورة من الآداب العظيمة التي أمر بها الإسلام، بل نُهي الرجال والنساء عن النظر إلى عورات بعضهم لما يترتب عليه من المفاسد، والشريعة جاءت بسد كل باب يفضي إلى الشر.

والعورة هي ما يسوء الإنسان إخراجه، والنظر إليه؛ لأنها من العور وهو العيب، وكل شيء يسوؤك النظر إليه، فإن النظر إليه يعتبر من العيب، قاله الشيخ ابن عثيمين رحمه الله[3].

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان ٢٦ – ٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم. (٢/ ٢١٧) ط. دار الكتب العلمية –بيروت –١٤١٨هـ.

(٣) الشرح الممتع (٢/ ١٤٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يُفضي الرجلُ إلى الرجل في ثوب واحد**[١]**، ولا تُفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد**»[٢].

وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: أقبلت بحجرٍ أحمله ثقيلٍ وعليَّ إزارٌ خفيفٌ، قال: فانحل إزاري ومعي الحجر لم أستطع أن أضعه حتى بلغتُ به موضعه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ارجع إلى ثوبك فخذهُ ولا تمشوا عراة**»[٣].

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله: عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك**»، قال: قلت : يا رسول الله إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «**إن استطعت أن لا يرينها أحدٌ فلا يرينها**»، قال: قلت يا رسول الله: إذا كان أحدنا خاليا ؟ قال: «**الله أحق أن يستحيا منه من الناس**»[٤].

وعورة الرجل: التي أُمر بسترها –ما عدا عن زوجه وأمته– من السرة إلى الركبة.

---

(١) أي لا يضطجعان متجردين تحت ثوب واحد .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٢٦٦ ، رقم ٣٣٨).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٦٨ ، رقم ٣٤١).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣، رقم ٢٠٠٤٦)، وأبو داود (٤/ ٤٠، رقم ٤٠١٧)، والترمذي (٥/ ٩٧، رقم ٢٧٦٩) وقال: حديث حسن. وابن ماجه (١/ ٦١٨، رقم ١٩٢٠)، والحاكم (٤/ ١٩٩، رقم ٧٣٥٨)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي . والبيهقي (١/ ١٩٩، رقم ٩١٠)، والطبراني (١٩/ ٤١٣، رقم ٩٩٢).

والمرأة كلها عورة - إلا عن زوجها-، وأما محارمها فلهم النظر إلى ما يظهر غالبًا كالوجه، واليدين، والشعر، والرقبة ونحو ذلك . وعورتها مع بنات جنسها من السرة إلى الركبة.

مسألة: هل فخذ الرجل عورة ؟

الجواب: قالت اللجنة الدائمة: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن فخذ الرجل عورة، واستدلوا بأحاديث لا يخلو كل منها عن مقال في سنده من عدم اتصاله، أو ضعف في بعض الرواة، لكنها يشد بعضها بعضًا فينهض بمجموعها للاحتجاج به على المطلوب، ومن تلك الأحاديث... ما رواه مالك في الموطأ وأحمد وأبو داود والترمذي من حديث جرهد الأسلمي ﵁ قال: مر رسول الله ﷺ وعليَّ بردة وقد انكشفت فخذي فقال: «**غط فخذك فإن الفخذ عورة**» حسنه الترمذي [(١)].

وذهب جماعة إلى أن فخذ الرجل ليست عورة، واستدلوا بما رواه أنس ﵁ أن النبي ﷺ حسر الإزار عن فخذه حتى أني لأنظر إلى بياض فخذه. رواه أحمد والبخاري، وقال حديث أنس أسند، وحديث جرهد أحوط، وقول الجمهور أحوط ولأن الأحاديث الأولى نص في الموضوع، وحديث أنس ﵁ محتمل [(٢)].

مسألة ٢: تتعمد بعض النساء لبس بعض الملابس التي تُظهر مفاتنها وزينتها الباطنة، كأن تُظهر ظهرها أو فخذها أو جزءًا منه، أو تلبسُ ما يشفُّ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء رقم (٢٢٥٢) (٦/ ١٦٥-١٦٧).

جسدها، أو ضيقًا يبرز مفاتنها . ويحتج بعضهن بأن العورة المأمور بسترها بين النساء تكون من السرة إلى الركبة، وإنهن إنما يلبسن ذلك في مجامع النساء فقط. فما الجواب عن ذلك ؟

الجواب: لا شك أن عورة المرأة مع المرأة تكون من السرة إلى الركبة، ولكن هذا مشروطٌ بالأمن من الفتنة، وواقع كثير من النساء اليوم أنهن تجاوزن الحد في ستر عوراتهن [(١)]، بل أدى الحال إلى افتتان بعض النساء ببعض، ولهن في ذلك قصص معلومة علمها من علمها وجهلها من جهلها . وليس مجمع النساء عذرًا في لبس ما يحلو للمرأة لبسه، بل متى كان داعيًا للفتنة ومحركًا للغرائز فإنه يحرم ولو كان ذلك بين أوساط النساء.

وللشيخ ابن عثيمين كلامٌ في لبس الضيق من اللباس، يحسن بنا أن نذكره، فقال [(٢)]: لبس الملابس الضيقة التي تبين مفاتن المرأة وتبرز ما فيه الفتنة محرم، لأن النبي ﷺ قال: «**صنفان من أهل النار لم أرهما بعد، رجالٌ معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس-يعني ظلمًا وعدوانًا- . ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات**» [(٣)]، فقد فسر قوله: «**كاسيات عاريات**»، بأنهن يلبسن ألبسة قصيرة لا تستر ما يجب ستره من العورة، وفُسر بأنهن

---

(١) وأخبارهن لا تسر المؤمن، ونتزه أسماعكم وأبصاركم عن إيرادها، ومن أراد معرفة ذلك فليسأل النساء فعندهن الكثير من أخبارهن، والله المستعان .

(٢) ويقاس عليه الملابس الشفافة، والعارية من باب أولى .

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٨٠ ، رقم ٢١٢٨) .

يلبسن ألبسة تكون خفيفة لا تمنع من رؤية ما وراءها من بشرة المرأة، وفُسرت بأن يلبسن ملابس ضيقة فهي ساترة عن الرؤية لكنها مبدية لمفاتن المرأة، وعلى هذا فلا يجوز للمرأة أن تلبس هذه الملابس الضيقة إلا لمن يجوز لها إبداء عورتها عنده وهو زوجها فإنه ليس بين الزوج وزوجته عورة لقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ (١).

وقالت عائشة: «**كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد تختلف أيدينا فيه**» (٢)، فالإنسان بينه وبين زوجته لا عورة بينهما، وأما بين المرأة والمحارم فإنه يجب عليها أن تستر عورتها، والضيق لا يجوز عند المحارم ولا عند النساء إذا كان ضيقًا شديدًا يبين مفاتن المرأة (٣).

فائدة: من الأدب مع الله ﷻ أن يستتر الذي يريد غسلًا بشيء يستره ويواريه، وخصوصًا من كان في الأمكنة المكشوفة التي لا يحجبها شيء. فقد روى يعلى ﵁ أن رسول الله ﷺ: رأى رجلًا يغتسل بالبراز (٤) بلا إزار، فصعد

---

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ٥ – ٦.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٠٥، رقم ٢٦٩)، ومسلم (١/ ٢٦٠، رقم ٣٣١)، واللفظ لمسلم.

(٣) فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين (٢/ ٨٢٥-٨٢٦). ط. دار عالم الكتب - الرياض- الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

(٤) البَرازُ، بالفتح: المكان الفضاء من الأرض البعيد الواسع، وإذا خرج الإنسان إلى ذلك الموضع قيل: قد برز يبرز بروزًا، أي خرج إلى البراز. والبراز، بالفتح أيضًا: الموضع الذي ليس به خَمَرٌ من شجر ولا غيره...(لسان العرب ٥/ ٣٠٩) مادة:(برز).

المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ﷺ: «**إن الله ﷻ حييٌّ ستيرٌ يحبُّ الحياءَ والسترَ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**» (١)، وفي حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال:... قلت يا رسول الله : إذا كان أحدنا خاليًا ؟ قال: «**اللهُ أحقُ أن يستحيا منه من الناس**» (٢).

تحريم تشبه الرجال بالنساء، وتشبه النساء بالرجال:

وهذا التشبه فيه وعيدٌ شديد، ولعن من الرسول ﷺ أكيد. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال» (٣)، وفي لفظ آخر: «لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء ، وقال: «**أخرجوهم من بيوتكم** ». قال: فأخرج النبي ﷺ فلانًا، وأخرج عمر فلانًا» (٤)، والتشبه قد يكون في اللباس، وقد يكون في الكلام، وقد يكون في المشي ونحو ذلك.

فمتى تعاطى الرجل ما هو من خصائص النساء في مشيهن أو كلامهن أو لبسهن فقد دخل في اللعن ، أو متى تعاطت المرأة ما هو من خصائص الرجال في مشيهم أو كلامهم أو لباسهم فقد دخلت في اللعن .

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٤ ، رقم ١٧٩٩٩) ، وأبو داود (٤/ ٣٩ ، رقم ٤٠١٢) ، والنسائي (١/ ٢٠٠ ، رقم ٤٠٦) . والبيهقي (١/ ١٩٨ ، رقم ٩٠٨) .

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٠٧، رقم ٥٥٤٦).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٠٧، رقم ٥٥٤٧).

مسألة : هل يدخل في الذم واللعن إذا كان ذلك التشبه من أصل الخلقة؟

الجواب: قال ابن حجر: «وأما من كان ذلك من أصل خلقته فإنما يؤمر بتكلف تركه والإدمان على ذلك بالتدريج، فإن لم يفعل وتمادى دخله الذم، ولا سيما إن بدا منه ما يدل على الرضا به، وأخذ هذا واضح من لفظ المتشبهين»(١).

استحباب إظهار النعمة في الملبس ونحوه:

يستحب لمن آتاه الله مالًا أن يظهر أثر نعمة الله عليه بلبس الجميل من الثياب من غير إسراف ولا مخيلة. ولا يشدد على نفسه، أو يبخل بماله، بل يلبس الجديد والجميل والنظيف من الثياب إظهارًا لنعمة الله عليه.

فعن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ في ثوبٍ دونٍ ، فقال: «**ألك مالٌ**» ؟ قال: نعم. قال: «**من أيِّ المال**»؟ قال: قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال: «**فإذا آتاك اللهُ مالًا فليُرَ أثرُ نعمته عليك وكرامته**»(٢).

تحريم جر الثوب خيلاء:

توعد الله من جر ثوبه تكبرًا وترفعًا أن لا ينظر إليه في يومٍ هو أحوج ما

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٣٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٧ ، رقم ١٧٢٦٨) ، وأبو داود (٤/ ٥١ ، رقم ٤٠٦٣) ، والترمذي (٤/ ٣٦٤ ، رقم ٢٠٠٦) ، وقال : حسن صحيح . والنسائي (٨/ ١٨١ ، رقم ٥٢٢٤) ، والحاكم (١/ ٧٦ ، رقم ٦٥) وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي. والطبراني (١٩/ ٢٧٨ ، رقم ٦١٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٥٩ ، رقم ٨٠٧٥) .

يكون فيه إلى رب العالمين. فروى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينظر اللهُ يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطرًا**» (١)، وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجلٌ يمشي في حُلة تُعجبه نفسه مرجلٌ جُمَّتهُ** (٢) **إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**» (٣).

وعند أحمد: «**بينما رجلٌ يتبختر في حُلة معجبٌ بجمته قد أسبل إزاره إذ خسف الله به فهو يتجلجل أو يهوي فيها إلى يوم القيامة**» (٤).

والأحاديث كما ترى مصرحةٌ بتحريم جر الثوب تكبرًا وترفعًا على الناس، وذلك لأن التكبر من صفات الله ﷻ وهي صفة كمال له ﷻ، ولا ينبغي لمخلوق أن يكون هذا شأنه.

فائدة : الثوب الحسن نفيسا أو غير نفيس، لا يُعد من الكبر الذي تُوعد صاحبه، والذم يقع على من قام في قلبه الكبر، وتبخترَ وبطرَ معجبًا بنفسه وهيئته فهذا المذموم.

قال ابن حجر(٥): «والذي يجتمع من الأدلة أن من قصد بالملبوس

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٨٢ ، رقم ٥٤٥١) ، ومسلم (٣/ ١٦٥٣ ، رقم ٢٠٨٧).

(٢) الجمة: بالضم: مجتمع الرأس وهي أكثر من الوفرة. وفي الحديث : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جُمةٌ جعدةٌ؛ الجمة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين . (لسان العرب ١٢/ ١٠٧) مادة (جمم).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٨٢، رقم ٥٤٥٢).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٧، رقم ٧٦١٨)، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) فتح الباري (١٠/ ٢٧١).

الحسن إظهار نعمة الله عليه مستحضرًا لها شاكرًا عليها غير محتقر لمن ليس له مثله، لا يضره ما لبس من المباحات ولو كان في غاية النفاسة، فعن ابن مسعود ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، فقال: «**إن الله جميلٌ يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس** [(١)]».

تنبيه: قال ابن حجر رحمه الله: «ويستنبط من سياق الأحاديث أن التقييد بالجر خرج للغالب، وأن البطر والتبختر مذموم ولو لمن شمر ثوبه» [(٢)].

تحريم لباس الشهرة:

يتسابق كثيرٌ من الناس وخصوصًا النساء إلى ارتداء الملابس النفيسة بُغية أن يرفع الناس أبصارهم إليها، واشتهارها بينهم، مع الترفع والاختيال والتكبر عليهم. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لبس ثوب شهرةٍ في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة**» [(٣)]، وروي بلفظ: «**ثوبًا مثله ثم تلهب فيه النار**» [(٤)].

قال ابن الأثير: الشهرة ظهور الشيء والمراد أن ثوبه يشتهر بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم فيرفع الناس إليه أبصارهم ويختال عليهم بالعجب

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٩٣ ، رقم ٩١).

(٢) فتح الباري(١٠/ ٢٧١).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٩٢ رقم ٥٦٦٤)، وأبو يعلى (١٠/ ٦٢ ، رقم ٥٦٩٨) ، والنسائي في الكبرى (٥/ ٤٦٠ ، رقم ٩٥٦٠) ، وابن ماجه (٢/ ١١٩٢ ، رقم ٣٦٠٦) .

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٤٣ ، رقم ٤٠٢٩) ، وابن ماجه (٢/ ١١٩٢ ، رقم ٣٦٠٦) .

والتكبر، وقال ابن رسلان: لأنه لبس الشهرة في الدنيا ليعز به ويفتخر على غيره ويلبسه الله يوم القيامة ثوبًا يشتهر مذلته واحتقاره بينهم عقوبة له، والعقوبة من جنس العمل، وقوله: «**ثوب مذلة**»، أي: ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة، والمراد به ثوب يوجب ذلته يوم القيامة كما لبس في الدنيا ثوبًا يتعزز به على الناس ويترفع عليهم، قاله في عون المعبود [(١)].

تنبيه: ثوب الشهرة ليس مختصًّا بنفيس الثياب، بل كل ثوب ولو كان حقيرًا ولكنه يؤدي إلى الشهرة، وكان غرض اللابس اشتهار ذلك بين الناس فهو ثوب شهرة، كمن يلبس رديء الثياب وحقيرها ليعتقد الناس فيه الزهد والورع وما أشبه ذلك .

قال ابن تيمية: «وتكره الشهرة من الثياب، وهو المترفع الخارج عن العادة، والمنخفض الخارج عن العادة؛ فإن السلف كانوا يكرهون الشهرتين، المترفع والمتخفض، وفي الحديث: «**من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة**»، وخيار الأمور أوساطها» [(٢)].

تحريم لبس الذهب والحرير على الرجال إلا من عذر:

حُرم على الرجال لبس الذهب والحرير، وأبيح للنساء، فالذهب من الحلية التي تحتاج المرأة أن تتزين به وكذا الحرير، وأما الرجل فهو طالب غير مطلوب، مع ما في الذهب والحرير من تنعم زائد يكسر من جلد

(١) شرح سنن أبي داود. المجلد السادس (١١/ ٥٠-٥١) بتصرف يسير.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٣٨).

الرجل وصلابته، فكيف إذا كان الأمر منهيًّا عنه بالشرع، فوجب التسليم والإذعان.

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن نبي الله ﷺ أخذ حريرًا فجعله في يمينه، وأخذ ذهبًا فجعله في شماله ثم قال: «**إنَّ هذين حرام على ذكور أمتي**»(١)، وعن أنس رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**» (٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أنه نهى عن خاتم الذهب**» (٣).

ومع أن الآثار السابقة وغيرها قضت بتحريم الذهب والحرير على الرجال، إلا أنه قد اُستثني من هذا التحريم أحوال: فيباح للرجل لبس الحرير إذا كانت به حكة وكان يتأذى بها، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ: رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في قميصٍ من حرير من حكةٍ كانت بهما (٤).

ويباح له لبسه في الحرب، أو دفع ضرورة كمن لا يجد ثوبًا إلا ثوب حرير يستر به عورته، أو يدفع به عنه البرد . ويباح لبس الحرير إن كان جزءًا

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٩٦ ، رقم ٧٥٠) ، وأبو داود (٤/ ٥٠ ، رقم ٤٠٥٧) ، والنسائي (٨/ ١٦٠ ، رقم ٥١٤٤) ، وابن ماجه (٢/ ١١٨٩ ، رقم ٣٥٩٥) ، والبيهقي (٢/ ٤٢٥، رقم ٤٠١٩) . وابن أبي شيبة (٥/ ١٥٢ ، رقم ٢٤٦٥٩) ، والبزار (٣/ ١٠٢ ، رقم ٨٨٦) ، وأبو يعلى (١/ ٢٣٥ ، رقم ٢٧٢) ، وابن حبان (١٢/ ٢٤٩ ، رقم ٥٤٣٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٩٤ ، رقم ٥٤٩٤) ، ومسلم (٣/ ١٦٤٥ ، رقم ٢٠٧٣).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٥٤، رقم ٢٠٨٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٦٩، رقم ٢٧٦٢).

من الثوب بمقدار أربعة أصابع فما دون لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: نهى نبي الله ﷺ عن لبس الحرير إلا موضع إصبعين أو ثلاثٍ أو أربعٍ[١].

تقصير لباس الرجل، وتطويل لباس المرأة:

فرَّقت الشريعة الإسلامية بين لباس الرجل والمرأة في الطول والقصر، فحدت للرجل ما بين نصف ساقه إلى ما فوق الكعبين، وألزمت المرأة بستر قدميها فلا يظهر منه شيء. وذلك لأن بدن المرأة أو جزءًا منه فتنة للرجال فأُمرت بستره كله، وأما الرجال فأمروا برفع أثوابهم، كي لا يدخل الكبر والعجب والخيلاء إلى قلوبهم، مع ما في إرخاء الثوب من تنعم ورفاهية لا تتناسب مع طبع الرجال.

والعجيب أن كثيرًا من الناس خالفوا ذلك وقلبوا الأمر، فأطال الرجال ثيابهم، وقصرت النساء من ثيابهن.

والآثار في هذا الباب كثيرةٌ جدًّا ومعلومة لخاصة الناس وعامتهم، ولكن منعت الشهوات والهوى المخالفين من اتباع الحق ولزومه، ونذكر ما يحضرنا هنا تذكيرًا للمؤمنين، وزجرًا للعاصين المخالفين -نسأل الله لنا ولهم الهداية والاستقامة على دينه- .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار**»[٢]، ولفظ أحمد : «**إزرة المؤمن من أنصاف الساقين فأسفل من ذلك إلى**

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٤٣ ، رقم ٢٠٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٨٢ ، رقم ٥٤٥٠).

ما فوق الكعبين فما كان أسفل من ذلك ففي النار» [(١)].

وعن أبي ذر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**»، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار. قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل، والمنان، والمنفِّق سلعته بالحلف الكاذب**» [(٢)].

وعن أم المؤمنين أم سلمة ﷺ زوج النبي ﷺ قالت لرسول الله ﷺ حين ذكر الإزار: فالمرأة يا رسول الله؟ قال: «**ترخي شبرًا**». قالت أم سلمة: إذًا ينكشف عنها. قال: «**إذًا ذراعًا لا تزيد عليه**» [(٣)].

فائدة: جر الثوب على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون للخيلاء. وهذا لا ينظر الله إليه يوم القيامة.

الثاني: أن يكون عن قصد وعلى وجه دائم، وليس خيلاء إنما تبعٌ لعادة الناس. وقد قال النبي ﷺ: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**» [(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٧، رقم ٧٨٤٤). والنسائي في الكبرى (٥/ ٤٨٩، رقم ٩٧٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٠٢، رقم ١٠٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٥٥، رقم ٥١٧٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: في الحديث إسنادان أحدهما عن ابن عمر والثاني عن أم سلمة وكلاهما صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه أبو داود (٤/ ٦٥، رقم ٤١١٧)، وصححه الألباني، والنسائي في الكبرى (٥/ ٤٩٤، رقم ٩٧٣٧)، وابن حبان (١٢/ ٢٦٥، رقم ٥٤٥١).

(٤) سبق تخريجه.

الثالث: أن يكون لعارض طارئ، ولم يكن فيه خيلاء. وهذا الأخير لا بأس به لوقوعه من النبي ﷺ عندما خسفت الشمس: «فقام يجر ثوبه مستعجلًا حتى أتى المسجد» (١)، قال ابن حجر: فيه أن الجر إذا كان بسبب الإسراع لا يدخل في النهي...اهـ (٢).

تحريم إظهار المرأة زينتها إلا لمن استثناهم الله:

زينة المرأة إما ظاهرة أو باطنة، قال الله ﷻ: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ** ...الآية﴾(٣)، وما ظهر: أي الثياب الظاهرة التي جرت العادة بلبسها إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، قاله ابن سعدي (٤) وهي الزينة الظاهرة. ثم قال الله ﷻ: ﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ** ﴾ أي الباطنة إلا للأزواج والآباء والأبناء ...الخ.

والزينة الباطنة مثل الوجه والعنق والحلي والكفين. وبهذا يُعلم أن الوجه من الزينة الباطنة التي يحرم على المرأة المسلمة أن تظهرها إلا لمن استثناهم الله في الآية.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٨١، رقم ٥٤٤٨).

(٢) فتح الباري(١٠/ ٢٦٧).

(٣) سورة النور: الآية ٣١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (٥/ ٤١٠).

تحريم ارتداء الملابس التي عليها صلبان أو تصاوير:

والمقصود بالصلبان ما فيها صورة الصليب، والمقصود بالصور التي فيها الروح. ولقد أنكر النبي ﷺ على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عندما اتخذت له وسادة فيها صورة من ذوات الأرواح. فعن القاسم عن عائشة رضي الله عنها «أنها اشترت نُمرُقة فيها تصاوير، فقام النبي ﷺ بالباب فلم يدخل، فقلتُ أتوب إلى الله مما أذنبت. قال: «**ما هذه النمرقة ؟**» قالت: لتجلس عليها وتوسدها. قال: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم أحيوا ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه الصورة**» [(١)].

قال النووي رحمه الله: قال العلماء: «سبب امتناعهم - أي الملائكة - من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى» [(٢)].

وعن عمران بن حطان أن عائشة رضي الله عنها حدثته : «أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه» [(٣)]، وفي لفظ: «لم يكن رسول الله ﷺ يدعُ في بيته ثوبًا فيه تصليب إلا نقضه» [(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٧٤٢ ، رقم ١٩٩٩) ، ومسلم (٣/ ١٦٦٩ ، رقم ٢١٠٧) .

(٢) شرح مسلم . المجلد السابع(١٤/ ٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٢٠، رقم ٥٦٠٨).

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٢٥٢، رقم ٢٦١٨٥) ، وأبو داود (٤/ ٧٢ ، رقم ٤١٥١) ، و النسائي في السنن الكبرى (٥/ ٥٠٤، رقم ٩٧٩١)، وأبو يعلى (٨/ ١٠٤، رقم ٤٦٤١)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٢٦٩، رقم ١٤٣٤٨).

فمما سبق يتضح لنا جليًّا تحريم لبس ما فيه تصاوير من ذوات الأرواح أو الصلبان، ومن ابْتُلي بشيءٍ من ذلك فليتق الله وليطمسها ويغير من حالها، ثم إن شاء فليتخذها وينتفع بها، كما فعلت عائشة ﵂ قالت: «قدم رسول الله ﷺ من سفر، وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيها تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه، وقال: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**». قالت فجعلناه وسادة أو وسادتين [(١)].

التيامن في اللباس ونحوه:

والأصل في ذلك حديث عائشة أم المؤمنين ﵂ أنها قالت: «كان النبي ﷺ يحب التيمُّن في طُهوره وترجله وتنعله» [(٢)]، ولفظ مسلم: «كان رسول الله ﷺ يحب التيمن في شأنه كله في نعليه وترجله وطُهوره» [(٣)].

قال النووي ﵀: «هذه قاعدة مستمرة في الشرع، وهي أن ما كان من باب التكريم والتشريف، كلبس الثوب، والسراويل، والخف، ودخول المسجد، والسواك، والاكتحال، وتقليم الأظافر، وقص الشارب، وترجيل الشعر وهو مشطه، ونتف الإبط، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، وغسل أعضاء الطهارة، والخروج من الخلاء، والأكل والشرب، والمصافحة واستلام الحجر الأسود، وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٢١، رقم ٥٦١٠)، ومسلم (٣/ ١٦٦٨، رقم ٢١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٠٠، رقم ٥٥١٦).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٦، رقم ٢٦٨).

وأما ما كان بضده كدخول الخلاء، والخروج من المسجد، والامتخاط، والاستنجاء، وخلع الثوب، والسراويل، والخف وما أشبه ذلك فيستحب التياسر فيه، وذلك كله بكرامة اليمين وشرفها والله أعلم»(١).

السنة في التنعل:

أن تُدخل الرجل اليمنى أولًا ثم تليها اليسرى، وعند خلعهما تخلع اليسرى أولًا ثم اليمنى، جاء ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا نزع فليبدأ بالشمال، ليكن اليمنى أولهما تُنعل وآخرهما تُنزع**» (٢).

وكُره للمسلم أن يمشي في نعل واحدة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا انقطع شسع أحدكم، فلا يمشي في الأخرى حتى يصلحها**» (٣).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يمشي أحدكم في نعلٍ واحدة ليُحفهما جميعًا أو ليُنعلهما جميعًا**» (٤)، ولفظ مسلم: «**ليُنعلهما جميعًا أو ليَخلعهما جميعًا**»(٥).

---

(١) شرح صحيح مسلم . المجلد الثاني (٣/ ١٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٠٠ ، رقم ٥٥١٧) ، ومسلم (٣/ ١٦٦٠ ، رقم ٢٠٩٧).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٦٠ ، رقم ٢٠٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٠٠، رقم ٥٥١٨).

(٥) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٦٠ ، رقم ٢٠٩٧).

استحباب لبس البياض:

وفيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم... الحديث**» [(١)].

ومن طريق سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**البسوا من ثيابكم البياض فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم**» [(٢)].

وفي المقابل نهى النبي صلى الله عليه وسلم الرجل عن لبس الثوب المعصفر والثوب المشبع بحمرة [(٣)].

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليَّ ثوبين معصفرين فقال: «**إن هذه ثياب الكفار فلا تلبسها**»[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٤٧ ، رقم ٢٢١٩) ، وأبو داود (٤/ ٨ ، رقم ٣٨٧٨) ، والترمذي (٣/ ٣١٩ ، رقم ٩٩٤) وقال : حسن صحيح . وابن حبان (١٢/ ٢٤٢ ، رقم ٥٤٢٣) والبيهقي (٣/ ٢٤٥ ، رقم ٥٧٦٣) وعبد الرزاق (٣/ ٤٢٩ رقم ٦٢٠٠) ، والطبراني (١٢/ ٦٤ ، رقم ١٢٤٨٥) ، والضياء (١٠/ ٢٠١ ، رقم ٢٠٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٢ ، رقم ٢٠١٥٢) ، والنسائي (٨/ ٢٠٥ ، رقم ٥٣٢٣) ، وابن سعد (١/ ٤٤٩) ، والروياني (٢/ ٤٤ ، رقم ٧٩٥) ، والطبراني (٧/ ٢٣٤ ، رقم ٦٩٧٦) ، والحاكم (٤/ ٢٠٥ ، رقم ٧٣٧٥) وقال : صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي (٣/ ٤٠٣ ، رقم ٦٤٨٣) . وأخرجه أيضًا : عبد الرزاق (٣/ ٤٢٨ ، رقم ٦١٩٨) ، والديلمى (٣/ ٢٢ ، رقم ٤٠٤٢).

(٣) المعصفر: ما صبغ بصبغ أصفر اللون . وقال ابن حجر: غالب ما يصبغ بالعصفر يكون أحمر . (انظر فتح الباري ١٠/ ٣١٨).

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٤٧ ، رقم ٢٠٧٧).

التختم الجائز للرجال:

يجوز للرجال أن يتختموا بالفضة لا الذهب فإنه محرم عليهم . وموضع الخاتم المستحب أن يكون في الخنصر لحديث أنس ﷺ قال: صنع النبي ﷺ خاتمًا وقال: «**إنا اتخذنا خاتمًا ونقشنا فيه نقشًا، فلا ينقش عليه أحد**» قال: فإني لأرى بريقه في خنصره» [(١)].

وعلى هذا فيستحب لمن أراد التختم أن يضعه في خنصره، ويكره له وضعها في الوسطى والتي تليها وهي كراهة تنزيه [(٢)]، وأما في أي اليدين يتختم فهذا أمرٌ اختلف العلماء فيه، لورود الآثار بهذا وهذا.

قال النووي رحمه الله: «وأما الحكم في المسألة عند الفقهاء فأجمعوا على جواز التختم في اليمين وعلى جوازه في اليسار ولا كراهة في واحدة منهما، واختلفوا أيتهما أفضل، فتختم كثيرون من السلف في اليمين، وكثيرون في اليسار» [(٣)]، والأمر في هذا واسع ولله الحمد .

استحباب استعمال الطيب:

وهو من الزينة التي تذكي النفس، وتبعث على الانبساط. ورسولنا ﷺ كان أطيب الناس ريحًا يقول أنس ﷺ: «ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف النبي ﷺ، ولا شممت ريحًا قطّ أو عرفًا قطّ أطيب من ريح أو عرف النبي

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٠٥ ، رقم ٥٥٣٩).

(٢) انظر شرح مسلم للنووي . المجلد السابع(١٤/ ٥٩)

(٣) شرح مسلم للنووي . المجلد السابع(١٤/ ٥٩).

ﷺ»[١]، وعند مسلم: «ولا شممت رائحةً قط أطيب من رائحته مسكةً ولا غيرها»[٢].

السنة في ترجيل الشعر وحلقه:

يستحب للرجل أن يزين شعره وينظفه ويعتني به، والأصل في ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتانا رسول الله ﷺ زائرًا في منزلنا فرأى رجلًا شعثًا فقال: «**أما كان يجد هذا ما يُسكن به رأسه**»، ورأى رجلًا عليه ثياب وسخة، فقال: «**أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه**»[٣].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان له شعرٌ فليكرمه**»[٤].

السنة للرجال توفير اللحى، وقص الشارب:

السنة الواجبة في حق الرجال هي توفير اللحى وإرخاؤها، وتقصير

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٥، رقم ١٣٨٢٣)، والترمذي (٤/ ٣٦٨، رقم ٢٠١٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٨١٥، رقم ٢٣٣٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٧، رقم ١٤٨٩٣)، وأبو داود (٤/ ٥١، رقم ٤٠٦٢) وأبو يعلى (٤/ ٢٣، رقم ٢٠٢٦)، وابن حبان (١٢/ ٢٩٤، رقم ٥٤٨٣)، والحاكم (٤/ ٢٠٦، رقم ٧٣٨٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٥٦). قال المناوي (٢/ ١٦٦): قال العراقي: إسناده جيد.

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٧٦، رقم ٤١٦٣)، قال الحافظ في الفتح (١٠/ ٣٦٨) سنده حسن. والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٢٤، رقم ٦٤٥٥). والطبراني في الأوسط (٨/ ٢٣٠، رقم ٨٤٨٥).

الشارب والأخذ منه . وليس هذا الأمر لنا فيه سعة حتى نأخذ ما نريد ونذر ما نريد، بل هو حتمٌ يجب علينا الامتثال والانقياد له. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (١).

والأحاديث في الأمر بإعفاء اللحية وقص الشارب كثيرة جدًّا وبألفاظ متعددة فمنها: «**انهكوا الشوارب، وأعفوا اللحى**» (٢)، ومنها قوله ﷺ: «**خالفوا المشركين. أحفوا الشوارب، وأوفوا اللحى**» (٣)، ومنها قوله ﷺ: «**جزوا الشوارب وأرخوا اللحى. خالفوا المجوس**» (٤).

والأمر بتوفير اللحى وجز الشوارب اجتمع فيه أمران :

الأول: أمر الرسول ﷺ الواجب الذي لا صارف له، والذي لا يجوز لمسلم بحال مخالفته .

الثاني: الأمر بمخالفة المشركين، وقد عُلم من نصوص الشرع أن التشبه بهم محرم . ولذا كان لزامًا على المسلم أن ينصاع لأمر الله ورسوله ﷺ ولا يخالف أمرهما حتى لا يقع في الفتنة أو يناله العذاب الأليم .

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٢ ، رقم ٢٥٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٠٩ ، رقم ٥٥٥٣) ، ومسلم (١/ ٢٢٢ رقم ٢٥٩) .

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٢ ، رقم ٢٦٠) .

ولبعض أهل العلم كلامٌ في الأخذ من اللحية طولًا وعرضًا، تمسكًا بآثار عن السلف الكرام، ولكن الألفاظ التي وردت عن النبي ﷺ صريحةٌ تُغني عنها، والحجة في كلام رسول الله ﷺ، لا في كلام أو فعل أصحابه وأتباعه .

والمختار ترك اللحية على حالها، وأن لا يتعرض لها بتقصير أصلًا، والمختار في الشارب ترك الاستئصال والاقتصار على ما يبدو به طرف الشفة والله أعلم، قاله النووي [١] .

السنة تغيير الشيب بغير السواد:

يُسنُّ لمن شاب شعر رأسه ووجهه أن يغيره بالصبغ لقوله ﷺ: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**» [٢]، ولكن يُجتنب السواد لنهيه ﷺ عن الصبغ به . ففي عام الفتح لما أُتي بأبي قحافة – والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه – ورأسه ولحيته بيضاء قال ﷺ: «**غيِّروا هذا بشيء وجنبوه السواد**» [٣] .

ما جاء في الاكتحال:

هو للنساء زينة، وللرجال والنساء علاج ومنفعة. والعرب كانوا يتخذونه علاجًا من الرمد .

فحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا بها موتاكم، وإن خير أكحالكم**

---

(١) شرح صحيح مسلم . المجلد الثاني (٣/ ١٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧٥ ، رقم ٣٢٧٥) ، ومسلم (٣/ ١٦٦٣ ، رقم ٢١٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٦٣ ، رقم ٢١٠٢) .

الإثمد[١]، **يجلو البصر ويُنبت الشعر)**[٢]، والسنة فيه أن يكون وترًا، أي يكتحل في العين اليمنى ثلاثًا وفي اليسرى ثلاثًا، أو في اليمنى اثنتين وفي اليسرى واحدة فيكون الجميع وترًا أو العكس أو أكثر من ذلك ما دام وترًا . ورجح ابن حجر الأول [٣].

ما يحرم من الزينة على النساء:

أباح الله ﷻ للنساء أن يتخذوا أنواعًا عديدة من الزينة كالكحل، والطيب، والحناء ونحو ذلك مما تتجمل به المرأة. وحرم عليها أمورًا تتخذها المرأة زينة وهي في حقيقتها لا تعدو كونها تغييرًا لخلق الله الذي خلقها عليه، ومن هذه المنكرات:

١- كالوشم [٤].

---

(١) الإثمد: حجر معروف أسود يضرب إلى الحمرة، يكون في بلاد الحجاز، وأجوده يؤتى به من أصبهان. قاله ابن حجر في الفتح(١٠/ ١٦٧).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٤٧ ، رقم ٢٢١٩) ، وأبو داود (٤/ ٨ ، رقم ٣٨٧٨) ، والترمذي (٣/ ٣١٩ ، رقم ٩٩٤) قال : حسن صحيح . وابن حبان (١٢/ ٢٤٢ ، رقم ٥٤٢٣) والبيهقي (٣/ ٢٤٥ ، رقم ٥٧٦٣) وعبد الرزاق (٣/ ٤٢٩ رقم ٦٢٠٠) ، والطبراني (١٢/ ٦٤ ، رقم ١٢٤٨٥) ، والضياء (١٠/ ٢٠١ ، رقم ٢٠٦) .

(٣) انظر فتح الباري(١٠١٦٧).

(٤) قال أبو عبيد : الوشم في اليد، وذلك أن المرأة كانت تغرز ظهر كفها ومعصمها بإبرة أو بمسلة حتى تؤثر فيه، ثم تحشوه بالكحل أو النيل أو النيِّل أو بالنؤور (دخان الشحم) فيزرق أثره أو يخضر . (لسان العرب : ١٢/ ٦٣٨) مادة: وشم . والمستوشمة هي التي تطلب من غيرها الوشم .

٢- النمص [١].

٣- والتفلج للحسن[٢].

٤- والوصل [٣].

فعن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قال: «**لعن الله الواشمات، والمُوتشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله**» فبلغ ذلك امرأةً من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت: إنه بلغني عنك أنك لعنت كيت وكيت . فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ، ومن هو في كتاب الله. فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول.

---

(١) النمص: نتف الشعر. ونمص شعره ينمصه نمصًا: نتفه ... والنامصة : المرأة التي تُزين النساء بالنمص. وفي الحديث: لُعنت النامصة والمتنمصة ؛ قال الفراء: النامصة التي تنتف من الوجه، ومنه قيل للمنقاش منماص، لأنه ينتفه به، والمتنمصة :هي التي تفعل ذلك بنفسها . (لسان العرب: ٧/ ١٠١) مادة: نمص)، وأَما النمص المنهي عنه فهو إزالة شعر الحاجبين بالحلق أو النتف أو القص، ولا يلحق به إزالة شعر الساق أو الذراع فلا يدخل هذا في النمص المحرم.

(٢) فلج الأسنان: تباعد بينها... ورجل أفلج إذا كان في أسنانه تفرق، وهو التفليج أيضًا . (التهذيب): والفلج بين الأسنان تباعد ما بين الثنايا والرباعيات خلقة، فإن تكلف، فهو التفليج... وفي الحديث: أنه لعن المتفلجات للحسن: أي النساء اللاتي يفعلن ذلك بأسنانهن رغبة في التحسين . (لسان العرب: ٢/ ٣٤٦-٣٤٧ بتصرف يسير) مادة: فلج .

(٣) والواصلة من النساء: التي تصل شعرها بشعر غيرها، والمستوصلة: الطالبة لذلك وهي التي يفعل بها ذلك. وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة. قال أبو عبيد: هذا في الشعر، وذلك أن تصل المرأة شعرها بشعر آخر زورًا. (لسان العرب: ١١/ ٧٢٧) مادة : وصل.

قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾(١)، قالت: بلى . قال: فإنه قد نهى عنه.قالت: إني أرى أهلك يفعلونه . قال: فاذهبي فانظري. فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئًا . فقال: لو كانت كذلك ما جامعتها» ، ولفظ مسلم: «**لعن الله الواشمات، والمستوشمات، والنامصات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله** ..الحديث»(٢)، وعن ابن عمر ﷺ «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**» (٣).

ومع صراحة الأحاديث في ذلك، وشدة وعيدها، إلا أن كثيرًا من النساء يفعلن ذلك أو بعضه، وهل هذا إلا ضعف إيمان، وإلا فأي امرئٍ تهون عليه نفسه ويعرضها لسخط الجبار ! . اللهم إنا نسألك السلامة والعافية في ديننا ودنيانا .

تنبيه: لا يختص اللعن بالنساء، بل يدخل فيه الرجال إذا نمصوا، أو وشموا، أو وصلوا، أو تفلجوا للحسن!. أو طلبوا من غيرهم أن يفعل بهم شيئًا من ذلك . وتخصيص النساء باللعن من باب الأغلبية فإن تلك الفعال تكون في النساء أغلب كالنائحة، والله أعلم .



(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢١٩ ، رقم ٥٥٩٩) ، ومسلم (٣/ ١٦٧٨ ، رقم ٢١٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢١٨ ، رقم ٥٥٩٦) ، ومسلم (٣/ ١٦٧٧ ، رقم ٢١٢٤).

آداب المتعلم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن الحديث عن آداب المعلم لابد أن يتبعه الحديث عن آداب طالب العلم، لما لهما من الصلة، والتأثر المتبادل، وبما أنه قد سبق بنا الحديث على العلم عموما وتعليمه، فسننطلق مباشرة للحديث عن فضل طلب العلم، ثم أمور تخص طلبته.

فضل طلب العلم:

قال الماوردي رحمه الله: «العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب؛ لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله يَنْمي عند طالبه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [١]، فمنع سبحانه وتعالى المساواة بين العالم والجاهل، لما قد خص به العالم من فضيلة العلم، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [٢]، فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمراً، أو يفهم عنه زجراً.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

من الآيات الدالة على فضل العلم وطلبه:

أ- قال الله ﷻ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[(١)]. فأشهد الله العلماء دون غيرهم من البشر، وقرن شهادتهم بشهادته ﷻ، وشهادة الملائكة، ولا يستشهد الله إلا العدول.

ب- كما يدل على فضل العلم أن الله ﷻ أمر نبيه ﷺ، أن يسأله مزيداً من العلم فقال ﷻ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[(٢)].

ج- ومن أدلة فضله أن الله ﷻ أخبر عن رفعه لدرجات أهل العلم والإيمان: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[(٣)].

د- أن الله ﷻ أخبر أن أهل العلم هم أهل خشيته ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[(٤)].

هـ ـ أن الله شهد أن من أوتي علماً فقد أوتي خيراً كثيرا: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨.

(٢) سورة طه: الآية ١١٤.

(٣) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٤) سورة فاطر: الآية ٢٨.

ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[(١)].

ومن الأحاديث التي جاءت بمدح العلم وأهله:

قال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق. ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على فضل الطالب كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر**»[(٤)].

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ٢٦٨ – ٢٦٩.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٩٦، رقم ١٦٩٢٤)، والبخاري (١/ ٣٩، رقم ٧١)، ومسلم (٢/ ٧١٨، رقم ١٠٣٧)، وابن حبان (١/ ٢٩١، رقم ٨٩).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٨، رقم ٤٥٥٠)، والبخاري (٦/ ٢٧٣٧، رقم ٧٠٩١)، ومسلم (١/ ٥٥٨، رقم ٨١٥)، والترمذي (٤/ ٣٣٠، رقم ١٩٣٦) وقال: حسن صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٦، رقم ٢١٧٦٣)، وأبو داود (٣/ ٣١٧، رقم ٣٦٤١)، والترمذي (٥/ ٤٨، رقم ٢٦٨٢) وقال: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة وليس هو عندي بمتصل. ثم أورد له إسنادًا وقال هذا أصح. وابن ماجه (١/ ٨١، رقم ٢٢٣)، وابن حبان (١/ ٢٨٩، رقم ٨٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٢، رقم ١٦٩٦).

والعلم يرفع العبد المملوك مقام الملوك:

أتى نافع بن الحارث عمر بن الخطاب بعسفان، وكان قد استعمله على أهل مكة، فقال له عمر ﷺ: من استخلفت على أهل الوادي ؟ قال استخلفت عليهم ابن أبزى فقال، من ابن أبزى ؟فقال: رجل من موالي، فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟فقال: إنه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض، فقال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قال: «**إن الله يرفع بهذا العلم أقواماً، ويضع به آخرين**»(١).

العلــم يرفــع بيتــا لا عمــــاد لـــــه
والجهـل يخفـض بيـت العـز والـشـــرف (٢)

قال إبراهيم الحربي: كان عطاء بن رباح عبداً أسود لامرأة من مكة، وكأن أنفه باقلاء، قال: وجاء سليمان بن عبد الملك (أمير المؤمنين) إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إليه، وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حول قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما. فقاما، فقال: يا بنيا، لا تنيا في طلب العلم، فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود (٣).

---

(١) أخرجه أبو نعيم (١/ ٣٤٦) ، والديلمي (٥/ ٢٦٠، رقم ٨١٢٤) .

(٢) البيت غير منسوب في الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١ / ٢١٩).

(٣) الفقيه والمتفقه (١/ ١٤٠)، وتاريخ مدينة دمشق (٤٠/ ٣٧٥)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٧ / ١٦٧)، وصفة الصفوة (٢ / ٢١٢).

وقال مصعب بن الزبير رضي الله عنه لابنه: «تعلم العلم، فإن يكن لك جمال كان لك جمالاً، وإن لم يكن لك مال كان لك مالاً» (١).

قال الماوردي رحمه الله: «فينبغي لمن زهد في العلم أن يكون فيه راغباً، ولمن رغب فيه أن يكون له طالباً، ولمن طلبه أن يكون منه مستكثراً، ولمن استكثر منه أن يكون به عاملاً، ولا يطلب لتركه احتجاجاً، ولا للتقصير فيه عذراً؛ ولا يسوف نفسه بالمواعيد الكاذبة ليُمنيها بانقطاع الأشغال المتصلة؛ فإن لكل وقت شغلاً، ولكل زمان عذراً» (٢).

وقد قال الشاعر:

نروح ونغدو لحاجاتنا ... وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته ... وتبقى له حاجة ما بقي (٣)

الأسباب المعينة على طلب العلم

أولاً: التقوى:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ

---

(١) أدب الدنيا والدين (١ / ٢٦).

(٢) أدب الدنيا والدين (١/ ٤٤).

(٣) البيتان للصلتان العبدي ، في الزهد لابن أبي الدنيا (١ /٤٤٧)، والجرح والتعديل (١/ ٩٨)، والعقد الفريد (٣ / ١٤٧)، والمجالسة وجواهر العلم (١/ ٥٥٩)، ومعجم الشيوخ (١/ ١٢١)، والزهد الكبير (١/ ٢٣٦)، وتاريخ مدينة دمشق (٥٣ / ٣٥٤)، ونهاية الأرب في فنون الأدب (٨/ ١٤٤).

عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١).

فقوله ﷻ: «**يجعل لكم فرقانا**» أي يجعل لكم ما تُفرّقون به بين الحق والباطل، وبين الضار والنافع، وهذا يدخل فيه العلم بحيث يفتح الله على الإنسان من العلوم ما لايفتح لغيره، فإن التقوى يحصل بها زيادة الهدى، وزيادة العلم، وزيادة الحفظ، ولهذا يذكر عن الشافعي رحمه الله أنه قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصي (٢)

ولاشك أن الإنسان كلما ازداد علماً ازداد معرفة وفرقاناً بين الحق والباطل، والضار والنافع، وكذلك يدخل فيه ما يفتح الله على الإنسان من الفهم، لأن التقوى سبب لقوة الفهم، وقوة الفهم يحصل بها زيادة العلم، فإنك ترى الرجلين يحفظان آية من كتاب الله يستطيع أحدهما أن يستخرج منها ثلاثة أحكام، ويستطيع الآخر أن يستخرج أكثر من هذا بحسب ما آتاه الله من الفهم.

فالتقوى سبب لزيادة الفهم، ويدخل في ذلك أيضا الفراسة أن الله يعطي المتقي فراسة يميز بها حتى بين الناس ؛ فبمجرد ما يرى الإنسان يعرف أنه

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٩.

(٢) ديوان الإمام الشافعي (١/ ٦١)، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٢٥٨)، وشرح نهج البلاغة (١٩/ ٨٢)، وتفسير البحر المحيط (٣ / ٤٦٢)، والجواب الكافي (١/ ٣٥)، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان (١ / ٤٥٨)، والجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ٥٤٠)، والمستطرف في كل فن مستظرف (١/ ٥٢).

كاذب أو صادق، أو بر أو فاجر حتى أنه ربما يحكم على الشخص وهو لم يعاشره ولم يعرف عنه شيئا بسبب ما أعطاه الله من الفراسة .

ثانيا: المثابرة والاستمرار على طلب العلم:

يتعين على طالب العلم أن يبذل الجهد في إدراك العلم والصبر عليه، وأن يحتفظ به بعد تحصيله، فإن العلم لا ينال براحة الجسم، فيسلك المتعلم جميع الطرق الموصلة إلى العلم وهو مثاب على ذلك ؛ لما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سلك طريقا يلتمس به علما سهّل الله له طريقاً إلى الجنّة**»(١). فليثابر طالب العلم، ويجتهد ويسهر الليالي، ويدع كل ما يصرفه، أو يشغله عن طلب العلم.

ثالثا: الحفظ:

فيجب على طالب العلم الحرص على المذاكرة، وضبط ما تعلمه، إما بحفظه في صدره، أو كتابته؛ فإن الإنسان عرضة للنسيان، فإذا لم يحرص على المراجعة، وتكرار ما تعلمه، فإن ذلك يضيع منه، وينساه وقد قال الإمام مالك رحمه الله :

العلم صيد والكتابة قيده ... قيّد صيودك بالحبال الواثقة
فمن الحماقة أن تصيد غزالة ... وتتركها بين الخلائق طالقة(٢)

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) إعانة الطالبين (٤ / ٢).

رابعا: ملازمة العلماء:

فيجب على طالب العلم أن يستعين بالله ﷻ، ثم بأهل العلم، ويستعين بما كتبوا في كتبهم، لأن الاقتصار على مجرد القراءة والمطالعة يحتاج إلى وقت طويل، بخلاف من جلس إلى عالم يبين له، ويشرح له، وينير له الطريق، وليس معنى ذلك أنه لا يدرك العلم إلا بالتلقي من المشايخ، فقد يدرك الإنسان بالقراءة والمطالعة، لكن الغالب أنه إذا ما أكب إكبابًا تامًّا ليلًا ونهارًا، ورُزق الفهم فإنه قد يخطئ كثيرًا، ولهذا يقال: «من كان دليله كتابه فخطؤه أكثر من صوابه». ولكن هذا ليس على الإطلاق في الحقيقة.

آداب طالب العلم

الأول: إخلاص النية لله ﷻ:

بأن يكون قصده بطلب العلم وجه الله ﷻ والدار الآخرة ؛ لأن الله حثّ عليه ورغّب فيه، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[1]. والثناء على العلماء في القرآن معروفٌ، وإذا أثنى الله على شيء، أو أمر به صار عبادة.

إذن فيجب الإخلاص فيه لله، بأن ينوي الإنسان في طلب العلم وجه الله ﷻ، فقد قال رسول الله ﷺ: **«من تعلم علما يبتغى به وجه الله عزوجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»**[2].

(١) سورة محمد: الآية ١٩.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٨ ، رقم ٨٤٣٨) ، وأبو داود (٣/ ٣٢٣ ، رقم ٣٦٦٤) ، وابن ماجه

فلا يجوز أن تكون نيته هي الحصول على شهادة، أو وظيفة فقط، لكن إذا كانت نية الإنسان نيل الشهادة من أجل نفع الخلق تعليمًا أو إدارة أو نحوها، فهذه نية سليمة لا تضره شيئا لأنها نية حق.

الثاني: رفع الجهل عن نفسه وعن غيره:

أن ينوي بطلب العلم رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، لأن الأصل في الإنسان الجهل، ودليل ذلك قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

وكذلك تنوي رفع الجهل عن الأمة ويكون ذلك بالتعليم بشتى الوسائل لتنفع الناس بعلمك.

الثالث: الدفاع عن الشريعة:

أن ينوي بطلب العلم الدفاع عن الشريعة، لأن الكتب لا يمكن أن تدافع عن الشريعة، ولا يدافع عن الشريعة إلا حامل الشريعة، فلو أن رجلا من أهل البدع جاء إلى مكتبة حافلة بالكتب الشرعية فيها ما لا يحصى من الكتب، وقام يتكلم ببدعة ويقررها فلا أظن أن كتابا واحدا يرد عليه، لكن إذا تكلم عند شخص من أهل العلم ببدعته ليقررها فإن طالب العلم يرد عليه ويدحض كلامه بالقرآن الكريم والسنة النبوية .

(١/ ٩٢ ، رقم ٢٥٢) ، والحاكم (١/ ٦٠ ، رقم ٢٨٨) وقال : صحيح سنده ثقات رواته على شرط الشيخين . والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٨٢ ، رقم ١٧٧٠) . وأخرجه أيضًا : ابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٥ ، رقم ٢٦١٢٧) ، والخطيب (٥/ ٣٤٦) .

(١) سورة النحل: الآية ٧٨.

الرابع: رحابة الصدر في مسائل الخلاف:

أن يكون صدره رحباً في مواطن الخلاف الذي مصدره الاجتهاد لأن مسائل الخلاف بين العلماء، إما أن تكون مما لا مجال للاجتهاد فيه ويكون الأمر فيها واضحا فهذا لا يعذر أحد بمخالفتها، وإما أن تكون مما للاجتهاد فيها مجال فهذه يعذر فيها من خالفها، ولا يكون قولك حجة على من خالفك فيها لأننا لو قبلنا ذلك لقلنا بالعكس قوله حجة عليك .

وهذا ينطبق على ما للرأي فيه مجال، ويسع الإنسان فيه الخلاف، أما من خالف طريق السلف كمسائل العقيدة فهذه لا يقبل من أحد مخالفة ما كان عليه السلف الصالح، لكن في المسائل الأخرى التي للرأي فيها مجال فلا ينبغي أن يُتخذ من هذا الخلاف مطعنٌ في الآخرين، أو يُتخذ منها سببٌ للعداوة والبغضاء .

فيجب على طلبة العلم أن يكونوا إخوة حتى وإن اختلفوا في بعض المسائل الفرعية وعلى كل واحد أن يدعو الآخر بالهدوء والمناقشة التي يُراد بها وجه الله سبحانه وتعالى والوصول إلى العلم، وبهذا تحصل الألفة ويزول هذا العنت والشدة التي تكون في بعض الناس، حتى قد يصل بهم الأمر إلى النزاع والخصام، وهذا لا شك يفرح أعداء المسلمين والنزاع بين الأمة من أشد ما يكون في الضرر قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

الخامس: العمل بالعلم:

أن يعمل طالب العلم بعلمه عقيدة، وعبادة، وأخلاقًا، وآدابًا، ومعاملةً؛ لأن هذا هو ثمرة العلم المرجوة وهو نتيجة العلم المأمولة، وحامل العلم كالحامل لسلاحه، إما له وإما عليه، ولهذا ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**القرآن حجة لك أو عليك**»(١).

السادس: الدعوة إلى الله:

أن يكون داعياً بعلمه إلى الله ﷻ يدعو في كل مناسبة في المساجد وفي المجالس، وفي الأسواق وفي كل مناسبة، هذا النبي ﷺ بعد أن آتاه الله النبوة والرسالة لم يجلس في بيته، بل كان يدعو الناس ويتحرك.

السابع: الحكمة:

أن يكون متحليا بالحكمة، حيث يقول الله ﷻ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٢).

والحكمة أن يكون طالب العلم مربيًا لغيره، بما يتخلق به من الأخلاق، وبما يدعو إليه من دين الله ﷻ، بحيث يخاطب كل إنسان بما يليق بحاله، وإذا سلكنا هذا الطريق حصل خيرٌ كثيرٌ، كما قال ربنا ﷻ في الآية السابقة.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٢ ، رقم ٢٢٩٥٣) ، ومسلم (١/ ٢٠٣ ، رقم ٢٢٣) ، والترمذي (٥/ ٥٣٥ ، رقم ٣٥١٧) وقال : صحيح .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

والحكيم هو الذي يعمل بعلمه [١]. وهو الذي يعلم بما يوجبه العلم . وقيل : هو الذي يمنع نفسه عما يجهله ويسفهه [٢]. وهو الذي يُنزل الأشياء منازلها،... فينبغي بل يجب على طالب العلم أن يكون حكيما في دعوته .

وقد ذكر الله مراتب الدعوة في قوله ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [٣]. وذكر الله تعالى مرتبة رابعة في جدال أهل الكتاب، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾[٤]. فيختار طالب العلم من أساليب الدعوة ما يكون أقرب إلى القبول .

الثامن: أن يكون الطالب صابرا على التعلم:

أي مثابرًا عليه، لا يقطعه، ولا يمل، بل يكون مستمرًّا في تعلمه بقدر المستطاع، وليصبر على العلم، ولا يمل؛ فإن الإنسان إذا طرقه الملل استحسر وترك، ولكن إذا كان مثابرًا على العلم، فإنه ينال أجر الصابرين من وجه، وتكون له العاقبة من وجه آخر.

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن أطمعت تاقت وإلا تسلتِ
والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم[٥]

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٣١).

(٢) تفسير السمعاني (٣ / ٢٠).

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٥ .

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٤٦ .

(٥) روح المعاني (١ / ٢٨٤)، وديوان البوصيري (١ / ٢٣٨).

التاسع: احترام العلماء وتقديرهم:

إن على طلبة العلم احترام العلماء وتقديرهم، وأن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف بين العلماء وغيرهم، وأن يقابلوا هذا بالاعتذار عمن سلك سبيلًا خطأً في اعتقادهم، وهذه نقطة مهمة جداً؛ لأن بعض الناس يتتبع أخطاء الآخرين، ليتخذ منها ما ليس لائقًا في حقهم، ويشوش على الناس سمعتهم، وهذا من أكبر الأخطاء، وإذا كان اغتياب العامّيّ من الناس من كبائر الذنوب، فإن اغتياب العالم أكبر وأكبر، لأن اغتياب العالم لا يقتصر ضرره على العالم، بل عليه وعلى ما يحمله من العلم الشرعي.

والناس إذا زهدوا في العالم أو سقط من أعينهم تسقط كلمته أيضاً، وإذا كان يقول الحق ويهدي إليه، فإن غيبة هذا الرجل لهذا العالم تكون حائلًا بين الناس وبين علمه الشرعي، وهذا خطره كبير وعظيم.

وقد قال ﷺ: «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطّائين التوابون**»(١). أما أن يفرح بزلة العالم وخطئه، ليشيعها بين الناس فتحصل الفرقة، فإن هذا ليس من طريق السلف.

العاشر: التمسك بالكتاب والسنة:

يجب على طالب العلم الحرص التام على تلقي العلم، والأخذ من أصوله

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٩٨ رقم ١٣٠٧٢)، وعبد بن حميد (ص ٣٦٠ رقم ١١٩٧)، والترمذي (٤/ ٦٥٩، رقم ٢٤٩٩)، وقال: غريب. وابن ماجه (٢/ ١٤٢٠، رقم ٤٢٥١)، والدارمي (٢/ ٣٩٢، رقم ٢٧٢٧)، والحاكم (٤/ ٢٧٢، رقم ٧٦١٧)، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٢٠، رقم ٧١٢٧).

التي لا فلاح لطالب العلم إن لم يبدأ بها، وهي:

١- القرآن الكريم:

فإنه يجب على طالب العلم الحرص عليه قراءةً وحفظًا وفهمًا وعملًا به، فإن القرآن هو حبل الله المتين، وهو أساس العلوم، وقد كان السلف يحرصون عليه غاية الحرص، فيذكر عنهم الشيء العجيب من حرصهم على القرآن.

وإنه مما يؤسف له أن تجد بعض طلبة العلم لا يحسن القراءة، وهذا خلل كبير في منهج طلب العلم. فيجب على طلبة العلم الحرص على حفظ القرآن والعمل به، والدعوة إليه، وفهمه فهماً مطابقاً لفهم السلف الصالح.

٢- السنة الصحيحة:

فهي ثاني المصدرين للشريعة الإسلامية، وهي الموضحة للقرآن الكريم، فيجب على طالب العلم الجمع بينهما والحرص عليهما، وعلى طالب العلم حفظ السنة، إما بحفظ نصوص الأحاديث، أو بدراسة أسانيدها ومتونها، وتمييز الصحيح من الضعيف، وكذلك يكون حفظ السنة بالدفاع عنها، والرد على شبهات أهل البدع في السنة.

الحادي عشر: التثبت والثبات:

من أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم التثبت، فالتثبت فيما ينقل من الأخبار والتثبت فيما يصدر منه من الأحكام، فلا ينقل كل شيء يسمعه أو يقرأه في أي كتاب إلا بعد مراجعة الرأي، والتأكد من صحة الاستدلال، والمقدمات والنتائج.

وهناك فرق بين الثبات والتثبت، فهما شيئان متشابهان لفظًا مختلفان معنىً، فالثبات: معناه الصبر والمثابرة وألا يمل ولا يضجر، وألا يأخذ من كل كتاب نتفة، أو من كل فن قطعة ثم يترك، لأن هذا يضر بالطالب، ويقطع عليه الأيام بلا فائدة.

الثاني عشر: الحرص على فهم مراد الله ﷻ ومراد رسوله ﷺ:

من الأمور المهمة في طلب العلم قضية الفهم. أي فهم مراد الله ﷻ ومراد رسوله ﷺ؛ لأن كثيرًا من الناس أوتوا علماً ولكن لم يؤتوا فهماً. فلا يكفي أن يحفظ المرء كتاب الله ﷻ وما تيسر من سنة رسوله ﷺ بدون فهم. بل لا بد من أن يفهم عن الله ﷻ ورسوله ﷺ ما أراده الله ورسوله، وما أكثر الخلل من قوم استدلوا بالنصوص على غير مراد الله ﷻ، ومراد رسوله ﷺ فحصل بذلك الضلال.

الثالث عشر: التواضع:

لا سيما في مجالس العلماء، وذلك أن العالم هو الذي يتواضع لمن يعلمه، وقد ورد في الأثر: «**لا يتعلم العلمَ مستحي ولا مستكبر**»[1].

الرابع عشر: الجرأة وعدم الاستحياء:

يعني أنك إذا صرت تستحي من أن تسأل بقيت على جهلك ؛ وهذا معنى الأثر: «**لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر**»، يحمله تكبره على أن يعجب بنفسه ويبقى على جهله، وكذلك أيضا يحمله استحياؤه عن أن لا

---

(١) الأثر عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، انظر البخاري مع الفتح (١/ ٢٢٨) .

يطلب أو يستفيد ممن معه علم فيبقى على جهله.

نقول إن الإنسان إذا تأدب بهذه الآداب الشرعية فإن الله تعالى يوفقه ويفتح عليه ويرزقه العلم النافع والعمل الصالح، ونذكر الخصال الستة التي أشرنا إليها حيث نظمها أبو المعالي الجويني رحمه الله:

أخي لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة أستاذ وطول زمان[(١)]

هذه هي الوسائل التي يمكن أن ينال طالب العلمِ العلمَ بها، ولا شك أن العلم موهبة وفضل من الله تعالى، فإن الكثير من العلماء المشاهير لهم أولاد انحرفوا عن العلم وصاروا دنيويين، وكثير من الجهلة يسر الله لأولادهم فتعلموا وصاروا قادة وسادة، فهو فضل من الله تعالى، متى كان عند الإنسان نية صادقة وأحب مواصلة التعلم يسر الله تعالى له العلم.

فوائد مهمة لطالب العلم:

الفائدة الأولى: أمور هامة عند الطلب:

لا بد لطالب العلم من مراعاة عدة أمور عند طلبه لأي علم من العلوم:

أولاً: حفظ متن مختصر فيه.

فإذا كنت تطلب النحو، فإن كنت مبتدئاً فلا أرى أحسن من متن

---

(١) ذيل تاريخ بغداد (١٦/ ٨٩)، والآداب الشرعية والمنح المرعية (١ / ٢٣٦)، وطبقات الشافعية الكبرى (٥ / ٢٠٨).

الأجرومية ؛ لأنه واضح وجامع وحاصر وفيه بركة، ثم متن ألفية ابن مالك ؛ لأنها خلاصة علم النحو كما قال هو نفسه:

أحصى من الكافية الخلاصة كما اقتضى غنى بلا خصاصة

* **وأما في الفقه:** فمتن زاد المستقنع، لأنه كتاب مخدوم بالشرح والحواشي والتدريس، وإن كان بعض المتون الأخرى أحسن منه من وجه، لكن هو أحسن من حيث كثرة المسائل الموجودة فيه، ومن حيث إنه مخدوم .

* **وأما في الحديث:** فمتن عمدة الأحكام، وإن ترقيت فبلوغ المرام، وإن كنت تقول إما هذا أو هذا، فبلوغ المرام أحسن؛ لأنه أكثر جمعاً للأحاديث، ولأن الحافظ ابن حجر رحمه الله بين درجة الحديث .

* **وأما في التوحيد:** فمتن كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وأما في توحيد الأسماء والصفات العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فهو كتاب جامع مبارك مفيد، وهلم جرا، خذ من كل فن تطلبه متناً مختصراً فيه واحفظه .

ثانياً: ضبطه وشرحه على شيخ متقن:

وتحقيق ألفاظه وما كان زائداً أو ناقصاً .

ثالثاً: عدم الاشتغال بالمطولات أولا:

وهذه الفقرة مهمة لطالب العلم، فلا بد لطالب العلم أن يتقن المختصرات أولاً حتى ترسخ العلوم في ذهنه ثم يُفيض إلى المطولات.

رابعاً: لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب:

فهذا من باب الضجر، وهذه آفة عظيمة تقطع على الطالب طلبه وتضيع عليه أوقاته، فإذا كان كل يوم له كتابٌ يقرأ فيه، فهذا خطأ في منهج طالب العلم، فإذا قررت كتاباً من كتب العلم فاستمر فيه، ولا تقول أقرأ كتاباً أو فصلاً من هذا الكتاب ثم أنتقل للآخر، فإن هـذا مـضيـعـة للـوقـت .

خامساً: اقتناص الفوائد والضوابط العلمية:

فهناك الفوائد التي لا تكاد تطرأ على الذهن، أو التي يندر ذكرها والتعرض لها، أو التي تكون مستجدة تحتاج إلى بيان الحكم فيها، فهذه اقتنصها، وقيدها بالكتابة، لا تقول هذا أمر معلوم عندي، ولا حاجة أن أقيدها، فإنك سرعان ما تـنسى، وكم من فائدة تمر بالإنسان فيقول هذه سهلة ما تحتاج إلى قيد، ثم بعد فترة وجيزة يتذكرها ولا يجدها .

لذلك احرص على اقتناص الفوائد التي يندر وقوعها أو يتجدد وقوعها، وإن كتاب (بدائع الفوائد) للعلامة ابن القيم رحمه الله فيه من بدائع العلوم، ما لا تكاد تجده في كتاب آخر، فهو جامع في كل فن، كلما طرأ على باله مسألة أو سمع فائدة قيد ذلك، ولهذا تجد فيه من علم العقائد، والفقه، والحديث، والتفسير، والنحو، والبلاغة وغيرها.

وأيضاً احرص على الاهتمام بالضوابط:

ومن الضوابط: ما يذكره العلماء تعليلاً للأحكام، فإن كل التعليلات للأحكام الفقهية تعتبر ضوابط ؛ لأنها تبنى عليها الأحكام.

سادساً: جمع النفس للطلب:

فلا يشتتها يميناً ويساراً، اجمع النفس على الطلب مادمت مقتنعاً بأن هذا منهجك وسبيلك، وأيضاً اجمع نفسك على الترقي فيه لا تبقى ساكناً . فكِّر فيما وصل إليه علمك من المسائل والدلائل حتى تترقى شيئاً فشيئاً، واستعن بمن تثق به من زملائك وإخوانك فيما إذا احتاجت المسألة إلى استعانة، ولا تستحي أن تقول يا فلان ساعدني على تحقيق هذه المسألة بمراجعة الكتب، الحياء لا ينال العلم به أحد، فلا ينال العلم مستحيي ولا مستكبر .

الفائدة الثانية: التلقي من الأشياخ:

مما ينبغي لطالب العلم مراعاته تلقي العلم عن الأشياخ ؛ **لأنه يستفيد بذلك فوائده عـدة:**

اختصار الطريق:

فبدلاً من أن يذهب يقلب في بطون الكتب وينظر ما هو القول الراجح وما سبب رجحانه، وما هو القول الضعيف وما سبب ضعفه، بدلاً من ذلك كله، يُمد إليه المعلم ذلك بطريق سهل ويعرض له خلاف أهل العلم في المسائل على قولين أو ثلاثة مع بيان الراجح، والدليل كذا، **وهذا لا شك أنه نافع لطالب العلم .**

السرعة في الإدراك:

فطالب العلم إذا كان يقرأ على عالم فإنه يدرك بسرعة أكثر مما لو ذهب يقرأ في الكتب ؛ لأنه إذا قرأ في الكتب تمر عليه العبارات المشكلة والغامضة

فيحتاج إلى التدبر وتكرار العبارة مما يأخذ منه الوقت والجهد، وربما فهمها على وجه خطأ وعمل بها .

الربط بين طلاب العلم والعلماء الربانيين:

لذلك القراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه .

الفائدة الثالثة: أدب السؤال:

إذا دعت الحاجة للسؤال فليحسن طالب العلم السؤال، أما إذا لم تدع الحاجة فلا يسأل، لأنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل إلا إذا احتاج هو أو ظن أن غيره يحتاج إلى السؤال، فربما يسأل ليستفصل عن أمور يبينها لمن معه في الدرس، لأن النبي ﷺ لما جاءه جبريل وسأله عن الإيمان، والإحسان، والإسلام، والساعة وأشراطها، قال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» (١). فإذا كان الباعث على السؤال حاجة السائل فسؤاله وجيه، أو حاجة غيره وسأل ليعلِّم غيره فهذا أيضاً وجيه وطيب.

كذلك ينبغي أن يكون عند طالب العلم حسن الاستماع لجواب العالم، وصحة الفهم للجواب، فبعض الطلبة إذا سأل وأجيب تجده يستحي أن يقول ما فهمت . والذي ينبغي لطالب العلم إذا لم يفهم أن يقول ما فهمت لكن بأدب وتوقير للعالم.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٥١ ، رقم ٣٦٧) ، ومسلم (١/ ٣٦ ، رقم ٨) ، وأبو داود (٤/ ٢٢٣ ، رقم ٤٦٩٥) ، والترمذي (٥/ ٦ ، رقم ٢٦١٠) وقال : حسن صحيح .

الفائدة الرابعة: الحفظ ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: غريزي: يهبه الله تعالى لمن يشاء، فتجد الإنسان تمر عليه المسألة والبحث فيحفظه ولا ينساه .

القسم الثاني: كسبي: بمعنى أن يمرن الإنسان نفسه على الحفظ، ويتذكر ما حفظ فإذا عود نفسه تذكر ما حفظ سهل عليه حفظه .

الفائدة الخامسة: المجادلة والمناظرة نوعان:

النوع الأول: مجادلة مماراة: يماري بذلك السفهاء ويجاري العلماء ويريد أن ينتصر قوله فهذه مذمومة.

النوع الثاني: مجادلة إثبات الحق وإن كان عليه فهذه محمودة مأمور بها وعلامة ذلك – أي المجادلة الحقة – أن الإنسان إذا بان له الحق اقتنع وأعلن الرجوع، أما المجادل الذي يريد الانتصار لنفسه فتجده لو بان أن الحق مع خصمه، يورد إيرادات يقول: لو قال قائل، ثم إذا أجيب قال: لو قال قائل، ثم إذا أجيب قال: لو قال قائل، ثم تكون سلسلة لا منتهى لها.

ومثل هذا على خطر ألا يقبل قلبه الحق لا بالنسبة للمجادلة مع الآخر ولكن في خلوته، ربما يورد الشيطان عليه هذه الإيرادات فيبقى في شك وحيرة كما قال الله ﷻ: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[1].

وقال الله ﷻ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٠.

ﭐلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[(١)].

فالحاصل أن المجادلة إذا كان المقصود بها إثبات الحق وإبطال الباطل فهي خير، وتعودها وتعلمها خير لا سيما في وقتنا هذا، فإنه كثُرَ فيه الجدال والمراء، حتى أن الشيء يكون ثابتاً وظاهراً في القرآن والسنَّة ثم يورد عليه إشكالات.

وهناك مسألة: وهي أن بعض الناس يتحرج من المجادلة حتى وإن كانت حقًّا استدلالاً بحديث: «**وأنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا**»[(٢)]. فيترك هذا الفعل .

فالجواب: من ترك المراء في دين الله فليس بمحق إطلاقاً ؛ لأن هذا هزيمة للحق، لكن قد يكون محقًّاً إذا كان تخاصمه هو وصاحبه في شيء ليس له علاقة بالدين مثلاً، قال: رأيت فلاناً في السوق، ويقول الآخر: بل رأيته في المسجد، ويحصل بينهما جدال وخصام فهذه هي المجادلة المذكورة في الحديث، أما من ترك المجادلة في نصرة الحق فليس بمحق إطلاقاً فلا يدخل في الحديث.

الفائدة السادسة: المذاكرة:

من الأمور التي ينبغي لطالب العلم أن يهتم بها المذاكرة، والمذاكرة نوعان:

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٩.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٥٣ ، رقم ٤٨٠٠) ، والطبراني (٨/ ٩٨ ، رقم ٧٤٨٨) ، والبيهقي (١٠/ ٢٤٩ ، رقم ٢٠٩٦٥) . وأخرجه أيضًا : الطبراني في الأوسط (٥/ ٦٨ ، رقم ٤٦٩٣) .

مذاكرة مع النفس:

بأن تجلس مثلاً جلسة وحدك ثم تعرض مسألة من المسائل أو مسألة قد مرت عليك، ثم تأخذ في محاولة عرض الأقوال وترجيح ما قيل في هذه المسألة بعضها على بعض، وهذه سهلة على طالب علم، وتساعد على مسألة المناظرة السابقة .

مذاكرة مع الغير:

بأن يختار من إخوانه الطلبة من يكون عوناً له على طلب العلم، مفيداً له، فيجلس معه ويتذاكرون، يقرأ مثلاً ما حفظاه، كل واحد يقرأ على الآخر قليلاً، أو يتذاكران في مسألة من المسائل بالمراجعة أو بالمفاهمة إن قدرا على ذلك فإن هذا مما ينمي العلم ويزيده، لكن إياك والشغب والصلف ؛ لأن هذا لا يفيد .

الفائدة السابعة: زكاة العلم تكون بأمور:

الأمر الأول: نشر العلم:

نشر العلم من زكاته، فكما يتصدق الإنسان بشيء من ماله، فهذا العالم يتصدق بشيء من علمه، وصدقة العلم أبقى دوماً وأقل كلفةً ومؤنة، أبقى دوماً ؛ لأنه ربَّ كلمة من عالم تسمع ينتفع بها أجيال من الناس وما زلنا الآن ننتفع بأحاديث أبي هريرة ﷺ، وكذلك العلماء ننتفع بكتبهم ومعهم زكاة وأي زكاة، وهذه الزكاة لا تنقص العلم بل تزيده كما قال أبو إسحاق الإلبيري:

يزيــد بكثــرة الإنفــاق منــه ... وينقص إن به كفاً شددت [١]

الأمر الثاني: العمل به:

لأن العمل به دعوة إليه بلا شك، وكثير من الناس يتأسون بالعالم، بأخلاقه وأعماله أكثر مما يتأسون بأقواله، وهذا لا شك زكاة .

الأمر الثالث: الصدع بالحق:

وهذا من جملة نشر العلم ولكن النشر قد يكون في حال السلامة وحال الأمن على النفس وقد يكون في حال الخوف على النفس فيكون صدعاً بالحق .

الأمر الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لا شك أن هذا من زكاة العلم، لأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عارف للمعروف وعارف للمنكر ثم قائم بما يجب عليه في هذه المعرفة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الفائدة الثامنة: موقف طالب العلم من وهم وخطأ العلماء:

هذا الموقف له جهتان:

الأولى: تصحيح الخطأ:

وهذا أمر واجب، يجب على من عثر على وهم إنسان ولو كان من أكبر العلماء أن ينبه على هذا الوهم وعلى هذا الخطأ، لأن بيان الحق أمر واجب

---

(١) ديوان أبي إسحاق الإلبيري (١ / ٢٦).

وبالسكوت يمكن أن يضيَّع الحق لاحترام من قال بالباطل ؛ لأن احترام الحق أولى بالمراعاة.

لكن هل يصرَّح بقائل الوهم أو الخطأ ؟ أو يقول توهم بعض الناس فقال كذا وكذا ؟

الجواب: ينظر لما تقتضيه المصلحة، قد يكون من المصلحة ألا يصرح، كما لو كان يتكلم عن عالم مشهور في عصره موثوق عند الناس، محبوب إليهم، يقول: قال فلان: كذا، وكذا وهذا خطأ، فإن العامة لا يقبلون كلامه بل يسخرون منه ولا يقبلون الحق، ففي هذه الحال ينبغي أن يقول: من الخطأ أن يقول القائل كذا وكذا، ولا يذكر اسمه، وقد يكون هذا الرجل الذي توهم متبوعاً يتبعه شرذمة من الناس وليس له قدر في المجتمع فحينئذ يصرح لئلا يغتر الناس به، فيقول: قال فلان كذا وكذا وهو خطأ .

الثانية: أن يقصد بذلك بيان معايبه لا بيان الحق من الباطل، وهذه تقع من إنسان حاسد – والعياذ بالله – يتمنى أن يجد قولاً ضعيفاً أو خطأً لشخص ما فينشره بين الناس ولهذا نجد أهل البدع يتكلمون في شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وينظرون إلى أقرب شيء يمكن أن يقدح به فينشرونه ويعيبونه، مثلاً يقولون خالفت الإجماع في أن الطلاق الثلاث واحدة فيقولون هذا شاذ، ومن شذ في النار، وأمثال هذا كثير.

المهم أن يكون قصدك من البيان إظهار الحق ومن كان قصده الحق وفق لقبوله، أما من كان قصده أن يظهر عيوب الناس فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته، فإذا عثرت على

وهم عالم، حاول أن تدفع اللوم عنه وأن تذب عنه، لا سيما إذا كان من العلماء المشهود لهم بالعدالة والخير ونصح الأمة .



آداب المجالس

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن الإنسان اجتماعي بطبعه، لا مفر له من مخالطة الناس والاجتماع بهم، ومن ثم تأتي حاجة الإنسان للمجالس، ولكن من الملاحظ للجميع أن مجالسنا فيها آفات تحتاج إلى إصلاح.

ولا بد من معرفة الآداب، ومعرفة طرق الإصلاح، حتى نتمكن من الوصول بهذه المجالس إلى الجادة المستقيمة، وقد شرع الإسلام عدة آداب لتسلم المجالس من الآفات، ولتكون غنمًا لا غرمًا.

تعريف المجلس:

الْمَجْلِسُ بِكَسْرِ اللاَّمِ: مَوْضِعُ الْجُلُوسِ، وَبِفَتْحِهَا: مَصْدَرٌ، وَالْجُلُوسُ: الْقُعُودُ وَهُوَ نَقِيضُ الْقِيَامِ .

وَالْجِلْسَةُ: الْحَال الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الجَالِسُ [1].

وَالْجَلِيسُ: مَنْ يُجَالِسُكَ.

وَجَمْعُ الْمَجْلِسِ: مَجَالِسُ .

---

(١) لسان العرب (٦ / ٤٠)، وتاج العروس (١٥ / ٥٠٦).

وَقَدْ يُطْلَقُ الْمُجْلِسُ عَلَى أَهْلِهِ مَجَازًا، تَسْمِيَةً لِلْحَالِّ بِاسْمِ الْمَحِلِ، فَيُقَالُ: اتَّفَقَ الْمَجْلِسُ [١].

آداب المجلس:

السلام عند القدوم والذهاب:

متى يكون السلام؟

من حق الأخوة الإسلامية إلقاء السلام عند اللقاء وعند الانصراف.

عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا انتهى أحدُكم إلى المجلس فَلْيُسَلِّمْ، فإن بدا له أن يجلسَ فليجلسْ، ثم إذا قام فَلْيُسَلِّمْ؛ فليست الأُولَى بِأَحَقَّ من الآخرة**»[٢]. أي: كلتا التسليمتين حق وسنة، وكما أن التسليمة الأولى إخبار عن سلامتهم من شره عند الحضور، فالثانية إخبار بذلك عند الغيبة[٣].

فضل السلام وتمامه:

وعنه أيضًا ﵁: أن رجلاً مر على رسول الله ﷺ وهو في مجلس فقال:

---

(١) المصباح المنير للفيومي.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٩، رقم ٩٦٦٢)، وأبو داود (٤/ ٣٥٣، رقم ٥٢٠٨)، والترمذي (٥/ ٦٢، رقم ٢٧٠٦) وقال: حسن. وابن حبان (٢/ ٢٤٦، رقم ٤٩٣). والنسائي في الكبرى (٦/ ١٠٠، رقم ١٠٢٠١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٣).

(٣) فيض القدير (١ / ٣٩٣).

السلام عليكم، فقال: «**عشر حسنات**»، فمر رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال: «**عشرون حسنة**»، فمر رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال: «**ثلاثون حسنة**»، فقام رجل من المجلس ولم يسلم، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أوشك ما نسي صاحبكم ! إذا جاء أحدكم المجلس فليسلم ؛ فإن بدا له أن يجلس فليجلس، وإذا قام- وفي رواية : فإن جلس ثم بدا له أن يقوم قبل أن يتفرق المجلس فليسلم، ما الأولى بأحق من الآخرة**»[(١)].

استحباب المصافحة عند السلام:

يفضل المصافحة ما لم يسبب إرباكًا للمجلس، وهذه السنة منسية، فعن حذيفة بن اليمان ﵁، عن النبي ﷺ أنه قال: « إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم فيأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما يتحات الورق من الشجرة اليابسة فى يوم ريح عاصف وإلا غفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحر»[(٢)].

وفي رواية البراء بن عازب ﵁، قول النبي ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ، إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا**»[(٣)]. وقال ﵁: «من تمام التحية أن

---

(١) تمام الحديث السابق.

(٢) أخرجه الطبراني (٦/ ٢٥٦ ، رقم ٦١٥٠) ، قال المنذري (٣/ ٢٩١) : إسناده حسن . وقال الهيثمي (٨/ ٣٧) : رجاله رجال الصحيح غير سالم بن غيلان وهو ثقة . وأخرجه أيضًا : البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٧٣ ، رقم ٨٩٥٠) .

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٩ ، رقم ١٨٥٧٠) ، وأبو داود (٤/ ٣٥٤ ، رقم ٥٢١٢) ،

تصافح أخاك»[١].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «عن قتادة قلت لأنس بن مالك: أكانت المصافحة في أصحاب النبي ﷺ؟ قال: نعم. قال ابن بطال: المصافحة حسنة عند عامة العلماء، وقد استحبها مالك بعد كراهته. وقال النووي: المصافحة سنة مجمع عليها عند التلاقي»[٢].

عدم القيام لمن لا يستحق القيام له:

عن معاوية رضي الله عنه أنه خرج وعبد الله بن عامر، وعبد الله بن الزبير قعود رضي الله عنهم، فقام ابن عامر، وقعد ابن الزبير، وكان أرزنهما، قال معاوية رضي الله عنه: قال ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**»[٣]، فمعناه أن يأمرهم بذلك على مذهب الكبر والنخوة[٤].

والترمذي (٥/ ٧٤ ، رقم ٢٧٢٧) وقال : حسن غريب . وابن ماجه (٢/ ١٢٢٠ ، رقم ٣٧٠٣) ، والبيهقي (٧/ ٩٩ ، رقم ١٣٣٤٩) . وابن أبي شيبة (٥/ ٢٤٦ ، رقم ٢٥٧١٧).

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٣٦، رقم ٩٦٨)، وصححه الألباني.

(٢) فتح الباري – ابن حجر – (١١ / ٥٥).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٠)، وأبو داود (٤/ ٣٥٨، رقم ٥٢٢٩)، والترمذي (٥/ ٩٠-٩١،رقم ٢٧٥٥)، قال الترمذي: هذا حديث حسن، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٣٤ ، رقم ٢٥٥٨٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٥١ ، رقم ٨٢٠)، وصححه الألباني في المشكاة (٤٦٩٩).

(٤) شرح السنة للبغوي (١١ / ٩٣).

فلا يلزم القيام للقادم، وإنما هو من مكارم الأخلاق؛ من قام إليه ليصافحه ويأخذ بيده، ولا سيما صاحب البيت والأعيان، فهذا من مكارم الأخلاق، وقد قام النبي ﷺ لفاطمة، وقامت له رضي الله عنها، وقام الصحابة رضي الله عنهم بأمره ﷺ لسعد بن معاذ رضي الله عنه لما قدم ليحكم في بني قريظة [1]، وقام طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من بين يدي النبي ﷺ لما جاء كعب بن مالك رضي الله عنه حين تاب الله عليه فصافحه وهنأه ثم جلس [2]، وهذا من باب مكارم الأخلاق، والأمر فيه واسع، وإنما المنكر أن يقوم واقفًا للتعظيم كما تفعله العجم لملوكها وعظمائها.

ومن هنا كان الصحابة لا يقومون لأفضل البشر، قال أنس رضي الله عنه: ما كان في الدنيا شخص أحب إليهم رؤيته من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما كانوا يعلمون من كراهيته لذلك [3].

قال ابن حجر معللا عدم قيام الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ، «أحدهما أنه خاف عليهم الفتنة إذا أفرطوا في تعظيمه فكره قيامهم له لهذا المعنى كما قال لا تطروني ولم يكره قيام بعضهم لبعض فإنه قد قام لبعضهم وقاموا لغيره بحضرته فلم ينكر عليهم بل أقره وأمر به، **ثانيهما**: أنه كان بينه ﷺ وبين أصحابه رضي الله عنهم من الأنس وكمال الود والصفاء ما لا يحتمل زيادةً

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٠٧، رقم ٢٨٧٨)، ومسلم (٣/ ١٣٨٨، رقم ١٧٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٢٠، رقم ٢٧٦٩).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني (**٣٥٨**).

بالإكرام بالقيام فلم يكن في القيام مقصود»[(١)].

أن يجلس حيث ينتهي به المجلس:

إذا أتى إنسان مجلسًا ووجد حضورًا، فلا يتخطى الرقاب، ولا يزاحم الجلوس ليفسحوا له مكانًا بينهم في صدر المجلس، بل يجلس حيث ينتهي به المجلس، ما لم يؤذن له بالجلوس بين اثنين. عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي[(٢)].

قال المباركفوري رحمه الله: أي«أنه لا يتقدم على أحد من حضاره تأدُّبًا، وتركا للتكلف، ومخالفة لحظ النفس من طلب العلو كما هو شأن أرباب الجاه»[(٣)].

أن لا يفرِّق بين اثنين:

إن إقحام الشخص نفسه بين اثنين –سواء أكان ذلك في مجلس أم في غير مجلس– من الأمور المستكرهة التي اشتد الإسلام في تبيان قبحها، والتنبيه إلى تجنبها. فلا يجلس ولا يفرق بين اثنين إلا إذا سمحا له، تقديرًا واحترامًا للحضور.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ**

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – (١١ / ٥٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٩٨، رقم ٢٠٩٦٧)، وحسنه الأرنؤوط. وأبو داود (٤/ ٢٥٨، رقم ٤٨٢٥)، والترمذي (٥/ ٧٣ ، ٢٧٢٥)، وقال: حسن صحيح. وابن حبان: (١٤/ ٣٤٥، رقم ٦٤٣٣)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٤٩، رقم ٧٤٥٣)، وصححه الألباني الصحيحة (٣٣٠).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٧/ ٤٢٤).

بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَ» (١) .

النهي عن إقامة الرجل من مجلسه:

من جلس في مكان فهو أحق به، فلا يؤمر أن يقوم من مكانه إلا بإذنه وعن طيب نفس . عن ابن عمر ﵄ عن النبي ﷺ أنه نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر، ولكن تفسحوا وتوسعوا. وكان ابن عمر يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه (٢) . وفعل ابن عمر هذا أدب جميل ينبغي أن يتحلى به كل مسلم.

التفسُّح في المجالس:

إن من الأخلاق الرفيعة التفسح والتوسيع للحضور في المجالس، واحتساب الأجر طاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ ، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ (٣) .

وعن عبدالله بن عمر ﵄، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاءَ أحدُكُمْ إلى مَجْلِسٍ فأوسِعَ لهُ فَلْيَجْلِسْ فإنَّها كَرامَةٌ أكْرَمَهُ الله بها وأخُوهُ المُسْلِمُ فإنْ لَمْ يُوَسَّعْ فَلْيَنْظُرْ أوْسَعَ مَوْضِعٍ فَلْيَجْلِسْ فِيهِ**» (٤) .

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣ ، رقم ٦٩٩٩) ، وأبو داود (٤/ ٢٦٢ ، رقم ٤٨٤٥) ، والترمذي (٥/ ٨٩ ، رقم ٢٧٥٢) وقال : حسن صحيح . وحسنه الألباني في المشكاة (٤٧٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣١٣ ، رقم ٥٩١٥) ، ومسلم (٤/ ١٧١٤ ، رقم ٢١٧٧) .

(٣) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٤) أخرجه الخطيب (٢/ ١٣٣) ، وحسنه الألباني برقم (٤٦٢) في صحيح الجامع.

إذا رجع إلى مجلسه فهو أحق به:

من جلس في موضع من المجلس ثم فارقه لقضاء شغل يسير ثم عاد، فإذا رجع فهو أحق به، فإن كان قد قعد فيه غيره فله أن يقيمه، وعلى القاعد أن يفارقه . وإذا دخل الإنسان مجلسًا ووجد مكانًا يعلم أنه سبق إليه شخص آخر سيعود إليه فلا يجلس فيه، لأنه لو رجع فهو أحق به .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إِذا قَامَ أحدكُم من مَجْلِسه ثمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَق بِهِ** » [١] .

قال ابن الجوزي رحمه الله: « هذا لأن المجلس لمن جلس فيه ولابد أن يعرض للإنسان حوائج لازمة فجعل عند الذهاب فيها كأنه لم يرح » [٢] .

وقال الطحاوي رحمه الله لزيادة الفائدة تعليقا على هذا الحديث: « ذلك إِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ الْمَجَالِسَ الْعَامِّيَّةَ التي لَيْسَتْ بِمَمْلُوكَاتٍ لاَ الْمَجَالِسَ الْخَاصِّيَّةَ الْمَمْلُوكَاتِ كَالْمَسَاجِدِ وَكَالصَّحَارِي التي يَنْزِلُهَا الناس وَكَالْمَوَاضِعِ من الأَمْصَارِ الْمَأْذُونِ لِلنَّاسِ فيها» [٣] .

إعمار المجلس بذكر الله:

حضور المجالس وقتٌ من العمر الذي سيسأل عنه الإنسان يوم القيامة، لذا ينبغي استغلال هذا الوقت بالفائدة، ليعود نفعه على الحاضرين في الدنيا

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٧١٥ ، رقم ٢١٧٩).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١ / ١٠٢٩).

(٣) شرح مشكل الآثار (٣/ ٣١٣).

والآخرة . عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ الجَنَّةُ**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «.. **ومَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله، يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَة، وَحَفَّتْهُمْ المَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ**»[(٢)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان يعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: «**ربِّ اغفِر لِي وتُب عَلي إِنك أَنتَ التَّوابُ الرَّحيم**»[(٣)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما جلس قوم يذكرون الله إلا ناداهم مناد من السماء: قوموا مغفورا لكم**»[(٤)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ جَلَسُوا**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٧ ، رقم ٦٦٥١) ، قال الهيثمي (١٠/ ٧٨) : رواه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن . وحسنه الألباني في الصحيحة، رقم (٣٣٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤ ، رقم ٢٦٩٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (حديث رقم ٣٨١٤) . وأخرجه أيضًا : ابن أبي شيبة (٦/ ٥٧ ، رقم ٢٩٤٤٣) ، وأحمد (٢/ ٢١ ، رقم ٤٧٢٦) ، وعبد بن حميد (ص ٢٥١ ، رقم ٧٨٦) ، والترمذي (٥/ ٤٩٤ ، رقم ٣٤٣٤) وقال : حسن صحيح غريب . والنسائي في الكبرى (٦/ ١١٩ ، رقم ١٠٢٩٢) .

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٢ ، رقم ١٢٤٧٦) وأبو يعلى (٧/ ١٦٧ رقم ٤١٤١) والطبراني في الأوسط (٢/ ١٥٤ رقم ١٥٥٦) قال الهيثمي (١٠/ ٧٦) : فيه ميمون المرئى وثقه جماعة وفيه ضعف وبقية رجال أحمد رجال الصحيح . والضياء (٧/ ٢٣٥ ، رقم ٢٦٧٧) وقال : إسناده حسن .

مَجْلِسًا ، لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ ، إِلاَّ رَأَوْهُ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [(١)].

اجتناب مجالس السوء:

فلو كنت في مجلس من المجالس، ورأيت أمراً منكراً، أو دار النقاش حول قضية تخالف الدين وهي منكر من المنكرات، أو يستهزأ فيه بآيات الله؟ فاهجر هذا المجلس، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [(٢)].

وفي آية النساء يأتي التوجيه أشد، فيقول الله ﷻ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [(٣)].

فإذن عليك أيها المسلم إذا كنت في مجلس، ودار حديث من بعض الناس فيه لمزٌ للدين واستخفافٌ ببعض الأحكام، أو استهانة واستهزاء، فعليك أن تنكر المنكر وتنهاهم وتنهرهم، فإن استجابوا فالحمد لله، وإن لم يستجيبوا فالواجب عليك أن تقوم من ذلك المجلس، ولا يجوز لك أن تواصل الجلوس فيه.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٤ ، رقم ٧٠٩٣) . قال الهيثمي (١٠/ ٨٠) : رجاله رجال الصحيح . وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٠) .

(٢) سورة الأنعام: الآية ٦٨.

(٣) سورة النساء: الآية ١٤٠.

اختيار الرفيق الصالح:

وهذه قضية مهمة، بل قد لا نتجاوز لو قلنا إنها أهم قضايا المجالس، لأن الإنسان مجبول على حب المخالطة وتكوين الصداقة والصحبة، فعليه أن يختار الصالح له في دنياه وأخراه، لما له من أثر عليه.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وجَلِيسِ السُّوءِ كحامِلِ المِسْكِ ونافِخِ الكيرِ فحامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وإِمَّا أَنْ تَبْتاعَ منهُ وإِمَّا أَنْ تَجِدَ منهُ رِيحاً طَيِّبَةً ونافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ وإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً**» [١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» [٢].

الاستئذان في دخول المجلس أو حضوره:

الاستئذان أدب رفيع، يدل على حياء صاحبه وشهامته، وتربيته وعفته، وهو طلب الإذن لدخول بيت، أو الانضمام إلى مجلس، أو الخروج منه.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٣]، والاستئناس

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٠٤، رقم ٥٢١٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٦، رقم ٢٦٢٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٣، رقم ٨٠١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٥)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٢٧).

(٣) سورة النور: الآية ٢٧.

أبلغ من الاستئذان، لأن فيه طلب الإذن، وفيه معرفة أنس أهل البيت، واستعدادهم لاستقباله، ورضاهم عن دخوله عليهم.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال : استأذنت على عمر ثلاثًا، فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ «إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع» فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك [(١)].

النهي عن تناجي البعض دون بعض إلا بإذن:

إذا كان المجلس صغيرًا بعدد الحضور، فليس من الأدب أن يتناجى البعض دون الآخر، فقد حرِص الإسلام على شعور المسلم حال التناجي.

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال النبي ﷺ: «**إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً، فَلاَ يَتَنَاجَى رَجُلاَنِ دُونَ الآخَرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْزِنَهُ**» [(٢)].

وقد بيَّن النبي ﷺ العلة من النهي عن التناجي بقول: «**من أجل أن ذلك يحزنه**»، فقد يقع في نفسه ما يحزن لأجله، بأن يقدر في نفسه أن الحديث عنه بما يكره، أو أنهم لم يروه أهلاً ليشركوه في حديثهم، إلى غير ذلك من وساوس

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٥ ، رقم ٥٨٩١) ، ومسلم (٣/ ١٦٩٤ ، رقم ٢١٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣١٩ ، رقم ٥٩٣٢) ، ومسلم (٤/ ١٧١٨ ، رقم ٢١٨٤).

الشيطان وأحاديث النفس، وحصل ذلك كله من بقائه وحده، فإذا كان معه غيره أمن ذلك.

عدم الإخلال بأمانة المجلس:

تعقد المجالس بالأمانة على ما يجري فيها من أمور، فيجب على الجالس أن يحفظ أسرارها، ولا يحل لَهُ أن يُفشي عن إخوانه ما لا يحبّون أن يخرج عنهم. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّما المَجالِسُ بالأمانَةِ** »(١). قال المناوي رحمه الله: «أي أن المجالس الحسنة إنما هي المصحوبة بالأمانة أي كتمان ما يقع فيها من التفاوض في الأسرار فلا يحل لأحد من أهل المجلس أن يفشي على صاحبه ما يكره إفشاؤه»(٢).

فحُسْنُ المجَالسِ وشَرَفُها، بأَمَانة حَاضِريها على ما يقع فيها من قَول وفعل، فيلزم الستر على ما يقال ويحدث في المجلس ما دام أنه لا يضر أحدًا من المسلمين في دم حرام أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق أو غير ذلك.

فكل ما يدور في المجالس أمانة يجب حفظها وعدم إفشائها فهو من شيمة الأولياء ، إلا إذا كان إفشاء السر يتضمن مصلحة أو دفع مضرة .



(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٦٨ ، رقم ٤٨٦٩) ، والبيهقي (١٠/ ٢٤٧ ، رقم ٢٠٩٥١)، حسنه الألباني رقم ٢٣٣٠ في صحيح الجامع.

(٢) فيض القدير (٢ / ٧٢١).

آداب المزاح

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن من عظمة هذا الدين وشموليته وسعته أنه ما ترك شيئًا في حياة المسلم إلا ونظمه ورتبه، وجعل له قواعد وضوابط يسير عليها ويلتزم بها، وذلك كله بأمر الله جل وعلا وهدي رسوله ﷺ، وإن مما يشتهر عند غير المسلمين ـ وبعض المسلمين للأسف أيضًا ـ أن دين الإسلام دين كبت وحبس للنفس، فلا ضحك ولا مزاح، ولا لهو ولا متعة.

ولكن شمولية الإسلام تأبى إلا أن تبيح الترويح عن النفس، بضوابط تضمن ألا يتعدى الترويح والمرح إلى الخصومات، فلذلك لزم أن نتحدث عن المزاح ضمن الآداب الإسلامية.

تعريف المزاح:

المزح والمزاح: الدعابة، وهو نقيض الجد[١]. فالمزاح: كلام يراد به المباسطة بحيث لا يفضي إلى أذى، فإن بلغ به الإيذاء فهو السخرية [٢].

---

(١) لسان العرب (٢ / ٥٩٣).

(٢) حاشية السندي على ابن ماجه (٧ / ١٢٢).

مشروعية المزاح:

كان الرسول ﷺ يمزح ويداعب أهله وأبناءه وأصحابه، ولكن لم يؤثر عنه الكثير في هذا المجال لاستيعاب الجد وقته كله، فقد ثبت في سنة النبي ﷺ أنه مزح، كما روى الترمذي رحمه الله عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال له: «**يا ذا الأذنين**» (١).

قال أبو أسامة الراوي: أي: يمازحه، وليس المقصود السخرية أو الاستهزاء، وإنما ممازحة منه ﷺ؛ لأن كل إنسان له أذنان، وهو حديث صحيح(٢).

فالمزاح مشروع، كما دل على ذلك سنة رسول الله ﷺ؛ ومن ذلك ما يلي:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله! إنك لتداعبنا! قال ﷺ: «**إني لا أقول إلا حقًّا** - وفي رواية: **إني لأداعبكم**» (٣).

٢ - وكان ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول: «**يازوينب! يا زوينب!**» مرارًا (٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١١٧، رقم ١٢١٨٥)، وأبو داود (٤/ ٣٠١، رقم ٥٠٠٢)، والترمذي (٤/ ٣٥٨، رقم ١٩٩٢)، وقال: صحيح غريب. والبيهقي (١٠/ ٢٤٨، رقم ٢٠٩٥٨). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٧/ ٩١، رقم ٤٠٢٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ٢٣٥، رقم ٢٢٢٤) جميعا أن النبي ﷺ قاله لأنس رضي الله عنه.

(٢) سنن الترمذي (٤ / ٣٥٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٠، رقم ٨٤٦٢)، والترمذي (٤/ ٣٥٧، رقم ١٩٩٠) وقال: حسن صحيح. وابن عساكر (٤/ ٣٦)، وابن السني (ص ١٥٨، رقم ٤٢٠)، والبيهقي (١٠/ ٢٤٨، رقم ٢٠٩٦٢) والبخاري في الأدب المفرد (ص ١٠٢، رقم ٢٦٥)

(٤) الأحاديث المختارة (٥ / ١٠٩)، والشمائل الشريفة (١ / ٣٧٤).

٣ - وقال أنس بن مالك ﷺ: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «**يا أبا عمير ! ما فعل النغير** [١]؟» [٢].

٤ - وكان النبي ﷺ يدلع لسانه للحسن بن علي ﵄، فيرى الصبي حمرة لسانه فيبهش إليه. أي: يسرع إليه بعد أن أعجب به [٣].

٥ - وعن أنس ﵁ أن رجلًا من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام، وكان يهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: «**إن زاهرًا باديتنا، ونحن حاضروه**» قال: وكان النبي ﷺ يحبه، وكان دميمًا، فأتاه النبي ﷺ يومًا، وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال: أرسلني! من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: «**من يشتري العبد ؟**»، فقال: يا رسول الله! إذًا والله تجدني كاسدًا، فقال الرسول ﷺ: «**لكن عند الله لست بكاسد**»، أو قال: «**لكن عند الله أنت غال**» [٤].

---

(١) **تصغير النغر** : وهو طائر صغير كالعصفور، الجمع نغران مثل : صرد وصردان، قاله الجوهري.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٧٠، رقم ٥٧٧٨) ، ومسلم (٣/ ١٦٩٢، رقم ٢١٥٠) .

(٣) الزهد لابن السري (٢ / ٦١٨)، و صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١٢/ ٤٠٨).

(٤) أخرجه البغوي (٢/ ٥١٨، ٩٠٢)، والبيهقي (٦/ ١٦٩، رقم ١١٧٢٤). وأخرجه أيضًا: أحمد (٣/ ١٦١، رقم ١٢٦٦٩)، قال الهيثمي (٩/ ٣٦٩): رجاله رجال الصحيح. وابن حبان (١٣/ ١٠٦، رقم ٥٧٩٠)، وأبو يعلى (٦/ ١٣٧، رقم ٣٤٥٦)، والبزار كما في

كذلك مزح الشعبي يومًا، فقيل له: يا أبا عمرو! أتمزح؟ قال: إن لم يكن هذا متنا من الغم[(١)].

قال أبو الفتح البستي[(٢)]:

أفـــد طبعـــك المكـــدود بالجـــد راحـــة
تـــراح، وعللـــه بـــشيء مـــن المـــزح
ولكـــن إذا أعطيتـــه المـــزح فلـــيكن
علـى قـدر مـا يعطـى الطعـام مـن الملـح

أنواع المزاح:

المزاح المحمود:

وضابطه كما قال ابن حبان: «هو الذي لا يشوبه ما كره الله ﷻ، ولا يكون بإثم ولا قطيعة رحم»[(٣)].

المزاح المذموم:

وضابطه كما قال ابن حبان أيضًا: «الذي يثير العداوة، ويُذهب البهاء،

كشف الأستار (٣/ ٢٧٢، رقم ٢٧٣٥).

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢ / ٢١٤).

(٢) أدب الدنيا والدين (١ / ٣٩٢)، و زهر الآداب وثمر الألباب (١/ ١٥٩)، والمنهج المسلوك في سياسة الملوك (١ / ٤٤٨)، ونهاية الأرب في فنون الأدب (٤ / ٧١).

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١ / ٧٧).

ويقطع الصداقة، ويجرئ الدنيء عليه، ويحقد الشريف به»[(١)].

الأهداف السامية في مزاح النبي ﷺ:

جاء في السنة النبوية صور كثيرة تذكر أن النبي كان يمازح أصحابه ويمازحونه، وهذا يفيد إباحة المزاح إذا خلا عن الحرام كالكذب والترويع. ومن صور مزاح النبي ما رواه جابر، قال: كان رسول الله إذا أتاه الوحي أو وعظ قلت: نذير قوم أتاهم العذاب، فإذا ذهب عنه ذلك رأيته أخلق الناس وجهًا وأكثرهم ضحكًا (تبسمًا) وأحسنهم بشرًا[(٢)].

لكن مزاح النبي ﷺ لم يكن للعبث أو لمجرد الترويح، بل كان جزءًا من تربيته لأصحابه، فمن أهداف مزاح النبي ﷺ:

١- المزاح للتحبب:

قدم صهيب رضي الله عنه على النبي ﷺ وبين يديه تمر وخبز قال: ادن فكل، فأخذ يأكل من التمر، فقال له النبي ﷺ: «**إن بعينك رمدًا**»، فقال: يا رسول الله: إنما آكل من الناحية الأخرى. فتبسم رسول الله ﷺ[(٣)].

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله احملني، قال النبي ﷺ: «**إنا حاملوك على ولد ناقة**»، قال: وما أصنع بولد الناقة؟! فقال

(١) المرجع السابق.

(٢) ذخيرة الحفاظ (٣ / ١٧٥٩)، وسير أعلام النبلاء (٦ / ٣١٥)، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٩/ ٢٧٨)، وقال الهيثمي: رواه البزار، وإسناده حسن.

(٣) أخرجه ابن عساكر (٢٤/ ٢٣١).

ﷺ: «**وهل تلد الإبل إلا النوق**» (١).

وعن أنس ﷺ قال: ربما قال لي النبي ﷺ: «**يا ذا الأذنين**» (٢).

ويقول عوف بن مالك الأشجعي ﷺ أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فسلمت، فرد وقال: «**ادخل**» فقلت: أكلي يا رسول الله؟ قال: «**كلك، فدخلت**» (٣). قال عثمان بن أبي العاتكة: إنما قال: «أدخل كلي» من صغر القبة (٤).

وبينما أسيد ﷺ يحدث القوم وكان فيه مزاح، بينما يضحكهم فطعنه النبي ﷺ في خاصرته بعود، فقال: أصبرني، فقال: «**اصطبر**» (٥)، قال: إن عليك قميصًا وليس علي قميص، فرفع النبي ﷺ عن قميصه فاحتضنه، وجعل يقبل كشحه، قال: إنما أردت هذا يا رسول الله (٦).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٧، رقم ١٣٨٤٤)، وأبو داود (٤/ ٣٠٠، رقم ٤٩٩٨)، والترمذي (٤/ ٣٥٧، رقم ١٩٩١) وقال: حسن صحيح غريب. والبيهقي (١٠/ ٢٤٨، رقم ٢٠٩٥٧). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٦/ ٤١٢، رقم ٣٧٧٦)، والضياء (٥/ ٢٦٩، رقم ١٨٩٩) وقال: إسناده صحيح.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٨٠، رقم ٣٧٣٨٢).

(٤) سنن أبي داود (٤ / ٣٠١)، وسنن البيهقي الكبرى (١٠/ ٢٤٨)، ومعجم جامع الأصول في أحاديث الرسول (٦/ ٥٨٤).

(٥) أصبرني من نفسك : أي أقدرني، ومكني من نفسك لأقتص منك، يقال : أصبره فاصطبر، أي : أقصه فاقتص.

(٦) أخرجه الطبراني (١/ ٢٠٥، رقم ٥٥٦)، و أخرجه ابن عساكر (٩/ ٩٢).

٢- المزاح للمواساة.

وعن أنس رضي الله عنه: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: «**يا أبا عمير ما فعل النغير**». وفي رواية لأحمد عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدخل على أم سليم ولها ابن من أبي طلحة يكنى: أبا عمير، وكان يمازحه فدخل عليه فرآه حزينًا فقال: «**مالي أرى أبا عمير حزينًا ؟**» فقالوا: مات نغره الذي كان يلعب به، قال: فجعل يقول: «**أبا عمير ما فعل النغير**»[(١)].

٣- المزاح من أجل التربية.

وفيه أن خوات بن جبير الأنصاري رضي الله عنه كان جالسًا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة، فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال: «**يا أبا عبد الله مالك مع النسوة؟**» فقال: يفتلن ضفيرًا لجمل لي شرود، فمضى رسول الله ﷺ لحاجته ثم عاد فقال: «**يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟**» قال خوات: فاستحييت وسكت، فكنت بعد ذلك أتفرر منه، حتى قدمت المدينة فرآني في المسجد يومًا أصلي، فجلس إلي فطولت، فقال: «**لا تطول فإني أنتظرك**»، فلما سلمت، قال: «**يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟**»، فسكت

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ٢٨٠، رقم ٢٠٨٨)، وأحمد (٣/ ١١٩، رقم ١٢٢٢٠)، والبخاري (٥/ ٢٢٧٠، رقم ٥٧٧٨) والترمذي (٢/ ١٥٤ رقم ٣٣٣) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (٦/ ٩١، رقم ١٠١٦٥)، وابن ماجه (٢/ ١٢٢٦ رقم ٣٧٢٠)، وأبو عوانة (١/ ٤٠٧، رقم ١٥٠١)، والطحاوي (٤/ ١٩٤)، وابن حبان (٦/ ٨٢، رقم ٢٣٠٨). وابن أبي شيبة (١/ ٣٥١، رقم ٤٠٤٢)، ومسلم (٣/ ١٦٩٢، رقم ٢١٥٠) وأبو داود (٤/ ٢٩٣ رقم ٤٩٦٩).

واستحييت فقام، وكنت بعد ذلك أتفرر منه حتى لحقني يومًا وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد. فقال: «**يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟**» فقلت: والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت، فقال: «**الله أكبر، الله أكبر، اللهم اهد أبا عبد الله**». قال: فحسن إسلامه وهداه الله (١).

صور من مزاح السلف الصالح رضوان الله عليهم:

ومما ورد في مزاح أصحاب النبي ﷺ ما رواه البخاري عن بكر بن عبد الله المزني قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يتمازحون حتى يتبادحون بالبطيخ، فإذا حزبهم أمر كانوا هم الرجال» (٢).

وهذا ليس فيه إهدار للنعمة، أو أنه يؤذي، بمعنى: أنه يضربه بشيء ثقيل، فلو أنه حصل في بعض المناسبات أن رماه بقشرته -مثلًا- دون أن يؤذيه فلا بأس، لكن المقصود أنه كان في بعض المواقف يحصل شيء من هذا، قد يكون في الأسفار عندما يكون الجو فيه تعب، فيكون المزاح في السفر مما يقبل، لأن في السفر شدة وعناء، والملاطفة والممازحة في السفر أوكد من الحضر، فيكون مقبولًا.

وسئل النخعي رحمه الله: هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون؟ قال: نعم، والإيمان في قلوبهم كالجبال الرواسي، والناس الآن قد يغرقون في الضحك،

(١) إحياء علوم الدين (٣ / ١٣٠)، والمراح في المزاح (١ / ٥٣)، قال الهيثمي: رواه الطبراني من طريقين، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير الجراح بن مخلد، وهو ثقة.

(٢) الأدب المفرد (١ / ١٠٢).

لكن ما عندهم إيمان لا مثل الجبال الرواسي ولا مثل القدور الرواسي[١].

وكذلك فإنه قد جاء في مزاح عدد من السلف آثار، فمن ذلك: ما رواه ابن أبي المليح، عن أبيه، قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: «إني ليعجبني أن يكون الرجل في أهله مثل الصبي، فإذا أريد منه حاجة وجد رجلًا » [٢]. أي: أنه يكون عنده تواضع لأهله، ولين ورفق، ولكن إذا كانت حاجة المرأة إلى رجل كان رجلًا.

وكذلك مما جاء عن عيينة بن حصن ﷺ أنه شكا إلى نعيمان -و نعيمان كان فيه طرافة- صعوبة الصيام، فقال: صم الليل، فروي أن عيينة دخل على عثمان وهو يفطر في شهر رمضان، فقال: العشاء، فقال: أنا صائم، فقال عثمان: الصوم بالليل، فقال: هو أخف عليّ، فيقال: إن عثمان قال: هذه إحدى هنات نعيمان -وكبير السن الذي لا يستطيع أن يصوم يشرع له الإفطار ويطعم: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[٣].

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «لا بأس بالمفاكهة، يخرج بها الرجل عن حد العبوس» [٤].

---

(١) التذكرة الحمدونية (٩ / ٣٦٥)، وشرح نهج البلاغة (٦ / ٢٠٣)، والمستطرف في كل فن مستظرف (٢/ ٥٠٥)، والمراح في المزاح (١ / ٥٧).

(٢) شرح السنة (١٣/ ١٨٣)، والمراح في المزاح (١/ ٦٠).

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٤، والأثر موجود في نثر الدر في المحاضرات (٢ / ١٠٣)، والمراح في المزاح (١/ ٦٥).

(٤) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (١/ ٣٤٦)، والمراح في المزاح (١/ ٦٧).

أحيانًا تكون هناك للممازحة مناسبات، وتكون مؤكدة ومقبولة، كأن يكون هناك رجل عابس أو مقطب، فالإنسان يمازحه ليذهب عنه تقطيبه أو عبوسه، وقد ورد أن عمر بن الخطاب ﷺ لما دخل على النبي ﷺ، والنبي عليه الصلاة والسلام مهموم وفيه غم بسبب ما حصل مع زوجاته، قال عمر ﷺ: «أردت أن أقول شيئًا أضحك به النبي ﷺ » [(١)]. فهو تقصد ذلك في هذه المناسبة.

وكذلك روي أن عليًا ﷺ جاءه رجل يشكو إليه، يقول: إني احتلمت على أمي -أي: إني رأيت أني أزني بأمي- فقال: أقيموه بالشمس واضربوا ظله حد الزنا [(٢)]. كأنه يقول: أنا مهموم، وحصلت لي مصيبة: رأيت في المنام أني وقعت على أمي، ماذا أفعل؟ ما هو الحكم الآن؟ وعلي ﷺ معروف في القضاء، قال: أقيموه في الشمس، واجلدوا ظله، تخفيفًا عن الرجل.

وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال: مضيت مع صاحب لي نزور سلمان، فقدم إلينا خبز شعير وملحًا جريشًا، فقال صاحبي: لو كان في هذا الملح زعتر كان أطيب، فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد الله الذي قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة [(٣)]. -أي: من أجل أن

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ١١٠٥، رقم ١٤٧٩)، وأبو يعلى (١/ ١٤٩، رقم ١٦٤). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (٩/ ٤٩٦، رقم ٤١٨٨)، وأبو عوانة (٣/ ١٦٣، رقم ٤٥٧٢).

(٢) أدب الدنيا والدين (١ / ٣٩٣)، والمراح في المزاح (١ / ٦٨)، وفيض القدير (٣/ ١٣).

(٣) قوت القلوب (٢ / ٣٠٥)، وتاريخ جرجان (١ / ١٦١)، والمعجم الكبير (٦ / ٢٣٥)، والمستدرك على الصحيحين (٤/ ١٣٦).

آتي لك بالزعتر رهنت مطهرتي، لأنه ليس عندي قيمة الزعتر-، وأنت تتمنى الزعتر على صاحب البيت، فتسبب ذلك أن المطهرة [١] مرهونة الآن من أجلك.

وكذلك جاء من الطرف عن الشعبي - والشعبي من العلماء الكبار-، لكن كان مزاحًا- فمما جاء عن الشعبي أنه سئل عن المسح على اللحية؟ فقال: خللها بالأصابع، قال: أخاف ألا تبلها- فبعض العلماء المفتين قد يمزح مع السائل مزحة، لكن لها معنى ومغزى، وليست فقط للضحك- قال: أخاف ألا تبلها -هذا تنطع- قال الشعبي رحمه الله: إن خفت، فانقعها من أول الليل!! [٢].

وسأله آخر: هل يجوز للمحرم أن يحك بدنه؟ قال: نعم. قال: مقدار كم؟ قال: حتى يبدو العظم [٣]. وروى الشعبي حديثًا: «**تسحروا ولو بأن يضع أحدكم أصبعه على التراب ثم يضعها في فيه**» فقال رجل: أي الأصابع؟ فتناول الشعبي إبهام رجله، وقال: هذه [٤].

وقال رجل: ما اسم امرأة إبليس؟ قال الشعبي: ذاك نكاح ما شهدناه[٥].

---

(١) المطهرة: الإناء الذي يستعمل في صب الماء للتطهر.

(٢) ذم الثقلاء (١/ ٥٣)، ونثر الدر في المحاضرات (٢ / ١٠٥)، وربيع الأبرار (١/ ١٠٧)، وأخبار الظراف والمتماجنين (١/ ٦٢).

(٣) نثر الدر في المحاضرات (٢/ ١٠٥)، والتذكرة الحمدونية (٩ / ٣٦٨).

(٤) نثر الدر في المحاضرات (٢/ ١٠٥)، وربيع الأبرار (١/ ١٠٧)، والمراح في المزاح (١ ٨٦).

(٥) الحيوان (٦ / ١٦٩)، ونثر الدر في المحاضرات (٢/ ١٠٥)، وأدب الدنيا والدين (١/ ٣٩٣)، والمراح في المزاح (١/ ٨٦).

ووقع مرة بين الأعمش وامرأته وحشة، فسأل بعض أصحابه أن يصلح بينهما، فقال هذا الصاحب لزوجة ذاك محاولًا تلطيف ما بينهما، قال: هذا سيدنا وشيخنا أبو محمد، فلا يزهدنك فيه عمش عينيه، وحموشة ساقيه، وضعف ركبتيه، وقزل رجليه، وجعل يصف!! فقال الأعمش: قم عنا، فقد ذكرت لها من عيوبي ما لم تكن تعرفه [(١)].

وجاء رجل إلى أبي حنيفة رحمه الله، فقال له: إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال له: الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تسرق [(٢)].

ضوابط المزاح:

وللمزاح حدودٌ وضوابطُ، فقد سئل بعض السلف عن مزاح النبي ﷺ فقال: كانت له المهابة العظمى، فلو لم يمازح الناس لما طاقوا – أي الصحابة – الاجتماع به والتلقي عنه ﷺ، وكان يمزح ولا يقول إلا حقًا»، فمن ضوابط المزاح ما يلي:

عدم الإفراط في المزاح:

فمزاح النبي ﷺ لم يكن فيه إغراق في الضحك، بل كان مزاحا معتدلا. فإن الإكثار من المزاح يسقط الهيبة ويوقع في الخطأ ولا بد، والمتأمل لسيرة

(١) غرر الخصائص الواضحة (١/ ١٢٧)، والمراح في المزاح (١ / ٨٨).

(٢) المراح في المزاح (١/ ٨٩).

رسول الله ﷺ يجد أنه كان يمزح أحيانًا ولا يكثر منه. فلا ينبغي للإنسان أن يكثر من المزاح حتى يعرف بذلك.

قال ابن حجر: إن المنهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله، والتفكر في مهمات الدين، ويؤول كثيرًا إلى قسوة القلب والإيذاء، والحقد، وسقوط المهابة والوقار، والذي يسلم من ذلك هو المباح، فإن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب ومؤانسته فهو مستحب [(١)].

ألا يكون بكذب:

ولذلك إذا تأملت الأحاديث التي ذكرناها في مزاح النبي ﷺ مع أصحابه تجد كل ما كان يمزح به النبي ﷺ كلمات ليس فيها كذب. كقوله ﷺ: «**إنا حاملوك على ولد الناقة**» [(٢)]. وما ولد الناقة: إنه الجمل. وقوله لأنس ﵁: «**يا ذا الأذنين**» [(٣)]. فأنس ﵁ له أذنان، وكل الناس كذلك.

وهكذا يكون المزاح بغير كذب أو افتراء، وكم يحدث اليوم من الكذب في اختراع قصص وحكايات لا أصل لها ولا صحة لها لأجل إضحاك الناس، وقد صح الحديث بالتهديد للذي يفعل ذلك عن النبي ﷺ، حيث ورد عند أبي داود والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له**»[(٤)].

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٥٢٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٥، رقم ٢٠٠٥٨)، وأبو داود (٤/ ٢٩٧، رقم ٤٩٩٠)، والترمذي

ألا يكون فيما يتعلق بالدين:

وذلك بألا يكون فيها استهزاء بشيء من الدين، كالاستهزاء بالكتاب العزيز، أو بأحاديث النبي ﷺ، أو بالملائكة، فبعض النكت مذكور فيها استهزاء بالملائكة، أو الجنة والنار، أو عذاب القبر.

وهذا للأسف يحصل من بعض الناس هداهم الله، فقد وجد في أيامنا هذه ما تسمى بالنكات أو الطرف حول الملائكة والأنبياء أو القرآن والأحاديث، وهذا من أخطر ما يكون، حيث إن هذا الفعل كفر مخرج من الملة عياذًا بالله.

ألا يكون فيه انتقاص من قدر الآخرين بسخرية أو استهزاء:

ومن ضوابط المزاح في الإسلام ألا يكون فيه إيذاء للغير، سواء كان إيذاءً بدنيًّا أو شعوريًّا. قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا﴾[1]. فهذه الأمور فيها إيذاء شعوري للمؤمنين، وقد يصل إلى الإيذاء البدني، فحرمها الله منعًا لذلك.

واليوم تكثر التجاوزات في هذا الجانب بحجة المزاح، فتجد البعض ما إن يعلم أن أخاه يغضب من شيء معين حتى يكثر المزاح معه فيما يغضبه قاصدًا إغضابه. وهذا أمر محرم.

(٤/ ٥٥٧، رقم ٢٣١٥) وقال: حسن. والطبراني (١٩/ ٤٠٣، رقم ٩٥١)، والحاكم (١/ ١٠٨، رقم ١٤٢). والدارمي (٢/ ٣٨٢، رقم ٢٧٠٢)، وهناد (٢/ ٥٥٤، رقم ١١٥٠)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥٠٩، رقم ١١٦٥٥).

(١) سورة الحجرات: الآية ١٢.

ألا يضر بشخصه بين الناس:

فعلى المرء ألا يجعل من نفسه مضحكة أو مهرجًا للقوم، حتى إذا أراد أحد أن يضحك -كما يقولون- يأتي إلى هذا المهرج، ويقولون: ما هو آخر شيء عندك؟ أعطنا موقفًا، وللأسف صار هذا مشهورا بين الناس، حتى أنه صار كالواجبات، فأصبح في كثير من المقابلات الجادة مع بعض المؤولين أو المشايخ يكون فيها سؤال، مثل أن يقول: اذكر لنا موقفًا طريفًا مر بك؟

ألا يخل بتوقير أهل الهيبة:

وذلك بألا يمازح مع الكبير والعالم بما لا يليق بمقامه أن تمازحه في هذا المجال، فيجب التفريق بين ما يمكن أن يمازح شخص صديقه وما يمكنه من ممازحة أصحاب الشأن والهيبة والوقار.

أن يراعي شعور الآخرين:

لأنه قد يأتي بمزحة لكن تجرح شعور الذي أمامه، فيجب على الإنسان أن يكون أديبًا يراعي مشاعر الخلق، وإذا أراد أن يمازح أحدا ألا يزعجه ولا يجعله يغضب منه، وليست القضية إضحاك أكبر عدد في المجلس، ولو كان فيها إيذاء للآخرين، وكثير من المزحات يكون فيها ضحايا، يعني: ضحك من في المجلس، لكن صار بينك وبين الذي مزحت به ضغينة.

وهذا موجود في كثير من النكت وطرائف الناس، وربما قام من المجلس وقد خاصمهم وهجرهم، أو لم يكلمه إذ جعل منه أضحوكة في المجلس، وهذا يقع كثيرًا، وهذا لا شك أنه إيذاء للمؤمنين، وإيذاء المؤمنين حرام وسخرية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن

﴿نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾[1]. وبعض الناس متخصص في هذه القضية، المسألة أنه كيف يجعل الآخرين أضحوكة كيف يهزأ بهم في المجلس، كيف يجعلهم مضحكة في الناس، وهذا حرام لا يجوز.

ألا يكون فيه فحش:

بعض النكت التي تُسمى عند العوام نكتًا هي عبارة عن قلة حياء، وقلة أدب وبذاءة، وتكون قبيحة، وهي كثيرة جدًّا ومنتشرة بين الناس في المجالس، كل الطرف التي يأتون بها متعلقة بالعورات المغلظة، وربما بلغت البذاءة ببعضهم أن يأتيك بطرفة فيما يتعلق بجماع الرجل بزوجته، أو ما يكون بينهما من الأشياء، والله لا يحب الجهر بالسوء من القول، ولم يكن النبي ﷺ فاحشًا أو متفحشًا.

ألا يكون فيه ترويع للمسلمين:

عدم الترويع وعدم الإضرار به، فلا يأتي شخص ويخطف مفتاح سيارة شخص آخر أو يسرق، أو يأخذ منه شيئًا ثمينًا، فهذا فيه ترويع وخوف، وربما يبلغ الشرطة، ويحصل ما لا تحمد عقباه.

أن يكون في الوقت المناسب:

فلا يكون -مثلًا- في وقت الوعظ، أو التذكير بالموت، أو جلسة علم وجِدٍّ، ويأتي في منتصف هذا الجو العلمي أو الوعظي من يلقي بطرفة، فهذا من أسوأ ما يمكن أن يحدث في مجالس العلم.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١١.

ألا يكون فيه غيبة:

الغيبة وحليفتها النميمة كلتاهما تصبان في مستنقع الفتنة، ولا يخلو مَنْ كَثُرَ مزاحه من هذه الآفة العظيمة؛ لأن من كثر كلامه كثر سقطه، فهو لا يشعر أنه وقع في الإثم أصلًا؛ لأنه - في زعمه - إنما يقول في فلان مازحًا غير قاصد ذلك. ولم يعِ تعريف النبي ﷺ للغيبة بقوله: «**ذكرك أخاك بما يكره**» (١).

وقد أورد الترمذي في سننه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول: اتق الله فينا؛ فإنما نحن بك: فإن استقمتَ استقمنا، وإن اعوججتَ اعوججنا**» (٢).

عواقب كثرة المزاح:

الإفراط في المزاح يؤدي إلى كثرة الضحك التي تميت القلب:

قال ﷺ: «**ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**» (٣). ولما

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٨٤، رقم ٨٩٧٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٠١، رقم ٢٥٨٩)، وأبو داود (٤/ ٢٦٩، رقم ٤٨٧٤)، والترمذي (٤/ ٣٢٩، رقم ١٩٣٤)، وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضًا: الدارمي (٢/ ٣٨٧، رقم ٢٧١٤) والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٦٧، رقم ١١٥١٨)، وابن حبان (١٣/ ٧٢، رقم ٥٧٥٩)، وأبو يعلى (١١/ ٣٧٨، رقم ٦٤٩٣).

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٢٩٣، رقم ٢٢٠٩)، وعبد بن حميد (ص ٣٠٢، رقم ٩٧٩)، والترمذي (٤/ ٦٠٥، رقم ٢٤٠٧). وأبو يعلى (٢/ ٤٠٣، رقم ١١٨٥)، وابن السني (ص ١١، رقم ١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٤٣، رقم ٤٩٤٥). وأخرجه أيضًا: أحمد (٣/ ٩٥، رقم ١١٩٢٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٠، رقم ٨٠٨١)، والترمذي (٤/ ٥٥١، رقم ٢٣٠٥)، وقال: غريب، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٧٨، رقم ٩٥٤٣). وأخرجه البيهقي في شعب

نظر وهيب بن الورد رحمه الله إلى قوم يضحكون في عيد فطر قال: إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين[(١)].

المزاح يؤدي إلى الغفلة:

والمسلم يحتاج إلى قلب حي لا تتسرب الغفلة إليه، في صراعه مع الشيطان، فقد أقسم الشيطان على غوايتنا: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[(٢)].

والغفلة هي صفة الكافرين، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾[(٣)]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾[(٤)].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[(٥)].

الإيمان (٥/ ٥٣، رقم ٥٧٥٠). وابن ماجه (٢/ ١٤١٠، رقم ٤٢١٧)، قال البوصيري (٤/ ٢٤٠): هذا إسناد حسن. وأبو يعلى (١٠/ ٢٦٠، رقم ٥٨٦٥)، والقضاعي (١/ ٢١٥، رقم ٣٨٥).

(١) الشكر (١ / ١٤)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨ / ١٤٩)، وشعب الإيمان (٣/ ٣٤٦).

(٢) سورة ص: الآيتان ٨٢ – ٨٣.

(٣) سورة الطور: الآيتان ١١ - ١٢

(٤) سورة الزخرف: الآية ٨٣.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٩١.

وفي يوم القيامة يقال لهم: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ (١). فكان من جوابهم: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ (٢).

وقال محمد بن واسع رحمه الله: «إذا رأيت رجلًا في الجنة وهو يبكي ألست تعجب من بكائه؟ قيل: بلى. قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه» (٣).

قد يضيع الهيبة:

فقد يؤدي المزاح حال كثرته إلى قلة الهيبة، أو اجتراء السفهاء على المازح، قال عمر رضي الله عنه: «من مزح استخف به» (٤). وقال محمد بن المنكدر رحمه الله: قالت لي أمي: «يا بني لا تمازح الصبيان فتهون عندهم» (٥).

وعن سعيد بن العاص رضي الله عنه أنه قال: «لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيء فيجترئ عليك» (٦).

---

(١) سورة المدثر: الآية ٤٢.

(٢) سورة المدثر: الآية ٤٥.

(٣) إحياء علوم الدين (٣/ ١٢٨).

(٤) الصمت وآداب اللسان (١/ ٢١٠)، وإحياء علوم الدين (٣ / ١٢٨)، ومختصر تاريخ دمشق (٤/ ٢٦)، وآداب العلماء والمتعلمين (١ / ٧).

(٥) مسند ابن الجعد (١/ ٢٥٥)، والصمت وآداب اللسان (١ / ٢٠٩)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ١٥٣).

(٦) الأمثال لابن سلام (١/ ١٢)، وأنساب الأشراف (٤/ ١٦٦)، والمجالسة وجواهر العلم (١/ ١٥٢)، وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١/ ٧٧).

وقال الحسين بن عبد الرحمن: كان يقال: «المزاح مسلبة للبهاء، مقطعة للإخاء» [(١)].

وقد يسبب المزاح شيئًا من الضغينة:

مما يكون المازح معه مذمومًا، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «اتقوا الله، وإياكم المزاح، فإنه يورث الضغينة، ويجر إلى القبيح، فحدثوا بالقرآن وتجالسوا به، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال» [(٢)].

وقال خالد بن صفوان رحمه الله: كان يقال: لكل شيء بذر، وبذر العداوة المزاح.

قد يجر إلى الحرام من القول:

فيصبح المزاح حرامًا إذا صاحبه مخالفة شرعية، مما سبق التنبيه عليه، ومنه الترويع، وفيه أن أصحاب رسول الله كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ في مسير، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى نبل معه فأخذها، فلما استيقظ الرجل فزع، فضحك القوم، فقال: «**ما يضحككم؟**» فقالوا: لا، إلا أنا أخذنا نبل هذا ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا**» [(٣)].

---

(١) الصمت وآداب اللسان (١/ ٢١٢)، وإحياء علوم الدين (٣ / ١٢٨)، وفيض القدير شرح الجامع الصغير (٣/ ١٤)، وموعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (١/ ٢٩٠).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ١٢٨).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٢، رقم ٢٣١١٤)، وأبو داود (٤/ ٣٠١، رقم ٥٠٠٤)، والبيهقي

وقال ﷺ: «**لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه جادًّا ولا لاعبًا، وإذا وجد أحدكم عصا صاحبه فليردها عليه**»[(١)].

المزاح الذي قد يؤدي إلى الإضرار بالمزوح معه:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ: «**لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار**»[(٢)]. وفي مسلم: «**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»[(٣)].

المزاح قد تُنتهك فيه حدود الله:

فقد يمتد المزاح إلى باب كبير من أبواب الكبائر، كالاستهزاء ببعض القرآن، أو النبي، أو الأحكام الفقهية، أو العلماء، كما وقع من بعض المنافقين يوم تبوك حين استهزءوا برسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، فنزل: ﴿ وَلَئِن

(١٠/ ٢٤٩، رقم ٢٠٩٦٦). وهناد (٢/ ٦٢٤، رقم ١٣٤٥).

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢١، رقم ١٧٩٦٩)، وأبو داود (٤/ ٣٠١، رقم ٥٠٠٣)، والترمذي (٤/ ٤٦٢، رقم ٢١٦٠)، وقال: حسن غريب. والطبراني (٢٢/ ٢٤١، رقم ٦٣٠)، والحاكم (٣/ ٧٣٩، رقم ٦٦٨٦)، والبيهقي (٦/ ٩٢، رقم ١١٢٧٩). وأخرجه أيضًا: الطيالسي (ص ١٨٤، رقم ١٣٠٢)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/ ٣٢٥، رقم ٢٨٦٧)، وعبد بن حميد (ص ١٦٢، رقم ٤٣٧)، والطحاوي (٤/ ٢٤٣).

(٢) حديث أبي هريرة: أخرجه أحمد (٢/ ٣١٧، رقم ٨١٩٧)، والبخاري (٦/ ٢٥٩٢، رقم ٦٦٦١)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٠ رقم ٢٦١٧).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢٠، رقم ٢٦١٦)، والترمذي (٤/ ٤٦٣، رقم ٢١٦٢) وقال: حسن صحيح غريب.

سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[١].

بعض الوسائل العلاجية للحد من كثرة المزاح والضحك [٢]:

١- تذكر أحوال الآخرة وقرب الأجل.

٢- التفكر بالعرض الذي من أجله خلقنا.

٣- الالتزام بالضوابط النبوية في المزاح.

٤- استغلال الفراغ بالأعمال النافعة المباحة.

٥- مصاحبة الأخيار وطلبة العلم الشرعي.

إضاءة مهمة: خطورة الاستهزاء بالدين:

حصل في زمن النبي ﷺ في غزوة تبوك، عندما كان رسول الله ﷺ سائرًا للقتال، تكلم بعض المنافقين بكلام زعموا أنه لعب ومزاح، فأنزل الله فيهم قرآنًا يتلى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[٣].

قال أبو معشر المديني [٤]: عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونًا، وأكذبنا ألسنة،

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦٥.

(٢) الإيضاح في بيان أحكام المزاح – الحمد – ١٠٠ – كتيب.

(٣) سورة التوبة: الآية ٦٥.

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ١٧٢)، وتفسير الطبري (١٠/ ١٧٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٩).

وأجبننا عند اللقاء. فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، فجاء إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب. فقال: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾[1]. وإن رجليه لتسفعان الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ، وهو متعلق بنسعة رسول الله ﷺ.

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المسجد: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، ونزل القرآن، فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ الآية. ا.هـ.

وهكذا يتبين أن المزاح والاستهزاء بشرع الله كفر لا يجوز فعله.



(١) سورة التوبة: الآيتان ٦٥ – ٦٦.

آداب المسجد

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن ما يجري الآن في بعض المساجد من مخالفات شرعية لأحكامها وآدابها لمما يحزن له من فقِه دين الله ﷻ، واطلع على سنة نبيه ﷺ، لذا آثرت أن أضم إلى هذا الكتاب فصلا عن آداب المساجد، راجيًا من الله ﷻ أن ينفع به.

فضل المساجد:

جاءت الشريعة مبينة فضل المساجد، ومن ذلك أن الله ﷻ أضافها إلى نفسه، كما في قوله ﷻ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾[(١)]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[(٢)].

كما أنها أحب الأرض إليه ﷻ، كما قال ﷺ: «**أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**»[(٣)]، وليس ذلك إلا لأن المسجد يذكر الحبيب، والسوق يشغل عنه.

---

(١) سورة الجن: الآية ١٨.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٨.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٤٦٤، رقم ٦٧١)، وابن حبان (٤/ ٤٧٧، رقم ١٦٠٠).

فضل بنائها وتعميرها:

لما كانت المساجد أحب البلاد إلى الله ﷻ، لم يكن غريبًا أن يرصد لبنائها الأجور العظام، كما في قوله ﷺ: «**من بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً في الجنة**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتاً في الجنة**»(٢).

وكما جاءت الشريعة حاثة على بناء المساجد، جاءت تحث على محبتها وتقديرها، والنظر إليها بعين التكريم والتعظيم والتقديس والاحترام، لأنها بيوت الله ﷻ التي بنيت لذكره وعبادته، وتلاوة كتابه وأداء رسالته، ونشر تعاليمه وتبليغ منهجه، وتعارف أتباعه ولقائهم على مائدة العلم والحكمة ومكارم الأخلاق.

فقد قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾(٣).

وقال ﷻ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾(٤).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٢٤٣، رقم ٧٣٧)، و الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (٢/ ٨) قال الهيثمي: فيه كثير بن عبد الرحمن ضعفه العقيلي وذكره ابن حبان في الثقات. والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٨١، رقم ٢٩٣٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٧٥، رقم ٣١٥٦)، والطيالسي (ص ٦٢، رقم ٤٦١)، وابن حبان (٤/ ٤٩١، رقم ١٦١١)، والطبراني في الصغير (٢/ ٢٤٦، رقم ١١٠٥).

(٣) سورة الحج: الآية ٣٢.

(٤) سورة النور: الآيتان ٣٦ – ٣٧.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**المسجد بيت كل تقيّ، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح، والرحمة، والجواز على الصراط إلى رضوان الله، إلى الجنة**»(١).

وفي منازل القيامة، وكربات مواقفها، وأهوال مشاهدها، يكون أهل المساجد في ظل عرش الرحمن، آمنين مطمئنين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله ـ وعد منهم ـ ورجل قلبه معلق بالمساجد**»(٢).

ولا شك أن أعظم هذه الأجور والفضائل، وأفضل هذه الأعطيات، أن يذيقه الله تعالى لذة قربه وحلاوة مناجاته، وأن يمنحه شهادة الإيمان. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان، قال الله تعالى:** ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ....الآية»(٣).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢١٤)، وابن عساكر (٤٧/ ١٥٣)، وعبد الرزاق عن معمر في الجامع (١١/ ٩٦، رقم ٢٠٠٢٩)، وهناد في الزهد (٢/ ٤٧١، رقم ٩٥١)، وخيثمة في جزء من حديثه (ص ٧١)، والطبراني في الأوسط (٧/ ١٥٨، رقم ٧١٤٩)، والخطيب (٨/ ٣٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٣٤، رقم ٦٢٩)، ومسلم (٢/ ٧١٥، رقم ١٠٣١).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٧٦، رقم ١١٧٤٣)، والترمذي (٥/ ٢٧٧، رقم ٣٠٩٣) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (١/ ٢٦٣، رقم ٨٠٢)، وابن خزيمة (٢/ ٣٧٩، رقم ١٥٠٢)، وابن حبان (٥/ ٦، رقم ١٧٢١)، والحاكم (٢/ ٣٦٣، رقم ٣٢٨٠) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٧)، والبيهقي (٣/ ٦٦، رقم ٤٧٦٨).

ثم يصله تعالى بنعمة الجنة، وما أعده له فيها من نعيم مقيم، وفضل عميم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من غدا إلى المسجد أو راح، أعدّ الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح**»[١].

العناية بنظافة المساجد وتطييبها:

وذلك بالمحافظة على نظافة المسجد وعدم إلقاء القاذورات ولأوساخ فيه، تعظيمًا لشأنه، قال تعالى: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ**﴾[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب**»[٣]، ولفظ أبي داود: «**كان يأمرنا بالمساجد أن نصنعها في دورنا ونصلح صنعتها ونطهرها، وكان عبد الله يجمر المسجد إذا قعد عمر على المنبر**»[٤].

فيجب أن يكون نظيفًا وأن نتعهده بالنظافة والعناية وخاصة يوم الجمعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رجلا أسود أو امرأة سوداء كان يَقُمّ المسجد فمات، فسأل عنه النبي ﷺ فقالوا: مات، قال: «**أفلا كنتم آذنتموني به؟**»، دلوني

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٣٥، رقم ٦٣١)، ومسلم (١/ ٤٦٣، رقم ٦٦٩).

(٢) سورة الحج: الآية ٣٠.

(٣) أخرجه ابن حبان (٤/ ٥١٤، رقم ١٦٣٤)، وأحمد (٦/ ٢٧٩)، وأبو داود (٤٥٥)، والترمذي (٥٩٤).

(٤) أخرجه أبو داود (١/ ١٧٤)، وصححه الألباني.

على قبره، أو على قبرها، فأتى القبر فصلى عليه»[١].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للأعرابي الذي بال في طائفة المسجد: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله تعالى والصلاة وقراءة القرآن**»[٢].

كما قال ﷺ: «**إذا تنخم[٣] أحدكم فليغيب نخامته أن تصيب جلد مؤمن أو ثوبه فتؤذيه**»[٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا قام أحدكم في الصلاة فلا يبزقن أمامه فإنه يناجيه الله تبارك وتعالى مادام في مصلاه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكا، وليبصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها**»[٥].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد**»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٤٤٨، رقم ١٢٧٢).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٢٣٦، رقم ٢٨٥).

(٣) **النُّخامة**: البصاق الغليظ.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ١٧٩، رقم ١٥٤٣)، وأبو يعلى (٢/ ١٣١، رقم ٨٠٨)، قال الهيثمي (٢/ ١٨): رواه أحمد وأبو يعلى، ورجاله مُوثَّقون. وابن خزيمة (٢/ ٢٧٧، رقم ١٣١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٥١٦، رقم ١١١٧٩)، والضياء (٣/ ١٩٦، رقم ٩٩١).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ١٥٩، رقم ٣٩٧)، ومسلم (١/ ٣٩٠، رقم ٥٥١).

(٦) أخرجه أبو داود (١/ ١٢٦، رقم٤٦١)، والترمذي (٥/ ١٧٨، رقم ٢٩١٦) وقال: غريب. ثم قال: وذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه واستغربه. وابن خزيمة (٢/ ٢٧١، رقم ١٢٩٧)، والبيهقي (٢/ ٤٤٠، رقم ٤١١٠).

ومن ذلك تنزيه المسجد أن يدخله مَن أكل ثومًا أو بصلًا، فعن جابر ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا**»(١).

وإنه لمن المؤسف حقًّا أن تجد كثيرًا من الناس تهاون في أكلهما ويحضر إلى الصلاة بالمسجد ويكاد من بجواره أن يقطع صلاته ويبتعد عنه!!

من سنن الذهاب إلى المساجد والمكث فيها:

الدعاء عند التوجه إليها:

يسن الدعاء حين التوجه إلى المسجد بما يأتي:

قالت أم سلمة ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته قال: «**بسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي**»(٢).

وعن أنس ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**من قال إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. يقال له: حسبك!..هديت، وكفيت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٩٢، رقم ٨١٧)، ومسلم (١/ ٣٩٤، رقم ٥٦٤).

(٢) قال الإمام النووي في (الرياض: ١ / ٤٦): قال الترمذي: حديث حسن صحيح، و هذا لفظ أبي داود. وقال: رواه أبو داود والترمذي و غيرهما بأسانيد صحيحة.

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٢٥، رقم ٥٠٩٥)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٦، رقم ٩٩١٧)، وابن السني (ص ٧٥، رقم ١٧٧)، وابن حبان (٣/ ١٠٤، رقم ٨٢٢)، والضياء (٤/ ٣٧١، رقم ١٥٣٩). والترمذي (٥/ ٤٩٠، رقم ٣٤٢٦) وقال: حسن صحيح غريب.

وعن ابن عباس أن النبيﷺ خرج إلى الصلاة، وهو يقول: «**اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي بصري نورا، وفي سمعي نورا، وعن يميني نورا، وخلفي نورا وفي عصبي نورا، وفي لحمي نورا، وفي دمي نورا، وفي شعري نورا، وفي بشري نورا**».

وفي رواية لمسلم: «**اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي لساني نورا، واجعل في سمعي نورا، وفي بصري نورا، واجعل من خلفي نورا، ومن أمامي نورا، واجعل من فوقي نورا، ومن تحتي نورا: اللهم أعطني نورا**»(١).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا خرج الرجل من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله عليه بوجهه حتى يقضي صلاته**»(٢).

الدخول إلى المسجد بسكينة ووقار :

لما ورد عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : «بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى، قال: «**ما شأنكم؟**» قالوا: استعجلنا إلى الصلاة، قال ﷺ: «**فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة، فما أدركتم فصلوا،**

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٢٧، رقم ٥٩٥٧)، ومسلم (١/ ٥٢٩، رقم ٧٦٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢١، رقم ١١١٧٢). والبغوي في الجعديات (١/ ٢٩٩، رقم ٢٠٣١).

وما فاتكم فأتموا»(١)، والمطلوب من المسلم أن يحافظ على هذا الوقار، وهو بداخل المسجد، ولا يرفع صوته بكلام ولا جلبة، تقديسًا لبيت الله، ولئلا يسبب تشويشًا للمصلين، أو قارئي القرآن، أو غيرهم من روّاد المسجد .

الدعاء عند دخولها وعند الخروج منها:

ويسن لمن أراد دخول المسجد أن يدخل برجله اليمنى، ويقول: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم» (٢)، «بسم الله» (٣)، « والصلاة والسلام على رسول الله» (٤)، «اللهم افتح لي أبواب رحمتك» (٥).

وإذا أراد الخروج خرج برجله اليسرى، ويقول: «بسم الله، اللهم صل على محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك، اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم» (٦).

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٢٨، رقم ٦٠٩)، ومسلم (١/ ٤٢١، رقم ٦٠٣).

(٢) أبو داود وانظر صحيح الجامع برقم ٤٥٩١ .

(٣) رواه ابن السني برقم ٨٨ وحسنه الألباني .

(٤) أبو داود ١ / ١٢٦ وانظر صحيح الجامع ١ / ٥٢٨ .

(٥) مسلم (١ / ٤٩٤) . وفي سنن ابن ماجه من حديث فاطمة ﵂ « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » وصححه الألباني ﵀ لشواهده انظر صحيح ابن ماجه (١ / ١٢٨ – ١٢٩).

(٦) انظر تخريج روايات حديث دعاء دخول المسجد، وزيادة « اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم » لابن ماجه . انظر صحيح ابن ماجه (١ / ١٢٩) .

تحية المسجد:

روى الجماعة عن أبي قتادة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إذا جاء أحدكم المسجد فليصل سجدتين من قبل أن يجلس**»[(١)].

ويصلي الداخل ركعتين تحية المسجد ولو كان الإمام يخطب لما روى مسلم في صحيحه عن جابر ﵁ أن النبي ﷺ قال : «**إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليصل ركعتين وليتجوز فيهما**»[(٢)].

وهذا نص صريح في المسألة لا يجوز لأحد أن يخالفه[(٣)].

يستحب الإكثار من ذكر الله تعالى والتسبيح والتهليل والتكبير:

وغيرها من الأذكار ويستحب الإكثار من قراءة القرآن، ومن المستحب فيه قراءة حديث رسول الله ﷺ، وعلم الفقه، وسائر العلوم الشرعية قال الله ﷻ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[(٤)].

من المباحات في المسجد:

الكلام في المسجد:

قال النووي ﵀: يجوز التحدث بالحديث المباح في المسجد وبأمور الدنيا

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ١٢٧، رقم ٤٦٧، ٤٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٩٢، رقم ١١١٣)، ومسلم (٢/ ٥٩٧، رقم ٨٧٥).

(٣) فتاوى وتنبيهات ونصائح – ابن باز – ٣٠٣.

(٤) سورة النور: الآيتان ٣٦ – ٣٧

وغيرها من المباحات وإن حصل فيه ضحك ونحوه ما دام مباحًا: لحديث جابر بن سمرة ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مصلاه الذي صلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام. قال: وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم[(١)].

إباحة الأكل والشرب والنوم فيها:

فعن ابن عمر﵄ قال: كنا في زمن رسول الله ﷺ ننام في المسجد نقيل فيه، ونحن شباب.

وقال النووي ﵀: «ثبت أن أصحاب الصفة والعرنيين وعليا وصفوان ابن أمية وجماعات من الصحابة كانوا ينامون في المسجد[(٢)]. وأن ثمامة كان يبيت فيه قبل إسلامه. كل ذلك في زمن رسول الله ﷺ.

وقال عبد الله بن الحارث ﵁: كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ في المسجد الخبز واللحم[(٣)].

---

(١) الطبقات الكبرى (١ / ٣٧٢)، و مسند ابن الجعد (١ / ٣٠٦)، والجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (١/ ٣٤٢).

(٢) أسنى المطالب في شرح روض الطالب (١/ ٦٧)، و مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١ / ٧١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٠٩٧)، وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٤/ ٥٣٩)، والأحاديث المختارة (٩/ ٢٠٧).

الصلاة بين السواري:

يجوز للإمام والمنفرد الصلاة بين السواري، لما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ لما دخل الكعبة صلى بين الساريتين[١]. وكان سعيد بن جبير وإبراهيم التيمي وسويد بن غفلة يؤمون قومهم بين الأساطين [٢]، وأما المؤتمون فتكره صلاتهم بينها عند السعة بسبب قطع الصفوف ولا تكره عند الضيق. فعن أنس رضي الله عنه قال: كنا ننهى عن الصلاة بين السواري ونطرد عنها[٣].

من المكروهات في المسجد:

كراهة نشد الضالة والبيع والشراء والشعر:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا**»[٤].

وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا**

(١) مصنف عبد الرزاق (٥ / ٨٢)، ومسند ابن أبي شيبة (١/ ١١٨)، و مسند الإمام أحمد ابن حنبل (٢/ ٧٥).

(٢) أي عُمُد المسجد وبها سمي العلماء أساطين لأنهم كانوا يسندون ظهورهم إلى أساطين المسجد.

(٣) صحيح ابن خزيمة (٣ / ٢٩)، وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٥ / ٥٩٧)، والمستدرك على الصحيحين (١/ ٣٣٩)، وقال: كلا الإسنادين صحيحان ولم يخرجا في هذا الباب شيئا.

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٣٩٧، رقم ٥٦٨)، وأبو داود (١/ ١٢٨، رقم ٤٧٣)، وابن ماجه (١/ ٢٥٢، رقم ٧٦٧).

له: **لا أربح الله تجارتك**»[١].

وعن عبد الله بن عمر ﭭ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الشراء والبيع في المسجد، وأن تنشد فيه الأشعار، وأن تنشد فيه الضالة، ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة»[٢].

والشعر المنهي عنه ما اشتمل على هجو مسلم، أو مدح ظالم، أو فحش، ونحو ذلك، أما ما كان حكمة أو مدحًا للإسلام، أو حثًّا على برٍّ فإنه لا بأس به، فعن أبي هريرة أن عمر مر بحسّان ﭬ ينشد في المسجد فلحظ إليه، فقال: قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك بالله! أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أجب عني، اللهم أيده بروح القدس؟**» قال نعم.

السؤال فيها:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﭬ: أصل السؤال محرم في المسجد وغيره، إلا لضرورة، فإن كان به ضرورة وسأل في المسجد ولم يؤذ أحدًا كتخطية الرقاب ولم يكذب فيما يرويه، ولم يجهر جهرًا يضر الناس كأن يسأل والخطيب يخطب أو وهم يسمعون علمًا يشغلهم به، جاز.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٦١٠، رقم ١٣٢١) وقال: حسن غريب. وابن السني (ص ٦٦، رقم ١٥٣)، والحاكم (٢/ ٦٥، رقم ٢٣٣٩) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبيهقي (٢/ ٤٤٧، رقم ٤١٤٢).

(٢) سنن النسائي المجتبى (٢/ ٤٧)، وسنن النسائي الكبرى (١/ ٢٦٢)، والمعجم الأوسط (٦/ ٣٥٨).

رفع الصوت فيها:

يحرم رفع الصوت على وجه يشوّش على المصلين ولو بقراءة القرآن، ويستثنى من ذلك درس العلم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال ﷺ: «**إن المصلي يناجي ربه عز وجل فلينظر بم يناجيه؟ ولا يجهر بعضكم على بعض القرآن**»[(١)].

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ اعتكف في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر، وقال ﷺ: «**ألا إن كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة**»[(٢)].

تشبيك الأصابع:

يكره تشبيك الأصابع عند الخروج إلى الصلاة، وفي المسجد عند انتظارها، ولا يكره فيما عدا ذلك، ولو كان في المسجد، فعن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى المسجد فلا يشبكن بين أصابعه فإنه في صلاة**»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٤٤، رقم ١٩٠٤٤) قال الهيثمي (٢/ ٢٦٥): رجاله رجال الصحيح. والبيهقي (٣/ ١١، رقم ٤٤٨٠). والنسائي في الكبرى (٢/ ٢٦٤، رقم ٣٣٦٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٩٤، رقم ١١٩١٥)، وعبد بن حميد (ص ٢٧٨، رقم ٨٨٣)، وابن خزيمة (٢/ ١٩٠، رقم ١١٦٢)، والحاكم (١/ ٤٥٤، رقم ١١٦٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي (٣/ ١١، رقم ٤٤٧٩). وأبو داود (٢/ ٣٨، رقم ١٣٣٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٤١، رقم ١٨١٢٨)، وأبو داود (١/ ١٥٤، رقم ٥٦٢)، والترمذي (٢/ ٢٢٨، رقم ٣٨٦)، والطبراني (١٩/ ١٥٢، رقم ٣٣٤)، والبيهقي (٣/ ٢٣٠، رقم

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: دخلت المسجد مع رسول الله ﷺ وسلم إذا رجل جالس وسط المسجد محتبيًا مشبكا أصابعه بعضها على بعض فأشار إليه رسول الله ﷺ، فلم يفطن لإشارته. فالتفت رسول الله ﷺ فقال: «**إذا كان أحدكم في المسجد فلا يشبكن، فإن التشبيك من الشيطان، وإن أحدكم لا يزال في صلاة ما كان في المسجد حتى يخرج منه**»(١).

وهذا النهي عن التشبيك علله بأنه في صلاة، فلا يليق وهو في صلاة أن يشبك بين أصابعه، وهذا النهي عن تشبيك الأصابع حال المشي إلى المسجد للصلاة.

قال الخطابي ﷺ: «تشبيك اليد: هو إدخال الأصابع بعضها في بعض، والاشتباك بهما، وقد يفعله بعض الناس عبثًا، وبعضهم ليفرقع أصابعه عندما يجده من التمدد فيها، وربما قعد الإنسان فشبك يبن أصابعه واحتبا بيده يريد الاستراحة، وربما استجلب به النوم؛ فيكون ذلك سببًا لانتقاض طهره، فقيل لمن تطهر وخرج متوجهًا إلى الصلاة: لا تشبك بين أصابعك، لأن جميع ما ذكرناه من هذه الوجوه -على اختلافها- لا يلائم شيء منها في الصلاة ولا يلائم حال المصلي»(٢).

٥٦٧٣). وابن حبان (٥/ ٣٨٢، رقم ٢٠٣٦).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٤١٩، رقم ٤٨٢٤). وأحمد (٣/ ٤٢، رقم ١١٤٠٣). قال المنذري (١/ ١٢٧) والهيثمي (٢/ ٢٥): إسناده حسن.

(٢) شرح السنة ـ البغوي ـ (٣/ ٢٩٤).

زخرفة المساجد:

وقد كثرت الأدلة في ذلك، منها: ما جاء عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس بالمساجد**»(١). ولفظ ابن خزيمة: «**يأتي على الناس زمان يتباهون بالمساجد ثم لا يعمرونها إلا قليلا**»(٢).

وعن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ما أمرت بتشييد المساجد**»(٣)، زاد أبو داود: قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى.

الخروج من المسجد بعد الأذان إلا بعذر حتى يصلي المكتوبة:

عن أبي الشعثاء قال: كنا قعوداً مع أبي هريرة ﷺ في المسجد، فأذّن المؤذن، فقام رجلٌ من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٤، رقم ١٢٤٠٢)، وأبو داود (١/ ١٢٣، رقم ٤٤٩)، وابن ماجه (١/ ٢٤٤، رقم ٧٣٩)، والدارمي (١/ ٣٨٣، رقم ١٤٠٨)، وابن خزيمة (٢/ ٢٨١، رقم ١٣٢٢)، وأبو يعلى (٥/ ١٨٤، رقم ٢٧٩٨)، وابن حبان (٤/ ٤٩٣، رقم ١٦١٤)، والطبراني (١/ ٢٥٩، رقم ٧٥٢)، والبيهقي (٢/ ٤٣٩، رقم ٤٠٩٧)، والضياء (٦/ ٢٢٢، رقم ٢٢٣٥) وقال: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٢/ ٢٨١، رقم ١٣٢١). والضياء (٦/ ٢٢٤، رقم ٢٢٣٩)، وأبو يعلى (٥/ ١٩٩، رقم ٢٨١٧)

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ١٢٢، رقم ٤٤٨)، والبيهقي (٢/ ٤٣٨، رقم ٤٠٩٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٢٦،رقم ٥٤٤٨)، وفى الصغير (٢/ ٨٠، رقم ٨١٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٥٨،رقم٢٨٦٤).

من المحرمات في المساجد:

وإذا كانت المساجد قد بنيت لعبادة الله تعالى وتوحيده، فينبغي حتمًا أن تصان عن كل مظهر يتنافى مع التوحيد، فلا يتخذ المسجد قبرًا، ولا تبنى المساجد على القبور، فإن في ذلك مخالفة صريحة لسنة رسول الله ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١).

وقالت أيضا رضي الله عنها: لما كان مرض رسول الله ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة، فذكرن من حسنها ومن تصاويرها، قالت: فرفع النبي ﷺ رأسه فقال: «**أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا ثم صوروا تلك الصور، أولئك شرارُ الخلق عند الله يوم القيامة**»(٢)، والأحاديث في ذلك كثيرة جدًّا، تنهى عن اتخاذ القبور مساجد، وعن كل مظاهر الشرك فينبغي أن تصان المساجد عن ذلك كله، قال الله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا** ﴾(٣).



(١) أخرجه البخاري (١/ ١٦٨، رقم ٤٢٥)، ومسلم(١/ ٣٧٧، رقم ٥٣١)

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

(٣) سورة الجن: الآية ١٨.

آداب المعلم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فبدايةً ينبغي أن نقرر أن شرف التعليم وحيازة فضائله ليس مقصورًا على من توظف معلمًا، بل الواجب على كل مسلم أن لا ينفك عن تعليم الناس الخير، ولا سيما أهله وأقرب الناس إليه، ولا تحقر نفسك، فالنبي ﷺ يقول: «**بلغوا عني ولو آية**»(١)، ومن ثم فإن الحديث عن آداب المعلم يحتاجها كل من أوجبت عليه مكانته أن يقوم بهذه المهمة، أو جعلت التعليم مستحبًّا في حقه.

فضل العلم:

جاء في فضل التعليم من الأحاديث الشيء الكثير، منها:

قوله ﷺ: «**فَضْلُ الْعَالِمِ على الْعَابِدِ كَفَضْلِي على أَدْنَاكُمْ**»، ثُمَّ قال رسول اللهّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السماوات وَالْأَرَضِينَ، حتى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ، لَيُصَلُّونَ على مُعَلِّمِ الناس الْخَيْرَ**»(٢)، والصلاة من المخلوق هي الدعاء.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧٥) رقم (٣٢٧٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٠) رقم (٢٦٨٥)، والدارمي (١/ ١٠٠) رقم (٢٨٩)، والمستدرك (٢/ ٤٥٦) رقم (٣٥٧٥).

فأي منزلة عالية تلك التي يبلغها المعلم، أن يصلي عليه الله ﷻ، وملائكته الكرام الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون؟ بل وسائر أهل السماء وأهل الأرض.

والنبي ﷺ يدعو لمن علِم وعلّم، ففي الحديث المتواتر: «**نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها**»[1]، فهذه دعوة من النبي ﷺ للمعلم.

مفتاح للأجر المضاعف: فقد قال ﷺ: «**من علم علما فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل**»[2].

والتعليم موردٌ دائمٌ من الأجور، يمد المعلم بالأجر حتى وإن انتقل عن الدار الدنيا، فحين تنقطع أعمال الناس بموتهم يبقى للمعلم غرسٌ لا يزول أثرُه حين يخلِّف علمًا نافعًا، أو يخرج طالبَ علمٍ يحمل هذا العلم وينافح عن الدين، كما أخبر بذلك معلِّم البشرية ﷺ، بقوله: «**إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ من عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ.. الحديث**»[3]، وأي فضل لعمل يمكن أن يقارن بعمل يستمر أثره ويزداد أجره للعبد حتى بعد موته!

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤) رقم (٢٦٥٨)، وأبو داود (٣/ ٣٢٢) رقم (٣٦٦٠)، وابن ماجه (١/ ٨٥) رقم (٢٣١)، والدارمي (١/ ٨٧) رقم (٢٣٠)، وأحمد (٣/ ٢٢٥) رقم (١٣٣٧٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١ / ٨٨) رقم (٢٤٠)، والمعجم الكبير (٢٠/ ١٩٨) رقم (٤٤٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٨٨) رقم (٢٤٢)، وصححه الألباني، وابن خزيمة (٤/ ١٢١) رقم (٢٤٩٠).

وقال الشاعر:

إن المعلـــم في الوجـــود كنخلـــة ... تـؤتي مـع الثمـر الرطيـب ظلـيلاً
يكفيــه فخــرًا إذ يقـــال: معلــم ... فمعلـم الأجيــال كـان رسـولاً

آداب المعلم:

مما سبق تبين لنا فضل المعلم، فهل نتوقع أن ينالَ المعلمُ هذه الفضائل دون أن يكون له سبيلٌ قويم يسلكه في عمله ذاك؟ بالطبع لا؛ فإنه يحتاج لآداب نفسية ومهنية وتربوية تؤهله لاستحقاق هذه الفضائل، وفيما يلي نذكر عددًا من هذه الآداب.

إخلاص النية:

إن النية الصالحة مع كونها شعورًا داخليًّا لا يمكن الاطلاع عليه مباشرة، إلا أنها تمثل عاملاً يضبط سلوك المعلم، ويفرض عليه رقابةً داخليةً وخشيةً روحيةً، تنعكس على سلوكه الخارجي، فينتج عن ذلك: إتقانُ العمل، وحفظ الأمانة، وصيانة التلاميذ.

فعلى المعلم أن يحذر كل الحذر من الاشتغال بالعلم للأغراض الفاسدة، من المباهاة، والمماراة، والرياء، والرياسات، والتوسل به إلى الأمور الدنيوية، فمن طلبه لهذه الأمور فليس له في الآخرة من نصيب، وقد قال ﷺ: «**لَا تَعَلَّمْ الْعِلْمَ لِتُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أو لِتُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أو تُرَائِيَ بِهِ فِي الْمَجَالِسِ؛ ولا تَتْرُكْ الْعِلْمَ زُهْدًا فيه، وَرَغْبَةً فِي الْجَهَالَةِ**»(١).

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ١١٧) رقم (٣٧٧)، وأحمد (١/ ١٩٠) رقم (١٦٥١).

قال الضباع المصري رحمه الله: « ويجب عليه أن يخلص النية لله تعالى، ولا يقصد بذلك غرضا من أغراض الدنيا كمعلوم [١] يأخذه أو ثناء يلحقه من الناس أو منزلة تحصل له عندهم، وأن لا يطمع في رفق يحصل له من بعض من يقرأ عليه، سواء كان مالا أو خدمة وإن قل، ولو كان على صورة الهدية التي لولا قراءته عليه لما أهداها إليه»[٢].

عدم كتمان العلم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٤].

قال ابن الجوزي رحمه الله: «هذه الآية توجب إظهار علوم الدين منصوصة كانت أو مستنبطة»[٥]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إنكم تقولون أكثر أبو هريرة عن النبي ﷺ واللهُ الموعد، وايم الله! لولا آية في كتاب

(١) أي: راتب أو أجر.

(٢) فتح الكريم المنان في آداب حملة القرآن (١/ ٥).

(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٤.

(٥) زاد المسير (١ / ١٦٥).

الله ما حدثت بشيء أبداً ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «**من سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ الله بِلِجَامٍ من نَارٍ يوم الْقِيَامَةِ**»[(٢)].

عدم الخوض فيما لا يعلم:

فيجب على المعلم ألا يخجل من قول: «لا أعلم، ولا أدري»، وإذا سئل عن شيء لا يعلمه أن يقول: «لا أعلم»، قال مالك رحمه الله كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يُسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء، وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري»[(٣)].

وعن علي رضي الله عنه قال: «لا يستحي مَن لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي من تعلّم إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم»[(٤)].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: «من علَّمه الله علماً فليعلمه الناس، وإياه أن يقول ما لا علم له به فيصير من المتكلفين ويمرق من الدين»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٥٥) رقم (١١٨)، ومسلم (٤/ ٢١٤٣) رقم (٢٧٧٨).

(٢) أخرجه أحمد(٢/ ٢٩٦، رقم ٧٩٣٠) ، وأبو داود (٣/ ٣٢١ ، رقم ٣٦٥٨)، والترمذي (٥/ ٢٩، رقم ٢٦٤٩) ، وابن ماجه (١/ ٩٧ ، رقم ٢٦٥)، والحاكم (١/ ٨٢، رقم ٣٤٥).

(٣) الآداب الشرعية (٢/ ١٥٣-١٥٤).

(٤) الآداب الشرعية (٢/ ١٤٥).

(٥) الآداب الشرعية (٢/ ١٧٦).

وسئل الشعبي رحمه الله عن مسألة فقال: «لا أدري». فقيل: ألا تستحي من قولك هذا وأنت فقيه العراقيين؟ فقال: «إن الملائكة لم تستحي إذ قالت: **سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا**.[1]

مخاطبة الناس (المتعلمين) على قدر عقولهم:

قال علي رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!»[2].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «ولا ينبغي أن يعلن ما لا يحتمله عقول العوام»[3].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إلا كان لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»[4].

وقال السعدي رحمه الله: «فعلى المعلم أن ينظر إلى ذهن المتعلم، وقوة استعداده، أو ضعفه، فلا يدعه يشتغل بكتاب لا يناسب حاله، فإن القليل الذي يفهمه وينتفع به خيرٌ من الكثير الذي هو عرضة لنسيان معناه ولفظه. وعلى المعلم أن يُلقي على المتعلم من التوضيح وتبيين المعنى بقدر ما يتسع فهمه

---

(١) محاضرات الأدباء (١/ ٧١).

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى (١/ ٣٦٢)، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٠٨).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢ / ١٠٧)، وأدب الإملاء والاستملاء (١/ ٥٩).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ١١).

لإدراكه، ولا يخلط المسائل بعضها ببعض، ولا ينتقل من نوع إلى آخر حتى يتصور ويحقق السابق، فإن ذلك درك للسابق، ويتوفر الذهن على اللاحق»[١].

الشفقة بالمتعلمين:

قال السعدي ﷀ: «ينبغي للمشايخ والمعلمين أن يحسنوا إلى طلاب العلم ويصبروا على ما يكون منهم، واللطف بهم، لئلا يتضاعف ألمهم وهمهم، فيضعف الصبر، وتحصل النفرة عن العلم.

قال ﷺ: «**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**»[٢].

وقال ﷺ: «**إنما بعثتم ميسرين**»[٣].

وقال ﷺ لمعاذ وأبي موسى ﭭ حين بعثهما إلى اليمن: «**بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[٤].

وعن أبي هريرة ﺙ أن رسول الله ﷺ قال: «**علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف**»[٥].

وقال عمر ﺙ: «تواضعوا لمن علمكم، وتواضعوا لمن تعلمون، ولا

---

(١) نور البصائر والألباب – كتب – السعدي – ٨٣.

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٥٨) رقم (١٧٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٧٠) رقم (٥٧٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١١٠٤) رقم (٢٨٧٣)، ومسلم (٣/ ١٣٥٩) رقم (١٧٣٣).

(٥) أخرجه الحارث كما في بغية الباحث (١/ ١٨٨) رقم (٤٣)، والطيالسي (ص ٣٣١) رقم (٢٥٣٦)، وابن عدي (٢/ ٢٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٧٦) رقم (١٧٤٩)، والديلمي (٣/ ٩) رقم (٤٠٠٤).

تكونوا من جباري العلماء»[١].

وقال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله ﷺ: «**إنما أنا لكم مثل الوالد لولده**»[٢]، بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة، وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية»[٣].

ومن شفقته بهم أن يتواضع لهم ويحسن إليهم، ولا يتجبّر عليهم ولا يحتقرهم كما كان هو هدي النبي ﷺ؛ يتواضع لأصحابه، ويجالس الفقير والمسكين، وكانت تأتيه الأمة من نساء المدينة وتأخذه لحاجتها، ولا يتردد ﷺ، وكان يقول: «**إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغيَ أحد على أحد**»[٤].

أن يرشد طلابه لما يناسب قدراتهم:

فالمتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به، ولا يذكر له وراء

---

(١) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٣٥٠) رقم (٨٠٩)، وذكره الذهبي في الميزان (٤/ ٣٧)، ترجمة ٤١٣٩ عباد بن كثير الثقفي).

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى (١/ ٣٨) رقم (٤٠)، وابن ماجه (١/ ١١٤) رقم (٣١٣)، والدارمي (١/ ١٨٢) رقم (٦٧٤)، وأحمد (٢/ ٢٥٠) رقم (٧٤٠٣)، وابن حبان (٤/ ٢٧٩) رقم (١٤٣١).

(٣) إحياء علوم الدين (١ / ٧١).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٨) رقم (٢٨٦٥).

هذا تدقيقًا وهو يدخره عنه، فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي، ويشوش عليه قلبه، ويوهم إليه البخل به عنه، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق[١].

فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله، وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله.

سأل أفلاطون بعض تلامذته عن مسألة لم تكن تليق بحاله، فقال: لست من أهلها فلكل تربة غرس ولكل بناء أُسٌّ (أساس).

وقيل: تصفح طلاب علمك كما تتصفح خطاب حرمك.

وكان يونس يختلف إلى الخليل - النحويين - يتعلم منه العروض فصعب عليه تعلمه، فقال له الخليل يوما: من أي بحر قول الشاعر: إذا لمْ تستطِعْ شيئاً فدعْه وجاوزْه إلى ما تستطيعُ.

ففطن يونس لما عناه الخليل فترك العروض.

وقيل اختر كل إنسان للفن الذي يستطيبه، فبقدر شهوته يكون نفاذه فيه[٢].

أن يجتهد في نصح طلابه:

فلا يدع من نصح المتعلم شيئًا، وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها، والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي، ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة،

---

(١) إحياء علوم الدين (١ / ٥٨).

(٢) محاضرات الأدباء (١ / ٧٩٥).

ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن، فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده، فإن علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه، فإن كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك، فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة، ولا من العلوم التي قيل فيها: «تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله».

وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث، وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة، ومعرفة أخلاق النفس، وكيفية تهذيبها؛ فإذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه، فإنه يثمر له طمعًا في الوعظ والاستتباع، ولكن قد يتنبه في أثناء الأمر أو آخره إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة[١].

وقال السعدي رحمه الله: وعلى المعلم النصح وبث العلوم النافعة بحسب الإمكان.[٢]

ألا يسفه العلوم في غير تخصصه:

فالمتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه، كمعلم اللغة، فلا يقبح علم الفقه[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٥٦).

(٢) نور البصائر والألباب – كتيب – السعدي – ٨٥.

(٣) إحياء علوم الدين (١ / ٥٧).

تنمية الجانب الديني في نفوس الطلاب:

إننا إذ نتحدث عن التعليم والتربية يجب أن لا ننسى منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في تعليمنا وتربيتنا، فهما معالم عظيمات يهتدي بها المربي في حياته، بل إننا لا نربي الأجيال إلا على العبودية لله ﷻ، ونحاول أن نعد أمةً قانتة لله، تخشى ربها وتخاف يوم الحساب، وإنما يتم ذلك من خلال التربية الإسلامية.

والتربية الإسلامية تعني إعداد جيل مؤمن يحمل هم دينه وقضايا أمته، جميل أن نشرح النظريات، ونعلم العلوم إذا احتجنا إليها، لكننا لا نغفل عن تربية الجيل على التوحيد والهدى والخضوع لله رب العالمين، قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة**»[1].

وهذه الفطرة المسلمة تحتاج لمن يربيها وينميها ويتعاهدها بالسقي والنظر والمتابعة، حتى تكبر وتنمو وتنبت من كل زوج بهيج.

وما أسوأ أن يحسن المعلم عرض المناهج وإتمام المقررات مع الغفلة الشديدة عن العقول النابهة، وعن إصلاح الأخلاق، وعن التربية الإيمانية، فليست وظيفة المعلم هي سرد المعلومات والترتيب والتنظيم والتصنيف فحسب، وإنما هي بناء العقول وإعداد النفوس بتزكيتها وتعليمها ما ينفعها.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٤٥٦) رقم (١٢٩٢)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧) رقم (٢٦٥٨).

وقال ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم مكارمَ الأخلاق**»[١]، والمعلم مبعوثٌ في المؤسسة التعليمية لكي يعلم مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، ويثبت في الجيل روح الإيمان وحب القرآن، وينشر رسالة هذه الأمة في هذه الحياة، ويذكرها بماضيها المجيد، ويبين لها عدوها من صديقها، في زمن قد تسلط فيه الأعداء.

أن يكون عاملا بما يعلمه[٢]:

فيجب أن يكون المعلم عاملًا بعلمه، فلا يكذب قوله فعله، لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد، وكل من تناول شيئًا، وقال للناس: «لا تتناولوه فإنه سم مهلك» سخر الناس به، واتهموه، وزاد حرصهم على ما نهوا عنه، فيقولون: «لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به».

وقال الله ﷻ: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ** ﴾[٣]، ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكثر من وزر الجاهل، إذ يزل بزلته عالم كثير، ويقتدون به، و«**من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها**»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٨١) رقم (٨٩٣٩)، وابن سعد (١/ ١٩٢)، والبيهقي (١٠/ ١٩١) رقم (٢٠٥٧١).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٥٨).

(٣) سورة البقرة: ٤٤.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٩) رقم (١٠١٧).

وقال الشاعر(١):

لا تَنْـهَ عــن خُلــقٍ وتــأتيَ مِثْلَــه ... عــارٌ عليْـكَ إذا فعــلْتَ عَظِــيمُ
ابْــدَأْ بنفْسِكَ فانْهَهَا عــن غَيِّــها ... فــإذا انْتَــهت عنْــهُ فأنْتَ حكِيمُ

وقال السعدي رحمه الله: «وعلى المعلم أن يتصف بما يدعو إليه العلم من الأخلاق الجميلة، والتنزه عن الأخلاق الرذيلة، فإنه أحق الناس بذلك، لتميزه بالعلم، لأنه قدوة، والناس مجبولون على الاقتداء بأهل العلم. وعلى المعلم أن يتعاهد محفوظات المتعلمين ومعلوماتهم بالإعادة والامتحان، والحث على المذاكرة والمراجعة، وتكرار الدروس الحاضرة والسابقة»(٢).

وكم هو مؤسف أن يدعو المعلم لصلاة الجماعة ولا يشهدها مع المسلمين، أو يُرى مسامرًا للسفلة في مقاهي الخاملين وأرصفة الصائعين. وكم هو مؤسف أن تنصح المعلمة طالباتها بالحجاب والحشمة ثم تُرى في قميص سافر، قد بانت أعضاؤها ومفاتنها.

الالتزام بحسن الخلق:

فالمعلم الناجح هو المعلم المستظهر للأخلاق في شؤونه كلها، في أقواله وأفعاله وسائر تعاملاته، قال ﷺ: «**إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»(٣).

---

(١) قال الزبيدي: قالَه المُتَوَكِّلُ اللَّيْثِيّ، كما في العُبَابِ ويُرْوَى لأَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيّ (تاج العروس (٢٠/ ٢٣٧).

(٢) نور البصائر والألباب – كتيب – السعدي – ٨٥.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٩٠) رقم (٢٤٦٣٩)، والحاكم (١/ ١٢٨) رقم (١٩٩) وقال: على

وما أجمل أن يتجمل المعلمون بحسن الخلق المبني على: حسن الكلام، والتودد، وحسن المعاملة، والصبر، وبذل الندى، والسماحة، والمروءة، فيكون ذا هشاشة وبشاشة، ليّن المعاملة، صابرًا، باذلاً لجاهه ومعروفه، ذا مروءة تامة، وقد قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1].

صفات المدرس الأول الناجح:

أولا: في مجال العلاقات الإنسانية:

١- أن يكون متحملا للمسئولية في مجال العمل بجدية واضحة وفوق ما يتطلبه الواجب .

٢- أن يكون لديه القدرة على التصرف بحكمة وأسلوب صحيح في جميع المواقف .

٣- أن تكون شخصيته متميزة عن غيرها تميزا عقليا وخلقيا وأن تكون قدرته بارزة في مجال التأثير والدفع والتوجيه وأن يكون ذكيا واسع الأفق لديه القدرة على ابتكار خطط جديدة ووسائل علمية للوصول إلى الهدف المنشود.

٤- أن يكون قوي الأعصاب وأن يكون يكظم غيظه إذا تعرض لموقف صعب، وأن يتحلى بالصبر، وسعة الصدر واجتناب كثير من الظن .

شرط الشيخين. وأبو داود (٤/ ٢٥٢) رقم (٤٧٩٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٣٧) رقم (٧٩٩٨)، والديلمي (١/ ١٩٤) رقم (٧٣١).

(١) سورة الأحزاب: الآية٢١.

٥- أن تكون شخصيته ممزوجة بالخير وعمله، حريصا على إشاعة العلاقات الإنسانية الطيبة في قسمه ومع الأقسام الأخرى .

٦- أن يتحلى باللياقة والمرونة والتواضع والتعاون والموضوعية ويهيئ للمدرسين أسباب الراحة النفسية مما يشجعهم ويحفزهم على العمل .

٧- أن يحرص على وحدة القسم وتماسكه لأن ذلك يؤدي إلى تقوية العلاقات والروابط بين الجميع مما يؤدي إلى تحقيق النجاح في العمل .

٨- العدالة والإنصاف عند توزيع الأعمال على المدرسين .

٩- أن يعمل على كسب محبة زملائه الأساتذة وثقتهم، ويعتبر هذا العامل من العوامل الهامة ليسهل عليه التأثير فيهم وأن يهيئ المناخ الملائم للعمل .

١٠- أن يسعى لتوسيع قاعدة الاشتراك في اتخاذ القرار وذلك بإشراك كل من يتأثر باتخاذ مثل هذا القرار مادام قادرًا على مثل هذا الاشتراك .

١١- أن يعامل الآخرين بكرامة واحترام وألا يقلل من قيمة الآخرين أو أن يعتبرهم وسيلة لتحقيق أغراضه الشخصية.

ثانيًا: صفات المعلم الناجح في الجانب العلمي والمهني:

١- أن يكون متمكنا من المادة العلمية، وأن يحيط إحاطة شاملة بالمناهج وأهدافها والكتب المدرسية وما تحتويه، كما يجب عليه متابعة الجديد في ميدان تخصصه .

٢- أن يكون مطلعا على طرق التدريس وأن يطرح على زملائه في الاجتماعات الفنية الأسبوعية كل جديد ومفيد في ميدان التربية والتعليم .

٣- أن يجدد ويبتكر في مجال العمل مثل تنظيم السجلات، والأعمال التحريرية، وطرق التدريس، والاختبارات، وطرق القياس والتقويم، والنشاط المدرسي .

٤- توفير الجو العلمي والثقافي في القسم الذي يعمل به، وذلك بالاستعانة بمكتبة المدرسة ومكتبة القسم العلمية وأن يتيح لزملائه فرصة مناقشة الموضوعات المطروحة للبحث ويؤكد لهم أن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

٥- متابعة المناهج وما قطع منها وفقا للخطة المعتمدة ومعالجة أي قصور أو تأخير في حينه.

٦- إعداد جدول لأعمال الاجتماع الفني الأسبوعي أو الشهري، حسبما يتوفر وتوزيعه على زملائه قبل الاجتماع بيوم على الأقل حتى يكون الاجتماع مثمرا ومفيدا .

من أخلاقيات المعلم والمعلمة :

يحسن بالمعلم والمعلمة أن يراعوا في الدرس ما يلي:

١- إلقاء السلام على الطلاب حين دخوله بلفظ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ولا يجوز غيرها مثل كلمة صباح الخير، لعدم ورودها في الشرع، وبعد تحية الإسلام يجوز أن يقال هذا وغيره، وعلى المعلم أن يوجه نظر الطلاب إلى رد السلام بلفظ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

وألا يسمح المعلم والمعلمة بقيام الطلاب والطالبات عند دخول الدرس للنهي المتقدم في رسالة المعلم وواجبه .

٢-إقبال المعلم والمعلمة على الطلبة بوجه مبتسم لقول الرسول ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»[(١)].

٣-بدء الدرس بخطبة الحاجة التي كان الرسول ﷺ يفتتح بها كلامه ونصها:«**...إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد ...**»[(٢)]، إلى آخر الخطبة .

٤-استعمال الكلام الطيب مع الطلاب: فيقول للطالب المحسن: أحسنت، بارك الله فيك، ويقول للطالب المخطئ: أصلحك الله وهداك، فالرسولﷺ يقول: «**الكلمة الطيبة صدقة**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٣٠٧) رقم (٨٩١)، والترمذي (٤/ ٣٣٩) رقم (١٩٥٦)، وقال: حسن غريب؛ وابن حبان (٢/ ٢٨٧) رقم (٥٢٩)، والبزار (٩/ ٤٥٧) رقم (٤٠٧٠) ومحمد بن نصر (٢/ ٨١٧) رقم (٨١٣).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٢) رقم (٣٧٢٠)، وأبو داود (٢/ ٢٣٨)، رقم (٢١١٨)، والترمذي (٣/ ٤١٣)، رقم (١١٠٥) وقال: حسن. والنسائي (٣/ ١٠٤) رقم (١٤٠٤)، وابن ماجه (١/ ٦٠٩) رقم (١٨٩٢)، والحاكم (٢/ ١٩٩) رقم (٢٧٤٤)، والبيهقي (٣/ ٢١٤) رقم (٥٥٩٣)، والطيالسي (ص ٤٥) رقم (٣٣٨)، وعبد الرزاق (٦/ ١٨٧) رقم (١٠٤٤٩)، وابن أبي شيبة (٤/ ٣٤) رقم (١٧٥٠٨)، والدارمي (٢/ ١٩١) رقم (٢٢٠٢)، وابن الجارود (ص ١٧٠) رقم (٦٧٩)، وأبو يعلى (٩/ ١٦٨) رقم (٥٢٥٧)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٩٨) رقم (١٠٠٨٠)، وفي الأوسط (٣/ ٤٢)، رقم (٢٤١٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩٠) رقم (٢٨٢٧)، ومسلم (٢/ ٦٩٩) رقم (١٠٠٩).

٥-اجتناب الكلام الذي فيه تجريح أو استهزاء، لأن الطلاب يتعلمون من المعلم الكلام الطيب، والكلام السيئ .

٦-تنبيه الطلبة النائمين أو المتشاغلين بغير دروسهم، أو الذين يتكلمون في الدرس مع بعضهم، وغير ذلك .

٧-تنظيم الأسئلة في الدروس، فلا يسمح للطالب بالسؤال قبل طلب الإذن، ولا يجاب عن سؤاله .

٨-مراعاة المعلمين والمعلمات الآداب الإسلامية ليتعلمها الطلاب والطالبات، فإذا عطس المعلم فليحمد الله وليعلم تلاميذه كيف يحمد الله بعد العطاس، وكيف يكون تشميت العاطس، والرد عليه، وإذا تثاءب هو أو أحد من التلاميذ فليعلمهم الأدب من قول النبي ﷺ: «**إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه، فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب**»[١] .

٩-على المعلمين والمعلمات أن يراعوا النظافة في لباسهم، وأن يظهروا أمام الطلاب بمظهر جميل بدون تكبر عملاً بقول الرسول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، قيل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمط الناس**»[٢] .

١٠-على المدرسين والمدرسات إذا كانوا في مدرسة مختلطة، فيها الذكور

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٣) رقم (٢٩٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٩٣) رقم (٩١).

والإناث من المعلمين والطلبة، وهو مخالف لتعاليم الإسلام كما هو معلوم، عليهم أن يضعوا الطلاب أمامهم، ومن ورائهم الطالبات، تجنباً لحدوث المشاكل، وعلى المدرسين أن ينبهوا الطلاب على عدم الاختلاط بالطالبات، فلا يجوز الكلام معهن إلا بقصد النصيحة وبدون خلوة ومن وراء حجاب، وعلى المدرسات ألا يختلطن بالمدرسين، وأن يجلسن في مكان منعزل حفاظاً على شرفهن وعفافهن من الاختلاط، وكان من واجب الوزارات المتخصصة في التعليم بالعالم الإسلامي أن تفصل مدارس البنين والبنات عملاً بتعاليم الإسلام، وقد طبقت بلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية الفصل فنجحت في جميع المراحل، فحفظت الطالبات من مشاكل الطلاب بالفصل بينهما، وما مثل المدارس المختلطة إلا كما قيل:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

وقال الآخر(١):

قم للمعلم وفِّه التبجيلا ... كاد المْعلم أن يكون رسولا
أَعلمتَ أشرف أو أجلَّ من الذي ... يبني وينشئ أنفسًا وعقولا
سبحانك اللهم خيرَ معلم ... علمت بالقلم القرون الأولى
أرسلتَ بالتوراة موسى مرشدًا ... وابن البتول فعلّم الإنجيلا
وفجَّرت ينبوع البيان مُحمدًا ... فسقى الحْديث وناول التنزيلا

❁ * ❁ * ❁

(١) الآبيات للشاعر أحمد شوقي في ديوانه (١/ ٨٥).

آداب النزهة والسفر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فما أكثر ما يسافر الناس لشؤون حياتهم! مادية أو معنوية، ولقد سافر رسول الله ﷺ مرات ومرات، إبّان شبابه قبل البعثة، وبعد نبوته ما بين حج وعمرة، وجهاد وتجارة.

السفر بين المدح والذم:

السفر معترى بحالتين اثنتين: حالة مدح وحالة ذم، وذلك مبني على أمور في السفر، كالتالي:

السفر من جهة المدح:

فالسفر ممدوح لما فيه الخروج من الملل والسآمة والضيق والكآبة من الناس والمكان للتأمل في خلق الله، أو طلب علم نافع، أو صلة قريب أو أخ في الله. وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «**سافروا تصحوا وتغنموا**»[(١)].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ الله تَعَالَى : وَإِنَّمَا هَذَا دَلاَلَةٌ لاَ حَتْمًا أَنْ يُسَافِرَ لِطَلَبِ

---

(١) أخرجه الخطيب (١٠/ ٣٨٧) . والبيهقي (٧/ ١٠٢ ، رقم ١٣٣٦٦) ، وابن عدي (٦/ ١٩٠ ، ترجمة ١٦٦٦ محمد بن عبد الرحمن) ، والقضاعي (١/ ٣٦٤ ، رقم ٦٢٢) .

صِحَّةٍ وَرِزْقٍ قَالَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الأَمْرُ بِالنِّكَاحِ حَتْمًا وَفِى كُلِّ الْحَتْمِ مِنَ اللهِ الرُّشْدُ قَالَ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ الأَمْرُ كُلُّهُ عَلَى الإِبَاحَةِ وَالدَّلاَلَةُ عَلَى الرُّشْدِ حَتَّى تُوجَدَ الدِّلاَلَةُ عَلَى أَنَّهُ أُرِيدَ بِالأَمْرِ الْحَتْمُ وَمَا نَهَى اللهُ عَنْهُ فَهُوَ مُحَرَّمٌ حَتَّى تُوجَدَ الدِّلاَلَةُ عَلَيْهِ بِأَنَّ النَّهْيَ عَنْهُ عَلَى غَيْرِ التَّحْرِيمِ»[١].

ومما عزي للشافعي[٢]:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد
فإن قيل: في الأسفار ذل وخسة ... وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خير له من حياته ... بدار هوان بين واش وحاسد

السفر من جهة الذم:

فالسفر مذموم من جهة كونه محلا للمشاق والمتاعب؛ لأن القلب يكون مشوشًا، والفكر مشغولا من أجل فراق الأهل والأحباب؛ ولذا قال فيه النبي ﷺ: «**السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ**[٣] **مِنْ وَجْهِهِ فَلْيُعَجِّلْ**[٤] **إِلَى أَهْلِهِ**»[٥].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (٧/ ١٠٢).

(٢) ديوان الشافعي (ص٧٤)، وفيض القدير (٤/ ٨٢)، ويتيمة الدهر (٥/ ٤٠).

(٣) نهمته : النهمة بلوغ الهمة في الشيء ، والنهم من الجوع.

(٤) من التعجيل : أي فليرجع إلى أهله عاجلا لينجو من العذاب والمشقة.

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ٦٣٩ ، رقم ١٧١٠) ، ومسلم (٣/ ١٥٢٦ ، رقم ١٩٢٧).

قال الشيخ أبو بكر [١]: «صدق رسول الله ﷺ في وصفه السفر، وما زال صادقًا مصدوقًا فإن المسافر يقاسي من الأهوال ومشقة الحل والترحال ومعاناة النصب وشدة التعب والسير مع الخوف في الليل البهيم ما يستحق وصفه بأنه العذاب الأليم»

والمراد بالعذاب هنا الألم الناشئ عن المشقة، لما يحصل في الركوب والسير من ترك المألوف .ولقد ذهب بعض أهل العلم كالخطابي وغيره، إلى أن تغريب الزاني، إنما هو من باب الأمر بتعذيبه ـ والسفر من جملة العذاب ـ ولقد سئل إمام الحرمين: لم كان السفر قطعة من العذاب؟ فأجاب على الفور: لأن فيه فرقة الأحباب [٢].

نعمة السفر في العصر الحديث:

إن السفر في العصر الحديث، يختلف عن السفر في قرون مضت، فقد مهدت الطرق، وجرت عليها العربات الآلية بشتى أنواعها المبدعة، فهي تسير بهم على الأرض إن شاءوا، أو تقلّهم الطائرات السابحة في الهواء إن رغبوا، أو تحملهم الفلك المواخر في البحر إن أرادوا، كما أن الأزمنة قد تقاصرت، فما كان يتم في شهور بشق الأنفس، أضحى يتم في أيام قصيرة بل ساعات قليلة، وبجهود محدودة، بل وربما عطس رجل في المشرق فشمته آخر في المغرب، وهذا مصداق حديث النبي من أن تقارب الزمان من علامات الساعة كما عند

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٥ / ١٣).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - (ج ٦ / ص ٣٠٦).

البخاري في صحيحه [(١)].

ومع هذه الراحة الميسرة فإن الأخطار المبثوثة هنا وهناك لم تنعدم، ففي الجو يركب المرء طائرة يمتطي بها سرج الهواء، معلقا بين السماء والأرض، بين مساومة الموت ومداعبة الهلاك، فوق صفيحة مائجة، قد يكون مصيره معلقا بأمر الله في خلخلة مسمار، أو إعطاب محرك، مما يؤكد الاحتماء بالله، وارتقاب لطفه المترجم بلزوم آداب السفر، والبعد عن معصية الله في هوائه بين سمائه وأرضه، والمستلزمة وجوبا، إقصاء المنكرات من الطائرات، والتزام الملاحين والملاحات بالحشمة والعفاف والبعد عما يثير اللحظ أو يستدعي إرسال الطرف.

وإن تعجب ـ أيها المسلم ـ، فعجب ما يفعله مشركو زمان النبي ﷺ من اللجوء إلى الله في الضراء ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [(٢)]، وبعض عصاة زماننا سراؤهم وضراؤهم على حد سواء، فقبح الله أقواما؛ مشركو زمان النبي أعلم بلا إله إلا الله منهم.

إن التقارب في الزمان والمكان بما هيأ الله من أسباب السرعة، لهو نعمة عظيمة، تستوجب الشكر للخالق والفرار إليه، في مقابل التذكر، فيما فعله الله ﷻ بقوم سبأ الذين كانوا في نعمة وغبطة، من تواصل القرى، بحيث إن

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٥٠، رقم ٩٨٩).

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٥.

مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [1].

ولكن لما بطروا نعمة الله ومالت نفوسهم إلى ضد حالهم ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [2].

ففرق الله شملهم بعد الاجتماع، وباعد بينهم بعد التقارب، حتى صاروا مضرب المثل؛ ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا: «تفرقوا أيدي سبأ» [3].

من فوائد السفر:

التأمل في عظمة خلق الله:

إن من أعظم فوائد السفر، وأكثرها تعلقا بالله، معرفةَ عظمته وقدرته، بالنظر إلى ما ابتدعه سبحانه وتعالى، خلقا جميلا عجيبا، من حيوان وموات، وساكن وذي حركات، وما ذرأ فيه من مختلف الصور التي أسكنها أخاديد الأرض، وخروق فجاجها، ورواسي أعلامها، من أوتاد ووهاد، فصار فيها جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن ذوات أجنحة

(١) سورة سبأ: الآية ١٨.

(٢) سورة سبأ: الآية ١٩.

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة (١ / ٣٨٧)، ومعاني القرآن (٥ / ٤١٢)، وتهذيب اللغة (١٣ / ٧٢).

مختلفة، وهيئات متباينة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾(١).

كونها بعد أن لم تكن في عجائب صور ظاهرة، ونسقها على اختلافها بلطيف قدرته ودقيق صنعه، فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه، ومنها مغموس في لون صبغ، قد طوِّق بخلاف ما صبغ به ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(٢).

فسبحان من أقام من شواهد البينات على عظمته وقدرته! ما انقادت له العقول معترفة به ومسلمة له، فبان لها أن فاطر النملة هو فاطر النخلة.

في السفر تعرف معادن الناس:

السفر غالباً يعري الإنسان من الأقنعة التي كانت تحجب طبيعته، وما سمي السفر سفرًا إلا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال.

آداب النزهة والسفر:

١- الاستخارة:

تعرض للمسلم أمور كثيرة في الحياة، يحتار في اختيار أحسنها، وقد جاءت الشريعة بسنة عظيمة، هي من أسباب توفيق الله له في اختيار أصلحها، وهي سنة الاستخارة، ومعناها: طلب الخير ممن بيده مفاتيح الخير، ثم التوكل عليه والرضا بقضائه.

---

(١) سورة النازعات: الآية ٢٦ .

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.

والاستخارة بديل عما كان يفعله المشركون من زجر الطيور أو الاستقسام بالأزلام أو الاستدلال بالنجوم والأبراج. يقول جابر ﷺ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآن(١) يَقُولُ: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ(٢) ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ (ويسمي حاجته) خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، -أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ-، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ، شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، -أَوْ قَالَ فِي**

---

(١) الاستخارة في الأمور الدنيوية، أما الأمور الدينية فالخير فيها واضح لا تردد فيه.أما إذا تعلق الأمر الدنيوي بالديني، كمن أقدم على الزواج واحتار فيمن يخطب، فيستخير الله من أجل خطبة المرأة، لا من أجل الزواج، فإن الله هو الذي شرع الزواج، وكل شرع الله خير.انظر:رسائل ابن رجب١/ ١٥٣. وكذلك يستخير المسلم في الأمور الدينية إذا ازدحمت عليه ولم يدر ما يقدم، فيطلب من الله أعظمها خيراً وأكثرها أجراً ونفعاً. وأما انشراح الصدر بعد الصلاة فلا علاقة له بالاستخارة، فقد ينشرح صدرك للشيء ثم لا يقدره الله لك، ويصرفه عنك بأنواع الصوارف، وقد لا ينشرح صدرك للشيء، ولكن الله ييسره لك فتفعله ويبارك لك فيه، ولكن إن احترت في أمرين وانشرح صدرك لأحدهما ففعلته فهذا نور على نور.

(٢) اختلف العلماء في مكان الدعاء، هل هو قبل السلام أو بعد السلام؟ قال الإمام ابن تيمية:يجوز الدعاء في صلاة الاستخارة وغيرها، قبل السلام وبعده، والدعاء قبل السلام أفضل، فإن النبيﷺ أكثر دعائه كان قبل السلام، والمصلي قبل السلام لم ينصرف فهذا أحسن. الفتاوى ٢٣/ ١٧٧ وقال: يصلي صلاة الاستخارة في وقت النهي، في أمر يفوت بالتأخير إلى وقت الإباحة. الفتاوى الكبرى٥ / ٣٤٥.

عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ-، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي به»(١).

٢- الاستشارة:

الناس يختلفون في تجاربهم وخبراتهم، والموفق من استشار أصحاب الخبرة والاختصاص، كل في عمله، فيسأل أصحاب السفريات عن أفضل الطرق، ويسأل أهل البلد عن أفضل الأماكن وهكذا.

وفائدة الاستشارة: أنها تختصر على الإنسان أموراً كثيرة، قد يعاني منها لو وقع فيها. وعلى من استشير في شيء أن ينصح في استشارته. يقول النبي ﷺ: «**إِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ**»(٢).

وقال ﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. وذكر منها: وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ**»(٣).

٣- تسديد الديون الحالة:

وتأمين النفقة لمن تلزمك نفقته، والتخلص من مظالم الخلق، فإن الشقي التعيس من دعا عليه مظلوم في ظلمة الليل. قالﷺ: «**اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٩٠، رقم ٦٩٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٣٣، رقم ٥١٢٨)، والترمذي (٥/ ١٢٥، رقم ٢٨٢٢) وقال: حسن. وابن ماجه (٢/ ١٢٣٣، رقم ٣٧٤٥)، والبيهقي (١٠/ ١١٢، رقم ٢٠١٠٩).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٠٥، رقم ٢١٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٥٤٤، رقم ١٤٢٥)، ومسلم (١/ ٥١، رقم ١٩).

٤- أخذ الاحتياطات اللازمة للنزهة والسفر:

حتى لا تكون عالة على غيرك، وقد بايع بعض الصحابة النبي ﷺ على ألا يسألوا الناس شيئاً[١]. وأخذ لوازم السفر، سبب لعدم سؤال الناس.

ومما يحسن التنبه له: تفقد إطارات السيارة وسوائلها وأجهزتها. حتى لا تقع في موقف ترثى له.

وإذا تعطلت إحدى محركات السيارة فقل: بسم الله.فعن أبي المليح عن أبيه قال: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَعَثَرَتْ دَابَّةٌ فَقُلْتُ تَعِسَ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: **«لا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ، تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ الله، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ، تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»**[٢].

٥- الخروج يوم الخميس إن تيسر ذلك:

قال كعب بن مالك ﷺ: لقلما كان رسول الله ﷺ يخرج إذا خرج في سفر، إلا يوم الخميس[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٢١، رقم ١٠٤٣).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ١٤٢، رقم ١٠٣٨٩)، وأبو يعلى في المعجم (١/ ٨٣، رقم ٧١)، والطبراني (١/ ١٩٤، رقم ٥١٦)، وقال الهيثمي (١٠/ ١٣٢): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن حمران وهو ثقة. والحاكم (٤/ ٣٢٥، رقم ٧٧٩٣)، والضياء (٤/ ١٩٦، رقم ١٤١٢) وقال: إسناده صحيح. وأخرجه أيضًا: أبو داود (٤/ ٢٩٦، رقم ٤٩٨٢)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٣٠٦، رقم ١٠٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٧٨، رقم ٢٧٨٩).

٦- التوديع:

يستحب للمسلم توديع الأقربين من أهله وأقاربه وأصحابه وجيرانه.

قال سالم بن عبد الله كان ابن عمر يقول للرجل إذا أراد سفراً: ادن مني أودعك، كما كان رسول الله ﷺ يودعنا فيقول: «**أَسْتَوْدِعُ الله دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ**»[(١)].

وفي رواية قال ﷺ: «**إذا اُسْتُودِعَ اللهَ شيئاً حَفِظَهُ**»[(٢)].

وقال أنس رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي، قَالَ: «**زَوَّدَكَ الله التَّقْوَى**»، قَالَ: زِدْنِي قَالَ: «**وَغَفَرَ ذَنْبَكَ**»، قَالَ: زِدْنِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي قَالَ: «**وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلا قال: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ فَأَوْصِنِي قَالَ: «**عَلَيْكَ بِتَقْوَى الله وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ**»، فَلَمَّا أَنْ وَلَّى الرَّجُلُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٤ ، رقم ٢٦٠٠) ، والترمذي (٥/ ٤٩٩ ، رقم ٣٤٤٣) وقال : حسن صحيح غريب . وأخرجه أيضًا : أحمد (٢/ ٧ ، رقم ٤٥٢٤) ، وابن ماجه (٢/ ٩٤٣ ، رقم ٢٨٢٦) ، والحاكم (٢/ ١٠٦ ، رقم ٢٤٧٥) وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(٢) أخرجه الطبراني (١٢/ ٤٢٧ ، رقم ١٣٥٧١) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (٦/ ٤١٠ ، رقم ٢٦٩٣) ، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٣١ ، رقم ١٠٣٤٣) ، والطبراني في الأوسط (٥/ ٦٠ ، رقم ٤٦٦٧) ، وفى الشاميين (٢/ ٥٢ ، رقم ٩٠٦) .

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٠٠ ، رقم ٣٤٤٤) وقال : حسن غريب . وابن خزيمة (٤/ ١٣٨، رقم ٢٥٣٢) ، والحاكم (٢/ ١٠٧ ، رقم ٢٤٧٧) ، والضياء (٤/ ٤٢١ ، رقم ١٥٩٧) وقال : إسناده حسن .

قَالَ: «**اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الأَرْضَ وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ**»(١).

٧- تجنب سفر المسلم وحْدَه:

قال ابْن عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ،(أي: من الآفات التي تعترضه) مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَه**»(٢).

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «**الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ**»(٣). قال ابن عبد البر رحمه الله: الشيطان هو: البعيد عن خير الرفيق وعونه، فلا يؤمن على المسافر، أن تعترضه الشياطين، وإذا كانوا ثلاثة زال الخوف في الأغلب.

٨- الإمارة:

تأمير أحد الرفقة من أهم الأمور، والرفقة التي ليس فيها أمير عاقل خبير، عرضة للشقاق والتفرق والتحزب، قال أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «**إِذَا خَرَجَ ثَلاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**»(٤). قال

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٠٠، رقم ٣٤٤٥) وقال: حسن. والحاكم (١/ ٦١٤، رقم ١٦٣٣) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأحمد (٢/ ٣٣١، رقم ٨٣٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩٢، رقم ٢٨٣٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٦، رقم ٦٧٤٨)، وأبو داود (٣/ ٣٦، رقم ٢٦٠٧)، والترمذي (٤/ ١٩٣، رقم ١٦٧٤) وقال: حسن صحيح. والحاكم (٢/ ١١٢، رقم ٢٤٩٥) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٥/ ٢٥٧، رقم ١٠١٢٧). وأخرجه أيضًا: مالك (٢/ ٩٧٨، رقم ١٧٦٤)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٦٦، رقم ٨٨٤٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٦، رقم ٢٦٠٨)، وأبو يعلى (٢/ ٣١٩، رقم ١٠٥٤)، والبيهقي

الإمام ابن تيمية: لا بد للناس عند الاجتماع من رأس، وقد أوجب النبي ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، تنبيهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع.أ.هـ.

ثم إنه لابد من طاعة الأمير، وعصيان أمير الرفقة، يترتب عليه شر ونزاع عظيم، والموفق من هداه الله لطاعة أميره، حتى لو خالف ما يعلمه أو يهواه، ما لم يأمر بمعصية؛ قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ وَمَنْ يُطِعْ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»(١).

٩- دعاء الركوب:

للركوب دعاء خاص مهم، يحرص عليه المسلم كلما ركب سيارته. فعن علي بن ربيعة قال: شَهِدْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه وَأُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ»، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: «الْحَمْدُ لله» ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾(٢) ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لله» ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «الله أَكْبَرُ» ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ»، ثُمَّ

(٥/ ٢٥٧ ، رقم ١٠١٣١) . وأخرجه أيضًا : أبو عوانة (٤/ ٥١٤ ، رقم ٧٥٣٨) ، والطبراني في الأوسط (٧/ ٩٩ رقم ٨٠٩٣) .

(١) أخرجه البخارى (٣/ ١٠٨٠ ، رقم ٢٧٩٧) ، ومسلم (٣/ ١٤٦٦ ، رقم ١٨٣٥).

(٢) سورة الزخرف: الآيتان ١٣ – ١٤.

ضَحِكَ، فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ، قَالَ :رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ، قَالَ: «**إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي**»(١).

١٠- دعاء السفر:

هذا الدعاء فيه التجاء العبد لربه واعتصامه بخالقه وتوكله عليه وتفويض أموره إليه.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلاثًا ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾(٢)، **اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنْ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ**»(٣).

---

(١) أخرجه الطيالسي (١/ ٢٠ ، رقم ١٣٢) ، وأحمد (١/ ٩٧ ، رقم ٧٥٣) ، وعبد بن حميد (١/ ٥٨ ، رقم ٨٨) ، وأبو داود (٣/ ٣٤ ، رقم ٢٦٠٢) ، والترمذي (٥/ ٥٠١ ، رقم ٣٤٤٦) ، والنسائي (٥/ ٢٤٧ ، رقم ٨٧٩٩) ، وأبو يعلى (١/ ٤٣٩ ، رقم ٥٨٦) ، وابن حبان (٦/ ٤١٥ ، رقم ٢٦٩٨) ، والحاكم (٢/١٠٨، رقم ٢٤٨٢) ، والبيهقي (٥/ ٢٥٢، رقم ١٠٠٩٧) ، والضياء (٢/ ٢٩٥ ، رقم ٦٧٦) .

(٢) سورة الزخرف: الآيتان ١٣ – ١٤.

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٩٧٨ ، رقم ١٣٤٢).

١١- الاستفادة من الطريق:

يحسن بالمسلم أن يستفيد من طول الطريق، بسماع الأشرطة النافعة من محاضرات دينية، أو قصائد وأناشيد، تُعلم الأدب وتُبعد الملل.

وليحذر من سماع مزامير الشياطين وآلات اللهو. قال أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**لا تَصْحَبُ الْمَلائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلا جَرَسٌ**»(١). فكيف بك يا سامع الغناء، إذا ذهبت عنك ملائكة الرحمن وركب معك الشيطان، ألا تخشى أن تكون عرضة للمصائب والنكبات.

١٢- مراعاة آداب الطريق:

من التزام آداب الطريق كالسرعة النظامية، وعدم إيذاء الناس بالمنبهات والأنوار المزعجة أو الوقوف في وسط الطريق أو رمي المخلّفات في الطرق. ولقد أرشد النبي ﷺ بعبارة مختصرة، شاملة لجميع مخالفات الطريق فقال: «**أَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**»(٢).

١٣- التكبير والتهليل والتسبيح:

يمر المسافر بأماكن مرتفعة وأماكن منخفضة، والسنة أن يكبر ويهلل إذا صعد، ويسبح إذا نزل.

يقول جابر رضي الله عنه: «**كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٧٢، رقم ٢١١٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٥٦، رقم ٤٨١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٦٩، رقم ٢٩٩٣).

وفي حديث أبي موسى ﷺ قال: «**هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا**»[(١)].

١٤- الدعاء في الليل:

فعن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَسْحَرَ (أي: دخل وقت السحر) يَقُولُ: «**سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ الله، وَحُسْنِ بَلائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبْنَا وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا، عَائِذًا بِاللهَّ مِنْ النَّارِ**»[(٢)].

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرٍ ﷺ قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ إِذَا سَافَرَ فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ قَالَ: «**يَا أَرْضُ رَبِّي وَرَبُّكِ الله، أَعُوذُ بالله مِنْ شَرِّكِ، وَشَرِّ مَا فِيكِ، وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، وَأَعُوذُ بِاللهَّ مِنْ أَسَدٍ وَأَسْوَدَ، وَمِنْ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِي الْبَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ**»[(٣)].

١٥- دعاء دخول القرية:

إذا أقبل المسلم على قرية أو مدينة، فإنه يسن له أن يذكر الدعاء الوارد في

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٠١ – ١٠٢، رقم ٦٣٨٤)، ومسلم (٨/ ٧٣، رقم ٢٧٠٤).

(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى (٥/ ٢٥٧، رقم ٨٨٢٨)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (ج ١ / ص ٦١٥)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، و صحيح ابن حبان - (ج ٦ / ص ٤١٩)، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه أبوداود (٣/ ٣٤، رقم ٢٦٠٣) ، والنسائي في الكبرى (٤/ ٤٤٣ ، رقم ٧٨٦٢)، وابن خزيمة (٤/ ١٥٢ ، رقم ٢٥٧٢) ، والحاكم (١/ ٦١٥ ، رقم ١٦٣٧) ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والبيهقي (٥/ ٢٥٣ ، رقم ١٠١٠١) ، والطبراني في الشاميين (٢/ ٨٥ ، رقم ٩٦٢) .

ذلك؛ فعن صهيب ﵁ أن النبي ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها: **«اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها»**(١).

١٦- الأذان والصلاة:

ليحرص المسلم على الأذان والصلاة في المنتزهات والصحاري ففيه فضل عظيم؛ قال أبو سعيد الخدري ﵁: قال النبي ﷺ: **«لا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلا إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ إِلا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**(٢).

وفي حديث ابن عمر ﵄: **«يَغْفِرُ اللهُ لِلْمُؤَذِّنِ مُنْتَهَى أَذَانِهِ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ سَمِعَ صَوْتَهُ وَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّى مَعَهُ»**(٣).

وأما عن الصلاة فقال أبو سعيد الخدري ﵁: قال رسول الله ﷺ **«الصَّلاةُ فِي جَمَاعَةٍ تَعْدِلُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ صَلاةً فَإِذَا صَلاهَا فِي فَلاةٍ، فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا بَلَغَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً»**(٤).

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ١١٠، رقم ٢٤٨٨)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصحيح ابن خزيمة (٤/ ١٥٠، رقم ٢٥٦٥)، وصحيح ابن حبان (٦/ ٤٢٥، رقم ٢٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٢١، رقم ٥٨٤).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٤، رقم ١٨٥٢٩)، والنسائي (٢/ ١٣، رقم ٦٤٦)، قال المنذري (١/ ١٠٩): رواه أحمد، والنسائي بإسناد حسن جيد. والروياني (١/ ٢٣١ رقم ٣٢٨). والطبراني في الأوسط (٨/ ١٣٦ رقم ٨١٩٨).

(٤) أخرجه أبو داود (١/ ١٥٣، رقم ٥٦٠)، والحاكم (١/ ٣٢٦، رقم ٧٥٣) وقال:

١٧- دعاء النزول:

إذا نزل المسلم منزلاً فإنه يستحب له أن يدعو بالدعاء الوارد في ذلك؛ قالت خولة بنت حكيم رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ** (١) **مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»(٢).

١٨- مراعاة نظافة الأماكن والمتنزهات:

فاحرص على عدم رمي المخلفات، من الزبائل وبواقي الأطعمة في طرقات الناس أو تحت ظلال الأشجار، وإذا كنت تحب الأماكن النظيفة، لتجلس فيها مرتاحاً مع أهلك، فكذلك من بعدك يحب ذلك.وانتبه أن يلعنك الناس بسبب تلويث متنزهاتهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**اتَّقُوا اللَّاعنَيْنِ**» قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ**»(٣).

١٩- الحرص على العفاف والحشمة وعدم التبرج والفتنة:

فانتبه أخي المسلم على أهلك من لصوص البشر، وقراصنة الأعراض،

صحيح على شرط الشيخين .

(١) قال الإمام ابن تيمية: كلماته التامة: هي التي كوّن بها الأشياء كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (الفتاوى ٨/ ٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨٠ ، رقم ٢٧٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٦ ، رقم ٢٦٩).

وسراق الشرف والفضيلة؛ واحرص على تسترهم، وجنبهم العبايات المزخرفة والنقاب الواسع، وتفقد جهاز الجوال وخدمة البلوتوث، ولكن دون تعقيد وتضييق، فكن وسطاً بين طرفين.

قال جابر بن عتيك كان نبي الله ﷺ يقول: «**مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ الله وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ الله، فَأَمَّا الَّتِي يُحِبُّهَا الله فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا الله فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ**»[(١)].

٢٠- تجنب حضور الحفلات الغنائية:

والذهاب إلى أماكن اللهو والمحرمات، وإن من أعظم المصائب، أن تسن المحرمات وتنظم، وتوضع لها الدعايات، وتهيأ لها الأماكن، ويعتنى بها أشد من العناية بمجالس الدعوة وأماكن الخير. قال أبو عامر أو أبو مالك الأشعري: قال النبي ﷺ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ**»[(٢)].

٢١- دعاء الرجوع من السفر:

يسن للمسلم إذا رجع إلى أهله، أن يعيد دعاء السفر ويزيد عليه، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً أن رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ[(٣)] يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنْ الْأَرْضِ ثَلاثَ تَكْبِيرَاتٍ ثُمَّ يَقُولُ: «**لا إِلَهَ إِلا**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٤٣ ، رقم ١٩٩٦) ، والديلمي (٣/ ٦٣٧ ، رقم ٥٩٩٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٢٣ ، رقم ٥٢٦٨).

(٣) قال ابن حجر:عند الجمهور يشرع قول ذلك في كل سفر طاعة. وقيل يتعدى أيضا إلى

اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ، تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»[(١)].

٢٢- التعجل إلى الأهل:

يستحب للمسلم أن يتعجل إلى أهله، عند انتهائه من سفره؛ قال أبو هريرة ﷺ قال النبي ﷺ: «**السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنْ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ**»[(٢)].

٢٣- إخبار الأهل بالقدوم:

يستحب للمسافر أن ينبه أهله قبل الدخول عليهم. قال أنس بن مالك ﷺ: كان رسول الله ﷺ لا يطرق أهله ليلا وكان يأتيهم غدوة أو عشية [(٣)].

وقال جابر ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمْ الْغَيْبَةَ**[(٤)] **فَلا يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلا**»[(٥)].

المباح، وإليه أشار البخاري. وإنما اقتصر الصحابي على الثلاث لانحصار سفر النبي ﷺ فيها. الفتح ١١/ ١٨٩

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٨٧ ، رقم ٥٨٣١) ، ومسلم (٢/ ٩٨٠ ، رقم ١٣٤٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٩، رقم ١٨٠٠) ، ومسلم (٦/ ٥٥ ، رقم ١٩٢٨) .

(٤) قال ابن حجر: التقييد فيه بطول الغيبة، يشير إلى أن علة النهي إنما توجد حينئذ، فالحكم يدور مع علته وجوداً وعدما. الفتح ٩/ ٣٤٠.

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٠٨ ، رقم ٤٩٤٦) ، ومسلم (٣/ ١٥٢٨ ، رقم ٧١٥).

وقال ﷺ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ فَقَالَ: «**أَمْهِلُوا حَتَّى نَدْخُلَ لَيْلاً،أَيْ عِشَاءً، كَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ**»(١).

قال النووي رحمه الله: «يكره لمن طال سفره أن يقدم على امرأته ليلا بغتة، وإذا علمت امرأته أنه قادم، فلا بأس بقدومه متى شاء، لزوال المعنى الذي نهي بسببه، فإن المراد أن يتأهبوا وقد حصل ذلك ولم يقدم بغتة»(٢).

٢٤- سنة الوصول إلى البلد:

من فضل الله عليك وحفظه لك، أن يوصلك إلى أهلك وبلدك صحيحاً معافى، وشكراً لهذه النعمة، يستحب لك الذهاب إلى المسجد قبل كل شيء،والصلاة فيه ركعتين لله تعالى؛ قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: لَمَّا قَدِمَ النبي ﷺ الْمَدِينَةَ، أَمَرَنِي أَنْ آتِيَ الْمَسْجِدَ، فَأُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ(٣).

وقال كعب بن مالك ﷺ: كَانَ رسول الله ﷺ لا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ إِلا نَهَارًا فِي الضُّحَى، فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ (٤).

٢٥- الدعاء عند دخول البيت:

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إذا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فدَخَلَ أَهْلَهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٨٨ ، رقم ٧١٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣ / ٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١١٢٣، رقم ٢٩٢٣)، ومسلم (٣/ ١٢٢٤، رقم: ٧١٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٤٢٥ ، رقم ٤٨٨٧) .

قَالَ: «تَوْبًا تَوْبًا، لِرَبِّنَا أَوْبًا لا يُغَادِرُ عَلَيْنَا حَوْبًا »[(١)].

٢٦- الطعام عند القدوم:

من آداب الإسلام، ومحاسنه العظام، إظهار الفرح والسرور، وتغذية الروح الإنسانية، بما يوافق الطباع السليمة، وإن من الآداب الواردة عن نبينا الكريم ما يسمى بالنَّقِيعَة، وهي: طعام القدوم، إظهاراً لبهجة الإنسان عند قدومه لبلده.

قال جابر ﵁: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ، نَحَرَ جَزُورًا أَوْ بَقَرَةً[(٢)].
الجزور : البعير ذكرا كان أو أنثى ، إلا أن اللفظة مؤنثة.

وهذا يدل على جواز مثل ذلك، وأن الإنسان إذا قدم من سفر له أن يذبح شيئاً شكراً لله ﷻ على كونه وصل سالماً، ومن أجل أن يلتقي بالناس ويحصل اللقاء بينه وبينهم ويأكلون من طعامه.

ولكن لا يصح أن يتكلف الناس بحيث إنهم كلما حصل سفر فعلوا ذلك؛ لأنه ما جاء عن النبي ﷺ أنه كان يفعل ذلك في كل سفراته، وأنه

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٩ ، رقم ٢٧٢٣) ، وابن أبي شيبة (٦/ ٧٨ ، رقم ٢٩٦٠٦) ، وأبو يعلى (٤/ ٢٤١ ، رقم ٢٣٥٣) ، والطبراني (١١/ ٢٨٠ ، رقم ١١٧٣٥) ، وقال الهيثمي (١٠/ ١٣٠) : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى والبزار وزادوا كلهم على أحمد آيبون ورجالهم رجال الصحيح إلا بعض أسانيد الطبراني.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١٢٣، رقم ٢٩٢٣).

كلما قدم من سفر فعل ذلك، ولكن هذا الفعل يدل على الجواز وعلى أن ذلك سائغ، لكن لا يقال: إنه مستحب ومن لم يفعل ذلك فقد ترك أمراً مستحباً.



آداب النصيحة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فقد روى مسلم رحمه الله في صحيحه أن رسول الله قال: «**الدين النصيحة**»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامّتهم**»(١). قال النوويّ رحمه الله: «هذا حديثٌ عظيم الشّأن، وعليه مدارُ الإسلام، وأمّا ما قاله جماعاتٌ من العلماءِ أنّه أحدُ أرباع الإسلام ـ أي: أحدُ الأحاديث الأربعة التي تجمَع أمور الإسلام ـ فليسَ كما قالوه، بل المدارُ على هذا وحدَه»(٢).

تعريف النصيحة:

النّصيحة هي القيامُ بحقوق المنصوح له مَع المحبّة الصادقةِ، والحقوقُ تكونُ بالأقوال والأعمال وإراداتِ القلب، قال الأصمعي: «النّاصحُ الخالِص من الغِلّ، وكلّ شيء خلُص فقد نصح»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٢، رقم ١٦٩٨٢)، ومسلم (١/ ٧٤، رقم ٥٥)، وأبو داود (٤/ ٢٨٦، رقم ٤٩٤٤).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٣٧).

(٣) فتح القدير ـ الشوكاني (٢ / ٢١٦).

وقال الخطابيّ: «وأصلُ النّصح في اللّغة الخلوص، يقال: نصحتُ العسلَ إذا خلّصته من الشّمع»[١].

وقال بعضُ أهلِ العلم: «جماعُ تفسير النّصيحة هو عنايَة القلبِ للمنصوح له مَن كان، وهي على وجهين: أحدُهما فرضٌ، والآخر نافلة. فالنّصيحة المفترَضة لله ﷻ هي شدَّة العنايةِ من النّاصح باتّباع محبّةِ الله ﷻ في أداءِ ما افترَض ومجانبةِ ما حرّم.

وأمّا النّصيحة التي هي نافلة فهي إيثار محبَّتِه على محبّة نفسِه، وذلك أن يَعرِضَ أمران: أحدُهما لنفسِه والآخر لربّه، فيبدأ بما كان لربِّه ويؤخِّر ما كانَ لنفسِه»[٢].

وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث على النصيحة لله ﷻ.

أهمية النصيحة:

كلمة النصيحة من الكلمات التي يرتاح إليها السمع، وتطمئنّ إليها النفس، وتميل إليها المشاعر النقيّة؛ لأنها تهدف إلى الودّ والصلاح، وإلى ما ينفع الناس، يقولون: إنك نصحت القول لفلان، أي قصدت مصلحته ومنفعته، من هنا نجد أن النصيحة مهمّة جدًّا بين المسلمين، حيث إن رسول الله ﷺ اهتم بها، وأمر بها وكأنها ركن من أركان الإسلام، ولُبّ الإسلام، وجوهر الإسلام، ومن أوجه أهمية النصيحة:

---

(١) شرح السنة ـ البغوي (١٣ / ٩٤).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٩١)، وجامع العلوم والحكم (١ / ٧٩).

النصيحة من خلق الأنبياء:

النصيحة خُلُق أنبياء الله ورسُلِه، فهم أنصَح الخَلق، وأبرُّهم وأنقاهم، قال الله عن نوح عليه السلام أنّه قال لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١). وقال عن هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (٢). وقال عن النبيّ صالح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (٣).

النصيحة سنة النبي صلى الله عليه وسلم:

ومحمّد أعظمُ الخلقِ نُصحًا للخلقِ، وشفقةً على أمّته، ونصحًا لهم، وخوفًا عليهم، وصدَق الله سبحانه وتعالى إذ قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤).

فلا طريق يقرِّبنا إلى الله إلا بيَّنه لنا وأمرَنا به وبسلوكِه، ولا طريقَ يباعِدنا من الله إلاّ بيَّنه لنا وحذَّرنا من سلوكِه، فلقد بيَّنَ غايةَ البيان، ونصَح غايةَ النصيحة، وترك أمّته على المحجّة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدَه إلاّ هالك.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٦٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٦٨.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٧٩.

(٤) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

اشترط النبي النصيحة على من بايعه ﷺ:

كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يبايعون الرسول ﷺ على الصلاة والزكاة والنصيحة لكل مسلم، كما جاء ذلك في قول جرير بن عبد الله رضي الله عنه حينما قال: «بايعت رسول الله على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»(١).

وقال النبي ﷺ فيما رواه عن ربِّ العزّة سبحانه وتعالى: «**أحب ما تعبّدني به عبدي النصح لي**»(٢).

النصيحة من هدي السلف الصالح:

كان سلفنا الصالح - رحمهم الله - يتناصحون فيما بينهم، ويقبلون النصيحة، ولو كان الناصح دونهم في السن أو العلم أو الجاه، وحذروا من رد النصيحة، قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾(٣)، هو الرجل ينصح أخاه فيقول: (عليك نفسك)، أو: (مثلك لا ينصحني)(٤).

النصيحة من حقوق الأخوة بين المسلمين:

قال ﷺ: «**إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له**»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٥، رقم ١٩٢٦٥)، و الشافعي (١/ ٢٣٣).

(٢) أخرجه الطبراني (٨/ ٢٢١، رقم ٧٨٨٠).

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٦.

(٤) سنن النسائي الكبرى (٦ / ٢١٣)، ومعاني القرآن الكريم للنحاس (١ / ١٥١).

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٨، رقم ١٥٤٩٣)، والطبراني (٢٢/ ٣٥٤، رقم ٨٨٧).

فالنصحُ بين المسلمين أفرادًا ومجتمعًا يعدُّ أمارةً من أماراتِ الاهتمام بالصّلاح والإصلاح والمودة والمحبة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «حقُّ المسلم على المسلم ستّ: إذا لقيتَه فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجِبه، وإذا استنصَحَك فانصَح له، وإذا عَطس فحمِدَ الله فشمِّته، وإذا مرِض فعُده، وإذا ماتَ فاتبَعه»(١).

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**ثلاثٌ لا يَغلّ عليهن قلبُ امرئ مسلم: إخلاصُ العملِ لله، ومناصحةُ ولاةِ الأمر، ولزوم جماعة المسلمين**»(٢).

ومعنى الحديث أنّ هذِه الخلالَ الثلاث تصلِح القلوبَ وتطهّرها مِن الخيانة والغِلّ والخبائث.

النصيحة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فبالنصيحة يتم إحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في واقعِ حياتِهم، وبيانِ حجّة أهل السنّة والجماعة، فضلاً عن خطورةِ إهمال هذا الباب

والطيالسي (ص ١٨٥، رقم ١٣١٢).

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٢، رقم ٨٨٣٢)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣١٩، رقم ٩٢٥)، ومسلم (٤/ ١٧٠٥، رقم ٢١٦٢). وابن حبان (١/ ٤٧٧، رقم ٢٤٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٨٠، رقم ١٦٧٨٤)، والدارمي (١/ ٨٦، رقم ٢٢٨)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٠٨، رقم ٧٤١٣)، والطبراني (٢/ ١٢٦، رقم ١٥٤١)، والحاكم (١/ ١٦٢، رقم ٢٩٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأبو داود (٣/ ٣٢٢، رقم ٣٦٦٠)، وابن ماجه (١/ ٨٤، رقم ٢٣٠)، والطبراني (٥/ ١٥٤، رقم ٤٩٢٥).

والوقوع في مغبّة مجانبته، ومن ثمَّ الاتِّصاف بما حذّر منه النبيّ ﷺ بقوله: «**من لا يهتمّ بأمر المسلمين فليسَ منهم**» (١).

فالنصيحة من قوام الدين، حيث بالنصيحة يستقيم أمر العباد وبها تستضاء سبيل الرشاد، والنصيحة كلمة جامعة يعبر بها عن إرادة الخير للمنصوح له.

النصيحة صفة الصالحين المصلحين:

وصُلحاءُ هذه الأمّة هم المتّصفون بالنصيحة لله ولكتاب الله ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم، وقيل: «ما فاق أبو بكر رضي الله عنه أصحابَ رسول الله بصوم ولا بصلاةٍ، ولكن بشيء كان في قلبِه». قال: «الذي كان في قلبه الحبّ لله سبحانه وتعالى والنصيحة في خلقه» (٢).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «ما أدرك عندنا مَن أدرك بكثرةِ الصّلاة والصّيام، وإنّما أدرك عندنا بسخاوةِ الأنفس وسلامةِ الصدر والنّصح للأمّة»(٣).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٧٠ ، رقم ٧٤٧٣) . وأخرجه أيضًا : في الصغير (٢/ ١٣١ ، رقم ٩٠٧) . قال الهيثمي (١/ ٨٧) : فيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي ضعفه محمد بن حميد ، ووثقه أبو حاتم ، وأبو زرعة ، وابن حبان .

(٢) جامع العلوم والحكم للبغدادي (١ / ٨١)، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني (١/ ٣٦).

(٣) تهذيب الأسماء للنووي (٢/ ٣٦٤)، وجامع العلوم والحكم للبغدادي (١/ ٨١)، وطبقات الأولياء لابن الملقن (١ / ٤٤).

حكم النصيحة:

النصيحة واجبة على المسلمين للمسلمين، فهي عماد الدين، ولذلك عد قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»، أصلاً عظيماً من أصول الإسلام، و- كما سبق - قد كان النبي ﷺ يأخذ البيعة من الصحابة رضي الله عنهم على النصح لكل مسلم.

مجالات النصيحة:

النصيحة لله:

النصيحة لله بتوحيده سبحانه وتعالى:

معنى النّصيحة لله تعالى هي عبادتُه وحدَه لا شريك له، بإخلاصٍ، ومتابعة للهدي النبويّ، مع كمال الذلّ والخضوع والمحبّة لله سبحانه وتعالى، وعدمُ الإشراك به في: الدعاء، أو الذبح، أو النّذر، أو الاستعانة، أو الاستعاذة، أو الاستغاثة، أو التّوكّل، أو الرّجاء، أو الرّغبة، أو الرّهبة، أو أيّ نوع من أنواع العبادة لقول الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ (٢).

النّصيحة لله بالإيمان بصفاته سبحانه وتعالى:

فمن النصيحة لله الإيمان بصفاتِه سبحانه وتعالى، التي وصف بها نفسَه أو وصفه بها

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٢) سورة الجن: الآية ١٨.

رسوله، وإثباتُها كلِّها لله إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهُه سبحانه وتعالى عمّا لا يليق به تنزيهًا بلا تعطيل للصفات، واعتقادُ توحُّده وتفرُّده سبحانه بالخلق والتّدبير، وتصريف الكونِ في الدّنيا والآخرة، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]. ولقوله سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[2].

النصيحة لله بعبادته سبحانه وتعالى:

فمن النصيحة لله سبحانه وتعالى التقرّبُ إليه بكلّ فريضةٍ ونافلة، ومجانبة محرَّماته، فمَن قام بهذه الحقوق لربّه فقد نصح لخالقه، وفي مراسيل الحسن البصريّ رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «**أرأيتُم لو كان لأحدكم عبدان فكان أحدُهما يطيعه إذا أمره، ويؤدّي إليه إذا ائتمَنَه، وينصح له إذا غاب عنه، وكان الآخر يعصيه إذا أمَرَه، ويخونه إذا ائتمَنَه، ويغشّه إذا غاب عنه، أيكونان سواء؟**» قالوا: لا، قال: «**فكذلكم أنتم عندَ الله عزّ وجلّ**»[3].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «**قال الله تعالى: أحبُّ ما تعبَّدني به عبدي النصحُ لي**»[4].

---

(١) سورة الأعراف: الآية٥٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٨ .

(٣) كتاب الزهد الكبير للبيهقي (١ / ٢٨٥).

(٤) سبق تخريجه.

النصيحة لله بمراقبته سبحانه وتعالى:

ومن النصيحة لله تعالى أن تراقبه سبحانه وتعالى في السرّ والعلن، وأن تصون نفسك عما لا يرضى الله عنه، وعندما سُئِل أحد العارفين عن معنى النصيحة لله سبحانه وتعالى قال: «إذا عُرِضَ عليك أمران أحدهما لله والآخر لنفسك ولدنياك قدمت ما هو لله على ما هو لنفسك ولدنياك».

النصيحة لكتاب الله سبحانه وتعالى:

تلاوته وتدبره:

النصيحة لكتاب الله سبحانه وتعالى هي أن تقرأه، وتتدبّر آياته، وتحسن الاستفادة بما جاء فيه من آداب وسلوك وهدى وعظات وبينات، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخَرِب، كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَشّر الذين يجتهدون في تلاوة القرآن الكريم بأجر الملائكة الكرام، وأنه من دواعي الغِبْطة والسرور، فقال صلى الله عليه وسلم: «**الماهر بقراءة القرآن الكريم مع الملائكة الكرام البررة**»[2]. كما بيّن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ الذي يقرأ القرآن وهو عليه شاقٌّ فله أجران.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٨.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٨٢، رقم ٤٦٥٣)، ومسلم (١/ ٥٤٩، رقم ٧٩٨)، وأبو داود (٢/ ٧٠، رقم ١٤٥٤)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٢، رقم ٣٧٧٩).

استماعه وحسن الإصغاء له:

ومن ذلك أن نحسن الاستماع إليه بخشوع، كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾[(١)].

فرسول الله ﷺ لم يكتف بتعليم أصحابه رضي الله عنهم تلاوة القرآن فحسب، بل كان يحب أن يسمعه من غيره، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أتاني رسول الله وقال: «**اقرأ عليَّ شيئًا من القرآن**»، قال: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟! فبدأت بسورة النساء حتى بلغت هذه الآية: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾[(٢)]. فنظرت إليه فإذا عيناه تذرفان بالدموع[(٣)].

العمل به:

ومن النصيحة لكتاب الله سبحانه وتعالى أن نعمل به ونحسن اتباعه، ونطبّق ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى على أنفسنا، وعلى من هم تحت ولايتنا، فلا يكون القرآن الكريم كلمات تقرأ فقط، بل تكون منهجا ودستورًا.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٤١.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٠ ، رقم ٣٦٠٦) ، والبخاري (٤/ ١٩٢٧ رقم ٤٧٦٨)، ومسلم (١/ ٥٥١، رقم ٨٠٠) ، وأبو داود (٣/ ٣٢٤ ، رقم ٣٦٦٨) .

النصيحة لرسوله ﷺ :

طاعة أمره ﷺ:

والنّصيحة لرسول الله هي طاعةُ أمره واجتناب نهيِه وتصديق أخباره وعبادة الله بشرعه ونُصرة سنّته.

العناية بسنته ﷺ والدفاع عنها:

ومن النصيحة لرسول لله ﷺ العناية بهديه تعلُّما وتعليمًا، وبُغض من يكرَه سنّتَه، والاقتداء به ظاهرًا وباطنًا ومحبتُه أكثرَ من النفس والمال والأهل والولد، والردُّ من العلماء على الأهواء المضلّة بالكتاب والسنّة والذبُّ عن سنّة رسول الله ﷺ.

تعظيمه ونصرته ﷺ:

ومن النصيحة له ﷺ تعظيمه، ونصره حياً وميتاً.

النصيحة لأئمة المسلمين :

نصيحتهم والدعاء لهم بالصلاح:

مِن النصيحة لأئمة المسلمين أن تدعوَ الله لهم بالخيرِ والصّلاح والتوفيق، وإذا أرَدنا نصيحةً فلتكن نصيحةً هادِفة يقصَد منها الخيرُ والإصلاح، لا الانتقام والشّماتة، فإنّ الولاةَ صلاحُهم واستقامتهم رحمةٌ منَ الله بالأمّة، وإذا وفّق الله الولاةَ للخير سعدَت الأمّة في حياتها،

واتّجهت لكلّ خير، وسلِمت من الفتَن والبَلاء، وما حصلت القلاقل وما حصَل الاضطرابُ وسفك الدّماء وانتقاص الأرزاقِ والفتَن إلاّ لمّا فقِدت طاعة ولاةِ الأمر، ولما كانت بعضُ الشعوب ليس لها من يقودها ولا من ينظّم حالَها عاشت في شقاءٍ وبلاء، فالولاةُ نعمة من الله للعباد، فالتّعاون معهم وشدّ أزرِهم والقيام معهم فيما يصلِح الأمّة ويردّ عنها كيدَ الكائدين، هذا من النّصيحة لولاةِ أمر المسلمين.

النصيحة لعامة المسلمين:

حب الخير لهم:

فمِن خُلُق المؤمِن حبُّ الخير للمؤمنين، فهو يَراهم إخوانًا لَه في الإسلام، إذًا فهوَ يحبّ لهم مَا يحبّ لنفسِه، ويكرَه لهم ما يكرَه لنَفسه.

يحبّ لهم الهدايةَ والاستقامةَ والثباتَ عَلى الحقِّ، ويكرَه لهم الكفرَ والفسوقَ والعصيان. وعن أبي مسعود ﵁، قال ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»(١).

يحبّ لهم الاطمئنانَ والسكينةَ، ويكرَه لهم الشرَّ والبلاءَ.

يحبّ لهم أن يكونوا في غايةٍ مِنَ الطمأنينة والأمان والاستِقرار، ويكرَه أن يصيبَهم شيء يخلّ بأمنِهم وطمأنينتِهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٠، رقم ١٧١٢٥)، ومسلم (٣/ ١٥٠٦، رقم ١٨٩٣)، وأبو داود (٤/ ٣٣٣، رقم ٥١٢٩).

ذلك أنه جزءٌ وواحد منهم، فهو يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه، ويكرَه لهم ما يكرَه لنفسه.

نصيحتهم وإرشادهم للحق:

فالمسلم يحيط إخوانَه المؤمنين بنصيحتِه وتوجيهِه وإرشاده، فيرشدهم إلى مصالحهم ويعلمهم أمور دينهم ودنياهم، ويسعَى في الخيرِ جُهدَه، ويحمِي نفوسَهم وأعراضَهم وأموالهم، ويصونُ ذلك، يعلم حقًّا أنّ هذا من مقتضيات الإيمان، لما في كتاب الله ﷻ من قوله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[١].

ويتذكَّر دائمًا قولَه سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٢].

فمن أعظم أنواع النصح أن ينصح لمن استشاره في أمره، كما قال ﷺ: «**إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له**»[٣].

قال الإمام أحمد رحمه الله: «ليس على المسلم نصح الذمي، وعليه نصح المسلم»[٤].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٧١.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) جامع العلوم والحكم للبغدادي (١ / ٨٢).

رفع الأذى عنهم:

فمن نصيحة المسلم لإخوانه أن يرفع الأذى والمكروه عنهم، ورد من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف، في ردهم إلى الحق والرفق بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحبة إزالة فسادهم، ولو بحصول ضرر له في دنياه ومن ذلك قصة مؤمن آل فرعون حيث قال ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[1].

من فوائد النصيحة[2]:

فيما يلي موجز لفوائد قيام المسلمين فيما بينهم بالنصيحة:

١- النصيحة لب الدين وجوهر الإيمان.

٢- دليل حب الخير للآخرين، وبغض الشر لهم.

٣- تكثير الأصحاب، إذ إنه يؤمن منه الجانب، وتقليل الحساد، إذ إنه لا يحب لغيره الشر والفساد.

٤- صلاح المجتمع، إذ تشاع فيه الفضيلة، وتستر فيه الرذيلة.

٥- إحلال الرحمة والوداد مكان القسوة والشقاق.

---

(١) سورة القصص: الآية ٢٠.

(٢) نضرة النعيم (٨/ ٣٤٨٩).

٦- الاشتغال بالنفس لاستكمال الفضائل من تمام النصح .

٧- بيان خطأ المخطئ في المسألة والمسائل وإن كرهه من النصيحة الواجبة لا من الغيبة المحرمة .

٨- من قام بها على وجهها يستحق الإكرام لا اللوم والتقريع .

٩- في التواصي بالحق والصبر ونحوهما ما يكفل حياة مستقرة للمجتمع الإسلامي .

١٠- في الأخذ بوصية الله عز وجل ووصية رسوله ﷺ صلاح حال الفرد والمجتمع معاً .

١١- للوصية الصادقة تأثير بالغ في النفس وهي دافع قوي لتنفيذ الموصى به .

١٢- الوصية وسيلة من وسائل التقوى والتذكر والعقل .

من آداب الناصح:

النصيحة يجب أن تكون خفية :

ذكر ابن عبد البر عن مسعر قال : «رحم الله من أهدى إليّ عيوبي في سر بيني وبينه، فإن النصيحة في الملأ تقريع» [١].

كما قيل إن النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه، فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسره من خلل الثوب .

---

(١) الآداب الشرعية ، لابن مفلح (١ / ٣٧١) .

وقال الشافعي رحمه الله:

تعهدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعه
فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ، لا أرضى استماعه
فإن خالفتني، وعصيت قولي ... فلا تغضب إذا لم تُعطَ طاعه

النصيحة باللين:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع النبي ﷺ، إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: «مه، مه»، قال رسول الله ﷺ: «**لا تزرموه، دعوه**»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة وقراءة القرآن**»، قال: وأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء، فشنه عليه [(١)].

وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينما أنا أصلي مع النبي ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: «يرحمك الله»، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: «واثكل أمياه، ما شأنكم، تنظرون إليّ؟» فجعلوا يضربون أيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه! فوالله ما نهرني، ولا ضربني، ولا شتمني، ثم قال ﷺ: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من**

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٢، رقم ٥٦٧٩)، ومسلم (١/ ٢٣٦، رقم ٢٨٤)، فشنه أي صبه، كما بينته الألفاظ الأخرى للحديث.

كلام الناس ، وإنما هي: التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن» [(١)].

فالنصيحةُ لا تؤثّر إلاّ إذا كان النّاصح صادقًا في نصيحتِه مخلِصًا لله في نُصحِه، وكان بعيدًا عن الغِلظة والجفاء، فإنّ الغلظةَ والجفاءَ ربما تنفِّر منك المنصوحَ، فلا يقبَل نصيحتك، قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [(٢)].

النصيحة للإصلاح لا للتعيير:

فلا تكون النصيحة للتعيير والشماتةِ بالناس، والفرَح بعيوبهم، فالفرح بنقصهم خُلُق ذميم، ففي الحديث قال النبي ﷺ: «**لا تظهِر الشماتةَ بأخيك فيعافيَه الله ويبتليكَ**» [(٣)].

وفي الحديث أيضًا: «**من عَيّر أخاه بذنبٍ لم يمت حتى يفعَلَه**» [(٤)].

الصبر على النصيحة:

وينبغي للنّاصح أن يصابرَ ويجاهدَ نفسَه على تحمُّل أعباءِ هذا المَيدان، وما

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٤٧ ، رقم ٢٣٨١٣) ، ومسلم (١/ ٣٨١ ، رقم ٢٣٧) ، وأبو داود (١/ ، رقم ٩٣٠) ، والنسائي (٣/ ١٤ ، رقم ١٢١٨) .

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٦٢ ، رقم ٢٥٠٦) وقال : حسن غريب . والطبراني (٢٢/ ٥٣ ، رقم ١٢٧) . وأخرجه أيضًا : القضاعي (٢/ ٧٨ ، رقم ٩١٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ، رقم ٦٧٧٧) ، والخطيب (٩/ ٩٥) .

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٦١ ، رقم ٢٥٠٥) وقال : غريب وليس إسناده بمتصل . وابن أبي الدنيا في الصمت (١/ ١٧٠ ، رقم ٢٨٨) .

قد يناله فيه من صُوَر الشّماتة والاستكبار، ولقد أحسنَ ابن القيّم رحمه الله حينَ قال: «السعيدُ الرّابح من عامَل الله فيهم، ولم يعامِلهم في الله، وخاف الله فيهم، ولم يخَفهم في الله، وأرضى الله بسخَطهم، ولم يرضِهم بسخطِ الله، وراقَب اللهَ فيهم، ولم يراقبهم في الله» (١).

الصدق والإخلاص في النصح:

فالحامل على النصيحة إخلاصٌ لله، ثم لأخيك المسلم، ليست نصيحتك رياءً وسمعة، ولا افتخاراً بها، ولا تعالٍ بها، ولا استطالة على الخلق، ولا أن يكون لك رفعة ومكانة، ولكنها نابعة من قلب صادق محب للخير، ساعٍ له.

والمخلصون في نصيحتهم هم الذين يضعون النصيحة موضعَها، لا يتحدثون بها، ولا يفتخرون بها، ولكنها سرٌّ وأمانة بينهم وبين من ينصحون له، لأن هدفهم وغايتهم صلاح أخيهم المسلم، واستقامة حاله، وحماية عرضه، وليس هدفهم الاستطالة والترفع على الناس.

العلم بما ينصح:

فلا بد أن يكون هذا الناصح عالماً بما ينصح، فكم من متصوِّر للخطأ أنه صواب فيدعو إلى غير هدى، وينصح بلا علم، فربما أفسد أكثر مما يريد أن يصلح، إذاً فالعلم بحقيقة ما تنصح له، بأن تعلم الخطأ على حقيقته، وتعلم كيف تخلص أخاك المسلم من تلك الهلكة.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (١ / ١٠٨).

اختيار الأسلوب المناسب للنصح:

فعلى الناصح أن يستعمل الوسائل والأساليب المناسبة التي يرجى معها استجابة المنصوح، فيمكن أن يُعرِّض فيقول: «**ما بال أقوام يفعلون كذا**»، كما كان ﷺ يفعل (١). ويمكن أن يهدي إليه شريطاً أو كتاباً، وكذلك على الناصح اختيار الوقت الملائم حتى لا يعين الشيطان على أخيه.

الاقتصاد في النصيحة :

فعليك أيها الناصح أن تقتصد في نصيحتك، فلا تكون مُسهبًا مُملاً، أو مُوجزًا مُخلاً، وافعل كما كان يفعل رسول الله ﷺ، فعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكرنا في كل خميس مرة، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن! لوددت أنك ذكرتنا بكل يوم، فقال رضي الله عنه: «أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملّكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ ، يتخولنا بها مخافة السآمة علينا» (٢).

وعن أبي اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنهما، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة، وأقصروا الخطبة**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٤٩ ، رقم ٤٧٧٦) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (٢/ ٢٠ ، رقم ٣١٧) ، والبيهقي (٧/ ٧٧ ، رقم ١٣٢٢٦) .

(٢) صحيح البخاري (١ / ٣٩).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٣ ، رقم ١٨٣٤٣) ، ومسلم (٢/ ٥٩٤ ، رقم ٨٦٩) ، وابن حبان (٧/ ٣٠ رقم ٢٧٩١) .

من أخطاء بعض الناصحين:

إن بعض الناصحين والناقدين في المجالس، وبعض الكتاب في الصحف وغيرها يقعون في بعض الأخطاء والهفوات التي تسبب النفرة، ومن ذلك:

الإعلان بالنصح:

بحيث تصبح النصيحة فضيحة، والتذكير تشهيرًا، وهذا ما لا يرضاه الإسلام، قال ابن رجب رحمه الله: «اعلم أن ذكر الإنسان بما يكره محرم، إذا كان المقصود مجرد الذم والعيب والنقص، أما إن كان فيه مصلحة لعامة المسلمين أو خاصة لبعضهم، وكان المقصود منه تحصيل تلك المصلحة، فليس بمحرم بل مندوب إليه» (١).

وقد قرر علماء الحديث هذا في كتبهم في الجرح والتعديل، وذكروا الفرق بين جرح الرواة الجائزة وبين الغيبة المحرمة، وردوا على من سوّى بينهما من المتعبدين وغيرهم ممن لا يتسع علمه لذلك الفن من علوم الشريعة، ولا فرق بين من تقبل روايته منهم ومن لا تقبل.

فإذا كان المقصود هو تبيين الحق فهذا داخل في النصيحة، وإذا كان المقصود هو تنقص القائل وتبيين جهله وقصوره في العلم فهذا محرم، سواء أكان رده لذلك في وجه من يرد عليه أم في غيبته، وسواء أكان في حياته أم بعد موته، وهو داخل في قوله ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته،**

---

(١) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، للسفاريني (١/ ٨٣).

ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته» [(١)].

التشدق والتكلف:

وهذا عيبٌ يقع فيه البعض فتراهم يتكلفون في الكلام، ويتقعرون، ويتشنجون عند أداء النصيحة، وهو أمر قد يمحق بركة الموعظة أو النصيحة، وإن كانت قيمة ومؤثرة، فالناس يحبون أن يستمعوا للرجل المتزن، لا الرجل المتشنج الذي يتقعر في كلامه، بل ما أحسن التبسط في الكلام والبعد عن التكلف والتقعر فيه، حتى إن الناس ليتضجرون من موعظة الرجل المتكلف، فلا يستفيدون من موعظته وذلك بسبب أسلوبه.

وكفى بالتكلف مذمة أن الله قد نهى عنه، وذمه رسوله ﷺ، فقال ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [(٢)]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون**» [(٣)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة**» [(٤)].

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٣/ ٢٣٧، رقم ١٦٧٥) قال الهيثمي (٨/ ٩٣): رجاله ثقات. وابن أبي الدنيا في الصمت (ص ١٢٠، رقم ١٦٧).

(٢) سورة ص: الآية ٨٦.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٥، رقم ٢٦٧٠)، وأبو داود (٤/ ٢٠١، رقم ٤٦٠٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥، رقم ٦٥٤٣)، وأبو داود (٤/ ٣٠١، رقم ٥٠٠٥)، والترمذي (٥/ ١٤١، رقم ٢٨٥٣) وقال: حسن غريب. والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٥١، رقم ٤٩٧٢). وابن أبي شيبة (٥/ ٣٠٠، رقم ٢٦٢٩٧).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا ، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون**»[1].

قال الإمام النووي رحمه الله: «الثرثار هو: كثير الكلام تكلفًا، والمتشدق: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه، والمتفيهق: أصله من الفهق وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فيه بالكلام ويتوسع فيه، ويُغرب به تكبرًا وارتفاعًا وإظهارًا لفضيلته عن غيره»[2].



(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٧٠ ، رقم ٢٠١٨) وقال : حسن غريب .

(٢) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، للنووي (١/ ١٣٦).

آداب النكاح

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فالزواج من أعظم النعم التي يتنعّم بها البشر، وهو أساس في بقاء الحياة، وبناء المجتمعات، وكفى به أنه هدي النبي ﷺ القائل: «**إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[1]، والأنبياء عليهم السلام من بعده، فإن الله سبحانه وتعالى أخبر عن المرسلين فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾[2].

الحث على الزواج في الكتاب والسنة:

لقد حث الله سبحانه وتعالى في كتابه على الزواج والإنكاح، فقال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[3].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٤٩، رقم ٤٧٧٦)، ومسلم (٢/ ١٠٢٠، رقم ١٤٠١).

(٢) سورة الرعد: الآية ٣٨.

(٣) سورة النساء: الآية ٣.

﴿فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[(١)].

هذه الأوامر الإلهية التي فيها توجيه الغريزة نحو المجال الشرعي وتحقيق المصالح العظيمة التي تترتب على الزواج، وقال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[(٢)]. وقوله ﷺ: «**من استطاع منكم الباءة**» من كان مؤهلاً للزواج وعنده الاستطاعة فليتزوج.

لماذا شرع الزواج:

إن النكاح من الأمور التي رغبت فيها الشريعة -كما سبق-، ودعت إلى تسهيله وإزالة موانعه والعراقيل التي تحول دون تحققه، فمن المصالح العظيمة التي شرع الزواج من أجلها:

التحصين من الفاحشة:

فالزواج يصون النظر عن التطلع إلى ما لا يحل، ويحصن الفرج ويحفظه، وهذا مقتضى قوله ﷺ في الحديث السابق: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج...**».

الراحة النفسية:

وذلك بما يبعثه في النفس من الطمأنينة، ويحصل به الاستقرار والأنس،

---

(١) سورة النور: الآية ٣٢ .

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٥٠ ، رقم ٤٧٧٨) ، ومسلم (٢/ ١٠١٨ ، رقم ١٤٠٠).

كما قال الله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (١). وقوله ﷻ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (٢).

الذرية الصالحة:

فالزواج سبب لحصول الذرية الصالحة التي ينفع الله بها الزوجين خاصةً، وينفع بها مجتمع المسلمين عامةً، قال ﷺ: «**تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ**» (٣).

توفير العائل للمرأة والأطفال:

ومن مصالح الزواج قيام الزوج بكفالة المرأة ونفقتها هي والأطفال، وتوفير الراحة لهم وصيانتهم، ورفعتهم عن التبذل والامتهان في طلب مؤنتهم، وإعزازهم من الذلة.

وحتى يتبين لنا المقصود من هذا المبحث، فضلت تقسيم الآداب إلى ثلاث مراحل، وهي: مرحلة الاختيار والخطوبة، ومرحلة الزفاف، ثم أتناول في موضوع تالٍ آداب العشرة الزوجية.

---

(١) سورة الروم: الآية ٢١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٢٠، رقم ٢٠٥٠)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٢٧١، رقم ٥٣٤٢)، والطبراني (٢٠/ ٢١٩، رقم ٥٠٨)، والحاكم (٢/ ١٧٦، رقم ٢٦٨٥)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان (٩/ ٣٦٣، رقم ٤٠٥٦) وصححه الحافظ في الفتح (٩/ ١١١)، والألباني في صحيح سنن أبي داود [١٨٠٥].

أولا: الاختيار:

فيتم اختيار الزوجين حسب مواصفات قررها الشرع كالتالي:

أن يختار ذات الدين:

قال ﷺ: «**أربع من السعادة**» وعدّ منها «**الزوجة الصالحة**»(١)، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الدُّنْيَا مَتَاع ، وَخير متاعها الْمَرْأَة الصَّالِحَة**»(٢).

ولا تكون الزوجة صالحة إلا أن تكون ذات الدين القويم، والخلق الكريم، والمنشأ الطيب، الودود الولود، فقال ﷺ: « **تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**» (٣).

وما عناية رسول الهدى ﷺ، وحثه على اختيار المرأة الصالحة إلا لما يؤمل منها من قيام بالحقوق الزوجية، ورعاية شؤون الزوج، وتربية الأولاد، وبناء الأسرة على أسس من التقوى والإيمان.

أما حين تكون الزوجة ضعيفة الديانة، سيئة الخلق، فإنه لا يؤَمَّل منها بناء أسرة صالحة، ولا يتحقق بسببها هناءٌ ولا سعادة، بل قد تكون سبب عناء وبلاء على الزوج، ولذا جاء التحذير من الانخداع بجمال المرأة الظاهر، دون

---

(١) أخرجه ابن حبان (٩/ ٣٤٠ ، رقم ٤٠٣٢) ، والحاكم (٢/ ١٧٥، رقم ٢٦٨٤) بلفظ : «**ثلاثة**». وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٨٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٨٢ ، رقم ٩٥٥٦) ، والخطيب (١٢/ ٩٩) ، والضياء (٣/ ٢٤٠ ، رقم ١٠٤٨) .

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٩٠ ، رقم ١٤٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٥٨ ، رقم ٤٨٠٢) ، ومسلم (٢/ ١٠٨٦ ، رقم ١٤٦٦).

نظر إلى الجمال الحقيقي، والمتمثل في الدين ومكارم الأخلاق، وطيب المعشر، فقد روي عنه ﷺ قوله: «**لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين**»[(١)] .

فما هذه التوجيهات النبوية إلا مظهرٌ من مظاهر عناية الإسلام بأمر النكاح، وتوجيه الزوج نحو ما يحقق له حياة هنيئة، وسعادة زوجية.

وقد قيل في هذا المعنى:

مِنْ خير ما يَتّخِذ الإنسان في دنياه كيما يستقيمَ دينُه
قلب شكور ولسان ذاكر وزوجة صالحة تعينُه

أما فيما يتعلق بالزوجة فإن من عناية الإسلام بأمرها ما وجه إليه أولياء أمور النساء من ترغيبهن في النكاح، والحرص على تزويجهن بالأكفاء، وقبول الخاطب إذا خطبهن، والحذر من ردّه متى كان صالحًا في دينه، مستقيمًا في أخلاقه. فقد جعل رسول الله ذلك هو المعيار للقبول أو الردّ، دون اعتبار لغير ذلك من المعايير مما لا أصل له في دين الإسلام، بل ربما ترتب عليها من المفاسد والأضرار ما لا يعلمه إلا الله، ولذا قال ﷺ: «**إِذَا خَطَبَ إِلَيكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»[(٢)] .

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٩٧ ، رقم ١٨٥٩)، والبيهقي (٧/ ٨٠ ، رقم ١٣٢٤٧)، وعبد ابن حميد (ص ١٣٣ ، رقم ٣٢٨) ، والبزار (٦/ ٤١٣ ، رقم ٢٤٣٨) .

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٩٤ ، رقم ١٠٨٤) ، وابن ماجه (١/ ٦٣٢ ، رقم ١٩٦٧) ،

أن يختار الودود الولود:

عن معقل بن يسار ﵁ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أصبت امرأةً ذات حسب ومنصب، إلا أنها لا تلد أفأتزوجها ؟ فنهاه ، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فنهاه ، فقال: «**تزوجوا الولود الودود ، فإني مكاثر بكم**» (١) .

ثانيا: الخطوبة:

رؤية المرأة قبل خطبتها:

ثمة أمر أرشد الشرع إليه، والناس فيه بين مفرط مقصر وآخر متشدد، فالشرع أباح للخاطب رؤية مخطوبته، وبين أن ذلك مظنة دوام العشرة، فعن المغيرة بن شعبة ﵁ قال: خطبت امرأة على عهد رسول الله ﷺ، فقال النبي: «**أنظرت إليها؟**» قلت: لا، قال: «**فانظر إليها فإنه أجدر أن يؤدم بينكما**» (٢) .

وصححه الحاكم (٢/ ١٦٤ـ ١٦٥)، وتعقبه الذهبي بأن فيه عبد الحميد بن سليمان قال فيه أبو داود: كان غير ثقة، وفيه أيضًا ابن وثيمة لا يعرف. ثم اختلف في إسناده، فنقل الترمذي عن البخاري أنه يرجح انقطاعه. ولكن للحديث شواهد يتقوى بها. ولذا حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة [١٠٢٢].

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٩٩ ، رقم ١٨٦٥) ، قال البوصيري (٢/ ١٠٠) : إسناد صحيح رجاله ثقات . وعبد بن حميد (ص ٣٧٥ ، رقم ١٢٥٤) ، وأبو يعلى (٦/ ١٥٨ ، رقم ٣٤٣٨) ، وابن الجارود (ص ١٧٠ ، رقم ٦٧٦) ، وابن حبان (٩/ ٣٥١ ، رقم ٤٠٤٣) ، والحاكم (٢/ ١٧٩ ، رقم ٢٦٩٧) وقال : صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي (٧/ ٨٤ ، رقم ١٣٢٦٦) ، والضياء (٥/ ١٦٩ ، رقم ١٧٨٩) .وأخرجه أحمد (٤/ ٢٤٤،

فمن الناس من منع ذلك بحجة الحياء أو عدم الاعتياد، ومنهم في بعض البلاد من فتح الباب على مصراعيه وسمح لموليته بالجلوس والحديث مع خاطبها، وربما خلا أو خرج بها قبل عقد النكاح، وهذا محرم، وكثيرًا ما أدى إلى نتائج لا تحمد عقباها.

النهي أن يخطب الرجل على خطبة أخيه :

إذا خطب رجل امرأة فلا ينبغي لمسلم أن يتقدم عليه بعد أن يجيب أهل الزوجة وأولياؤها الخاطب الأول، لقوله ﷺ: «**ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك**» (١).

والمراد بالخطبة التي نُهي المسلم أن يتقدم على أخيه فيها ما يتم بعدها ربط وإجابة بالقبول، فإذا لم يقبل وإذا لم يتلق ردًّا جاز أن يتقدم غير واحد كما جاء في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أنه تقدم لها معاوية بن أبي سفيان وأبو جهم وأسامة بن زيد رضي الله عنهم وأنها استشارت رسول الله ﷺ واختار لها أسامة (٢).

استئذان البكر والأيم في أنفسهما :

من المسائل المنكرة في النكاح ما يفعله بعض الناس في إجبار ابنته أو أخته أو بنت أخيه أو من له ولاية عليها على الزواج ممن لا ترضى بنكاحه،

رقم ١٨١٦٢) ، والدارقطني (٣/ ٢٥٢) ، والطبراني (٢٠/ ٤٣٣ ، رقم ١٠٥٢) ، والترمذي (٣/ ٣٩٧ ، رقم ١٠٨٧) وقال : حسن . والنسائي (٦/ ٦٩ ، رقم ٣٢٣٥) .

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٧٦ ، رقم ٤٨٤٩) ، ومسلم (٤/ ١٩٨٥ ، رقم ٢٥٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١١١٤ ، رقم ١٤٨٠).

وذلك منكر ظاهر وظلم للنساء، لا يجوز للأب ولا لغيره من الأولياء أن يفعله ويقدم عليه لما فيه من الظلم الواضح للنساء ومخالفة السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن تزويج النساء إلا بإذنهن، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الْأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا**» (١).

عدم المغالاة في المهور:

مغالاة المهور صارت خطرا كبيرا لما تسببه من عزوف الشباب أو عجزهم عن الزواج، وضعاف النفوس أمام شهواتهم –وهما أو زعما– يجدون في الفاحشة متنفسًا للغرائز أقل عبئا وتكليفا من الزواج، لذا يجب على أولياء الأمور والآباء التكاتف للقضاء على هذه العادة السيئة، والقيام بسنة رسول الله ﷺ في تيسير مؤنة الزواج وتخفيف المهور.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تغلوا في صُدُق النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى في الآخرة كان أولاكم بها النبي ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه، ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية» (٢).

ولقد استنكر المصطفى ﷺ المغالاة في المهور كما رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لرجل: «**على كم تزوجت؟**» قال: على أربع أواق، فقال له:

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٣٧، رقم ١٤٢١).

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده (١/ ١٢، رقم ٦٤).

«على أربع أواق؟ كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل»[(١)].

قال العلماء: أنكر عليه ﷺ هذا المبلغ؛ لأنه كان فقيراً، فالفقير يكره له تحمل الصداق الكثير، بل يحرم عليه إذا لم يتوصل إليه إلا بمسألة أو غيرها من الوجوه المحرمة؛ أما الغني فيكره له دفع المبلغ الكثير في الصداق إذا كان من باب المباهاة؛ لأنه يسن سنة لغيره.

ثانيا: آداب الوليمة:

إعلان النكاح:

إذا كان يوم الزفاف فلهم أن يضربوا بالدّف؛ وفيه فائدتان: إعلان النكاح، وتطييب خاطر العروس؛ لقوله ﷺ: «**فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدف في النكاح**» [(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها زفّت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال النبي ﷺ: «**يا عائشة، ما كان معكن له؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو**» [(٣)]، ولا يجوز استعمال غير الدفّ من المزامير وآلات الموسيقى؛ لأن الحديث ورد في الإذن

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٣٨، رقم ١٤٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٨، رقم ١٥٤٨٩)، والترمذي (٣/ ٣٩٨، رقم ١٠٨٨) وقال: حسن. والنسائي (٦/ ١٢٧، رقم ٣٣٦٩)، وابن ماجه (١/ ٦١١، رقم ١٨٩٦)، والطبراني (١٩/ ٢٤٢، رقم ٥٤٢)، والحاكم (٢/ ٢٠١، رقم ٢٧٥٠) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٧/ ٢٨٩، رقم ١٤٤٧١)، وسعيد بن منصور (١/ ٢٠٢، رقم ٦٢٩)، والديلمي (٣/ ١٤٣، رقم ٤٣٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٨٠، رقم ٤٨٦٧).

بالضرب بالدف لا غير.

وليمة الزواج :

الوليمة بمناسبة الزواج مستحبة، قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما تزوج: «**أولم ولو بشاة**» (١).

قال الشيخ الفوزان: «وحكم وليمة العرس أنها سنة باتفاق أهل العلم، وقال بعضهم (٢) بوجوبها » (٣).

وينبغي أن يدعى إليها الصالحون، فقراء كانوا أو أغنياء، لقوله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي**» (٤).

تحريم تخصيص الأغنياء بالدعوة:

لا يجوز أن يخص بالدعوة الأغنياء دون الفقراء لقوله ﷺ: «**شر الطعام طعام الوليمة يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأباها ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله**» (٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٧٩ ، رقم ٤٨٥٨) ، ومسلم (٢/ ١٠٤٢ ، رقم ١٤٢٧).

(٢) ومنهم العلامة الألباني في آداب الزفاف.

(٣) الملخص الفقهي (ص ٦١٠).

(٤) أخرجه ابن المبارك (١/ ١٢٤، رقم ٣٦٤)، والطيالسي (ص ٢٩٤، رقم ٢٢١٣)، وأحمد (٣/ ٣٨، رقم ١١٣٥٥)، والدارمي (٢/ ١٤٠، رقم ٢٠٥٧)، وأبو داود (٤/ ٢٥٩، رقم ٤٨٣٢)، والترمذي (٤/ ٦٠٠ ، رقم ٢٣٩٥) وقال: حسن . وأبو يعلى (٢/ ٤٨٤ ، رقم ١٣١٥) ، وابن حبان (٢/ ٣١٤ ، رقم ٥٥٤) ، والحاكم (٤/ ١٤٣ ، رقم ٧١٦٩) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٢ ، رقم ٩٣٨٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٥٥ ، رقم ١٤٣٢) .

الغناء والضرب بالدف:

يجوز للنساء في العرس إعلان النكاح بالضرب على الدف –كما سبق– فقط، وبالغناء المباح الذي ليس فيه وصف الجمال وذكر الفجور وفي ذلك أحاديث:

الأول: عن الربيع بنت معوذ ﭬ قالت: جاء النبي ﷺ يدخل حين بني عليَّ فجلس على فراشي مجلسك مني –الخطاب للراوي عنها– فجعلت جويرات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد. فقال: «**دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين**»[(١)].

الثاني: عن عائشة ﭬ أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله ﷺ: «**يا عائشة ما كان معكم لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو؟**»[(٢)].

الامتناع من مخالفة الشرع:

يجب على العريسين وأهلهما اجتناب كل ما فيه مخالفة للشرع، وخاصة ما اعتاده الناس في مثل هذه المناسبة، مثل تصوير العريسين، وتعليق صورتهما في البيت، وما تفعله بعض النسوة من نتف حواجبهن.

وكل ما حرمه رسول الله ﷺ، بل لعن من تفعله من النساء، واللعن أشد ما يمكن في التحريم،وذلك في قوله ﷺ: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات،**

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٧٧، رقم ٤٨٥٢).

(٢) سبق تخريجه.

والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله»[(١)].

وكذا حلق الرجال للحاهم، وخاتم الخطبة لأن فيه تقليدًا للكفار[(٢)]، وتشتد حرمته إذا كان من الذهب لأن النبي ﷺ نهى عن خاتم الذهب[(٣)]، فهذه الأمور مخالفة لشرع الله، وهي محرمة، فيجب الابتعاد عنها.

ثالثا: آداب الزفاف:

ملاطفة الزوجة عند البناء بها:

يستحب للزوج إذا دخل على زوجته أن يلاطفها، كأن يقدم إليها شيئاً من الشراب أو هدية يخصها بها حين انفرادهما ونحو ذلك.

ومن حديث أسماء بنت يزيد بن السكن ﵂ قالت: «إني قَيَّنت[(٤)] عائشة

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢١٩، رقم ٥٥٩٩)، ومسلم (٣/ ١٦٧٨، رقم ٢١٢٥).

(٢) كانت النصارى تفعل ذلك، ويرجع ذلك على عادة قديمة لهم عندما كان العروس يضع الخاتم على رأس إبهام العروس اليسرى ويقول: باسم الأب ثم ينقله واضعاً له على رأس السبابة ويقول: الابن، ثم يضع على رأس الوسطى ويقول: الروح القدس وعندما يقول آمين يضعه أخيرا في البنصر حيث يستقر.

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٤٩، رقم ٤٠٥١)، والترمذي (٥/ ١١٦، رقم ٢٨٠٨)، والنسائي (٨/ ١٦٥، رقم ٥١٦٥)، وابن ماجه (٢/ ١٢٠٥، رقم ٣٦٥٤)، وأحمد (١/ ٩٣، رقم ٧٢٢)، وأبو يعلى (١/ ٤٥١، رقم ٦٠٥)، والطحاوي (٤/ ٢٦٠)، وابن حبان (١٢/ ٢٥٤، رقم ٥٤٣٨)، والضياء (٢/ ٤٠٠، رقم ٧٨٨).

(٤) أي: زينت.

لرسول الله ﷺ ثم جئته فدعوته لجَلوتها [(١)] فجاء فجلس إلى جنبها فأتي بعس[(٢)] لبن فشرب ثم ناولها النبي ﷺ، فخفضت رأسها واستحيت قالت أسماء: فانتهرتها وقلت لها: خذي من يد النبي ﷺ، قالت: فأخذت فشربت شيئاً، ثم قال لها النبي ﷺ: «**أعطي تربك**» [(٣)] قالت أسماء: فقلت: يا رسول الله بل خذه فاشرب منه ثم ناولنيه من يدك، فأخذه فشرب منه ثم ناولنيه، قالت: فجلست ثم وضعته على ركبتي، ثم طفقت أديره وأتبعه بشفتي لأصيب منه شرب النبي ﷺ، ثم قال لنسوة عندي: «**ناوليهن**»، فقلن: لا نشتهيه فقال ﷺ: «**لا تجمعن جوعاً وكذباً**»[(٤)].

وضع اليد على رأس الزوجة والدعاء لها:

ويستحب للزوج أن يضع يده على مقدمة رأسها عند البناء بها أو قبل ذلك، وأن يسمي الله ﷻ ويدعو بالبركة، ويقول ما جاء في قوله ﷺ: «**إذا تزوج أحدكم امرأة، أو اشترى خادماً فليأخذ بناصيتها، وليسم الله ﷻ، وليدع بالبركة وليقل: (اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلتَها عليه، وأعوذ بك**

---

(١) أي: للنظر إليها مجلوة مكشوفة.

(٢) هو القدح الكبير.

(٣) أي: صديقتك.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٢، رقم ٢٧٦٠١)، وابن ماجه (٢/ ١٠٩٧، رقم ٣٢٩٨)، قال البوصيري (٤/ ١٥): هذا إسناد حسن. والطبراني (٢٤/ ١٧١، رقم ٤٣٤)، قال الهيثمي (٤/ ٥١): شهر فيه كلام وإسناده حسن. والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢١٠، رقم ٤٨٢١).

من شرها وشر ما جبلتَها عليه» [١].

صلاة الزوجين معاً:

ويستحب لهما أن يصليا ركعتين معا، لأنه منقول عن السلف، وفيه أثران:

الأول: عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: تزوجت وأنا مملوك فدعوت نفراً من أصحاب النبي ﷺ فيهم ابن مسعود وأبو ذر وحذيفة ﷺ قال: وأقيمت الصلاة، قال: فذهب أبو ذر ليتقدم فقالوا: إليك قال: أو كذلك؟ قالوا: نعم، قال: فتقدمت بهم وأنا عبد مملوك وعلموني فقالوا: «إذا دخل عليك أهلك فصل ركعتين ثم سل الله من خير ما دخل عليك وتعوذ به من شره ثم شأنك وشأن أهلك» [٢].

الثاني: عن شقيق قال: جاء رجل يقال له: أبو حريز فقال: إني تزوجت جارية شابة بكراً وإني أخاف أن تفركني [٣] فقال عبد الله -يعني ابن مسعود رضي الله عنه-: «إن الإلف من الله والفِرْك من الشيطان، يريد أن يكرِّه إليكم ما أحل الله

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٤٨، رقم ٢١٦٠).

(٢) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في "المصنف". وعبد الرزاق أيضاً، وقال الألباني: (وسنده صحيح إلى أبي سعيد وهو مستور لم أجد من ذكره سوى أن الحافظ أورده في "الإصابة" فيمن روى عن مولاه أبي أسيد مالك بن ربيعة الأنصاري ثم رأيته في ثقات ابن حبان قال في الطبعة الهندية: "يروي عن جماعة من الصحابة روى عنه أبو نضرة" ثم ساق هذه القصة دون قوله: فقالوا: . إلخ وهو رواية لابن أبي شيبة (٢/ ٢٣/ ١). آداب الزفاف (ص ٢٣).

(٣) أي: تبغضني.

لكم، فإذا أتتك فأمرها أن تصلي وراءك ركعتين». زاد في رواية أخرى عن ابن مسعود: «وقل: اللهم بارك لي في أهلي وبارك لهم فيَّ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير، وفرق بيننا إذا فرقت إلى خير» (١).

ما يقول حين يجامعها:

وينبغي أن يقول حين يأتي أهله: «بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا»، قال ﷺ: «**فإن قضى الله بينهما ولداً لم يضره الشيطان أبداً**» (٢).

كيف يأتيها:

ويجوز له أن يأتيها في قُبُلها من أي جهة شاء من خلفها أو من أمامها، لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ (٣)، فعن جابر رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «**مقبلة ومدبرة إذا كان ذلك في الفرج**» (٤).

---

(١) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف وكذا عبد الرزاق في مصنفه، قال الألباني في آداب الزفاف(ص ٢٤): (وسنده صحيح وأخرجه الطبراني بسندين صحيحين والزيادة مع الرواية الأخرى له).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١٩٦، رقم ٣١٠٩)، ومسلم (٢/ ١٠٥٨، رقم ١٤٣٤).

(٣) سورة البقرة: ٢٢٣.

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٢/ ٢٣٧، رقم ١٢٩٨٣)، والبيهقي في سننه الكبرى (٧/ ١٩٦، رقم ١٣٨٨٧).

تحريم الدبر:

ويحرم عليه أن يأتيها في دبرها لمفهوم الآية: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾، ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «**وما الذي أهلكك؟**» قال: حولت رحلي الليلة [(١)]، فلم يرد عليه شيئاً فأوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾، يقول: «**أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة**» [(٢)].

وحديث: « **ملعون من أتى امرأة في دبرها**»[(٣)].

ما ينويان بالنكاح:

وينبغي لهما أن ينويا بنكاحهما إعفاف نفسيهما وإحصانهما من الوقوع فيما حرم الله عليهما، فإنه تكتب مباضعتهما صدقةً لهما؛ لحديث أبي ذر رضي الله عنه: أن ناساً

---

(١) كنى برحله عن زوجته أراد بها غشيانها في قبلها من جهة ظهرها؛ لأن المجامع يعلو المرأة ويركبها مما يلي وجهها، فحيث ركبها من جهة ظهرها كنى عنه بتحويل رحله، إما أن يريد به المنزل والمأوى، وإما أن يريد به الرحل الذي تركب عليه الإبل وهو الكور. "نهاية".

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٧ ، رقم ٢٧٠٣) . قال الهيثمي (٦/ ٣١٩) : رجاله ثقات . والترمذي (٥/ ٢١٦ ، رقم ٢٩٨٠) وقال : حسن غريب . والطبراني (١٢/ ١٠ ، رقم ١٢٣١٧) ، وأبو يعلى (٥/ ١٢١ ، رقم ٢٧٣٦) ، وحسنة الألباني في آداب الزفاف (ص ٣١)، وغاية المرام رقم (٢٣٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٤ ، رقم ٩٧٣١) ، وأبو داود (٢/ ٢٤٩ ، رقم ٢١٦٢) . وأبو عوانة (٣/ ٨٥ ، رقم ٤٢٩٢) .

من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: «**أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة وبكل تكبيرة صدقة، وبكل تهليلة صدقة، وبكل تحميدة صدقة وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة**»، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟**» قالوا: بلى قال: «**فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر**» [(١)].

١٦ - ما يفعل صبيحة بنائه:

ويستحب له صبيحة بنائه بأهله أن يأتي أقاربه الذين أتوه في داره ويسلم عليهم ويدعو لهم، وأن يقابلوه بالمثل لحديث أنس رضي الله عنه قال: أولم رسول الله ﷺ إذ بنى بزينب فأشبع المسلمين خبزاً ولحماً، ثم خرج إلى أمهات المؤمنين فسلم عليهن ودعا لهن، وسلمن عليه ودعون له، فكان يفعل ذلك صبيحة بنائه [(٢)].

١٧ - تحريم نشر أسرار الاستمتاع:

ويحرم على كل من الزوجين أن ينشر الأسرار المتعلقة بالوقاع؛ لحديث

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٩٨، رقم ١٠٠٦).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى، وقال الألباني: (رواه ابن سعد والنسائي في «الوليمة» بسند صحيح) آداب الزفاف (ص ٦٧).

أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها**»[(١)].

وعن أسماء بنت يزيد ﷺ أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود فقال: «**لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها؟**» فأَرَمَّ[(٢)] القوم فقلت: إي والله يا رسول الله! إنهنَّ ليفعلن، وإنهم ليفعلون. قال: «**فلا تفعلوا، فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون**»[(٣)].

٢٧ - وجوب إحسان عشرة الزوجة:

ويجب على الزوج أن يحسن عشرة زوجته ويسايرها فيما أحل الله لها -لا فيما حرم- ولا سيما إذا كانت حديثة السن، لقوله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[(٤)].



---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٦٠، رقم ١٤٣٧).

(٢) أرمَّ: أي سكتوا، ولم يجيبوا.

(٣) أخرجه أحمد، وقال الألباني: «وله شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن أبي شيبة، وأبي داود، والبيهقي، وابن السني، وشاهد ثان رواه البزار عن أبي سعيد، وشاهد ثالث عن سلمان في «الحلية»، فالحديث بهذه الشواهد صحيح أو حسن على الأقل" آداب الزفاف (ص ٧٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٧٠٩، رقم ٣٨٩٥) وقال: حسن غريب صحيح. وابن حبان (٩/ ٤٨٤، رقم ٤١٧٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤١٥، رقم ٨٧١٨). والدارمي (٢/ ٢١٢، رقم ٢٢٦٠).

آداب النوم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فقد قال الله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[١].

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾[٢]. ومعنى الليل لباسًا تلبسكم ظلمته، وتغشاكم، كما يستر الثوب لابسه.

وسوف نرى فيما يلي أن سلوكيات النوم والاستيقاظ، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمنظومة الآداب الإسلامية، وتؤثر تأثيرًا قويًّا في نمط معيشة الأمة المسلمة ككل، وتعطيها طابعها المتفرد بها، وتنقسم آداب النوم إلى ثلاثة أقسامٍ، وهي كالتالي:

القسم الأول: آداب قبل النوم:

أولا: إغلاق الأبواب وإطفاء النار والمصابيح:

لما جاء في حديث جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أطفئوا**

---

(١) سورة الروم: الآية ٢٣.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٤٧.

المصابيح بالليل إذا رقدتم، وأغلقوا الأبواب،..»[(١)]. وفي رواية: «**وأجيفوا الأبواب، وأطفئوا المصابيح، فإن الفويسقة**[(٢)] **ربما جرّتِ الفتيلةَ فأحرقت أهل البيت**»[(٣)].

وعلة ذلك هو الخوف من انتشار النار واشتعالها على أهلها، كما بيّنه ﷺ.

وعن ابن عمر ﭭ عن النبي ﷺ قال: «**لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون**»[(٤)].

قال القرطبي ~: في هذه الأحاديث أن الواحد إذا بات ببيتٍ ليس فيه غيره وفيه نار فعليه أن يطفئها قبل نومه، أو يفعل بها ما يؤمَن معه الاحتراق، وكذا إن كان في البيت جماعةٌ فإنه يتعين على بعضهم، وأحقهم بذلك آخرهم نومًا، فمن فرّط في ذلك كان للسنة مخالفًا، ولأدائها تاركًا[(٥)].

وأما إغلاقُ الأبواب قبل النوم، فقد جاء في رواية مسلم من حديث جابر ﭬ: «**وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطانَ لا يفتح بابًا مغلقًا**». قال ابن دقيق العيد ~: في الأمر بإغلاق الأبواب من المصالح الدينية

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٣٢، رقم ٥٣٠١).

(٢) **الفويسقة**: تصغير الفاسقة، والمراد الفأرة لخروجها من جحرها على الناس.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب (١/ ٤١٩، رقم ١٢٢١)، وابن حبان (٤/ ٨٦، رقم ١٢٧١). وأخرجه أيضاً: أحمد (٣/ ٣٨٦، رقم ١٥١٨٤)، وأبو عوانة (٥/ ١٤٢، رقم ٨١٥٥)، والبغوي في الجعديات (١/ ٣٨١، رقم ٢٦٠٠).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣١٩، رقم ٥٩٣٥)، ومسلم (٣/ ١٥٩٦، رقم ٢٠١٥).

(٥) فتح الباري (١١/ ٨٩)

والدنيوية: حراسة الأنفس، والأموال من أهل العبث والفساد ولا سيما الشياطين، وأما قوله: «**فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا**»، فإشارة إلى أن الأمر بالإغلاق لمصلحة إبعاد الشيطان عن الاختلاط بالإنسان، وخصّه بالتعليل تنبيهًا على ما يخفى مما لا يطلع عليه إلا من جانب النبوة[(١)].

ثانيا: التطهر قبل النوم:

وفيه حديث البراء بن عازب ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ... الحديث**»[(٢)].

والوضوء هنا مستحبٌّ في حق كل من أراد النوم، ورواية أحمد ﷺ تؤيد ذلك: قال ﷺ: «**إذا أويت إلى فراشك طاهرًا.**»[(٣)]. ومن فضائل التطهر قبل النوم ما قاله ﷺ: «**من بات طاهرًا بات في شعاره مَلَك، فلا يستيقظ إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان**»[(٤)].

---

(١) فتح الباري(١١/ ٩٠)

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٩٠ ، رقم ١٨٥٨٤) ، والبخاري (١/ ٩٧ ، رقم ٢٤٤) ، ومسلم (٤/ ٢٠٨١، رقم ٢٧١٠) ، وأبو داود (٤/ ٣١١ ، رقم ٥٠٤٦) ، والترمذي (٥/ ٤٦٨ ، رقم ٣٣٩٤) ، وقال : حديث حسن . والنسائي في الكبرى (٦/ ١٩٥ ، رقم ١٠٦١٨) ، وابن خزيمة (١/ ١٠٨ ، رقم ٢١٦) . وأخرجه أيضًا : ابن ماجه (٢/ ١٢٧٥ ، رقم ٣٨٧٦) .

(٣) النسائي في سننه الكبرى ج٦/ ص١٩٦ ح١٠٦١٩، ومسند أحمد:ج٤/ ص٢٩٠ ح١٨٥٨٤، وسنن أبي داود:ج٤/ ص٣١١ ح٥٠٤٨، والمعجم الأوسط:ج٢/ ص١٣٥ ح١٤٩٤.

(٤) أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (١/ ٢٢٦) قال الهيثمي : فيه ميمون بن زيد قال

فإن كان متوضئًا كفاه ذلك الوضوء، لأن المقصود النومُ على طهارة مخافة أن يموت من ليلته، وليكون أصدق لرؤياه، وأبعد من تلعب الشيطان به في منامه وترويعه إياه، قاله النووي رحمه الله[(١)].

وحتى الإنسان الذي عليه جنابة يتوضأ وضوءه للصلاة، ولو أنه لا يصلي بهذا الوضوء ولا يقرأ به قرآنًا. فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ: أَيَرْقُدُ أَحَدُنَا وَهُوَ جُنُبٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرْقُدْ وَهُوَ جُنُبٌ**»[(٢)].

ومن ذلك غسل الدَّسم ونحوه: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ [(٣)] وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ**»[(٤)].

ولنعلم أن الطهارة عند النوم قسمان: طهارة الظاهر، وهي معروفة وهي ما ذكرناها. وطهارة الباطن، وهي: بالتوبة.

والتوبة آكد من الطهارة الظاهرة، فربما مات الإنسان وهو متلوثٌ بأوساخ الذنوب. فيتعين عليه التوبة من قلبه من كل غشٍّ وحقد ومكروه لكل مسلم.

الذهبي لينه أبو حاتم. وابن حبان (٣/ ٣٢٨، رقم ١٠٥١). وأخرجه أيضًا: ابن عدي (٢/ ٣١٧، ترجمة ٤٤٩ الحسن بن ذكوان). وحسنه الألباني في الصحيحة.

(١) شرح مسلم. المجلد التاسع (١٧/ ٢٩)

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١١٠، رقم ٢٨٣)، ومسلم (١/ ٢٤٨، رقم ٣٠٦).

(٣) الغمر هو الدسم والدهن من اللحم.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٣، رقم ٧٥٥٩)، وأبو داود (٣/ ٣٦٦، رقم ٣٨٥٢)، والبيهقي (٧/ ٢٧٦، رقم ١٤٣٨٣).

فيستحب للمسلم أن يحاسب نفسه قبل النوم عما بدر منه من أعمال خلال نهاره، وأن يبادر إلى التوبة عن أي سيئات يكون قد ارتكبها(١).

ويؤكد ذلك حديث أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ. وتكرر ذلك ثلاثة أيام، وفيه أن الأنصاري سُئل: مَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ الله؟ فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَجِدُ فِي نَفْسِي لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلاَ أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ الله إِيَّاهُ. فَقِيل: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ(٢).

ثالثا: نفض الفراش قبل الاضطجاع عليه:

فمن هدي النبي ﷺ قبل نومه، أنه كان ينفض فراشه بداخلة إزاره ثلاثًا قبل اضطجاعه عليه، كما روى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره(٣)، فإنه لا يدري ما خلفه عليه**»(٤)، وفي رواية: «**إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات**

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص ٧٨).

(٢) ابن حنبل في مسنده (٣/ ١٦٦، رقم: ١٢٧٢٠)، وقال في مجمع الزوائد - (٨ / ١٥٠) ورجال أحمد رجال الصحيح وكذلك أحد إسنادي البزار.

(٣) **داخلة الإزار**: طرفه الداخل الذي يلي جسده ويلي الجانب الأيمن من الرجل إذا ائتزر، لأن المؤتزر إنما يبدأ بجانبه الأيمن فذلك الطرف يباشر جسده وهو الذي يغسل . قاله في اللسان (١١/ ٢٤٠) مادة : (دخل) . ومثله (صنفة الثوب) في الرواية التي تليها، فصنفة الثوب : أي الحاشية التي تلي الجلد. (انظر فتح الباري ١١/ ١٣٠).

(٤) أخرجه ابن حبان (١٢/ ٣٤٤ ، رقم ٥٥٣٤) . وأخرجه أيضًا : البخاري في الأدب المفرد

.. **الحديث»**[١]، وورواية مسلم ﷺ: «**فليأخذ إزاره، فلينفض بها فراشه، وليسم الله، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه**»[٢].

وفي الحديث برواياته فوائد، منها:

-استحباب نفض الفراش قبل النوم.

-أن النفض يكون ثلاثًا.

-التسمية عند النفض.

- ومنها أن من قام من فراشه ثم رجع إليه، فيستحب له أن ينفضه مرة أخرى، والعلة في ذلك بيّنها رسول الله ﷺ بقوله: «**فإن أحدكم لا يدري ما خلفه عليه**».

- والحكمة من تخصيص داخلة الإزار غير معلومة لنا، وللعلماء في ذلك أقاويل مختلفة، ولا يتوقف العمل على العلم بالحكمة منه، بل متى ثبت الخبر عُمل به ولو جُهلت حكمته، ومردُّ ذلك إلى الانقياد والتسليم، وهذا أصلٌ عظيم فتشبث به.

(١/ ٤١٨ ، رقم ١٢١٧) ، ومسلم (٤/ ٢٠٨٤ ، رقم ٢٧١٤) .

(١) والبخاري (٥/ ٢٣٢٩ ، رقم ٥٩٦١) ، ومسلم (٤/ ٢٠٨٤ ، رقم ٢٧١٤) ، وأبو داود (٤/ ٣١١ ، رقم ٥٠٥٠) . أخرجه ابن حبان (١٢/ ٣٤٤ ، رقم ٥٥٣٤) . وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب المفرد (١/ ٤١٨ ، رقم ١٢١٧) ، ومسلم (٤/ ٢٠٨٤ ، رقم ٢٧١٤) .

(٢) الأدب المفرد - (ج ١ / ص ٤١٨)، قال الشيخ الألباني : صحيح.

رابعا: التأكد من أداء صلاة الوتر:

قال أبو هريرة ﷺ: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث» ومنها: «وأن أوتر قبل أن أنام»[(١)]، وإن أخره إلى آخر الليل فهو أفضل، ففي الحديث لما سأل النبي ﷺ أبا بكر ﷺ: «**أي حينٍ توتر ؟**» قال: أول الليل بعد العتمة، قال: «**فأنت يا عمر؟**» قال: آخر الليل، فقال النبي ﷺ: «**أما أنت يا أبا بكر فأخذت بالوثقى، وأما أنت يا عمر فأخذت بالقوة**»[(٢)].

خامسا: كتابة وصية:

إذا كان له شيء يوصى به، لقول الرسول ﷺ: «**ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**»[(٣)].

القسم الثاني: آداب عند النوم وأثناءه:

أولا: النوم على الجنب الأيمن:

لقوله ﷺ للبراء بن عازب ﷺ: «... **ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري**

(١) البخاري ٢/ ٥٤، ومسلم ٢/ ١٥٨، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٢٣٣ ، رقم ١٦٧١) ، وأحمد (٣/ ٣٣٠ ، رقم ١٤٥٧٥) ، وعبد بن حميد (ص ٣١٦ ، رقم ١٠٣٤) ، وابن ماجه (١/ ٣٧٩ ، رقم ١٢٠٢) قال البوصيري (١/ ١٤٣) : هذا إسناد حسن . والطحاوي (١/ ٣٤٢) ، وصححه الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة]

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩/ ٥٦ ، رقم ١٦٣٢٦) ، ومسلم (٣/ ١٢٥٠ ، رقم ١٦٢٧) ، والنسائي في الكبرى (٤/ ١٠٠ ، رقم ٦٤٤٦) .

إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ، ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مِت مت على الفطرة، فاجعلهن آخر ما تقول»(١).

وينهى عن الاضطجاع على الوجه، فعن قيس بن طخفة الغفاري، عن أبيه، قال: أصابني رسول الله ﷺ نائمًا في المسجد، على بطني، فركضني برجله، وقال: «**ما لك ولهذا النوم ! هذه نومة يكرهها الله، أو يبغضها الله**»(٢).

عن أبي ذر، قال: مر بي النبي ﷺ وأنا مضطجع على بطني(٣)، فركضني برجله وقال: «**يا جنيدب إنما هذه ضجعة أهل النار**»(٤).

ثانيا: وضع اليد تحت الخد اليمنى:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: «**كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده... إلى آخر الحديث**»(٥). وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان النبي

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٩٠، رقم ١٨٥٨٤)، والبخاري (١/ ٩٧، رقم ٢٤٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٨١، رقم ٢٧١٠)، وأبو داود (٤/ ٣١١، رقم ٥٠٤٦)، والترمذي (٥/ ٤٦٨، رقم ٣٣٩٤)، وقال: حديث حسن. والنسائي في الكبرى (٦/ ١٩٥، رقم ١٠٦١٨)، وابن خزيمة (١/ ١٠٨، رقم ٢١٦). وأخرجه أيضًا: ابن ماجه (٢/ ١٢٧٥، رقم ٣٨٧٦).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٠١، رقم ٧٧٠٨).

(٣) على بطني: أي على وجهي.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٢٧، رقم ٣٧٢٤) قال البوصيري (٤/ ١١٦): هذا إسناد فيه مقال.

(٥) أخرجه البخاري ٨/ ٨٥ (٦٣١٤).

ﷺ إذا أوى إلى فراشه وضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، وقال: «**اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**»(١).

ثالثا: أن يأتي بالأذكار الواردة ومنها:

(أ) أن يقول: سبحان الله ثلاثا وثلاثين، والحمد لله ثلاثا وثلاثين، والله أكبر، أربعا وثلاثين. لقول الرسول ﷺ لعلي وفاطمة رضي الله عنهما وقد طلب منه ﷺ خادمًا يساعدهما في البيت: «**ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضجعًا فسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا أربعًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم**»(٢).

(ب) أن يقرأ الفاتحة وأول سورة البقرة إلى: المفلحون، وآية الكرسي، وخاتمة سورة البقرة: لله ما في السموات، إلى آخر السورة لما ورد من الترغيب في ذلك.

(جـ) أن يجعل آخر ما يقوله هذا الدعاء الوارد عن النبي ﷺ: «**باسمك اللهم وضعت جنبي وباسمك أرفعه، اللهم إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين من عبادك، اللهم إني أسلمت نفسي**

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٢٤ ، رقم ٢٦٥٣٨). ورواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وصححه الألباني].

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٩٥ ، رقم ٧٤٠) ، والبخاري (٣/ ١٣٥٨ ، رقم ٣٥٠٢)، ومسلم (٤/ ٢٠٩١، رقم ٢٧٢٧) ، وأبو داود (٤/ ٣١٥ ، رقم ٥٠٦٢) ، والطحاوي (٣/ ٢٣٣) ، وابن حبان (١٢/ ٣٣٣ ، رقم ٥٥٢٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٥٥) ، والبيهقي (٧/ ٢٩٣ ، رقم ١٤٤٩٥) ، والترمذي (٥/ ٤٧٧ ، رقم ٣٤٠٨) .

إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، أستغفرك وأتوب إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، رب قني عذابك يوم تبعث عبادك»(١).

(د) أن يقول إذا استيقظ أثناء نومه: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله**»(٢).

وليدع بما شاء فإنه يستجاب له لقوله ﷺ: «**من تعارّ بالليل فقال حين يستيقظ: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال اللهم اغفر لي)، ثم دعا استُجيب له**»(٣)، فإن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٢٢ ، رقم ٢٦٥٢٥) ، والبخاري (٥/ ٢٣٢٩ ، رقم ٥٩٦١) ، ومسلم (٤/ ٢٠٨٤ ، رقم ٢٧١٤) ، وأبو داود (٤/ ٣١١ ، رقم ٥٠٥٠) .

(٢) أخرجه الدارمي (٢/ ٣٧٧ ، رقم ٢٦٨٧) ، والبخاري (١/ ٣٨٧ ، رقم ١١٠٣) ، وأبو داود (٤/ ٣١٤ ، ٥٠٦٠) ، والترمذي (٥/ ٤٨٠ ، ٣٤١٤) وقال : حسن صحيح غريب. وابن ماجه (٢/ ١٢٧٦ ، رقم ٣٨٧٨) ، وابن حبان (٦/ ٣٣٠ ، رقم ٢٥٩٦) . وأخرجه أيضًا : النسائي في الكبرى (٦/ ٢١٥ ، رقم ١٠٦٩٧) .

(٣) أخرجه الدارمي (٢/ ٣٧٧ ، رقم ٢٦٨٧) ، والبخاري (١/ ٣٨٧ ، رقم ١١٠٣) ، وأبو داود (٤/ ٣١٤ ، ٥٠٦٠) ، والترمذي (٥/ ٤٨٠ ، ٣٤١٤) وقال : حسن صحيح غريب . وابن ماجه (٢/ ١٢٧٦ ، رقم ٣٨٧٨) ، وابن حبان (٦/ ٣٣٠ ، رقم ٢٥٩٦) . وأخرجه أيضًا : النسائي في الكبرى (٦/ ٢١٥ ، رقم ١٠٦٩٧) .

قام فتوضأ وصلى قبلت صلاته، أو يقول: لا إله إلا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علمًا، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

١- الاستعاذة بالله تعالى عند الفزع أو الخوف أثناء النوم بأن يقول: «**أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**»(١).

٢- إذا انتبه أو تعارَّ من الليل(٢) يستحب أن يقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فإن قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استُجيب له، وإن توضأ وصلى قبلت صلاته** »(٣).

٣- إذا رأى الرؤيا يحبها فإنه يعلم أنها من الله، ثم يحمد الله ﷻ عليها، ثم يستبشر بها كما في رواية عند مسلم: «**فإن رأى رؤيا حسنة فيبشر، ولا يخبر**

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٥٧ ، رقم ١٦٦٢٣) ، قال الهيثمي (١٠/ ١٢٣) : رجاله رجال الصحيح إلا أن محمد بن يحيى بن حبان لم يسمع من الوليد بن الوليد . وابن السني (ص ٢٣٩ رقم ٦٤٣) . و ابن أبي شيبة (٦/ ٨٠ رقم ٢٩٦١٩) ، وابن قانع (٣/ ١٨٨ ، رقم ١١٦٧) . قال الحافظ في الإصابة (٦/ ٦٢١ ، ترجمة ٩١٥٧) : منقطع لأن محمد بن يحيى لم يدرك الوليد . وحسنه الألباني].

(٢) (تعار: أي هبَّ من نومه واستيقظ).

(٣) أخرجه البُخَارِي (٢/ ٦٨، رقم ١١٥٤).

بها إلا من يحب»[١]، وليحدث بها من يحب والأولى أن لا يحدث بها أو يقصها إلا على عالم أو ناصح، كما قال ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي: «**لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح**»[٢].

عن أبي قتادة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأى أحدُكم رؤيا يُحِبُّهَا فإنما هي من الله ، فَلْيَحْمَدِ الله عليها ، وليحدثْ بها ، وإذا رأى غيرَ ذلك مما يكرهُ فإنما هي مِن الشيطانِ ، فَلْيَسْتَعِذْ بالله من شَرِّهَا ، ولا يَذْكُرْهَا لأحدٍ فإنها لا تَضُرُّهُ**»[٣].

٤- إذا رأى الحلم يكرهه فإنه يعلم أنه من الشيطان، ولينفث عن يساره ثلاثًا، ثم يستعيذ من الشيطان الرجيم، ويتعوذ بالله من شر ما رأى، ويتحول عن الجنب الذي كان عليه، ويصلي ركعتين ولا يحدث بها أحدًا.

قال رسول الله ﷺ: «**وإن رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثًا، وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها ولا يحدث بها أحدًا فإنها لن تضره**»[٤]، وفي رواية:

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٧٢ ، رقم ٢٢٦١) .

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٣٧ ، رقم ٢٢٨٠) وقال : حسن صحيح . والطبراني في الأوسط (٧/ ٢٠٣ ، رقم ٧٢٧٥) ، وفي الصغير (٢/ ١٢٨ ، رقم ٩٠٣) . وصححه الألباني].

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٨ ، رقم ١١٠٦٩) ، والبخاري (٦/ ٢٥٦٣ ، رقم ٦٥٨٤) ، والترمذي (٥/ ٥٠٥ ، رقم ٣٤٥٣) ، وقال : حسن صحيح غريب . وأخرجه أيضًا : النسائي في الكبرى (٦/ ٢٢٣ ، رقم ١٠٧٢٩) ، وأبو يعلى (٢/ ٥١٣ ، رقم ١٣٦٣) ، والحاكم (٤/ ٤٣٤ ، رقم ٨١٨١) وقال : صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٧٢ ، رقم ٢٢٦١).

«**وليتحول عن جنبه الذي كان عليه**»[(١)]، وفي رواية: «**فليقم فليصلِّ**»[(٢)].

القسم الثالث: آداب عند الاستيقاظ:

أولا: أن يأتي بالأذكار الآتية إذا هو أصبح:

(أ) أن يقول إذا استيقظ وقبل أن يقوم من فراشه: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور[(٣)].

(ب) أن يرفع طرفه إلى السماء ويقرأ: إن في خلق السموات والأرض، الآيات العشر من خاتمة سورة آل عمران، إذا هو قام للتهجد لقول ابن عباس رضي الله عنهما: «**لما بتُّ عند خالتي ميمونة زوج الرسول ﷺ نام الرسول عليه الصلاة والسلام حتى نصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، ثم استيقظ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن الوضوء، ثم قام فصلى**»[(٤)].

(جـ) أن يقول أربع مرات: «**اللهم إني أصبحت بحمدك أشهدك وأُشهد**

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٧٠ ، رقم ٢٩٥٤٥) ، وعبد بن حميد (ص ٣١٩ ، رقم ١٠٤٧)، ومسلم (٤/ ١٧٧٢ ، رقم ٢٢٦٢) ، وأبو داود (٤/ ٣٠٥ ، رقم ٥٠٢٢) ، والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٩٠ ، رقم ٧٦٥٣) ، وابن ماجه (٢/ ١٢٨٦ ، رقم ٣٩٠٨) ، وابن حبان (١٣/ ٤٢٤ ، رقم ٦٠٦٠) .

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٣٧ ، رقم ٢٢٨٠) وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٢٦ ، رقم ١٠٧٤٦) .

(٣) أخرجه ابن حبان (١٢/ ٣٤٢ ، رقم ٥٥٣٢) ، وأحمد (٥/ ٣٩٧ ، رقم ٢٣٤١٧) .

(٤) أخرجه مالك (١/ ١٢١ ، رقم ٢٦٥) ، وأخرجه عبد الرزاق (٣/ ٣٧ ، رقم ٤٧٠٨) .

حملة عرشك، وملائكتك، وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدًا عبدك ورسولك»، لقولهﷺ: «**من قالها مرة أعتق الله ربعه من النار ، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه ، فمن قالها ثلاثًا أعتق الله ثلاثة أرباعه ، فإن قالها أربعًا أعتقه الله من النار**»[(١)].

المبادرة بعد الاستيقاظ إلى ذكر الله تعالى والوضوء ثم الصلاة، حتى يصبح الإنسان نشيطًا طيب النفس، قال رسول اللهﷺ: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على مكان كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[(٢)].

ثانيا: غسل الوجه واليدين عند الاستيقاظ:

ففي حديث ابن عباسرضي الله عنهما: «أن النبيﷺ قام من الليل فقضى حاجته ثم غسل وجهه ويديه ثم نام »[(٣)].

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٧٠٤ ، رقم ١٩٢٠) وقال : صحيح الإسناد .

(٢) أخرجه مالك (١/ ١٧٦ ، رقم ٤٢٤) ، وأحمد (٢/ ٢٤٣ ، رقم ٧٣٠٦) ، والبخاري (١/ ٣٨٣ ، رقم ١٠٩١) ، ومسلم (١/ ٥٣٨ ، رقم ٧٧٦) ، وأبو داود (٢/ ٣٢ ، رقم ١٣٠٦) ، والنسائي (٣/ ٢٠٣ ، رقم ١٦٠٧) ، وابن ماجه (١/ ٤٢١ ، رقم ١٣٢٩) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (٦/ ٢٩٣ ، رقم ٢٥٥٣) .

(٣) أخرجه مسلم (١ / ١٧٠، رقم ٧٢٤).

ثالثا: غسل الفم وتنظيف الأسنان بالسواك:

والسواك – وهو الأفضل – أو بالفرشاة والمعجون، حتى يطهر فمه، ويرضي ربه، ولا يؤذي غيره، فقد كان ﷺ إذا قام من الليل يشوص[١] فاه بالسواك[٢]، وفي حديث آخر كانﷺ لا ينام إلا والسواك عنده فإذا استيقظ بدأ بالسواك»[٣].

أمور مهمة:

من الآداب العامة عند النوم، والأمور التي يستحب مراعاتها، ما يلي[٤]:

- الطهارة والسواك.
- أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه.
- أن ينام تائبًا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ.
- أن يقتصر في تمهيد الفرش الناعمة.
- أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل.

---

(١) (يشوص: أي يدلك الأسنان بالسواك). [آداب البيت – أحمد العبد الله – ٤٨-٥٢].

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٨٢، رقم ١٠٨٥)، ومسلم (١/ ٢٢٠، رقم ٢٥٥).

(٣) مسند أحمد بن حنبل (٢ / ١١٧) وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن، وصححه الألباني في الصحيحة.

(٤) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين – الدمشقي – (ص٩٦).

- أن ينام مستقبلًا القبلة، لعموم قوله عليه الصلاة والسلام: «**قبلتكم أحياءً وأمواتًا**»[١]، قال بعضهم: أي: تتجه بشقك الأيمن اتجاه القبلة، قال بعضهم: تجعل أرجلك اتجاه القبلة هكذا بالطول.
- الدعاء عند النوم بما ورد.
- أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث.
- الدعاء عند التنبه وليقل أولًا: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور.. ثم يأتي بما ورد.
- أن لا يؤخر نومه بعد صلاة العشاء إلا لضرورة كمذاكرة علم، أو محادثة ضيف أو مؤانسة أهل، لما روى أبو برزة أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها[٢].
- كراهة النوم بعد الفجر: عن بعض التابعين أن الأرض تعج من نوم العالم بعد صلاة الفجر ويروى أن عمر رضي الله عنه لما قدم الشام رأى معاوية حمل اللحم، فقال: يا معاوية، ما هذا، لعلك تنام نومة الضحى ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، علمني مما علمك الله.

---

(١) السنن الصغرى للبيهقي (نسخة الأعظمي) - (ج ٣ / ص ٨١)، والطبراني في معجمه الكبير ج١٧/ ص٤٨ ح١٠١، و المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص - (ج ٤ / ص ٢٨٨) وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه : البخاري ١/ ١٤٩ (٥٦٨) ، ومسلم ٢/ ١١٩ (٦٤٧) (٢٣٥) و(٢٣٦) و(٢٣٧) .

- ورأى عبد الله بن عباس ابنًا له نائمًا نومة الضحى، فقال له: قم، أتنام في الساعة التي تقسم فيها الأرزاق ؟ وذلك لأنه وقت طلب الرزق والسعي فيه شرعًا وعرفًا عند العقلاء(١).
- كثرة النوم: قال داود لابنه سليمان عليه السلام: إياك وكثرة النوم، فإنه يفقرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم.
- وقال لقمان لابنه: يا بني، إياك وكثرة النوم والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقًّا، وإذا ضجرت لم تصبر على حق. وقال علي رضي الله عنه: من الجهل النوم في أول النهار، والضحك من غير عجب، والقائلة تزيد في العقل(٢).
- تجنب النوم على مسطح ليس له سند أو جدار، ففي الحديث: «**من نام على إجَّارٍ ليس عليه ما يدفع قدميه فخرَّ فقد برئت منه الذمة ومن ركب البحر إذا ارتج فقد برئت منه الذمة** »(٣).
- التفريق بين الأولاد في المضاجع إذا بلغوا عشر سنين، لحديث: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع**»(٤).

---

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٢٩١).

(٢) الآداب الشرعية (٣/ ٢٩١-٢٩٢).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧١ ، رقم ٢٢٣٨٧) قال الهيثمي (٨/ ٩٩) : رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في الصحيحة.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٠ ، رقم ٦٦٨٩) ، وابن أبي شيبة (١/ ٣٠٤ ، رقم ٣٤٨٢) ، وأبو

- أن لا ينام في مكان وحده، ففي الحديث: «نهى رسول الله ﷺ أن يبيت الرجل وحده»[١].
- أن يأتي فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل، ففي الحديث: «**من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة من ربه عز وجل**»[٢].

استحباب القيلولة:

عن سهل بن سعد رضي الله عنهما قال: «ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة»[٣].

قال عبد الله: كان أبي ينام نصف النهار شتاء كان أو صيفًا ويأخذني بها ويقول: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيلوا، فإن الشياطين لا تقيل. (والقائلة: النوم في الظهيرة)[٤].

داود (١/ ١٣٣ ، رقم ٤٩٥) ، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٦) ، والحاكم (١/ ٣١١ ، رقم ٧٠٨) ، والبيهقي (٢/ ٢٢٩ ، رقم ٣٠٥٢) ، وصححه الألباني.

(١) مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٩١،رقم ٥٦٥٠)، وصححه الألباني في الصحيحة.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٤٥٥ ، رقم: ١١٧٠)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ١٩٦ ، رقم: ١١٧٢)، والبيهقي في سننه الكبرى (٣/ ١٥، رقم: ٤٥٠٠)، والنسائي في سننه الكبرى (١/ ٤٥٦، رقم: ١٤٥٩)، وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٩٣٩)، ومسلم (٨٥٩).

(٤) الآداب الشرعية ج ٣ – ٢٩٠ .

إضاءات:

النوم هو رحلة للروح تعرج فيها إلى السماء حيث يقبضها الله إليه. ويضرب الله لنا مثل الموت والبعث كمثل النوم والاستيقاظ حتى يقرّب المعنى إلى عقولنا. فيقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: يخبر الله تعالى عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان والوفاة الصغرى عند المنام. وقال بعض السلف: يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا، وأرواح الأحياء إذا ناموا، فتتعارف ما شاء الله تعالى أن تتعارف. ثم يمسك التي قضى عليها الموت، أي التي قد ماتت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، أي إلى بقية أجلها.

كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: يقول تعالى إنه يتوفى عباده في منامهم

---

(١) سورة الزمر: الآية ٤٢.

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ٦٠ – ٦١.

بالليل، وهذا هو التوفي الأصغر. فذكر في هذه الآية الوفاتين الكبرى والصغرى. وهكذا ذكر في هذا المقام حكم الوفاتين الصغرى ثم الكبرى.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله[1]: فهذا النوم من آيات الله عز وجل، تأتي القوم مثلا في حجرة أو في سطح أو في بر، وهم نيام كجثث موتى لا يشعرون بشيء، ثم هؤلاء القوم يبعثهم الله عز وجل. ثم إن الإنسان يعتبر بالنوم اعتبارا آخر، وهو إحياء الأموات بعد الموت. فإن القادر على رد الروح حين يصحو الإنسان ويستيقظ ويعمل عمله في الدنيا، قادر على أن يبعث الأموات من قبورهم، وهو على كل شيء قدير.



(١) في شرحه لرياض الصالحين (الجزء الثاني، ص: ٦٥٤)

آداب الهدية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن من أعظم ما يحقق المودة بين القلوب، والصفاء بين الإخوان، وأجل ما يبعث الوئام في النفوس، وما يسترضى به الغضبان، ويستميل المحبوب، ويتقى به المحذور بعد الله، هذه هي الهدية.

تعريف الهدية:

الْهَدِيَّةُ فِي اللُّغَةِ : هِيَ الْمَال الَّذِي أُتْحِفَ وَأُهْدِيَ لأَحَدٍ إِكْرَامًا لَهُ ، يُقَال : أَهْدَيْتُ لِلرَّجُل كَذَا : بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْهِ إِكْرَامًا ، فَالْمَال هَدِيَّةٌ (١).

والهدية في الاصطلاح: هي تمليك عين للغير على غير عوض، فإن كانت لطلب الأجر المحض من الله غلب عليها اسم الصدقة، وإن كانت لغير ذلك فهي من ذلك - أي الهدية (٢).

---

(١) الْمِصْبَاح الْمُنِير .

(٢) قَوَاعِد الْفِقْهِ لِلْبَرَكَتِي ، وحاشية ابْن عَابِدِينَ (٥ / ٦٨٧) ط الْحَلَبِيّ ، والشرح الصَّغِير (٤/ ١٣٩ ، ١٤٠) ، وحاشية إِعَانَة الطَّالِبِينَ (٣/ ١٤٥) ، ومغني الْمُحْتَاج (٢ / ٣٩٦، ٣٩٧) ، وروض الطَّالِب (٢ / ٤٧٧) ، وَالْمُحَلِّيّ (٣/ ١١١) ، والمغني (٥/ ٦٤٩) .

مشروعية الهدية:

وهي مشروعة بين المسلمين بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

فمن الكتاب قَوْلُهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ﴾[1].

وَمِنَ السُّنَّةِ الْقَوْلِيَّةِ قَوْلُهُ ﷺ: **«يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ»**[2].

وفي لفظ: **«تهادوا إن الهدية تذهب وحر الصدر ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شق فرسن شاة»**[3].

وَقَوْلُهُ ﷺ: **«لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»**[4].

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٩٠٧، رقم ٢٤٢٧)، ومسلم (٢/ ٧١٤، رقم ١٠٣٠). فِرْسِن شاة: الفرسن خف البعير، وقد استعير للشاة، فسمي ظلفُها فرسنا، لأنه للشاة بمنزلة الخف للبعير.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٥، رقم ٩٢٣٩)، والترمذي (٤/ ٤٤١، رقم ٢١٣٠) وقال: غريب من هذا الوجه، وأبو معشر اسمه نجيح مولى بني هاشم وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه. والطيالسي (ص ٣٠٧، رقم ٢٣٣٣)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص ١٠٩، رقم ٣٥٩)، وابن عبد البر في التمهيد (٢١/ ١٩). وَحَرُ الصدر: غشه وبلابله ووساوسه وغله، وقيل: الوحر: أشد الغضب، وقيل: الحقد.

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٩٠٨، رقم ٢٤٢٩). كُرَاعٍ: يد الشاة والبقرة ونحوها.

وَقَال ﷺ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»[١].

وَمِنَ السُّنَّةِ الْعَمَلِيَّةِ : خَبَرُ «كَانَ رَسُول الله ﷺ يَقْبَل الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا»[٢]. أي: يكافئ صاحبها فيعطيه عوضا عنها ما هو خير منها أو مثلها.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: أَهْدَتْ أُمُّ حُفَيْدٍ خَالَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ الْأَقِطِ[٣] وَالسَّمْنِ»[٤].

وَعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ صَدَقَةٌ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا» وَلَمْ يَأْكُلْ، وَإِنْ قِيلَ هَدِيَّةٌ ضَرَبَ بِيَدِهِ ﷺ فَأَكَلَ مَعَهُمْ[٥].

كما أَجْمَعَتِ الأمَّةُ عَلَى مَشْرُوعِيَّتِهَا وَاسْتِحْبَابِهَا.

الحث على قبول الهدية:

قال ﷺ: «**يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**»[٦].

---

(١) أخرجه البيهقي (٦/ ١٦٩ ، رقم ١١٧٢٦) . والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٠٨ ، رقم ٥٩٤) ، وأبو يعلى (١١/ ٩ ، رقم ٦١٤٨) وابن عدي (٤/ ١٠٤ ، ترجمة ٩٥٣ ضمام بن إسماعيل مصري).

(٢) أخرجه البخاري: ٥(/ ١٥٤، رقم ٢٤٤٥).

(٣) **الأقط** : لبن مجفف يابس يطبخ به.

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٩١٠، رقم ٢٤٣٦).

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ٩١٠، رقم ٢٤٣٧).

(٦) سبق تخريجه.

ففي هذا الحديث الحث على قبول الهدية ولو قلّت؛ لما في ذلك من التأليف والتآلف، ولو كانت يسيرة ؛ لأن الكثير قد لا يتيسر كل وقت، كما أن اليسير إذا تواصل صار كثيرًا، والقليل من صاحب الود لا يقال له: قليل، فتقع المودة ويسقط التكلف.

لا تحقــرنَّ مــن الإحــسانِ محقَــرةً
أحــسِنْ فعاقبــةُ الإحــسانِ حُــسنَاهُ

ويزداد الأمر تأكيدا على عدم رد الهدية، إذا كانت إحدى ثلاث أشار إليها النبي ﷺ في قوله: « **ثَلاثٌ لا تُرَدُّ : الْوَسَائِدُ ، وَالدُّهْنُ ، وَاللَّبَنُ**»[1]، الدهن يعني به الطيب، قال الطيبي: «فينبغي لمن أهديت إليه أن لا يردها فإنها قليلة المنة خفيفة المؤن» [2].

كما أن الهدية لها آثار طيبة على العلاقات الأسرية والأواصر فيما بين الناس، فهي تأكيد للمحبة والصداقة، وهي عنوان للوفاء، يفرح القلب بها، وينشرح الصدر لرؤيتها، وإن كانت في النفوس بعض المكدّرات انسلّت وخرجت، يقول رسول الله ﷺ: «**أجيبوا الداعي، ولا تردوا الهدية، ولا**

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١٠٨ ، رقم ٢٧٩٠) وقال: «غريب»، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم **٣٠٤٦**. وأخرجه الطبراني (١٢/ ٣٣٦ ، رقم ١٣٢٧٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ١٣٢ ، رقم ٦٠٧٩) . وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (٣/ ٢١٧ ، رقم ٣٢١) .

(٢) فيض القدير (ج ٣ / ص ٤٠٩)، والتيسير بشرح الجامع الصغير (ج ١ / ص ٩٥٩)، وتحفة الأحوذي (ج ٨ / ص ٦١).

تضربوا المسلمين»[١].

قال ابن حبان: « زجر النبي ﷺ في هذا الخبر عن ترك قبول الهدايا بين المسلمين؛ فالواجب على المرء إذا أهديت إليه هدية أن يقبلها ولا يردها، ثم يثيب عليها إذا قدر ويشكر عنها؛ وإني لأستحب للناس بعث الهدايا إلى الإخوان بينهم؛ إذ الهدية تورث المحبة وتذهب الضغينة»[٢].

هـــدايا النـــاس بعـــضهم لـــبعض
تولــــــد في قلـــــوبهم الوصـــــالا
وتـــزرع في الـــضمير هـــوى وودًّا
وتكـــــسوك المهابــــة والجــــلالا
مـــصايد للقلـــوب بغـــير لغـــب
وتمنحــــك المحبــــة والوصــــالا

الهدية تذهب البغضاء من الصدور:

الهدية تزيل غوائل الصدور، وتذهب الشحناء من نفوس الناس، فالهدية

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٤ ، رقم ٣٨٣٨) قال الهيثمي (٤/ ٥٢) : رجاله رجال الصحيح . والبخاري في الأدب (١/ ٦٧ ، رقم ١٥٧) ، والطبراني (١٠/ ١٩٧ ، رقم ١٠٤٤٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٤٩ ، رقم ٥٣٥٩) . وأخرجه أيضًا : الحارث بن أبي أسامة كما في بغية الباحث (١/ ٤٧٧ ، رقم ٤٠٧) ، والبزار (٥/ ١١٥ ، رقم ١٦٩٧)، والشاشي (٢/ ٧٦ ، رقم ٥٩٠) ، وابن حبان (١٢/ ٤١٨، رقم ٥٦٠٣) .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١ / ٢٤٢).

حلوة، وهي كالسحر تختلب القلوب، وتولد فيها الوصال وتزرعها ودًّا، ناهيكم عن كونها مكساة للمهابة والجلال، ولا غرو في ذلك فأصل الكلمة من الهدى، والهدى بمعنى الدلالة والإرشاد، فكأنها تهدي القلب وترشده إلى طرق المودة والتآلف.

وحاصل الأمر أن العاقل الحصيف، من يستعمل مع أهل زمانه شيئا من بعض الهدايا بما قدر عليه لذي رحمه الأقرب فالأقرب، ولجيرانه أقربهما منه بابا، لاستجلاب محبتهم إياه، وإن كان عنده الشيء التافه فلا يجب أن يمتنع من بذله، لاستحقاره أو استقلاله؛ لأن أهون ما فيه لزوم البخل والمنع، ومن حقّر شيئا منعه؛ بل يكون عنده الكثرة والقلة في الحالة سواء، لأن ما يورث الكثير من الخصال، أورث الصغير بقدره من الفعال، وإن البشر طراً مجبولون على محبة الإحسان وكراهية الأذى، واتخاذ المحسن إليهم خلا وفيا، واتخاذ المسيء إليهم عدوا بغيضا.

وقد يتغاضى المهدى إليه عن كثير من عيوب المهدي ونقائصه، وما ذاك إلا للآثار الجميلة التي تتركها الهدية في النفوس، فهل يدرك هذا جيداً من هم اهتمام بدعوة الآخرين، فيستغلوا هذا الأمر في كسب مدعويهم والتأثير عليهم.

إن الهديـــــــة حلــــــــوة ... كالـــسحر تختلـــب القلوبـــا
تـــدني البعيـــد مـــن الهـــوى ... حتـــــى تـــــصيره قريبـــا
وتعيـــد مـــضطغن العـــدا ... وة بعـــد بغـــضته حبيبـــا
تنفي الـسخيمة مـن ذوي الشـ ... ـــحنا وتمتحـــق الـــذنوبا

أن الهدية تكشف عن عقل صاحبها:

الهدية -كما قيل- تدل على عقل صاحبها، فلا بد من حسن اختيارها وانتقائها لتعبر عن حب مخلص وصداقة متينة، وليست العبرة بحجمها وكبرها، وإنما بنوعيتها وحسن اختيارها وما تعبر عنه.

وقيل أيضاً بأن ثلاثة تدل على عقول أربابها: الهدية والرسول والكتاب، فالكتاب يدل على عقل كاتبه، والرسول يدل على عقل مرسله، والهدية تدل على عقل مهديها.

الأولى بالهدايا:

ومن الأولى أن يهدي الإنسان للأقرب فالأقرب، ولمن له حقوق على الإنسان، ومن ذلك:

الهدايا بين الزوجين:

فالهدية بين الزوجين أمرها عجيب، وأثرها بليغ، لاسيما أن المرأة رقيقة المشاعر مرهفة الحس تأنس لكل ما يعبر به الزوج عن محبته لها، وكذلك الرجل يأنس لهدية امرأته، ويفرح بها، ومن ذلك ما أجازه الله ﷻ للمرأة من أن تهب بعض صداقها للزوج، إذا أرادت ذلك عن طيب خاطر، فقال ﷻ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾[1]. بل لها أيضا أن تخرج له صدقتها إن كان فقيرًا، كل هذا تأكيدا للمودة فيما بينهما.

(١) سورة النساء: الآية ٤.

الهدايا لذوي القربى:

عن كريب مولى ابن عباس رضي الله عنهما أن ميمونة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أعتقت وليدةً [(١)] لها، فلما أخبرت النبي ﷺ، قال لها النبي ﷺ: «**لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لأَجْرِكِ**»[(٢)].

الهدايا إلى الجيران:

وكما تستحب الهدايا بين الزوجين وذوي القربى، تستحب كذلك بين الجيران، والأولىٰ من الجيران أقربهم، فيبدأ بالأقرب كما في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ ﷺ: «**إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا**»[(٣)].

فيه دليل على أن الجيران يتفاوتون بالقرب والبعد وما روي عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: جيران الرجل الذين يستحقون وصيته هم الذين حول داره ممن لو باع وكانوا مالكين لمساكنهم استحقوها بالشفعة يوجب تساويهم في الجوار والآثار أوجبت اختلافهم في القرب والبعد [(٤)].

الإهداء بالحكمة:

الهدية تختلف بحسب مقامها، وبحسب من يستفيد منها، فلا يلزم أن

---

(١) **الوليدة**: الأمة، والجمع: الولائد.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٩١٥، رقم ٢٤٥٢)، وأخرجه مسلم (٢/ ٦٩٤، رقم ٩٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤١، رقم ٥٦٧٤).

(٤) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار (١ / ٤٢٨).

تكون عينية، فقد تكون الهدية حكماً شرعياً أو لفتة علمية أو مثل ما حصل بين هذين الفاضلين مما ذكره البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه: عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: بَلَى. فَأَهْدِهَا لِي. فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ؟ فَإِنَّ الله قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: «**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ. إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ. إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(١)، وهكذا يكون الإهداء بالكلمة الطيبة أيضًا.

حكم إهداء الكفار وقبول هداياهم:

يجوز قبول الهدية من الكفار وكذلك إهداؤهم.

أما عن قبول هداياهم: فقد ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقبل الهدايا من اليهود، ومعروف قصة اليهودية التي أهدت له شاة وكانت مسمومة، فأخذها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأكل منها وأطعم بعض أصحابه منها أيضاً(٢).

وأما عن إهدائهم: فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَأَى عُمَرُ حُلَّةً عَلَى رَجُلٍ تُبَاعُ فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ابْتَعْ هَذِهِ الْحُلَّةَ تَلْبَسْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَإِذَا جَاءَكَ الْوَفْدُ فَقَالَ: «**إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذَا مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ**» فَأُتِيَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٠٢، رقم ٤٥١٩)، ومسلم (١/ ٣٠٥، رقم ٤٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٢١٤)، ومسلم (٧/ ١٤).

بِحُلَلٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ مِنْهَا بِحُلَّةٍ، فَقَالَ عُمَرُ: كَيْفَ أَلْبَسُهَا وَقَدْ قُلْتَ فِيهَا مَا قُلْتَ؟ قَالَ: «**إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا تَبِيعُهَا أَوْ تَكْسُوهَا**»، فَأَرْسَلَ بِهَا عُمَرُ إِلَى أَخٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ»[(١)].

آداب الهدية:

عدم العودة فيها:

فمن المستقبح في الهدية أن يرجع الإنسان في هديته، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَقِيءُ، ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ**»[(٢)]. أي: يلعقه بعد أن ألقاه وهو مبالغة في قبح الرجوع بالهبة، وقد ذهب الجمهور إلى تحريم العودة في الهدية، فقد شبه النبي ﷺ العائد في هبته في أقبح صورة، فإن الكلب من أخبث الحيوانات، ثم إن هذه الصورة من أبشع الصور، أن يقيء ثم يعود في قيئه.

اجتناب المن بها:

فالمن بالهدية من اللؤم وقلة المروءة؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٠٢، رقم ٨٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٩١٥، رقم ٢٤٤٩)، ومسلم (٣/ ١٢٤١، رقم ١٦٢٢).

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

أهدى رجل للأعمش بطيخة فلما أصبح قال: يا أبا محمد كيف كانت البطيخة؟ قال: طيبة! ثم أعاد عليه ثانياً: كيف كانت البطيخة؟ قال: طيبة! فأعادها ثالثاً فقال: إن خففت من قولك وإلا قئتها [(١)].

وأهدى أبو الهذيل إلى أستاذ له ديكاً، فكان بعد ذلك إذا خاطبه أرّخ بديكه، فيقول: أنه كان يوم أهديت إليك الديك، وأنه كان قبل الديك بكذا، وبعد الديك بكذا، وكلما ذكر شيئاً بجمال أو سمن قال: هو أحسن من الديك، أو أسمن من الديك الذي أهديته إليكم. وأصبح هذا مثلاً لمن يستعظم الهدية [(٢)].

العدل بين الأولاد في العطاء:

الهدية من العطايا، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أراد أن يعطيه عطية، وكان يحب أن يشهد رسول الله ﷺ على هذه الأعطية، فسأله النبي ﷺ: «**أعطيت سائر أولادك مثل هذا**»؟ قال: لا. قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**» قال فرجع فردّ عطيته [(٣)].

وفي التزام الأب لهذا العدل بين أولاده في العطاء ضمان برهم وعدم تقبلهم عليه، كما جاء في رواية: « **اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما تحبون**

---

(١) ذم الثقلاء (١ / ٥٦)، والفوائد المنتقاة عن الشيوخ العوالي للحربي (١/ ١٤٩)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٥٠١).

(٢) محاضرات الأدباء (١/ ٥٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٩١٤ ، رقم ٢٤٤٧) ، ومسلم (٣/ ١٢٤٢ ، رقم ١٦٢٣) .

أن يبروكم»[(١)]، وفي رواية: «**اعْدِلُوا بين أولادكم في النِّحَل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر والعطف**»[(٢)].

ألا تكون بمحرم:

فما يهدى من أشياء محرمة كآلات لهو من معازف وغيرها، وكالتماثيل والصور المحرمة، أو الملابس المحرمة، أو ما فيه شرك كشيء يعتقد أنه يجلب الشر ويمنع الخير، وغيرها مما يجر البلاء على المسلمين، ويقضي على دينهم والصبغة التي فطروا عليها ويحلق ما تبقى من خلال حسنة، كل هذا لا يجوز الإهداء به ولا قبوله.

فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حُلَّةً سِيَرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله لَوْ اشْتَرَيْتَهَا فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ. قَالَ ﷺ: «**إِنَّمَا يَلْبَسُهَا مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ**»[(٣)].

ضرورة تبيين السبب عند رد الهدية:

قد يضطر المهدى إليه لرد الهدية لسبب أو لآخر، والمهدي لا شك سيتأثر بهذا الرد، لذا ومراعاة لنفسيته، يجب بيان سبب الرد وأنه سبب شرعي

---

(١) أخرجه بحشل في تاريخ واسط (١/ ٢٢٤) ، وعزاه المناوي (١/ ١٢٧) ، والعجلوني (١/ ٤٤ ، رقم ٨٤) ، والحسيني في البيان والتعريف (١/ ٢٣) للطبراني في الكبير .

(٢) أخرجه ابن حبان (١١/ ٥٠٣ ، رقم ٥١٠٤) ، والبيهقي (٦/ ١٧٨ ، رقم ١١٧٨٣) وفيه قصة عندهما . وأبو عوانة (٣/ ٤٥٩ ، رقم ٥٦٨٦) مختصرا ، والديلمي (١/ ٩٩ ، رقم ٣٢٣) . قال المناوي (١/ ٥٥٧) : إسناده حسن .

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٧٤٢ ، رقم ١٩٩٨)، ومسلم في (٣/ ١٦٤١، رقم ٢٠٦٩).

هو الدافع لذلك.

وفي الحديث الصحيح عن الصعب بن جثامة الليثي ﵁، أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشياً، وهو بالأبواء [(١)] أو ودان [(٢)]، والرسول ﷺ كان محرماً، والمحرم لا يجوز له أن يصيد وهو محرم، ولا أن يأكل صيداً قد صِيدَ لأجله، والصحابي هذا لا يعرف الحكم، جاء واصطاد للرسول ﷺ حماراً وحشياً وجاء يهديه إليه، فرده عليه رسول الله ﷺ، قال الصحابي: فلما أن رأى رسول الله ﷺ ما فيّ قال: «**إنَّا لم نرده عليك إلا أنَّا حرم**»[(٣)].

الهدايا المحرمة:

رغم دعوة الإسلام للإهداء إلا أن هناك هدايا يحرمها الشرع، ومنها:

الهدية بمناسبات محرمة:

كتلك الهدايا التي تهدى بمناسبات الكفار، كالهدايا التي تهدى بمناسبة رأس السنة الميلادية، أو ما يسمونه بعيد الكريسماس، أو غيرها من المناسبات غير الإسلامية، أو ما يسمى يوم الأم، أو ما شابه ذلك مما هو مسترق من أهل الكفر، ومغلف بأغلفة مزيفة كالحب والتصافي، والبر والصلة ونحوها.

فكل ما سبق محرم فيه وبه الإهداء كما يحرم قبوله أيضًا؛ لأنه من باب

---

(١) اسم موضع بين مكة والمدينة سميت بذلك لتبوء السيول بها .

(٢) موضع بين الأبواء والجحفة .

(٣) أخرجه البخاري (٢ / ٦٤٩، رقم ١٧٢٩)، ومسلم (٤ / ١٣، رقم ٢٩٠٢)

التشبه بأهل الكفر، والنبي ﷺ يقول: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(١).

هدايا العاملين بغرض المصلحة:

مثل ما أعطي للرجل بسبب الأعمال التي أوكله بها ولي الأمر؛ وعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ اسْتَعْمَلَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ يُدْعَى ابْنَ الْلَّتَبِيَّةِ، فَلَمَّا جاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا**»، ثُمَّ خَطَبَنَا فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي الله فَيَأْتِي فَيَقُولُ هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَالله لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ الله يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ الله يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةً تَيْعِرُ (٢) ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ بَصْرَ عَيْنِي وَسَمْعَ أُذُنِي**»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٤٤ ، رقم ٤٠٣١) . وابن أبي شيبة (٤/ ٢١٢ ، رقم ١٩٤٠١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٧٥ ، رقم ١١٩٩) . والبزار (٧/ ٣٦٨ ، رقم ٢٩٦٦) ، والطبراني في الأوسط (٨/ ١٧٩ ، رقم ٨٣٢٧) . قال الهيثمي (١٠/ ٢٧١) : فيه علي بن غراب وقد وثقه غير واحد وضعفه بعضهم وبقية رجاله ثقات .

(٢) ومن غريب الحديث : «رغاء»: صوت البعير . «خوار»: صوت البقر . «تَيْعَرُ»: تصيح.

(٣) أخرجه البخاري (٦ / ٢٥٥٩، رقم ٦٥٧٨)، ومسلم (٦ / ١١، رقم ٤٨٤٥).

الهدية على الشفاعة:

ومن هذا القبيل ما يأخذه بعض الناس من هدايا تعطى له حين يستخدم جاهه في الشفاعة، وهو ما يسميه العلماء أخذ الأجرة على الشفاعة، يقول رسول الله ﷺ: «**من شفع لأخيه شفاعة، فأهدى له هدية عليها فقبلها منه، فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا**»[(١)].



(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦١ ، رقم ٢٢٣٠٥) ، وأبو داود (٣/ ٢٩١ ، رقم ٣٥٤١) ، والطبراني (٨/ ٢٣٨ ، رقم ٧٩٢٨).

آداب تلاوة القرآن:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإنه لا شك أن هذا الكتاب هو حبل الله الممدود من ربنا إلينا، من تمسك به هُدي ومن اعتصم به فاز، والفوز هو الجنَّة.

والله ﷻ قد أوصانا في كتابه الكريم بوصايا كثيرة، فيها الأمر بتلاوة القرآن وترتيله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[1].

وقال ﷻ: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[2].

وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[3].

وقال ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[4]، فمن يقرأ كتاب الله ﷻ لا شك أنه هو الفائز يوم القيامة.

---

(١) سورة المزمل: الآية ٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٣.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

(٤) سورة الزمر: الآية ٩.

فضل تلاوة القرآن الكريم:

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾[2].

ولقد ضرب النبي ﷺ أمثلة للتالين لكتاب الله، فقال: «**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ أَوْ خَبِيثٌ وَرِيحُهَا مُرٌّ**»[3]. والتَّمْثِيل هنا وَقَعَ بِالَّذِي يَقْرَأ الْقُرْآن وَلا يُخَالِف مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْر وَنَهْي، لا مُطْلَق التِّلاوَة.

والأترجة مِنْ الْفَاكِهَة الَّتِي تَجْمَع طِيب الطَّعْم وَالرِّيح كَالتُّفَّاحَةِ؛ لأَنَّهُ يُتَدَاوَى بِقِشْرِهَا، وَهُوَ مُفْرِح بِالْخَاصِّيَّةِ، وَيُسْتَخْرَج مِنْ حَبِّهَا دُهْن لَهُ مَنَافِع وَغِلاف حَبّه أَبْيَض فَيُنَاسِب قَلْب الْمُؤْمِن ، وَفِيهَا أَيْضًا مِنْ الْمَزَايَا كِبْر جُرْمهَا وَحُسْن مَنْظَرهَا وَتَفْرِيح لَوْنهَا وَلِين مَلْمَسهَا ، وَفِي أَكْلهَا مَعَ الالْتِذَاذ طِيب نَكْهَة وَدِبَاغ مَعِدَة وَجَوْدَة هَضْمٍ ، وَلَهَا مَنَافِع أُخْرَى .

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢١.

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٩.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٢٨، رقم ٤٧٧٢).

ذكر بعض فضائل تلاوة القرآن الكريم، وفضل من حفظ شيئًا من كتاب الله تعالى:

١- أن أهل القرآن هم أهل الله ﷻ وخاصته:

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ ، قَالَ قِيلَ : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ**»(١).

٢- أن ثواب تلاوة القرآن أعظم من أنفس أموال الدنيا :

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلاثَ خَلِفَاتٍ (٢) عِظَامٍ سِمَانٍ ؟**» قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ: «**فَثَلاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ**»(٣).

وخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ على أصحابه من أهل الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ (٤) فِي غَيْرِ**

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ٢٨٣ ، رقم ٢١٢٤) ، وأحمد (٣/ ١٢٧ ، رقم ١٢٣٠١) ، والنسائي في الكبرى (٥/ ١٧ ، رقم ٨٠٣١) ، وابن ماجه (١/ ٧٨ ، رقم ٢١٥) ، والدارمي (٢/ ٥٢٥ ، رقم ٣٣٢٦) ، والحاكم (١/ ٧٤٣ ، رقم ٢٠٤٦) ، وقال : وقد روي هذا الحديث من ثلاثة أوجه عن أنس هذا أمثلها . وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٦٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٥١ ، رقم ٢٦٨٨) . قال المنذري (٢/ ٢٣١) : إسناده صحيح .

(٢) الْخَلِفَات: الْحَوَامِل مِنْ الإِبِل إِلَى أَنْ يَمْضِي عَلَيْهَا نِصْف أَمَدهَا، ثُمَّ هِيَ عِشَار.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٢ ، رقم ٨٠٢).

(٤) الْكَوْمَا مِنْ الإِبِل : الْعَظِيمَة السَّنَام .

إِثْم وَلا قَطْعِ رَحِمٍ ؟» فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ الله نُحِبُّ ذَلِكَ ، قَالَ: **«أَفَلا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ الله ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ ، وَثَلاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاثٍ ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنْ الإِبِلِ»**(١) .

٣- أن كل حرف فيه بعشر حسنات :

عن ابْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لا أَقُولُ الم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»**(٢) .

٤- أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بملازمة أهل القرآن:

فالله سبحانه وتعالى أمر نبيه ﷺ بالجلوس مع أهل القرآن، وإن كانوا أفقر الناس، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَلَسْتُ فِي عِصَابَةٍ مِنْ ضُعَفَاءِ الْمُهَاجِرِينَ، وَإِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَسْتَتِرُ بِبَعْضٍ مِنْ الْعُرْيِ، وَقَارِئٌ يَقْرَأُ عَلَيْنَا، إِذْ جَاءَ رَسُولُ الله ﷺ، فَقَامَ عَلَيْنَا، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ الله ﷺ سَكَتَ الْقَارِئُ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: **«مَا كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟»** قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله! إِنَّهُ كَانَ قَارِئٌ لَنَا يَقْرَأُ عَلَيْنَا، فَكُنَّا نَسْتَمِعُ إِلَى كِتَابِ الله. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«الْحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ أُمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ»**. قَالَ فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ وَسْطَنَا لِيَعْدِلَ بِنَفْسِهِ فِينَا، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَتَحَلَّقُوا، وَبَرَزَتْ وُجُوهُهُمْ لَهُ، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٢ ، رقم ٨٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢١٦) ، والترمذي (٥/ ١٧٥ ، رقم ٢٩١٠) وقال: حسن صحيح غريب . والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٤٢ ، رقم ١٩٨٣) .

ﷺ عَرَفَ مِنْهُمْ أَحَدًا غَيْرِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ صَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَاءِ النَّاسِ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَذَاكَ خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ**»(١).

٥- أنه يورث الإنسان الراحة والذكر الحسن:

فيورث الإنسان الراحة القلبية، ويزيده أن يذكر ذكرا حسنا في الأرض والسماء، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ، فَقَالَ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: سَأَلْتَ عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ الله ﷺ مِنْ قَبْلِكَ: «**أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الإِسْلام ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ الله وَتِلاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ وَذِكْرُكَ فِي الأَرْضِ**»(٢).

٦- أن كل آية يحفظها المسلم يرفعه الله بها درجة في الجنة :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ : اقْرَأْ وَاصْعَدْ ، فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً ، حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٦٣ ، رقم ١١٦٢٢) ، وأبو داود (٣/ ٣٢٣ ، رقم ٣٦٦٦) ، وأبو يعلى (٢/ ٣٨٢ ، رقم ١١٥١) ، والبيهقي في الدلائل (١/ ٣٥٢) . وأخرجه أيضاً : البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٣٥ ، رقم ١٠٤٩٢) .

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٨٢ ، رقم ١١٧٩١) قال الهيثمي (٤/ ٢١٥) : رجاله ثقات .

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٠ ، رقم ١١٣٧٨) ، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٢ ، رقم ٣٧٨٠) قال البوصيري (٤/ ١٢٥) : هذا إسناد فيه عطية العوفي وهو ضعيف . وأبو يعلى (٢/ ٣٤٦ ، رقم ١٠٩٤) .

٧- أن الماهر بالقرآن يقرنه الله ﷻ بأفضل الملائكة :

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ**»(١). وفي رواية: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ** (٢) **فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ**»(٣).

وكَوْنه مَعَ الْمَلائِكَة أَنَّ لَهُ فِي الآخِرَة مَنَازِل يَكُون فِيهَا رَفِيقًا لِلْمَلائِكَةِ السَّفَرَة ، لاتِّصَافِهِ بِصِفَتِهِمْ مِنْ حَمْل كِتَاب الله ﷻ، وعمل بِعَمَلِهِمْ وَسَالِك مَسْلَكهمْ .

وَأَمَّا الَّذِي يَتَتَعْتَع فِيهِ فَهُوَ الَّذِي يَتَرَدَّد فِي تِلاوَته لِضَعْفِ حِفْظه فَلَهُ أَجْرَانِ : أَجْر بِالْقِرَاءَةِ ، وَأَجْر بِتَتَعْتُعِهِ فِي تِلاوَته وَمَشَقَّته ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ الَّذِي يَتَتَعْتَع عَلَيْهِ لَهُ مِنْ الأَجْر أَكْثَر مِنْ الْمَاهِر بِهِ، بَلْ الْمَاهِر أَفْضَل وَأَكْثَر أَجْرًا؛ لأَنَّهُ مَعَ السَّفَرَة وَلَهُ أُجُور كَثِيرَة وَلَمْ يَذْكُر هَذِهِ الْمَنْزِلَة لِغَيْرِهِ ، وَكَيْف يَلْحَق بِهِ مَنْ لَمْ يَعْتَنِ بِكِتَابِ الله تَعَالَى وَحِفْظه وَإِتْقَانه وَكَثْرَة تِلاوَته كَاعْتِنَائِهِ حَتَّى مَهَرَ فِيهِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٨ رقم ٢٤٢٥٧) ، وابن أبي شيبة (٦/ ١٢٨ ، رقم ٣٠٠٣٦) ، والترمذي (٥/ ١٧١ ، رقم ٢٩٠٤) وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضًا : الطيالسي (ص ٢١٠ ، رقم ١٤٩٩) ، وإسحاق بن راهويه (٣/ ٧٠٩ ، ١٣١٣) ، وأبو داود (٢/ ٧٠ ، رقم ١٤٥٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٦٠) ، والخطيب (١/ ٢٦١) .

(٢) **السَّفَرَة** : الرُّسُل ، لأَنَّهُمْ يُسْفِرُونَ إِلَى النَّاس بِرِسَالاتِ الله، وَقِيلَ : السَّفَرَة : الْكَتَبَة. **وَالْبَرَرَة** : الْمُطِيعُونَ ، مِنْ الْبِرّ وَهُوَ الطَّاعَة. **وَالْمَاهِر** : الْحَاذِق الْكَامِل الْحِفْظ الَّذِي لا يَتَوَقَّف وَلا يَشُقّ عَلَيْهِ الْقِرَاءَة بِجَوْدَةِ حِفْظه وَإِتْقَانه .

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٨٢ ، رقم ٤٦٥٣) ، ومسلم (١/ ٥٤٩ ، رقم ٧٩٨).

٨- أن أفضل الناس هو من يتعلم القرآن ويعلمه :

عَنْ عُثْمَانَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»، قَالَ وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ حَتَّى كَانَ الْحَجَّاجُ قَالَ وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا»[(١)].

وعنه ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[(٢)].

وعَنْ دُرَّةَ بِنْتِ أَبِي لَهَبٍ ﷺ قَالَتْ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ فَقَالَ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَؤُهُمْ وَأَتْقَاهُمْ وَآمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ**»[(٣)].

٩- أن الله ﷻ لا يعذب إنسانًا حفظ القرآن وعمل به :

فعن عصمة بن مالك ﷺ قال ﷺ: «**لو جمع القرآن في إهاب ما أحرقه الله بالنار**»[(٤)]. وفي رواية: «**مَا مَسَّهُ النَّارُ**»[(٥)].

وعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَوْ جُعِلَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩١٩، رقم ٤٧٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٩١٩، رقم ٤٧٤٠).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٤٣٢، رقم ٢٧٤٧٤)، والطبراني (٢٤/ ٢٥٧، رقم ٦٥٧)، قال الهيثمي (٧/ ٢٦٣): رجالهما ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر. والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٢٠، رقم ٧٩٥٠).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٥٥، رقم ٢٧٠٠).

(٥) أخرجه الطبراني (٦/ ١٧٢، رقم ٥٩٠١). وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٥٤، رقم ٢٦٩٩).

الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ مَا احْتَرَقَ»(١)، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل الْمعنى: مَن علَّمهُ اللهُ القرآنَ لم تحرقْهُ نارُ الآخرةِ، فجُعِلَ جسمُ حافظ القرآن كالإهاب له(٢).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قال: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَلا يَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ الْمُعَلَّقَةُ، فَإِنَّ الله لَنْ يُعَذِّبَ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ»(٣).

١٠- أنه يأتي شفيعًا لأصحابه:

فيشفع في أصحابه الذين كانوا يعملون به في الدنيا، فعن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**»(٤).

وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لِصَاحِبِهِ أَنَا الَّذِي أَسْهَرْتُ لَيْلَكَ**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥١ ، رقم ١٧٤٠٣) . قال الهيثمي (٧/ ١٥٨) : رواه أحمد ، وأبو يعلى، والطبراني ، وفيه ابن لهيعة ، وفيه خلاف .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٨٣).

(٣) أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٥٢٤ ، رقم ٣٣١٩)، وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٣ ، رقم ٨٠٤).

وَأَظْمَأْتُ نهارك»[١].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ**»[٢].

١١- أن النبي ﷺ رفع صاحب القرآن إلى مراتب العلماء :

فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «**مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الأُوَلَ**[٣] **مِنْ الْقُرْآنِ فَهُوَ حَبْرٌ**»[٤].

١٢- أن الله سبحانه وتعالى يكرم أهله يوم القيامة:

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «**مَنْ قَالَ سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ نَبَتَ لَهُ غَرْسٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَكْمَلَهُ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أَلْبَسَ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٤٢ ، رقم ٣٧٨١) قال البوصيري (٤/ ١٢٦) : هذا إسناد رجاله ثقات . والحاكم (١/ ٧٤٢ ، رقم ٢٠٤٣) وقال : صحيح الإسناد .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٤ ، رقم ٦٦٢٦) ، والطبراني كما في مجمع الزوائد (٣/ ١٨١) قال الهيثمي رجال الطبراني رجال الصحيح . وقال في (١٠/ ٣٨١) : رواه أحمد ، وإسناده حسن على ضعف في ابن لهيعة وقد وثق . وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٦١) ، والحاكم (١/ ٧٤٠ ، رقم ٢٠٣٦) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٤٦ ، رقم ١٩٩٤) .

(٣) السبع الأول: يعني البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٧٣ ، رقم ٢٤٤٨٧)، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن، ومسند إسحاق بن راهويه (٢/ ٣٣٢، رقم ٨٥٨).

وَالِدَيهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتٍ مِنْ بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيهِ فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهِ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ حَلِّهِ ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ زِدْهُ ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ ، فَيَرْضَى عَنْهُ ، فَيُقَالُ لَهُ : اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً»(٢).

١٣- والقرآن من أعظم القربات لله ﷻ وأحبها إليه :

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا أُذِنَ لِعَبْدٍ فِي شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ يُصَلِّيهِمَا ، وَإِنَّ الْبِرَّ لَيُذَرُّ فَوْقَ رَأْسِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِي صَلاتِهِ ، وَمَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى الله تَعَالَى بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ يَعْنِي الْقُرْآنَ»(٣).

١٤- سلامة أهل القرآن من الغفلة :

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنْ الْقَانِتِينَ ، وَمَنْ قَامَ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٠ ، رقم ١٥٦٨٣) ، وأبو داود (٢/ ٧٠ ، رقم ١٤٥٣) ، والحاكم (١/ ٧٥٦ ، رقم ٢٠٨٥) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٢٩، رقم ١٩٤٨) . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (٣/ ٦٥ ، رقم ١٤٩٣) .

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ١٧٨ ، رقم ٢٩١٥) وقال: حسن صحيح . والحاكم (١/ ٧٣٨ ، رقم ٢٠٢٩) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٤٧ ، رقم ١٩٩٧).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٨ ، رقم ٢٢٣٦٠) ، والترمذي (٥/ ١٧٦ ، رقم ٢٩١١) وقال : غريب . والطبراني (٨/ ١٥١ ، رقم ٧٦٥٧).

بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنْ الْمُقَنْطِرِينَ»(١).

وعن أبي أُمَامَةَ ﷺ قال : «**مَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ مِنْ الأَجْرِ ، وَالْقِيرَاطُ مِنْ ذَلِكَ الْقِنْطَارِ لا يَفِي بِهِ دُنْيَاكُمْ ، يَقُولُ لا يَعْدِلُهُ دُنْيَاكُمْ**»(٢).

١٥- القرآن أمان للبيت الذي يقرأ فيه:

أن البيت الذي يقرأ فيه القرآن تحصل فيه الخيرات والبركات ويحفظ الله تعالى أهل هذا البيت من كل سوء ، عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الْبَيْتَ لَيَتَّسِعُ عَلَى أَهْلِهِ وَتَحْضُرُهُ الْمَلائِكَةُ وَتَهْجُرُهُ الشَّيَاطِينُ وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ أَنْ يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ وَإِنَّ الْبَيْتَ لَيَضِيقُ عَلَى أَهْلِهِ وَتَهْجُرُهُ الْمَلائِكَةُ وَتَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ وَيَقِلُّ خَيْرُهُ أَنْ لا يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ»(٣).

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِابْنٍ لَهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله إِنَّ ابْنِي هَذَا يَقْرَأُ الْمُصْحَفَ بِالنَّهَارِ وَيَبِيتُ بِاللَّيْلِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا تَنْقِمُ أَنَّ ابْنَكَ يَظَلُّ ذَاكِرًا وَيَبِيتُ سَالِمًا**»(٤).

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَرَأَ الآيَتَيْنِ الآخِرَتَيْنِ**

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٧ ، رقم ١٣٩٨) ، وابن حبان (٦/ ٣١٠ ، رقم ٢٥٧٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٠٠ ، رقم ٢١٩٤) . وابن خزيمة (٢/ ١٨١ ، رقم ١١٤٤) .

(٢) سنن الدارمي (٢/ ٥٥٨، رقم ٣٤٦٢)، وقال حسين سليم أسد : إسناده ضعيف ولكن الحديث حسن.

(٣) أخرجه الدارمي (٢ / ٥٢٢، رقم ٣٣٠٩).

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ١٧٣(٦٦١٤).

مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»[(١)].

آداب تلاوة القرآن الكريم:

١- الإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

فإن النبي ﷺ قد أخبرنا يوم القيامة عمن تسعر بهم النار، وهم ثلاثة، فمنهم: قارئ للقرآن، والسبب -ولا شك- في تسعير النار به يوم القيامة هو أنه لم يكن من الذين أخلصوا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ذلك، ولذلك هؤلاء الثلاثة الذين تسعر بهم النار، قال النبي ﷺ فيهم: «**إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمةٍ جاثية، فأول من يُدعى به رجلٌ جمع القرآن، ورجلٌ قتل في سبيل الله، ورجلٌ كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت بما علمت؟ قال: كنتُ أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال: فلانٌ قارئ! فقد قيل ذلك، أخذت أجرك في الدنيا، ثم يسحب إلى النار**»[(٢)].

٢- الطهارة:

لا شك أن تلاوة القرآن على طهارة أفضل، وإن حصل الخلاف بين أهل

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٧٢ ، رقم ٣٧٨٦) ومسلم (١/ ٥٥٤ ، رقم ٨٠٧).

(٢) أخرجه ابن المبارك (١/ ١٥٩ ، رقم ٤٦٩) ، والترمذي (٤/ ٥٩١ ، رقم ٢٣٨٢) وقال : حسن غريب . والحاكم (١/ ٥٧٩ ، رقم ١٥٢٧) وقال : صحيح الإسناد . وابن جرير في تفسيره (١٢/ ١٣) . وابن خزيمة (٤/ ١١٥ ، رقم ٢٤٨٢) ، وابن حبان (٢/ ١٣٥ ، رقم ٤٠٨) .

العلم في حكم الطهارة لتلاوة القرآن ولمس المصحف، أما بالنسبة للتلاوة فلا شك أن مجرد التلاوة بدون مس المصحف لا يشترط لها الطهارة، بمعنى زوال الحدث الأصغر والأكبر معًا، وإنما إذا كان على جنابة لا يقرأ حتى يغتسل وعذره يزول، بخلاف عذر الحائض التي تمكث وقتًا لا تستطيع أن تزيل عذرها بيدها.

ولما قال النبي ﷺ: «**إني كرهتُ أن أذكر الله ﷻ إلا على طهرٍ**»[1]. لا شك أن أعلى ما يُتطهر له هو كلام الله ﷻ.

قال الجويني رحمه الله: «لكن تجوز القراءة للمحدث حدثًا أصغر؛ لأنه صح أن النبي ﷺ: «كان يقرأ مع الحدث»، لكن هذا الحديث ليس بمعروف، والذي ورد: «أن النبي ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه»[2]. ومن هنا قال بعض العلماء: ما دام أنه كان يذكر الله على كل أحيانه، فقراءة القرآن من ذكر الله.

ولذلك يرى بعضهم جواز قراءة القرآن للجنب، لكن الأحوط أن الجنب لا يقرأ القرآن، والأفضل أن يتطهر الإنسان لقراءة القرآن، والراجح للحائض أنه يجوز لها قراءة القرآن لكن دون مس المصحف، فإن احتاجت إلى مسه بخشبةٍ أو بقلمٍ أو بقفازٍ أو بخرقةٍ ونحو ذلك فلا مانع .

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٥ رقم ١٧) ، والنسائي (١/ ٣٧ رقم ٣٨) ، وابن حبان (٣/ ٨٦ رقم ٨٠٦) ، والحاكم (١/ ٢٧٢ ، رقم ٥٩٢) .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٢٨٢، رقم ٣٧٣).

٣- **التسوك:**

لأن النبي ﷺ قال: «**إن أفواهكم طرقٌ للقرآن، فطيبوها بالسواك**»[(١)].

وقد جاء عدد من الأحاديث في هذا الموضوع، فمن ذلك: أن النبي ﷺ قال: «**إذا تسوك أحدكم ثم قام يقرأ طاف به الملك يستمع القرآن حتى يجعل فاه على فيه، فلا تخرج آيةٌ من فيه إلا في فيّ الملك**»[(٢)].

من فوائد السواك للقراءة:

١- أنه لا يخرج من فم قائم الليل المصلي الذي يقرأ القرآن آية إلا دخلت في فم الملك.

٢- أن الملك يضع فاه على فم قارئ القرآن، القائم في الليل .

٤- **الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:**

لأن الله ﷻ قال: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[(٣)]، ومعنى «**إذا قرأت**» أي: إذا أردت القراءة، قال بعض أهل العلم: يجب التعوذ عند قراءة القرآن لظاهر الأمر، وجمهور العلماء على استحباب ذلك، ومن أفضل الصيغ: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ١٠٦، رقم ٢٩١)، أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٩٦)، وقال: غريب من حديث سعيد لم نكتبه إلا من حديث بحر. والديلمي (١/ ٢٢١، رقم ٨٤٨).

(٢) أخلاق أهل القرآن (١/ ١٥)، وهذا الحديث صححه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى وغيره.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٨.

ونفثه»، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ[١].

والاستعاذة ليست آية من القرآن، ولذلك لا ترتل ترتيلًا، وإنما تقال: بصوتٍ عال، فإذا بدأ يقرأ رتل الترتيل المعروف، وميَّز صوته بالتلاوة، ومن فوائد الجهر بالتعوذ: إظهار شعار القراءة، وأن السامع ينصت للقراءة ويعلم ماذا سيقوله القارئ، وأن بعده قرآن.

قال ابن الجزري رحمه الله: «المختار عند أئمة القراءة الجهر بها»[٢].

وقال بعضهم: يُسر بها.

وعلى أية حال، إذا تعوذ يُسمع نفسه.

وهنا مسألة: إذا كان جماعة في مقام التعليم يقرءون، فتعوذ الأول وقرأ ثم توقف ليقرأ الثاني، فلا يجب إعادة الاستعاذة، لأن القراءة هنا في حكم المتصلة، فلا يجب إعادة الاستعاذة من القارئ والثاني والثالث.

٥- البسملة:

فيحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة غير براءة، فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يعرف انقضاء السورة وابتداء السورة التي تليها بالبسملة، إلا في موضعٍ واحد وهو ما بين الأنفال وبراءة، فإن الصحابة تركوهما بغير بسملةٍ بينهما، لأن النبي ﷺ توفي ولم يبين لهم، هل براءة والأنفال سورة

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٧ ، رقم ٢٩١٢٣) ، وأحمد (١/ ٤٠٤ ، رقم ٣٨٣٠) . وابن ماجه (١/ ٢٦٦ رقم ٨٠٨) . قال البوصيري (١/ ١٠٣) : هذا إسناد ضعيف . والحاكم (١/ ٣٢٥ ، رقم ٧٤٩) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (٢/ ٣٦ ، رقم ٢١٨٦) .

(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٨١).

واحدة أم لا؟ فلو وضعوا البسملة صارت سورتين منفصلتين، وإذا لم يضعوا البسملة في بداية السورة توهم الناس أنهما سورة واحدة، فتركوهما بهذا الشكل الموجود الآن.

وكذلك بما أن البسملة آية فالسنة ألا تُوصل بما بعدها، فيستعيذ بالله ثم يتوقف، ثم يقرأ البسملة ويتوقف، ثم يشرع في قراءة الآيات أو السورة، وبما أن البسملة هي في بداية كل سورة، فإذا بدأ من وسط سورة، فإنه يكتفي بالاستعاذة.

٦- الترتيل:

لأن الله قال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ (١)، ونعتت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ، قراءةً مفسرةً حرفًا حرفًا (٢).

وعن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن قراءة النبي ﷺ؟ فقال: «كانت مدًّا، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمد الله -أي: المد الطبيعي حركتين- ويمد الرحمن، ويمد الرحيم» (٣).

---

(١) سورة المزمل: الآية ٤.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ١٨٣، رقم ٢٩٢٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، والنسائي في سننه الكبرى (١/ ٣٤٩، رقم ١٠٩٥)، والحاكم في مستدركه (١/ ٤٥٤، رقم: ١١٦٥)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والطبراني في معجمه الكبير (٢٣/ ٢٩٢، رقم ٦٤٦).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢/ ٤٦، رقم ٢٢٢١)، والدارقطني (١/ ٣٠٨، رقم ٢٣)، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ. وكلُّهم ثقاتٌ. وقال الحازميُّ: هذا حديثٌ صحيحٌ لا يُعرفُ له علّةٌ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رجلًا قال له: إني أقرأ المفصل في ركعةٍ واحدة، فقال: «أهذًّا كهذِّ الشعر»[(١)]. ينكر عليه، أي: الإسراع بالقراءة: «إن قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع»[(٢)].

وفي الأثر عن ابن مسعود كما أخرجه الآجري : «لا تنثروه نثر الدقل - أي: التمر الرديء-، ولا تهذُّوه كهذِّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكون همُّ أحدكم آخر السورة»[(٣)].

٧- **الاجتماع لمدارسة القرآن:**

كما قال النبي ﷺ: «وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[(٤)]. فالاجتماع لتلاوة القرآن ومدارسته من السنن والمستحبات العظيمة، ولا يعني قوله: «يتلون كتاب الله»، أي: يتلونه بصوت واحد، ولا يعني أن كل واحد يقرأ وراء الآخر مقطعًا مقطعًا، كما يفعل كثيرٌ من الناس، لأنه قد ثبت عن الصحابة -رضوان الله عليهم-، أنهم كانوا إذا جلسوا أمروا واحدًا منهم أن يقرأ ويستمع الباقون.

---

(١) سنن أبي داود (٢/ ٥٦)، ومختصر قيام الليل (١/ ٢١٦)، ومسند أبي عوانة (١/ ٤٨٤)، وسنن البيهقي الكبرى (٣/ ٩).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٣٦، ٥٣٧).

(٣) أخلاق أهل القرآن (١/ ٣)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٢٧٣)، وتفسير البغوي (٤/ ٤٠٧)، والإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٨٢).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤ ، رقم ٢٦٩٩).

٩- **تحسين الصوت بالقراءة:**

لقوله ﷺ: «**حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا**»(١). وفي رواية: «**حُسن الصوت زينة القرآن**»(٢). فتحسين الصوت: تجميله، وتزيينه، والاعتناء به، والإبداع فيه، وسيأتي لهذا مزيد من الشرح -إن شاء الله-.

١٠- **أن يُتغنى بالقرآن:**

وهذا تابع لما ذكرناه من تحسين الصوت به، فإن النبي ﷺ قال: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**»(٣). وكذلك حديث: «**ما أذن الله لشيءٍ ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يتغنى به**»(٤). فالتغني بالقرآن من آداب التلاوة ومستحباتها، وهذا معنى التغني: تحسين الصوت .

١١- **عدم الجهر بالقراءة على الآخرين:**

فلا يجهر شخصٌ على شخصٍ بالقراءة فيرفع صوته، ولذلك قال ﷺ:

---

(١) أخرجه الدارمي (٢/ ٥٦٥ ، رقم ٣٥٠١) ، والحاكم (١/ ٧٦٨ ، رقم ٢١٢٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٨٦ ، رقم ٢١٤١) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان في الثقات (٩/ ٤٨ ، ترجمة ١٥١١٥ محمد بن أبي بكر المقرئ) .

(٢) أخرجه الطبراني (١٠/ ٨٢ ، رقم ١٠٠٢٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٣٦) وقال: غريب. والبغوي في الجعديات (١/ ٤٩٦ ، رقم ٣٤٥٦) ، والديلمي (٢/ ١٤١ ، رقم ٢٧١٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٣٧ ، رقم ٧٠٨٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٢٠ ، رقم ٧٠٤٤) ، ومسلم (١/ ٥٤٥ ، رقم ٧٩٢).

«**ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن**»[١]؛ لئلا يكون ذلك سبيلًا إلى التشويش».

١٢- قطع القراءة عند النعاس والتثاؤب:

فمن نعس كف عن القراءة، فعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدرِ ما يقول فليضطجع**»[٢].

أي: يذهب وينام حتى لا يخلط القرآن بغيره، أو تلتبس عليه الآيات، فيُقدم ويُؤخر، أو يهذي ويذكر حروفًا ليست فيه ونحو ذلك مما يفعله النعسان، فإذا نعس فعليه أن يذهب وينام.

١٣- الاعتناء بالسور التي لها فضل:

فيُكثر من قراءتها، فإن النبي ﷺ قال: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة! فإنه من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[٣]، في ليلة فقد قرأ في ليلته ثلث القرآن**»[٤]. وفي رواية أنه قال: «**احشدوا فإني سأقرأ**

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٤٤ ، رقم ١٩٠٤٤) قال الهيثمي (٢/ ٢٦٥) : رجاله رجال الصحيح، والبيهقي (٣/ ١١ ، رقم ٤٤٨٠) .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٤٣ ، رقم ٧٨٧).

(٣) سورة الإخلاص: الآيتان ١ – ٢.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٤١٨ ، رقم ٢٣٦٠٠) ، والدارمي (٢/ ٥٥٣ ، رقم ٣٤٣٧) ، وعبد بن حميد (ص ١٠٣ ، رقم ٢٢٢) ، والترمذي (٥/ ١٦٧ ، رقم ٢٨٩٦) وقال : حسن . والنسائي (٦/ ١٧٣ ، رقم ١٠٥١٥) . وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١١٧) .

عليكم ثلث القرآن»، ثم قرأ عليهم سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾»[(١)].

١٤- عدم القراءة في الركوع أو السجود:

لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**أيها الناس! إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له، ألا وإني نهيتُ أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمنٌ أن يستجاب لكم**»[(٢)].

ومن أسباب هذا وعلته: ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله من أن الركوع والسجود من مواضع الذل، فلا ينبغي أن يقرأ القرآن في مواضع الذل، وإنما فيه تسبيح الله سبحانه وتعالى.

وذكر أهل العلم أنه إذا قرأ شيئًا من القرآن في الركوع أو السجود، وأتى بدعاء من القرآن بقصد الدعاء، فإنه لا بأس به، كأن يقول: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[(٣)]، أو: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[(٤)]، ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾[(٥)]، ونحو ذلك مما ورد من الأدعية في القرآن على سبيل الدعاء فلا بأس به.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٧، رقم ٨١٢).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٤٨، رقم ٤٧٩).

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

(٥) سورة نوح: الآية ٢٨.

١٥- الصبر على الصعوبة في القراءة:

فيصبر الشخص الذي يجد صعوبةً في التلاوة عليها، مثل العامي الذي يتعب في القراءة؛ لأنه لم يدرس ذلك أو لم تتهيأ له الفرصة لذلك، أو الشخص الذي في لسانه شيء، أو في تركيبة أسنانه شيء، قد يكون يشق عليه القراءة فيصبر على ذلك وأجره عظيم، كما قال النبي ﷺ: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ وهو عليه شاق له أجران**»(١). فلو صبر على هذه المشقة وحاول أن يتعلم ما استطاع فلا شك أنه يؤجر أجرًا عظيمًا.

١٦- ألا يقرأ القرآن في أقل من ثلاثة أيام:

لقوله ﷺ: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»(٢). لكن قد يبحث الإنسان عن دليل معين، فيستعرض القرآن في ذهنه استعراضًا، كما فعل الشافعي رحمه الله فقد استعرض القرآن كله في ليلة، يبحث عن دليل الإجماع، فهذا لا يسمى تلاوة، وبالتالي نطبق عليه أحكام التلاوة، وآداب التلاوة، فنقول: لابد من الترتيل ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٨ رقم ٢٤٢٥٧) ، وابن أبي شيبة (٦/ ١٢٨ ، رقم ٣٠٠٣٦) ، والترمذي (٥/ ١٧١ ، رقم ٢٩٠٤) وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضًا : الطيالسي (ص ٢١٠ ، رقم ١٤٩٩) ، وإسحاق بن راهويه (٣/ ٧٠٩ ، ١٣١٣) ، وأبو داود (٢/ ٧٠ ، رقم ١٤٥٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٦٠) ، والخطيب (١/ ٢٦١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٦ ، رقم ١٣٩٤) ، والترمذي (٥/ ١٩٨ رقم ٢٩٤٩) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (١/ ٤٢٨ رقم ١٣٤٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٩٤ ، رقم ٢١٦٨) . وأخرجه الطيالسي (ص ٣٠٠ ، رقم ٢٢٧٥) ، والدارمي (١/ ٤١٨ ، رقم ١٤٩٣) ، وابن حبان (٣/ ٣٥ ، رقم ٧٥٨) .

١٧- البكاء عند تلاوة القرآن الكريم:

لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[1]؛ ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه التفت إليه ابن مسعود فإذا عيناه تذرفان -عليه الصلاة والسلام-[2]. والبكاء الصادق عند قراءة القرآن دليل الخشوع.

البكاء على أنواع:

١- منه ما يكون بكاء رحمة ورقة.

٢- ومنه ما يكون بكاء خوف وخشية.

٣- ومنه ما يكون بكاء محبة وشوق.

٤- ومنه ما يكون بكاء فرح وسرور.

٥- ومنه ما يكون بكاء حزن وجزع.

فالبكاء المطلوب عند تلاوة القرآن هو بكاء الخشوع، وليس بكاء النفاق، وليس البكاء المستعار، أما التباكي فهو تكلف البكاء، وقد جاء في حديثٍ: «**إن لم تبكوا فتباكوا**»[3].

---

(١) سورة الإسراء: الآيات ١٠٧ - ١٠٩.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤١، رقم ٥٠٥٠)، ومسلم (٢/ ١٩٥، رقم ٨٠٠).

(٣) أخرجه أبو يعلى (٧/ ١٦١، رقم ٤١٣٤)، قال الهيثمي (١٠/ ٣٩١): أضعف من فيه يزيد الرقاشي، وقد وثق على ضعفه. وأخرجه أيضًا: نعيم بن حماد في زوائده على الزهد

وقال النبي ﷺ: «**إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله**»[١].

التباكي نوعان:

أما بالنسبة للتباكي فإنه ينقسم إلى: تباكٍ محمود، وتباكٍ مذموم:

أما التباكي المحمود: فهو الذي يستجلب رقة القلب وخشية الله، وليس تباكي الرياء والسمعة، مثلما قال عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ وقد رآه يبكي هو وأبو بكر رضي الله عنه في شأن أسرى بدرٍ: «أخبرني ما يبكيك يا رسول الله، فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما»[٢]. ولم ينكر عليه النبي ﷺ، وقال بعض السلف: «ابكوا من خشية الله، فإن لم تبكوا فتباكوا»[٣].

أما التباكي المذموم: فهو الذي يجلب ويستجلب به حمد الخلق وثناءهم عليه، فيتظاهر بالبكاء أمام الناس، فهذا تباكي النفاق.

وكان ﷺ يبكي عند تلاوة القرآن، وكان النبي ﷺ يقرأ القرآن وهو

لابن المبارك (١/ ٨٥ ، رقم ٢٩٥) ، والعقيلي (٣/ ٣٠٧ ، ترجمة ١٣١٨ عمران بن يحيى العمي) ، وقال : يُروى بغير هذا الإسناد بإسناد أيضًا لين ، ولكن الحديث ضعفه الشيخ ناصر ، وذكر الشيخ عبد العزيز بن باز في بعض فتاويه أنه لا يعرف صحته، والحديث رواه أحمد وغيره.

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٢٥، رقم ١٣٣٩)، وابن المبارك في الزهد (١/ ٣٧، رقم ١١٤).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٨٣ ، رقم ١٧٦٣).

(٣) زاد المعاد (١/ ١٨٥).

يصلي، «ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل»[(١)].

وقصة أبي بكر ﵁ معلومة في مرض وفاة النبي ﷺ، قالت عائشة ﵂: «إنه رجلٌ رقيق، إذا قرأ غلبه البكاء»، وفي رواية: «إن أبا بكر رجلٌ أسيف، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس»[(٢)].

و عائشة ﵂ مرَّ عليها القاسم وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾[(٣)]، ترددها وتبكي وتدعو[(٤)].

١٨- التلاوة بين الجهر والإسرار:

أما قضية الجهر بالقرآن فقد ورد فيها أحاديث، مثل قوله ﷺ في الصحيحين: «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيٍّ حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به**»[(٥)]. ومن الجهة الأخرى ورد قوله ﷺ: «**الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة**»[(٦)].

---

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل (٣٥١)، وأحمد ٤ / ٢٥، ٢٦،، وأبو داود (٩٠٤) في الصلاة باب البكاء في الصلاة، والنسائي ٣ / ١٣، في السهو باب البكاء في الصلاة، وإسناده قوي وصححه ابن خزيمة وابن حبان رقم (٥٢٢) والحاكم.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٣٦ ، رقم ٦٣٣) ، ومسلم (١/ ٣١٣ ، رقم ٤١٨).

(٣) سورة الطور: الآية ٢٧.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٥)، وصفة الصفوة (٢ / ٣١)، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب (٤/ ٢٤٧).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ١٨٠ ، رقم ٢٩١٩) ، وقال : حسن غريب . والنسائي (٢/ ٤١ ،

١٩- القراءة من المصحف إذا لم يشغل عن التدبر:

حيث جاء مدح القراءة من المصحف في حديث النبي ﷺ: «**من سرَّه أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف**»[(١)]، وهذا يدل على فضل القراءة في المصحف.

ولكن اختلف أهل العلم إن كانت القراءة من المصحف أفضل أو عن ظهر قلب؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن القراءة من المصحف أفضل؛ لأن النظر فيه عبادة، فيجتمع القراءة والنظر، وأن استعمال الحاسة -حاسة العين- زيادة على اللسان وإخراج الصوت هذا الاستعمال لهذه الحاسة فيه أجر زائد عن عدم استخدام هذه الحاسة.

القول الثاني: أن القراءة عن ظهر قلب أفضل، وهو اختيار أبي محمد العز بن عبد السلام رحمه الله.

القول الثالث: وهو اختيار النووي رحمه الله: إن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبر والتفكر وجمع القلب أكثر مما يحصل له من القراءة في المصحف، فالقراءة من الحفظ أفضل، وإن استويا فمن المصحف أفضل، قال: وهو مراد السلف.

رقم ٢٣٤٢)، وابن حبان (٣/ ٨، رقم ٧٣٤). وأخرجه أيضًا: أحمد (٤/ ١٥١، رقم ١٧٤٠)، والطبراني في الشاميين (٢/ ١٨٩، رقم ١١٦٤)، والبيهقي (٣/ ١٣، رقم ٤٤٨٨)، والديلمي (٢/ ١١٩، رقم ٢٦٢٣).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٠٨، رقم ٢٢١٩)، وصححه الشيخ ناصر.

فوائد القراءة في المصحف:

١- إشغال جارحة العين عن النظر إلى غير المصحف، لأنه ربما إذا لم ينظر في المصحف نظر إلى غير المصحف.

٢- إن لمس المصحف فيه داعٍ إلى الوضوء، بخلاف إذا قرأ من حفظه فإنه لا يحتاج أصلًا إلى المصحف حتى يمسه.

٣- إنه آمنُ من الغلط والتحريف؛ لأنه إذا قرأ من حفظه فيمكن أن يغلط فيه كآية حفظها خطأً، ولكن إذا قرأ من المصحف بالتأكيد تكون القراءة مضبوطة، لأنه يقرأ من شيءٍ مكتوب، بخلاف الذاكرة التي يعتريها ما يعتريها.

٤- إن فيه تكفيرًا للنظر المحرم الذي ارتكبته العين.

٢٠- التوقف عن التلاوة إذا خرج منه ريح أو تثاءب:

والأفضل أن يتوضأ لمواصلة القراءة، وإن كان لا يمسك المصحف فقرأ وواصل القراءة بغير وضوء فلا بأس، لكن الأفضل أن يكون على طهارة. فإن ابن عيينة روى عن زر قال: قلتُ لعطاء : أقرأ القرآن فيخرج مني ريح، قال: تمسك عن القراءة حتى تنقضي الريح .

وكذلك لو عرض له تثاؤب: فإنه يُمسك عن القراءة؛ لأجل التثاؤب، حتى لا يتغير الصوت وتخرج كلمات غير كلمات القرآن .

٢١- السجود في موضع التلاوة:

فإذا مرَّ بسجدة للتلاوة سجد، وقال أبو حنيفة بالوجوب، وأن الكفار يندمون على عدم السجود، وأنه لا يُندم إلا على ترك واجب، وقول الجمهور هو القول الراجح إن شاء الله، وهو قول عمر ﷺ أن سجود التلاوة مستحبٌّ

وليس بواجب. ولذلك ذكر ﷺ على المنبر أنه من أراد أن يسجد فليسجد، ومن أراد ألا يسجد فلا يسجد، وأنه ليس عليه حرجٌ من ذلك، لكن ماذا يفعل إذا أراد أن يسجد؟ يكبر ويسجد.

٢٢- استقبال القبلة:

واستدلوا بحديث: «**خير المجالس ما استقبل به القبلة**»[١]. لكن هذا الحديث ضعيف، إنما إذا استقبل القبلة يكون أحسن.

٢٣- التزام هيئة الأدب والتذلل:

فينبغي لقارئ القرآن أن يكون في حال القراءة على هيئة الأدب ما أمكنه، نعم! يجوز له أن يقرأ القرآن قاعدًا وقائمًا وماشيًا ومضطجعًا كل ذلك جائز، لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[٢]، لكن لو جلس متخشعًا أحسن من أن يجلس مثلًا على جنبه متكئًا، فمن ناحية الجواز لا بأس أن يقرأ القرآن متكئًا، لكن من ناحية الأفضل إذا جلس جلسة المتخشع فإنه أفضل.

٢٤- عدم إطالة العهد بالختمة:

فلا يُطيل العهد بالقرآن سنوات لا يختم مثلًا، وإنما لا يُنقص عن ثلاثة،

---

(١) أخرجه الطبراني (١٠/ ٣٢٠، رقم ١٠٧٨١). قال الهيثمي (٨/ ٥٩): فيه هشام بن زياد أبو المقدام، وهو متروك. وأخرجه أيضاً: الحاكم (٤/ ٣٠٠، رقم ٧٧٠٦). قال المناوي (١/ ٥٢٣): سنده ضعيف، قال النووي كابن الصلاح: لم نجد له أصلا.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

أي: لا يقرأ في أقل من ثلاث، لكن لا يطول به العهد، وقد جاءت عدة أحاديث أن النبي ﷺ قال لشخص: «**اقرأ القرآن في أربعين**»[(١)]. وقال: «**اقرأ القرآن في خمسة عشر يوما**»[(٢)]. وقال: «**اقرأ القرآن في ثلاث إن استطعت**»[(٣)]. وقال: «**اقرأ القرآن في كل شهرٍ، اقرأه في عشرين ليلة، اقرأه في عشرٍ، اقرأه في سبعٍ ولا تزد عن ذلك**»[(٤)].

هذه الروايات المختلفة تدل على أن الناس طاقات أشغالهم مختلفة، وجودة وسرعة تلاوتهم وتمكنهم يختلف.

٢٥- الوقوف عند رءوس الآيات:

فيقف عند رءوس الآيات وإن تعلقت في المعنى بما بعدها؛ لأنه قد ورد في الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ: «**أنه كان يقطع قراءته آيةً آية**»[(٥)]. يقرأ:

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١٩٧ ، رقم ٢٩٤٧) وقال : حسن .

(٢) أخرجه ابن عساكر من طريق ابن منده (٤٩/ ٤٦٧) .

(٣) أخرجه أحمد (رقم ٢٨٤٢١) ، والطبراني (٦/ ٥١ ، رقم ٥٤٨١) . قال الهيثمي (٢/ ٢٦٨) : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، وفيه ابن لهيعة ، وفيه كلام . وقال في (٧/ ١٧١) : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن ، وفيه ضعف . وأخرجه أيضاً : ابن المبارك (١/ ٤٥٢ ، رقم ١٢٧٤) ، وأبو نعيم في المعرفة (٣/ ١٢٦٤ رقم ٣١٨٣) من طريق الحسن بن سفيان .

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٢٧ ، رقم ٤٧٦٧) ، ومسلم (٢/ ٨١٤ ، رقم ١١٥٩).

(٥) أخرجه أحمد "٦/ ٣٠٢"، وأبو داود "٤/ ٢٩٤": كتاب الحروف، والقراءات "٤٠٠١"، والترمذي"٥/ ١٧٠": كتاب القراءات: باب في فاتحة الكتاب "٢٩٢٧"، وفي "الشمائل" "٣١٧"، وابن أبي شيبة "٢/ ٥٢٠- ٥٢١"، والدار قطني "١/ ٣٠٧": كتاب الصلاة:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ثم يقف، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثم يقف.

٢٦- التدبر عند تلاوته:

وهذا يكاد يكون أهم آداب التلاوة على الإطلاق، والتدبر هو الثمرة الحقيقية لتلاوة القرآن الكريم، والتدبر يتضمن عدة أشياء:

١- التفكر في عظمة الله سبحانه وتعالى:

فيُفكر القارئ في عظمة الله سبحانه وتعالى وعلوه وفضله ولطفه بخلقه، عندما أنزل علينا هذا الكتاب، وجعله لنا مفهومًا، فإن القرآن عظيم، لأنه كلام الله، والله عز وجل عظيم، ومع ذلك فقد جعل كلامه مفهومًا لنا نحن البشر، وإلا هو فوق طاقتنا، ولكن جعل كلامه سبحانه وتعالى مفهومًا: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[1]، ولولا أنه جعله مُيسرًا ما استطعنا تلاوته ولا حفظه ولا فهمه؛ لأنه فوق عقولنا، لكن الله سبحانه وتعالى سهَّله وقرَّبه لنا، وجعله بلغة العرب وهي أكمل لغات العالم.

٢- استحضار عظمة الله سبحانه وتعالى:

وكذلك فإن من التدبر أن يُحضر الإنسان في قلبه عظمة المتكلم، وهو الله

باب وجوب قراءة البسملة في الصلاة "٢١"، والحاكم "١/ ٢٣٢"، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" "١/ ١٩٩"، والطبراني في "الكبير""٢٣/ رقم ٦٠٣"، وأبو يعلى "٦٩٢٠"، وابن خزيمة "٤٩٣"، والبيهقي "٢/ ٤٤"، والخطيب "٩/ ٣٦٧": كلهم من طريق ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن أم سلمة به.

(١) سورة القمر: الآيات ١٧، ٢٢، ٣٢.٤٠.

ﷻ؛ وكان بعض السلف وهو عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه إذا نشر المصحف غُشي عليه، ويقول: «كلام ربي كلام ربي»(١).

فالله ﷻ الذي تكلم بالقرآن حقيقةً، وينبغي لتالي القرآن أن يستشعر عند قراءته أنه يقرأ كلام الخالق القادر الرازق الذي جميع الكون في قبضته، وتحت مشيئته وهيمنته، وأن الخلق مترددون بين فضله ورحمته ونقمته وسطوته، إن أنعم فبفضله، وإن عاقب فبعدله، وهو الذي يقول: «**هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي**»(٢).

٣- استحضار القلب عند القراءة:

فيحضر قلبه ويترك حديث النفس، قال الله ﷻ: ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾(٣)، أي: بجدٍّ واجتهاد، وإنما يؤخذ القرآن بالقوة بالتجرد عند قراءته، وصرف الهمة إليه.

وقيل لبعض السلف: إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء؟ فقال: «أو شيءٌ أحب إليّ من القرآن حتى أحدث به نفسي!»(٤).

---

(١) سنن الدارمي (٢/ ٥٣٢)، والمعجم الكبير (١٧/ ٣٧١)، والمستدرك على الصحيحين (٣/ ٢٧١).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٦، رقم ١٧٦٩٦) قال الهيثمي (٧/ ١٨٦): رجاله ثقات. وابن سعد (١/ ٣٠)، والحكيم (٤/ ٢٠٢)، والحاكم (١/ ٨٥، رقم ٨٤) وقال: صحيح.

(٣) سورة مريم: الآية١٢.

(٤) إحياء علوم الدين (١ / ٢٨١)، وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين (١/ ٤٨).

٤- النظر في خلق الله تبارك وتعالى:

ويدخل في التدبر كذلك أن ينظر في أفعال الله عز وجل من خلق السماوات والأرض، وخلق العرش، وأن كل شيء هالكٌ إلا وجهه، وإذا قرأ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾[1]، ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾[2]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾[3]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾[4]، فإنه لا شك يتأمل في ذلك، وكذلك في الآيات المشابهة.

٥- التأمل في موقف الغافلين عن القرآن:

كذلك يتأمل ما في هذا القرآن من الختم والطبع على قلوب الذين لا يفقهون ولا يعقلون، ويدعو الله ألا يكون منهم؛ لأن الذين طبع الله على قلوبهم غير موفقين ولا مؤهلين لتدبر القرآن، ويندرج تحت التدبر التخلي عن موانع الفهم التي تمنع الفهم، فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن بأسباب، وحجب من الشيطان؛ فعميت عليهم عجائب القرآن فصاروا لا يفهمون ولا يفقهون منه شيئًا، كأنه بالنسبة لهم طلاسم.

٦- أن يقرأ تفسيرًا للقرآن:

فكيف يتدبر وهو لا يعرف ما قاله أهل العلم في الآية؟ هل يتدبر من

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٥٨.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٦٣.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٦٨.

(٤) سورة الواقعة: الآية ٧١.

تلقاء نفسه؟ كما حصل لبعضهم عندما مرّ بآية ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾[(١)]، قال: فهمت الصراصير الليل، والصِّر: هو البرد.

قد يفهم الإنسان أشياء كثيرة خطأ؛ بسبب جهله باللغة، وبأسباب النزول ونحو ذلك.

إذن لا يمكن أن يأتي التدبر إلا بعد قراءة التفسير، كقراءة ما جاء عن مجاهد رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما، فإن مجاهدًا عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، يستوقفه عند كل آيةٍ يسأله عنها.

٧- يقرأ على أنه المقصود بالخطاب:

وهو التخصيص: أي: يظن ويعتقد أنه المقصود بالخطاب، وأنه خاصٌّ به موجهٌ إليه، ليس إلى غيره.

فإذا سمع قصص الأولين والأنبياء علم أنه ليس المقصود التسلي بالأحداث والسمر بها، أو الأخذ بروعة القصة وأحداثها دون أن يكون معنيًّا بما فيها من العبر، وتثبيت الفؤاد، لأن الله قال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[(٢)]، فيتأمل في أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء، وثباتهم في الدين، وكيف نصرهم الله سبحانه وتعالى.

فهذا القرآن رسائل أتتنا من قبل الله عز وجل، نتدبرها في الصلوات، ونقف عليها، وننفذها، وكان مالك بن دينار يقول: «ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٧.

(٢) سورة هود: الآية ١٢٠.

القرآن، إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض»[(١)].

وقال قتادة: «لم يجالس أحدٌ هذا القرآن إلا قام عنه بزيادةٍ أو نقصان»[(٢)].

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[(٣)].

٨- التفاعل مع آيات الوعد والوعيد:

أنه إذا مرَّ بآية رحمة ووعد سأل، وإذا مر بآية وعيد وعذاب استعاذ، فإذا مرَّ بقول الله عز وجل: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾[(٤)]، أرعى سمعه لها فتاب وحقق الإيمان واهتم بالصالحات، وإذا قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾[(٥)]، ألقى سمعه خائفًا أن يكون من المعنيين بذلك، مشرئبًا أن ينضم مع من يستثنيهم الله ﷻ من هذا الخسران بقوله ﷻ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[(٦)].

---

(١) إحياء علوم الدين (١ / ٢٨٥)، وربيع الأبرار (١ / ١٥٥).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٥).

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٢.

(٤) سورة طه: الآية ٨٢.

(٥) سورة العصر: الآيتان ١ – ٢.

(٦) سورة العصر: ٣.

٢٧- التلقي عن أهل العلم:

فيتلقاه عن أهل العلم المجيدين فيه، المجودين له، ولذلك أوصى النبي ﷺ بأخذ القرآن عن أشخاصٍ معينين، فقال ﷺ: «**خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة**»(١).

وكان هناك في الصحابة من حفظ القرآن في عهد النبي ﷺ، كما جاء في حديث أنس في الصحيحين قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة، كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد، وأبو زيد، فقلت: ومن أبو زيد ؟ فقال: أحد عمومتي»(٢).

وجاء في الحديث: «**استقرءوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب**»(٣).

ولنعلم أن المسألة ليست بالحفظ فقط، فالذين حفظوا القرآن من الصحابة معروفة أسماؤهم، وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين، وكان الذي يحفظ البقرة وآل عمران من علمائهم، لأنهم كانوا لا يتجاوزون الآيات إلا بعد العمل بها، يعملون ثم يأخذون أخرى وهكذا.

كم سنة مكث ابن عمر في تعلم البقرة؟ ثمان سنوات يتعلم سورة البقرة، لأنهم كانوا يسعون إلى الاستفادة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٨٥ ، رقم ٣٥٩٧) .

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩١٤، رقم ٢٤٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٧٢ ، رقم ٣٥٤٨) ، ومسلم (٤/ ١٩١٤ ، رقم ٢٤٦٤).

٢٨- التجويد:

وقد عرَّفه العلماء بأنه: إقامة الحروف، ومعرفة الوقوف. والنبي ﷺ لما وصفت قراءته جاء في الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها أنها تنعت قراءته مفسرةً حرفًا حرفًا، فالقراءة ليست فيها أكل للحروف، ولا تغيير حرف بحرف، فإذا صار الإنسان يغير صفات الحروف تغيرت الكلمة بالكلية.

والتجويد ينبغي الاعتناء به، حتى يخرج القرآن منه جميلًا في أدائه إياه، وينبغي أن ينتبه بالذات من قضية اللحن الجلي الذي يغير المعنى، مثل: تغير الحركات، أو تغير الحروف، لو ضم التاء من «أنعمت»: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾[1]، صار المنعم هو المتكلم، بينما المنعم هو الله .

٢٩- عدم قطع الآية:

فلا يقطع القارئ الآية لكلام الناس، بل إذا أراد أن يكلم أحدًا يُنهي الآية أو ينهي السورة ثم يتكلم. نعم، قد يحتاج إلى كلامٍ للحاجة، فعلى الأقل ينهي الآية، فلا يرد على أحد أو يتكلم وهو في وسط الآية، بل ينتظر حتى يكمل الآية، فإذا تكلم بكلام الدنيا رجع فاستعاذ وشرع في القراءة مرةً أخرى. و«كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه»[2].

٣٠- عدم القراءة بالقراءات الشاذة:

فإن هناك قراءات شاذة فيها زيادة أو نقصان، وشروط القراءة

(١) سورة الفاتحة: الآية ٧.

(٢) رواه البخاري (٤٥٢٦).

الصحيحة معروفة:

أولًا: أن تكون نقلت بطريق التواتر.

ثانيًا: أن تكون موافقة لرسم المصحف العثماني.

ثالثًا: أن تكون مطابقة لوجهٍ من وجوه اللغة الصحيحة.

٣١- عدم الجدال في القرآن بالباطل:

ولذلك قال ﷺ: «**اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه فقوموا**»(١). لأن البقاء يؤدي إلى التنازع والعبث بآيات الله، وقال ﷺ: «**أما إنه لم تهلك الأمم قبلكم حتى وقع في مثل هذا، يضربون القرآن بعضه ببعض**»(٢).

كما جاء رجل من الخوارج إلى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: مرة يقول: لا ينطقون، ومرة يقول: لا يتكلمون كيف؟ فبين له ابن عباس أن يوم القيامة طويل، وهو خمسون ألف سنة في مراحل، مرحلة يتكلمون ومرحلة يُختم على أفواههم فلا ينطقون، فلا يوجد تعارض في القرآن.

وقد حذَّر الرسول ﷺ من الجدال في القرآن بالباطل، فقال: «**الجدال في القرآن كفرٌ**»(٣). وقال ﷺ: «**المراء في القرآن كفرٌ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٢٩، رقم ٤٧٧٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٣، رقم ٢٦٦٧).

(٢) أخرجه الطبراني، وصححه الألباني: حديث رقم: ١٣٢٢ في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٨، رقم ٧٤٩٩)، والحاكم (٢/ ٢٤٣، رقم ٢٨٨٣) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤١٦، رقم ٢٢٥٦). والطبراني في الشاميين (٢/ ٢٦٣، رقم ١٣٠٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ١٩٩، رقم ٤٦٠٣)، والحاكم (٢/ ٢٤٣، رقم ٢٨٨٢)،

ونهى عن الجدال في القرآن، وقال ﷺ: «**لا تجادلوا في القرآن فإن جدالًا فيه كفرٌ**»(١).

تنبيهات مهمة تتعلق بتلاوة القرآن:

وفيما يلي تنبيهات تتعلق بتلاوة القرآن الكريم، لضمان سلامتها من الخلل والنقصان ظاهرا وباطنا:

أولا: أشياء تتعلق بالمصحف لا علاقة لها بالتلاوة:

مثل: احترام المصحف، وأن لا يوضع فوقه أي شيء، ولا يُتوسد، ولا يُنام عليه، ولا يُسافر به إلى أرض العدو.

ثانيا: جواز تضمين القرآن في الكلام إذا قصدَ مصلحةً شرعية:

لا يجوز استعمال القرآن في غير ما أنزل فيه، كالذي يقول إذا أراد الطعام: «آتنا غداءنا» ونحو ذلك. وإذا قصد بها هذا فهي بدعة، أو أنه لا يتكلم إلا بالقرآن هذه بدعة.

قال ابن عقيل (٢): «لا يجوز أن يجعل القرآن بدلًا من الكلام»، أي: كلما

وأبونعيم في الحلية (٨/ ٢١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤١٦، رقم ٢٢٥٥). وأحمد (٢/ ٢٨٦، رقم ٧٨٣٥)، وابن حبان (٤/ ٣٢٤، رقم ١٤٦٤)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٦١، رقم ٢٤٧٨)، وفى الصغير (١/ ٢٩٩، رقم ٤٩٦).

(١) أخرجه الطيالسي (ص ٣٠٢، رقم ٢٢٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤١٧، رقم ٢٢٥٧).

(٢) صفة الصفوة (٤ / ٤١١)، والآداب الشرعية (٢ / ٢٧٧)، والإنصاف للمرداوي (٣/ ٣٨٣)، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب (١/ ٣١٠).

أراد أن يتكلم بكلمة أتى بشيء من القرآن.

فلو قال أحد: ما حكم أن تجعل آية شطر بيت، أو أن يجعلها في خطبة؟ يضمنها ويستشهد، مثلًا أي: لو أن أحدًا تكلم عن التبرج والسفور ونحو ذلك، وذكر مفاسده، ثم ذكر كثرة الواقعين فيه، وذكر قلة الغيرة، وذكر الآيات، ثم قال: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [1]، هذا اقتباس من القرآن، فإذا لم يأتِ به على سبيل العبث فلا بأس به.

ثالثا: افتتاح الحفلات بقراءة القرآن:

وهو أمرٌ مشهورٌ متعارف عليه وشائع، ولكنه ليس من طريقة السلف، فلم يؤثر أنهم إذا اجتمعوا بأمور مهمة كإنفاذ جيش أو اختيار خليفة ونحو ذلك كانوا يأمرون واحدًا أن يقرأ القرآن في بداية الاجتماع، لكن إن فُعلت أحيانًا من باب تذكير الحاضرين مثلًا دون المواظبة عليها، وليس كل حفلة نفتتحها بالقرآن فلا بأس بذلك.

وكذلك إذا كان المجتمع ليس من المجتمعات التي فيها خلط اللهو بالجد والحق بالباطل، فيكون القرآن كنوع من التلبيس والتغطية لما يدور بعد ذلك من منكرات.

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٨.

التحذير من قراءة القرآن دون العمل به :

عن زياد بن لبيد ﷺ قال : ذكر النبي ﷺ شيئا فقال: «**ذلك عند أوانِ ذهاب العِلمِ**»، قلت : يا رسول الله! كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ قال: «**ثكِلتك أمك يا زياد! إِن كنت لأراك من أفقهِ رجلٍ في المدينة، أو ليس هذهِ اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا يعملون بِشيء مما فيهما؟**»[(١)].

جميل أن نقرأ القرآن الكريم وأن نحفظه، وأجمل من هذا تفهمه وتدبر معانيه وتعلمه وتعليمه، ولكن الأجمل من هذا كله العمل بما فيه، فهذا من أعظم حقوق كتاب الله علينا، وينبغي الاعتصام به والتحاكم إليه في كل ما نأتي ونذر، فإن الله لم ينزله إلا ليكون دستورًا للحياة البشرية عقيدة وعبادة وسلوكًا.

وقد كان أسلافنا -رضوان الله عليهم - يقرؤون اليسير، ويقفون عنده حتى يعملوا به، وبذلك توارثوا القرآن علمًا وعملاً، تلاوة وترتيلاً وفهمًا وتفسيرًا وتدبرًا، فعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: «فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا»[(٢)].

---

(١) رواه ابن ماجه (١ / ١٣٤٤، رقم ٤٠٤٨) ، وأحمد (٤ / ١٦٠، ٢١٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠٠) .

(٢) تفسير مجاهد (١ / ٦٨)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٧٠).

فمن المؤسف جدًّا أن القرآن الكريم أصبح في كثير من ديار الإسلام لا وظيفة له ولا مهمة سوى أن يملأ فراغًا من وقت الإذاعة، أو يرتله القراء في المآتم، أو يستجدون به على أضرحة الموتى، أو يعلقونه تمائم ورقى، إلى غير ذلك من البدع المنكرة التي ينهى عنها القرآن.

فاتقوا الله عباد الله، وقوموا بحق كتاب الله عليكم، واحذروا أن يكون حجة عليكم لا لكم، ولا تكونوا ممن لا يعرف للقرآن قدره إلا عبر المذياع أو يستفتحون به المحافل والمهرجانات وما شابه ذلك.

فالقرآن إنما أنزل للعمل به وتحكيم شريعته؛ والله ﷻ يقول: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1].



(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

آداب عيادة المريض

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن عيادة المريض عبادة قد هجرها الكثيرون منا ولا حول ولا قوة إلا بالله، وفيما يلي التذكير بها وفضلها وآدابها:

تعريف عيادة المريض:

العيادة : هي الزيارة والافتقاد (أي التفقد) .

عيادة المريض : أن يزور المرء أخاه ويتفقده إذا أصابته علة أو ضعف يخرج به جسمه عن حد الاعتدال والصحة [١].

وليس المراد من عيادة المريض زيارته وتفقد أحواله والتلطف به فحسب، وربما كان ذلك سببًا لنشاطه وانتعاش قوته.

حكم عيادة المريض:

اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي حُكْمِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ عَلَى أَقْوَالٍ :

فَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ أَنَّهَا سُنَّةٌ أَوْ مَنْدُوبَةٌ ، وَقَدْ تَصِل إِلَى الْوُجُوبِ فِي حَقِّ بَعْضِ الأَفْرَادِ دُونَ بَعْضٍ ، وَقَال ابْنُ عَلاَّنَ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ : هِيَ سُنَّةُ كِفَايَةٍ ،

---

(١) لسان العرب ، والمصباح المنير .

وَقِيل : فَرْضُ كِفَايَةٍ . وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهَا وَاجِبَةٌ ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهَا وَاجِبَةٌ عَلَى الْكِفَايَةِ ، وَنَقَل النَّوَوِيُّ الإِْجْمَاعَ عَلَى عَدَمِ الْوُجُوبِ عَلَى الأَْعْيَانِ.

وَقَال الْمَالِكِيَّةُ : إِنَّهَا مَنْدُوبَةٌ إِذَا قَامَ بِهَا الْغَيْرُ ، وَإِلاَّ وَجَبَتْ لأَِنَّهَا مِنَ الأُْمُورِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْكِفَايَةِ ، إِلاَّ عَلَى مَنْ تَجِبُ نَفَقَتُهُ عَلَيْهِ فَيَجِبُ عِيَادَتُهُ عَلَيْهِ عَيْنًا .

وَتُكْرَهُ عِيَادَةُ ذِي بِدْعَةٍ دِينِيَّةٍ ، وَتَحْرُمُ عَلَى الْعَالِمِ عِيَادَةُ الْمَرِيضِ ذِي الْبِدْعَةِ الدِّينِيَّةِ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى عِيَادَتِهِ لَهُ مِنَ الْمَفَاسِدِ وَإِغْرَاءِ الْعَامَّةِ بِاتِّبَاعِهِ وَحُسْنِ طَرِيقَتِهِ .

وَتَجُوزُ عِيَادَةُ الْفَاسِقِ فِي الأَْصَحِّ لأَِنَّهُ مُسْلِمٌ، وَالْعِيَادَةُ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ[(١)] .

مشروعية عيادة المريض وثوابها :

رغب الشرع في عيادة المريض وحث عليها، ففي حديث الإمام مسلم رحمه الله في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ**

---

(١) حاشية رد المحتار (٥ / ٢٤٨) ، وشرح البخاري للعيني (٨ / ٩) ، والفواكه الدواني (٢/ ٤٢٧) ، والمدخل لابن الحاج (١ / ١٣٠) وما بعدها ، ودليل الفالحين شرح رياض الصالحين (٦ / ٣٣) ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠ / ٢٠٢) ، والمغني لابن قدامة (٢ / ٤٤٩) ، والآداب الشرعية لابن مفلح (٢ / ٢٠٩) .

أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»[1].

ففي هذا الحديث إضافة المرض لله سبحانه وتعالى والمراد العبد تشريفاً للمريض، ومعنى وجدتني عنده: أي وجدت ثوابي وكرامتي [2].

وقد أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما في قول البراء بن عازب رضي الله عنه: «**أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع، أمرنا باتباع الجنائز، وعيادة المريض، وإجابة الداعي** ... الحديث»[3].

وعيادة المريض حق للمسلم على أخيه المسلم، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «**حق المسلم على المسلم ست، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**»[4].

هنا في حق المسلم على أخيه المسلم فما بالك إذا كان جاراً له، وعيادة المريض سنة مؤكدة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**عيادة المريض**

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٠ ، رقم ٢٥٦٩) .

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (ج ٦ / ص ١٩١).

(٣) أخرجه البخاري (١ / ٤١٧، رقم ١١٨٢) .

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٠٥ ، رقم ٢١٦٢) .

أول يوم سنة وبعد ذلك تطوع»[(١)]. قال العجلوني: «ومراده بالسنة سنة النبي ﷺ كما هو الصحيح في المسألة . ولعله أراد أن الزيارة أول يوم متأكدة غاية التأكيد ، وإلا فهي سنة مطلقا »[(٢)].

وهي لا تختص بمرض دون مرض كما جاء في الحديث الصحيح: «**أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِيَ**[(٣)]»[(٤)]. وفي هذا الحديث مشروعية العيادة لكل مريض لحديث زيد بن أرقم قال: «**عادني رسول الله ﷺ** من وجع كان بعيني»[(٥)].

وهذا يدل على أن العيادة تكون من أي مرض وليس بلازم أن يكون مخوفاً، أو أن يكون مرضاً خطيراً، فالإنسان قد يبقى في بيته مع أن المرض ليس

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١١/ ١١٢، رقم ١١٢١٠)، والمعجم الأوسط (٨/ ١٧٣، رقم٨٣١٠). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ٢٠): رواه الطبراني في الكبير والأوسط إلا إنه قال: فما زاد فتطوع. والبزار إلا أنه قال: وما زاد فهي نافلة. وفي أحد أسانيده: علي بن عروة وهو ضعيف متروك، وفي الآخر: النضر أبو عمر وحديثه حسن.

(٢) كشف الخفاء (ج ٢ / ص ٧٦).

(٣) **فكوا العاني** : العاني : الأسِيرُ . وكلُّ مَن ذَلَّ واسْتكان وخَضَع فقد عَنا يَعْنُو وهو عَانٍ والمرأة عانِيَة وجمْعُها : عَوانٍ، النهاية في غريب الأثر (ج ٣ / ص ٥٩٨). وفكه : إطلاقه، ويجوز أن يريد به العتق. مشكل الآثار للطحاوي (ج ٦ / ص ٢٣٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٣٩، رقم٥٣٢٥).

(٥) أخرجه أبو داود (ج ٣ / ص ١٥٣، رقم ٣١٠٤) ، وحسنه الألباني، والبيهقي في الكبرى (ج ٣ / ص ٣٨١، رقم ٦٣٨٠)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي في التلخيص - (ج ١ / ص ٤٩٢، رقم ١٢٦٥) وصححه ووافقه الذهبي.

مخوفاً، فتشرع عيادته وزيارته، فليس الأمر خاصاً بالمرض الشديد، أو بالمرض الخطير، أو بالمرض المخوف، وإنما يكون ذلك في مختلف الأمراض ولو كانت سهلة.

مَنْ تُشْرَعُ لَهُ زِيَارَةُ الْمَرِيضِ ؟

تُشْرَعُ عِيَادَةُ الْمَرِيضِ لِلْمُسْلِمِينَ كَافَّةً ، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ مَنْ يَعْرِفُ الْمَرِيضَ وَمَنْ لاَ يَعْرِفُهُ ، وَيَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الْقَرِيبُ وَالأَجْنَبِيُّ ، إِلاَّ أَنَّهَا لِلْقَرِيبِ وَمَنْ يَعْرِفُهُ آكَدُ وَأَفْضَل لِعُمُومِ الأَحَادِيثِ ، فَالْجَارُ هُوَ الْقَرِيبُ مِنْ مَحَلِّهِ بِحَيْثُ تَقْضِي الْعَادَةُ بِوُدِّهِ وَتَفَقُّدِهِ وَلَوْ مَرَّةً .

وَأَمَّا الْعَدُوُّ فَإِنَّهُ إِنْ أَرَادَ الْعِيَادَةَ وَعَلِمَ أَوْ ظَنَّ كَرَاهَةَ الْمَرِيضِ لِدُخُول مَحَلِّهِ وَأَنَّهُ يَحْصُل لَهُ بِرُؤْيَتِهِ ضَرَرٌ لاَ يُحْتَمَل عَادَةً حَرُمَتِ الْعِيَادَةُ أَوْ كُرِهَتْ[1] .

مَرِضَ الْحَبِيبُ فَعُدْتُهُ ... فَمَرِضْت مِنْ حَذَرِي عَلَيْهِ
فَأَتَى الْحَبِيبُ يَعُودُنِي ... فَشُفِيتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ [2]

فضل عيادة المريض:

لقد جاء في ثواب عيادة المريض أحاديث كثيرة منها :

---

(١) فتح الباري (١٠ / ١١٣) .

(٢) قوت القلوب (ج ٢/ ص ٣٨١)، والعقد الفريد (ج ٢/ص ٢٦٧)، وإحياء علوم الدين (ج ٢/ ص ١٨٨)، وترتيب المدارك وتقريب المسالك (ج ١/ ص ٤٠٢)، وروضة المحبين (ج ١/ص ٧٤)، والآداب الشرعية (ج ٢/ ص ١٩٠)، وتزيين الأسواق بتفصيل العشاق (ج ١/ ص ٦٢)، منسوبا في بعضهم للإمام الشافعي رحمه الله .

الإحاطة بنعيم الجنة:

يقول النبي ﷺ: «**إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في مَخْرَفَةِ الجنة حتى يرجع**»(١). بمعنى أنه ما يزال يجني من ثمار الجنة ونعيمها حتى يعود من تلك الزيارة.

صلاة الملائكة عليه:

وفي رواية أخرى: «**فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غدوةً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن كان عشيا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُصبح**»(٢).

الفوز بالجنة:

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح اليوم منكم صائمًا؟**» قال أبو بكر: أنا.

قال ﷺ: «**من عاد منكم اليوم مريضًا؟**» قال أبو بكر: أنا.

قال ﷺ: «**من شهد منكم اليوم جنازةً؟**» قال أبو بكر: أنا.

قال ﷺ: «**من أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**» قال أبو بكر: أنا.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٣، رقم ٢٢٤٩٧)، ومسلم (٤/ ١٩٨٩، رقم ٢٥٦٨) والترمذي (٣/ ٢٩٩، رقم ٩٦٧) وقال: حسن صحيح، وابن حبان (٧/ ٢٢٣، رقم ٢٩٥٧).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٨١، رقم ٦١٢)، وهناد في الزهد (١/ ٢٢٤، رقم ٣٧٢)، وأبو يعلى (١/ ٢٢٧، رقم ٢٦٢)، والبيهقي (٣/ ٣٨٠، رقم ٦٣٧٦). والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٥٤، رقم ٧٤٩٤) وابن ماجه (١/ ٤٦٣، رقم ١٤٤٢)، والبزار (٢/ ٢٢٤، رقم ٦٢٠)، والحاكم (١/ ٥٠١، رقم ١٢٩٣)، والضياء (٢/ ٢٦٠، رقم ٦٣٧) وقال: إسناده صحيح.

قال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في رجل إلا دخل الجنة**»[(١)]. أي: بلا محاسبة وإلا فمجرد الإيمان يكفي لمطلق الدخول، أو معناه دخل الجنة من أي باب شاء[(٢)].

الضمان من الله سبحانه وتعالى بالكفالة:

قال ﷺ: «**من جاهد في سبيل الله كان ضامنًا على الله ومن عاد مريضًا كان ضامنًا على الله ومن غدا إلى المسجد أو راح كان ضامنًا على الله**»[(٣)].

الدعاء له من السماء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا عاد الرجلُ أخاه أو زاره في الله قال اللهُ له: طبتَ، وطابَ ممشاك، وتبوأتَ منزلا في الجنةِ**»[(٤)].

الرحمة وحط الذنوب:

عن هارون بن أبي داود قال: أتيت أنس بن مالكٍ فقلت: يا أبا حمزة، إن

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ٩٢، رقم ٢٤٢١).

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح (ج ٦ / ص ٦٤٩).

(٣) أخرجه الطبراني (٢٠/ ٣٧، رقم ٥٤) وابن حبان (٢/ ٩٤، رقم ٣٧٢)، والحاكم (١/ ٣٣١، رقم ٧٦٧) وقال: رواته مصريون ثقات. والبيهقي (٩/ ١٦٦، رقم ١٨٣٢٠). وابن خزيمة (٢/ ٣٧٥، رقم ١٤٩٥)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٢٨٨، رقم ٨٦٥٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٦٥، رقم ٢٠٠٨) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (١/ ٤٦٤، رقم ١٤٤٣). البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٢٦، رقم ٣٤٥)، وابن أبي الدنيا في الإخوان (١/ ١٤٩، رقم ٩٧)، وابن حبان (٧/ ٢٢٨، رقم ٢٩٦١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٩٣، رقم ٩٠٢٧). وأحمد (٢/ ٣٤٤، رقم ٨٥١٧).

المكان بعيد ونحن يعجبنا أن نعودك، فرفع رأسه فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أيما رجل يعودُ مريضًا فإنما يخوض في الرحمة، فإذا قعد عند المريض غمرته الرحمة**». قال: فقلت: يا رسول الله، هذا للصحيح الذي يعود المريض، فالمريض ما لَهُ؟ قال: «**تُحَطُّ عنه ذنوبه**»[(١)].

إذن عيادة المريض فيها أجر عظيم، وفيها أيضا تطييبٌ لقلب المريض وإدخالٌ للسرور عليه، كما أن فيها عظة وعبرة للزائر.

آداب عيادة المريض:

الدعاء للمريض بالشفاء:

يستحب لزائر المريض أن يدعو له بالشفاء ويأمره بالصبر لحديث عائشة بنت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما أن أباها قال: اشتكيت بمكة وجاءني النبي ﷺ يعودني ووضع يده على جبهتي ثم مسح صدري وبطني ثم قال: «**اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْداً، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْداً، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْداً**»[(٢)].

من الأدعية المستحبة للمريض:

هناك أدعية واردة يحسن بالزائر أن يدعو بها للمريض، منها:

١-عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك**

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ٥٣٣، رقم ٩١٨١)، والضياء (٧/ ٢٦٧، رقم ٢٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٥/ ٧١، رقم ١٦٢٨).

إلا عافاه الله من ذلك المرض»[(١)].

٢-وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إذا جاء الرجل يعود مريضاً فليقل: اللهم اشف عبدك ينكأ**[(٢)] **لك عدواً أو يمشي لك إلى جنازة»**[(٣)].

٣-عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «**اللهم رب الناس أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»**[(٤)].

٤-عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده وكان إذا دخل على من يعوده قال: «**لا بأس طهور إن شاء الله**»، فقال أي المريض: كلا بل هي حمى تفور على شيخ كبير، حتى تزيره القبور، فقال النبي ﷺ: «**فنعم إذاً**»[(٥)].

تذكيره برقية النفس:

كما يستحب تذكير المريض بوصية النبي ﷺ في الاستشفاء، فقد جاء

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٩ ، رقم ٢١٣٧) ، والترمذي (٤/ ٤١٠ ، رقم ٢٠٨٣) وقال : حسن غريب . وأخرجه الحاكم (١/ ٤٩٣ ، رقم ١٢٦٩) بنحوه.

(٢) **يَنكأ** : يهزم.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٥ ، رقم ١٢٧٣) وقال : صحيح على شرط مسلم . وعبد بن حميد (١/ ١٣٧ ، رقم ٣٤٤) ، وأبو داود (٣/ ١٨٧ ، رقم ٣١٠٧) ، وابن حبان (٧/ ٢٣٩ ، رقم ٢٩٧٤) ، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه البخاري (٧/ ١٧٢ ، رقم ٥٧٤٣) ، ومسلم (٧/ ١٥، رقم ٢١٩١) .

(٥) أخرجه البخاري (٧/ ١٥٢، رقم ٥٦٥٦) .

عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه إلى النبي ﷺ يشكوه وجعًا في جسده، فقال له ﷺ: **«ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»**[1].

أن يبشر المريض بالعافية:

وذلك بأن يطيب نفس المريض بإطماعه في الحياة وقرب الشفاء؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا دخلتم على المريضِ فَنَفِّسُوا له في الأجلِ فإن ذلك لاَ يَرُدُّ شيئًا وهو يُطَيِّبُ نفْسَ المريضِ»**[2].

تخفيف الزيارة:

ومن أهم آداب الزيارة للمريض تخفيفها وعدم تكريرها في اليوم إلا إن رغب المريض في ذلك، فإن رغب في التطويل وتكرير العيادة من صديق أو أخ يستأنس به، ولا مشقة في ذلك فلا بأس به، وكثير من الناس لا يعرفون هذا الأدب وهو التخفيف، فتجد أغلب الناس يجلسون عند المريض الساعات الطوال، ويحلو لهم الحديث ويتناولون المشروبات بل المأكولات، وذلك كله مناف لعيادة المريض ومناقض لآداب الزيارة، وتجد المريض يترنح ويريد أن يشتكي لكنه يستحي أن يبوح بما يختلج في قلبه.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٢٨ ، رقم ٢٢٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٤١٢ ، رقم ٢٠٨٧) وقال : غريب . وابن ماجه (١/ ٤٦٢ ، رقم ١٤٣٨) ، وابن السني (ص ٢٠١ ، رقم ٥٤٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٤١ ، رقم ٩٢١٣) وابن أبي شيبة (٢/ ٤٤٥ ، رقم ١٠٨٥١) ، وابن عدي (٦/ ٣٤٣ ، ترجمة ١٨٢١ موسى بن محمد) ، والديلمي (١/ ٢٦٨ ،رقم ١٠٤٢) .

الوضوء:

عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسباً بُوعِدَ من جهنم مسيرة سبعين خريفاً**» فقلت: يا أبا حمزة ما الخريف؟ قال العام [١].

أي: أن الإنسان يعود المريض وهو متوضئ، ولعل ذلك أن الزائر إذا دعا للمريض فإنه يدعو له على طهارة، فيكون ذلك أكمل، وقيل: لأن العيادة قربة وعبادة، فإذا فُعلت على طهارة فإنها تكون أكمل وأتم.

المسارعة إلى عيادته:

وهذا يفهم من قوله ﷺ في حديث من حق المسلم على المسلم: «**وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ**»[٢]، فكما هو معلوم أن العطف بحرف الفاء يفيد التعقيب.

ولكن ينظر لحال المريض، فإذا لم يكن المرض خطيرًا يخشى على المريض من جرائه الموت، ولم يتأذ من الزيارة تكون الزيارة مباشرة.

أما إذا كان المرض مرجو البرء فتكون الزيارة على حسب المقدور، ولا يترك بحسب سعة حال المريض وبحسب ما تمليه الظروف من سرعة في العيادة أو تأخيرها، كما ينظر لزوار المريض، بحيث لا يزدحم عليه المجلس، أو تتابع الزيارات فيكون في كلا الأمرين مشقة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ١٨٥، رقم ٣٠٩٧)، والطبراني في الأوسط (٩/ ١٦٩، رقم ٩٤٤١).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٠٥، رقم ٢١٦٢).

أن يحمد الزائر ربه على العافية:

يشرع للزائر أن يحمد الله على العافية التي هو فيها، قال النبي ﷺ: «**من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا لم يصبه ذلك البلاء**»[(١)].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فينبغي للمسلم إذا زار مريضًا أن يغتنم زيارته للمريض بالدعوة إلى الله، لا سيما إن كانت الزيارة في المستشفى، حيث تكثر المخالفات، وتتسع دائرة الاحتياج للأمر بالمعروف والنهي عن لمنكر، ولا يستلزم ذلك قدرة الزائر على الحديث أو الوعظ، بل يكفيه أن يضع عنده كتيبات وأشرطة إسلامية تنفعه وتنفع من يجلس عنده.

فوائد تخص المريض:

وفيما يلي تذكير المرضى بفائدتين:

١- **جواز إخباره بما يجد:**

فلا بأس أن يخبر المريض بمرضه ويشتكي، لكن قبل ذلك يجب عليه أن يحمد الله، فقد أخبر الله ﷻ أن يعقوب عليه السلام قال لأبنائه: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[(٢)]. كما أخبر ﷻ عن أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٩٣ رقم ٣٤٣١) وقال: غريب. والحارث كما في بغية الباحث (٢/ ٩٥٦، رقم ١٠٥٦).

(٢) سورة يوسف: ٨٦.

أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[١].

٢- الصبر والاحتساب في المرض:

فليعلم المريض أن الله سبحانه وتعالى لا يريد به إلا خيراً، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من يرد الله به خيراً يصب منه**»[٢].

ولحديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**»[٣].



---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٨٣.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٣٨، رقم ٥٣٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٣٧، رقم ٥٣١٨) ومسلم (٤/ ١٩٩٢، رقم ٢٥٧٣).

آداب قضاء الحاجة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن التخلي هو طرد فضلات الجسم الضارة المؤذية عن طريق التبول أو التبرز، وهو نعمة من الله ﷻ ليبقى الجسم خاليًا من الأمراض والأسقام، ولذلك كان حريًّا بالمرء أن يشكر الله ﷻ على هذه النعمة، كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن نوحًا كبير الأنبياء لم يقم عن خلاء قط إلا قال الحمد الله الذي أذاقني لذته وأبقى فيَّ منفعته وأخرج عني أذاه»** [(١)].

وفي كل شيء للمسلم عبرة وذكرى تورثه خشية من الله وحياء منه، ومحبه له وشكرا، روت أم المؤمنين عائشة عن أبيها الصديق ﵄ أنه قال: «استحيوا من الله فإني لأدخل فأغطي رأسي استحياء من ربي عز وجل» [(٢)]، وبذلك يكون دخول المسلم لقضاء حاجته تفكُّرًا وعبرةً، وإماطةُ الأذى عنه فضلًا ورحمةً.

---

(١) أخرجه العقيلي (١/ ٢١٣ ، ترجمة ٢٦٠ ترجمة الحارث بن شبل) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١١٣ ، رقم ٤٤٦٩) ، والديلمي (٤/ ٢٨٩ ، رقم ٦٨٥٤) .

(٢) الزهد لابن المبارك (١/ ١٠٧)، ومصنف ابن أبي شيبة (١/ ١٠٠)، والزهد لابن حنبل (١/ ٢١١)، وتعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٢٩)، وحلية الأولياء (١/ ٣٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نزلتْ في أهل قُبَاء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [(١)]، كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم الآية**» [(٢)].

وقيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة (قضاء الحاجة) [(٣)]، وفيما يلي آداب قضاء الحاجة التي قررها الإسلام.

ذكر الله سبحانه وتعالى قبل الدخول:

من أهم آداب قضاء الحاجة أن يذكر الإنسان ربه سبحانه وتعالى قبل دخوله موضع قضاء الحاجة حيث قد أخبر الرسول الكريم ﷺ أن مواضع قضاء الحاجة يوجد فيها الشياطين فقال ﷺ: « **إنّ هذِهِ الحُشوشَ مُحْتَضَرَةٌ، فإذا أَتَى أَحَدُكُم الخَلاءَ فلْيَقُلْ: أعُوذُ بِالله مِنَ الخبثِ والخَبَائِثِ**» [(٤)]، «**الخُبث**»: جمع خبيث،

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٨.

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ١١، رقم ٤٤)، والترمذي (٥/ ٢٨٠، رقم ٣١٠٠)، وابن ماجه (١/ ١٢٨، رقم ٣٥٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٧٩، رقم ٤٠٧٠)، والبيهقي في الكبرى (١/ ١٠٥، رقم ٥١٣)، والحاكم (١/ ٢٩٩، رقم ٦٧٣)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٣، رقم ٢٦٢)، فانظر إلى عبّاد الأصنام كيف ضاقت صدورهم وقالوا ما قالوا. لما رأوا دعوة النبي ﷺ، وأنها ما تركت شيئاً من أمر الدنيا والآخرة إلا وبينت منه علماً، كما قال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائرٌ جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً (رواه أحمد ٢٠٨٥٤).

(٤) أخرجه الطيالسي (ص٩٣ ، رقم ٦٧٩) ، وأحمد (٤/ ٣٦٩ ، رقم ١٩٣٠٥) ، وأبو داود (١/ ٢ ، رقم ٦) ، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٣ ، رقم ٩٩٠٣) ، وابن ماجه (١/ ١٠٨ ،

«**الخَبائث**»: جمع خَبِيثة، وهما ذُكْرَان الشياطين وإناثهم .

وورد في الصحيحين عن أنس ﷺ أن الرسول ﷺ كان يقول ذلك الدعاء عند دخوله الخلاء [(١)]، قال ابن حجر رحمه الله: «كان ﷺ يستعيذ إظهارًا للعبودية ، ويجهر بها للتعليم» [(٢)].

وذكر الله سبحانه وتعالى أنه لا يدع مجالا للشياطين أن تتسلط على الإنسان، فقال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [(٣)]، وورد في حديث علي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول بسم الله**» [(٤)].

قال الإمام النووي رحمه الله: «قال أصحابنا : ويستحب هذا الذكر سواء كان

رقم ٢٩٦) ، وأبو يعلى (١٣/ ١٨٠ ، رقم ٧٢١٨) ، وابن خزيمة (١/ ٣٨ ، رقم ٦٩) ، وابن حبان (٤/ ٢٥٢ ، رقم ١٤٠٦) ، والطبراني (٥/ ٢٠٥ ، رقم ٥١٠٠) ، والحاكم (١/ ٢٩٨ ، رقم ٦٦٩) وقال : على شرط الصحيح . وأخرجه أيضًا : البيهقي (١/ ٩٦ ، رقم ٤٥٩) .

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٣٠، رقم٥٩٦٣)، ومسلم (١/ ٢٨٤، رقم ٣٧٥).

(٢) فتح الباري (ج ١/ ص ٢٤٤).

(٣) سورة النساء: الآية ١٤١.

(٤) أخرجه الترمذي (٢/ ٥٠٣ ، رقم ٦٠٦) وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بذاك القوى . وابن ماجه (١/ ١٠٩ ، رقم ٢٩٧) . قال المناوي (٤/ ٩٧) : مال مغلطاي إلى صحته فإنه لما نقل عن الترمذي أنه غير قوي قال ولا أدري ما يوجب ذلك لأن جميع من في سنده غير مطعون عليهم بوجه من الوجوه بل لو قال قائل إسناده صحيح لكان مصيبًا .

في البنيان أو في الصحراء . وقال أصحابنا رحمهم الله: يستحب أن يقول أولا : «بسم الله»، ثم يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»[(١)].

أن يستتر عن أعين الناس عند قضاء الحاجة :

وقد كان أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ[(٢)]، وإذا كان الإنسان في الفضاء وأراد قضاء حاجة ولم يجد شيئًا يستره فليبتعد عمن حوله من الناس؛ لما رواه الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ حَاجَتَهُ فَأَبْعَدَ فِي الْمَذْهَبِ[(٣)]»[(٤)].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي قُرَادٍ ﷺ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى الْخَلاءِ وَكَانَ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ أَبْعَدَ[(٥)].

والمتخلي في البنيان قد كُفي مشقة التحرز من كشف العورة، لوجود المرافق والمراحيض المستورة، فلله الحمد والمنة على تيسيره.

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار (١/ ٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٢٦٨، رقم ٣٤٢)، «هدف أو حائش» : الهدف: ما ارتفع من الأرض، والحائش : بستان النخل.

(٣) قال الكسائي: يقالُ لموضع الغائط: الخلاءُ، والمَذْهب، والمرفق، والمرحاض . (لسان العرب ١/ ٣٩٤) مادة :(ذهب).

(٤) أخرجه الترمذي (١/ ٣١، رقم ٢٠)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٥) السنن الكبرى (ج١/ ص٦٧، رقم ١٧)، وقال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد (ج١/ ص٥٣٠): رجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح ٤٦٥١).

اجتناب الملاعن الثلاث:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا الملاعن الثلاث، البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل**»(١).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا اللعَّانين. قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم**»(٢).

واتقوا اللاعنين: أي: الأمرين الجالبين للشتم والطرد الباعثين عليه. **الأول**: الذي يتبرز في طريق الناس. **والثاني**: الذي يتبرز في ظلهم: أي الذي اتخذوه مقيلًا. وحديث معاذ انفرد بذكر الموارد.

والحديثان صُدّر أحدهما باجتناب الملاعن الثلاث، والآخر باتقاء اللاعنين، فما المراد بذلك.

قال الخطابي: «المراد باللاعنين الأمرين الجالبين للعن، الحاملين الناس عليه والداعيين إليه، وذلك أن من فعلهما شتم ولعن يعني عادة الناس لعنه، فلما صارا سبباً لذلك أضيف اللعن إليهما، قال: وقد يكون اللاعن بمعنى الملعون والملاعن مواضع اللعن، قلت : فعلى هذا يكون التقدير:اتقوا الأمرين

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٧ ، رقم ٢٦)، وابن ماجه (١/ ١١٩، رقم ٣٢٨)، والطبراني (٢٠/ ١٢٣، رقم ٢٤٧)، والحاكم (١/ ٢٧٣، رقم ٥٩٤)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. والبيهقي (١/ ٩٧، رقم ٤٧٤). «**البِرَاز**»: بكسر الباء كناية عن الغائط. «**المَوارِد**»: أى المَجارِي والطُرق إلى المَاء، واحِدُها مَوْرِد. «**قارِعَةُ الطريق**»: أعلاه أو أوسطه. عون المعبود بشرح سنن أبي داود. المجلد الأول(١/ ٣١).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٦ ، رقم ٢٦٩).

الملعون فاعلهما، وهذا على رواية أبي داود. وأما على رواية مسلم فمعناه والله أعلم : اتقوا فعل اللعانين أي صاحبي اللعن وهما اللذان يلعنهما الناس في العادة والله أعلم»[(١)].

وعلة النهي عن التخلي في هذه المواضع الثلاثة، هو أن تقذير هذه المواضع وتنجيسها بالقذر فيه إيذاءٌ للمؤمنين، وإيذاؤهم محرم بنص الكتاب، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[(٢)].

فائدة (١): يُلحق بالظل، المكان الذي يتشمس فيه الناس أيام الشتاء، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وهذ قياسٌ جليٌّ[(٣)]، وعلى هذا فلا يجوز التخلي في هذا المكان، لأن العلة في النهي عن الظل موجودة هنا، والحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا.

فائدة (٢): الأحاديث تشير إلى أن النهي ينصبُّ على حال التغوّط فقط دون التبوّل. وإلى هذا ذهب النووي، فقال في شرح قوله ﷺ: «**الذي يتخلى في طريق الناس وظلهم**» قال: «فمعناه يتغوط في موضع يمر به الناس». ورد ذلك العظيم آبادي فقال: لا يصح تفسير النووي بالتغوّط، ولو سلم فالبول يلحق به قياسًا... وقال: وقد علمت أن المراد بالتخلي التفرد لقضاء الحاجة غائطًا

---

(١) شرح مسلم للنووي . المجلد الثاني(٣/ ١٣٢).

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٨.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (١/ ١٠٢) . دار آسام . ط. الثانية ١٤١٤هـ.

كان أو بولًا... وأنت تعلم أن البراز اسم للفضاء الواسع من الأرض، وكنوا به عن حاجة الإنسان ، يقال: تبرز الرجل إذا تغوط، فإنه وإن كان اسمًا للغائط لكن يلحق به البول [(١)].

النهي عن البول في الماء الراكد (الدائم) :

وفيه حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «**نهى أن يُبال في الماء الراكد**» [(٢)]، والعلة فيه ظاهرة، وهو أن البول في الماء الدائم مظنة التنجيس، والتغوّط فيه أشد وأقبح وهو أولى . ويُفهم منه أن حكم النهي لا ينسحب على الماء الجاري. قال النووي رحمه الله: «فإن كان الماء كثيرًا جاريًا لم يحرم البول فيه لمفهوم الحديث» [(٣)].

عدم الدخول بالمصحف وما فيه ذكر الله سبحانه وتعالى :

يكره دخول مكان قضاء الحاجة بشيء فيه ذكر الله؛ وذلك صيانة لاسم الله سبحانه وتعالى عن الإهانة والابتذال، ولا يليق بمسلم أن يدخل الخلاء بشيء فيه ذكر الله إلا لحاجة.

قال ابن عثيمين رحمه الله: في شرحه، قوله: «**إلا لحاجة**» هذا مستثنى من

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي. المجلد الثاني (٣/ ١٣٢)، وعون المعبود. المجلد الأول (١/ ٣٠-٣١).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٦٢، رقم ٥٨١).

(٣) شرح صحيح مسلم . المجلد الأول(٢/ ١٥٢). وللعلماء تفصيل في هذه المسألة لم أرد الإطالة فيها، واقتصرنا على المراد. وشرح البخاري لا بن حجر(١/ ٤١٣-٤١٤) .

المكروه، يعني إذا احتاج إلى ذلك كالأوراق النقدية التي فيها اسم الله، لأننا لو قلنا؛ لا تدخل بها ثم أخرجها ووضعها عند باب الخلاء صارت عرضة للنسيان، وإذا كان في محل بارح صارت عرضة لأن يطير بها الهواء، وإذا كان في مجمع من الناس عرضة لأن تسرق (١).

وأما المصحف فلا نشك في تحريم الدخول به إلى مكان قضاء الحاجة، وعليه أهل العلم، ولكنهم أجازوا الدخول به إن كان يُخشى عليه السرقة، ومع ذلك فإن المسلم عليه أن يتقي الله ربه، ولا يعرض كلام الله للإهانة، وعليه أن يتحرز في ذلك الأمر ما استطاع إلى ذلك سبيلًا كأن يُعطي شخصًا آخر ذلك المصحف حتى يخرج من الخلاء ونحو ذلك من السبل، فإن عُدمت فلا يُكلف الله نفسًا إلا وسعها (٢).

النهي عن استقبال القبلة واستدبارها:

وفيه أحاديث صحاح، منها حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرِّقوا أو غربوا**» (٣)، ولفظ مسلم وغيره: «**... فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببولٍ ولا غائطٍ ولكن شرقوا أو غربوا**» (٤)، وذلك لأن قبلة المدينة

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع (١/ ٩١).

(٢) انظر الشرح الممتع (١/ ٩١).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٦٦، رقم ١٤٤)، ومسلم (١/ ٢٢٤، رقم ٢٦٤).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٤، رقم ٢٦٤)، وأحمد (٥/ ٤٢١، رقم ٢٣٦٢٤)، وأبو داود (١/ ٣،

جنوبًا، وعلى أهل كل بلد أن يتولوا إلى غير جهة القبلة، إذ هو القصد، فأهل الرياض مثلا يتوجهون في قضائهم الحاجة شمالا أو جنوبا لأن قبلتهم في جهة الغرب.

ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما فعن واسع بن حبان قال: عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول: إن ناسًا يقولون: إذا قعدت على حاجتك فلا تستقبل القبلة ولا بيت المقدس، فقال عبد الله بن عمر: لقد ارتقيت يومًا على ظهر بيتٍ لنا فرأيت رسول الله ﷺ على لبنتين مستقبلاً بيت المقدس لحاجته ... الحديث (١).

ومنها حديث سلمان رضي الله عنه قال: قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيءٍ حتى الخراءة قال، فقال: أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول ... الحديث (٢).

وعن مروان الأصفر قال: رأيت ابن عمر رضي الله عنهما أناخ راحلته مستقبل القبلة ثم جلس يبول إليها، فقلتُ: يا أبا عبد الرحمن: أليس قد نُهي عن هذا؟ قال: بلى. إنما نُهي عن ذلك في الفضاء؛ فإذا كان بينك وبين القبلة شيءٌ يسترك فلا بأس (٣). قال ابن بطال: «ودلت هذه الآثار على أن حديث أبي أيوب مخصص

رقم ٩)، والترمذي (١/ ١٣، رقم ٨)، وقال: هو أحسن شيء في هذا الباب وأصح.

(١) أخرجه البخاري (١/ ٦٧، رقم ١٤٥)، ومسلم (١/ ٢٢٤، رقم ٢٦٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ٣، رقم ١١)، والدارقطني ١/ ٥٨)، وابن الجارود (١/ ٢١، رقم ٣٢)، و الحاكم (١/ ٢٥٦، رقم ٥٥١)، وَقَالَ: عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ، وَفِي نُسْخَةٍ: عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. والبيهقي في الكبرى (١/ ٩٢، رقم ٤٤٣)، وابن خزيمة (١/ ٣٥، رقم

بحديث ابن عمر لا منسوخ به»[١].

والأحاديث السابقة ظاهر لفظها التعارض، ولأجل ذلك اختلف أهل العلم في حكم استقبال القبلة واستدبارها، عند قضاء الحاجة في البنيان وغير البنيان.

فحديث أبي أيوب ﷺ يفيد النهي عن استقبال القبلة واستدبارها مطلقاً سواءٌ في الصحراء أو البنيان، وحديث ابن عمر ﵄ في رقيه على ظهر بيت حفصة ﵄ يفيد جواز استدبار القبلة دون استقبالها في البنيان أو ما يقوم مقامه، كوضع ابن عمر راحلته بينه وبين القبلة عند قضائه حاجته، وحديث سلمان ﵁ فيه النهي عن استقبال القبلة مطلقًا في البنيان وغيره، وحديث جابر ﵁ فيه أن آخر أمر الرسول ﷺ هو جواز استقبال القبلة.

ومذاهب أهل العلم في هذا كثيرة تبعًا لظواهر النصوص المتعارضة، ولكن الجمع بينها ممكن، قال النووي ﵀: «ولا خلاف بين العلماء أنه إذا أمكن الجمع بين الأحاديث لا يصار إلى ترك بعضها، بل يجب الجمع بينها والعمل بجميعها»[٢].

والمختار عندنا هو تحريم قضاء الحاجة مستقبل القبلة أو مستدبرها في الخلاء، وجواز ذلك في البنيان، أو بوجود ساتر بين المتخلي وبين القبلة

---

٦٠)، وحسنه الألباني.

(١) شرح صحيح البخاري ـ لابن بطال – (ج ١ / ص ٢٣٨).

(٢) شرح مسلم . المجلد الثاني(٣/ ١٢٦).

استقبالاً أو استدباراً . وإلى هذا ذهبت اللجنة الدائمة [١] .

يدخل بالرجل اليسرى:

يقدم الداخل إلى الخلاء رجله اليسرى، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد استقرت قواعد الشريعة على أن الأفعال التي تشترك فيها اليمنى واليسرى تقدم فيها اليمنى إذا كانت من باب الكرامة، كالوضوء والغسل، والابتداء بالشق الأيمن في السواك، ونتف الإبط، وكاللباس، والانتعال، والترجل، ودخول المسجد والمنزل، والخروج من الخلاء، ونحو ذلك . وتقدم اليسرى في ضد ذلك، كدخول الخلاء وخلع النعل، والخروج من المسجد» [٢] .

البول قائماً وقاعداً:

الأصل في البول أن يكون من قعود، قالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «من حدثكم أن رسول الله ﷺ بال قائماً، فلا تصدقوه، ما كان يبول إلا جالسًا» [٣]، وذلك لأن البائل قائمًا لا يسلم عادةً من تلوث في بدنه وثوبه، ولكن إن دعت الحاجة إلى البول واقفًا فلا بأس بذلك، لما رواه حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رأيتني أنا والنبي ﷺ نتماشى فأتى سباطة [٤] قومٍ خلف حائط، فقام كما يقوم أحدكم

---

(١) انظر الفتوى رقم (٤٤٨٠) (٥/ ٩٧-٩٩).

(٢) الفتاوى(٢١/ ١٠٨-١٠٩).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٢١٣، رقم ٢٥٨٢٨)، والنسائي (١/ ٢٦، رقم ٢٩)، وابن ماجه (١/ ١١٢، رقم ٣٠٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٠١).

(٤) السُّباطة: الكناسة... وهي الموضع الذي يُرمى فيه التراب والأوساخ وما يُكنس من

فبال فانتبذت منه [١]، فأشار إليَّ فجئته فقمت عند عقبه حتى فرغ» [٢].

ولا منافاة بين حديث حذيفة وبين قول عائشة رضي الله عنها، فكلام عائشة رضي الله عنها يُحمل على الأغلب من عادة رسول الله ﷺ، وقلنا ذلك لثبوت بوله قائمًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وحمل العلماء بول النبي ﷺ قائمًا، على أن ذلك لبيان الجواز، أو أنه كان في مكان لا يستطيع معه البول جالسًا.

كما يمكن أن نجمع بين هذين الحديثين: بأنه لم يبل قائماً، وحديث حذيفة رضي الله عنه أنه قد بال قائماً كالتالي:

إن الأكثر من فعله ﷺ والأعم الأغلب أنه كان يقضي حاجته قاعداً، ولا شك أن ذلك أمكن وأحسن وأعون على قضاء الحاجة وعلى التطهر منها، وأن النبي ﷺ قد بال قائماً مرات قليلة؛ لبيان الجواز، فتكون السنة البول قاعداً، والجواز البول قائماً؛ بشرط أن يكون مستوراً عن الناس، وألا يصيبه رشاش بوله، وألا يرتد عليه، وكثير من الذين يبولون قياماً يحصل من جراء فعلهم رشاشٌ وتلويث لثيابهم، ولذلك إذا كان الإنسان لا يأمن من تلويث ثيابه بالنجاسة إذا بال قائماً فلا يفعل ذلك، أما إذا أمن فإنه يفعل ولا حرج عليه، والشريعة لا تضيق واسعاً، ولله الحمد والمنة.

المنازل. (لسان العرب ٧/ ٣٠٩) مادة: (سبط).

(١) **انتبذت**: الانتباذ: الانفراد والاعتزال ناحية.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٩٠، رقم ٢٢٢)، ومسلم (١/ ٢٢٨، رقم ٢٧٣).

مسألة : هل يجوز البول قائمًا لغير حاجة ؟

الجواب :

قالت اللجنة الدائمة: لو بال قائمًا لغير حاجة لم يأثم لكنه خالف في قضاء حاجته الأفضل والأكثر من فعله ﷺ [(١)].

أن لا يكشف العورة إلا بعد أن يدنو من الأرض:

لأنّه أستر له، لما أن النَّبِيَّ ﷺ كان إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ لَمْ يَرْفَعْ ثَوْبَهُ حَتَّى يَدْنُوَ مِنْ الأَرْضِ [(٢)].

وإذا كان في مرحاض فلا يرفع ثوبه إلا بعد إغلاق الباب وتواريه عن أعين النّاظرين ، ومن هذه النقطة والتي قبلها نعلم أنّ ما يفعله كثير من النّاس في بلاد الغرب وغيرها من التبوّل وقوفًا في المحلات المكشوفة داخل المراحيض العامة هو أمر منافٍ للأدب والحياء والحشمة والأخلاق الفاضلة الكريمة، ويقشعرّ منه بدن كلّ صاحب فطرة سليمة وعقل صحيح، إذ كيف يكشف الشّخص أمام النّاس عورته التي جعلها الله بين رجليه سترًا لها وأمر بتغطيتها، واستقرّ أمر تغطيتها عند جميع عقلاء البشر.

وكذلك فإنّ من الخطأ أساسًا بناء المراحيض بهذا الشّكل المُشين الذي

---

(١) (٥/ ٨٩-٩٠) . فتوى(٤٢١٣).

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٤، رقم ١٤)، والترمذي (١/ ٢١، رقم ١٤)، والدارمي (١/ ١٧٨، ٦٦٦)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٩٦، رقم ٤٦٣)، والطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ١١٦، رقم ١٤٣٣)، وهو في صحيح الجامع ٤٦٥٢ .

يرى فيه مستعملوها بعضُهم بعضًا وهم يبولون متخلّفين في ذلك عن بعض البهائم التي من عادتها الاستتار عند التبوّل والتغوّط.

كراهية الكلام في الخلاء :

كره كثيرٌ من أهل العلم الكلام على قضاء الحاجة، وأخذوا ذلك من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : «أن رجلاً مر ورسول الله ﷺ يبول، فسلم فلم يرد عليه»(١)، واستثنوا من ذلك إذا كان لضرورة أو حاجة كإرشاد ضرير يكاد يقع في بئر، أو طلب ماء ونحو ذلك (٢).

النهي عن استخدام اليد اليمنى في قضاء الحاجة :

من تأمل نصوص الشرع، فإنه يجد أنها جاءت بتكريم اليد اليمنى والرجل اليمنى على الرجل اليسرى واليد اليسرى، وأرشدت العباد إلى أن يستخدموا أيمانهم في فعل الأمور الكريمة، وشمائلهم على الضد من ذلك.

ومن هذا الباب نهي رسول الله ﷺ عن مس الذكر والاستنجاء باليد اليمنى، كما في قوله ﷺ: « **إذا شرب أحدُكم فلا يتنفسْ في الإناءِ وإذا أتى الخلاءَ فلا يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ ولا يتمسحْ بِيَمِينِهِ**» (٣).

قال ابن الجوزي رحمه الله: «وإنما وقع النهي عن مس الذكر والاستنجاء

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٥ ، رقم ١٧) ، والنسائي (١/ ٣٧ ، رقم ٣٨) ، وابن حبان (٣/ ٨٦ ، رقم ٨٠٦) ، والحاكم (١/ ٢٧٢ ، رقم ٥٩٢) .

(٢) انظر شرح صحيح مسلم للنووي. المجلد الثاني (٤/ ٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٦٩ ، رقم ١٥٢).

باليمين لمعنيين:

أحدهما: لرفع قدر اليمين عن الاستعمال في خساس الأحوال، ولهذا تجعل في آخر دخول الخلاء وأول دخول المسجد، وتُجعل اليمين للأكل والشرب والتناول، وتُمتهن اليسرى في الأقذار.

والثاني: أنه لو باشرت اليُمنى النجاسة لكان الإنسان يتذكر عند تناول طعامه بيمينه ما باشرت ومست، فينفر الطبع ويستوحش، ويخيل إليه بقاء ذلك الأثر فيها، فَنُزهت عن هذا ليطيب عيشه في التناول» (١).

روى أبو قتادة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إذا بال أحدكم فلا يأخذ ذكره بيمينه، ولا يستنجي بيمينه، ولا يتنفس في الإناء**»(٢).

وفي لفظ: « **إذا شرب أحدُكم فلا يتنفسْ في الإناءِ وإذا أتى الخلاءَ فلا يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ ولا يتمسحْ بِيَمِينِهِ**» (٣).

قال النووي: أجمع العلماء على أنه منهي عن الاستنجاء باليمين، ثم الجماهير على أنه نهي تنزيه وأدب لا نهي تحريم (٤).

---

(١) مشكل الصحيحين (٢/ ١٣٨) رقم (٦٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٦٩، رقم ١٥٣)، ومسلم (١/ ٢٢٥، رقم ٢٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٦٩، رقم ١٥٢).

(٤) شرح مسلم. المجلد الثاني (٣/ ١٢٧).

الاستنجاء والاستجمار[١]:

من محاسن الشريعة، أنها جاءت باليسر والتخفيف، ورفع الحرج عند المشقة وعدم الاستطاعة، قال الله ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٢].

ومن التيسير الذي منَّ الله ﷻ به على المكلفين أن أباح لهم التنظف بالأحجار ونحوها كالأوراق والمناديل وما شابهها بعد الفراغ من تخليهم واستطابتهم، وهو يقوم مقام الماء في التطهير، ولا شك أن هذا من التيسير لأن الماء غير مقدور عليه في كل الأحوال.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «اتبعت النبي ﷺ، وخرج لحاجته فكان لا يلتفتُ فدنوت منه، فقال: «**ابغني أحجاراً أستنفض**[٣] **بها أو نحوه ولا تأتني بعظم ولا روثٍ**»، فأتيته بأحجارٍ بطرف ثيابي فوضعتها إلى جنبه وأعرضت

---

(١) **الاستنجاء**: الاغتسال بالماء من النجو والتمسح بالحجارة منه... وقال الزجاج: الاستنجاء: التنظف بمدر أو ماء. واستنجى أي مسح موضع النجو أو غسله. (لسان العرب ١٥/ ٣٠٦) مادة: (نجا). الاستجمار: قال أبو زيد: الاستجمار: الاستنجاء بالحجارة، وقيل: هو الاستنجاء، واستجمر واستنجى واحد إذا تمسح بالجمار، وهي الأحجار الصغار، ومنه سميت جمار الحج للحصى التي ترمى بها. (اللسان: ٤/ ١٤٧) مادة: (جمر).

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٣) قال ابن منظور: وفي الحديث:ابغني أحجاراً استنفض بها. أي استنجي بها، وهو من نفض الثوب لأن المستنجي ينفض عن نفسه الأذى بالحجر أي يزيله ويدفعه. (اللسان: ٧/ ٢٤١) مادة: (نفض).

عنه فلما قضى أتبعهُ بهنَّ» (١).

فائدة: الاستنجاء قد يكون بالماء، وقد يكون بالأحجار، وقد يكون بهما جميعًا. أما الأول والثاني فقد وردت فيهما آثارٌ صحيحة، وأما الثالث : [فـ] هذا لا أعلمه واردًا عن النبي ﷺ، لكن من حيث المعنى لا شك أنه أكمل تطهيرًا، قاله ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (٢).

استحباب الاستجمار وترًا:

وهذا من أجل إنقاء المحل، وأقله ثلاث مسحات تعم المحل، لحديث سلمان رضي الله عنه، أنه ﷺ قال : «**لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار**»(٣)، فإن حصل الإنقاء بدون ثلاث مسحات وجب تكميلها، وإن حصل الإنقاء بعد الثلاث وكان شفعًا كالأربع والست استحب قطعه على الوتر، لقوله ﷺ من حديث جابر رضي الله عنه: «**وإذا استجمر أحدكم فليستجمر بِتَوٍّ**» (٤).

الاستبراء من البول ، وتجنب النجاسة حتى لا تصيب الثوب أو البدن :

وذلك لأن عامة عذاب القبر من عدم الاستبراء من البول، كما ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **استنزهوا من الْبَوْل ؛ فَإِن**

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٧٠ ، رقم ١٥٤) .

(٢) الشرح الممتع (١/ ١٠٥).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٤ ، رقم ٢٦٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٩٤٥ ، رقم ١٣٠٠) .: «تَوٌّ»: وتر .

عَامَّة عَذَاب الْقَبْر مِنْهُ» (١).

ويكون تجنب النجاسة بعدم التبول في مهب الريح لئلا ترد البول عليه ، وكذلك الأرض الصلبة .

كما يجب رفع الثياب حتى لا تصيبها النجاسة .

غسل اليدين بالماء والصابون بعد الخروج من الخلاء :

لما ورد عن جرير بن عبد الله ﷺ قال : «كنت مع النبي ﷺ، فأتى الخلاء ، فقضى الحاجة ، ثم قال : «**يا جرير هات طهورا**»، فأتيت بالماء ، فاستنجى، وقال بيده ، فدلك بها الأرض» (٢)، حيث يقوم الصابون اليوم مقام الدلك بالتراب لأن الغاية هي الطهارة وإذهاب النجاسة وآثارها ، وهو حاصل بالصابون . مع عدم إغفال فائدة التراب في هذا الجانب ، حيث يمكن أن يقوم بهذا الدور عند عدم وجود صابون .

❁ * ❁ * ❁

---

(١) أخرجه عبد بن حميد (ص ٢١٥ ، رقم ٦٤٢) ، والبزار كما في مجمع الزوائد (١/ ٢٠٧) ، والطبراني (١١/ ٧٩ ، رقم ١١١٠٤) ، قال الهيثمي (١/ ٢٠٧) : فيه أبو يحيى القتات وثقه يحيى بن معين في رواية وضعفه الباقون . والبيهقي في المعرفة (٣/ ٣٦٨ ، رقم ٤٥٩٤) . والحاكم (١/ ٢٩٣ ، رقم ٦٥٤) ، والدارقطني (١/ ١٢٨) وقال : لا بأس به .

(٢) أخرجه النسائي (المجتبى) (١/ ٤٥، رقم ٥١)، وابن ماجه (١ / ١٢٩، رقم ٣٥٩)؛ وحسنه الألباني.

آداب الاستئذان

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن أدب الاستئذان معلمٌ بارز من معالم النظام الاجتماعي الإسلامي، فهو ذاك الأدب الرفيع الذي شرعه الله لعباده المؤمنين، أدب يراعي حرمات الناس ويعظمها، وينمي الإحساس بمشاعر الآخرين وظروفهم، وهو على الجملة سر سعادة الأسرة والمجتمع.

عناية الإسلام بأدب الاستئذان:

ليس أدلَّ على أهمية الاستئذان في الإسلام من أن الله تبارك وتعالى قرن الاستئذان بالإيمان في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

فلقد جعل الله ﷻ البيوت سكنًا، يفيء إليها الناس؛ فتسكن أرواحهم؛ وتطمئن نفوسهم؛ ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم، ويلقون أعباء الحذر والحرص المرهقة للأعصاب! والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرماً

---

(١) سورة النور: الآية ٢٧.

آمناً لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم. وفي الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يحبون أن يلقوا عليها الناس[١].

تعريف الاستئذان وصيغته:

أولا: تعريف الاستئذان:

١ - **الِاسْتِئْذَانُ فِي اللُّغَةِ**: طَلَبُ الإِذْنِ، وَالإِذْنُ: مِنْ أَذِنَ بِالشَّيْءِ إِذْنًا، بِمَعْنَى أَبَاحَهُ، وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الاِسْتِئْذَانَ هُوَ طَلَبُ الإِبَاحَةِ[٢].

وَالْفُقَهَاءُ يَسْتَعْمِلُونَ الاِسْتِئْذَانَ بِهَذَا الْمَعْنَى، فَيَقُولُونَ: «الاِسْتِئْذَانُ لِدُخُول الْبُيُوتِ»، وَيَعْنُونَ بِهِ: طَلَبَ إِبَاحَةِ دُخُولِهَا لِلْمُسْتَأْذِنِ[٣].

قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٦].

ثانيا: صيغة الاستئذان:

فينبغي استعمال عبارة «**السلام عليكم.. أأدخل؟**» لما رُوي عن ربعي بن

---

(١) أدب الاستئذان – كتيب – د. عبد الرب نواب الدين.

(٢) المصباح المنير، والقاموس المحيط مادة: (إذن).

(٣) بدائع الصنائع ٥ / ١٢٤ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٥) سورة النساء: الآية ٦٤.

(٦) سورة يونس: الآية ١٠٠.

عامر رضي الله عنه أن رجلاً استأذن على رسول الله ﷺ وهو في بيته، فقال: أألج؟! فقال النبي ﷺ لخادمه: «**اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل: السلام عليكم، أأدخل؟**» فسمعها الرجل . فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل [1] .

فوائد الاستئذان :[2]

١- يتيح الاستئذان للإنسان أن يتصرف في بيته كما يشاء، بما يرضي الله، فيأذن لمن يريد، ويرد من يريد بغير حرج.

٢- الاستئذان يرفع الحرج عن المستأذِن والمستأذَن عليه.

٣- الاستئذان يتيح الفرصة لصاحب البيت بأن يداري عوراته، وكل ما يكره.

من آداب الاستئذان :

السنة تقديم السلام قبل الاستئذان:

فعن كلدة بن حنبل: أن صفوان بن أمية، بعثه إلى رسول الله ﷺ بلبن وجداية[3]

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٨، رقم ٢٣١٧٦) قال الهيثمي (١/ ٤٣): رجاله كلهم ثقات أئمة، والبخاري في الأدب (١/ ٣٧٢، رقم ١٠٨٤)، وأبو داود (٤/ ٣٤٥، رقم ٥١٧٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٨٧، رقم ١٠١٤٨).

(٢) نضرة النعيم ج ٢.

(٣) هي جمع جداية من أولاد الظباء. (لسان العرب ج ١٤ ص ١٣٥).

وضغابيس[١]، والنبي ﷺ بأعلى مكة، فدخلت ولم أسلم، فقال: «**ارجع فقل السلام عليكم**»[٢]، وذاك بعدما أسلم صفوان بن أمية.

أن يقف المستأذِن عن يمين أو شمال الباب:

وذلك حتى لا يقع بصره على موضع لا يحل له النظر إليه، أو على شيء يكره رب الدار لأحد رؤيته، فعن عبد الله بن بسر ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب، من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: «**السلام عليكم، السلام عليكم**»، وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور[٣].

يحرم نظر الرجل في بيت غيره إلا بإذنه:

فالاستئذان لم يشرع إلا من أجل البصر، كما قال رسول الله ﷺ: «**إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**»[٤].

ومن تعدى واطلع ببصره على ما لا يحل له بغير إذن، ففقئت عينه، فإنه

---

(١) هي صغار القثاء، واحدها ضغبوس وقيل: هو نبت في أصول الثمام يشبه الهليون يسلق بالخل والزيت ويؤكل. (لسان العرب ج٦ ص١٢٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٤، رقم ١٥٤٦٣)، والترمذي (٥/ ٦٤، رقم ٢٧١٠). وقال: حسن غريب. والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٧١، رقم ١٠٨١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٩٦، رقم ٧٩٤)، وأبو داود (٤/ ٣٤٤، رقم ٥١٧٦)، والنسائي في الكبرى (٤/ ١٦٩، رقم ٦٧٣٥)، والبيهقي (٨/ ٣٣٩، رقم ١٧٤٤٤). وقال الألباني صحيح والترمذي.

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٤٨، رقم٥١٨٦)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٣٩، رقم ١٧٤٤١)، وقال الألباني صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٤، رقم ٥٨٨٧)، ومسلم (٣/ ١٦٩٨، رقم ٢١٥٦).

لا قصاص ولا دية. لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم، فقد حل لهم أن يفقئوا عينه**» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لو أن رجلاً اطلع عليك بغير إذن فخذفته بحصاة ففقأت عينه، ما كان عليك من جناح**» (٢).

وعن سهل بن سعد قال: اطلع رجل من جُحر في حُجر النبي صلى الله عليه وسلم ومع النبي صلى الله عليه وسلم مدرى يحك به رأسه فقال : لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك، إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر (٣).

وعن أنس بن مالك أن رجلا اطلع من بعض حجر النبي صلى الله عليه وسلم، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بمشقص – أو بمشاقص – فكأني أنظر إليه يختل الرجل ليطعنه (٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يحلّ لامرئ أن ينظر إلى جوف بيت حتى يستأذن، فإن فعل فقد دخل**»(٥)، أي: إن نظر قبل أن يستأذن صار في حكم الداخل بلا استئذان، وهو محرم عليه.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٩٩، رقم ٢١٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٣٠، رقم ٦٥٠٦)، ومسلم (٣/ ١٦٩٩، رقم ٢١٥٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٩٨، رقم ٣٦٢٥٤) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٩٥، رقم ٢٦٢٣٦) ..

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٤٤٠، رقم ١٢٢٤٨)، وفى الصغير (١/ ٣٨٢، رقم ٦٤٠)، قال الهيثمي (٧/ ١١٤) : فيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، وهو ضعيف. وأخرجه الديلمي (١/ ٢٩٣، رقم ١١٥٣). والترمذي (٢/ ١٨٩ رقم ٣٥٧) وقال: حسن. وابن عساكر (٥٦/ ١٣). وأحمد (٥/ ٢٨٠، رقم ٢٢٤٦٨).

قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل البصر فلا إذن له**»[(١)].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**من ملأ عينه من قاعة بيت قبل أن يؤذن له فقد فسق**»[(٢)].

تكرار السلام والاستئذان:

من تمام أدب الاستئذان أن يعيد المستأذن السلام ثلاثاً إن لم يسمع جواباً أو رداً، وينبغي ألا يكثر على الثلاث، فإن أذن له بعد الثلاث وإلا ذهب لقول النبي ﷺ : «**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع**»[(٣)].

ويجب أن يراعى بالاستئذان فلا يقرع الباب بعنف ولا الصياح بصاحب الدار، ولا يستقبل الباب، وأن يختار الوقت المناسب.

إذا سئل عن اسمه فليقل اسمه:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي فدققت الباب فقال : «**من ذا ؟**» فقلت: أنا. فقال: «**أنا أنا**» كأنه كرهها[(٤)].

وسبب ذلك أنه ليس فيه تعريف بالمستأذن، فالإبهام باقٍ على حاله، وقوله

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٤٣، رقم ٥١٧٣)، والبيهقي (٨/ ٣٣٩، رقم ١٧٤٣٨) . وأخرجه أحمد (٢/ ٣٦٦، رقم ٨٧٧٢)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٧٤، رقم ١٠٨٩)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٩٧، رقم ١٣٧٢)، والديلمي (٥/ ١٣٦، رقم ٧٧٣٨) . قال الحافظ في الفتح (١١/ ٢٤) : سنده حسن.

(٢) الأدب المفرد (ج ١ / ص ٣٧٤)، ونثر الدر في المحاضرات (ج ٢/ ص ٤١).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٥، رقم ٥٨٩١)، ومسلم (٣/ ١٦٩٤، رقم ٢١٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٦، رقم ٥٨٩٦)، ومسلم (٦/ ١٨٠، رقم ٢١٥٥).

(أنا) لم تفد شيئاً.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: خرجت ليلة من الليالي. فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده، فجعلت أمشي في ظل القمر، فالتفت فرآني فقال: «**من هذا ؟**» فقلت: أبو ذر. (١)

وعن أم هانئ رضى الله عنهما قالت: أتيت النبي ﷺ وهو يغتسل وفاطمة تستره، فقال: «**من هذا ؟**» فقلت: أنا أم هانئ. (٢)

إن لم يجد أحدًا فلا يدخل ويرجع:

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ (٣) ؛ حتى إذا كان البيت مفتوحاً يشرع لك أن تستأذن، وإذا لم يأذن لك أحدٌ، ولم يرد عليك شخصٌ، ولم تجد في الباب أحداً؛ فلا تدخل حتى يؤذن لك، فإن البيت ولو كان فارغاً ودخلته قد تكون مظنة للاتهام، وقد تحدثك نفسك بالسرقة منه، وقد تضع نفسك في مواطن الريب والشكوك.

ينبغي للمستأذن أن لا يدق الباب بعنف:

لما في ذلك من سوء الأدب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: إن أبواب النبي ﷺ كانت تقرع بالأظافير(٤)، قال الحافظ ابن حجر: وهذا محمول منهم

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٦٦، رقم ٦٠٧٨)، ومسلم (٢/ ٦٨٨، رقم ٩٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١٥٧، رقم ٣٠٠٠).

(٣) سورة النور: الآية ٢٨

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٧١، رقم ١٠٨٠)، و في التاريخ (١ / ١ /

على المبالغة في الأدب، وهو حسن لمن قرب محله من بابه، أما من بعد عن الباب بحيث لا يبلغه صوت القرع بالظفر فيستحب أن يقرع بما فوق ذلك بحسبه [(١)] .

فإذا طرقت باب أخيك أو صديقك أو بعض معارفك أو أحد تقصده فدقّ الباب دقًّا رفيقًا يُعرّفه وجود طارقٍ بالباب، ولا تدقّه بعنف وشدة فتروّعه وتخلّ بالأدب.

إذا قال رب البيت للمستأذن ارجع، فليرجع:

لقوله تعالى : ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾[(٢)]. قال التابعي الجليل قتادة بن دعامة السدوسي: «ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم، فإن لك حاجات ولهم أشغالاً، وإنهم أولى بالعذر» [(٣)] . وكان الإمام مالك يقول: «ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره» [(٤)] . ولذا كان من أدب

---

٢٢٨)، وأبو نعيم في أخبار أصفهان (٢ / ١١٠ و ٣٦٥). وقال الألباني: صحيح. حديث رقم : ٤٨٠٥ في صحيح الجامع، وفي السلسلة الصحيحة ٥ / ١٢٧.

(١) فتح الباري - ابن حجر - (ج ١١ / ص ٣٦)

(٢) سورة النور: الآية ٢٨.

(٣) النكت والعيون تفسير الماوردي (ج ٤/ ص ٨٨)، و تفسير ابن كثير (ج ٣/ ص ٢٨٢).

(٤) الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم) (ج ١/ ص ٤٤٢)، والمعارف (ج ١/ ص ٤٩٩)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (ج ٩ / ص ٤٤)، وسير أعلام النبلاء (ج ٨/ ص ٦٤)، و الحطة في ذكر الصحاح الستة (ج ١/ ص ٢٢٩).

السلف عند زيارتهم أن يقول الزائر للمزور: لعله بدا لك مانع، تمهيدًا لبسط العذر من المزور فيما لو اعتذر.

وعلى المستأذن أن يرجع من غير حرج، وحسبه أن ينال التزكية القرآنية.

قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها. لقد طلبت أن أستأذن على بعض إخواني ليقول لي: ارجع، فأرجع وأنا مغتبط. لقوله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [1] [2].

الطوافون يستأذنون في ثلاث أوقات:

والطوافون هم الذين يكثر دخولهم على المرء، مثل الولد، والخادم، والجارية، وهي قبل صلاة الفجر، ووقت القيلولة، وبعد صلاة العشاء، وما عداها فلا جناح عليهم . قال ابن كثير : أي إذا دخلوا في حال غير هذه الأحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم إياهم ولا عليهم إن رأوا شيئاً في غير تلك الأحوال لأنه قد أذن لهم في الهجوم ولأنهم طوافون عليكم أي في الخدمة وغير ذلك[3].

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ

---

(١) سورة النور: الآية ٢٨.

(٢) تفسير الطبري (ج ١٨/ ص ١١٣)، وتفسير القرطبي (ج ١٢/ ص ٢٢٠)، وتفسير ابن كثير (ج ٣/ ص ٢٨٢).

(٣) كتاب الآداب، فؤاد الشلهوب، ٧٠ .

جُنَاحٌۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ (١).

فأمر المولى تقدست أسماؤه أن نرشد أولادنا – بنين وبنات الذين لم يصلوا إلى سن البلوغ – أن يستأذنوا على أهليهم في ثلاثة احوال :

١- **من قبل صلاة الفجر،** لأن الناس في هذا الوقت يكونون نائمين، وقد يكونون في أوضاع من التكشف يكرهون أن يطلع عليها أولادهم.

٢- **وقت الظهيرة،** وهو وقت القيلولة، لأن الإنسان في هذه الفترة يتخفف من لباسه فيضعه، ولا يحب أن يرى في هذه الحال .

٣- **من بعد صلاة العشاء،** لأنه وقت السكن والراحة والنوم .

أما إذا بلغ الأطفال سن الرجال، بأن وصلوا إلى سن البلوغ فعليهم أن يستأذنوا في كل الأوقات . (٢) .

وفي استئذان الطفل تفصيل:

وأما إذا بلغ الأطفال الحلم؛ فيجب عليهم الاستئذان على كل حال، وإن لم يكن في الأحوال الثلاثة؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾(٣).

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن كان الغلام رباعياً؛ فإنه يستأذن في العورات

---

(١) سورة النور: الآية ٥٨.

(٢) آداب البيت المسلم – الأهدل، ٢٥٩-٢٦٠ .

(٣) سورة النور: الآية ٥٩.

الثلاث على أبويه؛ فإذا بلغ؛ فليستأذن على كل حال) [١].

وأما الصغير الذي لا يميز بين العورة وغيرها؛ فيدخل في الأوقات كلها.

وأما إن كان أهلاً للتمييز بأن قرب البلوغ؛ فعلى والديه أن يمنعاه من الدخول في الأوقات الثلاثة؛ تأديباً وتعظيماً لأمور الدين؛ كما في الأمر بالصلاة إذا بلغ سبعاً وضربه إذا بلغ عشراً.

وقد أشير في الآية إلى علة الأمر، وهي بلوغ الأطفال الحلم؛ أي: نشأة شعور الجنس في نفوسهم.

من الأخطاء الشائعة في الاستئذان:

لقد شاع في الآونة الأخيرة في بعض الأوساط استعمال تحية جاهلية فتسمع من يقول: (صباح الخير)، كما قال الجاهليون قبل البعثة: (عم صباحاً)، وتسمع آخر يرد: (صباح الفل)، وبعضهم إذا حييته بالسلام رد عليك بقوله: (هلا) إيجاز لكلمة (أهلاً)، وهذا لا يجوز لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [٢].

ولا مانع أن يحيي الإنسان بهذه التحيات، وما شاكلها، ولكن بعد أن يؤدي تحية الإسلام، ونزيد الأمر إيضاحاً فنقول: له أن يقول: (السلام عليكم، حياك الله ..صباح الخير)، أو يقول في رد التحية: (وعليكم السلام، أهلاً

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (ج ٨ / ص ٢٦٣٨)، و تفسير ابن كثير (ج ٣ / ص ٣٠٤).

(٢) سورة النساء: الآية ٨٦.

وسهلاً ومرحباً)[١].

متى يشرع الاستئذان:

يشرع الاستئذان في الدخول على كل بيت ما عدا التي سيأتي الحديث في أنه لا يسمح دخولها بغير استئذان.

ومما يشرع له الاستئذان:

الدخول على الأم:

فإذا كان لأمك بيتٌ مستقل، شرع لك أن تستأذن عليها؛ لأن الله فصل بيوت الأمهات عن بيوتك، فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾[٢]، فإذا كان للأم بيتٌ مستقل، وجئت إليها، شرع لك أن تستأذن عليها.

وإذا كانت أمك تعيش معك في البيت فالجمهور والأكثرون على أنه يستحب لك أيضاً أن تستأذن عليها، قال ابن عباس: أتحب أن تراها عريانة؟![٣]، وإذا لم تستأذن عليها ربما رأيت ما تكره، وقد ترى منها منظراً يسيئك، ويسيئها هي الأخرى، فيشرع الاستئذان على الأم.

وعن عطاء بن يسار، أن رسول الله ﷺ سأله رجل فقال: يا رسول الله،

---

(١) أدب الاستئذان – كتيب – د. عبد الرب نواب الدين.

(٢) سورة النور: الآية ٦١.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٤٢، رقم ١٧٦٠٠).

أستأذن على أمي؟ فقال: «**نعم**» قال الرجل: إني معها في البيت؟ فقال رسول الله: «**استأذن عليها**». فقال الرجل: إني خادمها. فقال له رسول الله : «**استأذن عليها، أتحب أن تراها عريانة؟**» قال: لا. قال: «**فاستأذن عليها**» (١).

ويقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: إذا دخل أحدكم على والدته فليستأذن(٢).

الدخول على الأخت:

وفي الأثر أنه أتى رجلٌ إلى جابر فأمره أن يستأذن، وقال: إن لم تستأذن رأيت ما تكره! قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾أي: الاستئذان ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾(٣) أي: تتعظون، فالتذكر يطلق على الاتعاظ.

لا ليس هذا من أدب ديننا ولا من أخلاقياته، ثم قال عطاء: قلت لابن عباس: أأستأذن على أخواتي: أيتام لي في حجري في بيت واحد؟ فقال ابن عباس: نعم، فرددت عليه ليرخص لي فأبى فقال: أتحب أن تراها عريانة؟ قلت: لا. قال: فاستئذن فراجعته أيضاً، فقال: أتحب أن تطيع الله؟ قلت: نعم، قال: فاستئذن(٤).

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٧/ ٩٧، رقم ١٣٣٣٦)، وموطأ مالك (٢/ ٩٦٣، رقم١٧٢٩).

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١ / ٤١٧.

(٣) سورة النور: الآية ٢٧.

(٤) تفسير الطبري (ج ١٨ / ص ١١١)، وتفسير ابن كثير (ج ٣ / ص ٢٨١)، والفواكه

الدخول على الزوجة:

تقول زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: كان عبد الله إذا دخل تنحنح وصوَّت[١].

ويقول الإمام أحمد رحمه الله: يستحب أن يحرك نعله في استئذانه عند دخوله حتى إلى بيته؛ لئلا يدخل بغتة. وقال مرةً: إذا دخل يتنحنح[٢].

وعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما؛ قالت: (كان عبد الله إذا جاء من حاجة، فانتهى إلى الباب؛ نحنح، وبزق؛ كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه) [٣]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: (كان عبد الله إذا دخل الدار؛ استأنس؛ تكلم ورفع صوته) [٤].

ولهذا جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أنه نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً وفي رواية: «ليلاً يخونهم» [٥].

العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب (ج ٥/ ص ٤٩٣)، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (ج ١٦ / ص ٢٣٢)، وذكره الحافظ في الفتح، وقال: وأسانيد هذه الآثار كلها صحيحة.

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ١١٦٦، رقم٣٥٣٠).

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١ / ٤٢٤)، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب (١ / ٢٣٩).

(٣) تفسير الطبري (ج ١٨ / ص ١١٢)، وتفسير ابن كثير (ج ٢/ ص ٤٩٥)، والفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب (ج ٥ / ص ٤٩٤).

(٤) أنساب الأشراف (ج ٤ / ص ١٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (ج ٨ / ص ٢٥٦٦)، وتفسير ابن كثير (ج ٣ / ص ٢٨١)، وفتح الباري (ج ١١ / ص ٨).

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٠٨، رقم ٤٩٤٦)، ومسلم (٣/ ١٥٢٨، رقم ٧١٥).

الاستئذان عند إرادة القيام والانصراف من المجلس :

فكما يشرع الاستئذان عند دخول المجلس يشرع أيضا عند الانصراف، ولعل العلة في ذلك هو خشية وقوع البصر على شيء لا يحل النظر إليه، أو غير مرغوب في رؤيته .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ : «**إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده، فلا يقومن حتى يستأذنه**» (١).

وهذا تنبيه على أدب رفيع وهو أن الزائر لا ينبغي أن يقوم إلا بعد أن يستأذن المزور، وقد أخل بهذا التوجيه النبوي الكريم كثير من الناس فتجدهم يخرجون من المجلس دون استئذان وليس هذا فقط بل بدون سلام أيضاً، وهذا مخالفة لأدب إسلامي آخر.

حالات عدم وجوب الاستئذان :

من دعي أو أُرسل إليه رسول، فإنه لا يحتاج إلى الاستئذان:

وذلك لأن توجيه الدعوة وإرسال الرسول يتضمن الإذن، فاستغنى بالدعوة والرسول عن الاستئذان، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**رسول الرجل إلى الرجل إذنه**» (٢) .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا دُعي أحدكم إلى طعام فجاء مع**

---

(١) أخرجه الديلمي (١/ ٣٠٤، رقم ١٢٠٠)، قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٨٣ في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/٣٤٨، رقم ٥١٨٩)، والبيهقي (٨/ ٣٤٠، رقم ١٧٤٤٩). والبخاري في الأدب المفرد (ص: ٣٦٩، رقم ١٠٧٦)، وابن حبان (١٣/ ١٢٨، رقم ٥٨١١). وقال الشيخ الألباني: صحيح.

الرسول فإن ذلك له إذن» [١] .

واستثنى بعض أهل العلم ما إذا تأخر المدعو عن وقت الدعوة، أو كان في مكان يُحتاج معه في العادة إلى الإذن، فإنه يستأذن [٢] .



(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٦٩، رقم ١٠٧٥)، وأبو داود (٤/ ٣٤٨، رقم ٥١٩٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٤٥، رقم ٨٨٣١ مكرر). وأخرجه البخاري معلقا (٥/ ٢٣٠٥)، والبيهقي (٨/ ٣٤٠، رقم ١٧٤٥٠). وقال الألباني: صحيح.

(٢) [كتاب الآداب – الشلهوب – ٦٨].

إصلاح ذات البين

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن من أهم سمات أمة الإسلام الأخوة الإيمانية، الأخوة الصادقة، أخوة الإيمان، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]. وهي صلةٌ بين أمة الإسلام لا تنقطع، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[2]، وفي الحديث: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[3].

والخلاف بين المسلمين أمر طبيعي؛ لاختلاف أخلاقهم، وتباين أفكارهم، وقوة مداركهم من ضعفها، فيقع النزاع بين الأب وأبنائه، بين الزوج وزوجته، بين الأخ وإخوانه، بين الجيران بعضهم بعضًا، بين الإنسان وشريكه في البيع، بينه وبين صديقه، وبينه وبين شريكه في التجارة، وقد يكون بينه وبين موظفيه ومَنْ تحت يده في العمل.

هذا الاختلاف يقع أحيانًا لاختلاف وجهات النظر، وربما تطوّر إلى أن

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧١.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٦).

تتخذ موقفًا خاصًّا، وربما يكون سبب الخلاف والنزاع سعي الوشاة والنمّامين، الذين يحبون أن يفرقوا بين المرء وزوجه، وبين الأخ وأخيه، وبين الصاحب وصاحبه، وبين الشريك وشريكه، إلى غير ذلك؛ لأن قلوبهم المريضة تسعى بالنميمة للتفريق بين الناس.

والإسلام لم يدع هذا الخلاف يتسع نطاقه، بل سعى في تضييقه، وعلاجه، ورفعه إن أمكن، ولذا شرع الإصلاح بين الناس، وحثّ عليه، ورغّب فيه، وأخبر أنه خير ما يتناجى فيه المتناجون، سواء كان هذا الإصلاح بين الزوجين، أو بين الأفراد، أو بين المجموعة، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

تأليف القلوب وإزالة الشحناء مقصد شرعي:

كثيرًا ما يكون بين الناس منازعاتٌ وخصوماتٌ، وذلك نتيجة لاختلاف الأهواء والرغبات والاتجاهات، ومن ثَمَّ فإن المنازعات والخصومات تسبب البغضاء والعداوات، وتفرق بين المسلمين والقرابات، ومطلوب منا أن نسعى إلى الإصلاح بكل الوسائل والإمكانات، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ

(١) سورة النساء: الآية ١١٤.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٠.

بَيْنِكُمْ ﴾[(١)]، «أي: واتقوا الله في أموركم، وأصلحوا فيما بينكم، ولا تظالموا، ولا تشاجروا؛ فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه»، ثم أورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «هذا تحريج من الله ورسوله أن يتقوا الله ويصلحوا ذات البين»[(٢)].

ولقد أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين؛ ليجمع على الإيمان قلوب المؤمنين، ويزيل من قلوبهم كل أسباب الشحناء، ويطهر نفوسهم من كل أسباب البغضاء، ليكونوا إخوانًا متحابّين، فإذا وجد بين بعضهم خصومة وشحناء ونزاع وبغضاء أمروا أن يتقوا الله، وأن يصلحوا ذات بينهم، وعلى المسلمين أن يسعوا في الإصلاح ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: «رد الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن»[(٣)].

المفهوم الصحيح للإصلاح:

المقصود بالإصلاح هنا هو الإصلاح بمعناه الواسع الذي له سُبُل وطرق كثيرة، وليس محصورًا فيما تعارف عليه الناس بأنه الإصلاح بين متخاصمَيْن أو متخاصِمِين قلّوا أو كثروا، فالإصلاح له سبل كثيرة، ومطلوب من كل مسلم ومسلمة المساهمة بما يستطيعون من ذلك، فالدعوة إلى الله والأمر

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١.

(٢) تفسير ابن كثير (ج ٢/ ص ٢٨٦).

(٣) تفسير القرطبي (ج ٥/ ص ٣٨٤).

بالمعروف والنهي عن المنكر وإماطة الأذى عن الطريق والكلمة الطيبة والعمل الصالح أيًّا كان نوعه فيما يعود بالنفع على أفراد المجتمع أو الحيوانات أو الطيور أو غيرها وتعليم العلم النافع والإصلاح بين الناس كل ذلك وغيره من الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله، وينال عليها الأجر من المولى ﷻ إذا صاحبها الإخلاص والصواب، فهي من الإصلاح حقيقة، ومن عمل المصلحين المخلصين الذين يهمهم شأن أمتهم ومجتمعهم ومن يعيشون معهم على هذه الأرض، سواء كانوا في عصرهم أو يأتون ويلحقون بهم فيما بعد، ذلك شأن المصلحين الساعين بالخير الذين يسعد بهم مجتمعهم مع سعادتهم هم أنفسهم بإذن الله ﷻ.

الإصلاح من شيم أهل الفضل:

الإصلاح من صفات الله ﷻ:

ولنذكر حديث أنس ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله؟ بأبي أنت وأمي! فقال ﷺ: «**رجلان من أمتي جثيا**[1] **بين يدي رب العزة تبارك وتعالى، فقال أحدهما: يا رب! خذ لي مظلمتي من أخي. قال الله تعالى:أعط أخاك مظلمته. قال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء. قال: رب فليحمل عني أوزاري**[2]»، قال: ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثم قال: «**إن ذلك ليوم**

(١) الجثو: جلوس المرء على ركبتيه.

(٢) الوِزْر: الحِمْل والثِّقْل، وأكثر ما يُطْلَق في الحديث على الذَّنْب والإثم. يقال: وَزَرَ يَزِرُ،

عظيم يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك، وانظر في الجنان، فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ. لأي نبي هذا؟ لأي صديق هذا؟ لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى ثمنه قال: يا رب ومن يملك ثمنه؟ قال: أنت تملكه قال: ماذا يا رب؟ قال: تعفو عن أخيك قال: يا رب فإني قد عفوت عنه قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فادخلا الجنة»، ثم قال رسول الله ﷺ: **«فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة»**[1].

فضل الإصلاح وأهله:

نجاة المصلحين من الهلاك:

فالهلاك لا ينزل بقومٍ فيهم المصلحون، والمصلحون غير الصالحين، فشتّان بين الصالح في نفسه الذي لا يتعدّى نفعه إلى غيره، وبين المصلح الذي هو صالح في نفسه ساعٍ للإصلاح في المجتمع، فهو مصلح كما ذكر الله ﷻ عن المجرمين المفسدين في الأرض وعن المصلحين أيضًا، وبأن الله لا يهلك قرية كان أهلها مصلحين، قال ﷻ: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ

إذا حَمل ما يُثْقِل ظَهْرَه من الأشياء المُثْقَلة ومن الذنوب.

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٦٢٠ ، رقم ٨٧١٨) ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. وأبو يعلى في مسنده كما في تفسير ابن كثير(٣/ ٥٥٠- ٥٥١)، والبخاري في الكبير(٢/ ١/ ٤٥٩) إشارة ، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٦٦/ ١١٦)، والبيهقي في البعث كما في الترغيب (٣/ ٢١٠) .

يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[1].

فلنتنبّه لقول الله ﷻ: «مُصْلِحُونَ»، ولم يقل: «وأهلها صالحون»، فالمصلح أعم وأشمل وأنفع من الصالح في نفسه؛ لأن المصلح يسعى ويعمل جاهدًا لإصلاح الناس وصلاحهم حتى تستقيم الأمور كما أمر الله ﷻ بأن يدعو إلى الله، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويهمه أمر المسلمين بعامة.

الإصلاح براءة من النفاق:

ذكر الله ﷻ من أوصاف المنافقين وأهل الزيغ والفساد بأنهم مفسدون في الأرض، مع ادعائهم الإصلاح وهم على النقيض من ذلك، قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[2].

وقال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[3].

وعلى العكس من هذا الصنف ذكر الله ﷻ بعد هذه الآيات المتعددة عن هذا النوع بعدها مباشرة ذكر في آية واحدة المصلحين الذين يبيعون أنفسهم

---

(١) سورة هود: الآيتان ١١٦ – ١١٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١.

(٣) سورة البقرة: الآيات ٢٠٤ – ٢٠٦.

يبتغون ما عند الله، قال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(١).

فمن الناس من يكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، ومنهم من يكون مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير، وشتّان بين الفريقين، وسيجازي الله كلًّا بعمله، ويوفّيه حسابه، وهو يعلم سبحانه المفسدين من المصلحين، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾(٢).

والذي يتمسك بالكتاب والسنة ويؤدي ما أوجب الله عليه ويقوم به قولًا وعملًا واعتقادًا يُسمّى مصلحًا، ولن يضيع أجره عند الله، وسوف يجزيه الله أحسن الجزاء، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾(٣).

الإصلاح من الصدقات:

ففي الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كل سُلامَى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، ودَلُّ الطريق صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة**»(٤).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٠.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٠.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩٠، رقم ٢٨٢٧)، ومسلم (٢/ ٦٩٩، رقم ١٠٠٩).

الإصلاح من أفضل الأعمال:

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هو الحالقة**»[١]. وفي رواية: «**إن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**»[٢].

من أهميته أبيح فيه الكذب:

ففي حديث رسول الله ﷺ المتفق عليه حين ذم الكذب والكذابين، وعدّ ذلك من صفات المنافقين، ولكنه رخّص فيه إذا كان لا يمكن التوصل إلى الإصلاح بين المتخاصمين إلا عن طريقه، أو أنه سوف تفسد العلاقة الزوجية إذا لم يكن إلا الكذب وسيلة لذلك، والذي ينمي به الخير بين المتخاصمين، قال رسول الله ﷺ: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا**»[٣].

وينمي خيرًا أي: يبلّغ وينقل خبرًا فيه خير وإصلاح بين الناس.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٤، رقم ٢٧٥٤٨)، وأبو داود (٤/ ٢٨٠، رقم ٤٩١٩)، والترمذي (٤/ ٦٦٣، رقم ٢٥٠٩)، وقال: صحيح. وأخرجه أيضًا: ابن حبان (١١/ ٤٨٩، رقم ٥٠٩٢).

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٢٧، رقم ١٩٣)، وأحمد (١/ ١٦٤، رقم ١٤١٢)، وعبد بن حميد (ص ٦٣، رقم ٩٧)، والترمذي (٤/ ٦٦٤، رقم ٢٥١٠)، والشاشي (١/ ١١٤، رقم ٥٤)، وابن قانع (١/ ٢٢٣)، والبيهقي (١٠/ ٢٣٢، رقم ٢٠٨٥٤)، والضياء (٣/ ٨١، رقم ٨٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٩٥٨، رقم ٢٥٤٦)، ومسلم (٤/ ٢٠١١، رقم ٢٦٠٥).

وقال رسول الله ﷺ: «**لا يصلح الكذب إلا في ثلاث يحدث الرجل امرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب ليصلح بين الناس**» [(١)].

قال الطبري رحمه الله: «ذهبت طائفة إلى جواز الكذب لقصد الإصلاح وقالوا: إن الثلاث المذكورة كالمثال، وقالوا: الكذب المذموم إنما هو فيما فيه مضرة، أو ما ليس فيه مصلحة. وقال آخرون: لا يجوز الكذب في شيء مطلقا، وحملوا الكذب المراد هنا على التورية والتعريض كمن يقول للظالم: دعوت لك أمس، وهو يريد قوله اللهم اغفر للمسلمين. ويعد امرأته بعطية شيء ويريد إن قدر الله ذلك».

فوائد الإصلاح [(٢)]:

١- الإصلاح بين المؤمنين إذا تنازعوا واجب لا بد منه لتستقيم حياة المجتمع ويتجه نحو العمل المثمر .

٢- بالإصلاح تحل المودة محل القطيعة ، والمحبة محل الكراهية ولذا يستباح الكذب في سبيل تحقيقه .

٣- الإصلاح بين الناس يغرس في نفوسهم فضيلة العفو .

٤- الإصلاح منبه النفوس السامية ولذا كان النبي ﷺ يخرج بنفسه ويسعى للإصلاح بين الناس .

٥- اكتساب الحسنات والثواب الجزيل من جراء الإصلاح بين الناس .

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٩، رقم ٢٧٦٣٨)، والترمذي (٤/ ٣٣١ ، رقم ١٩٣٩) .

(٢) نضرة النعيم ج ٢.

٦- إصلاح ذات البين أفضل من نافلة الصيام والصلاة والصدقة .
٧- يثمر المغفرة للمتخاصمين عند المصالحة .
٨- عدم الإصلاح يؤدي إلى استشراء الفساد وقسوة القلوب وضياع القيم الإنسانية الرفيعة.
٩- الإصلاح بين الناس عهد أُخذ على المسلمين .

من مجالات الإصلاح بين الناس :

أولاً : النزاع بين الزوجين:

النزاع بين الزوجين يهدِّم كيان الأسرة، وربما أدّى إلى الطلاق والفراق، وتشتت الأولاد وضياعهم، إذًا فالإصلاح بينهما مطلوب، والله ﷻ يقول: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾[1].

فتصلح بين الزوجين، ولا سيما إن كنت من أقاربهما، فالإصلاح بينهما، والبحث عن مصدر الانشقاق والنزاع وعلاج القضية بما يدل عليه الكتاب والسنة، ويكون صلحك منفعةً للزوجين، لا تفضل أحدهما على الآخر، بل تعدل في إصلاحك بينهما، فَمَن مِنْه الخطأ والتقصير تحاول حثّه على تجنّب ذلك التقصير والخطأ، حتى تقرّب وجهة الزوجين فيما بينهما.

وعلى ضدّ ذلك السحرة وأعوانهم قال ﷻ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ

(١) سورة النساء: الآية ١٢٨.

هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾[١].

وقال ﷺ: «**ليس منا من خبب**[٢] **امرأة على زوجها أو عبدا على سيده**»[٣]. فالمصلح بين الناس هو بخلاف أولئك، يسعى لتقريب وجهة الزوجين بعضهما مع بعض.

الإصلاح بين الأب وأولاده:

قد يكون بين الأب وأولاده شيء من الاختلاف والنزاع، فلا بُدّ من إصلاحٍ بينهما، حث الأولاد على بِرّ الأب، والإحسان إلى الأب، والقيام بحقه، ثم الالتفات إلى الأب إن كان هو سبب النزاع والشقاق، وحثّه على القيام بالواجب، والعدل بين الأولاد، والبعد عن ما يسبب القطيعة فيما بينهما.

الإصلاح بين ذوي القربى:

تُصلح بين الأرحام، وتوفّق بينهما، وتحاول جاهدًا أن تبذل النصيحة لكل من الرحم، وتذكّرهم صلة الرحم، وأهميتها، وأنها من واجبات الإسلام، وأنها مما يحبه الله ويرضاه، ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾[٤]. فتحاول جاهدًا الإصلاح بينهم.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

(٢) **خبب**: أي خدع وأفسد.

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٥٤، رقم ٢١٧٥)، والحاكم (٢/ ٢١٤، رقم ٢٧٩٥) وقال: صحيح على شرط البخاري. والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٦٧، رقم ٥٤٣٣).

(٤) سورة الرعد: الآية ٢١.

الإصلاح بين الجيران:

وقد ينشأ الخلاف بين الجيران أحيانًا، فلا بد من إصلاح بينهما، وبحث المشكلة التي سبّبت هذا النزاع، وتذكير الجيران بحق الجوار، وما أمر الله به من إكرام الجار، والنهي عن أذاه، فعسى أن يوفق في ذلك.

من فقه الإصلاح ومسالكه:

للإصلاح فقه ومسالك، دلت عليها نصوص الشرع، وسار عليها المصلحون المخلصون، وهي فيما يلي:

إخلاص النية:

إن من فقه الإصلاح النية، وابتغاء مرضاة الله، وتجنب الأهواء الشخصية والمنافع الدنيوية. فإذا تحقق الإخلاص حل التوفيق، وجرى التوافق، وأنزل الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، وقد قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» الحديث [(١)].

أما من قصد بإصلاحه الترؤس والرياء وارتفاع الذكر والاستعلاء فبعيد أن ينال ثواب الآخرة، وحري ألا يحالف التوفيق مسعاه، قال الله ﷻ: ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [(٢)].

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣، رقم ١)، ومسلم (٣/ ١٥١٥، رقم ١٩٠٧).

(٢) سورة النساء: الآية ١١٤.

سلوك مسلك السر والنجوى:

فلئن كان كثير من النجوى مذمومًا فإن ما كان من صدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس فهو محمود مستثنى، كما يتضح من الآية السابقة.

وهذا فقه في الإصلاح دقيق، فلعل فشل كثير من مساعي الصلح ولجانه بسبب فشو الأحاديث، وتسرب الأخبار، وتشويشات الفهوم، مما يفسد الأمور المبرمة والاتفاقيات الخيرة.

إن من الخير في باب الإصلاح أن يسلك به مسلك النجوى والمسارة، فمن عرف الناس وخبر أحوالهم لا سيما فيما يجري بينهم من منازعات وخصومات وما يستتبع ذلك من حبٍّ للغلبة وانتصار للنفس أدرك دقة هذا المسلك وعمق هذا الفقه. فمن الناس من يأبى أن يسعى في الصلح فلان أو فلانةُ، وآخر يصر على أن تكون المبادرة من خصمه.

وتمشيًا مع هذه المسالك السرية والتحركات المحبوكة أذن الشارع للمصلح بنوع من الكذب في العبارات والوعود، فقال ﷺ: «**ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا، أو يقول خيرًا**»[1].

وقال ﷺ: «**لا يصلح الكذب إلا في ثلاث؛ رجل يصلح بين اثنين، والحرب خدعة، والرجل يصلح امرأته**»[2].



(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٥٨، رقم ٢٥٤٦)، ومسلم (٤/ ٢٠١١، رقم ٢٦٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٣١، رقم ١٩٣٩).

الأمانة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن الأمانة سر الإيمان، من تركها ضلّ، ومن غابت عنه غوى وأخلّ، وإن من عظم شأنها وجلال خطرها، أن عرضها المولى ﷻ على أعظم مخلوقاته، وحملها الإنسان، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [1].

والأمانة فضيلة من أشرف الفضائل، والعمل بها كرامة، وشرف، وتقوى، وصلاح، وإيمان خالص لرب العالمين، ورأفة ورحمة بالخلائق، وكان العرب يفتخرون بها، ويعدونها مكرمة، حتى أنهم كانوا يطلقون على النبي الكريم ﷺ قبل بعثته لقب (**الأمين**)، لما اشتهر عنه من الأمانة في القول والعمل.

تعريف الأمانة:

الأمانة ضد الخيانة[2]، وهي تطلق على كل ما عهد به إلى الإنسان من التكاليف الشرعية كالعبادة، والوديعة.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

(٢) مختار الصحاح. ص٢٦.

ومن الأمانة: الأهل والولد، وكل ما فرض الله ﷻ على العباد فهو أمانة، كالصلاة والزكاة والصيام وأداء الدين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار.

فمَعنى الأمانَةِ في الإسلام عَامّ، يتضمَّن التكاليفَ الشرعيّة والواجباتِ الإسلاميّة، فالأمانة جزءٌ من إيمانِك، فلا إيمانَ لمن لا أمانةَ له.

هذهِ الأمانةُ تكون معَ المسلمِ في معاملَتِه معَ ربِّه، وفي تعامُله مع نفسه، وفي سائرِ التّعامُل مع عبادِ الله.

عناية الإسلام بالأمانات:

أمر الإسلام بحفظِ الأمانة ورِعايَتِها:

وفرَض أداءَها والقِيامَ بحقِّها كما قال ﷻ: ﴿**فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ**﴾[(١)]، وقال ﷻ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا**﴾[(٢)]، وقال ﷻ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[(٣)].

وقال ﷺ: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها، أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**»[(٤)].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٧.

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤١، رقم ٢٢٥٧).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني أبو سفيان رضي الله عنه أن هرقل قال له: سألتك: ماذا يأمركم؟ فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. قال: وهذه صفة نبي»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»[(٢)].

أداء الأمانة من سمات المؤمنين:

فالأمانة من أبرز أخلاق الرسل عليهم السلام، ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قد كان في قومه قبل الرسالة وبعدها مشهورًا بينهم بأنه الأمين، وكان الناس يختارونه لحفظ ودائعهم عنده. ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وَكَّلَ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه برد الودائع إلى أصحابها.

وجبريل عليه السلام هو أمين الوحي، وقد وصفه الله بذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[(٣)].

والأمانة كذلك صفة المؤمنين العاملين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٥٢، رقم٢٥٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ (٤/ ٣٦٠) وأبو داود (٣/ ٢٩٠، رقم ٣٥٣٥)، والترمذي (٣/ ٥٦٤، رقم ١٢٦٤) وقال : حسن غريب، والحاكم (٢/ ٥٣، رقم ٢٢٩٦) وقال : صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي . والبيهقي (١٠/ ٢٧١، رقم ٢١٠٩٢) .

(٣) سورة الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤.

﴿ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾.[(١)]

وقال في سورة المعارج: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴾[(٢)]، إلى أن قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴾[(٣)].

والأمانة ضد الخيانة، خير أمناء البشر هو نبينا محمد ﷺ وقد شهد على ذلك أعداؤه (قريش) وإليك هذه القصة شاهدًا على ذلك :

لما أصيبت مكة بسيل قبل البعثة، فتأثرت الكعبة كثيرًا، مما دفع قريشا لهدم الكعبة وإعادة بنائها، فلما فعلوا وانتهوا إلى موضع الحجر الأسود اختلفوا في رفعه وأراد كل فريق أن يذهب بشرف وضعه في مكانه، وزعمت كل قبيلة أنها أحق بذلك الشرف حتى كاد ينشب بينهم القتال.

وظلوا على تلك الحال بضع ليال، ثم تشاوروا فأشار عليهم أبو أمية حذيفة بن المغيرة وكان أسنّ قريش، بأن يُحكِّموا أول من يطلع عليهم من باب بني شيبة، فرضوا بذلك فطلع عليهم محمد ﷺ، فلما رأوه قالوا: «هذا الأمين».. إلى آخر القصة وهذا هو الشاهد أنه ﷺ عُرف بأمانته قبل البعثة وبعدها[(٤)].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٨.

(٢) سورة المعارج: الآيتان٣٢، ٣٣.

(٣) سورة المعارج: الآية ٣٥.

(٤) نضرة النعيم: ١- ٢٠٠.

تضييع الأمانة عند اقتراب الساعة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة**». قيل: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «**إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[(١)]، والمراد برفعها إذهابها بحيث يكون الأمين معدومًا أو شبه المعدوم[(٢)].

تضييع الأمانة من ضعف الإيمان:

فالأمانةُ تحمِلُها إن كنتَ مؤمنًا صادقًا، فكلّما قُمتَ بِواجبِ هذهِ الأمانةِ دلَّ على صفاءِ قلبِك وتمكُّنِ الإيمانِ مِنك، وكلّما ضعُفَ أداؤك للأمانةِ دلّ على ضَعفِ الإيمان في القلبِ، يقول أنسٌ رضي الله عنه: إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يَقول: «**لا إيمانَ لمن لا أَمانةَ له، ولا عَهدَ لمن لا دِينَ له**»[(٣)]، فلا أمانةَ لمن لا إيمانَ له، فاقدُ الإيمان لا يمكِن أن يؤدِّيَ أمانة، فاقدُ الدّين لا يلتزِم عهدًا ولا يفِي بميثاق.

تضييع الأمانة من خصال المنافقين:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث**

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨٢، رقم ٦١٣١).

(٢) فتح الباري: (١١-٣٤١).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥، رقم ١٢٤٠٦)، وعبد بن حميد (ص ٣٦١، رقم ١١٩٨)، وأبو يعلى (٥/ ٢٤٦، رقم ٢٨٦٣)، وابن حبان (١/ ٤٢٢، رقم ١٩٤)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٩٨، رقم ٢٦٠٦)، والبيهقي (٦/ ٢٨٨، رقم ١٢٤٧٠)، والضياء (٥/ ٧٣، رقم ١٦٩٩). والقضاعي (٢/ ٤٣، رقم ٨٤٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٧٨، رقم ٤٣٥٤).

كذب وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» [١].

مجالات الأمانة:

قال العلماء: «والمجالات التي تدخل فيها الأمانةُ كثيرةٌ، قاعدتها وأصلُها التكاليف والحقوقُ التي أمر الله ﷻ بِرعايتها وصِيانتها، ممّا هو متعلِّق بالدِّين أو النّفوس أو العقول أو الأموال أو الأعراض» [٢].

فالأمانة منها أمانات في العبادة، وأخرى في المعاملة، فالأمانة في العبادة أن تقوم بطاعة الله تعالى مخلصًا له متبعًا لرسوله ﷺ، وأما الأمانة في المعاملة فعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به من النصح والبيان، وأن تكون حافظًا لحقوقهم المالية وغير المالية من كل ما استؤمنت عليه لفظًا أو عرفًا.

الأمانة في النصيحة:

ومِن الأمانة الواجِب مراعاتُها والقِيام بحقِّها إسداءُ النصيحةِ لمن استَنصَح، وإبداءُ الرأيِ السديد المتجرِّدِ من كلِّ غَرَض لمن استشار، فنبيُّنا يقول: «**المستَشار مؤتَمَن**» [٣]. ويقول ﷺ: «**ومَن استشارَه أخوه المسلمُ فأشار عليهِ بغيرِ رشدٍ فقد خانَه**» [٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢١، رقم ٣٣)، ومسلم (١/ ٧٨، رقم ٥٩)، و آية: أي: علامة.

(٢) انظر التفسير الكبير (ج ١٥ / ص ١٢٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٣٣ ، رقم ٥١٢٨) ، والترمذي (٥/ ١٢٥ ، رقم ٢٨٢٢) وقال : حسن . وابن ماجه (٢/ ١٢٣٣ ، رقم ٣٧٤٥) ، والبيهقي (١٠/ ١١٢ ، رقم ٢٠١٠٩) .

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ١٠٠)، وصححه الألباني.

الأمانة في مجال العبادة:

الصلوات الخمس ائتمِنتَ على طهارتها، كما ائتمِنتَ على أدائها، فطهارتها أمانةٌ في عنقك، إن أخللتَ بشيءٍ منها كنتَ خائنًا لشيءٍ من أمانتِك. رأَى النبيّ بَعضَ أَصحابه تَلوح أعقابهم لم يصِبها الماء فنادى: «**ويلٌ للأعقاب من النار**»(١).

وأنتَ مؤتمَنٌ على صلواتِك الخمس مِن حيث الوقتُ، فتؤدّيها في الوقتِ الذي شَرعَ الله فيه أداءها، ولا تؤخّرها تكاسُلًا وتهاوُنًا فتكونَ من الخاسرين، فأنت مؤتمَنٌ على أركانها وواجباتها وجميعِ متطلَّباتها لتكونَ ممن أدّى الصلاةَ على الحقيقة.

وزكاةُ مالك أمانةٌ في عنُقك، واللهُ سائلك عن ذلك يومَ لِقاه، فإن أَحصيتَ المالَ وعَرفتَ قدرَ الزّكاة وراقبتَ الله في ذلكَ فأخرجتَ زكاةَ أموالكَ كاملةً تامّة ثمّ أوصَلتها إلى مستحقّيها دِيانةً وأمانةً كنتَ ممن أدّى أمانةَ هذه الزكاة.

وصومُك لرمضانَ أمانة وسرٌّ بينك وبين ربّك، لا يطَّلع عليه إلاّ الله، فالسّعيد من حفِظَ صومَه في سِرِّه وعلانيته، ولذا عظُم فضلُ الصيام، وقال الله سبحانه وتعالى فيه: «**كلُّ عمَل ابن آدم له؛ الحسنةُ بعشر أمثالها، إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٣، رقم ٦٠)، ومسلم (١/ ٢١٤، رقم ٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٦٧٠، رقم ١٧٩٥)، ومسلم (٢/ ٨٠٧، رقم ١١٥١).

والحجُّ أمانة فتؤدّي شعائرَه كما أمَرك ربّك ﷻ، وكما شرَع لك نبيّك ﷺ.

الأمانة في مجالات الواجبات الاجتماعية:

الأبَوان أمانةٌ في أعناقِ الأبناء والبنات، لا سيّما بعد كِبَر سنّهما وضَعف قوّتهما وعجزهما عن القيام بشؤونهما، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [١].

فإن أدّيتَ الأمانةَ ورعيتَ البرَّ والإحسانَ كنتَ من المؤمنين، وإن خُنتَ تلك الأمانة وأعرضتَ عن الأبوين أو أهملتهما أو ضيَّعتهما أو عهِدتَ بهما إلى غيرك تخلُّصًا منهما وزُهدًا فيهما لم تؤدِّ تلك الأمانة الصّادقة. ورحمُك أمانةٌ في عنُقك، في الصّلةِ التي أمرك الله بها، وحذّرك من قطيعةِ رحمك.

وجارُك أمانة عندك و«**لا إيمان لمن لم يأمَن جاره بوائقَه**» [٢].

والأبناءُ والبَناتُ أمانةٌ في أعناقِ الآباء من حيث التربيةُ، ومن حيثُ النفَقَة، ومن حيث الرعايةُ، ومن حيث القيام بالواجب وحِفظُ إيمانهما وكرامتِهما، فالأبناء والبناتُ أمانة في أعناقِ الآباء والأمّهات، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [٣].

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان ٢٣ – ٢٤.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٦٨، رقم ٤٦).

(٣) سورة التحريم: الآية ٦.

فمن ضيَّع الأبناء والبناتِ فقد خان أمانتَه، إن فضَّل بعضهم على بعض، إن أهمل التربيةَ، إن لم يقبلِ الكفء للفتيات، إن ردَّ الأكفاء ولم يقبلها، أو زوَّج من لا كفاءةَ له، كان من الخائنِين في تلكم الأمانة.

وقبل كل ما سبق فإن نفسَك التي بين جنبَيك أنت مؤتَمن عليها، قد حذّرك الله من قتلِ نفسك: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وفي الحديث: «**من قتَل نفسَه بشيءٍ عذِّب به يومَ القيامة**»[1].

أمانة الوظائف:

ومن الأمانات العامّةِ التي يجب تقوَى الله ﷻ فيها الوظائفُ بشتَّى أنواعها والمسؤوليَّات بمختَلفِ صوَرِها، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسولَ الله، ألا تستعمِلُني؟! قال: فضَرَب بيدِهِ على منكِبي ثم قال: «**يا أبا ذرّ، إنّك ضعيف، وإنها أمانةٌ، وإنها يومَ القيامة خِزيٌ وندامة، إلاّ من أخذها بحقِّها وأدَّى الذي عليه فيها**»[2]. وقال النبي ﷺ: «**ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيّةً يموت يومَ يموت وهو غاشٌّ لرعيَّته إلاّ حرَّمَ الله عليه الجنة**»[3].

أمانة الأموال العامة:

من أعظمِ ما يُؤتمَن عليه الإنسانُ الأموالُ العامّة التي تعود للمسلِمين قاطِبَة، فرَضَ الله رعايَتَها وعدَمَ إهدارِها، وأوجَبَ حفظَها كما يحفظ الإنسان

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٧٩، رقم ٥٤٤٢)، ومسلم (١/ ١٠٣، رقم ١٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٥٧، رقم ١٨٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦١٤، رقم ٦٧٣١)، ومسلم (٣/ ١٤٦٠، رقم ١٤٢).

مالَه وأشدّ، قال ﷺ في حديث طويلٍ: «**ومَن استعمَلناه منكم على عمَلٍ فكتمَنا مخيطًا فما فوقه كان غُلولًا يومَ القيامة**»[١].

وقد مدَح الأمينَ على أموال المسلمين فقال: «**الخازن الأمين الذي يؤدِّي ما أمِر به طيِّبةً نفسُه أحَدُ المتصدِّقين**»[٢].

أمانة الولاية:

ومِنَ الأمانات العظيمةِ أن لاَ يوسَّدَ أمرٌ من أمور المسلمين إلاّ فيمن يُتَوخَّى فيه خوفُ الله جل وعلا، وممّن توفَّرت فيهم شروطُ الصلاحيّة العلميّة والعملية والأمانةُ على تأديَة الواجب الملقَى، فربُّنا جلّ وعلا يقول حكايةً عن عفريتِ الجن: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ﴾[٣].

وقال حكايةً عن بنت شعيبٍ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾[٤].

ويقول عن يوسف عليه السلام: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[٥].

وفي حديث حذيفةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأهلِ نجران: «**لأبعثَنّ إليكم**

(١) أخرجه مسلم (٦/ ١٢، رقم ١٨٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥٢١، رقم ١٣٧١)، ومسلم (٢/ ٧١٠، رقم ١٠٢٣).

(٣) سورة النمل: الآية ٣٩.

(٤) سورة القصص: الآية ٢٦.

(٥) سورة يوسف: الآية ٥٥.

رَجلًا أمينًا حقَّ أمين» [١]. فاستشرَفَ لها أصحابُ رسول الله، فبَعث أبا عبيدةَ.

خطورة ضياع الأمانة:

وإنَّ من علامات سوء الزمان وفسادِ المجتمع وخُبث السّرائر ضياعَ الأمانة والتّفريطَ في الرِّعاية والتّهاوُن في المسؤولية واتِّخاذَ المصالح الخاصّة الهدفَ والغاية ونبذَ المصالح العامّةِ من أجل المصالحِ الخاصّة والمنافع الذاتيّة، ففي مقامِ الذمّ يقول النبي ﷺ: «**إنَّ الله يبغِض الفحشَ والتفحُّش. والذي نفسُ محمّد بيدِه، لا تقوم الساعة حتى يُخوَّنَ الأمين ويؤتَمَن الخائن، حتى يظهَر الفُحش والتفحُّش وقطيعةُ الأرحام وسوءُ الجوار**» [٢].

وقال النبي ﷺ: «**فإذا ضيِّعَت الأمانة فانتظِرِ الساعةَ**»، قال: كيف إضاعتُها؟ قال: «**إذا وُسد الأمرُ إلى غير أهلِه فانتظرِ الساعة**» [٣].

فيا من تحمَّلَ مسؤوليّةً من مسؤوليات المسلمين مِن الوظائف والأعمال والمهامِّ والمسؤوليّات، لقد استرعَاكم ربُّكم جل وعلا ثمّ وليُّ الأمر مسؤوليّاتٍ جسامًا، واجبٌ عليكم تقوَى الله ﷻ فيها ورِعايةُ هذِه المسؤوليّات، عليكم

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٠٠ ، رقم ٢٣٤٤٥)، والحاكم (٣/ ٢٩٧ ، رقم ٥١٥٦) ، وابن عساكر (٢٥/ ٤٥٨ ٩) .

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٥٨ ، رقم ٨٥٦٦) وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه أيضًا : عبد الرزاق (١١/ ٤٠٤ ، رقم ٢٠٨٥٢) والحسين بن الحسن المروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك (ص ٥٦٠ ، رقم ١٦١٠) ، وأحمد (٢/ ١٦٢ ، رقم ٦٥١٤) ، والبزار (٦/ ٤٠٩ ، رقم ٢٤٣٥) .

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٣٣ رقم ٥٩).

فَرضٌ عظيم بالقِيام بهذه المسؤوليّات بما يُرضِي الله ثم يرضِي وليَّ الأمر وعامّةَ المسلمين، إيّاكم وتسخيرَ هذه المسؤوليات في مصالحَ خاصّةٍ أو منافع ذاتيّة.

واحذَروا من التهاونِ في مقاصِدِ هذه المسؤوليّات وأهدافِها، فلقد ائتَمَنكم وليُّ الأمر ثمّ المسلمون من بعده على هذهِ المسؤوليّات لتسخِّروها في النفعِ العامّ وتحرِصُوا على الدقيقِ والكبير فيما يعودُ بالمصلَحة والمنفعةِ لكلّ مسلم، ارفقُوا بالمسلمين، اقضُوا حاجاتِهم، سهِّلوا عليهم، احذَروا من إعنَاتِهم والمشقَّة عليهم، يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا، وإياكم وخيانة أماناتكم، فلقد قال ﷺ: «**لكلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامة، يُرفَع له بقدر غَدرِه، ألا ولا غادرَ أعظم غَدرًا من أميرِ عامّة**» (١).

قال العلماءُ: «لأنَّ أميرَ العامّة ـ وهو صاحبُ الوِلايةِ العامّة من حاكمٍ عامّ أو وزيرٍ ونحوِه ـ لأنّ غدرَه يتعدّى ضرره إلى خلقٍ كثير» (٢).

أمانة الدعوة:

ومِن الأمانةِ العظيمةِ على كلِّ مسلم في هذه الأرض حملُ هذا الدينِ، وإبراز محاسنِه العِظام وفضائِله الجسام، وإفهامُ العالم كلِّه بالعِلم والعمَل بالسلوك والمظهر أنَّ هذا الدينَ خير ورحمةٌ عامّة للبشرية، وصلاحٌ للعالَم، وأنه يحمِل السعادة والسّلام والفوزَ والنجاة في الدنيا والآخرة.

وإنّ من الأمانة العظيمةِ على العلماء تبصيرَ المسلمين بسنّةِ نبيِّنا محمّد ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٦١ ، رقم ١٧٣٨) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (ج١٢/ ص٤٣).

وهديِ صحابته ﷺ، ففي ربيعٍ الأول ينتَشِر بين الناس ما يُسمَّى بالمولد النبويّ، في حفلاتٍ تعبّديّة.

وإنّ محبّةَ سيِّدِنا ونبيّنا وحبيبِنا محمّد ﷺ لرُكنٌ من أركان الدّين وأساس من أسُسِه المتينة، لا يستقيم إيمانٌ إلاّ بالمحبّة لشخصِه وسنّته -عليه أفضل الصلاة والسلام-، ولكن لا يجوز التقرُّب بشيءٍ لم يشرَعه لنا سيّدنا وحبيبُنا ﷺ، ولم يعمَله صحابته المهديّون الطّاهرون ﷺ.

فمن زعَم إحداثَ قربةٍ ليس فيها برهانٌ من القرآن أو حجّة من السنّة أو هدي من الخلفاء الراشدِين أو إجماع مِن الصحابة المهديِّين فقد زعم أن محمَّدًا قد خانَ الرسالةَ كما قاله الإمامُ مالك [1].

الشباب أمانة:

ومِن الأمانة العظيمةِ شبابُ الإسلام. فيا علماءَ المسلمين ويا مفكِّريهم، يا دعاةَ الإسلام، يا رجالَ الإعلام والتربيّة، اتقوا الله جل وعلا في الشباب، وجِّهوهم لما فيه خيرُهم وخير بلدانهم وما فيه مصالِحُهم ومصالِح أمَّتهم، فقِّهوهم مقاصدَ الإسلام، وجِّهوهم لمضامين العقيدة الصحيحة ومبادئ الأخلاق المستقيمَة والأفكار السليمةِ، بصِّروهم بخطورَةِ الآراءِ المنحرِفة مثل الغلوّ والأفكارِ المتطرّفة وتبنِّي التكفير والتّبديع والتفسيق بدون حجّةٍ قرآنيّة وسنّة نبويّة وفهمٍ سديد على منهَج علماء الأمّة، «**ألا كُلُّكُمْ راعٍ ، وكُلُّكُمْ**

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (ج ٦/ ص ٢٢٥)، والفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش) (ج ٤ / ص ٣٥٥)، والاعتصام (ج ١ / ص ٤٩).

مَسؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ ، الأمِيرُ الذي على النَّاسِ ، والرجلُ على أَهل بيتِهِ ، وهو مَسؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ ، والمرأةُ رَاعِيَةٌ على أَهْلِ بَيْتِ زوجها ، وولدِهِ ، وهي مسؤولَةٌ عنهم ، وَعَبدُ الرَّجل راعٍ على مال سيِّدِهِ ، وهو مَسْؤولٌ عنه، ألا كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وكُلُّكُمْ مَسؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ» [(١)].

حذّروا الشبابَ من المعاصِي بأنواعها، ومن الآثامِ بشتَّى أشكالها، وعلَى رجالِ الأعلام خَطرٌ عظيمٌ مما يقَع في قنواتٍ كثيرة من برامجَ تحمِل السُّمّ الزُّعاف والشرَّ المستطير لإفساد أخلاقِ شبابِ الإسلام وشابّاتهم، حتى وصَلَ الأمر إلى جمع الشّبابِ والشابّات في مكانٍ واحد لغسلِ الأدمِغة وتعليم الأغاني الماجِنَة والأخلاقِ الرَّديَّة.

فليتذكَّر أولئك المالِكون لهذه القنواتِ عِظَمَ الموقف بين يدَيِ الله ﷻ، وليتذكَّروا أن الدّنيا دارُ ممرّ والآخرة هي المستقرّ، وليتفكّروا في هذهِ الآيةِ العظيمة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾[(٢)].

أمانة الفتوى:

ومن الأمانة العظيمة التي يتحمّلها العلماء أمانةُ الفتوى، فالواجب على من صدَّر نفسه للفتوى أن يعلم عِظمَ الأمانة، وأن الأمر جِدٌّ خطير، فالفتوى الصادرة عن عدم علمٍ دقيق وفقه عميق بالحكم وعن عدم فهمٍ شامل للوقائع

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤٨ ، رقم ٢٢٧٨) ، ومسلم (٣/ ١٤٥٩ ، رقم ١٨٢٩).

(٢) سورة النور: الآية ١٩.

المطروحة والنوازل الواقعة المراد تنزيل الشريعة عليها يُعدُّ من عظائم الأمور، فما حصلت الانحرافات في الأمّة إلاّ بسبب التصدّر للفتوى بلا علم بالأمرين المذكورين.

وقد حذّر ربنا ﷻ من القول عليه بلا علم، ونبيُّنا ﷺ يقول فيما صحَّ عنه: «**ومن أفتيَ بفُتيا بغير علمٍ كان إثمه على من أفتاه**» (١).

وليُعلَم أنَّ أشدّ الأمور إثمًا وأعظمها خطرًا تلك الفتاوى التي تصدر بلا علمٍ بالحكم أو بلا علمٍ بالواقع، ويترتّب عليها حينئذٍ ما لا يمكن أن يُتدارَك خطره ولا يستدرك ضرره.

ومن أخطر هذه الفتاوى التي تصدر بالتكفير ونحوه، فليتّق اللهَ العلماءُ، وليتذكّروا سيرةَ سلف هذه الأمة، فلقد كان واقع حالهم ما ذكره أبو حصين قال: «إنَّ أحدكم يقول هذا القول وهو في عصر العلم الصحيح، إنَّ أحدكم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر - وهو من هو في العلم والعمل - لجمع لها أهل بدر» (٢).

وإنّ جميعَ الغيورِين على هذا الدِّين ليُنادون المجامعَ العلمية في العالم كلِّه بالمسارعة إلى تبنِّي الفتاوى الإجماعية في كلِّ مسألة نازلةٍ مهما كان نوعها؛ لقطع الطريق على الفتاوى الأحاديّة التي تصدر في قنوات فضائية وغيرها، في

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٢١ ، رقم ٣٦٥٧) ، والحاكم (١/ ١٨٤ ، رقم ٣٥٠) وقال : احتج الشيخان برواته . والبيهقي (١٠/ ١١٦ ، رقم ٢٠١٤٠) .

(٢) قوت القلوب (١/ ٢٣٠)، وإبطال الحيل (١/ ٦٢)، والمدخل إلى السنن الكبرى (١/ ٤٣٤)، وإحياء علوم الدين (١/ ٧٠)، وتاريخ مدينة دمشق (٣٨/ ٤١١).

مشاكل دينية أو دنيوية، حتى لا يُفتح المجال لمن قلَّ فقهه وانعدم ورعه، قال ابن أبي ليلى: «لقد أدركتُ عشرين ومائةً من أصحاب رسول الله ﷺ، ما مِنهم مفتٍ إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا»[1].



(١) الزهد لابن المبارك (١ / ١٩)، والطبقات الكبرى (٦ / ١١٠)، وسنن الدارمي (١/ ٦٥)، والمعرفة والتاريخ (٣ / ١١٤)، والفقيه والمتفقه (٢ / ٢٤)، وتلبيس إبليس (١/ ١٤٧).

آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فقد قال تعالى ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١).

تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف: هو الترغيب في كل ما ينبغي قوله، أو فعله طبقًا لقواعد الإسلام.

النهي عن المنكر: وهو الترغيب في ترك ما ينبغي تركه، أو تغيير ما ينبغي تغييره، طبقًا لما رسمه الإسلام(٢).

وقال ابن حجر الهيثمي رحمه الله: «المراد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بواجب الشرع، والنهي عن محرماته» (٣).

ويقول ابن منظور في لسان العرب(٤): «قد تكرر ذكر المعروف في

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.
(٢) الإسلام وأوضاعنا السياسية: ص ٧١.
(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ١٤٦).
(٤) لسان العرب في مادتي «ع ر ف، ن ك ر».

الحديث، وهو اسمٌ جامعٌ لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، والمنكر ضد المعروف، وهو كل ما قبّحه الشرع وحرّمه وكرهه فهو منكر»(١).

مشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يقول العلامة سيف الدين الآمدي: «ما من أمة إلا وقد أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر كنهيهم عن الإلحاد وتكذيب أنبيائهم»(٢)، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سنة الأمم جميعًا، هذا وقد تضافرت النصوص في الكتاب والسنة والإجماع على فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشريعة الإسلامية، وفيما يلي ذكرٌ لبعض تلك النصوص:

الأدلة من الكتاب على مشروعية الاحتساب:

قوله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٣). **قال الشوكاني:** «وفي الآية دليلٌ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(٤).

١- **قوله ﷻ:** ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ

---

(١) أهمية الحسبة في النظام الإسلامي - (ج ١ / ص ٥)، وانظر تذكير أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للشيخ عبد الله القصير، ص ٩ – ١٠. وانظر الآداب الشرعية (ج ١ / ص ١٥٨).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي (ج١/ ص ٣٠٨).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٤) فتح القدير (ج١ / ص٣٦٩).

مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحِۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[(١)].

قال مجاهد: «هذه الآية عامة للناس يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال البر»[(٢)].

٢- وقال ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[(٣)].

قال ابن كثير: «فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح، كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها رأى من الناس دعة فقرأ هذه الآية: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾، ثم قال: من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها»[(٤)].

٣- وقال ﷻ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[(٥)].

قال الشوكاني: «من أخلّ بواجب النهي عن المنكر فقد عصى الله سبحانه

---

(١) سورة النساء: الآية ١١٤.

(٢) تفسير الواحدي (ج١/ ص٢٨٩)، وتفسير البغوي (ج١/ ص٤٧٩).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٤) تفسير ابن كثير (ج١ / ص٣٩٧).

(٥) سورة المائدة: الآيتان ٧٨ – ٧٩.

وتعدى حدوده والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم القواعد الإسلامية وأجل الفرائض الشرعية ولهذا كان تاركه شريكا لفاعل المعصية ومستحقًّا لغضب الله وانتقامه»[١].

٤- وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[٢].

قال السعدي: «وهكذا سنةُ الله في عباده، أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر»[٣].

٥- وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٤].

٦- قوله تعالى: ﴿يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٥].

الأدلة من السنة على مشروعية الاحتساب:

١- قوله ﷺ: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[٦].

---

(١) فتح القدير (ج٢ / ص٦٦).

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٦٥.

(٣) تفسير السعدي (ج١ / ص٣٠٧).

(٤) سورة الحج: الآية ٤١.

(٥) سورة لقمان: الآية ١٧.

(٦) أخرجه الطيالسي (ص ٢٩٢، رقم ٢١٩٦)، وأحمد (٣/ ٤٩، رقم ١١٤٧٨)، وعبد بن

عن عبد الله بن جرير البجلي رضي الله عنه عن أبيه أن النبي ﷺ قال: « **ما من رَجُلٍ يَكُونُ في قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي يَقْدِرُونَ على أَنْ يُغَيِّرُوا عليه فلا يُغَيِّرُوا إلا أَصَابَهُمْ الله بِعَذَابٍ من قَبْلِ أَنْ يَمُوتُوا**»[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ ما دخل النَّقْصُ على بَنِي إِسْرَائِيلَ كان الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فيقول: يا هذا اتَّقِ الله وَدَعْ ما تَصْنَعُ فإنه لَا يَحِلُّ لك، ثُمَّ يَلْقَاهُ من الْغَدِ فلا يَمْنَعُهُ ذلك أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ؛ فلما فَعَلُوا ذلك ضَرَبَ الله قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ثُمَّ قال:** ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿ فَٰسِقُونَ ﴾[(٢)]، **ثُمَّ قال: كَلَّا والله لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عن الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ على يَدَيْ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ على الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ على الْحَقِّ قَصْرًا**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**إِنَّ الناس إذا رَأَوْا الظَّالِمَ فلم يَأْخُذُوا على يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ**

حميد (ص ٢٨٤ ، رقم ٩٠٦) ومسلم (١/ ٦٩ ، رقم ٤٩) وأبو داود (١/ ٢٩٦ ، رقم ١١٤٠) ، والترمذي (٤/ ٤٦٩ ، رقم ٢١٧٢) وقال : حسن صحيح . والنسائي (٨/ ١١١ ، رقم ٥٠٠٨) ، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٠ ، رقم ٤٠١٣) ، وابن حبان (١/ ٥٤١ ، رقم ٣٠٧) . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (٢/ ٢٨٩ ، رقم ١٠٠٩) ، والبيهقي (١٠/ ٩٠ ، رقم ١٩٩٦٦) ، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٨) .

(١) أخرجه البيهقي (١٠/ ٩١ ، رقم ١٩٩٧٨) . وأبو داود (٤/ ١٢٢ ، رقم ٤٣٣٨).

(٢) سورة المائدة: الآية ٨١.

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ١٢١ ، رقم ٤٣٣٦) ، والبيهقي (١٠/ ٩٣ ، رقم ١٩٩٨٣) .

يَعُمَّهُمْ الله بِعِقَابٍ»[١].

وقال ﷺ: «**ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عن الْمُنْكَرِ، حتى إذا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كل ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ يَعْنِي بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ، فإن من وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فيه مِثْلُ قَبْضٍ على الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ**»، قيل: يا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ منهم؟ قال: «**أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**»[٢].

وكان النبي ﷺ يبايع أصحابه على النصح لكل مسلم، وأن يقولوا بالحق أينما كانوا، ولا يخافون لومة لائم[٣]، ومن ذلك ما جاء عن جرير بن عبد الله

---

(١) أخرجه الحميدي (١/ ٣ ، رقم ٣) ، وأبو داود (٤/ ١٢٢ ، رقم ٤٣٣٨) ، والترمذي (٤/ ٤٦٧ ، رقم ٢١٦٨) وقال : صحيح . وابن ماجه (٢/ ١٣٢٧ ، رقم ٤٠٠٥) ، والبيهقي (١٠/ ٩١ ، رقم ١٩٩٧٦) ، وأخرجه أيضًا : النسائي في الكبرى (٦/ ٣٣٨ ، رقم ١١١٥٧) .

(٢) سنن أبي داود (ج٤ / ص١٢٣)، وسنن الترمذي (ج٤ / ص٤٦٧)، وسنن ابن ماجه (ج٢ / ص١٣٢٧)، ومسند أحمد بن حنبل (ج١ / ص٢)، وصحيح ابن حبان (ج١/ ص٥٣٩)، والمستدرك على الصحيحين (ج٤/ ص٣٥٨)، وسنن النسائي الكبرى (ج٦ / ص٣٣٨)، وسنن البيهقي الكبرى (ج١٠ / ص٩١)، ومسند أبي يعلى (ج١/ ص١١٨)، والمعجم الكبير (ج٢٢/ ص٢٢٠)، ومسند الحميدي (ج١ / ص٣)، والآحاد والمثاني (ج١ / ص٩٢)، ومسند عبد بن حميد (ج١/ ص٢٩)، ومسند الشاميين (ج١/ ص٤٢٨)، ومصنف ابن أبي شيبة (ج٧ / ص٥٠٤)، ومسند أبي يعلى (ج١/ ص١٢٠)، والمعجم الكبير (ج٢٢/ ص٣١٧)، وسنن البيهقي الكبرى (ج١٠/ ص٩١).

(٣) تذكير أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للشيخ عبد الله القصير، ص١٢.

رضي الله عنه، قال: بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة، «وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»(١).

أقوال أهل العلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٢):

أجمعت الأمة الإسلامية على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تجد من العلماء المتقدمين أو المتأخرين ممن يُعتد به من لم يجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساسًا للدين وفريضة من فرائض الإسلام(٣)، وفيما يلي بيان لأقوال بعض علماء الأمة في وجوبه:

قال ابن العربي: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين وعمدة من عمد المسلمين، وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادى بشرط القدرة عليه»(٤).

١- **وقال الضحاك:** « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان من فرائض الله تعالى كتبهما الله عز وجل»(٥).

---

(١) صحيح البخاري (ج١ / ص٣١)، وسنن الترمذي (ج٤ / ص٣٢٤)، وسنن الدارمي (ج٢ / ص٣٢٢)، ومسند أحمد بن حنبل (ج٤ / ص٣٥٨)، وصحيح ابن حبان (ج١٠ / ص٤١١)، وصحيح ابن خزيمة (ج٤/ ص١٣)، وسنن النسائي الكبرى (ج١/ ص١٤٢)، والمعجم الأوسط (ج١/ ص١٨٥)، والمعجم الكبير (ج٢ / ص٢٩٨)، والمنتقى لابن الجارود (ج١/ ص٩١).

(٢) لمزيد من التفاصيل يمكنك الرجوع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، تأليف د. عبد العزيز بن أحمد المسعود، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

(٣) السيد جلال الدين العمري، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مصدر سابق، ص ٤٦.

(٤) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (ج٢/ ص١٢).

(٥) أحكام القرآن للجصاص (ج ٤/ ص ١٥٨).

٢- **وقال الجصاص:** «أكد الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه، وبينه رسول الله ﷺ في أخبار متواترة عنه فيه، وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه»[١].

٣- **وقال النووي في المنهاج:** «ومن فروض الكفاية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٢]. **وقال أيضًا:** «قد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة»[٣].

٤- **وقال القرطبي:** « إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانا واجبين في الأمم المتقدمة، وهما فائدة لرسالة وخلاف النبوة»[٤].

٥- **وقال الماوردي:** أكد الله زواجره بإنكار المنكرين لها، فأوجب الأمر بالمعروف ـ الواجب ـ والنهي عن المنكر ـ الحرام[٥].

٦- **وقال ابن حزم:** «اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منها»[٦].

بل إن من العلماء من جعله أصلا من الأصول التي بدونها لا يكون إيمان[٧].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (ج ٤/ ص ١٥٤).

(٢) المنهاج مع مغني المحتاج (ج٤/ ص ٢١١)، والحسبة لابن تيمية: (ص ٨)، وإحياء علوم الدين (٢/ ٢٧٤)، ط العثمانية، وعبقرية الإسلام في أصول الحكم: ص ٣٣٥ وما بعدها.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (ج٢/ ص ٢١٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (ج٤/ ص ٤٧).

(٥) أدب الدنيا والدين (ص ١٥٦).

(٦) الفصل في الملل والنحل، لابن حزم (ج٥/ ص١٩).

(٧) الحسبة في الإسلام (ص ٦٤).

الحكمة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

شرع الله ﷻ الاحتساب لحكمة عظيمة، وهي دوره العظيم في إصلاح المجتمع، والتزامه بمنهاج الفلاح، وقدرته الفعالة على علاج أمراض المجتمع التي تنخر في جسد الأمة وتفسد عافيتها(١).

كما أن له آثارًا عظيمةً في إصلاح الأفراد، تتعدى التأثير على الأمور الدنيوية فقط، حيث يمتد أثره إلى الآخرة أيضا، وفيما يلي بيانٌ لفوائد القيام بالاحتساب على المجتمع والفرد المحتسب، والأضرار الناتجة عن التقصير فيه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (الأمر والنهي من لوازم وجود بني آدم، فمن لم يأمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله، وينه عن المنكر الذي نهى الله ﷻ عنه ورسوله ﷺ، ويُؤمر بالمعروف الذي أمر الله ﷻ به.. ورسوله ﷺ، ويُنهى عن المنكر الذي نهى الله ﷻ عنه ورسوله ﷺ، وإلا فلا بد أن يأمر وينهى، ويُؤمر ويُنهى، إما بما يضاد ذلك، وإما بما يشترك فيه الحق الذي أنزله الله بالباطل الذي لم ينزله الله ﷻ، وإذا اتخذ ذلك دينا: كان مبتدعا ضالا باطلا) (٢).

---

(١) انظر حكمة مشروعية الاحتساب وحكمه، ووظيفته وأنواعه ودرجاته، وطرقه، للدكتور محمد عثمان صالح، مجلة البحوث الإسلامية (ج٢٣، ص ٢٦٥)، وانظر السيد جلال الدين العمري، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص٤٦.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٤٢-٤٣.

آثار الاحتساب على المجتمع والفرد المحتسب:

تُقاس أهمية الاحتساب حسب الآثار المرجوة من القيام به، ويمكن إجمال هذه الأهمية بما **قاله ابن العربي**: «من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نصرة الدين بإقامة الحجة على المخالفين»[(١)]. وتحت هذه المسألة فروع:

آثار الاحتساب على المجتمع:

أنه من إطاعة أمر الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ في القيام به:

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الواجبات كما تبين مما سبق، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[(٢)].

قال السعدي رحمه الله[(٣)]: «معنى تعظيمها، إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد،.... فتعظيم شعائر الله، صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها، يبرهن على تقواه، وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله».

تحقيق الخيرية للأمة:

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[(٤)].

قال ابن عطية الأندلسي: «هذه الخيرية التي فرضها الله لهذه الأمة إنما

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (ج ١/ ص ٣٨٣).

(٢) سورة الحج: الآية ٣٢.

(٣) تفسير السعدي (ص٥٣٨).

(٤) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

يأخذ بحظه منها من عمل هذه الشروط، من الأمر بالمعروف،و النهي عن المنكر، والإيمان بالله»[١].

تحقيق صفات الإيمان:

الذين من أخص صفاتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٢].

نشر الفضيلة في المجتمع:

وحفظ أمنه واستقراره، من خلال حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال. كما قال ﷺ: «**مَثَلُ الْقَائِمِ على حُدُودِ الله وَالْوَاقِعِ فيها كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا على سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ في أَسْفَلِهَا إذا اسْتَقَوْا من الْمَاءِ مَرُّوا على من فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لو أَنَّا خَرَقْنَا في نَصِيبِنَا خَرْقًا ولم نُؤْذِ من فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أَرَادُوا هَلَكُوا جميعا وَإِنْ أَخَذُوا على أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جميعا**»[٣].

استجابة الله تعالى للدعاء:

كما قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عن الْمُنْكَرِ أو**

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي (ج٣/ ص٢٦٦).

(٢) سورة التوبة: الآية ٧١.

(٣) صحيح البخاري (ج٢ / ص٨٨٢)، وسنن الترمذي (ج٤ / ص٤٧٠)، ومسند أحمد بن حنبل (ج٤ / ص٢٦٨)، وسنن البيهقي الكبرى (ج١٠/ ص٢٨٨).

لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا منه ثُمَّ تَدْعُونَهُ فلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»[(١)].

آثار الاحتساب على الفرد:

إن آثار الاحتساب على الفرد تبلغ من الأهمية ما يدعو كل فرد للنيل منها بنصيب، ومنها:

الشرف الكبير للمحتسب:

فهو مما يميز الرجال، ويخلد به ذكرهم الحسن بين الناس بأنه من أهل الصلاح، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

قال صاحب تاريخ بغداد في ترجمة محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة: كان فقيهًا صالحًا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.[(٢)]

وقال صاحب تاريخ بغداد في ترجمة شعيب بن حرب: كان أحد المذكورين بالعبادة والصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[(٣)]

وقال الذهبي فيما نقله في ترجمة أبي النظر هاشم بن قاسم الليثي: كان من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.[(٤)]

وقال فيما نقله في ترجمة عبدالرحمن بن منده: كان والله آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر في الغدو والآصال ذاكرًا ولنفسه في المصالح قاهرًا.[(٥)]

---

(١) سنن الترمذي ج٤ ص٤٦٨، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن، ومسند أحمد بن حنبل ج٥ ص٣٨٨، وسنن البيهقي الكبرى ج١٠ ص٩٣.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٢٩٦.

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٢٣٩.

(٤) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٩.

(٥) تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٦٥.

وقال ابن حجر فيما نقله في ترجمة أحمد بن نصر: كان أحمد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. [(١)]

وقال فيما نقله في ترجمة العوام بن الحوشب: كان صاحب أمر بالمعروف ونهي عن المنكر. [(٢)]

وقال المزي في ترجمة شعيب بن حرب المدائني: كان أحد المذكورين بالعبادة والصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. [(٣)].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المكفرات:

من فضل الله ﷻ على عباده أن جعل لهم من الأعمال الصالحة ما يكون سببًا لتكفير الذنوب، كالصلاة والصوم والحج ونحوها، ومن هذه المكفرات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لما في الصحيحين من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: أَنَا،قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، وَكَيْفَ؟ قَالَ: قَالَ قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ** فَقَالَ عُمَرُ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ:أَفَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا

(١) تهذيب التهذيب ١/ ٧٥.

(٢) تهذيب التهذيب ٨/ ١٤٥.

(٣) تهذيب الكمال ١٢/ ٥١١.

بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ»[(١)].

تقوية الإيمان:

إن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يدل على قوة إيمان الإنسان، وذلك أن هذا العمل فيه مواجهة لبعض الناس، ومخالفة لرغبات النفوس، ولذا فإن رسول الله ﷺ جعل تغيير المنكر بالقلب الذي لا يظهر معه أمر ولا نهي أضعف الإيمان، لما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(٢)].

ومما يشير إلى موقف كثير من الناس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ما ورد في كلام لأويس القرني لرجل من مراد، قال فيه: يا أخا مراد، إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقًا، والله إنا لنأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر فيتخذونا أعداءً، ويجدون على ذلك من الفساق أعوانًا[(٣)].

نيل الأجر والثواب:

كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، حديث رقم ٥٢٥. ومسلم - واللفظ له- كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث رقم ١٤٤.

(٢) كتاب الإيمان، حديث رقم ٤٩.

(٣) ابن سعد الطبقات الكبرى ٦/ ١٦٥،١٦٤.

ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»[(١)].

وروى البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بعثه إلى خيبر: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»[(٢)].

وكذلك في قوله: ((**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**))[(٣)].

النجاة من العذاب:

فإنه إذا وجد في المجتمع من يأخذ على أيدي العصاة فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر يكون سببًا في نجاة هذا المجتمع من الهلاك العام الذي يشمل الصالح والطالح، كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[(٤)].

وكما في صحيح البخاري من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول: ((**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **نعم إذا كثر الخبث**))[(٥)].

---

(١) النووي على مسلم ١٦ / ٢٢٧.

(٢) فتح الباري ٧/ ٧٠.

(٣) أخرجه مسلم برقم ١٨٩٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٢٥.

(٥) كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣٣٤٦.

البراءة من الذنب المرتكب أمامه:

لما جاء عن هرس بن عميرة الكندي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا عُمِلَتِ الخطيئةُ في الأرض، كان من شهدها وكرهها - وفي رواية - فأنكرها، كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضِيها، كان كمَن شَهِدَهَا**»(١).

الأضرار المترتبة على ترك الاحتساب:

قال الشيخ تقي الدين: الصبر على أذى الخلق عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن لم يستعمل لزم أحد أمرين إما تعطيل الأمر والنهي وإما حصول فتنة ومفسدة أعظم من مفسدة ترك الأمر والنهي أو مثلها أو قريب منها وكلاهما معصية وفساد(٢).

المشاركة في الإثم:

فترك الإنكار تعاون على الإثم، وقد قال ﷺ: « إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها وقال مرة أنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها»(٣).

نزول العذاب على تارك الاحتساب:

عن قيس بن أبي حازم، قال: قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال:

---

(١) أخرجه أبو داود، جامع الأصول (ج ١/ ص ٣٣٣).

(٢) الآداب الشرعية (ج ١/ ص ١٨١).

(٣) سنن أبي داود (ج٤ / ص١٢٤)، وسنن البيهقي الكبرى (ج٧ / ص٢٦٦)، ومسند أبي يعلى (ج١٢ / ص١٥٤)، والمعجم الكبير (ج٩ / ص١٨٠)، وجزء أشيب (ج١ / ص٥٣)، ومصنف ابن أبي شيبة (ج٧ / ص٤٨٤).

يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (١). وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: « إن الناس، إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه » (٢).

قال مالك بن دينار: قرأت في التوراة: من كان له جار يعمل بالمعاصي فلم ينهه فهو شريكه. وقال مسعر: أمر ملك أن يخسف بقرية فقال: يا رب فيها فلان العابد. فأوحى الله تعالى إليه: أن به فابدأ فإنه لم يتمعر وجهه في ساعة قط(٣).

ويروى عن الحسن البصري رحمه الله: أنه قال: «مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، وإلا كنتم أنتم الموعظات»، يعني: يوعظ بكم غيركم، لما يحل بكم من سخط الله ولعنته، بسبب ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر(٤).

عدم استجابة الدعاء:

سبق بنا قريبا حديث النبي ﷺ، والذي فيه:«**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المُنْكَرِ أو لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا منه ثُمَّ تَدْعُونَهُ فلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»(٥)، والمعنى والله أعلم أن أحد الأمرين واقع إما الأمر والنهي منكم وإما

(١) سورة المائدة: الآية ١٠٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢-٣٦٨.

(٣) التبصرة ج ٢ ص ١٩٨.

(٤) تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص٤٥.

(٥) سبق تخريجه.

إنزال العذاب من ربكم ثم عدم استجابة الدعاء له في دفعه عنكم بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان فإن كان الأمر والنهي لم يكن عذاب وإن لم يكونا كان عذاب عظيم[(١)].

كثرة الخبث:

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ استيقظ يومًا من نومه فزعًا، وهو يقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**»، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ. إِذَا كَثُرَ الْخُبَثُ**»[(٢)].

إن المنكر إذا أعلن في مجتمع، ولم يجد من يقف في وجهه؛ فإن سوقه تقوم ويصبح دليلًا على تمكن أهل المنكر وقوتهم، وذريعة لاقتداء الناس بهم، ولهذا توعدهم الله جل وعلا فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(٣)].

الاختلاف والتناحر:

إن من أنكى العقوبات التي تنزل بالمجتمع المهمل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يتحول المجتمع إلى فرق وشيع تتنازعها الأهواء؛ فيقع

---

(١) تحفة الأحوذي (ج ٦/ ص ٣٢٦).

(٢) رواه البخاري ومسلم و الترمذي وابن ماجة.

(٣) سورة النور: الآية ١٩.

الاختلاف والتناحر: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[١].

ولا يحمي المجتمع من التفرق والاختلاف إلا شريعة الله؛ لأنها تجمع الناس وتحكم الأهواء، وإن مما يدل على ارتباط التفرق والتناحر بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قول الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

تسليط الأعداء:

فإن الله سبحانه وتعالى قد يبتلي المجتمع التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن يسلط عليهم عدوًّا خارجيًّا، وقد مُني المسلمون في تاريخهم بنماذج من ذلك؛ لعل منها ما وقع للمسلمين في الأندلس؛ حيث تحولت عزتهم حتى صار ملوكهم وسادتهم ينادى عليهم في أسواق الرقيق، وهم يبكون وينوحون.

فلو رأيت بكـــــاهم عند بيعهم

لهالك الوجد واستهوتك أحزان

الأزمات الاقتصادية:

قد تحل الأزمات الاقتصادية بالمجتمع المفرّط في الأمر بالمعروف والنهي

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٦٥.

(٢) سورة آل عمران: الآيتان ١٠٤ – ١٠٥.

عن المنكر؛ فتتلاطم به أمواج الفقر، ولقد وصلت الأزمات ببعض المجتمعات الإسلامية إلى حال من الفقر يرثى لها حتى أصبح الفرد يكدح في سبيل الحصول على لقمة العيش فلا يجدها؛ مما قد يحوجه إلى ما في أيدي النصارى الذين يسخرون طاقاتهم لتنصير المسلمين فيؤدي ذلك إلى وقوع المسلم في التنصير خاصة أن انشغاله بلقمة العيش قد ينسيه كثيرًا من أمور دينه؛ مما يبعده عنه ويهوّنه عليه.

صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر (١):

(١) إخلاص العمل لله تعالى:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ (٢). فيجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يخلص عمله لله تعالى، حتى يثاب عليه ويؤجر ويقبل منه، ويحذر من الرياء والسمعة ونحوهما مما يحبط العمل ويضر بصاحبه.

(٢) تربية النفس وإصلاحها:

فإذا كان الآمر صالحًا ومستقيمًا في نفسه فحري أن يقبل قوله وتسمع كلمته ويكون له تأثير على المجتمع، وهناك أمور تساهم في تربية النفس وإصلاحها بإذن الله فمنها: الصلوات والمحافظة على سننها، والصيام الفرض والنفل، والصدقة، والمحافظة على تلاوة القرآن الكريم والذكر.

---

(١) صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر – كتيب – المسعود .

(٢) سورة البينة: الآية ٥.

(٣) أن يكون عالمًا ورعًا:

ولا نقصد بذلك أن يكون محيطًا بجميع أحكام الإسلام العامة والخاصة، وإنما يكون عالمًا فيما يأمر به وينهى عنه، فلا يأمر إلا بما أمر به الشارع ولا ينهى إلا عما نهى عنه الشارع، وأن يكون ورعًا حتى يكون لأمره ونهيه تأثير على الآخرين، ورعًا في أمره ونهيه وتعامله وأخذه ورده، ويسعى لإصلاح قلبه الذي هو منبع الورع وعليه يدور صلاح الأفعال والأقوال.

(٤) الرفق والحلم والعفو:

على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون هينًا عطوفا رفيقا مشفقا على الناس مقتديًّا بالرسول ﷺ على ألا يكون ذلك مداهنة أو خوفًا او استمالة للقلوب للوصول إلى عرض من أعراض الدنيا.

(٥) التريث والتثبت وعدم الاستعجال:

على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتثبت ويتحقق ويتأنى قبل إنكاره للمنكر لأن المتأني في الغالب لا يندم على فعله بخلاف المتعجل فإنه سرعان ما يندم، ثم بعد ذلك يقوم بإنكار المنكر.

(٦) الصبر:

إن من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر الصبر لأنه لابد أن يتعرض إلى أنواع من الإيذاء والابتلاء. قال تعالى في وصايا لقمان لابنه: ﴿ يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ

ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ (١).

(٧) أن يكون حسن الخلق بعيدًا عن الغضب:

إذا كان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مجبولًا على حسن الخلق فذاك فضل من الله تعالى، فما عليه إلا أن يستغل ما وهبه الله تعالى من حسن الخلق بإصلاح الناس والنهي عن الفساد، وإن لم يكن كذلك فعليه أن يكتسب حسن الخلق بأحواله، وعليه كذلك أن يجتنب الغضب، أو أن لا يكون سريع الغضب.

(٨) ألا يكون متتبعًا لعورات المسلمين بل يكون ساترًا لها:

فالآمر بالمعروف يجب أن يكون همه إصلاح الناس وليس تتبع عوراتهم وكشفها وإصغاء الأذن لكل متكلم وملاحقة الناس والتنقيب عن زلاتهم وعثراتهم وعوراتهم، بل ما ظهر له أخذ به وما غاب عنه تركه، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **لا يستر عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة** » (٢).

من أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر وخالف قوله فعله:

قال تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٧.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٢ ، رقم ٢٥٩٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٠٥ ، رقم ٩٦٥٢). وأخرجه أيضًا : أحمد (٢/ ٣٨٨ ، رقم ٩٠٣٣) ، والحاكم (٤/ ٤٢٥ ، رقم ٨١٦٠) وقال : صحيح على شرط الشيخين . والقضاعي (٢/ ٧٢ ، رقم ٩٠٥) .

تَعۡقِلُونَ ﴾ (١).

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (٢).

عن أبي زيد أسامة بن حارثة رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يُؤتَى بالرجل يوم القيامة فيُلْقى في النار فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ (٣) بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بها كما يدُور الحمار في الرَّحَى ، فيجتمع إِليه أَهلُ النار، فيقولون : يا فُلانُ مالك؟ أَلم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : بلى ، كنتُ آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأَنْهَى عن المنكر وآتيه** » (٤).



(١) سورة البقرة: الآية ٤٤.

(٢) سورة الصف: الآيتان ٢، ٣.

(٣) **أقتابه** : الأقتاب : جمع قتب ، وهي الأمعاء.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١١٩١، رقم ٣٠٩٤)، ومسلم (٤/ ٢٢٩٠، رقم ٢٩٨٩)، وأحمد (٥/ ٢٠٧ ، رقم ٢١٨٤٨) .

أدب الإنفاق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن الإسلام جاء بالتكافل الاجتماعي فحدد أطره، ووضع عناصره، وبين سبله، وسن ما يحث عليه ويحفظه، كما قال نبينا محمد ﷺ: « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» (١).

ولقد جاءت مجموعة الشرائع في مجال الأخلاق والمعاملات والعبادات لتؤكد على هذا الجانب كصلاة الجمعة والجماعة في الفرائض والأعياد ، وكآداب الجوار ، وصلة الأرحام ، وكحسن الخلق المتضمن أنواعاً عدة من محاسن الأخلاق ومجامعها.

يقول الله ﷻ: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ** ﴾(٢)، ويقول ﷻ: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ** ﴾(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٩ ، رقم ٢٥٨٦) .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٤ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٧.

وإن من أعظم وسائل تقوية التكافل الاجتماعي في الإسلام البذل والإنفاق، لذلك حبب الإسلامُ إلى بنيه أن تكون نفوسُهم سخيةً وأكفُّهم نديةً، وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم لا ينفكون عنه في صباحٍ أو مساءٍ.

يقول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).

تعريف الإنفاق:

الإنفاق لغة:

مصدر (أنفق)، وتدور أصول هذا الفعل حول معنيين، أحدهما: يدلّ على انقطاع شيء وذهابه، والآخر: على إخفاء شيء وإغماضه، وصفة الإنفاق إنّما هي من المعنى الأوّل، يقال نفق الشّيء: فني، وأنفق الرّجل افتقر أي ذهب ما عنده، قال ابن الأعرابيّ: ومنه قوله ﷻ: ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ (٢)، والنّفقة ما أنفقت، واستنفقت على العيال وعلى نفسك.

وقال الجوهريّ: رجل منفاق أي كثير النّفقة.

وقال ابن علّان: النّفقة من الإنفاق وهو الإخراج. والنّفقة: الدّراهم

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٠٠.

ونحوها من الأموال وتجمع على نفقات وعلى نفاق (بالكسر) [١].

الإنفاق اصطلاحًا:

الإنفاق: إخراج المال الطّيّب في الطّاعات والمباحات [٢].

والنّفقة على العيال والأهل: مقدّرة بالكفاية وتختلف باختلاف من تجب له النّفقة في مقدارها، وبهذا قال أبو حنيفة ومالك، وقال القاضي أبو يعلى من الحنابلة: هي مقدّرة بمقدار لا يختلف في القلّة والكثرة.

وقال ابن علّان: النّفقة هي سائر المؤن من كسوة ونفقة وسكن على من يعول من زوجة وولد وخادم [٣].

فضائل الإنفاق:

التغلب على شهوة النفس:

فالإنفاق في سبيل الله من أعظم التحديات التي تواجه النفس الإنسانية، خاصة أن طبيعة البشر أنهم حريصون كل الحرص على المال؛ محبون له أشد الحب، ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [٤]، ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [٥]،

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٨/ ٤٥٠٨)، والصحاح (١/ ١٥٦٠)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٢/ ٢١٦)، ومقاييس اللغة ٥/ ٤٥٤.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٢/ ٥١٤).

(٣) المغني لابن قدامة (٧/ ٥٦٤، ٥٦٥).

(٤) سورة الفجر: الآية ٢٠.

(٥) سورة العاديات: الآية ٨.

فالذي يستطيع أن يكون المال في يده لا في قلبه فقد نجا من فتنة المال، التي قال عنها النبي ﷺ: «**إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي بالمال**»(١).

فمن الناس من افتتن بالمال فتنةً عظيمةً، حتى أنه أصبح عبدًا لذلك المال وللدرهم والدينار، فانطبق عليه قول النبي ﷺ: «**تعس عبد الدينار والدرهم**»(٢).

فلم يعد له همٌّ إلا جمع المال دون النظر من أي طريق يجمع، وفي أي طريق ينفق، فترك دينه وتفرغ لدنياه، فابتعد عن ذكر الله وترك صلاته وعبادته، وانشغل بالأدنى عن الذي هو خير، واستعمل ماله في سخط الله فتعس وانتكس ، وبخل بما أعطاه الله ظانًّا أن ذلك خيرٌ له، ولم يسمع قول الله ﷻ: ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾(٣).

ومن الناس من علم أن المال الذي بين يديه إنما هو أمانة وأنه مستخلف فيه، تصديقا لقوله ﷻ: ﴿ **ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٦٠، رقم ١٧٥٠٦)، والترمذي (٤/ ٥٦٩، رقم ٢٣٣٦)، وقال: حسن صحيح غريب. والحاكم (٤/ ٣٥٤، رقم ٧٨٩٦) وقال: صحيح الإسناد. والطبراني (١٩/ ١٧٩، رقم ٤٠٤)، وأبو نعيم في المعرفة (٥/ ٢٣٧٣، رقم ٥٨٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٥٧ ، رقم ٢٧٣٠).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٠.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾(١)، فعلم أنه ابتلاء من الله امتحنه فيه، فاتقى الله فيما بين يديه وحافظ على توازنه ما بين ماله ودينه، فأدى الحقوق المطلوبة وقام بالواجبات المفروضة، فبارك الله ﷻ له في ماله في دنياه وضاعف له أجره في الآخرة.

وصدق فيه قول الله ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾(٢).

الإنفاق من معايير الإيمان:

إن الإنفاق في سبيل الله ﷻ هو أحد أهم الأمور التي يقاس بها العبد من ناحية صدقه مع الله تعالى وعبوديته له، كما قال ﷺ: «**والصدقة برهان**»(٣)، خاصة أن كثيرًا من الناس يدّعون الإيمان والعبادة، ويتذرعون أن أبواب الخير موصدةٌ في وجوههم.

فالله ﷻ أمرنا أن نجاهد بأموالنا كما أمرنا أن نجاهد بأنفسنا، بل جاء الأمر بالإنفاق جهادا للنفس قبل الجهاد بالنفس، لما في ذلك من تهيئة للنفس كي تجود بما هو أكبر من ذلك .

فقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة الحديد: الآية ٧ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٥.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٣ ، رقم ٢٢٣) .

(٤) سورة الصف: الآيتان ١٠ – ١١.

الإنفاق في سبيل الله إنماء وإبقاء له:

يقول ﷺ: «**قال الله تعالى : يا ابن آدم أَنفِقْ أُنفق عليك**» [(١)]، فالله الله على من زاد ماله وباركه بالإنفاق في سبيل الله وانتظر الجزاء من الله في الدنيا والآخرة ، متيقنا بقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [(٢)].

وصدق الله ﷻ إذ قال: ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [(٣)].

ويقول النبي ﷺ: «**ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهم : اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا**» [(٤)].

قال فضيلة الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: «والتلف نوعان: تلف حسي، وتلف معنوي .

١ - **التلف الحسي**: أن يتلف المال نفسه بأن يأتيه آفة تحرقه أو يسرق أو ما أشبه ذلك .

٢ - **التلف المعنوي**: أن تنزع بركته بحيث لا يستفيد الإنسان منه في حياته» [(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٢٤ ، رقم ٤٤٠٧).

(٢) سورة سبأ: الآية ٣٩.

(٣) سورة المزمل: الآية ٢٠.

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٥٢٢ ، رقم ١٣٧٤) ، ومسلم (٢/ ٧٠٠ ، رقم ١٠١٠) .

(٥) شرح رياض الصالحين (١ / ٥٨٠).

ما أنفقه العبد هو ماله الباقي:

فمن يقصر بشيء من الإنفاق فإنما يذهب الخير عن نفسه، كما في قول النبي ﷺ: «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟**» قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال ﷺ: «**فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر**» (١).

قال فضيلة الشيخ العثيمين رحمه الله: « هذه حكمة عظيمة ممن أوتي جوامع الكلم ﷺ فما لك الذي تقدمه لله عز وجل تجده أمامك يوم القيامة ومال الوارث ما يبقى بعدك من مالك فينتفع به ويأكله الوارث فهو مال وارثك على الحقيقة فأنفق مالك فيما يرضي الله» (٢).

وفي ذات يوم ذبح النبي ﷺ شاة، فقامت عائشة رضي الله عنها فتصدقت بها كلها ولم تُبقِ إلا الكتف؛ لأن الرسول ﷺ كان يحب الكتف والذراع، قال: «**ما صنعت الشاة؟**» قالت: ذهبت كلها إلا الكتف، قال: «**لا. قولي: بقيت كلها إلا كتفها**» (٣).

اليقين أن الله هو مالك الملك:

بعض الناس يتصور أنه إذا أعطى فإنما يعطي من حقه، وهذا تصور

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٦٦ ، رقم ٦٠٧٧) .

(٢) شرح رياض الصالحين (١ / ٥٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٤٤ ، رقم ٢٤٧٠) وقال : صحيح ، وأخرجه أحمد (٦/ ٥٠ ، رقم ٢٤٢٨٦) . والبخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٢٣٠) .

خاطئ؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [(١)]، ليس لك من المال شيء، وما حقيقة أمرك لما جئت من بطن أمك هل كان معك شيء؟ لقد جئت وأنت عارٍ واستقبلت في خرقة، وستعيش فترة من العمر ثم تخرج عاريًا في خرقة أخرى وهي الكفن، فالمال مال الله ساقه إليك من حيث لا تحتسب، فأنفق ليس مالك بل هو مال الله استخلفك فيه، ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [(٢)].

الإنفاق زيادة لا نقصان:

يكفي أن تعلم أن هذا الإنفاق الذي ينفقه الإنسان لا ينقص من ماله بل يزيده، كما قال النبي ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**» [(٣)].

فأثبت -عليه الصلاة والسلام- أن الصدقة لا تنقص المال بل تزيده، وهذا ينطبق على الصدقة قلت أو كثرت، وهذه الصدقة كما أنها تزيد مالك هي أيضًا تزيد في أعمالك وقربك من الله ﷻ.

والإنفاق يدفع البلاء:

فيدفع الله ﷻ بالإنفاق عن العبد البلاء، كما قال ﷺ: « **صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل**

---

(١) سورة النور: الآية ٣٣ .

(٢) سورة الحديد: الآية ٧.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠١ ، رقم ٢٥٨٨).

المعروف في الآخرة» [(١)]، حتى كان بعضُ العلماء يوصي إخوانه إذا أصابتهم الشدائد والملمات، أن يكثروا من الصدقات حتى يرحمهم الله ﷻ، وكم من يد أعطت لوجه الله ﷻ عافاها الله ودفع عنها البلاء.

الإنفاق يطفئ الخطيئة:

فيطفئها الله كما يطفئ الماء النار، قال ﷺ: «**الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**» [(٢)].

آداب الإنفاق:

أولاً: ألا يتبعها منٌّ ولا أذى:

قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [(٣)].

وعن أَبِي ذَر ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**»، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله ﷺ ثلاثَ مِرارٍ: قَالَ أَبُو ذرٍ: خَابُوا وخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: «**المُسْبِلُ، والمَنَّانُ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكَاذِبِ**» [(٤)].

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٢١٣، رقم ٤٢٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢/ ٥١٢، رقم ٦١٤) وقال: حسن غريب. والطبراني (١٩/ ١٠٥، رقم ٢١٢)، وبنحوه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٨، رقم ٤٢١٠)، وأبو يعلى (٦/ ٣٣٠، رقم ٣٦٥٦). والقضاعي (٢/ ١٣٦، رقم ١٠٤٩)، والديلمي (٢/ ١٥٩، رقم ٢٨١٢).

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

(٤) أخرجه مسلم (١/ ١٠٢، رقم ١٠٦).

ثانياً: الإسرار بها:

وعلى المتصدق أن يسر صدقته ما استطاع، إلا إذا كان في إعلانها مصلحة راجحة، فلا تكون رياء ولا سمعة إن أظهرت الصدقة، وإنما تظهرها للقدوة الحسنة والسنة الحسنة، وإن أخفيتها، فالأصل هو الإخفاء.

قال الله ﷻ: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1].

وقد أعلمنا النبي ﷺ أن من السبعة الذين يظلّهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»[2].

ثالثاً: إصلاح النية:

فينبغي للمتصدق أن يصلح نيته، فيقصد بالصدقة وجه الله ﷻ، فإنه إن لم يقصد وجه الله لم تقبل منه، وعوقب على ذلك أيضا.

فيجب أن تكون خالصة لوجه الله ﷻ، كما قال في كتابه الكريم: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧١.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٣٤، رقم ٦٢٩)، ومسلم (٢/ ٧١٥، رقم ١٠٣١).

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧٢.

رابعاً: أن تكون بالطيب:

كما قال ﷺ: «**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً**»[١]، ففي هذا الحديث الحثّ على الإنفاق من الحلال ، والنّهي عن الإنفاق من غيره، وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾[٢].

خامساً: أن يكون تطوعا:

فلا تعد من الزكاة، أو مغرمًا، بل هو مغنمٌ لك، قال الله ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ﴾[٣].

سادساً: أن يخرج المال طيبةً به نفسه:

فلا يكون كارهاً له، ولهذا وصف الله تعالى المنافقين، فقال ﷻ: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾[٤].

وأثنى على المؤمنين أنهم إن وجدوا مالاً تصدقوا، وإن لم يجدوا تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون، فقال ﷻ: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٣، رقم ١٠١٥).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٧.

(٣) سورة التوبة: الآية ٩٨ .

(٤) سورة التوبة: الآية ٥٤ .

(٥) سورة التوبة: الآية ٩٢.

سابعاً: أن تكون في وقت سعة:

كأن تكون في وقت صحتك وعافيتك وشبابك وحاجتك وخوفك من الفقر، كما قال ﷺ: « **أعظم الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وَتَأْمُلُ الغنى** »(١).

وهذا المعنى موجود في القرآن الكريم، قال الله ﷻ: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٢).

ثامنا: أن يُقدّم أقرباءه من الفقراء:

فإن هذا أدعى لإيجاد المودة والصلة والمحبة ونزع العداوة من القلوب؛ لأن القلوب جبلت على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، وقد قال النبي ﷺ: «**الصدقة على المسكين صدقة، وإنها على ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥١٥، رقم ١٣٥٣)، ومسلم (٢/ ٧١٦، رقم ١٠٣٢).

(٢) سورة المنافقون: الآية ١٠.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤١٣، رقم ١٠٥٤١)، وأحمد (٤/ ١٨، رقم ١٦٢٧٨)، والدارمي (١/ ٤٨٨، رقم ١٦٨١)، والترمذي (٣/ ٤٦، رقم ٦٥٨)، وقال: حسن. والنسائي (٥/ ٩٢، رقم ٢٥٨٢)، وابن ماجه (١/ ٥٩١، رقم ١٨٤٤)، وابن خزيمة (٤/ ٧٧، رقم ٢٣٨٥)، وابن حبان (٨/ ١٣٢، رقم ٣٣٤٤)، والطبراني (٦/ ٢٧٤، رقم ٦٢٠٤)، والحاكم (١/ ٥٦٤، رقم ١٤٧٦)، والبيهقي (٤/ ١٧٤، رقم ٧٥٢٤). وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٣٦٣، رقم ١١٣٦).

صور من إنفاق السلف:

تركت لهم الله ورسوله:

يقول عمر ﷺ أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق فوافق ذلك مالًا عندي، فقلت اليوم أسبق أبا بكر، فجئت بنصف مالي، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك ؟**» فقلت مثله ؛ وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له النبي ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك ؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدا [(١)].

رجل واحد يجهز جيشا :

وكان عثمان ﷺ من المنفقين أموالهم جهادًا في سبيل الله ﷻ، فعن عبد الرحمن بن خباب قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان فقال: يا رسول الله ! علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش، فقام عثمان فقال: يا رسول الله ! علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله.

قال: فرأيت رسول الله ﷺ ينزل من على المنبر وهو يقول: «**ما على عثمان ما فعل بعد هذه .. ما على عثمان ما فعل بعد هذه**» [(٢)].

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٤٨٠ ، رقم ١٦٦٠) ، وأبو داود (٢/ ١٢٩ ، رقم ١٦٧٨) ، والترمذي (٥/ ٦١٤ ، رقم ٣٦٧٥) وقال : حسن صحيح ، وابن أبي عاصم (٢/ ٥٧٩ ، رقم ١٢٤٠) ، والحاكم (١ / ٥٧٤ ، رقم ١٥١٠) ، وأبو نعيم في الحلية (١ / ٣٢) ، والضياء (١ / ١٧٣ ، رقم ٨١) .

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٢٥ ، رقم ٣٧٠٠) .

يطفئ السراج لئلا يتحرج السائل !!

وروي عن سعيد بن العاص أنه كان يعشي الناس في رمضان، فتخلف عنده ذات ليلة شاب من قريش بعدما تفرق الناس، فقال له سعيد: أحسب أن الذي خلفك حاجة؟ قال: نعم! أصلح الله الأمير. قال: فضرب سعيد الشمعة بكمه فأطفأها ثم قال: ما حاجتك؟ قال: تكتب لي إلى أمير المؤمنين أنَّ علي دَيْنًا، وأحتاج إلى مسكن وخادم. قال: كم دَيْنُك؟ قال: ألفا دينار، وذكر ثمن المسكن والخادم، فقال سعيد: تكفيك مؤونة السفر، اغد فخذها منا.

فكان الناس يقولون: إن إطفاء الشمعة أحسن من إعطائه المال، لئلا يرى في وجهه ذل المسألة!!

مجالات الإنفاق:

للإنفاق في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مجالات عديدة جدًّا يصعب حصرها، ولكن يمكن الإشارة إلى بعض هذه المجالات على سبيل الاختصار:

- الإنفاق على الفقراء والمحتاجين وإسقاط الديون عن المدينين.
- بناء المساجد والإنفاق عليها وعلى منسوبيها .
- سقي الماء وحفر الآبار في الأماكن التي لا يصل إليها الماء.
- إطعام الطعام وشراء الملابس وتوزيعها .
- الإنفاق على طلب العلم وشراء الكتب والأدوات الدراسية لهم .
- طباعة الكتب والأشرطة الإسلامية وتوزيعها .
- توزيع المصحف الشريف على الشعوب الإسلامية في العالم .
- الإنفاق على حلقات تحفيظ القرآن الكريم ورصد المكافآت للطلاب

والمدرسين.

• بناء المدارس ودور العلم والمستشفيات .

• بناء الملاجئ ودور الأيتام والمسنين والمساكن للغرباء من طلبة العلم وأبناء السبيل .

• الصدقة على فقراء الحجاج والمعتمرين والزوار وتوفير الطعام والشراب والمراكب لهم .

• الإنفاق على الأرامل والأيتام وكبار السن .

• الإنفاق على الجهاد والمجاهدين ودعم المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

• مساعدة الشباب المسلم على الزواج.

• الإنفاق على الدعاة وإرسالهم إلى مشارق الأرض ومغاربها للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

• رعاية الأقليات المسلمة في العالم، وربطهم بدينهم حتى لا تذوب هويتهم الإسلامية.

• تخصيص الأموال للجوائح والعوارض الطارئة كالحرائق والأمراض والكوارث والزلازل والسيول وغيرها.

• الإنفاق على مغاسل الأموات التي تقوم بتجهيز الموتى مجاناً .



أدب بر الوالدين

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن فضل الوالدين كبيرٌ، وإحسانَهما سابقٌ وعظيمٌ، وكلُّنا يذكر رعايتَهما له حالَ الصغر وضعفِ الطفولة، لذا فقد اعتنى الإسلام بهذا الحق، أولا لما لهما من فضل سابق على الإنسان، ثانيا لما في برهما من الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي، وتوطيد أواصر القربى التي لا تكون إلا من طريقهما في الأساس.

تعريف بر الوالدين:

(**وبر الوالدين يعني**: الاعتناء بأمرهما، والقيام بمصالحهما من قضاء دين، وخدمة، ونفقة، وغير ذلك من أمور الدين والدنيا)[١].

وحقُّ الوالدين في هذا البر باقٍ، ومصاحبتُهما بالمعروف واجبةٌ، حتى وإن كانا كافرَيْنِ، فلا يختصُّ برُّهما بكونهما مسلمَيْنِ، بل يجب برُّهما وإن كانا كافرَيْنِ، فعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قَدِمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدهم، فاستفتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله! إن أمي قدمت عليّ وهي راغبة أفأَصِلها؟ قال: «**نعم، صلي أمك**»[٢].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر (٤/ ٤٠).

(٢) أخرجه البخاري(٢/ ٢٤٩) رقم (٢٤٧٧)، ومسلم (٢/ ٦٩٦) رقم (١٠٠٣).

حث الإسلام على بر الوالدين:

إنَّ برَّ الوالدَيْنِ من آكدِ وأعظمِ حقوق العبادِ التي أمرَ اللهُ ﷻ برعايتِها، حيثُ جعله اللهُ ﷻ في المرتبة التي تلي حقَّه ﷻ في التوحيد،في عدة مواضع من كتابه الكريم.

- قال ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1]
- وقال ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[2].
- وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[3].

بل تبرُّهما، وتحسن إليهما، حتى ولو أمراك بالكفر بالله وألزماك بالشرك به، قال ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٣.

(٤) سورة لقمان: الآيتان ١٤ – ١٥.

معروفًا، أي: محسِنًا إليهما»(١).

فإذا كان هذا هو موقف الإسلام من برِّ الوالدين، حيث أمرَ بمصاحبَة هذَيْنِ الوالدَيْنِ بالمعروف مع هذا القبح العظيم الذي يأمران ولدهما به ـ وهو الإشراك بالله ﷻ ـ، فما الظن بالوالدين المسلمين لا سيما إنْ كانا صالحَيْنِ؟!

تالله إن حقَّهما لمن أشدِّ الحقوق وآكدِها، وإن القيامَ به على وجهه أصعبُ الأمور وأعظمُها، فالموفَّق من هُدي إليها، والمحروم كلَّ الحرمان من صُرِف عنها.

فضل بر الوالدين:

بر الوالدين سنة الأنبياء:

بر الوالدين من صفات الأنبياء عليهم السلام، وقد أمرنا ﷻ في كتابه العظيم أن نقتدي برسله الكرام، فقال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾(٢)، فرُسل الله ﷻ وأنبياؤه بررة بوالديهم، وقد حكى الله ﷻ ذلك عنهم في كتابه الكريم، فقال:

يقول نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾(٣).

ويقول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾(٤)، ولما هدد آزر ابنه إبراهيم عليه السلام وقال له: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾، كان جواب إبراهيم

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٤٦).

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

(٣) سورة نوح: الآية ٢٨ .

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٤١.

عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾[1].

وهذا إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يضرب أروع أمثلة البر في تاريخ البشرية؛ وذلك عندما قال له أبوه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾. فماذا كان رد ذلك الولد الصالح؟! قال كما أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا﴾[3].

ويقول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾[4].

وهذا سيد الأنبياء وخاتمهم ﷺ زار قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، ثم قال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يُؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي»[5].

وقال أبو الطفيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: رأيت رسول الله ﷺ يقسم لحمًا بالجعرانة ـ وأنا غلامٌ شابٌّ ـ، فأقبلتِ امرأةٌ، فلما رآها رسول الله ﷺ بسط لها رداءه فقعدتْ عليه فقلت: من هذه؟ قالوا: «أمّه التي أرضعته»[6].

---

(١) سورة مريم: الآيتان ٤٦ – ٤٧.

(٢) سورة الصافات: الآية ١٠٢.

(٣) سورة مريم: الآية ١٤.

(٤) سورة مريم: الآية ٣٢.

(٥) أخرجه النسائي في المجتبى (٤/ ٩٠) رقم (٢٠٣٤)، وابن ماجه (١/ ٥٠١) رقم (١٥٧٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٤١) رقم (٩٦٨٦)، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٤٤٠) رقم (٣١٦٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٣١) رقم (١٣٩٠).

(٦) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٣٧) رقم (٥١٤٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧١٧) رقم

قرن الله ﷻ بر الوالدين بالتوحيد:

حيث جعله الله في المرتبة التي تلي حقه سبحانه في التوحيد، فقال ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾[١]، وقال ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾[٢]، وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٣].

لذا **فإن رضا الرب من رضا الوالدين**: قال رسول الله ﷺ: «**رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**»[٤].

بر الوالدين مقدَّم على الجهاد في سبيل الله ﷻ:

الذي هو ذروة سنام الإسلام، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﭭ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال ﷺ: «**أحيّ والداك؟**» قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**»[٥]، فالابن إذا أبلغ جهده في برّهما والإحسان إليهما، وآثر هواهما على هواه؛ فإنّ ذلك يقوم مقام قتال العدو[٦].

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣.

(٢) سورة النساء: ٣٦.

(٣) سورة البقرة: ٨٣.

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٣١٠) رقم (١٨٩٩)، وابن حبان (٢/ ١٧٢) رقم (٤٢٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٨) رقم (٧٢٤٩).

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٢٨) رقم (٥٦٢٧).

(٦) فتح الباري (١٠/ ٤٠٣)، وشرح الزرقاني على الموطأ (٣/ ٢٠)، وحاشية السندي (٦٥٩٥).

بر الوالدين يستمرّ في ذرية الإنسان وعقبه من بعده:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعِفّوا تعِف نساؤكم»[(١)].

بر الوالدين من أفضل الأعمال:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[(٢)].

بر الوالدين تفريجُ الكربات وإجابةُ الدعوات:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**انطلق ثلاثةُ رهطٍ ممن كان قبلَكم، حتى آواهم المبيتُ إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرتْ صخرةٌ من الجبلِ فسدّتْ عليهمُ الغارَ، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا اللهَ بصالح أعمالكم، فقال رجلٌ منهم: اللهم كان لي أبوانِ شيخانِ كبيرانِ، وكنتُ لا أَغْبِقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلبِ شيءٍ يومًا، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبتُ لهما غَبُوقَهما فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أَغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت ـ والقَدَحُ على يدي ـ أنتظر استيقاظهما، حتى برق**

(٦/ ١٠).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٠) رقم (٧٢٥٨)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٢٤١) رقم (٦٢٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٩٧) رقم (٥٠٤).

الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج»[١] .

بر الوالدين سعة الرزق وطول العمر:

فعن أنس ﷺ مرفوعًا: «**من سره أن يبسط عليه رزقه ويُنسأ في أثره فليصل رحمه**»[٢] ، وبر الوالدين أعظم صور صلة الرحم.

أضرار عقوق الوالدين:

إنّ العقوق ضد البر، قال ابن منظور - رحمه الله – في تعريفه: «عق والده يعقه عقا وعقوقا ومعقة: شق عصا طاعته، وعق والديه: قطعهما ولم يصل رحمه منهما»[٣]. وقال: «وفي الحديث: «**أنه ﷺ نهى عن عقوق الأمهات**»[٤]، وهو ضد البر، وأصله من العق: الشق والقطع»[٥] ، ومن أضرار العقوق ما يلي:

العقوق من كبائر الذنوب:

فكما جمع ﷻ بين البرِّ وبين التوحيد، كذلك فإن العقوق قرينُ الشرك بالله، ففي الحديث يقول ﷺ: «**أكبرُ الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين،**

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٧٩٣) رقم (٢١٥٢)، ومسلم (٤/ ٢١٠٠) رقم (٢٧٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٧٢٨) رقم (١٩٦١)، ومسلم (٤/ ١٩٨٢) رقم (٢٥٥٧).

(٣) لسان العرب ج١٠ ص ٢٥٦ .

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤٨) رقم (٢٢٧٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤١) رقم (٥٩٣).

(٥) لسان العرب ج١٠ ص٢٥٦.

وقتلُ النّفس، واليمين الغموس»[(١)] ، فجعل عقوقَ الوالدين قرينًا للشّرك، يدلّ على دناءة النّفس وخسّة الخلُق وضعفِ المروءة وقلّة الحياء وانعدامِ الوفاء، فأين يُرجى من العاقّ خيرٌ؟!

أنه مانعٌ من تحقيق التوحيد:

فيُروَى أنَّه كان في عهدِ النبيّ ﷺ رجلٌ شابٌّ كان عاقًّا لأمّه مقدِّمًا عليها زوجتَه، وأنّه حضرتْه الوفاةُ، وأنّه عُرِض عليه «**لا إله إلا الله**»، فانغلق لسانُه عن النطق بها، فأخبِر النبيُّ ﷺ بحاله، فجاء وقال: «**هل له من أمٍّ؟**» قالوا: نعم، امرأةٌ كبيرةٌ، فجاءت تتّكئ على عكّازة لها، فقال: «**يا هذه، لو أوقدتُ نارًا وأدخلتُ ابنَك فيها ما تودّين؟**» قالت: يا رسول الله! ولدي، لا أريد له ذلك، قال: «**إنّ عقوقَه بك منَعه أن ينطِق بكلمة التّوحيد**»، فقالت: أشهِدُ اللهَ وأشهِدُكَ أنّي قد أبَحتُه من حقّي كلّه، فرزقه الله ﷻ فنطق بالتوحيد[(٢)].

التعرض لدعاء النبيﷺ على العاقِّ بالخسران:

فقد قالﷺ: «**رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه من أدرك أبويه عند**

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٥٧) رقم (٦٢٩٨)، ومسلم (١/ ٩١) رقم (٨٧).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٧٨٩٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه بنحوه وقال: «تفرد به فائد أبو الورقاء وليس بالقوي»، وأشار المنذري في الترغيب (٣/ ٢٢٦) لضعفه، وعزاه الهيثمي في المجمع (٨/ ١٤٨) للطبراني وقال: «فيه فائد أبو الورقاء وهو متروك»، وقال الألباني في ضعيف الترغيب (١٤٨٧): «ضعيف جدا». وعلق سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ على هذا الحديث قائلا: «هكذا يُروَى وليس ذلك بالمستحيل، فإنَّ عقوقَ الوالدين قسوةٌ في القلب، وغِلظةٌ في الطّبع، وعملٌ سيّئ».

الكبر ـ أحدهما أو كلاهما ـ فلم يدخل الجنة»(١). وهذا فيه حثٌّ على بر الوالدين، وعظم ثوابه. ومعناه: أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة، سببٌ لدخول الجنة، فمن قصّر في ذلك فاته دخولُ الجنَّة وأرغم اللهُ أنفَه وكسرها(٢).

العقوبة العاجلة للعاق:

فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من ذنب أحرى أن يعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يُدّخر له في الآخرة من: البغي، وقطيعة الرحم**»(٣).

ومن ذلك التعرض للعن: كما قال ﷺ: «**ملعونٌ من عقَّ والدَيْهِ**»(٤).

الخسران المبين في الآخرة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ قال: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن خمر، والمنان بعطائه، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، والرجلة**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٧٨) رقم (٢٥٥١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، (١٦/ ١٠٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٧٦) رقم (٤٩٠٢)، والترمذي (٤/ ٦٦٤) رقم (٢٥١١)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٨) رقم (٤٢١١)، وأحمد (٥/ ٣٦) رقم (٢٠٣٩٠)، وابن حبان (٢/ ٢٠٠) رقم (٤٥٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨٨) رقم (٣٥٩٩).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣١٧) رقم (٢٩١٧)، وابن حبان (١٤/ ٦٨) رقم (٦١٨٩).

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ٨٣١) رقم (٢٢٣٠)، ومسلم (١/ ١٠٣) رقم (١٠٨). قالوا: يا

ومن ذلك **الحرمان من الجنة**: إن الأحاديث كثيرةٌ مستفيضةٌ في تغليظ عقوق الوالدين، ولو لم يكن في ذلك إلا تحريمُ الجنة على العاق ـ نعوذ بالله من الخسران ـ لكفى، فعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخلُ الجنةَ قاطعُ رحمٍ**»[(١)].

من مظاهر عقوق الوالدين:

عقوق الوالدين يأخذ مظاهرَ عديدة، وصورًا شتى، منها ما يلي[(٢)]:

١ - **إبكاء الوالدين وتحزينهما**: سواء بالقول أو الفعل، أو بالتسبب في ذلك.

٢ - **نهرهما وزجرهما**: وذلك برفع الصوت؛ والإغلاظ عليهما بالقول، قال ﷻ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾.

رسول الله! أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال: «**الذي لا يبالي من دخل على أهله**»، قلنا: فما الرجلة من النساء؟ قال: «**التي تشبه بالرجال**» (الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٧٧).

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي، ص ١٦٦، وبر الوالدين، لعبد الرءوف الحناوي ص ١٤٣، والسلوك الاجتماعي لحسن أيوب، ص ٢٥٧ - ٢٥٩، وقرة العينين في فضائل بر الوالدين، لأم عبد الكريم، وبالوالدين إحسانا لسعاد بنت محمد فرج ص ٤٤ - ٤٨، وبر الوالدين في القرآن الكريم والسنة الصحيحة لنظام سكجها، ص ٣٥ - ٤١ و ٦٣ - ٦٥، وفيض الرحيم الرحمن د. عبد الله الطيار ص ٩٦، وبر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام لأحمد عيسى عاشور ص ٣٣ - ٤٥، والإعلام ببر الوالدين وصلة الأرحام، لإبراهيم الحازمي ص ٣٥ - ٤١، والتكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية د. محمد بن أحمد الصالح، ص ٩٨ - ١٠٥.

٣ - **التأفف والتضجر من أوامرهما:** وهذا مما أدبنا الله ﷻ بتركه؛ فكم من الناس من إذا أمر عليه والداه صدر كلامه بكلمة «**أف**» ولو كان سيطيعهما، قال ﷻ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾(١).

٤ - **العبوس وتقطيب الجبين أمامهما:** فبعض الناس تجده في المجالس بَشُوشًا مبتسمًا، حسن الخلق، ينتقي من الكلام أطايبه، ومن الحديث أعذبه؛ فإذا ما دخل المنزل وجلس بحضرة الوالدين انقلب ليثًا هصورًا لا يلوي على شيء، فتبدلت حاله، وذهبت وداعته، وتولت سماحته، وحلت غلظته وفظاظته وبذاءته، يصدق على هذا قول القائل(٢):

مِـنَ النَّـاسِ مَـنْ يَـصِلُ الْأَبْعَـدِينَ   وَيَــشْقَى بِــهِ الْأَقْــرَبُ الْأَقْــرَبُ

٥ - **النظر إلى الوالدين شزرا:** وذلك برمقهما بحنق والنظر إليهما بازدراء واحتقار، قال معاوية بن إسحاق عن عروة بن الزبير قال: «ما بر والده من شد الطرف إليه»(٣).

٦ - **الأمر عليهما:** كمن يأمر والدته بكنس المنزل، أو غسل الثياب، أو إعداد الطعام؛ فهذا العمل لا يليق خصوصًا إذا كانت الأم عاجزةً أو كبيرةً أو

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٢) هو **المسيب بن علس الضبعي**. [الصناعتين الكتابة والشعر (١/ ١٢٣)، والموازنة (١/ ٤٣)، ومعجم ما استعجم (٣ / ٩٣٦)، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ (١/ ١٠٨)].

(٣) تفسير الثوري (ج ١/ ص ١٧١)، ومصنف ابن أبي شيبة (ج ٥/ ص ٢١٩)، وتاريخ مدينة دمشق (ج ٤٠/ ص ٢٧٨)، وسير أعلام النبلاء (ج ٤/ ص ٤٣٣).

مريضةً، أما إذا قامت الأم بذلك بطوعها وبرغبة منها وهي نشطة غير عاجزة فلا بأس في ذلك، مع مراعاة شكرها والدعاء لها.

٧ - انتقاد الطعام الذي تعده الوالدة: وهذا العمل فيه محظوران، أحدهما: عيب الطعام، وهذا لا يجوز؛ لأن الرسول ﷺ «**ما عاب طعاما قط، إن أعجبه أكل، وإلا تركه**»[(١)]. والثاني: أن فيه قلة أدب مع الأم وتكديرًا عليها.

٨ - **ترك مساعدتها في عمل المنزل**: سواء في الترتيب والتنظيم، أو في إعداد الطعام، أو غير ذلك، بل إن بعض الأبناء - هداهم الله ﷻ- يعد ذلك نقصًا في حقه وهضمًا لرجولته، وبعض البنات - هداهن الله ﷻ- ترى أمها تعاني وتكابد العمل داخل المنزل فلا تعينها، بل إن بعضهن تقضي الأوقات الطويلة في محادثة زميلاتها عبر الهاتف، تاركة أمها تعاني الأمرّين.

٩ - **الإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدثا**: وذلك بترك الإصغاء إليهما، أو المبادرة إلى مقاطعتهما أو تكذيبهما، أو مجادلتهما، والاشتداد في الخصومة والملاحاة معهما، فكم في هذا العمل من تحقير لشأن الوالدين، وكم فيه من إشعار لهما بقلة قدرهما.

١٠ - **قلة الاعتداد برأيهما**: فبعض الناس لا يستشير والديه ولا يستأذنهما في أي أمر من أموره، سواء في زواجه أو طلاقه، أو خروجه من المنزل والسكنى خارجه، أو ذهابه مع زملائه لمكان معين، أو نحو ذلك.

---

(١) البخاري (٥/ ٢٢٢٨) رقم (٣٣٧٠)، ومسلم (١/ ٩١) رقم (٢٠٦٤).

١١ - **ترك الاستئذان حال الدخول عليهما**: وهذا مما ينافي الأدب معهما، فربما كانا أو أحدهما في حالة لا يرضى أن يراه أحد عليها.

١٢ - **إثارة المشكلات أمامهما**: سواء مع الإخوان أو الزوجة، أو الأولاد أو غيرهم، فبعض الناس لا يطيب له معاتبة أحدٍ من أهل البيت على خطأ ما إلا أمام والديه، ولا شك أن هذا الصنيع مما يقلقهما ويقض مضجعهما.

١٣ - **ذم الوالدين عند الناس والقدح فيهما، وذكر معايبهما**: فبعض الناس إذا أخفق في عمل ما - كأن يخفق في دراسته مثلا - ألقى باللائمة والتبعة على والديه، ويبدأ يسوغ إخفاقه ويلتمس المعاذير لنفسه بأن والديه أهملاه ولم يربياه كما ينبغي، فأفسدا عليه حياته وحطما مستقبله، إلى غير ذلك من ألوان القدح والعيب.

١٤ - **شتمهما ولعنهما**: إما مباشرة أو بالتسبب في ذلك؛ كأن يشتم الابن أبا أحد من الناس أو أمه، فيرد عليه بشتم أبيه وأمه، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**». قيل: وهل يشتم الرجل والديه؟! قال: «**نعم ! يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»(١).

١٥ - **إدخال المنكرات للمنزل**: كإدخال آلات اللهو والفساد للبيت، مما يتسبب في فساد الشخص نفسه، وربما تعدى ذلك إلى فساد إخوته وأهل بيته

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٢٨ ، رقم ٥٦٢٨) ، ومسلم (١/ ٩٢ ، رقم ٩٠) ، والترمذي (٤/ ٣١٢ ، رقم ١٩٠٢) ، وقال : حسن صحيح .

عمومًا، فيشقى الوالدان بفساد الأولاد، وانحراف الأسرة.

١٦ – **مزاولة المنكرات أمام الوالدين**: كشرب الدخان أمامهما، أو استماع آلات اللهو بحضرتهما، أو النوم عن الصلاة المكتوبة، ورفض الاستيقاظ لها إذا أيقظاه، وكذلك إدخال رفقة السوء للمنزل؛ فهذا كله دليل على التمادي في قلة الحياء مع الوالدين.

١٧ – **تشويه سمعة الوالدين**: وذلك باقتراف الأعمال السيئة والأفعال الدنيئة التي تخل بالشرف وتخرم المروءة، وربما قادت إلى السجن والفضيحة، فلا شك أن هذا من عقوق الوالدين؛ لأنه يجلب لهما الهم والغم والخزي والعار.

١٨ – **إيقاعهما في الحرج**: كحال من يستدين أموالا ثم لا يسددها، أو يقوم بالتفحيط، أو يسيء الأدب في المدرسة؛ فتضطر الجهات المسئولة إلى إحضار الوالد في حالة فقدان الولد أو إساءته للأدب، وربما أوقف الوالد ريثما يسدد الولد دينه، أو يحضر ويسلم نفسه.

١٩ – **المكث طويلا خارج المنزل**: وهذا مما يقلق الوالدين ويزعجهما على الولد، ثم إنهما قد يحتاجان للخدمة، فإذا كان الولد خارج المنزل لم يجدا من يقوم على خدمتهما.

٢٠ – **الإثقال عليهما بكثرة الطلبات**: فمن الناس من يثقل على والديه بكثرة طلباته، مع أن الوالدين قد يكونان قليلي ذات اليد، ومع ذلك ترى الولد يلح عليهما بشراء سيارة له، وبأن يزوجاه، ويوفرا له مسكنًا جديدًا، أو بأن يطلب منهما مالًا كثيرًا؛ كي يساير زملاءه وأصدقاءه.

٢١ - **إيثار الزوجة على الوالدين**: فبعض الناس يقدم طاعة زوجته على طاعة والديه، ويؤثرها عليهما، فلو طلبت منه أن يطرد والديه لطردهما ولو كانا بلا مأوى، وترى بعض الأبناء يبالغ في إظهار المودة للزوجة أمام والديه، وتراه في الوقت نفسه يغلظ على والديه، ولا يرعى حقهما.

٢٢ - **التخلي عنهما وقت الحاجة أو الكبر**: فبعض الأولاد إذا كبر وصار له عمل يتقاضى مقابله مالًا تخلى عن والديه، واشتغل بخاصة نفسه.

٢٣ - **التبرؤ منهما، والحياء من ذكرهما ونسبته إليهما**: وهذا من أقبح مظاهر العقوق، فبعض الأولاد ما إن يرتفع مستواه الاجتماعي، أو يترقى في الوظائف الكبيرة إلا ويتنكر لوالديه، ويتبرأ منهما، ويخجل من وجودهما في بيته بأزيائهما القديمة، وربما لو سئل عنهما لقال: هؤلاء خدم عندنا! وبعضهم يرفض أن يذكر اسم والده في الولائم والمناسبات العامة؛ خجلًا من ذلك! وهذا العمل - بلا ريب - دليل على ضعة النفس، وصغر العقل، وحقارة الشأن، وضيق العطن، وإلا فالنفس الكريمة الأبية تعتز بمنبتها وأصلها، والكرام لا ينسون الجميل.

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن[(١)]

٢٤ - **التعدي عليهما بالضرب**: وهذا العمل لا يصدر إلا من غلاظ الأكباد وقساة القلوب الذين خلت قلوبهم من الرحمة والحياء، وخوت نفوسهم من أدنى مراتب المروءة والنخوة والشهامة.

---

(١) البيت من شعر دعبل بن علي، في ديوانه (١ / ٨٥).

٢٥ - **إيداعهم دور العجزة والملاحظة:** وهذا الفعل غاية في البشاعة، ونهاية في القبح والشناعة، يقشعر لهوله البدن، ويقف لخطبه شعر الرأس، والذي يفعله لا خير فيه البتة.

٢٦ - **هجرهما، وترك برهما ونصحهما إذا كانا متلبسين ببعض المعاصي:** وهذا خلل وخطل؛ فبر الوالدين واجب ولو كانا كافرين، فكيف إذا كانا مسلمين، وعندهما بعض التقصير ؟ !

٢٧ - **البخل والتقتير عليهما:** فمن الناس من يبخل على والديه، ويقتر عليهما في النفقة. وربما اشتدت حاجتهما إلى المال، ومع ذلك لا يعبأ ولا يبالي بهما.

٢٨ - **المنة على الوالدين:** فمن الناس من قد يبر والديه، ولكنه يفسد ذلك بالمن والأذى، وذكر ذلك البر بمناسبة وبدون مناسبة.

٢٩ - **السرقة من الوالدين:** وهذا الأمر جمع بين محذورين، السرقة والعقوق؛ فتجد من الناس من يحتاج للمال، فيقوده ذلك إلى السرقة من والديه إما لكبرهما، أو لغفلتهما، ومن صور السرقة أن يخدع أحد والديه، فيطلب منه أن يوقع على إعطائه كذا وكذا من المال أو الأرض أو نحو ذلك، وقد يستدين منهما، وهو مبيت النية على ألا يسدد.

٣٠ - **الأنين وإظهار التوجع أمامهما:** وهذا الأمر من أدس صور العقوق؛ ذلك أن الوالدين - وخصوصًا الأم - يقلقان لمصاب الولد، ويتألمان لألمه؛ بل ربما يتألمان أكثر منه.

٣١ - **التغرب عن الوالدين دون إذنهما، ودون الحاجة إلى ذلك :** فبعض

الأبناء لا يدرك أثر بعده عن والديه؛ فتراه يسعى للغربة والبعد عن الوالدين دون أن يستأذنهما ودون أن يحتاج إلى الغربة؛ فربما ترك البلد الذي يقطن فيه والداه دون سبب، وربما تغرب للدراسة في بلد آخر مع أن تلك الدراسة ممكنة في البلد الذي يسكن فيه والداه إلى غير ذلك من الأسباب التي لا تسوغ غربته، وما علم أن اغترابه عن والديه يسبب حسرتهما، وقلقهما عليه، وما علم أنه ربما مات والداه أو أحدهما وهو بعيدٌ عنهما باختياره؛ فيخسر بذلك برهما، والقيام عليهما، أما إذا احتاج الابن إلى الغربة، واستأذن والديه فيها فلا حرج عليه في ذلك إن شاء الله ﷻ.

٣٢ - **تمني زوالهما**: فبعض الأولاد يتمنى زوال والديه؛ ليرثهما إن كانا غنيين، أو يتخلص منهما إن كانا مريضين أو فقيرين، أو لينجو من مراقبتهما ووقوفهما في وجهه كي يتمادى في غيه وجهله.

٣٣ - **قتلهما والتخلص منهما**: فقد يحصل أن يشقى الولد، فيقدم على قتل أحد والديه؛ إما لِسَوْرَةِ جهل أو ثورة غضب، أو أن يكون في حال سكر، أو طمعا في الميراث، أو غير ذلك، فيا لشؤم هذا، ويا لسواد وجهه، ويا لسوء مصيره وعاقبته، إن لم يتداركه الله ﷻ برحمته.

هذه بعض المظاهر والصور لعقوق الوالدين، ذلك العمل القبيح، والمسلك الشائن، الذي لا يليق بأولي الألباب، ولا يصدر من أهل التقى والصلاح والرشاد، فما أبعد الخير عن عاق والديه، وما أقرب العقوبة منه، وما أسرع الشر إليه، وهذا أمر مشاهد محسوس، يعرفه كثير من الناس، ويرون بأم أعينهم، ويسمعون قصصًا متواترةً لأناس خذلوا وعوقبوا؛ بسبب عقوقهم لوالديهم.

الأمور المعينة على البر :

بدا لنا فيما سبق أن بر الوالدين نعمة من الله ﷻ يمن بها على من يشاء من عباده، وهناك أمور تعين الإنسان على بر والديه، إذا أخذ بها، وسعى إليها، فمن ذلك ما يلي[1]:

١ - **الاستعانة بالله ﷻ**: وذلك بإحسان الصلة به؛ عبادةً ودعاءً والتزامًا بما شرع، عسى أن يوفقك ويعينك على برهما.

٢ - **استحضار فضائل البر وعواقب العقوق**: فإن معرفة ثمرات البر واستحضار حسن عواقبه من أكبر الدواعي إلى فعله وتمثله والسعي إليه.

كذلك النظر في عواقب العقوق، وما يجلبه من همٍّ وغمٍّ وحسرةٍ وندامةٍ، كل ذلك مما يعين على البر ويقصر عن العقوق.

٣ - **استحضار فضل الوالدين على الإنسان**: فهما سبب وجوده في هذه الدنيا، وهما اللذان تعبا من أجله، وأولياه خالص الحنان والمودة، وربياه حتى كبر؛ فمهما فعل الولد معهما فلن يستطيع أن يوفيهما حقهما، فاستحضار هذا الأمر مدعاة للبر.

٤ - **توطين النفس على البر**: فينبغي للمرء أن يوطن نفسه على بر والديه، وأن يتكلف ذلك ويجاهد نفسه عليه؛ حتى يصبح سجيةً له وطبعًا.

٥ - **تقوى الله في حال الطلاق**: فعلى الوالدين إن لم يقدر بينهما وفاق وحصل بينهما الطلاق أن يوصي كل واحد منهما الأولاد ببر الآخر، وألا يقوم

---

(١) وصايا للزوجين ، لمحمد بن لطفي الصباغ ، ص ٥٦ -٦٤ .

كل واحد منهما بتأليب الأولاد على الآخر؛ لأن الأولاد إذا ألفوا العقوق صار الوالدان ضحية لذلك، فشقوا وأشقوا الأولاد.

٦ - **صلاح الآباء**: فصلاحهم سبب لصلاح أبنائهم وبرهم بهم.

٧ - **التواصي بالبر**: وذلك بتشجيع البررة وتذكيرهم بفضائل البر، ونصح العاقين وتذكيرهم بعواقب العقوق.

٨ - **إعانة الأولاد على البر**: وذلك بأن ينبعث الآباء إلى إعانة أولادهم على البر، وذلك بتشجيعهم وشكرهم والدعاء لهم.

كان هناك أب لا يطيق أولاده وأحفاده أن يفارقوه طرفة عين؛ حتى بعد أن تعدى المائة؛ فهم يبرونه أعظم البر، ويتنافسون في خدمته، بل ويتلذذون بذلك.

ومن أعظم الأسباب الحاملة لهم على بر والدهم - بعد توفيق الله - أن ذلك الوالد كان نعم المعين لهم على بره، حيث كان محبا لأولاده، كثير الدعاء لهم، حريصا على شكرهم والثناء عليهم وإدخال السرور على نفوسهم، ومناداتهم بأحب الأسماء إليهم.

٩ - **أن يضع الولد نفسه موضع الوالدين**: فهل يسرك أيها الولد غدا إذا أصابك الكبر ووهن العظم منك واشتعل الرأس شيبا وعجزت عن الحراك، أن تلقى من أولادك المعاملة السيئة والإهمال القاسي والتنكر المحض ؟ !

١٠ - **قراءة سير البارين والعاقين**: فسير البارين مما يشحذ الهمة، ويذكي العزيمة، ويبعث على البر، وقراءة سير العاقين وما نالهم من سوء المصير، تنفر عن العقوق، وتبغض فيه، وتدعو إلى البر وترغب فيه.

١١ - استشعار فرح الوالدين بالبر وحزنهما من العقوق: فلو استشعر الإنسان ذلك الأمر لانبعث إلى البر، ولانزجر عن العقوق، وصدق من قال:

لو كان يدري الابن أية غصة ... قد جرعت أبويه بعد فراقه
أم تهيم بوجده حيرانة ... وأب يسح الدمع من آماقه
يتجرعان لبينه غصص الردى ... ويبوح ما كتماه من أشواقه
لرثا لأم سل من أحشائها ... وبكى لشيخ هام في آفاقه
ولبدل الخلق الأبي بعطفه ... وجزاهما بالعذب من أخلاقه[1]

حقوق الوالدين[2]:

لن يستطيع الأبناء والبنات مجازاة الآباء والأمهات على ما قاموا به نحوهم من الطفولة إلى الرجولة من عطف ورعاية وتربية وعناية إلا أن يجد الولد الوالدَ مملوكاً فيشتريه فيعتقه، كما قال رسول الله ﷺ: «**لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه**»[3]، لو صح أن يجد الولد والده عبدًا

(١) بر الوالدين للحافظ الطرطوشي، ص ١٨٨.

(٢) انظر: أدب المسلم في العادات والعبادات والمعاملات، لمحمد سعيد مبيض، ص ١٥٨ - ١٦٠، وقرة العينين في فضائل بر الوالدين، لنظام يعقوبي، ص ٤٦ - ٥٢، وتربية الأولاد في الإسلام، لعبد الله علوان، ١٢٨٥ - ٢٨٦، والإعلام في ما ورد في بر الوالدين وصلة الأرحام، للحازمي، ص ٢٦، وبر الوالدين محمد أحمد عاشور ص ١٦ - ٢٠، والتكافل الاجتماعي، د. محمد الصالح، ص ٩٨ - ١٠٥، ووصية لقمان لابنه، علي محمد جماز، ص ٢٣ - ٣٣، وتوجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، لمحمد جميل زينو (ج ١ / ص ٨١).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ١١٤٨) رقم (١٥١٠).

ومملوكًا فيشتريه فيعتقه لجزاه بما فعله معه وبما قام به نحوه من التربية والعناية والعطف والرعاية، على أن الفضل دائمًا للمتقدم بالفضل، وهو الوالدان.

إن للوالدين حقوقًا وواجباتٍ نشير إلى بعضها، رجاء أن يثمر ذلك عملاً صالحًا، وبرًّا حانيًا، فلئن كانت النفوس السوية مجبولة على حب من أحسن إليها، فإن من شرائع الدين وسمات المروءة وضرورات العقل أن يقابل الإحسان بالإحسان، قال الله تعالى: ﴿ **هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ** ﴾[(١)]، ومن حقوق الوالدين:

١-**محبتهما وتوقيرهما على من سواهما:** فإن أبا هريرة ﵁ أبصر رجلين فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي، فقال: (**لا تسمه باسمه، ولا تمشِ أمامه، ولا تجلس قبله**)[(٢)]. وقال طاووس: من السنة أن يوقر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد، ومن الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه.

٢- **الإحسان إليهما بالقول والعمل والحال:** كما قال الله ﷻ: ﴿ **وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا** ﴾[(٣)].

٣-**الدعاء لهما في الحياة وبعد الممات:** قال الله ﷻ: ﴿ **وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا** ﴾[(٤)]، وفي الحديث: «**إن الله ﷻ ليرفع الدرجة للعبد الصالح في**

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٠) رقم (٤٤)، وابن الجوزي في بر الوالدين (١/ ٣).

(٣) سورة الإسراء:٢٣، والنساء: ٣٦، والأنعام: ١٥١.

(٤) سورة الإسراء:٢٤.

الجنة، فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»[١].

وعن محمد بن سيرين قال: كنا عند أبي هريرة رضي الله عنه ليلة فقال: اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمه ولمن استغفر لهما، قال محمد: فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة رضي الله عنه.

٤- صلة أهل ودهما: فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «إن من أبرّ البر صلة الرجل أهل ودِّ أبيه»[٢].

٥- **النفقة عليهما إذا كانا محتاجين للنفقة:** وعند الولد ما يزيد على حاجته، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «على الولد الموسر أن ينفق على أبيه وزوجة أبيه وعلى إخوته الصغار، وإن لم يفعل ذلك كان عاقًا لأبيه، قاطعًّا لرحمه، مستحقًّا لعقوبة الله في الدنيا والآخرة».

٦- **التواضع لهما وخفض الجناح:** قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[٣].

٨- **قضاء دينهما والحج عنهما والوفاء بنذرهما:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: إن أبي مات وعليه حجة الإسلام أَفأَحُجّ عنه؟ قال:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٠٧) رقم (٣٦٦٠)، والدارمي (٢/ ٥٥٨) رقم (٣٤٦٤)، وأحمد (٢/ ٣٦٣) رقم (٨٧٤٣)، وابن حبان (٦/ ٣١١) رقم (٢٥٧٣).

(٢) أخرجه مسلم(٤/ ١٩٧٩) رقم (٢٥٥٢).

(٣) سورة الإسراء:٢٣، ٢٤.

«**أرأيت لو أن أباك ترك دينا أقضيته عنه؟**» قال: نعم، قال: «**فاحجج عن أبيك**»[(١)].

٩ - مساعدتهما في الأعمال: فلا يليق بالولد أن يرى والديه يعملان وهو ينظر إليهما دون مساعدة لهما.

١٠ - البعد عن إزعاجهما: سواء إذا كانا نائمين، أو إزعاجهما بالضوضاء والصخب ورفع الصوت، أو بالأخبار المحزنة أو غير ذلك من ألوان الإزعاج.

١١ - تجنب الشجار وإثارة الجدل أمامهما: وذلك بالحرص على حل المشكلات مع الإخوة وأهل البيت عموما بعيدا عن أعينهما.

١٢ - تلبية ندائهما بسرعة: سواء كان الإنسان مشغولا أم غير مشغول؛ فبعض الناس إذا ناداه أحد والديه وكان مشغولا تظاهر بأنه لم يسمع الصوت، وإن كان فارغا أجابهما.

أصم عـن الأمـر الـذي لا أريـده وأسمع خلـق الله حـين أريـد[(٢)]

فاللائق بالولد أن يجيب والديه حال سماعه النداء.

١٣ - تعويد الأولاد على البر: وذلك بأن يكون المرء قدوة لهما، وأن

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ١٦٢) رقم (١٨١٠)، والترمذي (٣/ ٢٦٩) رقم (٩٣٠)، والنسائي في المجتبى (٥/ ١١١) رقم (٢٦٢١).

(٢) الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب (٤ / ١٩٩)، وأضواء البيان (٤ / ١٢٩).

يسعى قدر المستطاع لتوطيد العلاقة بين أولاده وبين والديه.

١٤ - **إصلاح ذات البين إذا فسدت بين الوالدين**: فمما يجدر بالأولاد أن يقوموا به أن يصلحوا ذات البين إذا فسدت بين الوالدين، وأن يحرصوا على تقريب وجهات النظر بينهما إذا اختلفا.

١٥ - **الاستئذان حال الدخول عليهما**: فربما كانا أو أحدهما على حالة لا يرضى أن يراه أحد وهو عليها.

١٦ - **الاستئذان منهما، والاستنارة برأيهما**: سواء في الذهاب مع الأصحاب للبرية، أو في السفر خارج البلد للدراسة ونحوها، أو الذهاب للجهاد، أو الخروج من المنزل والسكنى خارجه، فإن أذنا وإلا أقصر وترك ما يريد، خصوصا إذا كان رأيهما له وجه، أو كان صادرا عن علم وإدراك.

١٧ - **المحافظة على سمعتهما**: وذلك بمخالطة الأخيار، والبعد عن الأشرار، وبمجانبة أماكن الشبه، ومواطن الريب.

١٨ - **البعد عن لومهما وتقريعهما**: وذلك إذا صدر منهما عمل لا يرضي الولد، كتقصيرهما في التربية، وكتذكيرهما بأمور لا يحبان سماعها، مما قد بدر منهما فيما مضى.

١٩ - **العمل على ما يسرهما وإن لم يأمرا به**: من رعاية للإخوة، أو صلة للأرحام، أو إصلاحات في المنزل أو المزرعة، أو مبادرة بالهدية، أو نحو ذلك مما يسرهما ويدخل الفرح على قلبيهما.

٢٠ - **فهم طبيعتهما ومعاملتهما بمقتضى ذلك**: فإذا كانا أو أحدهما غضوبا أو فظا غليظا، أو كان متصفا بأي صفة لا ترتضى - كان جديرا بالولد

أن يتفهم تلك الطبيعة في والديه، وأن يعاملهما كما ينبغي.

٢١ - برهما بعد موتهما: فمما يدل على عظم حق الوالدين، وسعة رحمة رب العالمين - أن كان بر الوالدين لا ينقطع حتى بعد الممات؛ فقد يقصر أحد من الناس في حق والديه وهما أحياء، فإذا ماتا عض يده؛ ندما على تفريطه وتضييعه لحق الوالدين، وتمنى أن يرجعا للدنيا؛ ليعمل معهما صالحا غير الذي عمل.

ومن هنا يستطيع المسلم أن يستدرك ما قد فات، فيبر والديه وهما أموات، وذلك بأمور منها:

أ - أن يكون الولد صالحا في نفسه.

ب - كثرة الدعاء والاستغفار لهما.

ج - صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.

د - إنفاذ عهدهما.

هـ - التصدق عنهما.

هذه بعض الأمور التي يجدر بنا سلوكها في معاملة الوالدين.

قصص وعظات

إذا نظرنا في سيرة السلف الصالح وجدنا صفحاتٍ مشرقةً تدل على شدة اهتمامهم ببر الوالدين، فمن ذلك ما يلي:

١ - **أبو هريرة** رضي الله عنه: فعن أبي مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب: أنه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه بالعقيق، فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: «عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أماه». تقول: «وعليك السلام ورحمة الله

وبركاته». يقول: «رحمك الله كما ربيتني صغيرا». فتقول: «يا بني! وأنت، فجزاك الله خيرًا ورضي عنك كما بررتني كبيرا»(١).

٢ – **ابن عمر** رضي الله عنهما: فقد لقيه رجلٌ من الأعراب بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وحمله على حمارٍ كان يركبه، وأعطاه عمامةً كانت على رأسه. قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب، وهم يرضون باليسير. فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إن أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه**»(٢).

٣ – حارثة بن النعمان رضي الله عنه: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي: «**دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا ؟ قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البر، كذلكم البر، وكان أبر الناس بأمه**»(٣).

٤ – **كهمس بن الحسن**: عن أبي عبد الرحمن الحنفي قال: رأى كهمس بن الحسن عقربًا في البيت فأراد أن يقتلها، أو يأخذها، فسبقته، فدخلت في جحر، فأدخل يده في الجحر ليأخذها، فجعلت تضربه، فقيل له ما أردت إلى هذا ؟ قال: «**خفت أن تخرج من الجحر، فتجيء إلى أمي، فتلدغها**»(٤).

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٤) ، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد: «حسن الإسناد».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه الإمام أحمد ٦١٥١، وصححه الحاكم ٣٢٠٨ ، ووافقه الذهبي.

(٤) حلية الأولياء ، ٦٢١١ ، وانظر: سير أعلام النبلاء ٦٣١٧.

٥ – **زين العابدين:** وهو الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، وكان من سادات التابعين – كان كثيرَ البر بأمه، حتى قيل له: إنك من أبر الناس بأمك، ولا نراك تؤاكل أمك، فقال: «**أخاف أن تسير يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه، فأكون قد عققتها**» (١) .

٦ – **محمد بن سيرين:** عن حفصة بنت سيرين، قالت: كانت والدة محمد ابن سيرين حجازية، وكان يعجبها الصبغ، وكان محمدٌ إذا اشترى لها ثوبًا اشترى ألين ما يجد، فإذا كان عيدٌ صبغ لها ثيابًا، وما رأيته رافعًا صوته عليها، كان إذا كلمها كالمصغي (٢) .

٧–**بندار المحدِّث:** قال عنه الذهبي: «جمع حديث البصرة، ولم يرحل، برًّا بأمه» (٣) . وقال عبد الله بن جعفر بن خاقان المروزي: «سمعت بندارًا يقول: أردت الخروجَ – أي: لطلب العلم – فمنعتني أمي، فأطعتها، فبورك لي فيه» (٤) .

وأخيرا: قال مكحول: «بر الوالدين كَفَّارة للكبائر، ولا يزال الرجل قادرًا على البر مادام في فصيلته من هو أكبر منه» (٥) .



(١) عيون الأخبار، ٣.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤ / ٦ ١٩ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١٢١٤٤ . وانظر: ترجمة بندار في السير ١٢– ١٤٩ .
(٤) سير أعلام النبلاء ١٢ .
(٥) مسند الحارث (زوائدالهيثمي) (٢ / ٨٤٧)، وحلية الأولياء (٥ / ١٨٣)، والمطالب العالية (١١/ ٣٤٦).

آداب التبسم والضحك

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن الضحك ليس أمراً محرماً، فليس ينبغي للمسلم أن يكون عبوسًا خشنًا مكفهر الوجه؛ فإن الضحك أمر جبلي طبعي: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾[1].

والابتسامة: مفتاح مؤكد النتيجة، ودواء أكيد المفعول، يقرّب البعيد، ويهدّئ الغضبان، من خلاله يدخل المرء إلى قلب صديقه، وعن طريقه تدخل المرأة إلى شغاف قلب زوجها، ومن نعم الله تعالى على الإنسان أن يرزقه وجهًا مبتسمًا دائمًا، لا يعرف الحزن والهم والغم، يبتسم لكل موقف، لأنه يرضى بقضاء الله وقدره، فالرجل المبتسم يكون دائما في حالة ارتياح نفسي، وهذا أقدر من المنفعل والمتشنج على التفكير، واختيار الكلمات المناسبة، التي يتعامل بها مع الناس.

تعريف الضحك والتبسم:

عرف أهل اللغة التبسم بأنه مبادئ الضحك، والضحك انبساط الوجه

---

(١) سورة النجم: الآية ٤٣.

حتى تظهر الأسنان من السرور، فإن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعد فهو القهقهة، وإلا فهو الضحك؛ وإن كان بلا صوت فهو التبسم(١).

مراتب الضحك :

بتتبع هذه المراتب نجدها لا تخرج عن حالات ثلاث هي ما يلي:

أولاً : التبسم :

ويعتبر مبتدأ الضحك، وهو انفراج الفم بلا صوت ؛ إذ يمثل أقل الضحك وأحسنه؛ ويكون غالبًا للسرور. قال ﷻ: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾(٢)، قال الزجاج: التبسم أكثر ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام(٣).

وكانت البسمة أقرب ما تكون إلى قلب الرسول الخاتم ﷺ وشفتيه، بل كانت من ضمن وصاياه للناس؛ حتى رفع قدرها إلى مستوى الصدقة فقال ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة**»(٤).

---

(١) فتح الباري (ج ١٠ / ص ٥٠٤).

(٢) سورة النمل: الآية ١٩.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (ج ٨ / ص ٥٣٦)، ولسان العرب (ج ١٢/ ص ٥٠)، وتاج العروس (ج ٣١/ ص ٢٨٦).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٣٠٧ ، رقم ٨٩١) ، والترمذي (٤/ ٣٣٩ ، رقم ١٩٥٦) وقال : حسن غريب . وابن حبان (٢/ ٢٨٧ ، رقم ٥٢٩) . وأخرجه أيضًا : البزار (٩/ ٤٥٧ ، رقم ٤٠٧٠) ومحمد بن نصر (٢/ ٨١٧ ، رقم ٨١٣) .

وجعل ﷺ لقاء الناس بوجه طليق -أي: بوجه باسم- من قبيل المعروف، فقال ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط**»[١]. فالوجه المبتسم: هو من نعم الله تعالى على الإنسان، وينظر إلى صاحبه بشيء من الثقة التي لا توحي بها الملامح المتجهمة المنكرة تحت وطأة الآلام والأحزان.

ثانيًا: الضحك:

وهو أعم من التبسم، فكل تبسم ضحك، وليس كل ضحك تبسمًا؛ ولذلك قال ابن حجر رحمه الله: «فإن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بُعد فهو القهقهة وإلا فهو الضحك، وإن كان بلا صوت فهو التبسم»[٢].

وتسمى الأسنان في مقدم الفم: الضواحك، وهي الثنايا والأنياب وما يليها، وتسمى النواجذ وهي التي تظهر عند الضحك.

ثالثًا: القهقهة:

والقهقهة هي الضحك بصوت مرتفع بحيث يُسمع من بُعد؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا قطّ حتى أرى منه

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ١٦٧، رقم ١٢٠٨)، وأحمد (٥/ ٦٣، رقم ٢٠٦٥١)، وأبو داود (٤/ ٥٦، رقم ٤٠٨٤)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٤٨٦، رقم ٩٦٩١)، والبغوي (١/ ٤٦٩، رقم ٣٠٧)، والطبراني (٧/ ٦٣، رقم ٦٣٨٤)، وابن حبان (٢/ ٢٨١ ، رقم ٥٢٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٥٢، رقم٨٠٥٠)؛ والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٤٠٣، رقم ١١٨٢)، والحسين المروزي في زوائد الزهد (ص ٣٦٠، رقم ١٠٠١٧).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٥٠٤).

لهواته، وإنما كان يتبسم»(١).

واللهوات جمع لهاة وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم يعني : ما يكون ضاحكًا تامًّا مقبلًا بكليته على الضحك، بحيث تبدو اللهاة التي في آخر الفم(٢).

ولذلك كان هذا النوع من الضحك مخالفًا لهدي الرسول ﷺ حيث كان لا يكثر الضحك ولا يقهقه، أي لا يرفع صوته به، بل كان وقورًا متزنًا هادئًا كما وصفه جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «إن النبي ﷺ كان طويل الصمت قليل الضحك»(٣).

وقال ابن حجر رحمه الله بعد أن استعرض عددًا من الأحاديث المتعلقة بالتبسم والضحك: «والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان لا يزيد في معظم أحواله عن التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك ؛ والمكروه في ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط ؛ لأنه يُذهب الوقار»(٤).

أنواع من الضحك :

ضحك التعجب:

من الضحك ما يكون بسبب التعجب، فإذا تعجب الشخص من أمرٍ ما،

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٦٧، رقم ٤٨٢٨) ، ومسلم (٣/ ٢٦، رقم ٨٩٩).

(٢) شرح النووي على مسلم (ج ٦ / ص ١٩٧).

(٣) أخرجه الطيالسي (ص ١٠٥ ، رقم ٧٧١) .

(٤) فتح الباري (ج ١٠/ ص ٥٠٥).

فقد يضحك قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾[1]، فضحكها كان للتعجب.

ضحك الفرح:

ومن الضحك ما يكون سببه الفرح والسرور، كما قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾[2]، فالمؤمن إذا رأى يوم القيامة ما وعده الله من النعيم سر لذلك واستبشر وضحك؛ وهذا والله الموقف الذي يستحق الضحك.

ضحك التهكم والسخرية:

فقد يكون الضحك بسبب التهكم والسخرية والازدراء، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾[3]، وإنما يكون ذلك في الدنيا، كما كان كفار قريش يضحكون على ضعف المؤمنين

---

(١) سورة هود: الآيات ٦٩ – ٧٢.

(٢) سورة عبس: الآيات ٣٣ – ٤٢.

(٣) سورة المطففين: الآيتان ٢٩ – ٣٠.

في أول الإسلام، وقبل أن تقوم لهم دولة؛ وكانوا يضحكون عليهم، وعلى فقرهم وقلتهم.

ضحك الغضب:

وقد يبدو هذا غريبا، ولكن قد يكون الغضب أحيانا دافعا للضحك، وهو كثيرًا ما يعتري الغضبان إذا اشتد غضبه . وسببه : تعجب الغضبان مما أورد عليه الغضب، وشعور نفسه بالقدرة على خصمه، وأنه في قبضته، وقد يكون ضحكه لملكِهِ نفسَه عند الغضب، وإعراضه عمن أغضبه، وعدم اقتدائه به (١).

وهناك أنواع أخرى من الضحك، مثل ضحك الملاطفة أو الترحيب، وضحك الفوز عند الانتصار، وضحك التسلية، وكذلك الضحك في الحالة الهستيرية والجنون.

مشروعية الضحك والابتسام:

الضحك صفة في الإنسان، وهو مما جبل الله ﷻ الإنسان عليه، وجمعه مع ضده، فكما أنه خلق الموت والحياة، وخلق الذكر والأنثى فكذلك جل شأنه: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ (٢)، بل إن الضحك صفة من صفات الباري ﷻ.

ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله، عند أبي رزين قال: قال النبي ﷺ: «**ضحك**

---

(١) زاد المعاد لابن القيم (ج/ ١) مؤسسة الرسالة .

(٢) سورة النجم: الآية ٤٣.

ربنا ﷻ من قنوط عباده وقرب غيره»؛ فقال أبو رزين: أو يضحك الرب ﷻ؟ قال: «**نعم**»، فقال: لن نعدم من رب يضحك خيرا»[١].

فعند أهل السنة والجماعة أن الضحك صفة حقيقية لله ﷻ، يضحك ربنا لكن ليس كضحك المخلوقات، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢].

ومما ورد أيضا في ضحك الله ﷻالحديث المتفق عليه: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما في الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله ﷻ فيستشهد ثم يتوب الله على القاتل، فيسلم فيقاتل في سبيل الله ﷻ فيستشهد**»[٣].

والنبي ﷺ كان ضحكه التبسم، بل كله التبسم وكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجذه، كما في حديث عبدالله بن الحارث رضي الله عنه أنه قال: «ما رأيت أحدًا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ»[٤].

الضحك المندوب :

مضاحكة الزوجة وملاعبتها:

قال ﷺ: «**تزوجتَ ياجابر**»؟ فقلت: نعم ! فقال: «**بكرًا أم ثيبًا**»؟ قلت:

---

(١) أخرجه الدارقطني في الصفات (١/ ٢٧ ، رقم ٣٠) .

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٤٠ ، رقم ٢٦٧١) ، ومسلم (٣/ ١٥٠٤ ، رقم ١٨٩٠).

(٤) أخرجه أحمد(٤/ ص١٩١، رقم١٧٧٥٠)، وحسنه الأرناؤوط، والترمذي (٥/ ٦٠١، رقم ٣٦٤١)، وصححه الألباني.

بل ثيِّبًا، قال: «**فهلاّ جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك**»[(١)].

لقاء الناس بوجه طلق:

وذلك لإدخال السرور عليهم، كما في حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: ما رآني رسول الله ﷺ منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي [(٢)].

وقال ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة**»[(٣)].

من ضحك النبي ﷺ وتبسمه:

أولا: في ضحكه ﷺ:

استأذن عمر رضي الله عنه في الدخول على النبي ﷺ وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر تبادرن بالحجاب، فأذن له النبي فدخل، والنبي يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فقال: «**عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب**»، فقال: أنت أحق أن يهبن يا رسول الله، ثم أقبل عليهن فقال: يا عدوّات أنفسهن أتهبنني ولم تهبن رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «**إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٠٩، رقم ٤٩٤٩)، ومسلم (٢/ ١٠٨٧، رقم ٧١٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٤٧، رقم ٣٤٨٠)، ومسلم (٤/ ١٨٦٣، رقم ٢٣٩٦).

ومن المواقف أيضا التي ضحك فيها رسول الله ﷺ ما حكاه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كنت أمشي مع رسول الله، وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ فجبذ بردائه جبذة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك؛ فالتفت إليه، فضحك ثم أمر له بعطاء»[(١)].

ثانيًا: في تبسمه ﷺ:

وعن جرير رضي الله عنه: قال ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي[(٢)].

وعن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال : نعم، كثيرًا، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم ﷺ[(٣)].

قال النووي: «في هذا الحديث جواز الضحك والأفضل الاقتصار على التبسم كما فعله رسول الله ﷺ في عامة أوقاته»[(٤)].

ومن ذلك ما حكاه صهيب الرومي رضي الله عنه، قال: قدمتُ على النبي ﷺ وبين يديه خبز وتمر. فقال النبي ﷺ: «**ادنُ فكل**» فأخذت آكل من التمر، فقال

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ١٨٨، رقم ٥٨٠٩) ، ومسلم (٣/ ١٠٣، رقم ١٠٥٧).

(٢) أخرجه البخارِي (٤/ ٧٩، رقم ٣٠٣٥)، ومسلم (٧/ ١٥٧، رقم ٦٤٤٦).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٨١١، رقم ٢٣٢٢).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (ج ١٥/ ص ٧٩).

النبي : «**تأكل تمرًا وبك رمد**»؟ قال: فقلت: إني أمضغ من ناحية أخرى! فتبسم رسول الله[١].

من آداب الضحك :

النهي عن كثرة الضحك:

ليس من المروءة ولا الأدب أن يكون الضحك هو الغالب على المجلس، فقليله يبعث في النفس النشاط ويروح عنها، وكثيره داءٌ يميت القلب، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تكثروا من الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب**»[٢].

وقال عمر بن الخطاب ﵁: «من كثر ضحكه قلّت هيبته، ومن أكثر من شيء عُرِفَ به»[٣].

العلاج من كثرة الضحك :

تعالج كثرة الضحك بعدة أمور، منها [٤]:

١ - الإكثار من ذكر الله تعالى .

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١١٤٠، رقم ٣٤٤٣)، وصححه الألباني، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٥، رقم ٧٣٠٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٠ ، رقم ٨٠٨١) ، والترمذي (٤/ ٥٥١ ، رقم ٢٣٠٥) ، وقال : غريب ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٧٨ ، رقم ٩٥٤٣) .

(٣) روضة العقلاء (١ / ٨٠)، والمعجم الأوسط (٢/ ٣٧٠)، وشعب الإيمان (٤ / ٢٥٧).

(٤) محاضرة «**في آداب الضحك**» للشيخ محمد صالح المنجد .

٢- تذكر عظمة الله تعالى .

٣ - تذكر الموت واليوم الآخر .

٤- مجاهدة النفس في كتم الضحك .

٥- عدم الإكثار من مخالطة الشخصيات الهزلية .

٦- محاولة اعتياد الجدية.

اجتناب الإضحاك بالكذب:

فعلى المسلم أن يحذر من إضحاك الناس بالكذب، لقول الرسول ﷺ: «**ويل للذي يحدث بالحديث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له**»[(١)].

أن يكون تبسما أكثر منه ضحكا:

كما في حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه السابق في وصف رسول الله ﷺ: «وكان لا يضحك إلا تبسمًا».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «التبسم دعابة وهو أبلغ في الإيناس من الضحك»[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٥ ، رقم ٢٠٠٥٨) ، وأبو داود (٤/ ٢٩٧ ، رقم ٤٩٩٠) ، والترمذي (٤/ ٥٥٧ ، رقم ٢٣١٥) وقال : حسن . والطبراني (١٩/ ٤٠٣ ، رقم ٩٥١) ، والحاكم (١/ ١٠٨ ، رقم ١٤٢) . وأخرجه أيضًا : الدارمي (٢/ ٣٨٢ ، رقم ٢٧٠٢) ، وهناد (٢/ ٥٥٤ ، رقم ١١٥٠) ، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥٠٩ ، رقم ١١٦٥٥) ، والروياني (٢/ ١٠٧ ، رقم ٩١٠) .

(٢) أدب الدنيا والدين (ج ١ / ص ٣٩٥).

آداب تربية الأولاد

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

ففي زمنٍ تكالب فيه أعداء الإسلام على أهله، وفي زمنٍ كشّر الشرُّ عن أنيابه، وفي زمنٍ انتشرت فيه وسائل الفساد وعمّت وطمّت كان لزامًا علينا أن نهتمّ بشأن تربية الأولاد، وأن نبحث عن كل ما مِن شأنه أن يعيننا على القيام بهذه المسؤولية.

وإن مما يحزن له القلب ويتفتّت له الفؤاد أن ترى كثيرًا من الناس قد أهملوا تربية أولادهم، واستهانوا بها، وأضاعوها، فلا حفظوا أولادهم، ولا ربوهم على البر والتقوى، بل وللأسف الشديد إن كثيرًا من الآباء يكونون سببًا لشقاء أولادهم وفسادهم، قال ابن القيم رحمه الله: «وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه وإعانته على شهواته، وهو بذلك يزعم أنه يكرمه وقد أهانه، ويرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوّت على ولده حظّه في الدنيا والآخرة»، ثم قال رحمه الله: «وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء» أ.هـ.

الأمر بتأديب الأبناء وتربيتهم:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ

وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أي أدبوهم وعلموهم»؛ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أي اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله، وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار».

الأبناء نعمة من الله:

إن أمانة الأبناء خطيرة وحقهم شديد وعسير، ولقد أولى الإسلام العناية بالأبناء منذ اختيار الأرض التي تبذر فيها، فإن من أعظم النعم التي يعيشها المرء أن يرى ذرية له في هذه الحياة هبة من رب العالمين، ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[2].

تلك الذرية أكبادٌ لآبائهم تمشي على الأرض، إن تألموا تَأَلَّمَ آباؤهم لذلك أشد، وكما قيل:

وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا — أكبادنا تمشي على الأرض

إن هبت الريح على بعضهم — لامْتَنَعَتْ عيني عن الغمض

وتتم النعمة للآباء بصلاح أبنائهم وسبقهم إلى طاعة ربهم سبحانه وتعالى، لذلك كان من دعاء المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ

---

(١) سورة التحريم: الآية ٦ .

(٢) سورة الشورى: الآيتان ٤٩ – ٥٠.

وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (١).

وأعظم بنعمة الأولاد من نعمة! فواجب على المسلم شكرُها، وذلك بأن يتقي الله ﷻ فيها، ويقيم الحقوق التي أمر بها تجاهَها.

مسؤولية الوالدين في التربية:

وقد حُمّل الأبوان المسؤوليةَ الكبرى من تنشئة أبنائهم وتربيتهم التربية الصالحة، فإن صلحت التربيةُ كان الصلاح في الأبناء بإذن الله ﷻ، وإن كانت التربية إلى السوء أقرب فإن النبات سيكون نبات سوء إلا ما شاء الله.

لذا جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**» (٢)، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (٣).

إذن: فالنشأة الصالحة من صلاح المنشأ، وعلى الأبوين تقع تلك الأمانة العظمى، فإن أدّيا وكان الأمر خلاف ما سعيا له فقد برأت منهم الذمة، والله ﷻ يهدي من يشاء ويضل من يشاء؛ ولكن السذاجة فيمن هيأ لأبنائه سبل الغواية والضلال ثم هو يتعلل بالقدر.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٥٦، رقم ١٢٩٢)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧، رقم ٢٦٥٨).

(٣) سورة الروم: الآية ٣٠.

اهتمام بالأولاد من بدايات الأمر:

لقد اهتم الإسلام بالنشء أبلغ الاهتمام، وذلك من بدايات الأمر، فيما يلي:

حسن اختيار الأم:

فحيث حث على الزواج بالمرأة الصالحة، وحث ولي المرأة على أن يختار لها الرجل الصالح، ليكوّنا بيتاً وجيلاً يبنى على أساس ثابت على تقوى من الله ورضوان، فها هو رسول الله ﷺ يقول لنا: «**تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم**» [١]، ويقول ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع: لحسبها وجمالها ومالها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[٢].

الأمر بدعاء الجماع:

أمر الإسلام بعد الزواج أن يتبع الأبوان كلَّ ما من شأنه حفظ الولد من نزغات الشياطين، فعند الجماع أن يقولا: «**باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا**» [٣].

الإرشاد للدعاء بالذرية الصالحة:

وما زال الأنبياء وهم أنبياء معصومون يهتمون بدعاء الله سبحانه وتعالى لصلاح

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٣٣، رقم ١٩٦٨)، والحاكم (٢/ ١٧٦، رقم ٢٦٨٧)، والبيهقي (٧/ ١٣٣، رقم ١٣٥٣٦)، والدارقطني (٣/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٥٨، رقم ٤٨٠٢)، ومسلم (٢/ ١٠٨٦، رقم ١٤٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١١٩٦، رقم ٣١٠٩)، ومسلم (٢/ ١٠٥٨، رقم ١٤٣٤).

أبنائهم، فهذا الخليل عليه السلام يدعو الله سبحانه وتعالى أن يرزقه ولداً صالحاً فيقول: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(١)، ويقول عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾(٢)، ويقول: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾(٣)، ويقول هو وإسماعيل عليهما السلام عند بناء البيت: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ﴾(٤)، ويقول زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾(٥).

حقوق المولود بعد ولادته:

وعند ولادته أن يؤذن في أذنه، وأن يختار له من الأسماء أحسنها، ثم التدرج في تربيته، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع**»(٦)، وترسيخ العقيدة وكلمة الشهادة في نفسه.

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٠٠.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٥ .

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤٠ .

(٤) سورة البقرة: الآية ١٢٨.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٣٨.

(٦) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٠ ، رقم ٦٦٨٩) ، وابن أبي شيبة (١/ ٣٠٤ ، رقم ٣٤٨٢) ، وأبو داود (١/ ١٣٣ ، رقم ٤٩٥) ، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٦) ، والحاكم (١/ ٣١١ ، رقم ٧٠٨) ، والبيهقي (٢/ ٢٢٩ ، رقم ٣٠٥٢) .

وهكذا جعلها مسؤولية وأمانة سيسأل الأبوان عنها، كما جاء في الحديث المتفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته**»(١).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «قال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده، فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً فللابن على أبيه حق».

ثم يقول رحمه الله: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبت إنك عققتني صغيراً فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً».

التربية الخاطئة لبعض الآباء:

كم يتألم المرء عندما يرى من أبناء المسلمين مَن لم يحظ من أبويه بالبناء الراسخ والتربية الصالحة، وإنما كان حظه منهم الغفلة عنه، بل وتهيئته للضلال والغواية، حتى نشأ على ذلك فصار يتأذى الناس منه، ويرسلون الدعوات عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤٨، رقم ٢٢٧٨)، ومسلم (٣/ ١٤٥٩، رقم ١٨٢٩).

نعق الغراب بما كرهت ... ولا إزالة للقدر

تبكي وأنت قتلتها ... وطرقت أسباب الضرر

وتنوح من هول المصاب ... وأنت هيأت الخطر

فاليوم لا يجدي العويل ... ولا البكاء ولا الضرر

ذق إنما كسبت يداك ... فلا مناص ولا مفر

عبرٌ يلوح بها الزمان ... وليس تجديك العبر

فأيها الأب وأيتها الأم، ستسألان عن ابنكما، وسوف يتعلق برقبتكما فما أنتما قائلان؟! بم ستجيبان سؤال ربكما إن أهملتما حق أبنائكما في التربية والتوعية الدينية؟ فيجتمع عليكما عار الدنيا، ومذلة الآخرة.

حسن تربية السلف لأبنائهم:

إن لنا في أسلافنا خير مثل في تربيتهم أبناءهم، وتنشئتهم النشأة الصالحة بترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوسهم وتعليم أمور الدين وتصحيح العبادات عندهم.

من تربية النبي ﷺ للأطفال:

وخير مثال لذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال: «**يَا غُلامُ إِنِّي أُعلِّمكَ كَلِمَاتٍ: «احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَل الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، واعلَمْ: أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجتَمعتْ عَلَى أَنْ ينْفعُوكَ بِشيْءٍ، لَمْ يَنْفعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَد كَتَبَهُ الله لَكَ، وإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بَشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله عليْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ،**

وجَفَّتِ الصُّحُفُ» ، وفي رواية غيرِ التِّرْمِذيِّ: «**احفظَ الله تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى الله فِي الرَّخَاءِ يعرِفْكَ فِي الشِّدةِ، واعْلَمْ أَنّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَك، وَمَا أَصَابَكَ لمْ يَكُن لِيُخْطِئَكَ واعْلَمْ أنّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْب، وأَنَّ مَعَ الْعُسرِ يُسْراً**»(١) .

هكذا يرسخ النبي ﷺ تلك المعاني العظام في نفس ابن عباس رضي الله عنهما وهو إذ ذاك غلام؛ فمن من الآباء في هذا الوقت يرسّخ في نفس ابنه أمثال تلك المعاني؟ بل إن منهم من إذا عُلِّم ابنُه أمور الحلال والحرام، قال: لا تعقدوه ، فإنه صغير ولا يحتمل هذا.

أبناء تربوا فأفلحوا:

وكم يحكي لنا التاريخ، صورا من حياة أطفال أحسن أهلوهم تربيتهم فأفلحوا، وصاروا رموزا على جبين التاريخ.

الطفل الأمين:

يمر ابن عمر رضي الله عنهما في سفر له على غلام يرعى غنماً، فيقول له: تبيع من هذه الغنم واحدةً؟ فقال: إنها ليست لي، فقال ابن عمر ـ مختبراً له ـ قل لصاحبها: إن الذئب أخذ منها واحدة. فقال الغلام: فأين الله؟! فكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول بعد ذلك إلى مدة مقالة ذلك الغلام: فأين الله؟!

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣ ، رقم ٢٦٦٩) ، والترمذي (٤/ ٦٦٧ ، رقم ٢٥١٦) وقال : حسن صحيح . والحاكم (٣/ ٦٢٣ رقم ٦٣٠٢) وقال : عال من حديث عبد الملك بن عمير عن ابن عباس . والضياء (١٠/ ٢٥ ، رقم ١٥) . وأبو يعلى (٤/ ٤٣٠ ، رقم ٢٥٥٦) .

أطفال مجاهدون:

كان صغار الصحابة ﭫ يتسابقون إلى الخير، فكانوا يتوارون ويبكون حتى يخرجوا للجهاد في سبيل الله ﻷ، ومن ذلك أن عمير بن أبي وقاص كان يتوارى قبل أن يعرض النبي الصفوف، فرآه أخوه سعد، فقال له: مالك يا أخي؟ فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة، فكان سعد يقول: فكنت أعقد حمائل سيفه.

ابنك الصالح ثروتك الباقية:

فلذات أكبادكم أمانة حُمّلتموها، فاسعوا لإرضاء ربكم فيها، عسى أن يكونوا قرة عين لكم في الدنيا والآخرة، فإن الإنسان إن مات وكان له أولاد صالحون فإنه ليرتفع في درجات النعيم بدعواتهم، وذلك كما جاء عند مسلم أن النبي ﷺ قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده**» [(١)].

سبل تعين على صلاح الذرية:

ومن الأشياء التي تعين على صلاح الأبناء أن يجلس ولي الأمر مع أولاده يسمع منهم، ويكلمهم ويتقرب إليهم ويرشدهم إلى ما فيه الخير، ويحذرهم من الشر، ويشعرهم بعطفه واهتمامه، ويفتح لهم صدره، أما أن ينشغل الأب عن أبنائه فلا يراهم ولا يرونه فهذا خطأ كبير.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٢٥٥ ، رقم ١٦٣١).

أمور مهمة في التربية:

١- ترسيخ الإيمان:

فمما يجب ـ بل هو أوجب شيء على الوالدين ـ أن يحرصوا كل الحرص على غرس العقيدة الصحيحة، وأن يتعاهدوها بالسقي والرعاية، كأن يعلّم الوالد أولاده منذ الصغر أن ينطقوا بالشهادتين، وأن يستظهروها، وينمي في قلوبهم محبة الله عز وجل، وأنّ ما بنا من نعمة فمنه وحده، ويعلمهم أيضا أن الله في السماء، وأنه سميع بصير، ليس كمثله شيء، وأن ينمي في قلبه محبة نبيه محمد ، إلى غير ذلك من أمور العقيدة.

٢- الصلاة:

فلا بد وأن نعوّد أبناءنا على الصلاة منذ الصغر، ندعوه إلى الصلاة بالحكمة واللين، ونرغبه بالصلاة ونشجعه عليها، ونتابعه في صلاته كما نتابعه في دراسته بل وأكثر من ذلك، فالنبي أرشدنا إلى ذلك، قال: قال النبي ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع**»(١).

٣- الأخلاق الكريمة:

مِن صدق ووفاء واحترام وبذل وحسن خلق وطيب معشر وحُسن حديث وحبّ للعلم والعلماء وصبر وحِلم وغيرها من الصفات الحميدة، فالطفل منذ نعومة أظفاره جوهرة لامعة، فمتى حرصت على هذه الجوهرة

---

(١) سبق تخريجه.

بقيت غالية وثمينة، ومتى أهملتها فقدت قيمتها ولمعانها، وأصبح من الصعب إعادتها إلى ما كانت عليه.

وصايا وتوجيهات معينة على تربية الأولاد:

وهذه وصايا ومعالم تعين الوالدين على القيام الحق بتوجيه أولادهم وتربيتهم التربية التي يرجى معها صلاح الأبناء، وسعادة الآباء بهم في الدارين الدنيا والآخرة:

١- سؤال الله الذرية الصالحة:

فهذا العمل دأب الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين كما قال تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[1]، وكما حكى عن الصالحين أن من صفاتهم أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[2].

٢- تنشئتهم على الآداب الإسلامية وتدريبهم عليها:

من آداب الأكل والشرب وآداب النوم وآداب الضيافة وآداب المجلس وآداب السلام وآداب قضاء الحاجة وآداب الجار وتشميت العاطس وغير ذلك، فمتى اعتادها في الصغر نشأ عليها في الكبر، وسهل عليه القيام بها، وسرّ الأب بها وثناء الآخرين على حسن تربيته.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٨.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

٣- الحرص على استعمال العبارات المقبولة الطيبة مع الأولاد، والبعد عن العبارات المرذولة السيئة:

فمما ينبغي للوالدين مراعاته أن يحرصا على انتقاء العبارات الحسنة المقبولة الطيبة، البعيدة عن الإسفاف في مخاطبة الأولاد، وأن يربؤوا بأنفسهم عن السب والشتم واللجاج وغير ذلك من العبارات البذيئة والسيئة.

فإذا أعجَب الوالدين شيءٌ من عمل الأولاد على سبيل المثال قالا: ما شاء الله، وإذا رأيا ما يثير الاهتمام قالا: سبحان الله، الله أكبر، وإذا أحسن الأولاد قالا لهم: بارك الله فيكم، أحسنتم، جزاكم الله خيرًا، وإذا أخطؤوا قالا: لا يا بني، ما هكذا، إلى غير ذلك من العبارات المقبولة الحسنة؛ حتى يألف الأولاد ذلك، فتعفّ ألسنتهم عن السباب والتفحّش.

٤- الحرص على تحفيظهم كتاب الله عز وجل:

فهذا العمل من أجلّ الأعمال التي يمكن أن يقوم بها الوالدان؛ فالاشتغال بحفظه والعمل به اشتغال بأعلى المطالب وأشرف المواهب، ثم إن فيه حفظًا لأوقاتهم وحماية لهم من الضياع والانحراف، فإذا حفظوا القرآن أثر ذلك في سلوكهم وأخلاقهم، وفجر ينابيع الحكمة في قلوبهم.

٥- أن تكون قدوة صالحة لأولادك:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾(١)، وقال عليه السلام: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا

(١) سورة الكهف: ٨٢.

سَدِيدًا ﴾[1]؛ فينبغي للوالدين أن يكونا قدوة صالحة لأولادهم في الصدق والاستقامة وجميع شؤونهم، وأن يتمثلا ما يقولانه. ومن الأمور المستحسنة في ذلك أن يقوم الوالدان بالصلاة أمام الأولاد؛ حتى يتعلم الأولاد الصلاة عمليًّا من الوالدين، وهذا من الحكم التي شرعت لأجلها صلاة النافلة في البيت.

٦- إبعاد المنكرات وأجهزة الفساد عن الأولاد:

فمما يجب على الوالد تجاه أولاده أن يحميهم من المنكرات، وأن يطهر بيته منها، حتى يحافظ على سلامة فطر الأولاد وعقائدهم وأخلاقهم، ويجدر به أن يوجد البدائل المناسبة المباحة، سواء من الألعاب أو الأجهزة التي تجمع بين المتعة والفائدة، حتى يجد الأولاد ما يشغلون به وقت فراغهم.

٧- أن تقدر مراحل العمر للأولاد:

فالولد يكبر وينمو تفكيره، فلا بد أن تكون معاملته ملائمة لسنه وتفكيره واستعداده، وأن لا يعامل على أنه صغير دائما، ولا يعامل أيضا وهو صغير على أنه كبير؛ فيطالب بما يطالب به الكبار، ويعاتب كما يعاتبون، ويعاقب كما يعاقبون.

٨- الجلوس مع الأولاد في المنزل:

فمما ينبغي للأب مهما كان له من شغل أن يخصص وقتا يجلس فيه مع الأولاد؛ يؤنسهم فيه، ويسليهم، ويعلمهم ما يحتاجون إليه؛ لأن اقتراب الولد من أبويه ضروري جدا، وله آثاره الواضحة، فهذا أمر مجرب، فالآباء الذين

---

(١) سورة النساء: الآية ٩.

يقتربون من أولادهم ويجلسون معهم ويمازحونهم يجدون ثمار ذلك على أولادهم، حيث تستقرّ أحوال الأولاد، وتهدأ نفوسهم، وتستقيم طباعهم.

٩- العدل بين الأولاد:

روى النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلاما ـ أي: وهبته عبدًا كان عندي ـ، فقال رسول الله : «**أكلَّ ولدك نحلته مثله؟**» فقال: لا، فقال رسول الله : «**فأرجعه**» ، وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»، قال فرجع فرد عطيته، وفي رواية: «**فلا تشهدني إذًا، فإني لا أشهد على جور**» (١).

فما قامت السماوات والأرض إلا بالعدل، ولا يمكن أن تستقيم أحوال الناس إلا بالعدل؛ فمما يجب على الوالدين تجاه أولادهم أن يعدلوا بينهم، وأن يتجنّبوا تفضيل بعضهم على بعض، سواء في الأمور المادية كالعطايا والهدايا والهبات، أو الأمور المعنوية كالعطف والحنان والفرح والحزن.

١٠- عدم استعجال النتائج في التربية:

فعلى الوالد إذا بذل مستطاعه لولده وبيّن له وحذّره ونصح له واستنفد كل طاقته أن لا يستعجل النتائج، بل عليه أن يصبر ويصابر ويستمر في دعائه لولده وحرصه عليه؛ فلربما استجاب الولد بعد حين وادَّكر بعد أمة.

١١- استشارة ذوي الخبرة التربوية:

من لديه خبرة بالتربية من العلماء والدعاة والمعلمين والمربين، ممن لديهم

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩١٤ ، رقم ٢٤٤٧) ، ومسلم (٣/ ١٢٤٣ ، رقم ١٦٢٣) .

خبرة في التربية وسبر لأحوال الشباب وتفهم لأوضاعهم وما يحيط بهم وما يدور في أذهانهم، فحبذا استشارتهم والاستنارة برأيهم في هذا الصدد، فهذا الأمر يعين على تربية الأولاد.

١٣- الحرص على مرافقتهم لرفقة صالحة:

ومن الأمور المهمة أن يتعرف الوالدان على أصدقاء أولادهم، فالطيور على أشكالها تقع، فمن صاحب الأخيار كان منهم، ومن صاحب الأشرار صار منهم. فعلينا أن نشجع أولادنا على مصاحبة الأخيار، ونحذرهم من رفقة السوء، فالجليس الصالح هو خير معين لك على تربية ابنك؛ لأنه لا يأمره إلا بما فيه خير، ولا ينهاه إلا عن شر، يقول الرسول ﷺ: « **الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» [(١)].



(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٥٩ ، رقم ٤٨٣٣) ، والترمذي (٤/ ٥٨٩ ، رقم ٢٣٧٨) وقال : حسن غريب . وعبد بن حميد (ص ٤١٨ ، رقم ١٤٣١) .

أدب التسامح

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فقد قال ﷺ: «**أيسرُ الدّين الحنيفيّةُ السّمحة**»[(١)]. فشريعةُ الإسلام كلُّها خير ورحمةٌ وعدل، ومنفَعة للبشريّة في دنياهم وآخِرَتهم لمن قبِلَها، وآمَن بها والتزَمَها.

وقد وصفَ الله ﷻ نبي الإسلام ﷺ بأنّه رحمةٌ للعالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[(٢)].

وقال عنه ﷻ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[(٣)].

(١) علقه البخاري في كتاب الإيمان مجزومًا به، ووصلَه في الأدب المفرد (٢٨٧)، ورواه أحمد (١/ ٢٣٦)، وعبد بن حميد (٥٦٩)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «**أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**»، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (١/ ٩٤)، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٦٠): «وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ولم يصرّح بالسماع»، وله شواهد كثيرة، ولذا أورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٨١)، وانظر: السلسلة الصحيحة (٢٩٢٤).

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

بعثه الله سبحانه وتعالى بالحنيفيّة السّمحَة، ليرفَع الله سبحانه وتعالى ببعثتِه صلى الله عليه وسلم الآصارَ والأغلال التي كانت على مَن قبلنا مِن الأمم حينما وضِعت عليهم عقوبةً لهم، قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

الإسلام دين اليسر:

رفع الله الحرجَ عن هذهِ الأمّة فيما أمَرها به ونهاها عنه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2]. وأخبرنا ربّنا سبحانه وتعالى أنه أراد بنا اليسرَ فيما شرعَ لنا، فقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[3].

وعندما يتأمَّل المسلم هذه الشريعةَ حقَّ التأمّل ليرى السماحةَ واليسرَ جليّين في الأوامر والنواهي، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4].

فانظر إلى أصلِ الدّين توحيد ربِّ العالمين وإخلاص الدّين له، لما اشتدَّ الأمر على المسلمين بمكّة وعذِّب الضعفاءُ ومن لا ناصرَ له في الأرض، عذّبوا وأوذوا، قال الله لهم: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١١٥.

﴿مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ (١). فأُبيح لهم النطقُ بكلمةِ الكفر تخلُّصًا مِن عذابِ المشركين وظلمِهم وعدوانهم.

يسر الإسلام في الطهارة:

الطهارة التي جعَلَها الله شرطًا لصحّة الصلاة، وفي الحديث: «**لا يقبل الله صلاةً بلا طهور**»(٢).

هذه الطهارةُ بالماء التي هي شرطٌ لصحّة الصلاة عندما يفقِد المسلم الماءَ، أو عندما يتعذَّر عليه استعمالُه لمرضٍ أو قروحٍ ونحو ذلك أبيحَ له أن ينتقِل إلى التيمّم: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا﴾(٣). وقال ﷺ: «**وجُعِلت ليَ الأرض مسجدًا وطهورا**»(٤).

يسر الإسلام في الصلاة:

الصلاة التي هي الرّكنُ الثاني من أركانِ الإسلام، أوجب الله لها القيامَ والرّكوعَ والسّجودَ واستقبالَ القبلة، وهذه أركانُها وشروطُها، ولكنها قد تسقُط عند العَجز عنها، ففي الحديث: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطِع فقاعدًا، فإن لم تستطِع فعلى جَنب**»(٥).

---

(١) سورة النحل: الآية ١٠٦.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٤، رقم ٢٢٤).

(٣) سورة النساء: الآية ٤٣، وسورة المائدة: الآية ٦.

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٣٧٠، رقم ٥٢١).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٣٧٦، رقم ١٠٦٦).

فيصلّيها المسلمُ على قدرِ حالِه، وفي الآية يقول الله ﷻ: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾[١]. مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها عندما تدعو الضرورةُ إلى ذلك. وكذلك شرَع الله صلاةَ الخوف وما فيها من تخفيفٍ في الأركان؛ لأن ذلك من يسرِ هذه الشريعة.

يسر الإسلام في الصيام:

الصيام جعله الله ركنًا من أركانِ الإسلام، شهرًا في العام، أوجب الله على المقيمِ الصحيحِ أن يصومَ رمضانَ في وقته أداءً، وجعل هذا ركنًا من أركانِ الإسلام، وأباح للمريضِ والمسافِرِ الفطرَ وأن يقضيَا أيّامًا أُخر، وأباح للشيخِ الهرِم الكبير الذي يُعجزه الصيام مُطلقًا أن يطعمَ عن كلِّ يوم مسكينًا عِوَضًا عن الصيام، ولذا قال الله ﷻ في معرض الحديث عن فرض الصيام وأحكامه: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[٢].

يسر الإسلام في الحج:

فَرَضَ الله ﷻ الحجَّ على المسلم في عُمره مرّةً، وجعل هذا الفرضَ مشروطًا بالاستطاعة البدنيّة والماليّة: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣].

* * *

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

دعوة الإسلام إلى خُلق السماحة:

كما تبين مما سبق أن شريعةَ الإسلام مِن خُلقِها السماحةُ، لذا فهي تدعو المسلمَ لأن يكونَ متخلِّقًا بالسماحةِ في تعامُله مع عباد الله؛ لأنّ هذه السماحةَ التي يتخلَّق بها المسلم تقوِّي الإيمانَ في قلبه قبل كلِّ شيء، وتضاعِف الثوابَ له عند الله، ثم تشدُّ أزرَه بإخوتِه، فتكون المحبّةُ والمودّة سائدةً بين أفرادِ المجتمع.

فشريعةُ الله إذا تخلَّق بها المسلمُ في تعامُله مع عبادِ الله حقًّا فإنها تجلِب له المحبةَ والمودّة وتجعل له في قلوبِ العباد محبّةً مع ما سبَق ذلك من رِضوان الله، وما وعَد الله به المسلمَ خيرٌ من هذا كلِّه، ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾[(١)].

والعبدُ في هذه الدنيا لا بدَّ له من التعامُل مع الناس، أَخذًا وعطاءً، والتقاءً مع أفرادِ المجتمع، فلا بدَّ أن يروِّض نفسه على السماحةِ في تصرّفاته كلِّها؛ في بيعه، وشرائه، وقضائه، واستقضائه حقَّه، في تعامُله مع الناس، في سيرته وجلوسِه معهم وصحبته لهم، في كلِّ الأحوال. فإذا تخلَّق بالسماحةِ يسَّر الله أمرَه وبارك له في أحوالِه كلِّها.

من ظواهر سماحة النفس:

لسماحة النفس مظاهر عديدة، من أهمها:

١ - طلاقة الوجه واستقبال الناس بالبشر.

---

(١) سورة الضحى: الآية ٤.

٢- مبادرة الناس بالتحية والسلام والمصافحة وحسن المحادثة لأن من كان سمح النفس بادر إلى ذلك .

٣- حسن المصاحبة والمعاشرة والتغاضي عن الهفوات لأن من كان سمح النفس كان حسن المصاحبة لإخوانه وأهله ولأولاده ولخدمه ولكل من يخالطه أو يرعاه .

من صور السماحة :

وَللسَّماحة في حيَاةِ النَّاسِ صُوَر عَديدةٌ، ومِن تلك الصُّور:

التَّنازل عَن الحَقِّ ورفعُ الحَرج عَن النَّاس:

وذلك أنَّ الرَّجُل السَّمحَ السَّهلَ لا تَطِيبُ نَفسه بِأَن يحصِّل حقًّا لم تَطبْ بِهِ نفسُ الطَّرف الآخَرِ، فيُؤثر لذلِكَ التَّنازل عنه وَالسَّماحَةَ بِهِ وإِن كان لَه، كَما أَنَّه لسَاحتِهِ يحرِصُ على عَدَمِ إِيقَاعِ النَّاسِ في الحَرَج، وَلا يَشغلُه التَّفكيرُ بِمَا له عَنِ التَّفكيرِ بِمَا عَليه من سَاحةٍ مَع إِخوَانه وتَقدِيرٍ لِظُرُوفِهِم.

وفي مُسند الإِمَامِ أَحمد رحمه الله أَنَّ عُثمان رضي الله عنه اشتَرى مِن رجلٍ أَرضًا فأَبطأَ عَلَيهِ، فلقيه فقَال له: مَا منَعكَ من قَبضِ مَالك؟ قال: إِنَّك غَبنتَني؛ فَما أَلقَى من النَّاسِ أَحدًا إِلاَّ وهو يلُومُني، قال: أَوَذلك يَمنعُك؟ قال: نَعمْ، قَال: فَاختَر بين أَرضك ومَالِك، ثم قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أَدخَلَ اللهُ عز وجل الجَنَّةَ رَجُلًا كان سَهلًا مُشتَرِيًا وَبَائِعًا وَقَاضِيًا وَمُقتَضِيًا**»[(١)] .

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٦٧ ، رقم ٤٨٥) ، والنسائي في الكبرى (٤/ ٦٠ ، رقم ٦٢٩٥) ، وابن ماجه (٢/ ٧٤٢ ، رقم ٢٢٠٢) قال البوصيري (٣/ ١٩) : هذا إسناد رجاله ثقات ، إلا

السَّمَاحَةُ مَعَ مَن أَسَاءَ والإِحسَانُ إِلَيهِ:

ومِن أبرَزِ مواقف الرِّجال في ذلك موقف أَبي بَكرٍ الصَّديق ﵁ حين كان ينفق على ابنِ عمِّه مسطَحِ بنِ أثاثة ﵁ وكَان من فقَراء الصَّحابة، فلمَّا أثارَ المُنافِقونَ على عَائِشةَ ﵂ ما أَثَاروه من قَضِيَّة الإفك، وَاتَّهمُوها بِما هي منه بَرِيئةٌ، كان مسطَحٌ ممَّن تورَّطَ في حديث الإِفك، فَحلَف أَبُو بكرٍ ﵁ أَن لاَّ ينفقَ عَلَيه بعد ذلِك، فلمَّا أَمر الله تعالى بِالعَفوِ وَالصَّفحِ بادر أَبُو بَكرٍ ﵁ وكفَّرَ عَن يَمينه وعَفَا وصَفحَ، وعَاد يُنفقُ على مسطَحٍ، فَرضيَ الله عنه ما أَسمحَه وَأَنبَلَه! وما أَكرمَه وَأَجزَلَه! فَقَد كَانَ ممَّن قال الله فِيهِم: ﴿**وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ**﴾(١).

السماحة في الحوار:

لَقد حَثَّ الإسلام على السماحةِ في الحوار، وَرغَّب في التَّنازل عِند الاختلافِ، وَحَذَّر مِن الوقُوعِ في مغَبَّة الجَدل، فَتَعَهَّدَ ﷺ -وهو لا يَنطِقُ عَنِ الهَوى- بِبَيت في الجَنَّةِ لمن تنَازل وتَرك المِرَاءَ والجَدل، قال ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيتٍ في رَبَضِ الجَنَّةِ لمن تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا**»(٢).

كَما حذَّر ﷺ من كثرَة اللَّغوِ والتَّباري بِالأَلسنة وتَضيِيعِ الأَوقات في

أنه منقطع، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٥٣٦، رقم ١١٢٥٦). وأخرجه أيضًا: عبد ابن حميد (ص ٤٦، رقم ٤٧)، والضياء (١/ ٥٠٦، رقم ٣٧٥).

(١) سورة الشورى: الآية ٣٧.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٥٣، رقم ٤٨٠٠)، والطبراني (٨/ ٩٨، رقم ٧٤٨٨)، والبيهقي (١٠/ ٢٤٩، رقم ٢٠٩٦٥). والطبراني في الأوسط (٥/ ٦٨، رقم ٤٦٩٣).

الأَخذ والرَّدِّ والجذبِ والشَّدِّ، فقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيكُم عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ وَوَأْدَ البَنَاتِ وَمَنعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُم قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ المَالِ**»(١).

السماحة في البيع والشراء:

البيع تبادُل منافع بين الأفرادِ، هذا يبذلُ سلعتَه، وذا يبذل قيمتَها، ونبيّنا ﷺ أرشد المسلمَ أن يكونَ متخلِّقًا بخلُق السماحةِ في بيعه وشرائه، فيقول ﷺ: «**رحِم الله امرءًا سَمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتَضَى**»(٢).

وقال ﷺ: «**أفضل المؤمنين رجلٌ سمحٌ في بيعِه وسَمح في شرائه وسمحٌ إذا قَضى وسمح إذا اقتضى**»(٣).

نعم أيها المسلم، يكون المسلِم سمحًا في بيعِه، ليس الهدف أن يفرِّطَ في أمواله، ولا أن نقولَ تصرَّف فيها تصرّفَ السفيه، فتدفعُها بلا قيمةٍ تأخذها، هذا لا يقولُه أحَد، ولكنَّ السماحةَ في البيع تتمثَّل بطيبِ النفسِ وسخاءِ النّفس

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٦، رقم ١٨١٧٢)، والطبراني (٢٠/ ٣٨٥، رقم ٩٠٢)، قال الهيثمي (٨/ ١٤٧): رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٧٣٠، رقم ١٩٧٠)، وابن ماجه (٢/ ٧٤٢، رقم ٢٢٠٣)، وابن حبان (١١/ ٢٦٧، رقم ٤٩٠٣).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٩٧، رقم ٧٥٤٤). عن أبي سعيد الخدري ﷺ نحوه، قال منذري في الترغيب (٢/ ٣٥٤): «رواته ثقات»، وتبعه الهيثمي في المجمع (٤/ ٧٥)، وهو مخرج في السلسلة الضعيفة (٢٨٥٣). وفي الباب عن أبي هريرة ﷺ، أخرجه الترمذي في البيوع (١٣١٩)، وأبو يعلى (٦٢٣٨)، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب»، وصححه الحاكم (٢٣٣٨)، وهو في صحيح سنن الترمذي (١٠٦٤).

وكرَم النفس وجودِها، أنت بائعٌ ومستفيد، ولكنَّ السماحةَ لا بدَّ أن تصحبَك في بيعك؛ فاستقصاءُ الحقوق كاملةً تامّة لا يليق بك في موضعِ البيع، أنت تَبيع وتبحثُ عن الفائدة، وتطلُب المزيدَ من فضلِ الله، ولكن لتكُن السماحة واضحةً عليك وعلى نظراتِك وبسماتك أثناءَ بيعك، فتبيع حقًّا، وتطلُب حقّك، وتعرِض سِلعتَك، ولكن اعلم أنّ السماحةَ خلُق كريم، وأنّ السماحةَ عنوان كرَم النّفس وجودِ النفس وطِيبِ الخلُق، وهي حقيقتُها عدمُ الاستقصاءِ التامّ في كلّ الأمور.

فبعضُ الباعَةِ عندَما تفاوِضه في قيمةِ سِلعةٍ يريد بيعَها بدَلَ أن يفاوضَك بخلُقٍ طيّب إذا عرضتَ له سَومًا ما انقضَّ عليك غَضبًا واستهزاءً وسخريّة، وقيلٍ وقال، ورفع الصوتَ وأتى ببذاءةِ القول وفحش اللفظ، ليس هذا مِن خُلُق المسلم.

السماحة في قضاء الحقوق:

فالمسلم سمحٌ في قضائه، فإذا كانَت الحقوقُ في ذمّته فليكن سَمحًا في قضائِه، بمعنى أن لا يماطِل بالحقوق، ولا يضطرَّ صاحبَ الحقِّ لرفعِ صوتِه فالنبيّ ﷺ يقول: «**إنَّ لصاحبِ الحقِّ مقالًا**»(١).

فتكون سمحًا في قضائِك بأن تعطيَ الناسَ حقوقَهم في وقتِها، لا تماطل بهم، لا تخدعهم، لا تكذِب عليهم، لا تعطيهم المواعيدَ بعد المواعيد وأنت كاذِبٌ في وعدِك غيرُ وفيٍّ بما التزمتَ به؛ إذا كان الأمرُ يشقُّ عليك فتدبَّر أمرَك

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤٥، رقم ٢٢٧١).

قبلَ أن تتعلَّقَ بذمتك حقوقُ الآخرين.

كن سمحًا في قضائِك بأن تحرِصَ على الوفاءِ وتعطيَ الناسَ حقوقَهم طيّبةً بذلك نفسُك، غيرَ مماطلٍ، ولا كاذب، ولا هارب، إنما أنت صادِق في الوعد صادقٌ في القول، لا يشعُر منك البائع بكذِبٍ ولا إخلافِ وعدٍ ولا أمورٍ دنيئة، ولا تضطرّه إلى المحاكِمِ والترافُع إليها، بل أنت تَرى حقوقَ العباد واجبًا تبذلها بطيبِ النّفس؛ هكذا يكون المسلم في قضائه.

السماحة في إنظار المعسر أو التجاوز عنه:

ثم مَن له الحقُّ أيضًا مطلوبٌ منه أن يكونَ سمحًا في اقتضائه، يراعي شعورَ الآخرين، ويراعي ظروفَهم، ويراعي أحوالَهم، هو حقًّا مطالِبٌ بحقّ ولا شكّ، مطالِب بحقٍّ وله القول، لكن مع هَذا كلِّه فلا بدَّ من السماحة، فلا تلجِئ أخاك إلى ما لا يطيق، وخاطِبه بالقولِ الحسَن، وحتى في مرافعَتك كن عدلًا وسمحًا في أمورِك، فما يحِلّ المشاكلَ وينهيها بالطّرق الميسَّرةِ السّمحَة فذاك خيرٌ من أمورٍ تقسو بها القلوبُ وتعظم بها الفجوَة بين الإخوان المسلمين؛ ولذا شُرِع التيسير في الاقتضاءِ، والله ﷻ قال لنا: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[1].

فأمرنا أن ننظِر المعسرَ عندما نقتضِي منه أن نُنظرَه إن علِمنا فقرَه وقلّةَ ذاتِ يده، فلنُنظره إلى أن ييسِّرَ الله الأمرَ له، لكن أن نشمتَ به، ولكن أن نفضَحَه، ولكن أن نقولَ ونقولَ فيه ونحن نعلَم أنّه ليس ذا قدرةٍ على الوفاء

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

فذاك مما حرّم الله ﷻ.

وقد قال ﷺ: «**كان رجل تاجر يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فلقي الله فتجاوز عنه**»(١).

وقال ﷺ: «**من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»(٢).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه**»(٣).

السماحة في الإجارة:

فالمسلم سَمحٌ في اقتضاءِ الأُجرةِ، سمحٌ في قضاءِ حقِّ الأجير، لا يماطل بالأجير ولا يظلِمه، فلتكن سمحًا في بذلِ ما تحقَّق عليك في ذمَّتك مِن أُجرة، كما أنَّ المستأجِر يجب أن يكونَ سمحًا فيدفعُ الأجرةَ إلى صاحبها من غيرِ ضرَرٍ وأذًى يلحقه.

السماحة في التعامل مع الناس:

السّماحة مطلوبةٌ أيضًا في المعاملاتِ العامّة مع المسلمين، وفي الوضعِ الاجتماعيّ مع المسلمين، فلا بدّ أن تكونَ سمحًا، سماحتُك تتمثَّل في عفوٍ عمّن أساء، وفي صلةٍ لمن قطَع، وفي إعطاءٍ لمن منَع، كما قال ﷺ في وصيته لعقبة رضي الله عنه:

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٧٣١، رقم ١٩٧٢)، ومسلم (٣/ ١١٩٦، رقم ١٥٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣٠١، رقم ٣٠٠٦).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١١٩٦، رقم ١٥٦٣).

«يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ألا ومن أراد أن يبسط له في رزقه ويمد له في عمره فليتق الله وليصل رحمه»(١).

واسمع الله يؤدِّب المسلمَ بالأدبِ الحسَن، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٢). ويقول ﷻ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(٣).

فالحِلم على الجاهِل والعفوُ عن السّفيه وتحمُّل الأذى يكسِبك خلُقًا كريمًا ومكانةً في مجتمعك، وقبل ذلك عند الله الثوابُ العظيم، فتكونُ لك المكانةُ المرموقَة، وتعرَف لك تلك المكارِم بصبرِك وعفوِك وحِلمك عن جاهل وعدمِ مخاطبَتِك للسفهاء. يقول الله في وصفِ عبادِ الرحمن: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾(٤).

هكذا سماحةُ الإسلامِ في التعامُل، إنَّ المسلمَ سمحٌ في تعاملِه مع أصحابه، فلا يعاتِب على كلِّ خطأ، بل يعفو ويتناسَى ويتجاهَل كثيرًا من

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٨ رقم ١٧٤٨٨) ، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص ٢٢ ، رقم ١٩) ، والطبراني (١٧/ ٢٦٩ رقم ٧٣٩) ، والحاكم (٤/ ١٧٨ ، رقم ٧٢٨٥) . والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٢٢ ، رقم ٧٩٥٩) .

(٢) سورة فصلت: الآيتان ٣٤ – ٣٥.

(٣) سورة الشورى: الآية ٤٣.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

الأشياء لتدومَ المودّة والإخاء. أنت مع زوجتِك لو تعاتِبُها كلَّ يومٍ على كلِّ شيء لسئمت منك وضجِرت الحياةَ معك، ولكن إذا كنتَ تتغاضَى عن بعض الأشياءِ وتتناسى بعضَ الأشياء غير مخلّةٍ بشرَف ولا دين، ولكن تساهُلٌ وتسامح، عند ذلك تدومُ المودّة.

سماحة النبي ورحمته:

أنسٌ ﷺ خادِم النبي ﷺ، خدمه عشرَ سنين، وها هو أَنَس يخبِرنا عن خلُق النبيِّ مع من يخدِمه ومع من يقضِي حاجتَه، يقول أَنَس: «خدمتُ نبيَّكم عشرَ سنين، والله ما قال لي لشيء لم أفعله: لماذا لم تفعله؟ ولا لشيءٍ فعلتُه لماذا فعلته؟»[1].

سماحتُه في إرضاءِ الكلّ وإزالةِ اللَّبس عن كلّ أحد، فأصحابُه الكرام المهاجرون والأنصار كان معَهم في أسمحِ الخلُق وأعلاه وأكمله، لما انتهت غزوةُ حُنين وزَّع غنائمَه وخصَّ المؤلّفةَ قلوبُهم حديثي الإسلام بالأموالِ ترغيبًا لهم في الإسلام وتقويةً للإيمان، وترك أولئك القومَ الذين امتلأت قلوبُهم إيمانًا ويقينًا، فالدّين لا يعدِله عندهم شيء، فكأنَّ الأنصارَ وجدوا في أنفسهم إذ لم يُعطَوا من تلكَ الغنائِم وقال قائلهم: رحِم الله رسولَ الله، وجَد قومَه وعشيرتَه فأعرض عنّا، أو نحو ذلك.

فجمَع النبي ﷺ الأنصار ولم يدخِل معهم أحدًا، وقال لهم: «**يا معشرَ الأنصار، ألم أجِدكم ضُلالًا فهداكم الله بي؟**» قالوا: الله ورسوله أمنُّ، «**ألم**

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٣٠، رقم ٣٥٦١)، ومسلم (٧/ ٨١، رقم ٢٣٢٩).

أجِدكم متفرِّقين **فألَّفكم الله بي؟**» قالوا: الله ورسوله أمنّ، «**ألم أجِدكم عالةً فأغناكم الله بي؟!**» قالوا: الله ورسوله أمنّ، قال: «**أتَرضونَ أن يرجعَ الناس بالشاء والبعير وترجِعون بالنبيِّ إلى رحالكم؟! المحيا محياكُم، والمماتُ مماتُكم، الأنصارُ شِعارٌ والناس دِثار**»، قال: فبكى القومُ حتّى أخضَبوا لِحاهم وقالوا: رضِينا بالله وبرسولِه(١).

ويدخل مكّةَ فاتحًا ﷺ منتصِرًا عاليَ الرأس بنصرِ الله سبحانه وتعالى وتأييده، وتجتمع قريش في الحرم ينتظرون مصيرَهم، وماذا سيكون حالهم، فمِنهم من قد قتل منهم مَن قتل، ومنهم من قد آذاه وآذى أصحابه، فماذا سيكون المآلُ والعاقبة؟ فيصعَد الكعبةَ ويقِف ببابها ويقول: «**يا معشر قريش، اذهَبوا فأنتُم الطلقاء**» (٢).

التحذير من حسبان السماحة عجزا وضعفا:

إِنَّ مِن تَلبِيسِ الشَّيطَانِ وَأَعوَانِهِ وَوَسوَسَتِهِم أَنَّهُم قَد يَصِفُونَ المُتَسَامِحَ بِالعَجزِ عَن أَخذِ حَقِّهِ، وَيَرمُونَهُ بِالضَّعفِ عَن تَحصِيلِهِ، وَيَتَّهِمُونَهُ بِالخَوفِ مِنَ النَّاسِ وَخَشيَةِ شَرِّهِم، ممَّا يَحمِلُ ضَعِيفَ الإِيمَانِ وَالإِرَادَةِ على الفُجُورِ، أَمَّا المُؤمِنُ القَوِيُّ الصَّابِرُ الوَاثِقُ بِأَنَّ مَا عِندَ اللهِ خَيرٌ وَأَبقَى فَإِنَّهُ يَختَارُ مَا عِندَ اللهِ،

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٧٤، رقم ٤٠٧٥)، ومسلم (٢/ ٧٣٨، رقم ١٠٦١).

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (٤/ ٤١٢) فقال: «حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله قام على باب الكعبة فقال:...»، فذكره في حديث طويل، وهذا سند معضل، وروي عن قتادة السدوسي مرسلًا، أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ١٦١).

وَيَتَسَامَحُ مَعَ عِبَادِ الله.

قال الله ﷻ: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[1].

وسائل اكتساب سماحة النفس:

١- التأمل في الترغيبات التي رغب الله بها من يتحلى بهذا الخلق، وتأمل الفوائد التي يجنيها سمح النفس في العاجل والآجل.

٢- التأمل في المحظورات التي يقع فيها نكد النفس، وما يجلبه ذلك من مضار ومتاعب وخسائر مادية ومعنوية.

٣- الاقتناع الإيماني بسلطان القضاء والقدر، لأن علم الإنسان بأن المقادير أمور مرسومة ولا راد لها، وأنها تجري وفقًا للحكمة الإلهية يجلب الطمأنينة وثبات القلب وراحة البال.



(١) سورة الشورى: ٤٠ – ٤٣.

التفاؤل

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن التفاؤل من الصفات الحميدة التي كان يحبها رسول الله ﷺ، لأن التفاؤل من آثار حسن الظن بالله، والرجاء فيه، ولأن في التفاؤل انشراحًا لقلب الإنسان، وفيه إحسان الظن بالله، وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصالح، الحسن الطيب.

وللتفاؤل قيمة اجتماعية مميزة، إذ يرغب الناس في صحبة الشخص المتفائل أكثر من المتشائم، كما أنهم يميلون إلى سماع الأخبار والأحاديث المتفائلة أكثر من المتشائمة، بل كثيرا ما يوصي الناس بعضهم البعض بالتحلي بصفة التفاؤل والابتعاد عن التفكير التشاؤمي.

تعريف التفاؤل:

ضدّ الطّيرة [١] والجمع فؤول، وتفاءلت به [٢] والفأل: أن يكون الرّجل

---

(١) الطيرة المشار إليها هنا من الصفات المذمومة وهي الاسم من قولهم تطيرت من كذا وبه أي تشاءمت به وهي من الفأل الرديء. انظر الصحاح (٢/ ٧٢٨).

(٢) والتفاؤل هو المصدر من هذا الفعل يقال تفاءلت تفاؤلا والصيغة هنا تدل على المطاوعة وهي قبول أثر الفعل أي أن المتفائل قد قبل وتأثر بما رأى من فأل حسن أو سمع من

مريضا فيسمع آخر يقول يا سالم، أو يكون طالب ضالّة فيسمع آخر يقول يا واجد فيقول تفاءلت بكذا، ويتوجّه له في ظنّه كما سمع أنّه يبرأ من مرضه أو يجد ضالّته. والفأل يكون فيما يحسن وفيما يسوء [١].

أما نفسيًّا فالتفاؤل هو: عن ميل أو نزوع نحو النظر إلى الجانب الأفضل للأحداث أو الأحوال، وتوقع أفضل النتائج. أو هو وجهة نظر في الحياة والتي تبقي الشخص ينظر إلى العالم كمكان إيجابي، أَو تبقي حالته الشخصية إيجابية، والتفاؤل هو النظير الفلسفي للتشاؤم [٢].

والمتفائلون عموماً يَعتقدون بأنّ الناس والأحداث جيدة أصلاً، وأكثر الحالات تسير في النهاية نحو الأفضل، ويعتقد بعض المتفائلين بأنّه بغض النظر عن العالم أو الحالة الخارجية، يجب على الشخص أن يختار شعور الارتياح ويستفيد إلى أبعد الحدود منه.

هذا النوع من التفاؤل لا يقول أيّ شيء حول نوعية العالم الخارجي؛ هو تفاؤل داخلي حول مشاعر الخاصة، وبذلك فهم يجعلون التفاؤل حالة انغلاقية، أو عملية تعمية على الإدراك.

ولكن الإسلام ينظر للتفاؤل – كما سيتبين لنا – على أنه انعكاس فكري ونفسي لحسن ظن المؤمن بربه ﷻ، ووقود شعوري لكل طاقات الإنسان

كلمة طيبة. انظر في معاني صيغة تفاعل (شرح الشافية للرضي (١/ ٩٩).

(١) لسان العرب (ص٣٣٣٥)، والصحاح (٨/ ١٩٥٧)، والقاموس المحيط (١٣٦)، مادة (فأل)، وانظر نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣/ ١٠٤٥).

(٢) التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس (١٤).

لتعمل على أشدها، لينال مبتغاه من الحياة، فإن هو فشل في تحقيق هدفه فلا يركن للخنوع واليأس، بل يعيد الكرة مرة تلو مرة، وهو يستعيض في نفسه أجر مجهوده في الآخرة.

وقد أشار علماء النفس إلى أن للتفاؤل معنى أشمل وأعم من الفأل، وهو «توقع الخير»، وأنه ميل إلى تبني وجهة نظر مفعمة بالأمل والتفكير الإيجابي في أن كل شيء سيؤول إلى الأفضل.

التفاؤل يشمل الحياة كلها:

إن التفاؤل له علاقة بجميع قراراتنا في حياتنا كلها، سواء في العبادة وهو أن يتفاءل العبد بأن الله لن يضيع عبادته وجهده إذا أخلص لله، أو في طلب العلم بأن الله سيرزقه العلم النافع وينفع به، وكذلك التفاؤل له علاقة في العمل أو الوظيفة أو أي نشاط آخر؛ ولذلك في مجتمعنا لو رأيت جميع الأشخاص الناجحين سواء في الدين أو الدعوة أو في التجارة أو في أي مجال ستجد عندهم جميعا قاسما مشتركا، ألا وهو التفاؤل، ويكفي بالتفاؤل حصول الأمل الذي هو من السعادة، وكما قيل: «تفاءلوا بالخير تجدوه».

مشروعية التفاؤل:

وجهت العقيدةُ الإسلامية المسلمَ إلى التفاؤل، واستحبت له ذلك، وكذلك أرشدته إلى الاستخارة والاستشارة من أولي النُّهى والتجربة، وجعلت كفارةَ التطير أو التشاؤم أن يقول المرء هذا الدعاء: «**اللهم لا طير إلا طيرك،**

ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك»[(١)]، ومن النصوص الدالة على مشروعية التفاؤل ما يلي:

١-مع ترادفِ صنوف البلاء على يوسف عليه السلام ثبت ولم يقنط ولم ييأس، فجاءه نصر الله وجعله على خزائن الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[(٢)]، فالمسلم المتفائل لا يسمح لمسالك اليأس أن تتسلّل إلى نفسه أو تعشّش في زوايا قلبه.

٢-وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٣)].

وقال سبحانه وتعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا طيرة، وخيرها الفأل» قيل: يا رسول الله! وما الفأل ؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم».[(٥)]، وَفِي رِوَايَة أخرى: «لا طِيَرَة، وَيُعْجِبنِي الْفَأْل: الْكَلِمَة الْحَسَنَة الْكَلِمَة الطَّيِّبَة»، وَفِي رِوَايَة: «وَأُحِبّ الْفَأْل الصَّالِح».

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠، رقم ٧٠٤٥).

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(٤) سورة الحجر: الآية ٥٦.

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٧١، رقم ٥٤٢٢)، ومسلم (٤/ ١٧٤٥ ، رقم ٢٢٢٣).

وعن أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «**لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة**».[(١)]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله! ما الكبائر؟ قال: «**الشرك بالله، والإياس من رَوْح الله، والقنوط من رحمة الله**»[(٢)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، واليأس من روح الله»[(٣)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الفرق بين الفأل والطيرة: أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء فلذلك كرهت.

قال ابن القيم: «ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة، وموجب الفطرة الإنسانية، التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، كما أخبرهم ﷺ «**أنه حبب إليه من الدنيا النساء والطيب**»[(٤)]،

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٧١، رقم ٥٤٢٤)، ومسلم (٤/ ١٧٤٦، رقم ٢٢٢٤).

(٢) أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (١/ ١٠٤)، وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني ورجاله موثقون. قال المناوي (٥/ ٦١): قال الزين العراقي: إسناده حسن.

(٣) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٩/ ١٥٦، رقم ٨٧٨٤).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨، رقم ١٢٣١٥)، والنسائي (٧/ ٦١، رقم ٣٩٣٩)، وابن سعد (١/ ٣٩٨)، وأبو يعلى (٦/ ٢٣٧، رقم ٣٥٣٠)، والحاكم (٢/ ١٧٤، رقم ٢٦٧٦) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقي (٧/ ٧٨، رقم ١٣٢٣٢)، والضياء (٤/ ٤٢٧، رقم ١٦٠٨). ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٣١، رقم ٣٢٢)، والعقيلي (٢/ ١٦٠، ترجمة ٦٦٦ سلام بن سليمان أبو المنذر).

وكان يحب الحلواء والعسل، ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان ويستمع إليه، ويحب معالي الأخلاق ومكارم الشيم»(١).

مفهوم التفاؤل:

الفأل كما فسره النبي ﷺ هو: الكلمة الطيبة، يسمعها الإنسان، ويتساءل في الطيب والخير، فالتساؤل مطلوب؛ لأنه رجا الخير وظنه، أي: أنه يظن أن يقع الخير ويرجوه، كأن يكون مثلاً مريضاً فيسمع قائلاً يقول: يا معافى! فيتفاءل أنه سيعافى ويبرأ، أو مثلاً يكون فاقداً شيئاً فيسمع إنساناً يقول: يا واجد! أو يا راشد! فيتفاءل أنه سيجده أو يرشد إلى ما يطلبه وهكذا، فهذا هو الفأل، وليس هذا من الطيرة؛ لأنه ليس معنى ذلك أن يجعل هذا الكلام الذي يقوله دليلاً على وقوع الشيء كما يفعله المتطير، ولكنه يرجو ويظن خيراً بالله جل وعلا، ومن ظن بربه خيراً فإن الله يكون عند ظنه به.

ولا نَقْصِدُ بالتَّفاؤل أن نُغْمِضَ أعيُنَنا عنِ الحقائق وعواقب الأمور، لكنَّ المقصودَ هو التفكيرُ بعين الأمل لا بعين اليَأْس، والمُتفائلُ يرضى بالماضي، خيرِه وشرِّه، ويَثِقُ بالمستقبَل، ثم يؤدِّي الواجبَ، ويَترُكُ النتيجة لله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

فالْفَأْلَ إذن هُوَ اسْتِحْسَان كلام يَتَضَمَّنُ نَجَاحًا أَوْ سرورا أَوْ تَسْهِيلاً، فَتَطِيبُ النَّفْسُ لِذَلِكَ وَيَقْوَى الْعَزْمُ عَند الإنسان.

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٨/ ٢٩٨، رقم ٤٨٩٢)، وعبد بن حميد (١/ ٤٣٣ ، رقم ١٤٨٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧١.

ومن أجمل ما عرّف به التفاؤل أنه «الأفعال أو السلوكيات التي تجعل أفراد المجتمع يتغلبون على الصعوبات والمحن التي قد تواجههم في معيشتهم».

وَمَنْ أَمْثَلة التَّفاؤل أَن يَكُون لَه مَرِيضٌ، فَيَتَفاءل بِمَا يَسْمعه، فَيَسْمع مَن يقُول: يَا سَالِم، فَيقَع فِي قَلْبه رَجَاء الْشفاء بإذن الله ﷻ.

حكم الفأل الحسن:

لأهمية التفاؤل في بناء الشخصية الإنسانية الفاعلة فقد دعا الإسلام إليه، فهو مستحب، وقول الكلام الحسَن من الأمور التي رغبت بها الشريعة، ويحصل بهذا الكلام الحسن عند من سمعه أنه يتفاءل به، وخاصة عند من كانت به مصيبة، ولكن دون الركون إلى تلك الكلمة، ولكن من باب حسن الظن بالله؛ ولذلك جاء في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي**»[(١)].

من فوائد الفأل[(٢)]:

حسن الظن بالله ﷻ:

والسبب في هذا أن الإنسان إذا رجا الخير، وظن أنه يكون على خير، فإن

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢/ ٤٠٧، رقم ٦٤١)، والطبراني (٢٢/ ٨٧، رقم ٢٠٩)، وأحمد (٣/ ٤٩١، رقم ١٦٠٥٩) قال الهيثمي (٢/ ٣١٨): رجاله ثقات. والطبراني في الأوسط (١/ ١٢٦، رقم ٤٠١)، والحاكم (٤/ ٢٦٨، رقم ٧٦٠٣)، وقال: صحيح الإسناد. والدارمي (٢/ ٣٩٥، رقم ٢٧٣١).

(٢) وانظر موسوعة نضرة النعيم، ج ٣، ١٠٤٥.

الله جل وعلا عند ظن عبده به؛ وليس معنى ذلك أن الفأل يكون دليلاً على وقوع القدر، لا، ولكنه رجا الخير وظن حصوله فصار مطلوباً ومحبوبًا، وإن العبد إِذَا قَطَعَ رَجَاءَهُ وَأَمَلَهُ بالله تَعَالَى فَإِنَّ ذَلِكَ شَرّ لَهُ، وهو من الطِّيَرَة التي فِيهَا سُوء الظَّنّ وَتَوَقُّع الْبَلاء.

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «الفرق بين الفأل والطّيرة أنّ الفأل من طريق حسن الظّنّ بالله، والطّيرة لا تكون إلّا في السّوء فلذلك كرهت»[1].

يجلب السعادة إلى النفس والقلب:

لأن التفاؤل تنشرح له النفوس وتسر له القلوب، فهو من أسباب سعادة الإنسان وزوال الهم عنه، ولذلك فإن التفاؤل من أهم أسباب الصحة النفسية والبدنية.

ترويحٌ للمؤمن، وسرورٌ له:

وقد جَعَلَ الله تعالى فِي فطَر النَّاس مَحَبَّة الْكَلِمَة الطَّيِّبَة وَالأُنْس بِهَا، كَمَا جَعَلَ فِيهِمْ الارْتِيَاح بِالْمَنْظَرِ الأَنِيق وَالْمَاء الصَّافِي وَإِنْ كَانَ لا يَمْلِكهُ وَلا يَشْرَبهُ، كما جاء في وصف بقرة بني إسرائيل أنها تسرّ الناظرين، فهي تسرّ مَن نظر إليها وإن لم يملكها.

في الفأل تقويةٌ للعزائم، ومعونةٌ على الظفر:

وباعثٌ على الجد، فالإسلام رغبنا في التفاؤل؛ لأنه يشحذ الهمم للعمل، وبه يحصل الأمل الذي هو أكبر أسباب النجاح، وهذا من أسرار هذه الشريعة

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٢٥).

أنها توفر للمسلم أسباب النجاح؛ ولذلك نرى الطالب الذي يذهب للامتحان أو لمناقشة رسالة جامعية وهو عنده حسن ظن بربه تجد همته قوية، وينعكس ذلك على تقويمه ونجاحه، وعكس ذلك من دخل متشائما فسيفشل بلا شك ولو كان يعرف الإجابة معرفة جيدة.

أن تأثير التفاؤل يشمل الفرد والمجتمع:

ولا يقتصر على جانب من جوانب الحياة بل يطال جميعها، فالتفاؤل على سبيل المثال عاملٌ رئيس في قرارات الاستثمار الاقتصادية، ولذلك فإن الاقتصاديين يضعون في حساباتهم عندما يقيسون نشاط أي مجتمع واتجاهات الاستثمار فيه، مقدار التفاؤل لدى الناس؛ لأن ذلك يحدد السلوكيات الإنفاقية للأفراد والمجتمع.

أن التفاؤل له علاقة بجميع قراراتنا في حياتنا كلها:

سواء في العبادة وهو أن يتفاءل العبد بأن الله لن يضيع عبادته وجهده إذا أخلص لله، أو في طلب العلم بأن الله سيرزقه العلم النافع وينفع به، وكذلك التفاؤل له علاقة في العمل أو الوظيفة أو أي نشاط آخر؛ ولذلك في مجتمعنا لو رأيت جميع الأشخاص الناجحين سواء في الدين أو الدعوة أو في التجارة أو في أي مجال ستجد عندهم جميعا قاسما مشتركا، ألا وهو التفاؤل، ويكفي بالتفاؤل حصول الأمل الذي هو من السعادة، وكما قيل: «تفاءلوا بالخير تجدوه».

التفاؤل علاج بدني:

لقد ثبت في البحوث الطبية أن الهم والقلق يسبب نقص المناعة، وبالتالي يضعف الجسم عن مقاومة الأمراض ويبدأ الجسم تدريجياً في الضعف

والذبول حتى يصل إلى مرحلة خطيرة : «أوضحت الدراسات في المجلة الطبية أن الاضطرابات النفسية الحادة ترتبط بالمناعة الخلوية في الإنسان» .

وقد تعوذ الرسول ﷺ من الهم كما جاء عند البخاري فقال: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن**» (١).

اهتمام النبي ﷺ ببث روح التفاؤل في الأمة :

كان التفاؤل من هدي الرسول، وقد ترجمه ﷺ واقعًا في حياته، فكان رسول الله ﷺ لا توقفه عن سيره إلى غايته ومقصوده نازلةٌ مهما عظمت، ولا شدةٌ مهما كبرت، هكذا كان ﷺ في جميع مراحله، والمتأمّل في سيرة النبي يجد تأكيده الأكيد والحرص الشديد على التبشير في موضع الخوف وبسط الأمل في موضع اليأس والقنوط؛ حتى لا تُصاب النفوس بالإحباط، ومن مواقفه المأثورة في هذا الباب ما يلي:

في مكة:

قال خباب بن الأرتّ رضي الله عنه: أتيت النبي ﷺ وهو متوسّد بردَه، وهو في ظلّ الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدّة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟! فقعد وهو محمرّ وجهُه، فقال: «**لقد كان من قبلكم ليمشَط بمِشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشَقّ باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليُتمنّ الله هذا**

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٥٩ ، رقم ٢٧٣٦) ، ومسلم (٤/ ٢٠٧٩ ، رقم ٢٧٠٦).

الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه»[١].

في الهجرة:

خرج ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه مطاردين أحاطت بهما المخاوف من كل صوب، ومع ذلك قال لصاحبه ﷺ: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾. فصدق الله رسوله ﷺ: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

وعندما كان هو وصاحبه والعرب قاطبة تطاردهما ليظفر كل منهم بمائة من الإبل رصدها كفار قريش، إذ بهما وقد أدركهما أحد الذين أوشكوا أن يستلموا الجائزة، فيقول له ﷺ في هذا الوقت المدلهم وعند هذه الصعوبة وعند هذه الشدة التي تهتز عندها النفوس: «**كيف بك - يا سراقة - إذا لبست سواري كسرى؟!»**[٣].

يوم الأحزاب:

أحاط به خصومه وأعداؤه إحاطة السوار بالمعصم، فبشر أصحابه بفتح الشام وفارس واليمن، وفي قلب هذه المحنة وشدة هذا الهول يقول: «**إني**

---

(١) أخرجه البخاري في (٣/ ١٣٩٩، رقم ٣٦٣٩)، وابن حبان (٧/ ١٥٧، رقم: ٢٨٩٧).

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٣) أخرجه ابن عساكر (٤٤/ ٣٣٨)، والبيهقي (٦/ ٣٥٨، رقم ١٢٨١٥).

لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق وآخذ المفتاح، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن أموالهم في سبيل الله»[١]، وصدق المؤمنون بهذه البشارات؛ أما المنافقون فقال قائلهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا** ﴾[٢].

مواقف أخرى لم يغب فيها التفاؤل:

١- وفِي حَدِيث أَنَس أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَةٍ يُعْجِبهُ أَنْ يَسْمَع: يَا نَجِيح! يَا رَاشِد!

٢-وَكَانَ ﷺ إِذَا بَعَثَ عَامِلاً يَسْأَل عَنْ اِسْمه، فَإِذَا أَعْجَبَهُ فَرِحَ بِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اِسْمه رُئِيَ كَرَاهَة ذَلِكَ فِي وَجْهه.

٣-وَكان النَّبِيُّ ﷺ يستبشر بالخير عند سماع الأسماء، كما في يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عندما طَلَعَ سُهَيْلُ بْنُ عُمَرو، فقال رسول الله ﷺ: «**سُهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**»[٣]، فَكَانَ كَمَا قَالَ ﷺ.

٤- بل إن الرسول ﷺ من تفاؤله بالأسماء الحسنة غيَّر بعض أسماء الرجال أو النساء لقبح أسمائهم، وأبدلهم بأسماء جديدة، كما رأى راعيًا لإبل فقال: «**لمن هذه؟**» فقيل: لرجل من أسلم، فالتفت إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال:

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٩/ ٣٢، رقم ١٧٧٦٤١).

(٢) سورة الأحزاب: الآية ١٢.

(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٩/ ٢٢١، رقم ١٨٥٨٧).

«**سلمتَ إن شاء الله**»(١). وقد غير اسم إحدى الصحابيات من عاصيةٍ إلى جميلةٍ(٢)، وغير اسم الصحابي حزَن إلى سهْل(٣)، واسم رجل يدعى: أصرم إلى زرعة(٤).

حاجتنا إلى التفاؤل أمةً وأفرادًا:

الحياة تتقلّب صفحاتها بين خير وشدّة وسرور وحزن، وتموج بأهلها من حال إلى حال؛ بسطٌ وقبض، سراء وضراء، قال الله ﷻ: ﴿ **وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾(٥).

وفي الحياة مصائب ومحن وابتلاءات، قال ﷻ: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾(٦).

وفي الأمة اليوم حالة مُرعبة من قلب المآسي، تصدُّعُ وحدتها، تفرُّق

---

(١) كنز العمال (٤٦٣٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٨٧، رقم ٢١٣٩).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٩٣، رقم ٨٤١)، وأخرجه ابن سعد (٣/ ٤٧٢)، وكنز العمال ٣٦٩٨٣.

(٤) أخرجه الطبراني (١/ ١٩٦، رقم ٥٢٣)، والحاكم (٤/ ٣٠٧، رقم ٧٧٢٩)، والضياء (٤/ ٨٩، رقم ١٣٠٦)، وأبو داود (٤/ ٢٨٨، رقم٤٩٥٤)، والروياني (٢/ ٤٦٩، رقم١٤٩٠)، وابن قانع (١/ ١٢).

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٥٥.

كلمتها، اشتداد البأس وألوان البلاء من قتلٍ وتشريد مع فشوّ الجهل، ولما أصابها من نكبة الذلّ والهوان وتكالب الأعداء. وفي الأمة انتشار الفساد والتحلّل بين أبنائها بصنوف الإغواء والإغراء.

أحداث الحياة وشدائدُ الأحداث وأحوال الأمة قد تورث المرءَ لونا من اليأس والقنوط الذي هو قاتلٌ للرجال ومثبِّط للعزائم ومحطّم للآمال ومزلزل للشعور. وفي أوقات الأزمات تعظم الحاجة لاستحضار التفاؤل.

ومن قلب رحِمِ الفتنة يوم الخندق ينطلق صوت النبي الكريم ﷺ بالتفاؤل، فيقول: «والذي نفسي بيده، ليفرّجنّ الله عنكم ما ترون من شدّة، وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمنًا، وأن يدفع الله إليّ مفاتيح الكعبة، وليهلكنّ الله كسرى وقيصر، ولتُنفقُنّ كنوزهما في سبيل الله»[(١)].

ونحن اليومَ ومع شدّة الكرب وعِظَم الخَطب أحوجُ ما نكون إلى بثّ روح التفاؤل والاستبشار والإيجابية، حيث تتابعت صنوفُ الإحباطات واليأس عند كثيرٍ من الناس، حتى نسُوا أو تناسَوا في خضمِّ الآلام فلولَ البشائر والآمال.

من مظاهر التفاؤل:

بالإضافة إلى ما سبق من صور التفاؤل في سنة النبيﷺ، نذكر هنا أمثلة

---

(١) من حديث جابر بن سمرة: أخرجه البخاري (٣/ ١١٣٥ ، رقم ٢٩٥٣) ، ومسلم(٤/ ٢٢٣٧ ، رقم ٢٩١٩) ، وغيرهما. ومن حديث أبي هريرة : أخرجه البخاري (٣/ ١١٣٥ ، رقم ٢٩٥٢) ، ومسلم (٤/ ٢٢٣٧ رقم ٢٩١٨) ، وغيرهما.

من التفاؤل المطلوب ومنها: توقّع الشفاء عند المرض، والنجاح عند الفشل، والنصر عند الهزيمة، وتوقُّعُ تفريج الكروب ودفع المصائب والنوازل عند وقوعها، فالتفاؤل في هذه المواقف يولّد أفكارَ ومشاعر الرضا والتحمّل والأمل والثقة، ويبعد أفكار ومشاعر اليأس والانهزامية والعجز.

التفاؤل الإيجابي في حياة سلفنا الصالح:

-**التفاؤل الإيجابي** الذي جعل صحابيا كعمير بن الحُمام ﵁ يلقي التّمرات من يديه ويسارع إلى جنّة عرضها كعرض السموات والأرض ويغمس نفسه في العدو، قال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله عرضها السماوات والأرض بخ بخ، لا والله يا رسول الله لا بد أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**» فأخرج تميرات فجعل يأكل ثم قال لئن حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة قال فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل[(١)].

-**التفاؤل الإيجابي** الذي جعل صحابيا كأبي أيوب الأنصاري ﵁ قد تجاوز التسعين من عمره ينفر في سبيل الله مستشهدا بقول الله: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[(٢)]، ويدفن على أسوار القسطنطينية[(٣)].

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٤٨٢، رقم ٥٧٩٨)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤١.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٤٠٥)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٩٠)، وتقريب التهذيب

التفاؤل الإيجابي الذي جعل صحابيا أعرج كعمرو بن الجموح ﷺ يقاتل في أحد ويقول: والله، إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة، فقد كان عمرو أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنون شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يتوجه إلى أحد، قال له بنوه: إن الله ﷻ قد جعل لك رخصة فلو قعدت فنحن نكفيك، فقد وضع الله عنك الجهاد.

فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن بني هؤلاء يمنعون أن أخرج معك، والله إني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: «**أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد**» وقال لبنيه: «**وما عليكم أن تدعوه لعل الله يرزقه الشهادة**» فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيدا [(١)].

أساس التفاؤل:

ولوصول المرء إلى هذه الوضعية المنتجة، القادرة على الانطلاق بإصرار وعزم نحو المستقبل، فإن عليه:

١- الثقة بالله والرضا بقضائه:

وغذاؤه علمُ المؤمن أنّه لن يصيبَه إلا ما كتبه الله له؛ فهو سبحانه الذي يملك كلَّ شيء، فلا يستبطئ الرزق، ولا يستعجل النجاة، ولا يقلق على

(ص٨٨)، والأعلام (٢/ ٣٣٦).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك(٢/ ٧٦، ٣/ ٢٠٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٥٠)، وفي سننه الكبرى (٦/ ٣٠٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٠٩).

حال الأمة. يتفاءَل حتى لو نزلت به مصيبة أو دهمه مرض أو فقر أو فقد ولدًا أو زوجة.

يتفاءل مع العمل على دفع ما يقدر من بلاء أو تخفيف ما نزل بأمته من ضرّ، ثمّ يطمع في ثواب الصبر وتحمّل المشاقّ. نتفاءل لأنّ في كلّ محنة منحةً، ولا تخلو مصيبة من غنيمة، تقول أمّ السائب: الحمّى لا بارك الله فيها، فينهاها النبيﷺ: «**لا تسبّي الحمّى**»(١).

فلها فوائد: تهذّب النفس وتغفر الذنوب، تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد، ومن ذلك قولهﷺ: «**ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها إلا كُتبت له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة**»(٢).

٢- التعرف على الله ﷻ:

ومدلول أسمائه وصفاته حق المعرفة؛ حتى نتمكن - واقعاً وسلوكاً لا مجرد دعوى - من إحسان الظن به ﷻ، والاطمئنان إلى تحقق التعرف على الله

٣- قراءة التاريخ والسير:

وأن نقرأ في تاريخ البشرية الطويل، ونطالع سِيَر الأنبياء والمصلحين، والذين كانوا يتحسسون في الدجى مفاتيح الفرج وسط أكوام القش، ويثابرون في البحث عنها؛ حتى يكرمهم الله ﷻ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٣، رقم ٢٥٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩١، رقم ٢٥٧٢).

٤- وأن نتعرف على نفوسنا الأمَّارة بالسوء:

داعية الشر، ومركبة الجهل والظلم، فنجاهدها، ونعيد بناء حياتنا بصورة تمكننا من استثمار طاقاتنا، وتركيزها في جانب يبقينا في دائرة الأهم ويجنبنا ما دونها؛ من مشتتات النفس، ومبعثرات الجهد والوقت، وملهيات المرء عن القيام بالأعمال الأكثر إلحاحاً وضرورة.

٥- الواقعية والبعد عن المثالية:

وأن نبتعد عن الأطروحات المثالية غير القابلة للتنفيذ بمفردها، أو بمجموعة الجوانب التي تتكامل معها في دنيا الواقع، وننتقل للعيش في بيئة نقوم فيها بعمل أفضل ما يمكننا تنفيذه.

٦- أن نتقي أحاديث اليائسين ومرافقة المحبَطين:

فهم زراع الهزيمة، ومطيلو فترة الانكسار وأمد التخلف، ونستعيض عن ذلك بأسر نفسنا في محيط أهل المبادرة، ودائرة أهل الإنجاز والعمل: وجه الأمة المشرق، وطليعتها المباركة نحو الإصلاح والتغيير.

٧- عدم التدني بالنفس:

بأن نتجنب رسم صورة دونية لقدرات نفوسنا وأمتنا، وندع التركيز على عوامل ضعفها والغفلة عن عوامل قوتنا من جهة، ولا نغرق في تضخيم المصائب والخضوع لها.

التفاؤل إيجابية:

إن التفاؤل الذي نتحدّث عنه هو الذي يولّد الهمّة، ويبعث العزيمةَ،

ويجدّد النشاط، فالمسلم المتفائل متوكّل على الله، أكثر الناس نشاطًا، أقواهم أثرًا، كلّ عسير عليه يسير، وكلّ شدّة فرجُها آتٍ وقريب، المسلم المتفائل دائمًا يتوقّع الخير، يبتسم للحياة، يحسن الظنَّ بالله، والله ﷻ بيده مقادير الأمور، وهو ﷻ سيكشف الضرَّ الذي نزل بالأمّة، وسيجعل بعد العسر يسرًا، وبعد الضيق فرجًا، وبعد الحزن سرورًا، يرجو رحمة الله ﷻ، ويتعلّق بحبل الله المتين، وتلك ثمرة الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «**إنّ أفضل العبادة حسن الظن بالله**»[(١)]، وفي لفظ «**إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله**»[(٢)].



---

(١) قال الحافظ في الإصابة (٧/ ١٢٣، ترجمة ٩٨٦٥ أبو الديلمي): ذكره البغوي وأظن أن الصواب ابن الديلمي وهو فيروز، قال البغوي: شامي لم ينسب ثم ساق الحديث عنه. وكذا أخرجه الطبراني في الشامیین (١/ ٣٠٠، رقم ٥٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩، رقم ٨٦٩٤)، والترمذي (٥/ ٥٥٩، رقم ٣٦٠٤) وقال: غريب من هذا الوجه. والحاكم (٤/ ٢٦٩، رقم ٧٦٠٤) وقال: صحيح على شرط مسلم.

التقوى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن الدنيا مشوبة بالأكدار، مُحاطة بالأخطار، مليئة بالأضرار، الإنسان فيها مُعرّض للأذى والسوء والشر والفتنة والمحن، وإن عدنا للسبب فالغالب هو الإنسان نفسه، كما قال الله ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾[2].

لكنْ هناك صنف من الناس وعدهم الله ﷻ بوعد عظيم، هذا الصنف ما ألّمت فتنة ولا محنة إلا وكانت لهم المخرج، ما نزل بهم العُسر إلا مع اليُسر، ما ظهرت لهم كربة إلا وكشفها الله ﷻ، ما ألّمت مُلمة فضاقت عليهم الدنيا بما رحبت إلا وجعل الله لهم فرجًا ومخرجًا.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[3]، وقال

---

(١) سورة الروم: الآية ٤١.

(٢) سورة الشورى: الآية ٣٠.

(٣) سورة الطلاق: الآيتان ٢ – ٣.

الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ (١).

تعريف التقوى:

جاء الأمر بالتقوى في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة، فضلاً عن فضل التقوى وشرف المتقين وجزاء المتقين.

التقوى لغة: الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية، وهي حفظ الشيء ممّا يؤذيه، ويضرّه (٢).

واصطلاحًا: الاحتراز بطاعة الله تعالى عن عقوبته، وقيل التقوى التحامي أي الاحتراز عن المحرمات فقط (٣).

وقد ورد الأمر بالتقوى في القرآن بخمسة معانٍ:

الأَوّل: بمعنى الخوف والخشية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ (٤).

الثاني: بمعنى الطَّاعة، والعبادة: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ (٥).

الثالث: بمعنى ترك المعصية، والزَلَّة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (٦).

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٤.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - (ج ١ / ص ٥٥٢).

(٣) دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (١ / ٢٣٢)، وانظر التعريفات للجرجاني، وحاشية ابن عابدين ١ / ٣٧٤، وفتح القدير لابن الهمام ١ / ٣٤٩.

(٤) سورة النساء: الآية ١.

(٥) سورة النحل: الآية ٥٢.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٨٩.

أَى اتركوا خلاف أَمره.

الرّابع: بمعنى التَّوحيد والشَّهادة: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (١).

الخامس: بمعنى الإِخلاص، والمعرفة: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٢).

وعرّف علي بن أبي طالب ﵁ التقوى فقال: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل (٣).

وسأل عمرُ بن الخطاب كعبًا ﵄ فقال له: ما التقوى؟ فقال كعب: يا أمير المؤمنين أما سلكت طريقًا فيه شوك؟ قال: نعم. قال: فماذا فعلت؟ فقال عمر : أشمر عن ساقي، وأنظر إلى مواضع قدمي، وأقدم قدمًا، وأؤخر أخرى، مخافة أن تصيبني شوكة. فقال كعب: تلك هي التقوى، تشمير للطاعة، ونظر في الحلال والحرام، وورع من الزلل، ومخافة وخشية من الكبير المتعال سبحانه (٤).

وقيل: التقوى أن يُعبَد الله عز وجل فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُشكر فلا يُكفر.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٧٠.

(٢) سورة الحجرات: الآية ٣.

(٣) سبل الهدى والرشاد (ج ١/ ص ٤٢١).

(٤) أدب الدنيا والدين (ج ١ / ص ١١٧)، والزهد الكبير (ج ١/ ص ٣٥١)، والدر المنثور (ج ١/ص ٦١)، وسبل الهدى والرشاد (ج ١/ص ٤٢١)، وفتح القدير (ج ١/ ص٣٤)، وفي السلوك الإسلامي القويم (ج ١/ ص ١٢).

حقيقة التقوى:

المتقي فوقَ المؤمنِ والطائعِ، وهو الذي يَتقي بصالحِ عَملِهِ وخالصِ دُعائِهِ عذابَ الله تعالى، عن ابنِ مسعودٍ ﵁ قالَ يوماً لابنِ أخيه: «يا ابنَ أخي تَرى النَّاسَ ما أَكثَرَهُم؟ قالَ: نعم. قال: لا خيرَ فيهم إلا تائبٌ أو تقي، ثم قال: يا ابنَ أخي ترى النَّاسَ ما أكثرَهُم؟ قلتُ: بلى. قال لا خيرَ فيهم إلا عالمٌ أو متعلمٌ»[1].

فحقيقة التقوى صلاحٌ في القلبِ وحساسيةٌ في الضميرِ، وشفافيةٌ في الشعورِ، وخشيةٌ مستمرةٌ، وخوفٌ دائمٌ، وحذرٌ دائبٌ وتوقٍّ لأشواكِ الطريقِ، من الرغباتِ والشهواتِ والشبهاتِ والمطامعِ والمخاوفِ والوساوسِ وغيرِهَا، وقال ابنُ المعتز:

خـل الـذنوبَ صـغيرَهَا ... وكبيرَهَـا ذاك التُّقـى
واصـنعْ كـماش فـوقَ أر ... ض الشوكِ يحذرُ ما يرى
لا تحقـرنَّ صـغيرةً ... إنَّ الجبالَ من الحصى[2]

ويقول عمر بن عبد العزيز ﵀: «ليس تقوى الله ﷿ بصيام النهار وقيام الليل والتخليط بينهما، وإنما تقوى الله ﷻ أداء ما افترضه الله عليك، واجتناب

(١) الزهد لابن حنبل (ج ١/ ص ١٤٦)، وحلية الأولياء (ج ١/ص ١٦٤)، وتفسير القرطبي (ج ١ / ص ١٦١).

(٢) ديوان ابن المعتز (ج ١/ ص ٤٥).

ما نهى الله ﷻ، وإن عملت خيرًا فوق ذلك فهو خير إلى خير»[١].

وقالَ طلقُ بنُ حبيب: «إذا وقعتِ الفتنةُ فأطفئُوهَا بالتقوى»، قالوا: وما التقوى؟ قال: «أن تعملَ بطاعةِ الله تعالى على نورٍ من الله تعالى، تَرجو ثوابَ الله تعالى، وأن تَترُكَ معصيةَ اللهِ تعالَى على نورٍ من اللهِ تعالَى، تخافُ عقابَ اللهِ تعالَى»[٢].

وقال أبو سُليمانَ الداراني: «المتقونَ الذينَ نزعَ اللهُ عن قلوبهم حبَّ الشهوات»[٣].

فضل التقوى:

كان نبينا ﷺ يوصي أصحابه في خطبه ومواعظه بالتقوى، وقد أمر الله ﷻ بها نبيه ﷺ خاصة، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٤].

وقال الشاعر:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (ج ٤٥/ ص ٢٣٠)، وتهذيب الكمال (ج ٢١ / ص ٤٤٥)، وجامع العلوم والحكم (ج ١ / ص ١٥٩).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (ج ٢ / ص ٤٤٦)، وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (ج ٢٠ / ص ١٣٢)، ومنهاج السنة النبوية (ج ٤ / ص ٥٢٩)، وتفسير ابن كثير(ج١ / ص ٨٥) .

(٣) تفسير السلمي (ج ١/ ص ٤٨)، وتفسير القرطبي (ج ١ / ص ١٦١).

(٤) سورة الأحزاب: الآية ١.

تـزود مـن التقـوى فإنـك لا تـدري
إذا جـن ليـل هـل تعـيش إلى الفجـر
فكم من فتى أمسى وأصبح ضـاحكا
وقـد نـسجت أكفانـه وهـو لا يـدري
وكم من صغار يرتجى طول عمـرهم
وقـد دخلـت أجـسادهم ظلمـة القـبر
وكم من صحيح مـات مـن غـير علـة
وكم من سقيم عاش حينا من الدهر
وكـم مـن عـروس زينوهـا لزوجهـا
وقـد قبـضت أرواحهـم ليلـة القـدر

وقد أمر الله ﷻ بالتعاون على البر والتقوى فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾[1]. قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ : نَدَبَ اللهُ سُبْحَانَهُ إِلَى التَّعَاوُنِ بِالْبِرِّ ، وَقَرَنَهُ بِالتَّقْوَى لَهُ ؛ لِأَنَّ فِي التَّقْوَى رِضَى اللهِ تَعَالَى وَفِي الْبِرِّ رِضَى النَّاسِ ، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ رِضَى اللهِ تَعَالَى وَرِضَى النَّاسِ فَقَدْ تَمَّتْ سَعَادَتُهُ وَعَمَّتْ نِعْمَتُهُ .

وَقَالَ ابْنُ خُوَيْزِ مَنْدَادَ: وَالتَّعَاوُنُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى يَكُونُ بِوُجُوهٍ، فَوَاجِبٌ عَلَى الْعَالِمِ أَنْ يُعِينَ النَّاسَ بِعِلْمِهِ فَيُعَلِّمَهُمْ، وَيُعِينُهُمُ الْغَنِيُّ بِمَالِهِ، وَالشُّجَاعُ بِشَجَاعَتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ مُتَظَاهِرِينَ كَالْيَدِ الْوَاحِدَةِ[2].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٢.

(٢) تفسير القرطبي (ج٦ / ص ٤٦).

١- **التقوى مفتاح العلم:**

فتقوى الله ﷻ هي مفتاح مغاليق القلوب، ومفتاح مغاليق العقول، قال ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1].وذلك أن من اتقى الله ﷻ حق تقاته فلا بد أن يطهر قلبه من الفساد، ويعمره بالطاعة والعبادة، ويمتلئ القلب بمحبة ربه وتعظيمه، ويتفرغ للعبادة، ويتنزه عن محبة الدنيا وشهواتها وعن حب المعاصي وأهلها. فهناك يتقبل ما يسمعه وما يقرؤه من العلوم النافعة والفوائد العظيمة بحيث لا يزاحمها في قلبه ما يشغله عن تفهمها وتعقلها.

٢- **التقوى طريق الهداية:**

فبتقوى الله ينشرح الصدر، وبتقوى الله يهتدي الضال وينشرح البال، يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[2].

قال الحكيم الترمذي: «قال أهل التفسير إخراجا أي من الشبهات والظلمات فأما محض التفسير فالمخرج أن يجعل له نورا في قلبه يفرق بين الحق والباطل حتى يكون له مخرجا من ظلمة الجهل وشبهات الدنيا فإن الجهل يظلم والدنيا تزين على الآدمي شهوته التي في جوفه فتشبه عليه حتى تخدعه فبتقواه من هذه الأشياء يجعل له فرقانا وهو النور يفرق بين الحق والباطل هذا

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٢٩.

ثواب التقوى في عاجل دنياه وثوابه في الآخرة قربته وكرامته ورفعة درجته»[١].

وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[٢].

٣- بالتقوى يُقبل العمل:

قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[٣].قال عامر: «لحرف في كتاب الله أعطاه أحب إلي من الدنيا جميعا فقيل له وما ذاك يا أبا عمرو قال أن يجعلني الله من المتقين»[٤]. قال السمرقندي في تفسيره: «أن الإنسان إذا عمل خيرا ينبغي أن يدعو الله بالقبول ويقال ينبغي أن يكون خوف الإنسان على قبول العمل بعد الفراغ أشد من شغله»[٥].

أما غير المتقين فيقال لهم: ﴿أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾[٦].

---

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول (ج ١/ ص ٢٣٨). وانظر قوت القلوب (ج ١ / ص١٤٣)، وتفسير الطبري (ج ٩/ ص ٢٢٦).

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٨.

(٣) سورة المائدة: الآية ٢٧.

(٤) الطبقات الكبرى (ج ٧/ ص ١٠٦).

(٥) تفسير السمرقندي (ج ١/ ص ١٢٠).

(٦) سورة التوبة: الآية ٥٣.

٤- **التقوى عنوان الكرامة:**

بالتقوى يُصبح المرء كريمًا عند الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1]. فالمتقون درجات، وعلى حسب تفاوتهم في التقوى يتفاوتون في الكرامة.

فقوله ﷻ (أكرم وأتقى) بصيغة التفضيل «فوق أن يقال كرامكم المتقون، لأن أكرم وأتقى يدل على تفاوت ، فمن كان أتقى كان أكرم عند الله ﷻ ، ومن كان أصبر على ما يوجب التقوى كان أتقى»[2].

٥- **التقوى منجاة من المهالك:**

فبالتقوى ينجو الإنسان من المهالك في الدنيا، وينجو في الآخرة، قال الله ﷻ وهو يتكلّم عن النار: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[3].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) قوت القلوب (ج ١/ ص ٣٣٦).

(٣) سورة مريم: الآيتان ٧١ – ٧٢.

(٤) سورة الزمر: الآيتان ٦٠ – ٦١.

٦- التقوى خير زاد:

وهي خير لباس، قال ﷻ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾[١].

وقال أيضا ﷻ: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[٢].

٧- التقوى وقاية من الذنوب:

فالله ﷻ إذا نظر إلى العبد التقي وأراد هذا التقي أن يرتكب ذنبًا أو خطيئة جعل الله ﷻ له صارفًا أو مانعًا أن يقع فيها، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾[٣].

٨- التقوى بركة:

كما أن تقوى الله سبب لحصول الخيرات والبركات من السماء والأرض، قال ﷻ: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[٤].

٩- الله ﷻ يحب المتقين:

فتقوى الله سبب لمحبة الله ﷻ، ولنصرته التي حُرم منها كثير من

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٠١.

(٤) الأعراف: الآية ٩٦.

المسلمين، قال ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[(١)]. وقال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[(٢)]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[(٣)].

ومعية الله ﷻ على قسمين، معية خاصة، ومعية عامة:

أولا: المعية العامة:

وهي شاملة لجميع العباد، بسمعه وبصره وعلمه؛ فالله ﷻ سميع، وبصير، وعليم بأحوال عباده، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[(٥)].

ثانيا: المعية الخاصة:

وتشمل النصرة والتأييد والمعونة، كما قال تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٤.

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٨.

(٤) سورة الحديد: الآية ٤.

(٥) سورة المجادلة: الآية ٧.

﴿مَعَنَا﴾[١]. ولا شك أن معية الله الخاصة تكون للمتقين من عباده.

١٠- المتقون هم أهل الجنة:

فأهل الجنة هم أهل التُّقى، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾[٢]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣]. وكتاب الله ﷻ مليء بالآيات الدالة على هذا المعنى.

١١- التقوى مفتاح التيسير:

فهي سببٌ للخروجِ من كلِّ ضيقٍ وسببٌ لنيلِ الرزق، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٤].

١٢- الله يحفظ ذرية الأتقياء:

ومن ثمار التقوى حفظُ الذريةِ الضعافِ بعد موت أبيهم التقي، قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[٥].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٢) سورة القمر: الآيتان ٥٤ – ٥٥.

(٣) سورة الدخان: الآيات٥١ – ٥٧.

(٤) سورة الطلاق: الآيتان ٢ – ٣.

(٥) سورة النساء: الآية ٩.

صفات المتقين:

ذكر الله ﷻ صفات كثيرة للمتقين، يصعب تقصي كل صفة منها على حدة، ولكن نذكر ما ذكره الله ﷻ في موضعين من كتابه الكريم.

الموضع الأول: قال ﷻ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (١).

الموضع الثاني: حين قال ﷻ حاثا المؤمنين على العمل للجنة، فقال: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

فالجنة إنما أعدها الله ﷻ للمتقين، ثم قال ﷻ معددا من صفاتهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ (٣).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

(٣) سورة آل عمران: الآيات ١٣٤ - ١٣٦.

ومن أعظم مظاهر التقوى –غير ما سبق في الآيتين– عدم تزكية النفس؛ لأنَّ الله ﷻ قال: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [(١)]، فجَعَلَ العلم بالتقوى مَوكُولاً أو مِنْ خصائصه ﷻ.

فإذاً صفة المؤمن التقي الذي هو وليٌّ لله ﷻ أَنَّهُ لا يُزَكِّيْ نفسه، فمن زَكَّى نفسه وقال: «أنا تقي، أو أنا من أولياء الله» ونحو ذلك، فهو حقيقٌ بالبُعْدِ عن استحقاق هذا اللفظ، لأنَّ التواضع لله ﷻ والذُّلَّ لَهُ والخضوع له ﷻ والخوف منه، والعلم بأنَّ العبد مهما عمل لن يَبْلُغَ التقوى، هذا يوجِبُ أن لا يُثْنِي على نفسه بأَنَّهُ وَلِي وأنه مُتَّقٍ.

مجالات التقوى:

قال النبي ﷺ « **اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا** [(٢)]، **وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[(٣)]. و«**حيثما**» هذه متعلقة بالأزمنة والأمكنة، يعني: في أي زمان كنت، وفي أي مكان كنت؛ لأن كلمة «**حيث**» قد تتوجه إلى الأمكنة ، وقد تتوجه إلى الأزمنة ، يعني: قد تكون ظرف مكان ، وقد تكون

(١) سورة النجم: الآية ٣٢.

(٢) **المحو** : الإزالة ، والمسح وذهاب الأثر والتنحية، والمحاء المزيل والمنحي للذنوب.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣ ، رقم ٢١٣٩٢) ، والترمذي (٤/ ٣٥٥ ، رقم ١٩٨٧) وقال : حسن صحيح . والدارمي (٢/ ٤١٥ ، رقم ٢٧٩١) ، والحاكم (١/ ١٢١ ، رقم ١٧٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي. والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٤٥، رقم ٨٠٢٦) . والبزار (٤١٦/٩ رقم ٤٠٢٢) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٧٨)، وحسنه الألباني في الترغيب والترهيب ٢٦٥٥.

ظرف زمان ، وهي هنا محتملة للأمرين، فعلى المرء أن يتقي الله في عقله وقلبه وجوارحه، كما نفصله في التالي:

تقوى الله في العقل:

أ- الانقياد لشرع الله سبحانه قال تعالى:

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١). قال ابن عباس رضي الله عنهما: «نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه» (٢).

ب، التسليم لقضاء الله وقدره:

وذلك بأن يعتقد عند المصيبة أمرين لا غنى للمسلم عنهما.

الأول: أنه ملك لمالك: فنحن مملوكون لله سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ (٣).

الثاني: أن هذا المالك - وهو الله سبحانه وتعالى - حكيم في أفعاله، فلا يصدر عنه سبحانه إلا ما هو مبني على العلم والحكمة والخير، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (٤).

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١.

(٢) تفسير الطبري (ج ٢٦ / ص ١١٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (ج ١٠/ ص ٣٣٠٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (ج ٤/ ص ١٤٣)، وتفسير القرطبي (ج ١٦/ ص ٣٠١).

(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

ج- التأمل والنظر في بديع صنع الله ﷻ:

أنكر رب العزة ﷻ على الذين يمرون بآيات الله ولا يعتبرون، فقال ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[1].

تقوى الله في القلب :

فلا غل ولا حسد، وقيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «**كل مخموم القلب صدوق اللسان**». قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: « **التَّقِيُّ النَّقِيُّ الذي لا إِثْمَ فِيهِ وَلاَ بَغْيَ وَلاَ غِلَّ وَلاَ حَسَدَ**»[2].

ولا كبر ولا عجب، للحديث: «**لا يدخل الجنة إنسان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر**»[3].

تقوى الله في التعامل:

والتقوى في التعامل ذات أهمية قصوى في الحياة الإسلامية، فالدين معاملة، كما هو مشهور عن النبي ﷺ، وإنما تظهر هذه المعاملة من خلال المواقف الاجتماعية للمرء سواء في بيته أو مهنته أو سوقه.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٥.

(٢) ذكره الحكيم (٢/ ١٦٨)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٨٣)، والخرائطي في المكارم (ص ٣٦ رقم ٤٥). وابن ماجه (٢/ ١٤٠٩، رقم ٤٢١٦)، قال البوصيري (٤/ ٢٤٠): هذا إسناد صحيح. والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢١٧، رقم ١٢١٨).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٩٣، رقم ٩١).

أولا: التقوى في الأهل:

في رحمك: للحديث: «**يقول الله ﷻ: أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**»(١).

وأن يعدل بين نسائه إن كانوا أكثر من واحدة للحديث: «**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**»(٢).

ثانيا: التقوى في البيوع:

فلا غش ولا خداع ولا كذب، لقول النبي ﷺ: «**من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار**»(٣).

أو أن يستخدم اسم الله العظيم لترويج بضاعته لقوله ﷺ: «**اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة**»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٩٤ ، رقم ١٦٨٠) ، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٣ ، رقم ٥٣) ، وأبو داود (٢/ ١٣٣ ، رقم ١٦٩٤) ، والترمذي (٤/ ٣١٥ ، رقم ١٩٠٧) ، وقال : صحيح . وابن حبان (٢/ ١٨٦ ، رقم ٤٤٣) ، والحاكم (٤/ ١٧٤ ، رقم ٧٢٦٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢١٦ ، رقم ٧٩٤١) . وعبد الرزاق عن معمر في الجامع (١١/ ١٧١ ، رقم ٢٠٢٣٤) ، والبيهقي (٧/ ٢٦ ، رقم ١٢٩٩٤) ، والضياء (٣/ ٩٢ ، رقم ٨٩٥) .

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٣٢٢ ، رقم ٢٤٥٤) ، وأحمد (٢/ ٤٧١ ، رقم ١٠٠٩٢) ، وأبو داود (٢/ ٢٤٢ ، رقم ٢١٣٣) ، والنسائي (٧/ ٦٣ ، رقم ٣٩٤٢) ، وابن ماجه (١/ ٦٣٣ ، رقم ١٩٦٩) ، والبيهقي (٧/ ٢٩٧ ، رقم ١٤٥١٥) . والدارمي (٢/ ١٩٣ ، رقم ٢٢٠٦) .

(٣) صحيح ابن حبان (ج ٢ / ص ٣٢٦)، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٥ ، رقم ٧٢٠٦) ، والبيهقي (٥/ ٢٦٥ ، رقم ١٠١٨٩) . وأخرجه

أو أن يكتم عيبًا، قال ﷺ: «**من باع عيبا لم يبينه لم يزل في مقت الله ولم تزل الملائكة تلعنه**»(١).

أو يستخدم الرشوة لتيسير أمره في أمر لا يحق له، للحديث: «**لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي والرائش**»(٢).

تقوى الله في المطعم والمشرب:

فلا يدخل جوفك الحرام، وإذا أكل العبد الحرام فلا تقبل منه طاعة، قال ﷺ: « **أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (٣)، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾(٤)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب... ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب**

أيضًا : الحميدي (٢/ ٤٤٧ ، رقم ١٠٣٠) ، وأبو يعلى (١١/ ٣٤٧ ، رقم ٦٤٦٠) ، وأبو عوانة (٣/ ٤٠١ ، رقم ٥٤٧٩) ، وابن حبان (١١/ ٢٧١ ، رقم ٤٩٠٦) .

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٧٥٥ ، رقم ٢٢٤٧) ، والطبراني (٢٢/ ٦٥ ، رقم ١٥٧) . والطبراني في الشاميين (٢/ ٣٦٩ ، رقم ١٥١١) .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٩ ، رقم ٢٢٤٥٢) ، والطبراني (٢/ ٩٣ ، رقم ١٤١٥) ، قال الهيثمي (٤/ ١٩٨) : رواه أحمد ، والبزار ، والطبراني في الكبير ، وفيه أبو الخطاب ، وهو مجهول . والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٩٠ ، رقم ٥٥٠٣) . والديلمي (٣/ ٤٦٣ ، رقم ٥٤٣٨) . والحاكم (٤/ ١١٥ ، رقم ٧٠٦٧)، وصححه.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٥١.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٢.

لذلك»[١].

تقوى الله في الجوارح:

فيجب أن تظهر التقوى في جوارح المرء، كما يلي:

التقوى في اللسان:

قال عقبة بن عامر رضي الله عنه: يا رسول الله ما النجاة؟ فقال: «**أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك**»[٢].

التقوى في البصر:

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[٣]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هو الرجل يكون مع القوم فإذا مرت المرأة بهم نظر إليها إذا غفلوا عنه، وإذا فطنوا غض بصره وقد اطلع الله على ما في قلبه أنه يود أن يرى عورتها»[٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**والعينان تزنيان**»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٣، رقم ١٠١٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٩، رقم ٢٢٢٨٩)، والطبراني (١٧/ ٢٧٠، رقم ٧٤١)، والخطيب (٨/ ٢٧٠).

(٣) سورة غافر: ١٩.

(٤) تفسير الثعلبي (ج ٨ / ص ٢٧١)، وتفسير القرطبي (ج ١٥/ ص ٣٠٣).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٤١٢، رقم ٣٩١٢)، والطبراني (١٠/ ١٥٥، رقم ١٠٣٠٣). والشاشي (١/ ٣٨١، رقم ٣٧١)، وأبو يعلى (٩/ ٢٤٦، رقم ٥٣٦٤). وإسحاق بن

وسائل اكتساب التقوى:

فإذا أردنا أن نظفرَ بالتقوى، وأن نكونَ من المتقينَ فعلينا -كما بيناه من قبل- أن نُراعِي الأعضاءَ الخمسة، فإنهنَّ الأصولُ: وهي العينُ، والأذنُ، واللسانُ، والقلبُ، والبطنُ، فنحرصُ عَليهَا بصيانَتِها من كُلِّ معصيةٍ وحرام، وأن نُقيدهَا بطاعةِ الله سبحانه وتعالى.

وذلك يكونُ بخَمسةِ أمور:

الأول: محبةُ اللهِ عزَّ وجلَّ:

فمحبةُ الله تعالى تحجزُ العبدَ عن ارتكابِ المعاصي، لأنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ قال الشاعر:

تَعصي الإلهَ وأنت تَزعمُ حُبَّهُ ... هذا لعَمري في القياسِ شنيعُ
لو كان حُبُّكَ صَادقاً لأطعتَهُ ... إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

الأمرُ الثاني: مراقبة الله سبحانه وتعالى:

بأن نشعُرَ في قلوبِنَا بمراقبةِ الله، وأن نستحي منهُ، ونعلمَ أنَّهُ رقيبٌ عَلينَا شهيدٌ على أعمالِنَا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

فإذا شَعرت قُلوبُنَا بمراقبةِ الله تعالى لم تفعل المعاصي.

قال الشاعر:

راهويه (١/ ١١٦، رقم ٣٠)، وأحمد (٢/ ٣٧٢، رقم ٨٨٣٠)، وأبو يعلى (١١/ ٣٠٩، رقم ٦٤٢٥)، وابن حبان (١٠/ ٢٦٧، رقم ٤٤١٩).

(١) سورة الحديد: الآية ٤.

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقل
خلوتُ ولكن قل عَليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً
ولا أن مَا يخفى عَليهِ يغيبُ

الأمر الثالث: معرفة خطر المعاصي:

ويتم ذلك بمعرفة ما في المعاصي والحرامِ من مفاسدَ وآلام، قال ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾[1].

الأمر الربع: مغالبة الهوى:

فيجب أن نَتعلمَ كيف نتغلبُ على أهوائِنَا، لما في ذلك من فضل ولما في عكسه من خطر، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[2].

ومن ذلك قوله ﷺ: «**لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا لما به البأس**»[3].

(١) سورة الكهف: الآية ٥٩.

(٢) سورة ص: الآية ٢٦.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٤، رقم٢٤٥١) وقال: حسن غريب . وابن ماجه (٢/ ١٤٠٩، رقم ٤٢١٥) ، والطبراني (١٧/ ١٦٨ ، رقم ٤٤٦) ، والحاكم (٤/ ٣٥٥ ، رقم ٧٨٩٩) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (٥/ ٣٣٥ ، رقم ١٠٦٠٢) . وعبد بن حميد (ص ١٧٦ ، رقم ٤٨٤) .

قال السندي (١): «كَمَا أَنَّ فِيهَا مَا بِهِ بَأْس فَفِي تَرْك الْكَلَام قَدْ تَرَكَ مَا لَا بَأْس بِهِ خَوْفًا مِنْ الْوُقُوع فِيمَا فِيهِ بَأْس أَوْ حَتَّى لَا يَعْتَاد عَلَى الْمُسْتَلَذَّات مِنْ الْحَلَال خَوْفًا مِنْ إِفْضَاء ذَلِكَ إِلَى الْحَرَام إِذَا لَمْ يَتَيَسَّر الْحَلَال بِسَبَبِ غَلَبَة الْعَادَة».

الأمر الخامس: الحذر من العدو:

والمقصود بذلك أن نعرفَ مكائدَ الشيطانِ، وأنه عدو متربص للإنسان ليودي به، ويلقيه في النار، وهي الخسران الكبير: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (٢).

الأمر السادس: سؤال الله ﷻ التقوى:

فالدعاء من أهم أبواب اكتساب المرء للخيرات، وقد كان ﷺ يدعو فيقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ، وَالغِنَى**» (٣).



(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (ج ٨ / ص ٦٨).

(٢) سورة فاطر: الآية ٦.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨٧، رقم ٢٧٢١).

التواضع

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن التواضعَ مزية تدلُّ على النبل والكرم ونقاء السَّريرة وصفاء الطويَّة؛ لأنها لمسةٌ من لمسات الخالق أودَعَها في نُفوس عباده، فتمثَّلها الأنبياء والرسُل والصالحون، والنبلاء والمفكِّرون من البشر، الذين عَرَفوا قُدرة الخالق، وضَعف المخلوق، ووَعَوا رسالةَ الحياة الغَرورة القصيرة.

تعريف التواضع:

التواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض في الحكم، قال الشيخ زكريا: وهو أعم من الخشوع، لأنه يستعمل فيما بين العباد وفيما بينهم وبين الرب سبحانه، والخشوع لا يستعمل إلا في الثاني، فلا يقال خشع العبد لمثله، ويقال تواضع له(١) اهـ.

وفي «فتح الباري»: المراد بالتواضع إظهار الذل لمن يراد تعظيمه، وقيل هو تعظيم من فوقه لفضله.

وسئل الفضيل عن التواضع فقال: يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - (ج ٥ / ص ٤٨).

قاله، وكذا قال ابن عطاء: التواضع قبول الحق من كل من قاله.

وقيل لأبي يزيد البسطامي: متى يكون الرجل متواضعاً؟ قال: إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً، ولا يرى أن في الخلق من هو شرّ منه اهـ.

وقال القرطبى: التواضع الانكسار والتذلل وهو يقتضي متواضعاً له: هو الله تعالى، ومن أمر الله بالتواضع له كالرسول والإمام والحاكم والعالم والوالد، فهذا التواضع الواجب المحمود الذي يرفع الله به صاحبه في الدارين، وأما التواضع لسائر الخلق فالأصل فيه أنه محمود ومندوب إليه ومرغب فيه إذا قصد به وجه الله تعالى، ومن كان كذلك رفع الله قدره في القلوب وطيب ذكره في الأفواه ورفع درجته في الآخرة. وأما التواضع لأهل الدنيا ولأهل الظلم فذاك الذل الذي لا عزّ معه، والخيبة التي لا رفعة معها، بل يترتب عليه ذل الآخرة وكل صفقة خاسرة.

وقد ورد «من تواضع لغني لغناه ذهب ثلثا دينه» [١]. لأن الإيمان عقد وفعل وقول ، فإذا تواضع للغني لأجل دنياه بالثناء والحركة إليه ، ذهب ثلثا إيمانه وبقي الثلث وهو العقد.

وأخرج ابن أبي الدنيا بسنده، قال: خرج الحسن ويونس وأيوب يتذاكرون التواضع، فقال لهما الحسن: وهل تدرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك فلا تلق مسلما إلا رأيت له عليك فضلا[٢].

---

(١) قوت القلوب (ج ٢/ ص ١٩)، والرسالة القشيرية (ج ١/ ص ٣٠٧).

(٢) ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (ج١/ ص١٥٣، رقم ١١٦).

أهمية التواضع وأثره:

إن الواجب على المسلم أن يتواضع لعباد الله، ويلين لهم جانبه، ويحب لهم الخير والنصح في كل حالة من أحوالهم، يحترم كبيرهم، ويحنو على صغيرهم، ويوقر عالمهم، ويحفظ لكل ذي مكانَة منزلته. فقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة في الأمر بالتواضع للحق والخلق، والثناء على المتواضعين، وذكر ثوابهم في العاجل والآجل، فالعبودية لله وحده، وطاعته في أمره ونهيه، كل ذلك خضوع وانقياد للصواب والحق، فإن أعظم الحقوق على العباد حق الله ﷻ عليهم أن يعبدوه وحده لا يشركون به شيئًا، فمن خضع لهذا الحق في أصول الدين وفروعه فهو المتواضع الخاضع لله.

ومن أعرض عنه وعارضه فهو المتكبر، ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[(١)].

وقال المبرد: «النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها التواضع، والبلاء الذي لا يرحم صاحبه العجب»[(٢)].

التواضع من حقوق الأخوة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٣)]، وعن عياض بن حمار

---

(١) سورة النساء: الآية ١٧٢.

(٢) آداب الصحبة (ج ١/ ص ٦٥)، وأدب الدنيا والدين (ج ١ / ص ٢٩٢)، وجامع بيان العلم وفضله (ج ١/ ص ١٤٢).

(٣) سورة الحجر: الآية ٨٨.

ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»(١).

التواضع رفعة:

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺقال: «**وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**»(٢).

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيع

التواضع يجدد الإيمان:

للتواضع دور فعال في تجديد الإيمان وجلاء القلب من صدأ الكبر، لأن التواضع في الكلام والمظهر دالٌّ على تواضع القلب لله، وقد قال ﷺ: «**البذاذة من الإيمان**»(٣). ومعناه التواضع في الهيئة واللباس (٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٨ رقم ٢٨٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠١ ، رقم ٢٥٨٨).

(٣) أخرجه الطبراني (١/ ٢٧٢ ، رقم ٧٨٩) ، والحاكم (١/ ٥١ ، رقم ١٨) ، وقال : احتج مسلم بصالح بن أبي صالح . والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٧٥ ، رقم ٨١٣٦) . وأخرجه أيضًا : أبو داود (٤/ ٧٥ ، رقم ٤١٦١) ، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٩ ، رقم ٤١١٨) ، والروياني (٢/ ٣١٤ ، رقم ١٢٧٣) ، والقضاعي (١/ ١٢٥ ، رقم ١٥٧) . قال الحافظ في الفتح (١٠/ ٣٦٨) : حديث صحيح أخرجه أبو داود . وقال الحسيني في البيان والتعريف (٢/ ٧) : قال الحاكم : احتج مسلم بصالح ، وأقره الذهبي ، وقال الحافظ العراقي : حديث حسن . وقال الديلمي : هو صحيح .

(٤) انظر النهاية لابن الأثير (١/ ١١٠) .

وقال ﷺ: «**من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها**»[(١)].

التواضع خلق الأنبياء والصالحين:

إن أفضل الناس من تواضع عن رِفْعة، وزهد عن قُدرة، وأنصف عن قوة.

تواضع إذا ما نلت فِي الناس رِفْعة فـإن رفيـع القـوم مـن يتواضـع

روى أهل السير أنه كان عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوم ذات ليلة في بعض ما يحتاج إليه، فغُشي سراجه، فقام إليه فأصلحه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ألا نكفيك؟ قال: «وما ضرّني قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز»[(٢)]. هكذا فهِم المتقون التواضع فطبقوه واقعًا ملموسًا في حياتهم، فعاشوا أصفياء، وماتوا سعداء، لم يعرف التكبر رواجًا عندهم، وقد كانوا يملكون أسبابه ووسائله ودواعيه.

أنواع التواضع:

قال رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله أوحى إليّ أن تواضعوا، حتى لا يفخرَ**

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٥٠ ، رقم ٢٤٨١) وقال : حسن . والطبراني (٢/ ١٨٠ ، رقم ٣٨٦) ، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٤٨) ، والحاكم (١/ ١٣٠ ، رقم ٢٠٦) ، والبيهقي (٣/ ٢٧٢ ، رقم ٥٨٩٦) . وأخرجه أيضًا : أحمد (٣/ ٤٣٩ ، رقم ١٥٦٦٩) ، والحارث كما بغية الباحث (٢/ ٦٠٤ ، رقم ٥٦٧) ، وأبو يعلى (٣/ ٦٠ ، رقم ١٤٨٤) ، وابن قانع (٣/ ٢٦) .وهو في السلسلة الصحيحة ٧١٨ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه (ج ١ / ص ٤٤).

أحدٌ على أحد، ولا يبغيَ أحد على أحد»[١]. وللتواضع أنواع منها:

التواضع لله ﷻ:

وهذا أعظمُ التواضع -تواضعُك لربّك ﷻ-، وذاك بأن تستيقنَ وتستحضرَ عظيمَ نِعَم الله عليك، وعظيمَ فضله وآلائه وإحسانه إليك، فهو الذي خلقك، وهو الذي ربّاك بالنعم، وهو الذي منحك السمع والبصرَ والفؤاد، وهو الذي خلقك في أحسَن تقويم، وهو الذي غمرَك بنعمِه ظاهرةً وباطنة، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[٢].

فإذا عرف العبدُ عظيمَ نِعَم الله عليه وعظيمَ آلائه تواضَع لعظمةِ ربّه، واستكان لربِّه، وذلّ لربِّه، تواضُعًا يدعو إلى العمَل الصالِح والاستقامةِ على الخير، إنّه يتفكّر في نِعَم الله، فلا يطغَى، ولا يعجَب بنفسِه، ولا يتكبَّر على ربِّه، ما به من إيمان وعملٍ صالح فبتوفيقِ الله، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٣].

وقال الله ﷻ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٤]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة النحل: الآية ٥٣.

(٣) سورة الحجرات: الآيتان ٧ – ٨.

(٤) سورة الحجرات: الآية ١٧.

(٥) سورة النساء: الآية ٨٣.

فالإيمان والعملُ الصالح والاستقامة عليه مِنّة من الله على عباده، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وقال ﷺ لمّا سئِل عن دخول الجنة: أيدخلها الإنسان بعَمَله؟ قال: «**لن يدخلَ أحدُكم الجنّةَ بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلاّ أن يتغمّدنيَ الله برحمةٍ منه**»[2].

التواضع للمؤمنين:

ومِن التواضُع أن تتواضعَ لإخوانِك المؤمنين قال ﷻ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]

وقال الله ﷻ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[3].

وقال له أيضًا: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾[4].

هكذا أرشد الله نبيَّه أن يتواضعَ لأهل الإيمان وأهل التقى تواضُعَ محبّة

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٣، رقم ٦١٠٢)، ومسلم (٤/ ٢١٧١، رقم ٢٨١٨).

(٣) سورة الكهف: الآية ٢٨.

(٤) سورة عبس: الآيات ١ – ١٠.

وإناسٍ بهم وانشراح صدرٍ لهم، ومحبّتهم ومواساتهم والوقوف معهم، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]، فهم مَع المؤمنين تواضُع ومحبّة ومودّةٌ وموالاة.

هكذا المؤمن مع إخوانه المؤمنين، هذا التواضُع يدعوهُ إلى نصيحتهم ومحبّتهم والبعدِ عن غِشِّهم وخيانتهم، وأن يكونَ موقفه معهم موقفَ المحِبِّ الناصح الباذل للخير البعيدِ عن الشرّ، فيأمنون شرَّه، ويأمنون غوائلَه، ويأمنون خبثَه، ويأمنون غِشَّه، ويأمنون خيانتَه، ويؤمِّلُون فيه بعدَ الله الخيرَ والهدى، وفي الحديث: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبّ لنفسه**»[3].

التواضع للكبار:

أيّها الشاب المسلم، تواضَع لمن هو أكبرُ منك سنًّا، تواضُعًا يقتضي إكرامه وإجلالَه، وأن لا تؤذيَه، وأن لا ترفع صوتك عليه، وأن تذكرَ له كبرَ سنّه وعمرَه في الإسلام، في الحديث يقول ﷺ: «**إنّ من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبةِ**

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٤.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٤، رقم ١٣)، ومسلم (١/ ٦٧، رقم ٤٥).

من المسلمين وحاملِ القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه»[(١)]. فإكرامُك ذا الشيبة من المسلمين دليلٌ على تواضعك، إكرامك له دليل على نفسِك الطيّبة، إكرامُك له دليل على أصالتِك في الخير.

فإيّاك أن يخدعَك شبابُك، فلا تبالي بالأكبر سنًّا ولا تنظر له إلا نظرَ احتقارٍ وازدراء، هذا كلّه نقصٌ في الإيمان.

التواضع للوالدين:

أيّها المسلم، إنّ أعظمَ الحقوق عليك بعدَ حقّ الله حقُّ الوالدين، فقد أمرك الله بالتواضع لهما والذلِّ لهما في الطاعة، قال الله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[(٢)].

اخفِض لهما جناحَ الذلِّ من الرحمةِ، أي: تواضَع لهما تواضعًا مقرونًا برحمَة، ومقرونًا بعَطف، كلماتٌ طيّبة، وخطاب لطيف، وتعامل يشفّ عن رحمةٍ وإحسان وتقدير للمواقف وتذكُّر للجميل السابق والمعروف الماضي، هكذا يكون المسلم.

---

(١) أخرجه ابن المبارك (١/ ١٣٠، رقم ٣٨٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٢١، رقم ٣٢٥٦١)، وأبو داود (٤/ ٢٦١، رقم ٤٨٤٣)، والبيهقي (٨/ ١٦٣، رقم ١٦٤٣٥). والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١٣٠، رقم ٣٥٧).

(٢) سورة الإسراء: الآيتان ٢٣ – ٢٤.

التواضع في العلم:

أن يتواضع مع الطالب وكل مسترشد، إذا قام بما يجب عليه من حقوق الله وحقوقه، ويخفض له جناحه، ويلين له جانبه، وفي الحديث: «**لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه**»(١).

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رحمه الله: «إِنَّ الله يُحِبُّ الْعَالِمَ الْمُتَوَاضِعَ، وَيُبْغِضُ الْعَالِمَ الْجَبَّارَ»(٢).

وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: «الْمُتَوَاضِعُ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا، كَمَا أَنَّ الْمَكَانَ الْمُنْخَفِضَ أَكْثَرُ الْبِقَاعِ مَاءً»(٣).

بين التواضع والهيبة:

إن التواضع لا ينافي أن يكون للمؤمن هيبة يحفظ بها قدره، ويصون بها عرضه، فإن من قلّت هيبته قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل إيمانه، ومن أكثر من الضحك والمزاح مع الناس استُخِف به واجترأ الناس عليه، والسعيد من جمع بين التواضع والهيبة، فلم يتكبر على عباد الله، ولم يفقد نفسه هيبتها. وهكذا كان السلف رحمهم الله.

فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي بلغ من تواضعه أنه كان يتناوب

---

(١) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٣٥٠، رقم ٨٠٩).

(٢) قوت القلوب (ج ١ / ص ٢٤٤)، والفقيه والمتفقه (ج ٢ / ص ٢٣٠)، وتاريخ مدينة دمشق (ج ٤٨ / ص ٤١٧)، والآداب الشرعية (ج ٢/ ص ٥٠).

(٣) التمثيل والمحاضرة (ج ١/ ص ٣٩)، وأدب الدنيا والدين (ج ١ / ص ٥٠).

مع خادمه على الركوب على دابة واحدة حين ذهب إلى فلسطين فاتحًا وهو أمير المؤمنين، ولما جاء دوره ليمشي صادف ذلك ساعة الوصول إلى بيت المقدس، وكان في استقباله القساوسة والرهبان، فأبى الخادم أن يركب، لكنّ عمر ﷺ أصر على عدالة القسمة بينه وبين خادمه، ودخل عمر فلسطين وهو يقود زمام الناقة وعليها خادمه، فما زاده ذلك في أعين القوم إلا إجلالًا وإكبارًا، حتى سُمِع نشيجهم وبكاؤهم لعدل الإسلام ورحمته وتواضع أبنائه.

ومع ذلك فقد كان ذا هيبة ووقار، حتى قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «مكثت سنة كاملة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية من كتاب الله فلا أستطيع أن أسأله هيبة له»[(١)].

لذا فقد قسم العلماء التواضع إلى محمود ومذموم:

التواضع المذموم:

وإن للتواضع المذموم طرفين:

طرف الإفراط:

وهو أن يُفْرط في التواضع حتى يوقعه ذلك في المهانة والخسة وابتذال النفس وإذلالها وهوانها.

وأما وصف الله سبحانه وتعالى عباد الرحمن أنهم يمشون على الأرض هونًا.فالهَون هنا كما قال ابن القيم رحمه الله: «(والهَون) بالفتح في اللغة: الرفق واللين، (والهُون)

---

(١) صحيح البخاري (ج ٤ / ص ١٨٦٦)، وصحيح مسلم (ج ٢ / ص ١١٠٨).

بالضم: الهوان. فالمفتوح منه: صفة أهل الإيمان، والمضموم: صفة أهل الكفران والنيران»(١).

طرف التفريط:

وهو التقصير في التحلي بهذا الخلق، والوقوع في ضده وهو الكبر والتكبر إما على الخلق وإما على الحق بترك الانقياد له.

التواضع المحمود:

وهو الوسط والعدل بين الطرفين المذمومين، وهو التواضع الذي وصفه الإمام ابن القيم رحمه الله بقوله: «وهو التواضع الذي يتولد من بين العلم بالله سبحانه وتعالى ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله، ومن معرفة النفس وتفاصيلها وعيوب عملها، وآفاتها؛ فيتولد من بين ذلك كله خلق التواضع؛ وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذلة والرحمة بعباده؛ فلا يرى له على أحد فضلاً، ولا يرى له عند أحد حقًّا، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قبله. وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه»(٢).

تواضع النبي:

مما أدب الله به رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحلى بخلق التواضع وخفض الجناح

---

(١) مدارج السالكين: (٣/ ١٠٨) ط. دار طيبة.

(٢) انظر الروح لابن القيم: (ص ٤٩٥).

للمؤمنين واللين لجانبهم ، فكان ﷺ متواضعاً مع نبوته، ومع علو منصبه ورفعة رتبته وغزارة علمه؛ فإذا جلس بين أصحابه كان كأحدهم ، فيأتي قاصده فلا يعرفه فيقول: أيكم محمد ؟[(١)].

تواضعه ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم :

وكان ﷺ لا يتعالى على أصحابه ولا يترفع عليهم. فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه في خطبة له: «إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا ، ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير»[(٢)].

ويصف أبو هريرة رضي الله عنه تواضع الرسول ﷺ في مشيته فيقول: «ما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحدًا أسرع مشية من رسول الله ﷺ كأن الأرض تطوى له، وإنا لنجهد أنفسنا وإنه غير مكترث»[(٣)].

تواضعه ﷺ في بيته :

فعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: سأل رجل عائشة رضي الله عنها : هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت : نعم. كان رسول الله ﷺ يخصف [(٤)] النعل ،

---

(١) فتوح الشام (١/ ٢٨٧)، والطبقات الكبرى (٧ / ٤٣ .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٦٩ ، رقم ٥٠٤) ، والبزار (٢/ ٥٩ ، رقم ٤٠١) ، قال الهيثمي (٧/ ٢٢٨) : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجالهما رجال الصحيح غير عباد بن زاهر وهو ثقة . والضياء (١/ ٤٨١ ، رقم ٣٥٧) .

(٣) كتاب الشفا (ج ١/ ص ٦٢)، واللباب في علوم الكتاب (ج ١٢/ ص ٢٨٧).

(٤) الخصف : إصلاح النعل وخياطته بالمخرز.

ويخيط الثوب، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته»[(١)].

تواضعه ﷺ في طعامه وشرابه:

فكان ﷺ لا يرد من الطعام موجوداً، ولا يتكلف مفقوداً، فما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم، وما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد**»[(٣)].

كان ﷺ لا يحب الإطراء:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك إبراهيم عليه السلام**»[(٤)].

---

(١) ابن حبان في صحيحه ج١٤/ ص٣٥٢ ح٦٤٤٠، ومسند أحمد بن حنبل - (ج ٦ / ص ١٦٧، رقم ٢٥٣٨٠) وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح وله إسنادان : الأول إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) أخرجه الطبراني (١٢/ ٦٧ ، رقم ١٢٤٩٤) ، والبيهقي في الشعب (٦/ ٢٩٠ ، رقم ٨١٩٢) ، قال الهيثمي (٩/ ٢٠) : إسناده حسن .

(٣) أخرجه ابن سعد (١/ ٣٧١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ١٠٧ ، رقم ٥٩٧٥) . وعبد الرزاق عن معمر في الجامع (١٠/ ٤١٧ ، رقم ١٩٥٥٤) .

(٤) أخرجه ابن عساكر (١٧/ ٨٦) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تطروني**[(١)] **كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**»[(٢)].

وهكذا كان صحابته من بعده -رضي الله عنهم وأرضاهم-، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، رحماء بينهم. فما بال أقوام لا يساوون عند الله موطئ قدمه ولا موطئ قدم أحد من أصحابه يتكبرون على عباد الله، ويتكلفون الشطط في المعاملة مع الناس، ويرون الناس في أعينهم كأنهم القذى؟!



(١) الإطراء : الإفراط في المديح ومجاوزة الحد فيه ، وقيل : هو المديح بالباطل والكذب فيه. (النهاية ٣/ ٣٣ لسان العرب ١٥/ ٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧١ ، رقم ٣٢٦١).

الحب في الله

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

قال ﷺ: «**إن أوثق عرى الإسلام أن تحب في الله وتبغض في الله**»(١)؛ وتحقيقه في واقعنا هو المقياس الشرعي السديد تجاه الناس بشتى أنواعهم، والحب في الله والبغض في الله هو الحصن الحصين لعقائد المسلمين وأخلاقهم أمام تيارات التذويب والمسخ. فالحب في الله والبغض في الله من مكملات حب الله ﷻ، وحب الرسول ﷺ، فالإسلام يربط أتباعه برباط الحب الذي يُوجِد المجتمعَ المتحاب، ورسول الله ﷺ يعلن عن الوسائل التي تُقوي هذا الحب، وتَزيده، قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم! أفشوا السلام بينكم**» (٢).

تعريف المحبة في الله:

الحب أصله في لغة العرب الصفاء، لأن العرب تقول لصفاء الأسنان

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ١٠١ ، رقم ٧٤٧) ، وأحمد (٤/ ٢٨٦ ، رقم ١٨٥٤٧) قال الهيثمي (١/ ٨٩) : فيه ليث بن أبي سليم وضعفه الأكثر . وابن أبي شيبة (٧/ ٨٠ ، رقم ٣٤٣٣٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٥ ، عقب رقم ١٣) .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٧٤ ، رقم ٥٤).

حبب [(١)]. وقيل مأخوذ من الحُباب الذي يعلو المطر الشديد؛ وعليه عرَّفوا المحبة بأنها: غليان القلب عند الاحتياج للقاء المحبوب.

ومن لوازم المحبة:

١- أنها صفاء المودة، وهيجان إرادات القلب للمحبوب.

٢- وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد.

٣- وثبوت إرادة القلب للمحبوب ولزومها لزوما لا تفارقه.

٤- ولإعطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده، وهو قلبه.

٥- ولاجتماع عزماته وإراداته وهمومه على محبوبه [(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أصل الموالاة هي المحبة كما أن أصل المعاداة البغض، فإنَّ التحاب يوجب التقارب والاتفاق، والتباغض يوجب التباعد والاختلاف» [(٣)].

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «أصل الموالاة:

---

(١) انظر لسان العرب (ج١ / ص٢٨٩)، وتاج العروس (ج٢/ ص٢١٣)، ومختار الصحاح (ج١ / ص٥١).

(٢) زاد ابن القيم في كتابه روضة المحبين (ص ١٧، ١٨) على هذه المعاني الخمسة مايلي: «وقيل: بل هي مأخوذة من القلق والاضطراب، ومنه سمي القرط حبا لقلقه في الأذن واضطرابه. وقيل بل هي مأخوذة من الحب الذي هو إناء واسع فيمتلئ به بحيث لا يسع لغيره، وكذلك قلب المحب ليس فيه سعة لغير محبوبه، وقيل: مأخوذة من الحب وهو الخشبات الأربع التي يستقر عليها ما يوضع من جرة أو غيرها فسمي الحب بذلك لأن المحب يتحمل لأجل محبوبه الأثقال، كما تتحمل الخشبات ثقل ما يوضع عليها».

(٣) قاعدة في المحبة (ص ٣٨٧).

الحب، وأصل المعاداة : البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة ؛ كالنصرة والأنس والمعاونة وكالجهاد والهجرة ونحو ذلك من الأعمال» [(١)].

وسئل الإمام أحمد رحمه الله عن الحب في الله، فقال : «ألا تُحبه لطمع في دنياه»[(٢)].

فمن خلال أقوال هؤلاء الأئمة ونحوهم يتبيّن لنا أن الحب والبغض أمر قلبي، فالحب محله القلب، والبغض محله القلب، لكن لا بد لهذا العمل القلبي أن يظهر على الجوارح، فلا يأتي شخصٌ يقول: «أنا أبغض فلانًا في الله» ثم تجد الأنس والانبساط والزيارة والنصرة والتأييد لمن أبغضه في الله! فأين البغض في الله؟! فلا بد أن يظهر على الجوارح، فلو أبغضنا مثلًا أعداء الله من النصارى ومن اليهود فهذا البغض محلهُ القلب، لكن يظهر على الجوارح من عدم بدئهم بالسلام - مثلًا -، كما قال ﷺ: «**لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام**» [(٣)].

أو من خلال عدم المشاركة في أعيادهم؛ لأن هذه المشاركة من التعاون على الإثم والعدوان، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[(٤)].

---

(١) الدرر السنية (٢/ ١٥٧).

(٢) طبقات الحنابلة (ج ١/ ص ٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٠٧ ، رقم ٢١٦٧).

(٤) سورة المائدة: الآية ٢.

وكذلك الحب في الله، فإذا أحببنا عباد الله الصالحين وأحببنا الأنبياء والصحابة وغيرهم من أولياء الله تعالى، فهذا الحب في القلب لكن له لوازم، وله مقتضيات تظهر على اللسان وعلى الجوارح، فإذا أحببنا أهل الإسلام أفشينا السلام، كما قال ﷺ: «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**» (١).

كذلك النصيحة، فعندما أرى أخًا لي من أهل الإسلام يُقصر في الصلاة كأن يخل بأركانها أو واجباتها فأنصحه فهذا من مقتضى الحب في الله، فإذا عُدم ذلك فهذا يدل على ضعف الإيمان، فلو وجدنا رجلًا يقول: «أنا أحب المؤمنين» لكنه لا يسلّم عليهم، ولا يزور مريضهم، ولا يتبع جنائزهم، ولا ينصح لهم، ولا يشفق عليهم ؛ فهذا الحب لا شك أن فيه دخنًا ونقصًا، لا بد أن يتداركه العبد.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في فتاواه «إن الله عقد الأخوة والموالاة والمحبة بين المؤمنين كلهم، ونهى عن موالاة الكافرين كلهم من يهود ونصارى ومجوس ومشركين وملحدين ومارقين وغيرهم ممن ثبت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم؛ وهذا الأصل متفق عليه بين المسلمين؛ وكل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية فإنه تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك فإنه يجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة، فالولاء والبراء تابع للحب والبغض، والحب

---

(١) سبق تخريجه.

والبغض هو الأصل، وأصل الإيمان أن تحبّ في الله أنبياءه وأتباعهم، وأن تبغض في الله أعداءه وأعداء رسله»[(١)].

وقد بيّن أهلُ العلم أن المؤمن تجبُ محبته وإن أساء إليك، والكافر يجب بغضه وعداوته وإن أحسن إليك؛ فالمسلم وإن قصّر في حقك وظلمك فيبغض على قدر المظلمة؛ لكن يبقى حق الإسلام وحق النصرة وحق الولاية.

فضائل المحبة في الله:

أنها من نعم الله على المؤمنين:

فقد امتن الله ﷻ بالتأليف بين قلوب المؤمنين، فقال ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[(٢)].

وقال جل وعلا: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[(٣)].

هذه المحبة امتدت لتشمل من رأيناهم ومن لم نرهم؛ وتأملوا في تلك الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ

---

(١) الفتاوى السعدية (١/ ٩٨).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٦٣.

سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)، فهذه المحبة تربط أجيالًا بأجيال أخرى لم يحصل بينهم أي تلاقٍ للأجساد، ولكن جمعتهم المحبة في الله ﷻ.

من علامات كمال الإيمان:

المسلم بحكم إيمانه بالله تعالى إذا أحبَّ لا يحب إلا في الله، وإذا ابغض فلا يبغض إلا في الله، لأنه لا يحبّ إلا ما يحب الله ورسوله، ولا يكره إلا ما يكره الله ورسوله، فهو إذًا بحب الله ورسوله يُحب، وببغضهما يُبغض؛ ودليله في هذا قول الرسول ﷺ: «**من أحبّ لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»(٢).

إن أول شيء يبرز في حياة المؤمنين والمؤمنات هو الحب والولاء؛ فالإيمان الصادق حين يخالط القلوب ويعمرها يربط قلوب المؤمنين ببعضهم، ويكونون جميعًا شيئًا واحدًا، يغمرهم الحب في الله ﷻ، لا فرق بين غني أو فقير ولا أبيض ولا أسود ولا عربي ولا أعجمي ولا ذكر ولا أنثى، كلهم يهدفون لتحقيق العبودية لله رب العالمين.

ولقد صور رسول الله ﷺ المؤمنين في حبهم وموالاتهم ومناصرتهم تصويرًا رائعًا فقال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل**

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٠.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٢٠)، والطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (١/ ٩٠)، وابن أبي الدنيا في الإخوان (١/ ص٦٤ ، رقم ١٧).

الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، وفي رواية قال ﷺ: «المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله» [١].

إدراك المرء حلاوة الإيمان:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يُحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله، وحتى يكون الله ورسوله أحب مما سواهما**» [٢].

الحشر في ظل الله سبحانه وتعالى:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون لجلالي اليوم أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يوم لا ظِلَّ إلا ظِلِّي**» [٣].

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من عباد الله عبادًا ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء**» قيل: من هم لعلنا نحبهم ؟ قال: «**هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب، وجوههم نور، على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**» ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [٤]، فجثا رجل من الأعراب من

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٤، رقم ١٦)، ومسلم (١/ ٦٦، رقم ٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٨، رقم ٢٥٦٦).

(٤) سورة يونس: الآية ٦٢.

قاصية الناس، وألوى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: ناس من المؤمنين ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم؛ انعتهم لنا. فسُرّ وجه رسول الله ﷺ بسؤال الأعرابي فقال: «**هم ناس من أفناء الناس، ونوازع القبائل، لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا في الله وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها، فيجعل وجوههم نورا، وثيابهم نورا، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**»(١).

وجوب الجنة:

قال ﷺ: «**إن رجلًا زار أخًا له في الله فأرصد الله له ملكًا، فقال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخي فلانًا، فقال: لحاجة لك عنده ؟ قال: لا، قال: لقرابة بينك وبينه؟ قال: لا، قال: فبنعمة لك عنده؟ قال: لا، قال: فيم؟ قال: أحبه في الله، قال: فإن الله أرسلني إليك أخبرك بأنه يحبك لحبك إياه، وقد أوجب لك الجنة**»(٢).

المرء مع من أحب :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! متى الساعة؟ قال: «**وما أعددت للساعة؟**» قال: حب الله ورسوله، قال:

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٣ ، رقم ٢٢٩٥٧) ، وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (١/ ٤٧ ، رقم ٦) ، والحكيم (٤/ ٨٢) ، وابن عساكر (٦٧/ ١٩٥) . قال الهيثمي (١٠/ ٢٧٦) : رواه كله أحمد والطبراني بنحوه ورجاله وثقوا .

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٨ ، رقم ٢٥٦٧).

«**فإنك مع من أحببت**»، قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي ﷺ: «**فإنك مع من أحببت**»، قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم [(١)].

وفي هذا الحديث فضل حب الله ورسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات، ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية.

الحب في الله يجلب محبة الله سبحانه وتعالى:

عن أبي إدريس الخولاني قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا فتى براق الثنايا [(٢)] وإذا الناس معه، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل رضي الله عنه، فلما كان من الغد هجَّرت فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه، ثم قلت: «والله إني لأحبك في الله»، فقال: آلله؟ فقلت: الله، فقال: آلله؟ فقلت: الله، فأخذني بحبوة ردائي فجبذني إليه، فقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتباذلين في**» [(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري(٣/ ١٣٤٩، رقم ٣٤٨٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٢، رقم ٢٦٣٩).

(٢) أي أبيض الثغر كثير التبسم.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣، رقم ٢٢٠٨٣)، والطبراني (٢٠/ ٨٠، رقم ١٥٠)، والحاكم (٤/ ١٨٦، رقم ٧٣١٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٨٣، رقم ٨٩٩٢). وأخرجه أيضا: مالك (٢/ ٩٥٣، رقم ١٧١١)،

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى فأرسل الله له على مدرجته ملكًا، فقال: «**إن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»[(١)].

بل تجلب محبة الملأ الأعلى أجمعين مع القبول في الأرض: ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحب الله عبدًا دعى جبريلَ فقال: يا جبريل! إني أحبه فأحبه. فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريلُ في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه. فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»[(٢)].

من أقوال السلف في المحبة في الله:

قال ابن عباس رضي الله عنهما حبر هذه الأمة وترجمان القرآن: «من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله؛ فإنما تُنال ولاية الله بذلك»[(٣)]. أي إذا أردت أن تكون وليًّا من أولياء الله عليك بهذا الأمر.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ

وعبد بن حميد (ص ٧٢، رقم ١٢٥)، وابن حبان (٢/ ٣٣٥، رقم ٥٧٥)، والقضاعي (٢/ ٣٢٢، رقم ١٤٤٩).

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٨، رقم ٩٢٨٠)، وهناد في الزهد (١/ ٢٧٧، رقم٤٩٠)، والبخاري في الأدب المفرد (ص ١٢٨ رقم ٣٥٠)، ومسلم (٤/ ١٩٨٨، رقم ٢٥٦٧)، وابن حبان (٢/ ٣٣١، رقم ٥٧٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٨٨، رقم ٩٠٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٥، رقم ٣٠٣٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٠، رقم ٢٦٣٧).

(٣) اعتقاد أهل السنة (ج ٥/ ص٩٣٦)، وجامع العلوم والحكم (ج ١/ ص ٣٤).

بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾[١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رحمه الله: «المراد بالأسباب هنا: المودات والصلات التي ليست لأجل الله تعالى»[٢].

لماذا ؟ لأن الحب في الله والبغض في الله يراد به وجه الله، والله سبحانه وتعالى هو الباقي الدائم، فلهذا ما كان لله يبقى، أما ما لم يكن لله فهو يضمحل، فالشخص الذي يحب آخر من أجل الدنيا فإن هذه الرابطة تنتهي وتفنى وتتقطع، بل إن هؤلاء لا يبعد أن يتعادوا.

وقال الحسن البصري رحمه الله: «كنَّا نعد البخيل فينا الذي يُقرض أخاه، وكان يقول: إخواننا أحبُّ إلينا من أهلينا؛ فأهلونا يُذَكِّرُونَنَا بالدنيا وإخوانُنا يُذَكِّرُونَنَا بالآخرة»[٣].

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: «مَنْ أَحَبَّ رَجُلًا صالحًا فإنَّما يُحِبُّ اللهَ تبارك وتعالى»[٤].

آداب المحبة في الله:

حرص الإسلام على القواعد التي تجعل هذا الحب واقعًا ملموسًا يعيشه المسلم، ويستظل به في هذه الدنيا، لينعم بآثاره في الآخرة، ومن هذه القواعد والآداب:

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٦.

(٢) تفسير مجاهد (ج١/ ص٩٤)، وتفسير الطبري (ج٢/ ص٧١).

(٣) قوت القلوب (ج ٢/ ص ٣٦٧)، وإحياء علوم الدين (ج ٢/ ص ١٧٦).

(٤) روضة العقلاء (ج ١/ ص ١٠٠)، وحلية الأولياء (ج ٥ / ص ١٨٠).

التعبير عن هذا الحب لفظًا:

قال ﷺ: «**إذا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ**»(١). وهذا توكيد لهذا الحب، وإعلامٌ للغير به، حتى لا يكون هذا الحب من طرف واحد؛ فالإسلام يشيع الحب بين أتباعه حتى يكون المجتمع متآلفًا.

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلًا كان عند النبي ﷺ، فمر رجل به فقال: يا رسول الله، إني أحب هذا، فقال له النبي ﷺ: «**أأعلمته**»؟ قال: لا، قال: «أعلمه»، فلحقه، فقال: إني أحبك في الله، فقال: أحبك الذي أحببتني له(٢).

وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ والله إني لأحبك** ... إلى آخر الحديث»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠، رقم ١٧٢١٠)، والبخاري في الأدب (١/ ١٩١، رقم ٥٤٢)، وأبو داود (٤/ ٣٣٢، رقم ٥١٢٤)، والترمذي (٤/ ١٩٩، رقم ٢٣٩٢ طبعة دار الغرب تحقيق بشار عواد)، وقال: حسن صحيح، وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (ص ١١٥، رقم ٦٥) وابن حبان (٢/ ٣٣٠، رقم ٥٧٠)، والحاكم (٤/ ١٨٩، رقم ٧٣٢٢) ووافقه الذهبي. والطبراني (٢٠/ ٢٧٩، رقم ٦٦١)، وابن السني (ص ٨٢، رقم ١٩٦). وأخرجه أيضًا: النسائي في الكبرى (٦/ ٥٩، رقم ١٠٠٣٤).

(٢) الحاكم في مستدركه (ج٤/ ص١٨٩، ح٧٣٢١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٤، رقم ٢٢١٧٢)، وأبو داود (٢/ ٨٦، رقم ١٥٢٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٢، رقم ٩٩٣٧)، والحاكم (١/ ٤٠٧ رقم ١٠١٠) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين. والطبراني (٢٠/ ٦٠، رقم ١١٠) وابن حبان (٥/ ٣٦٥، رقم ٢٠٢١). وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد (ص ٧١، رقم ١٢٠).

من أسباب المحبة في الله:

أداء الصلوات الخمس مع الجماعة في المساجد:

حيث يلتقي المسلمون فيها في اليوم والليلة خمس مرات فيتعارفون ويتآلفون ويسلم بعضهم على بعض، ويصافح بعضهم بعضًا، وكل ذلك من أسباب المحبة.

أداء صلاة الجمعة في المسجد:

فأداؤها في المسجد الجامع حيث يجتمع فيه سكان الحي يحصل به اللقاء بينهم، مما تتقوى به أواصر المودة بينهم .

أداء الحج:

فإن الله أوجبه على المسلم المستطيع مرة في عمره، فيجتمع المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها في: مكان واحد، ولباس واحد، ووقت واحد، يعبدون ربًّا واحدًا، فيتعارفون ويتآلفون ويتعاونون، ويحلون مشاكلهم، وتتوحد كلمتهم .

إفشاء السلام بين المسلمين:

قال النبي ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**» (١).

تبادل الهدايا:

فإنها تزيد في المحبة وتذهب الأحقاد والشحناء، وقد قال ﷺ: «**تهادوا**

---

(١) سبق تخريجه.

تحابوا»[1].

ماذا يجب علينا تجاه المسلمين الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فهم ليسوا من أولياء الله الصالحين، وليسوا من أعداء الله الكافرين؟

الواجب في حقهم أن نحبهم ونواليهم بقدر طاعتهم وصلاحهم، وفي نفس الوقت نبغضهم على قدر معصيتهم وذنبهم.

فمثلًا: جارك الذي يشهد الصلوات الخمس عليك أن تحبه لهذا الأمر، لكن لو كان هذا الجار يسمع ما حرم الله من الأغاني مثلًا، أو يتعاطى الربا فعليك أن تبغضه على قدر معصيته، وكلما ازداد الرجل طاعة ازددنا له حبًّا، وكلما ازداد معصية ازددنا له بغضًا.

وقد يقول قائل: وكيف يجتمع الحب والبغض في شخص واحد؟ كيف أحب الشخص من جانب وأبغضه من جانب؟

أقول: هذا ميسر، فهذا الأب ربما ضرب ابنه وآلمه تأديبًا وزجرًا، ومع ذلك يبقى الأصل أن الأب يحب ابنه محبة جبلية؛ فيجتمع الأمران.

وكذلك المعلم مع تلاميذه أو الرجل مع زوجته إذا زجرها أو هجرها إذا كان الأمر يقتضي ذلك، لكن يبقى الأصل في ذلك محبتها والميل إليها.

---

(١) أخرجه البيهقي (٦/ ١٦٩، رقم ١١٧٢٦). وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٠٨، رقم ٥٩٤)، وأبو يعلى (١١/ ٩، رقم ٦١٤٨) وابن عدي (٤/ ١٠٤، ترجمة ٩٥٣ ضمام بن إسماعيل مصري).

فإذا كان الشخص يجتمع فيه إيمان مع ارتكاب محرمات أو ترك واجبات -مما لا ينافي الإيمان بالكلية- فإن إيمانه يقتضي حبّه ونصرته، وعصيانه يقتضي عداوته وبغضه -على حسب عصيانه-.

ومما يبيّن هذا الأمر ما جاء في هدي النبي ﷺ فقد حقق ﷺ الأمرين، والدليل ذاك الرجل الذي يشرب الخمر في عهد رسول الله ﷺ واسمه عبد الله، وكان كثيرًا ما يؤتى به فيجلد، فأُتي به في أحد المرات فقال أحد الحاضرين: لعنه الله ما أكثر ما يُؤتى به، فقال ﷺ: «**لا تلعنه، أما علمت أنَّه يحب الله ورسوله**»(١).

وأختم بهذه الأبيات الرائعة للإمام الشافعي رحمه الله:

إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفا ... فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
ففي الناس أبدال وفي الترك راحة ... وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كل من تهواه يهواك قلبه ... ولا كل من صافيته لك قد صفا
إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة ... فلا خير في ود يجيء تكلفا
ولا خير في خِل يخون خليله ... ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكر عيشاً قد تقادم عهده ... ويظهر سراً كان بالأمس قد خفا
سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها ... صديقٌ صدوقٌ صادق الوعد منصفا

❁ ❃ ❁ ❃ ❁

(١) أخرجه عبد الرزاق (٩/ ٢٤٦، رقم ١٧٠٨٢).

آداب حسن الظن

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن الظن مرضٌ خطيرٌ من أمراض العصر، نتائجه خطيرة، ومفاسده عظيمة، وهو دليلٌ على سوء طوية صاحبه، ومن أصيب بهذا الداء فواجبٌ عليه أن يتعالج منه، والجاهل إذا اتهم أو أنقص من قدر الناس أساء ظنه بهم.

وقد جاء في السنة أن رجلاً أساء الظن برسول الله ﷺ لما وزّع الغنائم، واتهم النبي بعدم العدل والإخلاص، فقال: اعدل يا محمد، فما عدلت، هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. فدفعه سوء ظنه وفعله القبيح وسطحية تفكيره وفهمه وقلة فقهه لمقاصد الشريعة ومصالح الدين، دفعه ذلك إلى أن استعجل في الحكم، وحكم بجهل على أكمل إنسان وأعدل بني عدنان، والمرء إذا لم يعلم فعليه أن يسأل ويستفسر، ولا يجري وراء الظنون.

تعريف الظن:

الظن لغة: هو التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد، غير الجازم، وجمعه: ظنون وأظانين. وقد يوضع موضع العلم [1].

---

(١) لسان العرب (ج١٣/ ص٢٧٢)، وتاج العروس (ج٣٥ / ص٣٦٦)، ومختار الصحاح

واصطلاحا: هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك، وقيل: الظن أحد طرفي الشك، بصفة الرجحان [(١)].

وقد ورد لفظ الظن بالمعنى السابق أكثر من ستين مرة، إضافة إلى ثماني مرات بمعنى اليقين، في مثل قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[(٢)]. وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾[(٣)].

أما حسن الظن فهو: ترجيح جانب الخير على جانب الشر.

أقسام الظن خمسة وهي :

١- **الظن المحرم:** وهو سوء الظن بالله، ويقابله وجوب حسن الظن بالله.
٢- **الظن المكروه:** وهو سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة، والمطلوب حسن الظن بهم .
٣- **الظن المباح:** وهو الذي يعرض في قلب المسلم في أخيه، بسبب ما يوجب الريبة، وهذا الظن لا يُحقق .
٤- **الظن المندوب إليه:** وهو حسن الظن بالأخ المسلم، وعليه الثواب .
٥- **الظن المأمور به:** وهو الظن فيما لم ينص عليه دليل يوصلنا إلى العلم.

وفيما يلي نتكلم عن الظن بالله ﷻ، ثم الظن بالمسلمين:

(ج١ / ص١٧١).

(١) التعريفات (ج ١ / ص ١٨٧)، ودستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (ج ٢/ ص ٢٠٩)، وقواعد الفقه (ج ١ / ص ٣٦٨).

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٦ .

(٣) سورة الحاقة: الآية ٢٠.

أولا: حسن الظن بالله تعالى:

لقد جاء ذكر اليأس والقنوط من روح الله ﷻ في آيتين من كتاب الله، في مَعْرِض الذَّمِّ لهما والتنفير من سلوك سبيلهما؛ لأنهما من كبائر الذنوب، فقال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[(١)].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[(٢)]. فأوضح الله ﷻ أن المؤمن ليس من شأنه اليأس والقنوط، وإنما يكون على الدوام خائفًا راجيًا، يخاف جَرِيرَة ذنبه وتَبِعَة معصيته، ويرجو مع ذلك رحمة ربه، وعفوه، ومغفرته، مقرونًا بالعمل بطاعته.

ولقد أطمع الله عباده في رحمته ورغّبهم في عفوه، وعلّق آمالهم في مغفرته، فقال ﷻ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٣)].

وقال ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[(٤)].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال النبي ﷺ: يقول الله ﷻ: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني**

---

(١) سورة يوسف: الآية ٨٧.

(٢) سورة الحجر: الآية ٥٦.

(٣) سورة الزمر: الآية ٥٣.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» [(١)].

وفي حديث جابر بن عبد الله ﵄، أنه سمع رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**» [(٢)].

وإن حسن ظن العبد بربه يجب أن لا يكون مقصورًا على حالة مخصوصة، أو حادثة بعينها، أو زمن دون آخر، فكما يجب أن يحسن المرء ظنه بالله وهو مقبل عليه، يرجو عفوه ومغفرته، فكذلك يجب أن يكون حسن ظنه بالله مصاحبًا له في كل ما يعرض له في هذه الحياة الدنيا من شدائد، وما ينزل به من نوازل، وما يغشاه من كروب، فإذا ابتُلِي بِمرضٍ، أو أصابته جَائِحَة، أو غَلَبَهُ الدَّين، أو فَقَدَ حبيبًا كان مِلء السمع والبصر؛ وجب عليه أن لا ييأس من رَوْح الله، وأن لا يقنط من رحمته، بل يجب عليه أن يستيقن أنّ ما نزل به من بلاء لم يكن إلا خيرًا له؛ يرفع الله به الدرجة، أو يدفع عنه شرًّا أعظم مما ابتلاه به، أو يعوّضه خيرًا مما فقد، في عاجل أو آجل.

كما جاء عن أبي هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**من يرد الله به خيرًا**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤١٣، رقم ٩٣٤٠)، والبخاري (٦/ ٢٦٩٤، رقم ٦٩٧٠)، ومسلم (٤/ ٢٠٦١، رقم ٢٦٧٥)، والترمذي (٥/ ٥٨١، رقم ٣٦٠٣) وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٢٤٦، رقم ١٧٧٩)، وأحمد (٣/ ٣٣٤، رقم ١٤٦٢٠)، وعبد ابن حميد (ص ٣١٢، رقم ١٠١٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٠٦، رقم ٢٨٧٧)، وأبو داود (٣/ ١٨٩، رقم ٣١١٣)، وابن ماجه (٢/ ١٣٩٥، رقم ٤١٦٧)، وابن حبان (٢/ ٤٠٤، رقم ٦٣٨).

يُصِب منه» [(١)]. أي: يبتليه بالمصائب ليثيبه.

وكما جاء عن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السَّخَط»[(٢)].

قال ابن القيم ﷺ: «ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن أحسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه، وأن لا يخلف وعده وأن يقبل توبته، وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه» [(٣)].

وفي مقابل هذا الصنف من الناس صنف آخر على النقيض، ساء ظنه بربه، فاعتقد خلاف مقتضى أسمائه وصفاته، فوقع فيما وقع فيه الكفار والمنافقون الذين ظنوا بالله غير الحق ظن الجاهلية.

قال ابن القيم ﷺ في وصفه لحال هذا الصنف من الناس: «فأكثر الخلق ـ بل كلهم إلا ما شاء الله ـ يظنون بالله غير الحق ظن السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسان

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٧ ، رقم ٧٢٣٤) ، والبخاري (٥/ ٢١٣٨ ، رقم ٥٣٢١) ، وابن حبان (٧/ ١٦٨ ، رقم ٢٩٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠١، رقم ٢٣٩٦) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٢/ ١٣٣٨، رقم ٤٠٣١) . وأخرجه أيضًا البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٤٤ ، رقم ٩٧٨٢) ، والقضاعي (٢/ ١٧٠ ، رقم ١١٢١) .

(٣) الجواب الكافي ج ١ ص ١٣.

حاله يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما أستحق؛ ونفسه تشهد عليه، وإن كان لسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به.

ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها رأى ذلك فيها. ولو فتشت من فتشته لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر» (١).

ولذا اعتنى السلف بهذا الأمر أشد الاعتناء، فكانوا أحرص الناس عليه، وأكثرهم دعوة إليه، وحثاً عليه، قال ابن مسعود ﵁: «والذي لا إله غيره! ما أعطي عبد مؤمن شيئاً خيراً من حسن الظن بالله ﷻ، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله ﷻ الظن إلا أعطاه الله ظنه، ذلك بأن الخير بيده» (٢).

وكان سعيد بن جبير ﵀ يدعو: «اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك» (٣).

و كان أبو سليمان الداراني يقول في دعائه (٤): يا من لا يأنس بشيء أبقاه ولا يستوحش من شيء أفناه ويا أنيس كل غريب ارحم في القبر غربتي و يا ثاني كل وحيد آنس في القبر وحدتي.

ولقد أحسن أبو بكر عبد الرحمن بن محمد ابن مفاوز السلمي الكاتب

---

(١) زاد المعاد (ج ٣/ ص ٢٣٥).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (ج ١٠/ ص ٩٩).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (ج ٧/ ص ٢٠٢)، وحلية الأولياء (ج ٤/ ص ٢٧٤)، وتهذيب الكمال (ج ١٠/ ص ٣٦٥)، وسلاح المؤمن في الدعاء والذكر (ج ١/ ص ٥١٠)، وسير أعلام النبلاء (ج ٤/ ص ٣٢٥).

(٤) التذكرة للقرطبي (ج ١ / ص ١٢١).

أحد البلغاء بشرق الأندلس حيث يقول [(١)]:

أيها الواقف اعتبارا بقبري … استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الضريح و خافوا … من ذنوبي و آيسوا من نعيمي
قلت : لا تجزعوا علي فإني … حسن الظن بالرؤوف الرحيم
ودعوني بما اكتسبت رهينا … غلق الرهن عند مولى كريم

البواعث على حسن الظن بالله سبحانه وتعالى:

إن هناك أموراً كثيرة تُشعر بأهمية حسن الظن بالله سبحانه وتعالى، وتَدفع للتحدث عنه والتنبيه عليه، وتبعث النفس إلى حسن الظن به سبحانه وتعالى، ومنها:

وصية النبي صلى الله عليه وسلم بحسن الظن بالله سبحانه وتعالى:

فحسن الظن بالله سبحانه وتعالى من الأمور التي أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا شك بأن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم قد دلنا وأرشدنا إلى خير ما يعلمه لنا، وحذرنا وأنذرنا من شر ما يعلمه لنا؛ ولذا فقد جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل**» [(٢)].

قال الخطابي رحمه الله في شرح هذا الحديث: «وقد يكون أيضاً حسن الظن بالله من ناحية الرجاء وتأميل العفو» [(٣)].

---

(١) التكملة لكتاب الصلة (ج ٣ / ص ٤٠)، والوافي بالوفيات (ج ٢ / ص ١٧)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (ج ٣/ ص ٣٣١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) عون المعبود في شرح سنن أبي داود (ج ٨/ ص ٢٦٥).

قال النووي في شرح المهذب: «معنى تحسين الظن بالله تعالى أن يظن أن الله تعالى يرحمه ويرجو ذلك بتدبر الآيات والأحاديث الواردة في كرم الله تعالى وعفوه، وما وعد به أهل التوحيد، وما سيبدلهم من الرحمة، يوم القيامة، كما قال سبحانه وتعالى في الحديث الصحيح : «**أنا عند ظن عبدي بي**» [(١)]. هذا هو الصواب في معنى الحديث وهو الذي قاله جمهور العلماء» [(٢)].

وقد روى أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب: «حسن الظن بالله» رحمه الله بسنده عن المعتمر قال : «قال أبي ـ حين حضرته الوفاة ـ : يا معتمر! حدثني بالرخص لعلّي ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به»[(٣)].

وروى أيضاً رحمه الله بسنده عن حصين عن إبراهيم قال: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه عز وجل» [(٤)].

وعلى هذا فإنه يتبين للناظر في الحديث السابق، ومن خلال كلام العلماء

---

(١) أخرجه الطبراني (٢٢/ ٨٩ ، رقم ٢١٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٠٦) ، وابن عساكر (٦٥/ ١١٤) . وأخرجه أيضًا : أحمد (٣/ ٤٩١ ، رقم ١٦٠٥٩) ، والطبراني في الأوسط (١/ ١٢٦ ، رقم ٤٠١) .

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود (ج ٨ / ص ٢٦٥).

(٣) مسند ابن الجعد (ج ١/ ص ١٩٩)، وحسن الظن بالله (ج ١/ ص ٤٠)، والمحتضرين (ج ١ / ص ٣٩)، وحديث أبي الفضل الزهري (ج ١/ ص ١٨٤)، وحلية الأولياء (ج٣/ ص ٣١)، وشعب الإيمان (ج ٢/ ص ٧)، وتهذيب الكمال (ج ١٢/ ص ١٢)، وسير أعلام النبلاء (ج ٦/ ص ١٩٩).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (١/ ٤٠، رقم ٣٠) .

حوله، وحال السلف رحمهم الله أن حسن الظن بالله ﷻ يكون عند احتضار المرء وقرب موته، والصحيح أن حسن الظن بالله أعم من ذلك؛ فإنه مع ما يشمله، ويتأكد فيه من حسن الظن بالله عند اقتراب المات، فإنه يكون ـ أيضاً ـ مع المؤمن طيلة حياته، وحتى مماته؛ فقد جاء في الحديث الصحيح أن الله ﷻ يقول: «**أنا عند ظن عبدي بي**» (١).

قال ابن حجر ؒ تعالى في الفتح: «أي: قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل» (٢).

وقال النووي ؒ في شرح صحيح مسلم: «قال العلماء: معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه» (٣).

وقال في موضع آخر حول هذا الحديث أيضاً : «قال القاضي: قيل معناه بالغفران له إذا استغفر، والقبول إذا تاب، والإجابة إذا دعا، والكفاية إذا طلب. وقيل: المراد به الرجاء وتأميل العفو وهو أصح» (٤).

إذاً فحسن الظن بالله ﷻ يجب أن يكون صفة المؤمن وسَمته طيلة حياته، ويتأكد أكثر عند مماته حتى يأتيه الموت وهو محب للقاء الله؛ ففي الحديث الصحيح : «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**» (٥).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتح الباري (ج ١٣ / ص ٣٨٥).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (ج ١٧/ ص ٢١٠).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (ج ١٧ / ص ٢).

(٥) أخرجه مسلم (٨/ ٦٥ ، رقم ٢٦٨٤) .

كما أنه يتبين من خلال ما سبق أن من مفهوم حسن الظن بالله ﷻ ظن ما يليق بالله ﷻ من ظن الإجابة والقبول والمغفرة والمجازاة، وإنفاذ الوعد، وكل ما تقتضيه أسماؤه وصفاته ﷻ.

ولذا فقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله في ظن السوء، والظن بالله غير الحق ظن الجاهلية المنافي لحسن الظن بالله، قال: «وإنما كان هذا ظن سوء، وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل، وظن غير الحق؛ لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، بخلاف ما يليق بحكمته، وحمده، وتفرده بالربوبية والإلهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه» [1].

ارتباط حسن الظن بالله ﷻ بنواح عقدية وسلوكية:

فحسن الظن بالله ﷻ يرتبط ارتباطاً كبيراً بنواح عقدية وسلوكية متعددة، فهو يرتبط بالتوكل على الله، والثقة به؛ حيث إنك لا تتوكل إلا على من تحسن الظن به؛ ولذا فقد جعله الإمام ابن القيم رحمه الله أحد درجات التوكل، فقال : «الدرجة الخامسة: حسن الظن بالله ﷻ، فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه، ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله. والتحقيق: أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه؛ إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه، والله أعلم» [2].

---

(١) زاد المعاد (ج ٣/ ص ٢٢٩).

(٢) مدارج السالكين (ج ٢ / ص ١٢١).

كما أنه من كمال تحقيق العبودية، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن حسن الظن بالله تعالى من حُسن العبادة**»(١).

وكذا الاستعانة بالله والاعتصام به، واللجوء إليه ﷻ، كلها تستلزم أن يحسن العبد الظن بربه ﷻ، وكذلك فإن حُسْنَ الظن بالله يجب أن يقترن بالخوف منه ﷻ، حتى لا يفضي إلى الغرور وترك العمل، وقد قال أبو سليمان الداراني ﷺ: «من حَسُنَ ظنه بالله ﷻ ثم لا يخاف الله فهو مخدوع»(٢).

يشهد الواقع بأهمية حسن الظن بالله ﷻ:

فواقع الناس يشهد على أهمية حسن الظن بالله ﷻ؛ فمن الناس من اتكل على حسن ظنه بربه واعتمد عليه مع إقامته على المعاصي، متناسياً ما توعد الله به من وقع في مساخطه وما يغضبه، وغافلاً عن الخوف من الله ﷻ حتى وقع في الغرور.

وعلى النقيض من هذا من ساء ظنه بربه ﷻ، فاعتقد بالله خلاف مقتضى أسمائه وصفاته، واقعاً بما وصف الله به الكفار والمنافقين من أنهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية.

أثر حسن الظن بالله على المؤمن:

وذلك بأثره في حياته وبعد مماته؛ فإن المؤمن حين يحسن الظن بربه لا

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩، رقم ٨٦٩٤)، والترمذي (٥/ ٥٥٩، رقم ٣٦٠٤ - ط دار الغرب العربي تحقيق د بشار عواد) وقال: غريب من هذا الوجه. والحاكم (٤/ ٢٦٩، رقم ٧٦٠٤) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) حسن الظن بالله (ج ١/ ص ٤٠)، وصفة الصفوة (ج ٤/ ص ٢٢٦).

يزال قلبه مطمئناً ونفسه آمنة، تغمرها السعادة والرضى بقضاء الله وقدره، وخضوعه لربه ﷻ، فالقلب المؤمن حَسَنُ الظن بربه، يَتوقّع منه الخير دائماً، يتوقع منه الخير في السراء والضراء، ويؤمن بأن الله يريد به الخير في الحالين؛ وسر ذلك أن قلبه موصول بالله، وفيض الخير من الله لا ينقطع أبداً؛ فمتى اتصل القلب به لمس هذه الحقيقة الأصيلة وأحسها إحساس مباشرة وتذوّق.

بل إن من أحسنَ الظنَّ بربه وتوكل عليه حق توكله جعل الله له في كل أمره يسراً ومن كل كرب فرجاً ومخرجاً، والعاقل من استعمل في كل بلية تطرقه حسن الظن بالله ﷻ في كشفها؛ فإن ذلك أقرب إلى الفرج.

كما أن مَنْ أحسن الظن بربه ﷻ فأيقن صدق وعده وتمام أمره وما أخبر به من نصرة الدين والتمكين في الأرض للمؤمنين، أجهد نفسه في العمل لهذا الدين العظيم ، والدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيله بماله ونفسه غير هياب ولا وجل، بل يُقدِم إقدام الواثق بنصر الله وموعوده وهو يلمح نور الفجر الصادق وقد أطل على هذه الأمة ، فلا يعلق آماله إلا بالله سبحانه وتعالى ، ولا يتوكل إلا عليه.

ومن أثر حسن الظن بالله ﷻ على المؤمن أيضاً أنه عندما يسمع ما يخبر به الله تعالى عن نفسه من أنه عفو غفور وتواب رحيم، ويسمع قول نبيه ﷺ: «**إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»[١].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٩٥ ، رقم ١٩٥٤٧) ، ومسلم (٤/ ٢١١٣ ، رقم ٢٧٥٩).

فإنه يطمع بعفوه فيطرق بابه منطرحاً بين يديه راجياً مغفرته ، وأن يتوب عليه من معاصيه.

التدبر والتفكر في أسماء الله وصفاته:

وما تقتضيه من معاني العبودية والإخلاص.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : (والأسماء الحسنى ، والصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين ؛ فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها ، أعني من موجبات العلم بها ، والتحقق بمعرفتها وهذا مطّرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح)(١).

التحذير من سوء الظن بالله تعالى:

كما أن حسن الظن بالله تعالى يجب أن يكون سمة للمؤمن في حياته يطمئن بها قلبه، فإن عليه أيضاً أن يحذر كل الحذر من سوء الظن بالله ﷻ، أو ظن ما لا يليق به ﷻ، والذي جعله الله سبحانه صفة للكفار والمنافقين، فقال ﷻ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾(٢).

قال الألوسي رحمه الله: «أي: ظن الأمر الفاسد المذموم، وهو أن الله ﷻ لا ينصر رسوله ﷺ، وقيل: المراد به ما يعم ذلك وسائر ظنونهم الفاسدة من

---

(١) مفتاح دار السعادة ، ٤٢٤ وما بعدها .

(٢) سورة الفتح: الآية ٦.

الشرك وغيره»(١).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله حول هذه الآية: «وذلك أنه لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد حتى يعتقد جميع ما أخبر به أن يفعله، وما وعد به من نصر الدين، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل؛ فاعتقاد هذا من الإيمان، وطمأنينة القلب بذلك من الإيمان، وكل ظن ينافي ذلك فإنه من ظنون الجاهلية المنافية للتوحيد؛ لأنها سوء ظن بالله، ونفي لكماله، وتكذيب لخبره، وشك في وعده، والله أعلم»(٢).

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(٣). قال: «يدل على أن من ظن بالله ما لا يليق به جل وعلا فله النار»(٤).

وقد بين تعالى في موضع آخر أن من ظن بالله ما لا يليق به أرداه وجعله من الخاسرين، وجعل النار مثواه، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٥).

---

(١) تفسير البيضاوي (ج ١/ ص ٣٧٦)، وروح المعاني (ج ٢٦ / ص ٩٥).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ج ١/ ص ١٧٩).

(٣) سورة ص: الآية ٢٧.

(٤) الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب (ج ٧/ ص ٦)، و أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج ٦/ ص ٣٤٢).

(٥) فصلت: ٢٢ – ٢٣.

وبعد هذا فكيف يستسيغ المؤمن أن يظن بربه ظن السوء، وظن ما لا يليق بجلاله ﷻ، وهو يعلم أن هذا من صفة الكفار والمنافقين؟ وهذا الإمام ابن القيم رحمه الله يجعل سوء الظن بالله من أسباب ارتكاب المحرمات، فيقول: «ما أخذ العبد ما حرم عليه إلا من جهتين: إحداهما: سوء ظنه بربه، وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيراً منه حلالاً» (١).

ثانيا: حرمة سوء الظن بالمسلمين:

والمراد بالظن المنهي عنه هنا: الظن السيئ بأهل الخير والصلاح بدون دليل، أو برهان، قال الألوسي: «ويشترط في حرمة هذا أن يكون المظنون به ممن شوهد منه التستر والصلاح وأونست منه الأمانة ، وأما من يتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث كالدخول والخروج إلى حانات الخمر وصحبة الغواني الفاجرات وإدمان النظر إلى المرد فلا يحرم ظن السوء فيه وإن كان الظان لم يره يشرب الخمر ولا يزني ولا يعبث بالشباب» (٢).

قال سفيان الثوري: «الظن ظنان: أحدهما إثم، وهو أن تظن وتتكلم به، والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم» (٣).

وقد نهى الكتاب والسنة النبوية عن سوء الظن، ومن ذلك:

---

(١) الفوائد (ج ١/ ص ٤٧).

(٢) تفسير الألوسي (ج ١٩/ ص ٢٨١).

(٣) تفسير البغوي (ج ٧/ ص ٣٤٥).

نهي القرآن الكريم عن سوء الظن:

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [(١)].

وقوله ﷻ: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ﴾ من الاجتناب، يقال: اجتنب فلانٌ فلانًا إذا ابتعد عنه، حتى لكأنه في جانب والآخر في جانب مقابل. ومعنى الآية: يا من آمنتم بالله – تعالى – إيمانا حقا ، ابتعدوا ابتعادا تاما عن الظنون السيئة بأهل الخير من المؤمنين ، لأن هذه الظنون السيئة التي لا تستند إلى دليل أو أمارة صحيحة إنما هى مجرد ظنون ، تؤدي إلى تولد الشكوك والمفاسد . . فيما بينكم [(٢)].

وجاء ﷻ بلفظ «كثيرا» منكرا لكي يحتاط المسلم في ظنونه، فيبتعد عما هو محرم منها، ولا يقدم إلا على ما هو واجب أو مباح منها.

قال ابن كثير ﵀: «ينهى الله عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله، لأن بعض ذلك يكون إثما محضا، فليجتنب كثيرا منه احتياطا . . » [(٣)].

نهي السنة النبوية عن سوء الظن:

فسوء الظن بالمسلم المستور الحال، الظاهر العدالة محرم، ومنهي عنه، كما في الحديث الشريف، قال ﷺ : «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث** »[(٤)].

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٢) تفسير الوسيط – سيد طنطاوي – (ج ١ / ص ٣٩٤١)

(٣) تفسير ابن كثير (ج ٤ / ص ٢١٣).

(٤) أخرجه مالك (٢/ ٩٠٧ ، رقم ١٦١٦) ، وأحمد (٢/ ٢٨٧ ، رقم ٧٨٤٥) ، والبخاري (٥/ ١٩٧٦ ، رقم ٤٨٤٩) ، ومسلم (٤/ ١٩٨٥ ، رقم ٢٥٦٣).

وفي حديث آخر، قال ﷺ: «**إن الله حرم من المسلم ماله ودمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء**»[(١)].

و عن سعيد بن المسيب رحمه الله قال: كتب إليَّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أن ضع أمر أخيك على أحسنه، ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملًا، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومنَّ إلا نفسه[(٢)].

فتح الباب للطعن والتجريح:

إنه لمن أكبر الأسى والأسف أن نرى بعض الذين مطيتهم سوء الظن بالخاصة قبل العامة، وإن رأوا من يداري أو رأوا شيئًا لا يمشي مع هواهم أذاعوا به، والبعض يقيس ويزن الأمور بفهمه، فيكفي عنده في جرح أخيه أن يخالفه فيما قرأ أو سمع، أو أنه لا يرضى عقله وهواه، ولو نظر مسيء الظن أن من أساء فيه الظن خالفه في أمر تختلف فيه الأفهام والأنظار لما أدخل على نفسه هذا البلاء.

تتبع عورات المسلمين:

فالظن السيئ يدفع صاحبه لتتبع العورات، والبحث عن الزلات،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٩٧، رقم ٣٩٣٢).

(٢) اعتلال القلوب (ج ٢/ ص ٢٩٢)، والكامل في ضعفاء الرجال (ج ٧/ ص ١٥٢)، والتوبيخ والتنبيه (ج ١/ ص ٧٦)، وآداب الصحبة (ج ١ / ص ٥٨)، ونثر الدر في المحاضرات (ج ٢/ ص ٢٩)، ومجمع الأمثال (ج ٢ / ص ٤٥٩)، والمتحابين في الله (ج ١/ ص ٩٩).

والتنقيب عن السقطات، وهو بذلك يعرض نفسه لغضب الله وعقابه، وقد وعد النبي ﷺ هؤلاء المرضى بالفضيحة بقوله: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**» (١).

القطيعة بين المسلمين:

سوء الظن يزرع الشقاق بين المسلمين، ويقطع حبال الأخوة، ويمزق وشائج الألفة والمحبة، ويزرع البغضاء والشقاق، والله يحذرنا من ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (٢).

وقال ﷺ: «**إذا ظننت فلا تحقق**» (٣).

من مظاهر سوء الظن:

اتهام المؤمن في عقيدته:

مظاهر سوء الظن أن من يتكلم عن الرقاق والأدب وعن كرامات الصالحين يُرمى بتهمة الخرافة والتصوف، ونسي هؤلاء أن الرقاق وحكايات

---

(١) حديث البراء: أخرجه أبو يعلى (٣/ ٢٣٧، رقم ١٦٧٥) قال الهيثمي (٨/ ٩٣): رجاله ثقات. وأخرجه أيضًا: ابن أبي الدنيا في الصمت (ص ١٢٠، رقم ١٦٧). وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٠٨، رقم٩٦٦٠).

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٣) أخرجه الطبراني (٣/ ٢٢٨، رقم ٣٢٢٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ١٧، رقم ١٩٦٢).

الصالحين ترقق القلوب، ولقد ألف عبد الله بن المبارك رحمه الله كتاب الزهد، وكذلك الإمام أحمد، وكان السلف يحرصون على ما يرقق قلوبهم ويقولون: «حديث يرق له قلبي أحب إلي من مائة قضية من قضايا شريح»[(١)].

تجريح الناس أحياء وأمواتًا:

ورميهم بشتى أنواع الضلال، قال ﷺ: «**إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم**»[(٢)]. قال الخطابي رحمه الله: «لا يزال الرجل يعيب الناس، ويذكر مساويهم، ويقول: فسد الناس، وهلكوا، ونحو ذلك، فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم»[(٣)].

من أسباب سوء الظن:

تزكية المرء نفسه:

واحتقاره غيره، فيرى نفسه على الصواب، وجميع الأمة على الباطل، وبعض الناس يغتر بشخصه ويُعجب بنفسه فيرى نفسه دائمًا على حق والآخرين على باطل، يزكي نفسه، ويحتقر الآخرين، فيورثه ذلك سوء ظن مقيت.

---

(١) تلبيس إبليس (ج ١ / ص ١٤٦).

(٢) أخرجه مالك (٢/ ٩٨٤ رقم ١٧٧٨) وأحمد (٢/ ٤٦٥ رقم ١٠٠٠٦) والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٦٧ رقم ٧٥٩) ، ومسلم (٤/ ٢٠٢٤ ، رقم ٢٦٢٣) ، وأبو داود (٤/ ٢٩٦ رقم ٤٩٨٣) . وابن حبان (١٣/ ٧٤ ، رقم ٥٧٦٢) .

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار (ج ١/ ص ٢٨٤)، وشرح النووي على صحيح مسلم (ج ١٦/ ص ١٧٥)، والآداب الشرعية (ج ٣/ ص ٤٢٢).

خبث النفس:

وذلك بضعف العقل أو الإيمان، أو تسلط الشيطان على الإنسان، فإن أصحاب العقول الكبيرة والتدين الصحيح يؤلفون القلوب، ويجمعون أبناء الأمة على الألفة والمحبة والأخوة وترك سوء الظن بالآخرين. قال المقدسي: «إنما يترشح سوء الظن بخبث الظان، لأن المؤمن يطلب المعاذير للمؤمن، والمنافق يبحث عن عيوبه . وينبغي للإنسان أن يحترز عن مواقف التهم، لئلا يساء به الظن، فهذا طرف من ذكر مداخل الشيطان» (١).

التشدد والغلو:

إن اجتماع كلمة المسلمين وترك الفرقة جعلت النبي ﷺ يترك بعض المستحبات كي لا تضيع في فعلها واجبات، من ذلك أنه لم يعطِ الفقراء وأعطى الأغنياء تأليفًا لقلوبهم. لأنه نظر أن ذلك أنفع للدين، ومنها أنه ترك تغيير بناء البيت إبقاء لتأليف القلوب. وكان ابن مسعود رضي الله عنه ينكر على عثمان إتمام الصلاة في السفر، ثم صلى خلفه متمًّا، وقال: «الخلاف شر»(٢).

ومن هذا الباب تبني وجهة نظر واحدة، كما قال ابن حزم عن المتعصبين للعلماء أن: «من نشأ بينهم قد شغله حسن الظن بمن قلد أو استحسانه لما قلد

---

(١) مختصر منهاج القاصدين للمقدسي - (ج ٣ / ص ٥).

(٢) كتاب الآثار (ج١/ ص٣٠)، والأم (ج ٧ / ص ١٨٨)، ومصنف عبد الرزاق (ج٢/ ص ٥١٦)، وسنن أبي داود (ج٢/ ص ١٩٩)، وتاريخ الطبري (ج٢/ ص٦٠٦)، ومسند أبي عوانة (ج ٢/ ص ٣٨٢)، وسنن البيهقي الكبرى (ج ٣/ ص ١٤٣).

فيه، وغمر الهوى عقله، عن التفكير فيما فهم من البرهان، قد حال ما ذكرنا بينه وبين الرجوع إلى الحق، وصرف الهوى ناظر قلبه عن التفكر فيما يتبين له من البرهان، ونفر عنه، وأوحشه منه، فهو إذا سمع برهانًا ظاهرًا لا مدفع فيه عنده، ظنه من الشيطان، وغالب نفسه حتى يعرض عنه»[١].

اتباع الهوى:

من اتبع هواه وقع في الظنون الكاذبة؛ لأن حب الشيء يعمي ويصم، فإذا مال الإنسان بهواه إلى آخر فإن هذا الميل ينسيه أخطاءه، ويحمله على تحسين الظن به، وإن كان مخطئًا في الواقع، وإذا أبغض إنسانًا آخر فإنه لا يميل إليه بهواه، فيحمله هذا على سوء الظن، وما يتبعه من التماس العثرات وتصيّد الأخطاء، وإن كان مصيبًا في الواقع.

علاج سوء الظن:

من سماحة الإسلام، وشموليته - ولله الحمد - أن أتاح لنا علاج الأمراض النفسية والاجتماعية، ومنها سوء الظن، فمما أوصى به الإسلام للقضاء على سوء الظن ما يلي:

أولا: التأمل في حقيقة البشر:

فيجب مراعاة طبيعة البشر من حيث الذهول والضعف والنسيان، فإذا تأمل المرء في حقيقة البشر وجد نفسه مرغماً على التماس العذر لهم، وعدم

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل - (ج ٥ / ص ٧٢).

مؤاخذتهم بما يصدر منهم من أمور يمكن حملها على الوجه الحسن، ولو باحتمال ضعيف، قال عمر رضي الله عنه: «لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً»(١).

ثانيا: مراعاة حق الأخوة:

فإن أخوة الإيمان تحمل لزوماً على حسن الظن بالمؤمن، فالمؤمن في أصل الأمر لا يريد شراً، والتعامل معه وحمل ما يصدر عنه على هذا الأصل يوجب حسن الظن والبعد عن سوء الظن، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول: «**ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ما له ودمه، وأن يظن به إلا خيراً**» (٢).

ثالثا: البعد عن الشبهات:

فكما أنه يجب على المسلم إحسان الظن بإخوانه، كذلك ينبغي له البعد عن الشبهات حتى لا يساء به الظن، فلا يوقع نفسه في شبهة عمداً بدعوى أنه لا يبالي بالناس، فمن لا يستحي من الناس لا يستحي من الله، فينبغي أن يتحرز من الوقوع في الشبهات، فإن وقوعه فيها يفتح للشيطان طريقاً عليه

---

(١) رواه أحمد في الزهد كما في الدر المنثور (٧/ ٥٦٥).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٣٩٣٢) وقال البوصيري في الزوائد (٣/ ٢٢٣): هذا إسناد فيه مقال، نصر بن محمد ضعفه أبو حاتم، وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات.

بتشويه سمعته وصورته، وعلى إخوانه ببث وساوسه فيهم، وإيقاعهم في الإثم بسوء الظن، فإن وقع في شبهة لأي سبب فعليه أن يبادر للتوضيح وتجلية حقيقة الأمر لكل من رأى تلبسه بالشبهة، كي يدفع عن عرضه، ويرحم إخوانه من إساءة الظن.

جاءت صفية رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ في المسجد وهو معتكف، ثم قام يقلبها -أي يردها- إلى بيتها فمر بهما رجلان فأسرعا، فقال رسول الله ﷺ: «**على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي**»، فقالا: سبحان الله! يا رسول الله! وكبر عليهما، فقال النبي ﷺ: «**إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً**»[١].

رابعا: عدم التحقق من الظن:

وعن حارثة بن النعمان رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة والحسد وسوء الظن**»، فقال رجل: ما الذي يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه؟ قال ﷺ: «**إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض**»[٢].



---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٣٧ ، رقم ٢٦٩٠٥) ، والبخاري (٣/ ١١٩٥ ، رقم ٣١٠٧) ، ومسلم (٤/ ١٧١٢ ، رقم ٢١٧٥) ، وأبو داود (٢/ ٣٣٣ ، رقم ٢٤٧٠) ، وابن ماجه (١/ ٥٦٦ ، رقم ١٧٧٩) .

(٢) سبق تخريجه.

أدب حفظ السر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فمن الأخلاق الحميدة والصفات الفاضلة كتم السر وعدم إفشائه، ولا يقدر على ذلك إلا ذوو الشهامة والمروءة، ولهذا قيل: «أدنى صفات الشريف كتم السر، وأعلاها نسيان ما أسرَّ به إليه». وقيل: «صدور الأحرار قبور الأسرار» (١).

وقد حثت السنة النبوية على رعاية جانب السر، فعن جابر ﷺ مرفوعا: «**إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ** »(٢).

معنى السر ومفهومه:

مِنْ مَعَانِي السِّرِّ لُغَةً: مَا يُكْتَمُ فِي النَّفْسِ ، وَالْجَمْعُ أَسْرَارٌ وَسَرَائِرُ . وَأَسَرَّ

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٥).

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٢٤٢، رقم ١٧٦١)، وأحمد (٣/ ٣٧٩ ، رقم ١٥١٠٤)، وأبو داود (٤/ ٢٦٧، رقم ٤٨٦٨)، وأخرجه الترمذي (٤/ ٣٤١ ، رقم ١٩٥٩) وقال: حسن. وأبو يعلى (٤/ ١٤٨، رقم ٢٢١٢)، والبيهقي (١٠/ ٢٤٧، رقم ٢٠٩٥٠). والطبراني في الأوسط (٣/ ٥٦، رقم ٢٤٥٨)، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٩٠).

الشَّيْءَ : كَتَمَهُ وَأَظْهَرَهُ فَهُوَ مِنَ الأَضْدَادِ [(١)].

قَال الرَّاغِبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الإِسْرَارُ خِلاَفُ الإِعْلاَنِ ، وَيُسْتَعْمَل فِي الأَعْيَانِ وَالمُعَانِي [(٢)].

وَلاَ يَخْرُجُ اسْتِعْمَال الْفُقَهَاءِ لِهَذَا اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ [(٣)].

قال زهير [(٤)]:

فلا تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي صُدُورِكُمْ ... لِيَخْفَى ومَهْمَا يُكْتَم اللهُ يَعْلَم

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كتاب فيُدَّخَرْ ... ليَوْم الحِساب أَوْ يُعَجَّلْ فيُنقَم

فالإسرار خلاف الإعلان [(٥)]، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ [(٦)].

والمقصود بكتمان السر؛ قال أبو القاسم بن محمد: «الكتمان ستر الحديث» [(٧)]، هو أن الكلام إذا كان سراً فإنه لا يفشى، وأما إذا كان غير سر وأنه مما يسمح في إفشائه أو أن المطلوب هو إفشاؤه فإن هذا لا يدخل في

---

(١) متن اللغة ، الصحاح ولسان العرب والكليات ٣ / ٣٨ .

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني .

(٣) القليوبي وعميرة ٣ / ٣٠٥ ، ومطالب أولي النهى ٦ / ٤٤٢ ، والحطاب ٢ / ٢٦ .

(٤) شرح ديوان زهير (ص١٨).

(٥) المفردات للراغب، ص ٢٢٨.

(٦) سورة البقرة: الآية ٧٧.

(٧) المفردات في غريب القرآن ج ١ ص ٤٢٥.

المحذور، وإنما الذي يمنع من إفشائه ونقله هو الذي يكون صاحبه يريد كتمانه وعدم إفشائه.

قال الجاحظ: «كتمان السر خلق مركب من الوقار وأداء الأمانة، فإن إخراج السر من فضول الكلام وليس بوقور من تكلم بالفضول. وأيضا فكما أنه من استودع مالا فأخرجه إلى غير مودعه فقد خفر الأمانة، كذلك من استودع سرا فأخرجه إلى غير صاحبه فقد خفر الأمانة، وكتمان السر محمود من جميع الناس، وخاصة ممن يصحب السلطان، فإن إخراجه أسراره مع أنه قبيح في نفسه يؤدي إلى ضرر عظيم يدخل عليه من سلطانه»[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال ابن بطال الذي عليه أهل العلم أن السر لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة وأكثرهم يقول إنه إذا مات لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته إلا أن يكون عليه فيه غضاضة قلت الذي يظهر انقسام ذلك بعد الموت إلى ما يباح وقد يستحب ذكره ولو كرهه صاحب السر كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة أو نحو ذلك وإلى ما يكره مطلقا وقد يحرم وهو الذي أشار إليه ابن بطال وقد يجب كأن يكون فيه ما يجب ذكره كحق عليه كان يعذر بترك القيام به فيرجى بعده إذا ذكر لمن يقوم به عنه أن يفعل ذلك»[٢].

---

(١) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٥).

(٢) فتح الباري – ابن حجر – (ج ١١ / ص ٨٢).

ما ورد في فضل كتم السر وعدم إفشائه:

أولا: من كتاب الله تعالى:

إن كتمان السر من الأمور الداخلة تحت باب رعاية الأمانة، الداخلة تحت عموم كثير من الآيات كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

كما تدخل في مسألة الوفاء بالعهود، وقد قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[5].

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٢.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٧.

(٤) سورة النحل: الآية ٩١.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

ثانيا: من السنة النبوية:

روي عن الرسول ﷺ أنه قال: «**إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ، فلا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره**»(١).

وعنه ﷺ: « **المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس سفك دم حرام أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق** »(٢).

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «القلوب أوعية، والشفاه أقفالها، والألسنة مفاتيحها، فليحفظ كل إنسان مفتاح سره»(٣).

وقال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضي الله عنهما: «يا بُنيّ إن أمير المؤمنين يدنيك ـ يعني عمر ـ، فاحفظ عني ثلاثاً: لا تفشينّ له سراً، ولا تغتابنّ عنده أحداً، ولا يطلعنّ منك على كذبة»(٤).

---

(١) أخرجه ابن المبارك (١/ ٢٤٠ ، رقم ٦٩١) . والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٥٢٠ ، رقم ١١١٩١) وقال : هذا مرسل جيد .

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٦٨ ، رقم ٤٨٦٩) ، والبيهقي (١٠/ ٢٤٧ ، رقم ٢٠٩٥١) .

(٣) البصائر والذخائر (ج ١ / ص ١٧٠)، ونثر الدر في المحاضرات (ج ٢/ ص ٩٣)، وسراج الملوك (ج ١/ ص ٨٣)، وربيع الأبرار (ج ١/ ص ٤٨٠)، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ (ج ١/ ص ٧١)، ونهاية الأرب في فنون الأدب (ج ٦/ ص ٧٨).

(٤) فضائل الصحابة لابن حنبل (ج ٢/ ص ٩٥٧)، وعيون الأخبار (ج ١/ ص ٨)، وقوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (ج ١/ ص ١٣٩)، والمنتقى من مكارم الأخلاق ومعاليها (ج ١/ ص ١٤٨)، والعقد الفريد (ج ١/ ص ٢٥)، وسراج الملوك (ج ١/ ص ٩٧).

قال الشاعر [١]:

وما السر في صدري كثاو بقبره ... لأني أرى المقبور ينتظر النشرا
ولكنني أنساه حتى كأنني ... بما كان منه لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بيني وبينه ... عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

السر نوعان:

قال الراغب[٢]: السر ضربان:

أحدهما: ما يلقي الإنسان من حديث يستكتم وذلك إما لفظا كقولك لغيرك اكتم ما أقول لك.

وإما حالا: وهو أن يتحرى القائل حال انفراده فيما يورده أو خفض صوته أو يخفيه عن مجالسه.

والنوع الأول هو المشار إليه في قول النبي ﷺ السابق.

أما الثاني، فمن أدلته قوله ﷺ: « **اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن أَلَمَّ بشيء منها فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ الله ولْيَتُبْ إلى الله فإنه من يُبْدِ لنا صفحتَه نُقِمْ عليه كتابَ الله**»[٣]. والقاذورات: مفردها : قاذورة : وهي كل قول أو فعل

---

(١) قوت القلوب (ج ٢ / ص ٣٧٧)، وإحياء علوم الدين (ج ٢/ ص ١٧٩)، وذيل تاريخ بغداد (ج ١٨/ ص ١).

(٢) فيض القدير - (ج ١ / ص ٤٢٣).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٤٢٥ ، رقم ٨١٥٨) . والبيهقي (٨/ ٣٣٠ ، رقم ١٧٣٧٩) . قال المناوي (١/ ١٥٥) : قال الحاكم : على شرطهما ، وتعقبه الذهبي فقال : غريب جدًّا ، لكنه في المهذب قال : إسناده جيد ، وصححه ابن السكن وذكره الدارقطني في العلل وصحح إرساله .

يستفحش أو يستقبح ، والمراد بها هنا فاحشة الزنا.

«أي: من يظهر لنا فعله الذي حقه الستر والإخفاء، والمراد من يظهر لنا ما ستره أفضل مما يوجب حدّ الله والصفحة الجنب، والمصافح من يزني بكل امرأة حرّة أو أمة، «نقم عليه» معشر الحكام، «كتاب الله» أي: الحدّ الذي شرعه الله في كتابه والسنة من الكتاب»(١).

الأصل في حكم إفشاء السر:

إنّ ما أمر الشرع بكتمانه فحكمه ظاهر باعتبار فهم دلالة الخطاب الشرعي، ومن ذلك: ما يجري بين الرجل وامرأته حال المعاشرة من أمور الاستمتاع.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهَّ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي** (٢) **إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**»(٣).

قال النووي رحمه الله: في هذا الحديث تحريمُ إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمر الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل.

أما مجرد ذكر الجماع فهو مكروهٌ؛ لأنه خلاف المروءة، إلا إن كان لحاجة

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوي - (ج ١ / ص ٦٩).

(٢) **الإفضاء** : الجماع.

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٦٠ ، رقم ١٤٣٧) .

كأن تذكر عجزه عن الجماع، أو إعراضَه ، أو لبيان حكم شرعي فهنا يباح(١) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل؟ وعائشة رضي الله عنها جالسة، فقال رسول الله ﷺ: « **إِنِّي لأَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَا وَهَذِهِ ، ثُمَّ نَغْتَسِلُ** »(٢) .

أما كتمان الإنسان عملاً يريد القيام به فهذا من الحزم مع النفس، لكن لا يرتبط به حكم تكليفي، فللإنسان أن يتحدث عن مشاريع مستقبلية يعتزم القيام بها، وليس عليه في ذلك حرج.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استعينوا على إنجاحِ الحوائجِ بالكتمانِ**»(٣) . أي: اكتفاء بإعانة الله وصيانة للقلب عما سواه وحذرا من حاسد يطلع عليها قبل التمام فيعطلها فاكتموا واستعينوا بالله على الظفر بها»(٤) .

---

(١) شرح مسلم ، ص ٨٩٩ باختصار، وانظر المغني لابن قدامة (١٠/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (١ / ١٨٧، رقم ٨١٣) ، والإكسال: الجماع بدون إنزال. قال النووي: وإنما قال ﷺ بهذه العبارة ليكون أوقع في نفسه. شرح صحيح مسلم، ص ٣٢٠.

(٣) أخرجه العقيلي (٢/ ١٠٨ ، ترجمة ٥٨٠) ، والطبراني (٢٠/ ٩٤ ، رقم ١٨٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢١٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٧٧ ، رقم ٦٦٥٥) . وأخرجه أيضًا : الطبراني في الأوسط (٣/ ٥٥ ، رقم ٢٤٥٥) ، وفى الصغير (٢/ ٢٩٢ ، رقم ١١٨٦) ، والديلمي (١/ ٨٥ ، رقم ٢٦٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٩٤٣).

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوي - (ج ١ / ص ٢٩٥).

أما ما يطلب الإنسان كتمانه مما يبلّغ به غيره، فإنه إذا كان إفشاء السر يتضمن ضرراً فإفشاء السر حرام، باتفاق الفقهاء [(١)]، والضرر عامٌّ في كل ما يؤذي الإنسان.

وأما إذا لم يتضمن ضرراً فالمختار عدم جواز إفشائه متى ما طلب منه الكتمان، أو دلَّ الحال على ذلك، أوكان مما يُكتم في العادة[(٢)].

وكل هذا حال الحياة، أما بعد موت صاحب السر فذهب بعض أهل العلم إلى جواز إفشائه إذا لم يتضمن غضاضة على الميت[(٣)].

والظاهر أن إفشاء السر لا يجوز سواء حال الموت أو الحياة، وسواء تضمن ضرراً أو لا. لأن هذا من قبيل حفظ العهد وهو كالوديعة التي يجب حفظها. قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[(٤)].

أنواع السر من حيث حكم الكتمان:

يَتَنَوَّعُ السِّرُّ إِلَى ثَلاثَةِ أَنْوَاعٍ :

---

(١) نقل الاتفاق ابن بطال، انظر: فتح الباري (١١/ ٨٥)، الإنصاف للمرداوي (٢١/ ٤٢٠)، غذاء الألباب (١/ ١١٥)، إحياء علوم الدين (٣/ ١٣٢).

(٢) وهو مذهب الإمام أحمد وغيره انظر الإنصاف (٢١/ ٤٢٠)، الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٥٧).

(٣) انظر فتح الباري (١١/ ٨٥).

(٤) سورة الأنفال: الآية ٢٧.

أ – مَا أَمَرَ الشَّرْعُ بِكِتْمَانِهِ .
ب – مَا طَلَبَ صَاحِبُهُ كِتْمَانَهُ .
ج – مَا مِنْ شَأْنِهِ الْكِتْمَانُ وَاطُّلِعَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ الْخُلْطَةِ أَوِ الْمِهْنَةِ .

النَّوْعُ الأَوَّل : مَا أَمَرَ الشَّرْعُ بِكِتْمَانِهِ :

مِنَ الأُمُورِ مَا يَحْظُرُ الشَّرْعُ إِفْشَاءَهُ لِمَصْلَحَةٍ دِينِيَّةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّةٍ حَسَبَ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى إِفْشَائِهِ مِنْ ضَرَرٍ . فَمِمَّا لاَ يَجُوزُ إِفْشَاؤُهُ :

مَا يَجْرِي بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ حَال الْوِقَاعِ ، فَإِنَّ إِفْشَاءَ مَا يَقَعُ بَيْنَ الرَّجُل وَزَوْجَتِهِ حَال الْجِمَاعِ أَوْ مَا يَتَّصِل بِذَلِكَ حَرَامٌ مَنْهِيٌّ عَنْهُ ، كما سيأتي، فَقَدْ قَال النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآْخِرِ فَلْيَقُل خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١) .

وَإِفْشَاءُ السِّرِّ مَنْهِيٌّ عَنْهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الإِيذَاءِ وَالتَّهَاوُنِ بِحَقِّ أَصْحَابِ السِّرِّ مِنَ الْجِيرَانِ وَالأَصْدِقَاءِ وَنَحْوِهِمْ .

النَّوْعُ الثَّانِي : مَا طَلَبَ صَاحِبُهُ كِتْمَانَهُ :

مَا اسْتَكْتَمَكَ إِيَّاهُ الْغَيْرُ وَائْتَمَنَكَ عَلَيْهِ ، فَلاَ يَجُوزُ بَثُّهُ وَإِفْشَاؤُهُ لِلْغَيْرِ ، حَتَّى أَخَصَّ أَصْدِقَاءِ صَاحِبِ السِّرِّ ، فَلاَ يَكْشِفُ شَيْئًا مِنْهُ وَلَوْ بَعْدَ الْقَطِيعَةِ بَيْنَ مَنْ أَسَرَّ وَمَنْ أَسَرَّ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ لُؤْمِ الطَّبْعِ وَخُبْثِ الْبَاطِنِ(٢) .

وَهَذَا إِذَا الْتَزَمْتَ بِالْكِتْمَانِ ، أَمَّا إِذَا لَمْ تَلْتَزِمْ ، فَلاَ يَجِبُ الْكِتْمَانُ ، وَيَدُل لِذَلِكَ حَدِيثُ زَيْنَبَ امْرَأَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَنَصُّهُ : عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ :

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٠ ، رقم ٥٦٧٣) ، ومسلم (١/ ٦٩ ، رقم ٤٨).

(٢) الإحياء ٣ / ١٣٢ ، وسبل السلام ٤ / ١٩٢ – ١٩٣ .

كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَال : «**تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ**» ؛ وَكَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ عَلَى عَبْدِ اللهَّ وَأَيْتَامٍ فِي حِجْرِهَا . فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللهَّ : سَل رَسُول اللهَّ ﷺ: أَيُجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَيْتَامِي فِي حِجْرِي مِنَ الصَّدَقَةِ ؟ فَقَال : سَلِي أَنْتِ رَسُول اللهَّ ﷺ . فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَْنْصَارِ عَلَى الْبَابِ ، حَاجَتُهَا مِثْل حَاجَتِي ، فَمَرَّ عَلَيْنَا بِلاَلٌ فَقُلْنَا : سَل النَّبِيَّ ﷺ أَيُجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ لِي فِي حِجْرِي . وَقُلْنَا : لاَ تُخْبِرْ بِنَا . فَدَخَل فَسَأَلَهُ ، فَقَال : «**مَنْ هُمَا ؟**» قَال : زَيْنَبُ. قَال : «**أَيُّ الزَّيَانِبِ ؟**» قَال : امْرَأَةُ عَبْدِ اللهَّ . قَال : «**نَعَمْ ، وَلَهَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ**»[(١)] .

قَال الْقُرْطُبِيُّ – فِيمَا نَقَلَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي – : «لَيْسَ إِخْبَارُ بِلاَلٍ بِاسْمِ الْمَرْأَتَيْنِ بَعْدَ أَنِ اسْتَكْتَمَتَاهُ بِإِذَاعَةِ سِرٍّ وَلاَ كَشْفِ أَمَانَةٍ ، لِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمَا لَمْ تُلْزِمَاهُ بِذَلِكَ ، وَإِنَّمَا عَلِمَ أَنَّهُمَا رَأَتَا أَنْ لاَ ضَرُورَةَ تُحْوِجُ إِلَى كِتْمَانِهِمَا .

ثَانِيهِمَا: أَنَّهُ أَخْبَرَ بِذَلِكَ جَوَابًا لِسُؤَال النَّبِيِّ ﷺ لِكَوْنِ إِجَابَتِهِ أَوْجَبَ مِنَ التَّمَسُّكِ بِمَا أَمَرَتَاهُ بِهِ مِنَ الْكِتْمَانِ . وَهَذَا كُلُّهُ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ الْتَزَمَ لَهُمَا بِذَلِكَ. وَيُحْتَمَل أَنْ تَكُونَا سَأَلَتَاهُ (أَيْ وَلَمْ يَلْتَزِمْ لَهُمَا بِالْكِتْمَانِ) وَلاَ يَجِبُ إِسْعَافُ كُل سَائِلٍ»[(٢)] .

وَقَدْ تَتَضَمَّنُ الْغِيبَةُ إِفْشَاءً لِلسِّرِّ فِيمَا إِذَا كَانَ الأَْمْرُ الْمَكْرُوهُ الَّذِي يَذْكُرُ بِهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٥٠، رقم ١٤٦٦) ، ومسلم (٣/ ٨٠، رقم ١٠٠٠).

(٢) فتح الباري ٣ / ٣٢٨ – ٣٣٠ .

الْغَيْرَ فِي غِيَابِهِ مِنَ الأُمُورِ الْخَفِيَّةِ، أَوْ مِمَّا يَطْلُبُ صَاحِبُهُ كِتْمَانَهُ، وَقَدْ نَهَى الشَّرْعُ عَنِ الْغِيبَةِ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[(١)]؛ وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُول اللهِ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَال: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**». قَال: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُول. قَال: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُول فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[(٢)].

النَّوْعُ الثَّالِثُ: مِنْ شَأْنِهِ الْكِتْمَانُ وَاطُّلِعَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ الْخُلْطَةِ أَوِ الْمِهْنَةِ:

وَمِمَّا يَكُونُ أَحْيَانًا مِنَ الإِفْشَاءِ الْمُحَرَّمِ لِلسِّرِّ النَّمِيمَةُ: وَهِيَ لُغَةً تَبْلِيغُ الْخَبَرِ عَلَى وَجْهِ الإِفْسَادِ، وَهِيَ كَذَلِكَ فِي اصْطِلاَحِ الْعُلَمَاءِ، وَأَكْثَرُ إِطْلاَقِهَا عَلَى مَنْ يَنِمُّ قَوْل الْغَيْرِ إِلَى الْمَقُول فِيهِ، أَيْ يَنْقُلُهُ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ سِرًّا قَدِ اسْتَكْتَمَهُ إِيَّاهُ، كَأَنْ يَقُول فُلاَنٌ يَقُول فِيكَ: كَذَا وَكَذَا.

وَالنَّمِيمَةُ حَرَامٌ مَنْهِيٌّ عَنْهَا، لِقَوْل النَّبِيِّ ﷺ: «**لاَ يَدْخُل الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**»[(٣)]. أَيِ النَّمَّامُ، وَلِمَا فِيهَا مِنَ الإِفْسَادِ بَيْنَ النَّاسِ. وَقَدْ تَجِبُ النَّمِيمَةُ كَمَا إِذَا سَمِعَ إِنْسَانٌ شَخْصًا يَتَحَدَّثُ بِإِرَادَةِ إِيذَاءِ إِنْسَانٍ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، فَيَجِبُ عَلَى مَنْ سَمِعَ أَنْ يُحَذِّرَ الْمَقْصُودَ بِالإِيذَاءِ، فَإِنْ أَمْكَنَ تَحْذِيرُهُ بِغَيْرِ ذِكْرِ مَنْ سَمِعَ مِنْهُ فَيَقْتَصِرُ

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠١، رقم ٢٥٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٥٠، رقم ٥٧٠٩)، ومسلم (١/ ١٠١، رقم ١٠٥).

عَلَى التَّحْذِيرِ ، وَإِلاَّ ذَكَرَهُ بِاسْمِهِ [١].

استحباب كتمان المرء سر نفسه:

كتمان سر النفس:

إن أولئك المفشين للأسرار، الناشرين لما استودعوا من الأخبار فليس لهم مثَلٌ إلا المنخل أو الغربال، فالحذر كل الحذر أن تفشي سرَّك وتبوح بما يهمك، خاصة لمن لو عهد إليه بأمرٍ يخفيه أو سرٍّ يكتمه لضاق به صدره، وبالغ في إفشائه ونشره، ولهذا جاء في الأثر: «**استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان**»[٢].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «عجبت من الرجل يفرّ من القدر، وهو مواقعه! ويرى القذاة في عين أخيه، ويدع الجذع في عينه! ويخرج الضغن من نفس أخيه، ويدع الضغن في نفسه! وما وضعت سرّي عند أحد فلمتُه على إفشائه، وكيف ألومه وقد ضقت به ذرعاً؟»[٣].

ومن قصص كتمان سر النفس ما رواه سبحانه وتعالى عن يوسف عليه السلام، لما جاء إخوته وهم لا يدرون أنه الحاكم في مصر على خزائن الأرض، وأراد أن يبقي أخاه عنده، فلما جاءه إخوته بأخيهم فعمل حيلة، فجعل صاع الملك في رحل أخيه، ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا

---

(١) سبل السلام ٤ / ١٩٨ – ١٩٩ ، والإحياء ٣ / ١٥٦.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح الأدب المفرد – (ج ١ / ص ٣٣٨)، وقال: صحيح الإسناد.

ﭐلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴾[1].

ولما نفوا أن يكونوا سرقوا، وقالوا: فتشوا رحالنا، وقبل أن يفتشوا رحالهم قال: ما جزاؤه؟ ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، على شريعة يعقوب عليه السلام أن السارق يؤخذ عبداً عند المسروق منه كما قيل، فلما وجد الصواع في رحل بنيامين -إن صح اسمه- وهو أخو يوسف الأصغر.

قال إخوة يوسف عليه السلام: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡ﴾[3].

لقد كان هذا الاستفزاز غير المقصود ليوسف عليه السلام كافياً طبعاً لأن يعرف عن نفسه، ويقول: من تتهمون، أتعرفون من تتهمون وعمن تتكلمون؟ إنه أنا، وكان يمكن أن يقول لهم أشياء كثيرة جداً لكنه كتم هذا الأمر: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡ﴾[4]؛ لم يأت بعد الوقت المناسب لتوضيح القضية، ولم يأت الوقت المناسب للكشف عن الحقائق.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كتم سره كان الخيار بيده، ومن عرَّض

---

(١) سورة يوسف: الآية ٧٠ – ٧٢.

(٢) سورة يوسف: الآية ٧٥.

(٣) سورة يوسف: الآية ٧٧.

(٤) سورة يوسف: الآية ٧٧.

نفسه للتهمة فلا يلومنّ من أساء الظن به»[(١)].

وقال أكثم بن صيفي: «إن سرك من دمك، فانظر أين تُريقه»[(٢)].

وقال الشاعر [(٣)]:

إِذَا الْـمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ وَلاَمَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ فَهُوَ أَحْمَقُ
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

وقال آخر [(٤)]:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُك عَنْ حَدِيثٍ فَأَفْشَتْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ
إِذَا عَاتَبْت مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي وَسِرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا الظَّلُومُ
فَإِنِّي حِينَ أَسْأَمُ حَمْلَ سِرِّي وَقَدْ ضَمَّنْته صَدْرِي مَشُومُ
وَلَسْت مُحَدِّثًا سِرِّي خَلِيلا وَلا عُرْسِي إِذَا خَطَرَتْ هُمُومُ

---

(١) المحاسن والأضداد (ج ١/ ص ٢٠)، والزهد لأبي داود (ج ١/ ص ٨٧)، والصمت وآداب اللسان (ج ١/ ص ٣١١)، والمحاسن والمساوئ (ج ١/ ص ٢٧٧)، وروضة العقلاء (ج ١/ ص ٩٠)، وتاريخ مدينة دمشق (ج ٤٤/ ص ٣٥٩).

(٢) الحيوان (ج ٥/ ص ١٨٣)، والمحاسن والأضداد (ج ١/ ص ١٨)، وأدب الدنيا والدين (ج ١/ ص ٣٨٨).

(٣) روي منسوبًا للإمام الشافعي في ديوانه (ج ١ / ص ٧٦)، ونُسب لأحمد بن يوسف، في تاريخ مدينة دمشق (ج ٦/ص ١١٥)، وجاء غير منسوب في أدب الدنيا والدين (ج١/ ص ٣٨٨)، سراج الملوك (ج ١/ص ٨٤)، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ (ج١/ ص ٧١).

(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب - (ج ١ / ص ٩١)، و بهجة المجالس وأنس المجالس - (ج ١ / ص ١٠٠).

وَأَطْــوِي الــسِّرَّ دُونَ النَّــاس إِنِّي لِمَــا أُسْــتُوْدِعْت مِــنْ سِرٍّ كَتُــومُ

من فوائد كتمان السر [(١)] :

١- به يتمكن الإنسان من قضاء مصالحه ولا يواجه بما يعوقه عنها .

٢- كتمان السر لون من ألوان الأمانة ، والأمانة من علامات الإيمان .

٣- كتمان السر لون من الوقار والاحتشام ودليل على الرزانة والوقار .

٤- هو فضيلة إنسانية بها يرتقي المرء في درجات الكمال .

٥- يوثق صلة الإنسان بأخيه حين يحفظ أسراره .

٦- حيث يثق الإنسان بأن صاحبه يحفظ أسراره يمهد ذلك له استشارته فيما لا يحب أن يطلع عليه الناس .

٧- يؤدي حفظ السر إلى توثيق عرى المحبة بين الإنسان ومن يحفظ عليه سره .

قال أبو مسلم الخراساني:

قـد نلـت بـالحزم والكـتمان مـا عجـزت
عنــه ملــوك بنــي مــروان إذ حــشدوا
مــا زلــت أضربهــم بالــسيف فــانتبهوا
مــن رقــدة لم ينمهــا قــبلهم أحــد
طفقــت أســعى علــيهم في ديــارهم
والقــوم في ملكهــم بالــشام قــد رقــدوا

---

(١) نضرة النعيم (٨ / ٣٢٠٣).

ومـــن رعـــى غـــنما في أرض مـــسبعة
ونـــام عنهـــا تـــولى رعيهـــا الأســـد

ما يتعين كتمانه من الأسرار ويحرم إفشاؤه:

كتمان السر واجب، وإفشاؤه حرام، ويزداد الأمر حرمة والإفشاء خطورة إذا ترتبت عليه أضرار، ونتجت منه أشرار، سواء كانت على صاحب السر أو غيره، ولهذا يتعين ويتحتم كتم السر وعدم إفشائه.

قال الشاعر [(١)]:

وتـرى الكـريم إذا تـصرم وصـله يخفـى القبـيح ويظهـر الإحـسانا
وتـرى اللـئيم إذا تقـضى وصـله يخفـى الجميـل ويظهـر البهتانـا

وتزيد الحاجة لكتمان السر خاصة في الآتي:

حفظ سر الناس لا سيما أهل المكانة:

عن عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ عمرَ رضي الله عنه حِيْنَ تأَيَّمَتْ بِنْتُهُ حَفْصَةُ، قَالَ: لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفّانَ رضي الله عنه، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ؟ قَالَ: سأَنْظُرُ فِي أمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أنْ لاَ أتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا.

فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، فقلتُ: إنْ شِئْتَ أنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بنْتَ عُمَرَ، فَصَمتَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَلَمْ يَرْجِعْ إلَيَّ شَيْئاً! فَكُنْتُ عَلَيْهِ أوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ.

---

(١) البيت غير منسوب في إحياء علوم الدين (ج ٢/ ص ١٧٩).

فَلَبِثَ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا النَّبِيُّ ﷺ ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ . فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئاً ؟ فقلتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْك فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلاَّ أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ النبيَّ ﷺ ذَكَرَهَا ، فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رسول الله ﷺ ، وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَقَبِلْتُهَا [(١)].

حفظ السر حتى بين الرحم وذوي القربى:

وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها تَمْشِي ، مَا تُخْطِئُ مِشيتُها مِنْ مشْيَةِ رسول الله ﷺ شَيْئاً ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا ، وقال : «**مَرْحَباً بابْنَتِي**»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ -أَوْ عَنْ شِمَالِهِ -، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكتْ بُكَاءً شَدِيداً ، فَلَمَّا رَأى جَزَعَهَا ، سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ.

فقلتُ لَهَا : خَصَّكِ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بالسِّرَارِ ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ ! فَلَمَّا قَامَ رسولُ الله ﷺ سَأَلْتُهَا : مَا قَالَ لَكِ رسولُ الله ﷺ ؟ قالت : مَا كُنْتُ لأُفْشِي عَلَى رسول الله ﷺ سِرَّهُ .

فَلَمَّا تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ قُلْتُ : عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ ، لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رسول الله ﷺ؟

فقالتْ : أَمَّا الآن فَنَعَمْ ، أَمَّا حِيْنَ سَارَّنِي في المَرَّةِ الأُولَى فأَخْبَرَنِي أَنّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ [(٢)] القُرآنَ في كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، وَأَنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٢٧، رقم ٣٤٢٦).

(٢) **يعارضه** : يُدَارِسُه جميعَ ما نَزَل من القرآن، مِن المُعَارَضة : المُقابلة.

مَرَّتَيْنِ ، وَإِنِّي لا أُرَى الأَجَلَ [١] إلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي ، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ [٢] أَنَا لَكِ ، فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ ، فَلَمَّا رَأى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، فَقَالَ : « **يَا فَاطِمَةُ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْ سَيِّدَةَ نِساءِ هٰذِهِ الأُمَّةِ ؟** » فَضَحِكتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ [٣].

وعن ثَابِتٍ ، عن أنس ﷺ ، قَالَ : أَتَى عَلَيَّ رسول الله ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ ، فَسَلمَ عَلَيْنَا ، فَبَعَثَني إِلَى حاجَةٍ ، فَأَبْطَأتُ عَلَى أُمِّي . فَلَمَّا جِئتُ، قالت : مَا حَبَسَكَ ؟ فقلتُ : بَعَثَني رسولُ الله ﷺ لِحَاجَةٍ ، قالت : مَا حَاجَتُهُ ؟ قُلْتُ : إنَّهَا سرٌّ . قالت : لا تُخْبِرَنَّ بِسرِّ رسول الله ﷺ أحَداً ، قَالَ أَنَسٌ : وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحداً لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ [٤].

إسرار المعاصي لمن ستره ربُّه:

أعظم الأسرار التي يجب كتمانها ويحرم إفشاؤها الإخبار بما يقترفه المرء من معاصي وآثام، وقد ستره الكريم المنان، والتحدث والتبجح بذلك، ومن ألف المعصية وتعوَّدها هان عليه أمرها، فالمجاهرة بالمعاصي تشمل فعلها أمام الآخرين أو إخبارهم بها.

---

(١) **الأجل** : هو الوقت المضروب المحدود في المستقبل ، والحين والزمان ، والأجل العُمر.

(٢) **سَلَفُ الإنسان** : مَن تقَدَّمه بالمَوت من آبائه وَذَوِي قَرابته أو من أهل دينه.

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٧٩ ، رقم ٦٢٨٥ ، و ٦٥٨٦) ، ومسلم (٧/ ١٤٢ ، رقم ٢٤٥٠).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٨٠ ، رقم ٦٢٨٩) ، ومسلم (٧/ ١٦٠، رقم ٢٤٨٢) .

عن أبي هريرة ﵁ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « **كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ** [(١)]، **وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحُ، وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولُ: يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا؛ وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**»[(٢)]. فهؤلاء من أخبث الناس نفساً، وأجرئهم على محاربة الله ومبارزته بالمعاصي.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «قال ابن بطال : وفي الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين وفيه ضرب من العناد لهم . وفي الستر لها السلامة من الاستخفاف ، لأن المعاصي تذل أهلها وستر الله مستلزم لستر المؤمن على نفسه ، فمن قصد إظهار المعصية والمجاهرة بها أغضب ربه فلم يستره ، ومن قصد الستر بها حياء من ربه ومن الناس من الله عليه بستره إياه»[(٣)].

وأخبث من هؤلاء نفساً، وأعظم جرماً، وأكثر جهلاً، من يطلبون ممن يتوبون على أيديهم عند الدخول في طرائقهم أن يعترفوا أمامهم بكل ما اجترحوا من آثام، وارتكبوا من طوام، فهؤلاء أشدُّ وعيداً من أولئك المعترفين المغرَّر بهم.

---

(١) قال النووي في شرح صحيح مسلم ٩/ ٢٧٢ (٢٩٩٠) : «هم الذين جاهروا بمعاصيهم وأظهروها ، وكشفوا ما ستر الله تعالى عليهم ، فيتحدثون بها لغير ضرورة أو حاجة».

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٥٤ ، رقم ٥٧٢١) ، ومسلم (٤/ ٢٢٩١ ، رقم ٢٩٩٠) .

(٣) الكبائر – محمد بن عبد الوهاب – (ج ١ / ص ١٧٣).

كتمان ما يدور بين الزوجين:

فكل واحد من الزوجين مطالب بكتمان ما يراه من صاحبه أو يسمعه منه من الرفث والقول والفعل، وهذا أدب عام حث عليه الإسلام ورغب فيه، وخاصة ما يقع بين الزوجين، وقد عدَّ رسول الله ﷺ هذا الصنف من الأزواج من شر الناس منزلة، وأحقرهم مكانة، وأرذلهم نفساً، فقال ﷺ: «**إن من شرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجلُ يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر أحدُهما سرَّ صاحبه**».

وفي رواية: «**إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجلُ يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرَّها**»[(١)].

فهذا من الأمر الذي يعاب ويذم، ويعتبر حطاً من مروءة الإنسان، وينبغي تجنبه، وألا يتحدث الناس فيه، باعتبار أن هذه أسرار زوجية، وخاصة حين يكون هناك نشء؛ لأن هذا فيه ضرر بليغ عليهم، ولا شك أن هؤلاء أناس عندهم فراغ، ليس لديهم ما يشغلون به أوقاتهم، فيتلهون ويتسلون بهذه الأمور الوضيعة.

واجتمع يوماً عند رسول الله ﷺ الرجالُ والنساءُ، فقال ﷺ: «**لَعَلَّ رَجُلاً يَقُولُ مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ، وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا**»، فسكتَ القومُ، فقالت امرأة: إي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن؛ قال: «**فَلاَ تَفْعَلُوا، فَإِنَّمَا مِثْل ذَلِكَ مِثْلُ شَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ، فَغَشِيَهَا**

---

(١) سبق تخريجه.

وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ»[١].

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في كتمان السر :

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

فلا تفش سرك إلا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحا
فإني رأيت غواة الرجال ... لا يتركون أديما صحيحا

وأخبر المبارك بن فضالة عن الحسن رحمه الله قال : سمعته يقول : «إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك»[٢].

وقيل: «الصبر على القبض على الجمر أيسر من الصبر على كتمان السر»[٣].

وقال ابن بطال رحمه الله: الذي عليه أهل العلم أن السر لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة ، وأكثرهم يقول : إنه إذا مات لا يلزم كتمانه ما كان يلزم في حياته إلا أن يكون عليه فيه غضاضة [٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٦ ، رقم ٢٧٦٢٤)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (ص ١٦٣ ، رقم ٤٣٠)، وقال الشيخ الألباني في الصحيحة رقم (٣١٥٣) : « قلت : وهذا إسناد حسن أو قريب من الحسن».

(٢) الصمت وآداب اللسان ج ١ ص ٢١٤، وإحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٣٢.

(٣) محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٦٢.

(٤) فتح الباري (١١/ ٨٥).

استثناءات تبيح كشف السر:

رعاية جانب المصلحة بتجنب أعلى الضررين:

إن واجب الستر فيما تقدم قد يترك لما هو أوجب منه، وذلك لأن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنها ترجّح خير الخيرين، وتحصّل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما [١].

فالله تعالى نهى عن سب آلهة المشركين، وإن كان ذلك حقاً واجباً، لأنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسبّ إله المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبّه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله [٣]».

وقد جاء الشرع بالعناية بالمصالح العامة وتقديمها على المصالح الخاصة، كما اهتم برفع المفاسد العامة وإن تضمن ذلك مفسدة خاصة؛ فالعناية

---

(١) تضمين من مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٠/ ٤٨).

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٨.

(٣) إعلام الموقعين (٣/ ٤).

بالأغلب والأعم هو المقدم.

كما أن حق الإنسان في حفظ سره يجب أن لا يتضمن ضرراً على فرد آخر، فإن حفظ حق أحدهما ليس أولى من حفظ حق الآخر؛ وكل هذا فرع عن تطبيق قاعدة المصالح والمفاسد.

والتطبيق العملي لهذه القاعدة في مسألة سر المريض أن تنصب العناية بمقاصد الشريعة من حفظ المال والنفس والعقل والنسل والدين ولو انخرمت مصلحة المريض بإفشاء سره؛ فيفشى سره إذا تضمن درء مفسدة عامة، أو جلب مصلحة عامة.

كشف السر يتوقف على مقدار الضرر المجتنب:

ويقع الترجيح بحسب الاجتهاد المصلحي في مسألة درء المفسدة عن الفرد. قال العز بن عبد السلام رحمه الله: «الستر على الناس شيمة الأولياء، ويجوز إفشاء السر إذا تضمن مصلحة أو دفع ضرر، وقد كشف يوسف عليه السلام سر المرأة التي راودته فقال: ﴿هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾[1]؛ ليدفع عن نفسه ما قد يتعرض له من قتل أو عقوبة»[2].

كشف السر لاجتناب المفاسد:

ولدينا شاهد مختص بموضوعنا ينطق بما نريده، وهو عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْـمَجَالِسُ بِالأَمَانَةِ إِلاَّ ثَلاَثَةَ مَجَالِسَ : سَفْكُ دَمٍ حَرَامٍ ، أَوْ**

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢٦.

(٢) شجرة المعارف والأحوال، ص ٣٨٩، بتصرف واختصار.

فَرْجُ حَرَامٌ ، أَوِ اقْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»[١].

أي إذا كان قد حصل في المجالس أن شخصاً تكلم بأنه سيفعل فعلاً من الأفعال القبيحة، وأنه يهم بفعل من هذه الأفعال، فإن مثل ذلك يمكن أن يفشى؛ حتى يحال بينه وبين ما يقصده ويريده، كما لو كان يريد أن يقتل إنساناً أو يريد أن يزني بفلانة، أو ما إلى ذلك من الأمور المحرمة، فإن مثل هذا يفشى، وأيضاً قبل ذلك كله ينصح ويحذر، ولكن مع ذلك يفشى مثل هذا الخبر عند من يهمه الأمر وعند من يكون له علاقة مثلاً بالشخص الذي هدده أو المرأة التي فكر بها أو قصدها، حتى يكون كل منهم على حذر، وتنبه لما يجري.

فالحاصل: أن المجالس بالأمانة، ولكن يستثنى منها ما إذا كان ذلك الذي حصل أمراً خطيراً سيئاً، فإنه لا يمكن السكوت عليه، ولا ينبغي أن يسكت عليه؛ لأنه يترتب على ذلك ضرر كبير، فعند ذلك لا يكتم مثل هذا الخبر؛ لأن صاحبه أعلن السوء وأعلن عزمه بالسوء، فلا بأس أن ينبه من يهمه الأمر ممن له علاقة بالموضوع، سواء كان فيما يتعلق بسفك الدم أو بالزنا أو غير ذلك، فينبه على ما يريده هذا الشخص، حتى لا يحصل منه الإقدام على ما لا تحمد عقباه.

كشف السر لتحقيق المصالح:

وفي حديث معاذ رضي الله عنه شاهد لإفشاء ما أمر بكتمانه لأجل المصلحة فقد روي أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٦٨ ، رقم ٤٨٦٩) ، والبيهقي (١٠/ ٢٤٧ ، رقم ٢٠٩٥١)، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير برقم (٦٦٧٨).

شَيْئًا وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» فقال: أفلا أبشر الناس، قال: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» (١). وأخبر بذلك في آخر حياته خوفاً من كتم العلم ووصولاً لمصلحة نشره.

ولعل من أوضح أمثلة هذا الباب ما طبقه علماء الحديث من الكشف عن أحوال الرواة من أحوال تبين فسق الراوي، أو قلة دينه، أو ضعف حفظه، وهذا لدفع مفسدة نسبة حديث للنبي ﷺ لم يقله.



(١) أخرجه البخاري (٤/ ٣٥، رقم ٢٨٥٦)، ومسلم (١/ ٤٣، رقم ٣٠).

الحياء

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن الحياء هو رأس الفضائل الخلقية، وعماد الشعب الإيمانية، وبه يتم الدين، وهو دليل الإيمان ، ورائد الإنسان إلى الخير والهدى ، قال رسول الله ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[(١)].

وقال ﷺ: «**الحياء شعبة من الإيمان ، ولا إيمان لمن لا حياء له**»[(٢)]. فإذا تخلق الإنسان بخلق الحياء، كان ذلك دليلًا على حسن أدبه وسلوكه وصلاح ظاهره، ونقاء سريرته، وكمال إيمانه.

قال ابن القيم رحمه الله: «وخُلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يُقرَ الضيف، ولم يُوفَّ بالوعد، ولم تؤدَّ الأمانة، ولم تقضَ لأحد حاجة»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٦٧ ، رقم ٥٧٦٦) ، ومسلم (١/ ٦٤ ، رقم ٣٧) .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٢ ، رقم ٩)، ومسلم (١/ ٦٣ ، رقم ٣٥).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٧).

تعريف الحياء:

والحياء كما عرفه العلماء هو خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق من الحقوق، فالحياء خلق فاضل يدعوك إلى التحلي بالفضائل والبعد عن الرذائل، والحياء يدعوك أن تخجل في نفسك، وتستحي من ربك، ثم تستحي من الناس[١].

وقالت عائشة رضي الله عنها: «مكارم الأخلاق عشرة» ثم قالت: «ورأسهن الحياء»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «والحياء من الحياة، ومنه الحيا للمطر، وعلى حسن حياة القلب يكون فيه قوّة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أحيى كان الحياء أتم»[٣].

الفرق بين الحياء والخجل:

الفرق بين الحياء والخجل عظيم ذلك لأن الحياء منقبة وفضيلة ومعناها هو أن يترفع العبد عن المعاصي والآثام، وأما الخجل فإنه منقصة لشعور الإنسان بقصوره أمام الآخرين، فلا يطالب بحقه لخجله، ولا يقول كلمة الحق لخجله، ولا يتحدث أمام الآخرين لشعوره أن من معه خير منه، وعلى الجرأة ربى السلف الصالح أبناءهم.

---

(١) انظر فتح الباري (١/ ٦٨)، والداء والدواء (ص٩٦).

(٢) الكشف والبيان (ج ٤ / ص ٣١٩).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٩).

فضائل الحياء:

الحياء من صفات الرب ﷻ:

والحياء صفة من صفات الله ﷻ ، قال رسول الله ﷺ: «**إن ربكم حيي كريم يستحيي أن يبسط العبد يديه إليه فيردهما صفرا**»(١).

قال ابن القيم: «وأما حياء الرب تبارك وتعالى من عبده فنوع آخر، لا تدركه ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم وبرّ وجود، فإنه كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يدَيه أن يردّهما صفرا، ويستحي أن يعذّب شيبة شابت في الإسلام»(٢).

الحياء من سمات الملائكة والأنبياء:

فالحياء من خلق الملائكة، كما قال النبي ﷺ في عثمان بن عفان ﷺ: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!**»(٣)، وفيه دليل على اتصاف الملائكة به.

كما أنه هو خلق الأنبياء، كما قال ﷺ: «**أربع من سنن المرسلين: الحياء والتعطر والسواك والنكاح**»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٨ ، رقم ١٤٨٨) ، وابن ماجه (٢/ ١٢٧١ ، رقم ٣٨٦٥) ، وابن عساكر (٥٨/ ٤٦٥) .

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٦١).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٦٦، رقم ٢٤٠١).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢١ ، رقم ٢٣٦٢٨) ، وعبد بن حميد (ص ١٠٣، رقم ٢٢٠) ، وابن أبي شيبة (١/ ١٥٦ ، رقم ١٨٠٢) ، وسعيد بن منصور في كتاب السنن (١/ ١٦٧، رقم

ومما وُصف به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه «**كان رجلًا حييًّا ستيرًا، لا يُرى من جلده شيء استحياءً منه**»[(١)].

ولا يخفى علينا جميعا ـ أيها المسلمون ـ ما كان لنبينا من هذه الصفة الجليلة، فقد وصفه أبو سعيد الخدري بقوله: «لرسول الله أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه»[(٢)]. والعذراءُ هي البنتُ التي لم يَسبقْ لها زواج، وخِدرُها موضعُها الذي تُصانُ فيه عن الأعْيُنِ.

الحياء شعبة من الإيمان:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإيمان بضع** [(٣)] **وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان**»[(٤)].

وقد مر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول: إنك لتستحي حتى كأنه يقول: قد أضرّ بك، فقال رسول الله : «**دعه فإن الحياء من الإيمان**»[(٥)].

---

٥٠٣) ، والترمذي (٣/ ٣٩١ ، رقم ١٠٨٠) وقال : حسن غريب . والطبراني (٤/ ١٨٣، رقم ٤٠٨٥) . والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٣٧، رقم ٧٧١٩) .

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٤٩ ، رقم ٣٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٣٥ ، رقم ٦١١٩)، ومسلم (٧/ ٧٧ ، رقم ٢٣٢٠).

(٣) بضع : عدد من ثلاثة إلى تسعة ، شعبة : خصلة.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري (١/ ١٧ ، رقم ٢٤) ، ومسلم (١/ ٦٣ ، رقم ٣٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الحياء والإيمان في قرن، فإذا نزع الحياء تبعه الآخر»(١).

الحياء يفضي للجنة:

وإنَّ من أعظم فضائله أنه يفضي بأصحابه إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار**»(٢). والبذاء ضد الحياء، فهو جرأة في فُحشٍ، والجفاء ضد البر.

الحياء كله خير:

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»(٣).

وعن أنس رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**الحياء خير كله**»(٤).

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (ج ٢/ ص ٨٧١)، والمعجم الأوسط (ج ٨/ ص ١٧٤)، وشعب الإيمان (ج ٦/ ص ١٤٠)، وتاريخ مدينة دمشق (ج ١٦/ ص ٤٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠١ ، رقم ١٠٥١٩) ، قال الهيثمي (١/ ٩١) : رجاله رجال الصحيح، والترمذي (٤/ ٣٦٥ ، رقم ٢٠٠٩) وقال : حسن صحيح . والحاكم (١/ ١١٩ ، رقم ١٧٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٣٣ ، رقم ٧٧٠٧) . وأخرجه أيضًا : ابن أبي شيبة (٥/ ٢١٣ ، رقم ٢٥٣٤٥) ، وهناد في الزهد (٢/ ٦٢٦ ، رقم ١٣٥١) ، وابن حبان (٢/ ٣٧٢ ، رقم ٦٠٨) ، والديلمي (٢/ ١٥٠ ، رقم ٢٧٦٢) .

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٦٤ ، رقم ٣٧).

وعن أَنَسٍ ﷺ أن رَسُول اللهَّ ﷺ قال: «**مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ**»(١).

الحياء خلق الإسلام:

خلق الحياء هو الخلق الذي يميز أتباع الإسلام، كما قال ﷺ: «**إن لكلّ دين خلقا، وخلق الإسلام الحياء**»(٢).

الحياء وازع عن المعاصي:

فالحياء يحمل على الاستقامة والطاعة، وعلى ترك المعصية ونبذ طريقها، فإن الذي هبط بالناس إلى هذا المستوى المذموم هو ذهاب الحياء من الله ﷻ، كما قال رسول الله ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(٣).

وقال الشاعر:

ورُبّ قبيحة ما حال بينِي ... وبيْن ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن ... إذا ذهب الحياء فلا دواء

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٦٥ رقم ١٢٧١٢) ، وعبد بن حميد (ص ٣٧٢ ، رقم ١٢٤١) ، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٢١٠ ، رقم ٦٠١) ، والترمذي (٤/ ٣٤٩ ، رقم ١٩٧٤) وقال : حسن غريب . وابن ماجه (٢/ ١٤٠٠ ، رقم ٤١٨٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٣٩ ، رقم ٧٧٢٣) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٩٩ ، رقم ٤١٨١)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٦٣) . وأبو يعلى (٦/ ٢٦٩ ، رقم ٣٥٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٦٨ ، رقم ٥٧٦٩).

فالمرء حينما يفقد حياءه يتدرج في المعاصي من سيئ إلى أسوأ، ومن رذيلة إلى أرذل، ولا يزال يهوي حتى ينحدر إلى الدرك الأسفل.

وكذلك المرء إذا لم يكن له حياء جهر بالمعاصي أمام الناس ولا يبالي، فالمجاهرون بالجرائم والمعاصي والمعلنون لها أمام الناس جهارًا نهارًا ولا يبالون بما يفعلون هؤلاء لا يستحيون من الله، ولا يستحيون من الناس، ولهذا استحقوا الوعيد الشديد الذي أخبر به النبي ﷺ بقوله: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن الله إذا أراد أن يُهلك عبدا نزع منه الحياء فإذا نزع منه الحياء لم تَلْقَهُ إلا مَقِيتا مُمَقَّتا فإذا لم تَلْقَهُ إلا مَقِيتا مُمَقَّتا نُزِعَتْ منه الأمانة فإذا نُزِعَتْ منه الأمانة لم تَلْقَهُ إلا خَائِنا مُخَوَّنا فإذا لم تَلْقَهُ إلا خَائِنا مُخَوَّنا نُزِعَتْ منه الرحمة فإذا نُزِعَتْ منه الرحمة لم تَلْقَهُ إلا رَجِيما مُلَعَّنا فإذا لم تَلْقَهُ إلا رَجِيما مُلَعَّنا نُزِعَتْ منه ربقة الإسلام**»(٢).

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «من علامات الشقوة القسوة في القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة في الدنيا وطول الأمل»(٣). وقال ابن حبان رحمه الله: «فالواجب على العاقل لزوم الحياء؛ لأنه أصل العقل، وبذر الخير، وتركه أصل الجهل وبذر الشر»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٥٤، رقم ٥٧٢١)، ومسلم (٤/ ٢٢٩١، رقم ٢٩٩٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٤٧، رقم ٤٠٥٤).

(٣) مدارج السالكين (ج ٢ / ص ٢٦٠).

(٤) روضة العقلاء (ج ١/ ص ٥٦).

أقوال السلف في الحياء:

قال أبو بكر رضي الله عنه وهو يخطب الناس: «يا معشر المسلمين استحيوا من الله فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب الغائط في الفضاء متقنعًا بثوبي استحياءً من ربي عز وجل»[١].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه»[٢].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من لا يستحي من الناس لا يستحي منه الله»[٣].

قال إياس بن قرة الحنث عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله فذكر عنده الحياء، فقالوا: الحياء من الدين. فقال عمر: «بل هو الدين كله»[٤].

وقال الحسن البصري رحمه الله: «الحياء والتكرم خصلتان من خصال الخير لم يكونا في عبد إلا رفعه الله بهما»[٥].

---

(١) مكارم الأخلاق (ج ١ / ص ٤٠).

(٢) البيان والتبيين (ج ١/ ص ٣٠٨)، والحلم (ج ١/ ص ٧٧)، ومكارم الأخلاق (ج١/ ص٤٠)، والزهد لابن أبي عاصم (ج١/ ص٣٨)، وروضة العقلاء (ج١/ ص٤٤).

(٣) روضة العقلاء (ج ١ / ص ٥٨)، والمعجم الأوسط (ج ٧/ ص ١٦١)، والمهذب (ج٢/ ص ٣٢٥)، وتاريخ مدينة دمشق (ج ١٩/ ص ٣٣٢).

(٤) مكارم الأخلاق (ج ١/ ص ٣٨)، وحلية الأولياء (ج ٣ / ص ١٢٥)، وشعب الإيمان (ج٦/ ص ١٣٥)، وسنن البيهقي الكبرى (ج ١٠ / ص ١٩٤)، وتاريخ مدينة دمشق (ج ١٠/ ص ٧).

(٥) الكرم والجود وسخاء النفوس (ج ١/ ص ٤٥)، ومكارم الأخلاق (ج ١/ ص ٤٣)،

أنواع الحياء:

أولا: الحياء من الله ﷻ:

وهذا هو أكرم أنواع الحياء وأعظمها، وهو ثلاثة مواضع، هي:

١- الحياء من أن تقابل إحسان الله بالإساءة ونعمه بالجحود:

يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «**أنا والجن و الإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، أتحبب إليهم بالنعم ويبتعدون عني بالمعاصي، خيري إليهم نازل وشرهم إليّ صاعد**»[(١)].

٢- ألا تتضجر عند البلاء فتنسى قديم إحسان الله إليك:

ذكر الإمام الألوسي رحمه الله: أن أيوب عليه السلام عندما فقد المال وفقد الولد وفقد عافيته، قالت له زوجته: أنت نبي الله فلو سألت الله تعالى أن يرفع عنك البلاء لفعل، فقال لها أيوب عليه السلام: كم مضى علينا ونحن في عافية؟ قالت: ستين سنة. قال: والله إني لأستحي أن أسأل الله رفع البلاء وما بلغت في البلاء ما بلغته في العافية[(٢)].

وكتاب الأمالي وهي المعروفة بالأمالي الخميسية (ج ٢/ ص ٢٤٧).

(١) ذكره الحكيم (٢/ ٣٠١)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٣٤، رقم ٤٥٦٣)، والديلمي (٣/ ١٦٦، رقم ٤٤٣٩)، وابن عساكر (١٧/ ٧٧). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الشاميين (٢/ ٩٣، رقم ٩٧٤).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (ج ١٠/ص ٣٢٤٥)، والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - (ج ٣ / ص ١٣١).

٣- أن يحفظ العبد قلبه وجوارحه:

فمن حياء العبد مع الله ﷻ أيضا أن يحفظ العقل من أن يكفر بالله، أو أن تدخل فكرة منحرفة إلى عقله، وأن يحفظ جوفه عن الحرام، لقول النبي ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء**»، قالوا: وكيف نستحي من الله حق الحياء؟ قال: «**أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وأن تذكر الموت والبلى، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»(١).

ثانيا: حياء العبد في نفسه:

الحياء من تشوه سمعته:

فيحرص على أن تكون سمعته كريمة بيضاء ناصعة لا تمس بشائبة أبدًا، كما خرج النبي ﷺ يومًا في الليل حتى يوصل إحدى زوجاته إلى دارها فمر به رجلان من الأصحاب، فلما رأيا رسول الله ومعه امرأة، أسرعا في مشيهما، فنادى عليهما النبي ﷺ وقال: «**على رسلكما إنها صفية**»، قالا: سبحان الله يا رسول الله أنشكّ بك؟ قال: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فخشيت أن يقذف في قلبيكما شرا**»(٢).

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧، رقم ٣٦٧١)، والترمذي (٤/ ٦٣٧، رقم ٢٤٥٨) وقال: غريب. والطبراني (١٠/ ١٥٢، رقم ١٠٢٩٠)، والحاكم (٤/ ٣٥٩، رقم ٧٩١٥) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٤١ ، رقم ٧٧٣٠) . وابن أبي شيبة (٧/ ٧٧ ، رقم ٣٤٣٢٠) ، والبزار (٥/ ٣٩١ ، رقم ٢٠٢٥) ، وأبو يعلى (٨/ ٤٦١ ، رقم ٥٠٤٧) ، والطبراني في الصغير (١/ ٢٩٨ ، رقم ٤٩٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١٩٥ ، رقم ٣١٠٧) ، ومسلم (٤/ ١٧١٢ ، رقم ٢١٧٥).

اجتناب الفواحش:

فالحيي ينأى بمائه عن أن يضعه إلا في الموضع الكريم الذي أذن الله تعالى به، مثل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، قد دعته امرأة العزيز وغلقت الأبواب وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾[١]، شهوة ومتعة يتكالب عليها السفلة يدوسها يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بقدمه.

ومن حديث أبي سفيان رضي الله عنه، وهو بين يدي هرقل أنه قال لِتَرْجُمَانِهِ: «قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، فَوَاللهِ لَوْلاَ الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ»[٢].

الحياء أن ينقضي عمره في المعصية:

فيا أبناء الخمسين زرع قد دنا حصاده؟ ويا أبناء الستين ماذا قدمتم؟ ويا أبناء السبعين هلموا إلى الحساب؟ يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين**»[٣]. قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **أَعْذَرَ الله إلى امرئ أَخَّرَ أجله حتى بلغ ستين**

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢٣.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٨٧، رقم ٢٨١٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٥٣ ، رقم ٣٥٥٠) وقال : حسن غريب . وابن ماجه (٢/ ١٤١٥،رقم ٤٢٣٦) ، والحاكم (٢/ ٤٦٣ ، رقم ٣٥٩٨) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقي (٣/ ٣٧٠ ، رقم ٦٣١٤) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (٧/ ٢٤٦ ، رقم ٢٩٨٠) ، وأبو يعلى (١٠/ ٣٩٠ ، رقم ٥٩٩٠) ، والطبراني في الأوسط (٦/ ٨٥ ، رقم ٥٨٧٢) ، وأبو بكر الإسماعيلي في معجم شيوخه (١/ ٥٠٣ ، رقم ١٥١) ، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (٤/ ٣٠٤) ، والديلمي (١/ ٤١٢ ، رقم ١٦٦٨) . وقال

سنة»[١]. ويقول عليه السلام: «**إذا بلغ الرجلُ من أمتي ستين سنةً فقد أعذر اللهُ إليه في العمر**»[٢].

حفظ العورات:

عَنْ يَعْلَى بن أمية أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأَى رَجُلاً يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ بِلاَ إِزَارٍ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**إِنَّ الله عز وجل حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ**»[٣]. البراز: هو الفضاء الواسع من الأرض، وعند النسائي وابن ماجة وصححه الألباني: «**إِنَّ الله عز وجل حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ**»[٤].

قال العلماء: «والتستر بمئزر ونحوه في حال الاغتسال في الخلوة أفضل من التكشف، والتكشف جائز مدة الحاجة في الغسل ونحوه، والزيادة على قدر الحاجة حرام على الأصح»[٥].

الحافظ في الفتح (١١/ ٢٤٠) بعد عزوه للترمذي: بسند حسن.

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٦٠، رقم ٦٠٥٦).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٣، رقم ٣٥٩٧) وقال: صحيح على شرط البخاري. ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٤، رقم ١٧٩٩٩)، وأبو داود (٤/ ٣٩، رقم ٤٠١٢)، والنسائي (١/ ٢٠٠، رقم ٤٠٦). والبيهقي (١/ ١٩٨، رقم ٩٠٨).

(٤) أخرجه النسائي (١/ ٢٠٠، رقم ٤٠٦).

(٥) أصول الإيمان (ج ١ / ص ١٣٧).

من حياء العبد في نفسه أن يحفظ عورته عن أي عين، يقول النبي ﷺ: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة**»(١). إلا الزوجة وفي الحديث: «**احفظ عورتك** (٢) **إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك**»(٣).

ثالثا: حياء العبد في مجلسه:

ألا يتكلم عن خصوصياته وأهله:

قال النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت**»(٤).

أما فاقد الحياء فإنه لا يجد ألذ من أن يتحدث بالذي يكون بينه وبين أهله، وقد قال النبي ﷺ وقد صلى بالناس فالتفت، فقال: «**أيكم الرجل الذي إذا أراد أن يأتي أهله أغلق بابه وأرخى ستره، ثم جامع أهله، ثم يخرج إلى الناس يقول: فعلت بأهلي كذا وكذا**»، فسكت القوم، فجلست امرأة على ركبتيها وقالت: والله يا رسول الله إنهم ليتحدثون وإنهن ليتحدثن، فقال ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٢٦٦ ، رقم ٣٣٨).

(٢) **احفظ عورتك**: استرها كلها .

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٢٨٧ ، رقم ١١٠٦) ، وأحمد (٥/ ٣ ، رقم ٢٠٠٤٦) ، وأبو داود (٤/ ٤٠ ، رقم ٤٠١٧) ، والترمذي (٥/ ٩٧ ، رقم ٢٧٦٩) وقال : حديث حسن . وابن ماجه (١/ ٦١٨ ، رقم ١٩٢٠) ، والحاكم (٤/ ١٩٩ ، رقم ٧٣٥٨) وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي . والبيهقي (١/ ١٩٩ ، رقم ٩١٠) . وأخرجه أيضًا : الطبراني (١٩/ ٤١٣ ، رقم ٩٩٢) .

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٠ ، رقم ٥٦٧٣) ، ومسلم (١/ ٦٩ ، رقم ٤٨).

«أتدرون ما مثل من يفعل ذلك؟ إن مثل من يفعل ذلك مثل الشيطان أتى شيطانة في قارعة الطريق فجامعها والناس ينظرون إليهما»(١).

ألا يفضح نفسه فيما ستره الله ﷻ:

وذلك بألا يتحدث عن ماضيه القبيح، وما كان فيه من الآثام والمعاصي، لا على جهة الندم أو أخذ العبرة منه، وإنما على سبيل التفاخر والندم على الأيام التي مضت وليتها عادت من جديد، وأمثال هؤلاء لا مغفرة لهم، لقول النبي ﷺ: **«كل أمتي معافى إلا المجاهرين»**.

ومن المجاهرة أن يعمل العبد العمل بالليل ويصبح وقد ستره الله فيقول: **«يا فلان عملت البارحة كذا وكذا! بات يستره الله وأصبح يفضح نفسه»**(٢).

رابعا: الحياء من ذوي الحقوق:

الحياء مع الوالدين:

رأى أبو هريرة غلاما يمشي مع رجل فقال للغلام: من هذا منك؟ قال:

---

(١) أخرجه أحمد(٢/ ٥٤٠، رقم ١٠٩٩٠) والبزار، وقال الألباني في الزفاف (ص ٦٣) لما ذكره: معناه من حديث أسماء بنت يزيد أخرجه أحمد وله شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن أبي شيبة وأبي داود (١/ ٣٣٩) والبيهقي وابن السني رقم (٦٠٩) وشاهد آخر رواه البزار عن سعيد كذا في المجمع (٤/ ٢٩٤ ، ٢٩٥) ولعل الصواب سعد ، وشاهد ثالث عن سلمان في الحلية (١/ ١٨٦) فالحديث بهذه الشواهد صحيح أو حسن على الأقل .

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٥٤ ، رقم ٥٧٢١) ، ومسلم (٤/ ٢٢٩١ ، رقم ٢٩٩٠) .

أبي، قال: «اسمع! لا تمش أمامه، ولا تستسبَّ له [١]، ولا تجلس قبله، ولا تناده باسمه» [٢].

الحياء مع العلماء:

قال النبي ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**» [٣]. لذا فهو يدعونا ﷺ إلى التواضع لما لهم من علم كريم، فيقول -عليه الصلاة والسلام-: «**تعلموا العلم، وتعلموا للعلم سكينته، وتواضعوا لمن تعلمون منه**» [٤].

الحياء من ذوي الشيبة:

فالصغير يجل من يكبره، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم**» [٥].

---

(١) أي لا تكون سببا في أن يسبه أحد، بأن تسب أبا المرء فيسب المرء أباك.

(٢) المجموع (ج ٨/ ص ٣٣٤)، والفتاوى الحديثية (ج ١/ ص ١٠٧)، ومجموعة الحديث (ج ٢/ ص ٤٥٨).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٦، رقم ٢١٧٦٣)، وأبو داود (٣/ ٣١٧، رقم ٣٦٤١)، والترمذي (٥/ ٤٨، رقم ٢٦٨٢) وقال: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة وليس هو عندي بمتصل. ثم أورد له إسنادًا وقال هذا أصح. وابن ماجه (١/ ٨١، رقم ٢٢٣)، وابن حبان (١/ ٢٨٩، رقم ٨٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٢، رقم ١٦٩٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٢٠٠، رقم ٦١٨٤)، وابن عدى (٤/ ٣٣٥، ترجمة ١١٦٥ عباد بن كثير الثقفي).

(٥) أخرجه هناد (٢/ ٤٢٣، رقم ٨٢٨) والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٢٧، رقم ٤)

مظاهر مخالفة للحياء:

الكلام الفاحش:

البعض من الناس ـ هدانا الله وإياهم ـ لا يبالون بالكلمات البذيئة، ولا بالكلمات الوقحة، ولا بالكلمات الهابطة، يتحدث بها بعضهم من غير خجل ولا حياء، وفعلهم هذا ضعف في الإيمان، والنبي ﷺ ما كان كذلك، كان يلمِّح ولا يصرِّح، بل إذا تأملت كتاب الله ﷻ تراه يذكر الفواحش مجملة من غير أن يفصل في جزئياتها.

فالتحدث بالكلمات السيئة والكلمات الهابطة، والتحدث بها على وجه الانبساط والمزح والضحك مما ينافي الحياء المطلوب الذي ينبغي أن يتخلق به المسلم.

إساءة التعامل مع الناس:

إن المسلم يدعوه حياؤه إلى الفضائل، فتراه يستحي من أن يطالب معسرًا يعلم أنه معسر، ويخجل أن يلحق الضرر به، وإنما يمهله رجاء أن ييسر الله أمره.

وتراه يستحي أن يسأل الناس، أو يلتجئ للناس، أو يمد يده للناس، فحياؤه يمنعه ولو كان فقيرًا، ولذا قال الله ﷻ: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟

والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٢٦، رقم ١٠٨٤٠)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٩)، وابن المبارك (١/ ١٣٠، رقم ٣٨٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٢١، رقم ٣٢٥٦١)، وأبو داود (٤/ ٢٦١، رقم ٤٨٤٣)، والبيهقي (٨/ ١٦٣، رقم ١٦٤٣٥)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١٣٠، رقم ٣٥٧).

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا﴾[(١)]، أي: يظهرون أمام الناس مظهر الغنى وقلة الشكاية، يحسبهم من يراهم ذوي غنى وثراء لعفة نفوسهم وترفعهم عن سؤال الناس.

التسول والسؤال بغير ضرورة:

ونوع آخر من الناس انتزع الحياء منه، فتراه وراء الناس يلهث، يشحذهم ويسألهم في كل مناسبة تحدث، وربما حلف الأيمان على فاقته وفقره، وربما أتى بملبس وسخ وحالة سيئة قذرة، أو أظهر نفسه بأنه المصاب بالعاهات والمصائب، ليتوسل بها إلى الأخذ مما بأيدي الناس.

فأراقوا ماء وجوههم بلا حياء، ثم استجدوا الناس سُحتًا واستغلالا لحياء الناس، ولهذا كان نبينا ﷺ أعظم الخلق حياء، ما سئل شيئًا على الإسلام إلا أعطاه ولبس يومًا بردة فسأله أحد الصحابة فأعطاه إياها، فقيل له: تسأله وأنت تعلم أنه لا يرد سائلا؟! قال: أريد أن تكون كفني، فكانت كفنه [(٢)].

فهو ﷺ ما سُئل إلا أعطى، ولما أكثر السؤال عليه قال: «**إن الرجل ليسألني وأعطيه فيخرج بها يتأبطها جمرًا**»[(٣)].

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧٣.

(٢) أخرجه البخاري ٨/ ١٦ (٦٠٣٦).

(٣) أخرجه ابن حنبل في مسنده (٣/ ١٦، رقم ١١١٣٩).

أمور ليست من الحياء:

السكوت على الباطل بدعوى الحياء:

ليس من الحياء أن يسكت الإنسان على الباطل، فبذلك تُعَطل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال النووي رحمه الله: «وأما كون الحياء خيرًا كله ولا يأتي إلا بخير فقد يُشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يجلُّه، فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، وغير ذلك مما هو معروف في العادة. وجواب هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة؛ منهم الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: أن هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وخور ومهانة، وإنما تسميته حياء من إطلاق بعض أهل العرف، أطلقوه مجازًا لمشابهته الحياء»[(١)].

ولذا مما تنزه الله عنه الاستحياء من الحق مع أنه موصوف بالحياء كما سيأتي، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[(٢)]، وسببها أن المنافقين لما ضرب الله مثلهم: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾[(٤)]، قالوا:

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (ج ٢ / ص ٥).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩.

الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال! فأنزل الله الآية [(١)].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[(٢)].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لا يستحيي من الحق**»[(٣)].

الامتناع عن السؤال والتعلم:

وليس من الحياء أن يمتنع الإنسان من السؤال عن أمور دينه، فالحياء يبعث على الخير ولا يصدّ عنه؛ ولذا مدحت عائشة رضي الله عنها نساء الأنصار بقولها: «رحم الله نساء الأنصار؛ لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[(٤)].

وجاء إليها أبو موسى الأشعري فقال: يَا أُمَّاه، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَيْءٍ وَإِنِّي أَسْتَحْيِيكِ؟ فَقَالَتْ: لا تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْأَلَنِي عَمَّا كُنْتَ سَائِلًا عَنْهُ أُمَّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ، قُلْتُ: فَمَا يُوجِبُ الْغُسْلَ؟ قَالَتْ: عَلَى الْخَبِيرِ

---

(١) تفسير الطبري (ج ١ / ص ١٧٧)، وأمالي ابن سمعون (ج ١/ ص ١٢٨).

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٣.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١/ ٢٨٤ ، رقم ١٠٩٦).

(٤) الاستذكار (ج ١ / ص ٢٩٣)، والتمهيد لابن عبد البر (ج ٨ / ص ٣٣٨)، وجامع بيان العلم وفضله (ج ١/ ص ٨٧)، والآداب الشرعية (ج ٢/ ص ٢١٩)، وآداب العلماء والمتعلمين (ج ١/ ص ٢١).

سَقَطْتَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ : «**إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ**»(١).

وجاءت أم سُليم رضي الله عنها لرسول الله قائلةً: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ**»(٢).

فإذا لم يقدر الإنسان على السؤال لعذر يقتضي الحياء فعليه أن يُرسل من يسأل له أو يهاتف الشيخ أو يراسله، فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً، وَكُنْتُ أَسْتَحْيِي أَنْ أَسْأَلَ النَّبِيَّ لِمَكَانِ ابْنَتِهِ، فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ ابْنَ الأَسْوَدِ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «**يَغْسِلُ ذَكَرَهُ وَيَتَوَضَّأُ**»(٣).

لوزام الحياء:

وإذا كان الصحابة رضي الله عنهم هم أكثر الناس بعد النبي حياء من الله وأشدهم خجلا منه وخشية له ومراقبة لجلاله ومع ذلك يقول لهم: «**استحيوا من الله حق الحياء**»، قال: قلنا: يا رسول الله، إنا نستحي والحمد لله، قال: «**ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»(٤).

(١) أخرجه مسلم (١/ ٢٧١، رقم ٣٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٦٠، رقم ٥٧٤٠)، ومسلم (١/ ٢٥١، رقم ٣١٣).
(٣) أخرجه البخاري (١/ ٧٧، رقم ١٧٦)، ومسلم (١/ ٢٤٧، رقم ٣٠٣).
(٤) سبق تخريجه.

وهذه العظة تحوي كثيرا من آداب الإسلام ومناهج الفضيلة، فإن على المسلم تنزيه لسانه أن يخوض في باطل، وبصره أن يرمق عورة أو ينظر إلى شهوة، وأذنه أن تسرق سرّا أو تستكشف خبئا، وعليه أن يفطم بطنه عن الحرام ويقنعه بالطيب الميسور، ثم عليه أن يصرف أوقاته في مرضاة الله وإيثار ما لديه من ثواب، فلا تستخفّه نزوات العيش ومتعه الخادعة.

وجاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله أوصني، قال ﷺ: «**أوصيك أن تستحي من الله تعالى كما تستحي من الرجل الصالح من قومك**»(١).

نداء الحياء للنساء:

إذا كان الحياء في الرجال جميلاً فهو في النساء أجمل؛ لأنه لها أستر وأكمل، يقول الله ﷻ: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ(٢)﴾(٣)، قال صاحب التحرير والتنوير: « **والمعنى : أنها مستحيية في مشيها ، أي تمشي غير متبخترة ولا متثنية ولا مظهرة زينة**»(٤).

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص ٤٦) و أبو عروبة الحراني في الطبقات (٢ / ١٠/ ١ - المنتقى منه) و السلمي في آداب الصحبة (ق ١٢ / ١) و البيهقي في الشعب (٢ / ٤٦٢ / ٢) والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٥٠)، وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم : ٢٥٤١ في صحيح الجامع.

(٢) **على استحياء:** أي واضعة كم درعها على وجهها حياء منه. (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبيرج ٤/ ص٦٤)

(٣) سورة القصص: الآية ٢٥.

(٤) التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية - (ج ٢٠ / ص ١٠٣).

يقول العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا يدل على كريم عنصرها، وخلقها الحسن؛ فإن الحياء من الأخلاق الحسنة، وخصوصاً في النساء»[(١)].

وفي الآية بيان فضل الحياء وشرف المؤمنات اللائي يتعففن عن الاختلاط بالرجال، و ستر الوجه عن الأجانب سنة المؤمنات من عهد قديم وليس كما يقول المبطلون هو عادة جاهلية، فبنتا شعيب نشأتا في دار النبوة والطهر والعفاف وغطت إحداهما وجهها عن موسى حياءً وتقوى[(٢)].

ولكن نساءنا الآن يواجهن –ومعهن الأمة كلها- خطر التغريب الذي نكس كثيرا من سمات الإسلام في نفوسهن، بل وكثيرا من سمات الفطرة السليمة، ومن أمثلة هذا التغريب ما تقوم به الفضائيات، حيث إنها نزعت الحياء منهن، وهونت من شأنه في نفوسهن، فالفضائيات تغتال حياء الطالبات، فوجد لدينا نتيجة لذلك مظاهر مخالفة لشرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أهمها: ما اعترى علاقة المرأة بالرجال الأجانب عنها من تساهل وتهاون. فحديثها وكلامها مع الرجال الأجانب في لحن وإيماء وخضوع في القول، ولين في الكلام مع دعابة، ومزاح وهزل بشكل لم يكن معهوداً قبل وجود القنوات الفضائية.

وليس يخفى أن أزكى النساء أمهاتُ المؤمنين.. ومع هذا فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي ج٤ ص ١٤.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - (ج ٤ / ص ٦٥).

ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[١]، يأمر المولى ﷻ نساء النبي بعدم الخضوع بالقول وهن أطهر النساء، وإذا كان الأمر كذلك فإن من عداهن من النساء أحوج لهذا التوجيه والتحذير؛ لأن المرأة إذا كان في نبرتها ذلك الخضوع اللين أثارت شهوة الرجال، وحركت غرائزهم، وطمع مرضى القلوب فيها.



(١) سورة الأحزاب: الآية٣٢.

الرحمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن الرحمة الشاملة الكاملة هي رحمة الله الغفور الرحيم، فقد عمت الكائنات جميعها فما من موجود إلا ويرحمه الله، وفي ظلال هذه الرحمة الإلهية يعيش . قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1]، وقال الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[2].

وقد دعا الإسلام إلى التحلي بهذا الخلق الكريم في حياة الناس فيما بينهم، حتى تستقر الحياة بهم بأمن وسلام ومودة، ويجد كل فرد في المجتمع مكانه ومكانته وحقه وكرامته .

تعريف الرحمة :

الرحمة : هي حالة وجدانية تعرض غالبا لمن به رقة القلب ، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان [3].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٦ .

(٢) سورة غافر: الآية ٧.

(٣) كتاب الكليات (١/ ٤٧١).

الرحمة ليست إهمالا ولا تراخيا:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرحمة الحزم لا الإهمال :

«إن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفسه وشقت عليها فهذه هي الرحمة الحقيقية فأرحم الناس من شق عليك في إيصال مصالحك ورفع المضار عنك . فمن رحمة الأب بولده أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره ويمنعه شهواته التي تعود بضرره ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه ويريحه فهذه رحمة مقرونة بجهل ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على العبد فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته من رحمته به »[١].

الإسلام دين الرحمة:

لقد كانت رسالة محمد ﷺ رحمة لقومه ورحمة للبشرية كلها من بعده، صحيح أن المبادئ التي جاءت بها هذه الرسالة كانت غريبة على الناس وواقعهم في بداية الأمر، لكنهم سرعان ما أخذوا يقتربون من هذه المبادئ، ويشعرون بعظمتها، ويعودون إليها، ويطبقونها في حياتهم.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس، فمن آمن به وصدّق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق»[٢].

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٤).

(٢) إعراب القرآن (٣/ ٨٣)، وتفسير القرطبي (١١/ ٣٥٠).

أهمية خلق الرحمة:

إنّ للحياةِ ركائزَ تعتمِد عليها، وأسُسًا تُبنَى عليها، ومعانيَ ساميةً تُناط بها المنافِع والمصَالح. ومِن هذه المعاني العظيمةِ والصّفات الكريمة التي تسعَد بها الحياةُ ويتعاون بها الخلق الرّحمة.

فالرّحمة خلُقٌ عظيم ووَصف كريم، أُوتيَه السّعداء، وحُرِمه الأشقياء، جبل الله ﷻ الناس عليها، فالرّحمة ضارِبة في جُذور المخلوقات، ومختلِطة بكيان الموجوداتِ، حتى يتحلى بها كل موجود حتى الحيوانات، ومنها يرحم بها الحيوان ابنه، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: « **إن الله خلق الرحمة يوم خَلَقَهَا مائة رحمة فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة وأرسل فى خلقه كُلِّهِمْ رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يَيْأَسْ من الجنة ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يَأْمَنْ من النار**» (١).

وقال ﷺ: « **إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طِبَاقُ ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض وأخر تسعًا وتسعين فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة**» (٢).

والحياة لا تصلُح إلاّ بها، وأوّلُ مَن ينتفِع بالرّحمة صاحبُها في الدّنيا والآخرة، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ: «**أهلُ الجنّة ثلاثة: إِمام عادِل، ورجلٌ**

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٤، رقم ٦١٠٤)، ومسلم (٤/ ٢١٠٨، رقم ٢٧٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٩، رقم ٢٧٥٣).

رحيمُ القلب بالمساكين وبكلِّ ذِي قربى، ورجلٌ فقير ذو عِيال متعفِّف»[١].

حاجة البشرية إلى هذا الخُلُق:

ألا ما أحوجَ البشريّةَ إلى هذهِ المعاني الإسلاميّةِ السّامية، وما أشدَّ افتقارَ الناسِ إلى التخلُّق بالرّحمة التي تُضمِّد جراحَ المنكوبين، وتحثّ على القيامِ بحقوقِ الوالدَين والأقربين، والتي تواسِي المستضعَفين، وتحنو على اليتامَى والعاجِزين، وتحافِظ على حقوقِ الآخرين، وتحجز صاحبَها عن دِماء المعصومين من المسلمين وغير المسلمين، وتصون أموالَهم مِن الدّمار والهلاك، وتحثّ على فِعل الخيراتِ ومجانبَة المحرّمات.

ما أحوجَ الناسَ إلى التخلُّقِ بالرّحمة في هذا العصرِ الذي غاضَت فيه الرّحمة إلاّ مَن شاء الله، وغلبَت فيه الأهواء، وأُعجِب فيه كلّ ذِي رأيٍ برأيه، ولم يحتكِم إلى الكتاب والسنّة، ولم يراجِع في آرائه الرّاسخين في العِلم.

من أوجه رحمة الله بعباده:

إن رحمة الله عز وجل بعباده، تأتي على أوجه، لا يمكن حصرها، ولكن سأضرب لها أمثلة، فيما يلي:

من رحمته أنْ تكفّل برزق عباده:

فتكفل ﷻ برزق عباده، ولم يَكِل أحدًا إلى أحد، وإنما تكفّل برزق الجميع، فلا الأولاد وُكِلُوا لآبائهم، ولا الآباء لأولادهم، بل الجميع تحت

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٧ رقم ٢٨٦٥).

فضله وكرمه وإحسانه، كما قال ﷻ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

من رحمته أن سَخّر لنا ما في السماء والأرض جميعًا منه:

لقيام مصالح حياتنا وانتظام معيشتنا، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

ومن رحمته أن بعث الرسل:

فمن أعظم أبواب رحمة الله ﷻ بخلقه أن بعث الرسل مبشّرين ومنذرين، يُعَرّفون العباد ربَّهم، ويدعون العبادَ إلى عبادة الله وإخلاص الدين لله، ويعلمونهم الحق، ويحذّرونهم من سبيل الباطل والضلال، ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾[4].

ومن رحمته بنا أن بعث فينا سيدَ الأولين والآخرين:

فرسالة النبي محمد ﷺ رحمةٌ لعموم العالمين، والكتاب الذي أَنزَل عليه

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٠.

(٢) سورة هود: الآية ٦.

(٣) سورة الحج: الآية ٦٥.

(٤) سورة الكهف: الآية ٥٦.

نذيرٌ للعالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[(١)].

فَرَحِم الله البشرية كلها بمبعث هذا النبي الكريم الذي جعل الله رسالته رسالة عامة لكل الثَّقَلَين منذ بُعِث إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[(٢)].

وكان الأنبياء عليهم السلام يُبعثون إلى قومهم خاصة، وبُعِث محمد ﷺ إلى الناس عامة، فيقول: «**وكان النبي يُبعَث إلى قومه خاصة، وبُعِثتُ إلى الناس عامة**»[(٣)]، صلوات الله وسلامه عليه أبدًا دائمًا إلى يوم الدين.

ومن رحمة الله بالعباد إنزال الشريعة:

وهي هذه الشريعة الكاملة في مبادئها ونُظُمِها وقِيَمها وأخلاقها، فهي شريعة كاملة شاملة صالحة ومُصْلِحة لكل زمان وجيل من الناس: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[(٤)].

فرحمنا الله سبحانه وتعالى بهذه الشريعة الشاملة العامّة التي وضع الله فيها الآصَارَ والأغلالَ التي كانت على من قبلنا، يقول الله في وصف نبيه ﷺ: ﴿وَيَضَعُ

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٢٨، رقم ٣٢٨)، ومسلم (١/ ٣٧٠، رقم ٥٢١).

(٤) سورة المائدة: الآية ٣.

﴿عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾(١)، فهي شريعة مبنيّة على اليُسر والتسهيل: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(٢).

وقال ﷺ: «**ادعوا الناس وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا**»(٣).

وفي الحديث: «**إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**»(٤).

ومن رحمته قبوله للتوبة:

قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٥)، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، كل هذا رحمة منه بعباده، ينزل في الثلث الأخير من الليل فينادي: «**هل من سائل فيُعطَى سُؤلَه؟ هل من مستغفر فيُغفَر له؟ هل من تائب فيُتاب عليه**»(٦).

ومن رحمته ستره على عبده يوم القيامة:

في يوم القيامة يُؤتَى برجل فيُؤتَى بتسعة وتسعين سِجِلاًّ، كل سِجِلٍّ مَدّ البصر، يقال له: أتنكر من هذا شيئًا؟ فيقول: لا. فيقال: أَظَلَمَك الكرامُ

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٨٦، رقم ١٧٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٨٩، رقم ٢١٧).

(٥) سورة الزمر: الآية ٥٣.

(٦) أخرجه مسلم (١/ ٥٢٣، رقم ٧٥٨).

الكاتبون؟ فيقول: لا. فيظن الرجل أنه هلك، فيقال: لا ظلم. فيُؤتَى ببطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، فتوضع البطاقة في كِفّة، والسِّجلاّت في كِفّة، قال: فطاشَتِ السِّجِلاّت، وثقلت البطاقة [(١)]. وهكذا يرحم الله سبحانه وتعالى عبده بكلمة إيمان قالها صادقا.

ومن رحمته أنه يجيب دعاء المضطر:

وهو القائل: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [(٢)].

سعة رحمة الله وشمولها:

إن رحمة الله سبحانه وتعالى رحمة واسعة، رحمة شاملة، رحمة للمؤمن في الدنيا والآخرة، ورحمة لغير المؤمن في الدنيا، إذ يتمتّع فيها بالملذّات ويُمهل للتوبة، فإن مات على غير إيمانه فلا نصيب له في الآخرة، أما المؤمن فرحمة الله عليه في الدنيا والآخرة: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [(٣)].

وفي عهد النبي ﷺ وقد وقع سبي من الكفار فجاءت امرأة تبحث عن صبي لها، فوجدته فألصقته ببطنها، ووضعت ثديها في فمه، فقال النبي ﷺ:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٧ رقم ٤٣٠٠)، والحاكم (١/ ٧١٠، رقم ١٩٣٧) وقال: صحيح الإسناد. والترمذي (٥/ ٢٤، رقم ٢٦٣٩) وقال: حسن.

(٢) سورة النمل: الآية ٦٢.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

«**أترون هذه تلقي ولدها في النار؟**» قالوا: لا. قال ﷺ: «**لله أرحم بعبده من هذه بولدها**»[(١)].

الحث على اتصاف العبد بالرحمة مع جميع الخلق:

إن رحمة الله ينالها العبدُ إذا أخذ بأسباب الرحمة، ومن أسباب الرحمة رحمتُك بعباد الله، ففي الحديث عنه قال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يَرْحَمْكُم من في السماء**»[(٢)]، فالذين يرحمون عباد الله يرحمهم الله، والذين يرحمون أهل الأرض يرحمهم مَن في السماء، جزاءً على قدر أعمالهم الصالحة.

وأخبر أن هذه الرحمة لا تُنتَزع إلا من شقيّ، فقال ﷺ: «**لا تُنْزَع الرحمةُ إلا من شقي**»[(٣)]، وأخبرنا خبرًا صادقًا أن الله يرحم الرحماء من عباده، فيقول

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٥، رقم ٥٦٥٣)، ومسلم (٤/ ٢١٠٩، رقم ٢٧٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٨٥، رقم ٤٩٤١)، والبيهقي (٩/ ٤١، رقم ١٧٦٨٣)، وأحمد (٢/ ١٦٠، رقم ٦٤٩٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (٧/ ١٩٤)، والترمذي (٤/ ٣٢٣، رقم ١٩٢٤) وقال: حسن صحيح. والحاكم (٤/ ١٧٥، رقم ٧٢٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٧٦، رقم ١١٠٤٨). وأخرجه أيضًا: الحميدي (٢/ ٢٦٩، رقم ٥٩١)، والديلمي (٢/ ٢٨٨، رقم ٣٣٢٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠١، رقم ٧٩٨٨)، وأبو داود (٤/ ٢٨٦، رقم ٤٩٤٢)، والترمذي (٤/ ٣٢٣، رقم ١٩٢٣) وقال: حسن. وابن حبان (٢/ ٢١٣، رقم ٤٦٦)، والحاكم (٤/ ٢٧٧، رقم ٧٦٣٢) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٨/ ١٦١، رقم ١٦٤٢٠) والطيالسي (ص ٣٣٠، رقم ٢٥٢٩)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢١٤، رقم ٢٥٣٦٠)، وأبو يعلى (١٠/ ٥٢٦، رقم ٦١٤١)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٥٤، رقم ٢٤٥٣)، والخطيب (٧/ ١٨٣).

ﷺ: «**إنما يرحم اللهُ من عباده الرحماءَ**» [١]، ويقول ﷺ: «**من لا يَرْحَمِ الناس لا يرحمه الله**» [٢]، فالقاسية قلوبُهُم الذين لا خير فيهم يفوتهم هذا الفضل العظيم، فلما قست قلوبهم لم يستحقوا الرحمة.

أولى الناس بالرحمة:

الرحمة بنفسك:

فارحمها بأن تنقذها من عذاب الله، وتسعى في فكاكها من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بطاعتك لربك، وقيامك بما أوجب عليك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [٣].

ويقول ﷺ: «**كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو مُوبِقُها**» [٤]، فارحم نفسك من عذاب الله، قِها عذاب الله بطاعتك لربك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [٥].

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ٨٨، رقم ٦٣٦)، وأحمد (٥/ ٢٠٤، رقم ٢١٨٢٤)، وأبو داود (٣/ ١٩٣، رقم ٣١٢٥)، والنسائي (٤/ ٢١، رقم ١٨٦٨)، وابن ماجه (١/ ٥٠٦، رقم ١٥٨٨)، وابن حبان (٢/ ٢٠٨، رقم ٤٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٨٦، رقم ٦٩٤١)، ومسلم (٤/ ١٨٠٩، رقم ٢٣١٩).

(٣) سورة الشمس: الآيتان ٩ – ١٠.

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٣، رقم ٢٢٣).

(٥) سورة التحريم: الآية ٦.

الرحمة بالوالدين:

فهما السبب في وجودك بعد الله، ترحمهما رحمة صادقة، تتذكّر أفعالهما الجميلة، وسيرتهما الفاضلة، وتلكم الليالي والأيام التي أمضياها في الإحسان إليك وتربيتك وتهذيبك والإنفاق عليك، فترحم الأمَّ، وترحم الأبَ، ولاسيما عند ضعف القوة وقلّة النشاط والعجز عن الحركة، فهنا يبرز ذَوُو الفضائل، وهنا يكون المَعْدَنُ الصادق، قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[1].

ترحم الأمَّ دائمًا وخاصة عند كبر سِنّها وعجز قوّتها، فالخطاب طيّب، والسمع والطاعة والخدمة والنفقة وبذل المعروف.

ترحم الأبَ دائمًا وخاصة عند عجزه وضعفه وقلّة حيلته، فتُحسِن إليه كلامًا طيبًا وخدمة وإحسانًا ورِفقًا وقيامًا بالواجب.

الرحمة بالأبناء:

فترحم أبناءك من بنين وبنات، رحمة لهم تتمثّل في الإنفاق عليهم، والإحسان إليهم، رحمة تتمثّل في تربيتهم وتوجيههم والعقد على أيديهم، وتحذيرهم سُبُلَ الرَّدَى والفساد، فتلك الرحمة الحقيقية لهم، ليست الرحمة بمجرد إعطائهم مَلذّاتهم، وتمكينهم من شهواتهم، هذه رحمة ضعف وخَوَر، إنما الرحمة الصادقة هي الرحمة المشتملة على كل الخير، فمن باب النفقة

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان ٢٣ – ٢٤.

والإحسان يرحمهم فيحسن إليهم، ويعطف عليهم، ويعاملهم بالحسنى، ولكن مع هذا يرحمهم بتربيتهم وتوجيههم، والأخذ على أيديهم، وتبصيرهم بطرق الهدى، وتحذيرهم من سُبُلِ الفساد والرَّدَى، فتلك التربية النافعة التي تجد لذّتَها في حياتك وبعد موتك.

وفي الحديث قال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**»، ذكر منهم: «**ولدًا صالحًا يدعو له**»(١)، فالولدُ إذا رُبِّيَ على الخير والتُّقى، والفتاةُ إذا رُبِّيَت على العِفّة والصيانة نشأ الجميع على خير، وتذكّروا للأبوين تلك السيرة الفاضلة والخُلُق الجميل.

رحمة منك للصغار من الأطفال، فترحمهم بالإحسان إليهم، قَبَّل النبيُّ ﷺ الحسنَ بن علي ابن ابنته ﭫ، فقال له رجل من الأعراب: أتقبّلون أبناءكم؟! فنظر إليه النبي ﷺ وقال: «**من لا يَرْحَم لا يُرْحَم**»(٢).

وقال ﷺ لآخر: «**ما أملك أن نزع اللهُ الرحمةَ من قلبك**»(٣).

وكان رحيمًا رفيقًا بالأطفال، كان ﷺ يصلي وبنت ابنته أُمَامَة بنت زينب ﭫ تكون معه، إذا سجد وضعها، وإذا قام رفعها. ويأتي الحسن والحسين ﭫ فيصعدان على ظهره وهو ساجد فينتظرهما حتى ينزلا، كل هذا رحمة بالصغار، صلوات الله وسلامه عليه أبدًا دائمًا إلى يوم الدين.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٢٥٥، رقم ١٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٩، رقم ٥٦٦٧)، ومسلم (٤/ ١٨٠٩، رقم ٢٣١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٥، رقم ٥٦٥٢)، ومسلم (٤/ ١٨٠٨، رقم ٢٣١٧).

إن رحمتك لأولادك تكون بتربيتهم وتوجيههم ودعوتهم إلى الخير، وحثّهم على احترام الصغير للكبير، ورحمة الكبير للصغير، تسعى في جمع كلمتهم، وتوحيد صفّهم، ينظرون إليك أنّك الأب الرحيم العادل، والأب الذي لا يفرّق بين ذا وذاك.

الرحمة بالزوجة:

ترحم الزوجة فتُحسن إليها، وتُحسن عشرتها، وترحمها بأمرها بالخير، وحثّها على الخير، وتوجيهها للخير، فليس عندك جَفَاء ولا غِلْظة، ولا قُبْح قول ولا سوء معاملة، ولكن حكمة ورفق وأمر بخير وتحذير من شر، وقد جعل النبي ﷺ خيرية الإنسان بمعايير منها الخيرية للأهل، وأولهم الزوجة، فقال النبي ﷺ: « **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» [(١)].

الرحمة بالأرحام:

فتصلهم بما تستطيع، فقير تواسيه، وغنيّ تزوره، وآخر تحسن إليه، وهكذا رحمتك لرحمك، «**فإن الرحم معلقة بالعرش تقول: يا رب، أنت الرحمن وأنا الرحم. يقول: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ فتقول: نعم. فيقول: ذلك لك**» [(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٧٠٩ ، رقم ٣٨٩٥) وقال : حسن غريب صحيح . وابن حبان (٩/ ٤٨٤ ، رقم ٤١٧٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤١٥ ، رقم ٨٧١٨) . والدارمي (٢/ ٢١٢ ، رقم ٢٢٦٠) .

(٢) البخاري (٥/ ٢٢٣٢ ، رقم ٥٦٤١) ، ومسلم (٤/ ١٩٨٠ ، رقم ٢٥٥٤).

الرحمة بالضعفاء:

فترحم اليتيم رحمة تحملك على العطف عليه، والإحسان إليه، وتفقّد أحواله، والسعي فيما يصلح دينه ودنياه. وترحم المريض والعاجز بمساعدته وإعانته وتيسير مهمّته.

الرحمة بالمحتاج:

فترحم المَدِين الذي أثقلته الديون، ولازمته الهموم والغموم، فتُضَمّد جراحه، وتعينه على نوائبه، وتسعى في فكاك دَينه، وتُيسّر له عُسره، وتُنظِرَه إن كنت صاحب الحق، وتعين على إنظاره إن لم تكن صاحب الحق. ترحم هذا المَدِين الذي إن خرج رأى الناس وهم يطالبونه، فليله ونهاره في هَمّ وغَمّ وبلاء. قال النبي ﷺ: « **أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً فقال له ماذا عملت في الدنيا فقال ما عملت من شيء يا رب إلا أنك آتيتني مالاً فكنت أبايع الناس وكان من خلقي أن أُيَسِّر على المُوسر وأَنْظِر المُعْسِر قال الله أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدي** »[1].

الرحمة بالعاصي المخالف للشريعة:

ترحمه فَتَذَكّر أنه ضَعُف أمام تسلّط العدو عليه، ذلكم العدو الذي هو عدوه وعدو أبيه قبله، يجري من ابن آدم مجرى الدم، ترحم هذا المسكين الذي زلّت به القدمُ فوقع في الرذائل، زلّت به القدمُ فانحرف سلوكه، زلّت به القدمُ فابْتُلِي بأصحاب سوء وعُشَرَاء سوء ودعايات مضلّلة وأفكار سيئة.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١١٩٥ ، رقم ١٥٦٠) .

وترحم أولئك الذين وقعوا في شَرَكِ المخدرات، فأفسدت عقولهم، وغيّرت مزاجهم، وأصبحوا أعضاء مشلولين في مجتمعاتهم، ترحم أولئك فترحم أطفالهم الصغار، وترحمهم بالإحسان إليهم، وترحم هذا المسكين فتنصحه وتدعوه إلى الله. إن أهل المعاصي يرحمهم المسلمون رحمة تقتضي دعوتهم إلى الخير وتحذيرهم من الشر، والأخذ على أيديهم، وإقامة حدود الله عليهم، فبهذا رحمة تخفّف إجرامهم، وتقلّل من ذنوبهم وأوزارهم.

محمد ﷺ أرحم الخَلْق بالخَلْق.

فالرحمة على أهل هذه المعاصي، تنظر إليهم بعين الرحمة أنهم ضعفوا أمام هذا العدو، تسلّط عليهم هذا العدو، فترحمهم بالنصيحة والتوجيه والدعوة إلى الخير والتحذير من أسباب الشر، ترحمهم فتأخذ على أيديهم، ويرحمهم ذو الشأن فيقيم عليهم حدود الله والتعزيرات الرادعة التي تردّهم إلى الصواب، وتُنقِذُهم من الضلال، فإن حدود الله رحمة للعباد، بها تصلح العباد، ويستقيم حالهم: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

فالرحمة بأهل المعاصي لا تقتضي التغاضي عنهم ولا تجاهل حالهم، ولا تقتضي مجرد النفور عنهم، لا إن الرحمة بهم هي أن تحاول إصلاح أخطائهم، وتقويم ما اعوج من سلوكهم، لإنقاذهم مما هم فيه من الضلال والعصيان الذي يعرضهم لسخط الله ﷻ، والنظر إليهم بعين الرحمة، ثم بعين العدل في

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

عقوبتهم، وذلك بإقامة حدود الله عليهم ليرتدعوا؛ قال الله ﷻ: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1].

إن محمدًا ﷺ أعظم الناس غَيْرة على محارم الله، ومع هذا كله فهو أرحم الناس حتى بالعصاة والمذنبين. أُتِيَ برجل كان يشرب الخمر مرارًا، فقال رجل: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به! فقال: «**لا تعينوا الشيطان عليه، لا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه**»[2]، وقال مرة ﷺ: «**إنه يحب الله ورسوله**»[3].

القسوة والعقوبة قد تكون من صور الرحمة

يجب أن ندرك مع ما سبق أن الرحمة الحقّة قد تأخذ طابع القسوة أحيانًا، وهي ليست كذلك، فالأطفال عندما يساقون إلى المدارس كرهًا ويُحفَّظون الدروس زجرًا، ولو تُرِكوا وأهواءَهم لقتلهم اللهو واللعب، وعندما يؤدبون على الخطيئة أو ينهوا من قبل آبائهم وأمهاتهم عما تميل إليه نفوسهم وفيه ضرر عليهم إنما هو رحمة من الوالدين، وكذلك الطبيب عندما يجري جراحة بالجسم فيمزق اللحم، وقد يضطر لتهشيم العظام أو بترها، وما يفعل ذلك إلا رحمة بالمريض.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٧/ ٣٧٠ ، رقم ١٣٥١٩) ، وأحمد (١/ ٤١٩ ، رقم ٣٩٧٧) ، والطبراني (٩/ ١١٠ ، رقم ٨٥٧٤) ، قال الهيثمي (٦/ ٢٤٧) : رجاله ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه . وقال في (٦/ ٢٧٥) : رواه كله أحمد وأبو يعلى باختصار المرأة وأبو ماجد الحنفي ضعيف . والحاكم (٤/ ٤٢٤ ، رقم ٨١٥٥) ، وقال : صحيح الإسناد. والبيهقي (٨/ ٣٣١ ، رقم ١٧٣٩٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٨٩ ، رقم ٦٣٩٨) .

فليست الرحمة حنانًا لا عقل فيه، أو شفقة تتنكّر للعدل والنظام، وإنما هي عاطفة ترعى الحقوق جميعها لكل المجتمع، فمنظر الإنسان وهو يقتصّ منه قد يستدرّ العطف، وقد يدعو هذا بعض الناس للمطالبة بتخفيف العقوبة، أو إيقاف الحدود، ولكن لو أجيبت هذه العاطفة السريعة وأطلق سراح القاتل لامتلأت الأرض فوضى وفسادًا، ولذا قال الله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، والمسلم يسرّ ويفرح عند سماعه إقامة الحدود.

تحقيق الرحمة:

إنّ الرحمةَ هيَ الإحسانُ إلى النّفسِ بالقِيام بفرائضِ الله والابتعادِ عن محرّماته، والإحسانُ إلى الخلقِ بفعل أنواعِ الخير الذي ينفَع العبادَ ويُصلِح البلاد، وكفُّ الأذى والشرّ، فمن اتَّصف بهذا أدخَله الله في رحمتِه وبوّأه جنّتَه وأصلح له شأنَه كلَّه، قال الله ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٦ – ١٥٧.

حقيقة الرحمة وثمارها:

إن الرحمة تثمِر الألفةَ والمحبّة بين الخلق لما تنشره بينهم من التعاطف، وهي سعادةٌ في القلب وطريق إلى الجنة، كما قال النبي ﷺ: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطانٍ مقسِط متصدِّق موفَّق، ورجل رحيم رقيقُ القلب لكلّ ذي قربى ومسلم، وضعيف متعفِّف ذو عيال**»(١).

والرّحمة ترقِّق القلب، فيرحمُ مَن دونَه حتى البهائم والطيور، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجتِه، فرأينا حمَّرَةً معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمَّرة فجعلت تفرِّش، فجاء النبيّ فقال: «**من فجع هذه بولدِها؟ ردُّوا ولدَها إليها**»(٢).

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: دخل النبيّ ﷺ حائطًا لرجلٍ من الأنصار، فإذا جملٌ فلمّا رأى النبيَّ ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبيّ ﷺ فمسح ذِفراه فسكت، فقال: «**من ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟**» فجاء فتًى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: «**ألا تتَّقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟! فإنّه شكا إليّ أنّك تجيعه وتُدئبه**(٣)»(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣/ ٥٥، رقم ٢٦٧٥).

(٣) **تدئبه**: أي تشق عليه في العمل.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ١٠٩، رقم ٢٤٨٥) وقال: صحيح الإسناد. وأبو عوانة (١/ ١٦٨، رقم ٤٩٧).

ومَع أنَّ رحمة الخَلقِ جالبة لرحمة الله للعبد، ففي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمْكم من في السماء**»(١).

والرحمة صفة هذه الأمة، وتشملهم جميعًا، كما قال ﷺ: «**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفِهم كمثل الجسد؛ إذا اشتكى عضو تداعى سائر جسده بالسهر والحمى**»(٢).

الرحمة تحصل بحسب الهداية:

الرحمة تحصل للمؤمنين المهتدين بحسب هُداهم، فكلما كان نصيب العبد من الهدى أتمّ كان حظه من الرحمة أوفر، فبرحمته سبحانه شرع لهم شرائع الأوامر والنواهي، بل برحمته جعل في الدنيا ما جعل من الأكدار حتى لا يركنوا إليها فيرغبوا عن نعيم الآخرة.

وأرسل نبيه محمداً ﷺ بالرحمة، فهو نبي الرحمة للعالمين أجمعين، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(٣)، بعثه ربه فسكب في قلبه من العلم والحلم، وفي خُلُقه من الإيناس والبر، وفي طبعه من السهولة والرفق، وفي يده من السخاوة والندى ما جعله أزكى عباد الرحمن رحمة، وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدراً.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٨، رقم ٥٦٦٥)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٦).

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

قال الله ﷻ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١)، وقال ﷻ : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢).

والإسلام رسالة خير وسلام ورحمة للبشرية كلها، دعا إلى التراحم، وجعل الرحمة من دلائل كمال الإيمان، فالمسلم يلقى الناس وفي قلبه عطفٌ مدخور، وبرّ مكنون، يوسع لهم، ويخفف عنهم، ويواسيهم، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن تؤمنوا حتى تراحموا**»، قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم، قال: «**إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة**» (٣).

❁ ❋ ❁ ❋ ❁

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٣) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٨/ ٣٠) ، وقال الهيثمي : فيه عبد الله بن صالح ، وقد وثق وضعفه جماعة . وأخرجه الحاكم (٤/ ١٨٥ ، رقم ٧٣١٠) ، وقال : صحيح الإسناد .

أدب الرفق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فهذا موضوعٌ أخلاقيٌّ عظيمٌ من الأخلاق الفاضلة التي حث عليها الإسلام حثًّا شديدًا كما سيتبين معنا إن شاء الله في طيات الآيات والأحاديث، وهو موضوع الرفق، الذي بلغ من الأهمية أنه يدخل في أعمال كثيرة من الأعمال التي يقوم بها الإنسان المسلم، ، بل إنه يدخل في أبواب عظيمة من أبواب الإسلام.

تعريف الرفق:

الرِّفْقُ فِي اللُّغَةِ: لِينُ الْجَانِبِ، وَلَطَافَةُ الْفِعْلِ، وَإِحْكَامُ الْعَمَلِ، وَالْقَصْدُ فِي السَّيْرِ[١]. وَالرِّفْقُ يُرَادِفُهُ الرَّحْمَةُ، وَالشَّفَقَةُ، وَاللُّطْفُ، وَالْعَطْفُ، وَيُقَابِلُهُ الشِّدَّةُ، وَالْعُنْفُ ، وَالْقَسْوَةُ وَالْفَظَاظَةُ .

وَلاَ يَخْرُجُ الْمَعْنَى الاِصْطِلاَحِيُّ لِلرِّفْقِ عَنْ مَعْنَاهُ اللُّغَوِيِّ[٢].

---

(١) الصحاح واللسان والمصباح مادة : (رفق) ، المغرب وأساس البلاغة مادة : (رفق)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤١٨)، والقاموس (٣/ ٢٣٦).

(٢) فتح الباري ١٠ / ٤٤٩ ط الرياض ، ودليل الفالحين لابن علان (٣/ ٨٩).

قال العسكري[١]: «والرفق هو اليسر في الأمور والسهولة في التوصل إليها وخلافه العنف وهو التشديد في التوصل إلى المطلوب، وأصل الرفق في اللغة النفع، ومنه يقال: «أرفق فلان فلانا» إذا مكنه مما يرتفق به، ومرافق البيت المواضع التي ينتفع بها زيادة على ما لابد منه».

وقال الغزالي: «اعلم أن الرفق محمود، ويضاده العنف والحدة؛ والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة؛ وقد يكون سبب الحدة الغضب، وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه، بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت؛ فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة، وحفظهما على حد الاعتدال»[٢].

فضل الرفق وأهميته:

إن الرفق نعمة عظيمة من نعم الله ﷻ، من أعطاه الله إياها، فقد فاز بخيرٍ عظيمٍ في الدنيا والآخرة، ويتبين هذا الفضل مما يلي:

١- الله ﷻ رفيق يحب الرفق:

فهو من أسماء الله ﷻ، فقد سماه به النبي ﷺ علي سبيل الإطلاق مرادا به العلمية ودالا على الوصفية في بعض النصوص النبوية، وقد ورد المعنى محمولا

---

(١) الفروق اللغوية (ج ١ / ص ٢٥٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ١٨١).

عليه مسندا إليه ، كما قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال: « **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ** »(٢).

٢- الرفق صفة نبوية:

امتن الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ بأنه رفق ولان لإخوانه المسلمين، فجمعهم الله سبحانه وتعالى على رسوله بهذا الرفق وبهذا اللين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾(٣)، قال ابن كثير رحمه الله: «أي لو كنت سيئ الكلام، قاسي القلب عليهم، لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم»(٤).

٣- الرفق أصل في الإسلام:

الإسلامُ هُوَ دينُ اليُسرِ والرِّفقِ واللِّينِ والرَّحمةِ، فقد جمعَ اللهُ تعالى في هذه الشريعةِ الإسلاميةِ بين كونها حنيفيَّةً خالصةً وبين كونِها سمحةً سهلةً؛ فهي حنيفيَّةٌ في التوحيدِ والقصدِ، سمحةٌ في العملِ والعبادةِ. قال اللهُ سبحانه وتعالى في صفةِ نبيِّ الأمَّةِ ﷺ : ﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا**

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٧ ، رقم ٢٤١٣٦) ، والبخاري (٦/ ٢٥٣٩ ، رقم ٦٥٢٨) ، ومسلم (٤/ ١٧٠٦ ، رقم ٢١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٤٩ ، رقم ٦٠٣٢) .

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٣٩ ، رقم ٦٥٢٨) ، ومسلم (٤/ ١٧٠٦ ، رقم ٢١٦٥).

عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١].

فهذه الآيةُ الكريمةُ من أقوى الأدلَّةِ على أنَّ شريعةَ المصطفى أسهلُ الشرائع، وأنَّه وضعَ عن أمَّتِه كلَّ ثقيلٍ كان في الأمَمِ السابقةِ، فكانت هذه الأمَّةُ أمَّةً وسَطًا، أُريدَ بها اليُسرُ.

قال ابنُ كثيرٍ ﷺ: «إنَّ النبيَّ جاءَ بالتيسيرِ والسماحةِ والرِّفقِ، وقد كانت الأممُ التي قبلنا في شرائعِهم ضيقٌ عليهم، فوسَّعَ اللهُ على هذه الأمَّةِ أمورَها وسهَّلَها لهم»[٢].

٤- دعاء النبي ﷺ للرفقاء:

فدعوة الرسول ﷺ مستجابة في حق كل من رفق بالأمة أن يرفق الله تعالى به ويحفظه، وفي حق كل من شق على الأمة وضايقها في دينها ودنياها وأمنها واقتصادها وإعلامها وغير ذلك، أن الله تعالى يشق عليه، ويسلط عليه.

قال ﷺ : «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**»[٣].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٢٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٥٨ ، رقم ١٨٢٨) .

قال المناوي [١]: «وقد استجيب فلا يرى ذو ولاية جار إلا وعاقبة أمره البوار والخسار».

ولا يشترط أن يكون المقصود من الحديث الخليفة أو الحاكم، بل يمكن أن يكون المقصود به أدنى منه بكثير، من ولي أمر رجل واحد من المسلمين، يجب عليه أن يرفق به، فما بالك بالذي يلي أمر اثنين، أو ثلاثة، أو عشرة، أو مجموعة من البشر.

فالمدير في مدرسته، والوزير في وزارته، وكل صاحب سلطان وولاية، وكل صاحب أسرة يجب أن يرفق بمن تحت يديه، وبمن هو مسئول عنه، وإلا فإن الله سيشق عليهم يوم القيامة، وفي الدنيا أيضاً، فالدعاء عام.

٥- الرفق خير من العنف:

فلذلك روى الإمام مسلم رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **« إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ »**[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: «يعني: أن الرفق يتأتى معه من الأمور ما لا يتأتى مع ضده، تأتيك بالرفق أشياء، وتنفتح لك مغاليق أمورٍ لا تنفتح لك بغير الرفق مطلقاً»[٣].

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوي – (ج ١ / ص ٤١٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فتح الباري (١٠/ ٤٤٩).

وهذه المقارنة في الحديث بين الرفق والعنف هي في مجال الخير، كالتربية مثلا أو الأمر بالمعروف، فحتى لو أثمر العنف نتيجة ظاهرها الخير فإن الرفق يبقى مؤثرا في النفوس أكثر، وعليه الأجر مما لا يؤجر على العنف[1].

٦- الرفق خير رزق للمرء:

ولذلك يقول ﷺ مبينًا الأثر السلبي والدرجة التي يكون عليها الرجل العنيد الذي حرم الرفق بقوله ﷺ في الحديث الصحيح: « **مَن أُعطِيَ حَظَّهُ مِن الرِّفق فقد أُعْطِيَ حَظَّهُ مِن الخَيرِ ، وَمنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِن الرِّفق ، فقد حُرِم حَظَّهُ من الخير**»[2]. إذا لم يوجد رفق يعني: لا يوجد خير، هكذا بهذه البساطة.

٧- الرفق من محبة الله للعبد:

عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ**»[3].

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٦٤)، وشرح صحيح مسلم للنووي(١٦/ ١٤٥)، فتح المنعم على صحيح مسلم (١٠/ ٧٤)، والمعلم بفوائد مسلم (٨/ ١٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٥١ ، رقم ٢٧٥٩٣) ، والترمذي (٤/ ٣٦٧ ، رقم ٢٠١٣) وقال : حسن صحيح . والبيهقي (١٠/ ١٩٣ ، رقم ٢٠٥٨٧) .

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٧١ ، رقم ٢٤٤٧١)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح. والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤١٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٥٣، رقم ٦٥٦٠) ، وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (٢/ ٤٠٤ ، رقم ١٩٦٥) ، والحافظ في مختصره (٢/ ١٩١ ، رقم ١٦٧٥)، من حديث جابر رضي الله عنه، وقال : قال البزار : إسناد حسن . وقال الهيثمي (٨/ ١٩) : رجاله رجال الصحيح . وصححه الألباني ، انظر حديث رقم : ٣٠٣ في صحيح الجامع .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا أُعْطِيَ أَهْلُ بَيْتٍ الرِّفْقَ إِلاَّ نَفَعَهُمْ**»(١).

٨- **من حرم الرفق حرم الخير:**

عن جرير رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «**مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الْخَيْرَ أَوْ مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ**»(٢). أي: يحرم قدرًا كبيرًا من الخير (٣). أي: يحرم خير العمل الذي استخدم فيه العنف، وانعدم فيه الرفق، وذلك لأن أسلوب العنف أسلوب لا يأتي بخير (٤).

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ**»(٥). (شانه) أي: عابه. ففي هذا الحديث الحث على أن يكون الإنسان رفيقًا في جميع شئونه، رفيقا في معاملة أهله وأبنائه، وفي معاملة إخوانه، وفي معاملة أصدقائه وزملائه، وفي معاملة عامة الناس، وأن يرفق بهم، فإن الله سبحانه وتعالى رفيق يحب الرفق .

---

(١) أخرجه الطبراني (١٢/ ٣٣٠ ، رقم ١٣٢٦١) قال الهيثمي (٨/ ١٩) : رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج السامي ، وهو ثقة ، وصححه الألباني انظر حديث رقم : ٥٥٤١ في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٣، رقم ٢٥٩٢).

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (١٠/ ٧٣).

(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها (٢/ ٣٥٣، و٣٥٤).

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٤ ، رقم ٢٥٩٤) .

٩- الرفق فوز ومنجاة في الآخرة:

قال النبي ﷺ: «**أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**»(١). يرحم عباد الله، يرحم الفقراء والعجزة والصغار وكل من يستحق الرحمة، رقيق القلب ليس قلبه قاسيًا، لكل ذي قربى ومسلم، وأما للكفار فإنه غليظ عليهم هذا أيضا من أهل الجنة أن يكون الإنسان رقيق القلب يعني فيه لين وفيه شفقة على كل ذي قربى ومسلم.

وقال النبي ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يُحَرَّمُ عَلَى النَّارِ ؟ أَوْ بِمَنْ تُحَرَّمُ عَلَيْهِ النَّارُ ؟ قَالَ : كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ ، قَرِيبٍ سَهْلٍ** »(٢). قال في «النهاية»: «المسلمون هينون لينون» وهما بالتخفيف قال ابن الأعرابي: «العرب تمدح بالهيِّن اللين مخففين وتذم بهما مثقلين وهين: أي بالتشديد (فيعل) من الهون وهو السكينة والوقار والسهولة فعينه واو، وشيء هين لين أي أسهل» (٣).

لذلك قال قيس بن أبي حازم: «كان يقال: من يعط الرفق في الدنيا نفعه في الآخرة»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٧ رقم ٢٨٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٥٤، رقم ٢٤٨٨) وقال : حسن غريب . والطبراني (١٠/ ٢٣١ ، رقم ١٠٥٦٢) ، وابن حبان (٢/ ٢١٦ ، رقم ٤٧٠) . وأخرجه أيضًا : هناد (٢/ ٥٩٦ ، رقم ١٢٦٣) .

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (ج ٥ / ص ١٠٨).

(٤) أخرجه وكيع في الزهد (٣/ ٧٧٧)، ورجاله ثقات وإسناده صحيح.

حث الإسلام على الرفق واللين:

اللِّينُ والرِّفقُ واليُسْرُ وَالسَّمَاحَةُ مِنَ الخِصَالِ الحَمِيدَةِ وَالصِّفَاتِ النَّبِيلَةِ التي جاءَ الإِسْلاَمُ بالحَثِّ عَلَيْهَا وَالدَّعْوَةِ إِلَى التَّحَلِّي بِهَا، وَالثَّنَاءِ عَلَى أَهْلِهَا وَالقَائِمِينَ بِهَا، فإنها أَساسُ المَحَبَّةِ والتَّعَاطُفِ بَيْنَ النَّاسِ جميعًا، وَجَالِبَةُ السَّمَاحَةِ وَالمَودَّةِ فِي التَّعَامُلاَتِ الإنسانية، وَدَلِيلُ كَمَالِ الإِيمَانِ وَحُسْنِ الإِسْلاَمِ، وَعُنْوَانُ فَلاَحِ العَبْدِ وَسَعَادَتِهِ فِي الدَّارَيْنِ، وَصَلاَحِهِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ مَعَ الآخَرِينَ، وَسَبَبٌ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ رَحْمَةِ الله ﷻ للعِبَادِ، قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»(١).

وقد يثار هنا سؤال وهو: إن كان الرفق فضيلة بين العنف واللين، فلماذا يحث الإسلام على الرفق بهذا الشكل، محذرًا من العنف، رغم أن العنف في مواضعه مستحسن.

ويجيب على ذلك الغزالي قائلا: «المحمود –أي من الرفق– وسط بين العنف واللين، كما في سائر الأخلاق؛ ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف، وإن كان العنف في محله حسنًا، كما أن الرفق في محله حسنٌ، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى، وهو ألذ من الزُّبْد بالشهد وهكذا»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٤٣١، رقم ١٢٢٤)، ومسلم (٢/ ٦٣٥، رقم ٩٢٣).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ١٨٢).

أهمية الرفق في التعامل مع الناس وفي الدعوة إلى الله تعالى:

إِنَّ التيسيرَ والرِّفقَ في الإسلامِ سمَةٌ عَظِيمَةٌ ظاهرةٌ، تتجلَّى في عقائدِه وعباداتِه ومعاملاتِه وأخلاقِه، وفي الصَّحِيحِ أَنَّهُ ﷺ مَا خُيِّرَ بينَ أمرينِ إلاَّ اختارَ أيسرَهما ما لم يكن إثمًا (١).

وَعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»** (٢). والمعنى: النَّهيُ عن التشديدِ في الدينِ بأن يُحمِّلَ الإنسانُ نفسَه من العبادةِ ما لا يحتملُهُ إلاَّ بكُلْفَةٍ شديدةٍ، فالدينُ لا يؤخذُ بالْمُغَالبَةِ، بل باللين والمداومة على العمل وإن قل.

وقد قال المصطفى ﷺ: **«دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»** (٣).

وروى عبدُ الله بنُ عمرو بن العاصِ رضي الله عنهما مرفوعًا: **«إِنَّ هذا الدينَ متينٌ، فأَوْغِلْ فيهِ بِرِفْقٍ، وَلا تُبغِّضْ إلى نفسك عبادةَ اللهِ، فإنَّ الْمُنْبَتَّ لا سفَرًا قطعَ وَلا ظهرًا أبقى»** (٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٠٦، رقم ٣٣٦٧)، ومسلم (٤/ ١٨١٣، رقم ٢٣٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٣، رقم ٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٥٨، رقم ٦٨٥٨)، ومسلم (٢/ ٩٧٥، رقم ١٣٣٧).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٠٢، رقم ٣٨٨٦).

فالإسلامُ شريعةٌ وَسَطٌ وحنيفيَّةٌ سهلةٌ، مبناها على التيسيرِ ورفعِ الحَرَجِ والبُعدِ عن المشقَّةِ والتكلُّفِ والتَّنَطُّعِ والتَّشدُّدِ والتَّعمُّقِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اليُسْرِ وَالسُّهُولَةِ.

مفاهيم خاطئة للرفق:

لَيْسَ المرادُ من الرِّفقِ وَاللِّينِ السُّكُوتَ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ وَالرِّضَا بِالمَعَاصِي وَالذُّلِّ وَالهَوَان، فَإِنَّ هَذَا ضَعْفٌ وَجُبْنٌ وَخَوَرٌ يَنْهَى عَنْهُ الإِسْلاَمُ بِكُلِّ شِدَّةٍ، وَيُحَذِّرُ مِنْهُ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ، وليسَ المرادُ به كذلك اللِّينَ في المواقِفِ كلِّها التي قد يتطلَّبُ بعضُها من الشدَّةِ والقسوةِ ما يُحقِّقُ المصالحَ وتُحفَظُ به الكرامةُ والدِّيانَةُ والشريعةُ.

وَإِنَّمَا الرِّفْقُ الحَقِيقيُّ هُوَ وَضْعُ الأُمُورِ فِي مَوَاضِعِهَا التي تَتَطَلَّبُهَا بِعِزَّةٍ وَكَرَامَةٍ وَحُسْنِ سِيَاسَةٍ وَرِعَايَةٍ؛ عَلَى حَدِّ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ بن أبي سُفيانَ رضي الله عنهما: «إنَّ بيني وبينَ الناسِ خيطًا، إن أمهلوه شددتُ، وإن شدُّوه أمهلتُ»[1].

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلاَ
مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

ولَقَدْ كَانَ النبي ﷺ من أرفقِ الناسِ وأليَنِهم وأرحمِهم بِعِبَادِ الله، لكنَّه كَانَ إذا انتُهِكَتْ حُرماتُ الله أو اعتُدِيَ عليها لم يَقُمْ لغَضَبه قائمةٌ، كما صحَّ بذلك الحديثُ عن عائشةَ رضي الله عنها فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا.

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة (٢ / ٤١٣).

رفق النبي ورحمته :

كَانَ النبي ﷺ إِذَا أَرْسَلَ رَسُولاً أَوْ بَعَثَ بَعْثًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ أَوْصَاهُمْ بِقَوْلِهِ: «**بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا، وَسَكِّنُوا ـ أَوْ قَالَ: يَسِّرُوا ـ وَلاَ تُعَسِّرُوا؛ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**»(١).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أَنَّ يَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ ـ يعني: الموتُ عليكم ـ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللهُ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: «**مَهْلاً يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ**»، قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! قَالَ: «**أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟! رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلاً أتى النبيَّ يتقاضاه، فأغلَظَ، فهمَّ به أصحابُه، فقال رسولُ الله ﷺ: «**دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالا**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، إِلاَّ أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، فَقَالَ: «**أَعْطُوهُ فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً**»(٣).

ولقد تمثَّلَ خُلُقُ الرِّفقِ واللينِ في المصطفى ﷺ حَتَّى بلغَ مبلغًا عظيمًا مُنقطعَ النظيرِ، وكان يُعالجُ به أمَّتَه وسائرَ خلقِ الله تعالى حتَّى ملكَ نواصيَهم ، واجتمعَت قلوبُهم على محبَّتِه وتقديمِه على النَّفسِ والمالِ والأهلِ والولدِ، وَأَقَرَّ لَهُ بِذَلِكَ القَرِيبُ وَالبَعِيدُ وَالمُؤْمِنُ وَالكَافِرُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٧٠ ، رقم ٥٧٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٣ ، رقم ٥٦٨٣) .

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤٥ ، رقم ٢٢٧١).

أبواب يدخل فيها الرفق:

الرِّفْقُ بِالْوَالِدَيْنِ:

أَمَرَ الله ﷻ بِالرِّفْقِ بِالْوَالِدَيْنِ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا وَبِرِّهِمَا فِي عَدَدٍ مِنَ الآيَاتِ كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾[1].

وقَوْله تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[2].

الرفق مع الإخوان:

كل إنسان منا له أصدقاء، وله زملاء، وله إخوان في الله، أناس كثيرون له علاقة بهم، هؤلاء الناس لا بد أن يرفق بهم، قال الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، **اخفض جناحك**: أي: كن ليناً هيناً رفيقاً بهم متواضعاً لهم.

لذلك إذا دققت في الأسباب التي تؤدي إلى انفصام عرى الأخوة بين كثير من المسلمين، في طرف من الأطراف، أو في كلا الطرفين، لوجدت الأمر حدة في الطبع، وصعوبة في التعامل، وخشونة في الألفاظ، وغلظة، وعزة على

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٢) سورة الإسراء: الآيتان ٢٣ – ٢٤.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٥.

المسلمين، بدلاً من أن يكون الأمر: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١].

ولكن انقلب الأمر عند كثير من المسلمين اليوم -للأسف- إلى أن يكونوا أذلة على الكافرين، أعزة على إخوانهم المؤمنين، فكثيرًا ما يجد الأخ بينه وبين أخيه وحشة وتنافرًا، لو دقق في التفكير لوجد السبب يعود إلى هذه العوامل التي ذكرناها التي يسببها فقدان الرفق.

فانعدام الرفق هو الذي يسبب هذه الوحشة وهذا التقاطع والتنافر، لا بد من قبول أعذار الناس، والمسامحة معهم، لا بد من اللين مع الإخوان في المعاملة، ولا بد من خفض الجناح.

كان رسول الله ﷺ **يَتَخَلَّفُ فِي الْمَسِيرِ فَيُزْجِي**[٢] **الضَّعِيفَ وَيُرْدِفُ وَيَدْعُو لَهُمْ** »[٣].

فانظروا إلى لين الرسول ﷺ ورفقه بإخوانه، كانوا في الجيش فإذا تقدم الناس كان الرسول ﷺ يتخلف إلى الوراء، ولا يكون دائماً في المقدمة، فيرى من هو الضعيف، ومن هو المسكين العاجز، ومن هو الذي ليس عنده دابة تحمله، فيحمله الرسول ﷺ، ومن هو الذي يحتاج إلى مساعدة وإعانة، فيعينه الرسول ﷺ بالعمل والدعاء، لأنه قال في الحديث: «كان يتخلف في المسير،

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٤.

(٢) قال الخطابي في معالم السنن ٢/ ٢٣٣ : ((قوله : يزجي ، أي يسوق بهم ، يقال : أزجيت المطية إذا حثثتها في السوق)) .

(٣) أخرجه : أبو داود (٢٦٣٩) وحسن النووي إسناده، وصححه الألباني.

فيزجي الضعيف، ويردف»، يردفه وراءه على دابته رفقاً بهم وبحالتهم، «ويدعو لهم» وهكذا في صحيح الجامع.

الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ويدخل الرفق دخولاً أساسياً في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نحن الآن نستعرض استعراضاً بعض الجوانب التي يدخل فيها الرفق، ولا نريد أن نفصل في جانب معين، لأن هذا الجانب يصلح أن يكون موضوعاً مستقلاً بذاته.

والرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من القواعد التي وضعها علماؤنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، يقول: «لا بد للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون عالماً فيما يأمر، عالماً فيما ينهى رفيقاً فيما يأمر، رفيقاً فيما ينهى»[(١)].

بعض الناس قد يكون عندهم علم أن هذا معروف، وأن هذا منكر، لكن ليس عنده رفق في أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك ترى نتيجة جهود هذا الرجل عشوائية ساقطة فاسدة، لا أحد يستجيب له، ولا يصغي إليه، بل إن النتيجة هي الإعراض وشذوذ الناس الذين يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

ما هو السبب؟ افتقاد هذا الخلق الإسلامي العظيم، خلق الرفق في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، انظروا معي إلى هذه الحادثة التي لو سارت بشكل

---

(١) ذكره عنه ابن مفلح في الآداب الشرعية (١ / ٢١٣).

آخر، لو سارت الحادثة كما سارت في بدايتها، كيف ستكون النتيجة؟

عن أبي هريرة ﵁ قال: «قام أعرابي، فبال في المسجد» جريمة عظيمة جداً أن يقوم أحدهم ويبول في المسجد، مكان العبادة وأطهر مكان، فالصحابة انبهروا لهذا التصرف، فتناوله الناس.

وفي رواية للبخاري -أيضاً- فسار الناس ليقعوا فيه، فقال لهم النبي ﷺ: «**دعوه لا تزرموه**» يعني: لا تقطعوا عليه بوله، قد ينحبس البول فيتضرر الرجل، أو يهرب وتنتشر النجاسة في بقعة أوسع من المسجد، فلما قضى الأعرابي بوله، قال النبي ﷺ: «**أريقوا على بوله سجلاً**»، بمعنى دلواً وزناً ومعنى، «**فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين**»(١).

فلو أن الأمور سارت بالشكل الذي بدأ به الصحابة، كيف ستكون النتيجة؟ أولاً: الوحشة في نفس الأعرابي، وربما يترك الإسلام، وربما كان قادماً ليسلم، فربما يرجع بعد أن يجد هذه المعاملة، وأيضاً: انتشار البول، وقد يتضرر شخصياً.

ما دام الأمر حدث وانتهى، فلا بد من درء أعلى المفسدتين في ارتكاب أدناهما، لذلك أوقفهم الرسول ﷺ، وجاءت الروايات بعد ذلك أن هذا الأعرابي قال: «اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحدا»(٢). لأن هذا هو التصرف الذي رآه من الرسول ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٨٩، رقم ٢١٧).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١/ ١٩٧، رقم ٥٥٤).

فلا بد من الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا بد من اللين، ولذلك قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (١).

ومن الأمور التي يدخل فيها الرفق -أيضاً- في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أنه إذا كان النهي عن المنكر يحصل بدون عنف وغلظة وهي ضد الرفق، فلا داعي لها عندئذٍ، ومما يشهد لهذا المعنى ما رواه البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «دخل وفدٌ من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليكم -يعني: الموت- قالت: ففهمتها، وقلت: وعليك السام واللعنة، إخوان القردة والخنازير، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مهلاً يا عائشة ! فإن الله يحب الرفق في الأمر كله**»، فقلت: يا رسول الله! أولم تسمع ما قالوا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فقد قلت وعليهم** -يعني: سمعت ما قالوا وفهمت أيضاً- ولكن قلت: وعليكم، **وبما أننا يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا، فدعاؤنا عليهم مستجاب، ودعاؤهم علينا غير مستجاب**» (٢).

الرفق في دعوة الناس إلى الإسلام:

أما الرفق في دعوة الناس إلى الإسلام، فله أمثلة كثيرة في السيرة النبوية، كان النبي ﷺ يتلطف في أسلوب الدعوة، كان ليناً في دعوة الناس إلى الإسلام، ولذلك فتح الله له برفقه مغاليق قلوب زعماء الكفر والإلحاد، وألان

---

(١) سورة طه: الآية ٤٤.

(٢) سبق تخريجه.

له نفوسهم كما يلان الحديد، أُلِينت له نفوسهم بسبب السلاح الفتاك الذي استعمله وهو الرفق، فأسلم الجمع الغفير ممن كانوا من زعماء الضلال والشرك، وصاروا قادة في الإسلام، وقدوات في الدين بعد ذلك، وكان السبب هو أسلوب الرفق المستخدم في دعوته إلى الإسلام.

الرفق في تعليم الناس:

وأما استخدام الرفق في تعليم الناس، فأمثلته كثيرة -أيضاً- ومنها: ما رواه مسلم وغيره في صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمي ﵁ وأرضاه وهو رجل أتى من البادية، وكان قبل ذلك موجوداً لكنه خرج في عمل له في البادية، وكان الكلام في الصلاة مباحاً، وكان بعض الصحابة يقول لأخيه: هذه الآيات التي يقرأها رسول الله ﷺ في أي سورة؟ ومتى نزلت؟ كان الكلام مباحاً في الصلاة، ثم نزل قول الله ﷻ: ﴿**وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ**﴾[1].

فحرم الكلام، هذا الرجل جاء من البادية ولم يعلم بأن الكلام في الصلاة قد صار محرماً، فدخل في الصلاة مع الناس، قال: «بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وا ثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لكنني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما نهرني، ولا ضربني، ولا شتمني، ثم قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من**

(١) البقرة: الآية ٢٣٨.

كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»(١).

وكذلك كان الرسول ﷺ رفيقاً بمن يعلمهم، كان الناس يأتون الرسول ﷺ من شتى الأماكن ليتعلموا، يسافرون إلى المدينة لطلب العلم، فيجلسون عند الرسول ﷺ، هؤلاء الناس الذين يأتون عندهم أهل يشتاقون إليهم، فماذا كان يفعل الرسول ﷺ بهؤلاء الناس الذين يأتون ليتعلموا؟ انظر كيف كان يرفق بهم، من كلام هؤلاء الرجال روى البخاري رحمه الله عن مالك بن الحويرث، قال: «أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلةً نتعلم، وكان رحيماً رفيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا، قال: « **ارجعوا إلى أَهْلِيكُمْ فكونوا فيهم وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَصَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أصلي فإذا حضرتِ الصلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لكم أحدُكم وَلْيَؤُمَّكُمْ أكبرُكم»**(٢).

الرفق بالمسلمين إذا ولي من أمرهم شيئاً:

فالولي قد تحمل المسئولية؛ وتحمل المسئولية لا بد فيه من الرفق، وأؤكد على هذا الجانب بالذات تأكيداً شديداً، لأن الذي يتولى أمور المسلمين إذا لم يكن رفيقاً بهم، فإن الفساد والفوضى ستعم، والظلم سينتشر، يقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر**

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٨١، رقم ٢٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٨٢، رقم ٧٨٥). ومسلم (١/ ٤٦٥، رقم ٦٧٤).

أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به»[١].

نصيحة عمرية:

بلغ عمر بن الخطاب ﷺ أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! أيتها الرعية! إن لنا عليكم حقًّا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير، أيتها الرعاة إن للرعية عليكم حقًّا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه، وليسَ جهل أبغض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه [٢]، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه[٣].

الرفق في الإمامة بالناس:

بعض الأئمة يصلون بالناس، فيطيلون الصلاة جدًّا، وينهكون قوى الناس الذين يصلون وراءهم، وهذا الحديث يوضح هذا الأمر، فعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان -الإمام- مما يطيل بنا، يقول الراوي:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) وخرقه: الخرق بالضم: الجهل والحمق. وقد خرق يخرق خرقا فهو أخرق والاسم الخرق بالضم. النهاية "٢/ ٢٦".

(٣) أخرجه هناد في الزهد (٢/ ٦٠٢ ، رقم ١٢٧٩) ، والمتقي الهندي: كنْز العمال ٥/ ٧٧٠، وانظر إحياء علوم الدين (٢/ ١٨٣)، والأخلاق الإسلامية وأسسها (٢/ ٣٥١، وما بعدها).

فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذٍ، فقال: «**يا أيها الناس! إن منكم منفرين، فأيكم أمَّ الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة**»(١).

الرِّفْقُ بِالْغَيْرِ وَتَجَنُّبُ إِيذَائِهِ فِي مَوَاطِنِ الازْدِحَامِ لِلْعِبَادَةِ :

وذلك في عدد من العبادات ومنها على سبيل المثال ما نراه في الحج في الطَّوَافِ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فالسنة في ذلك اسْتِلاَمُ الْحَجَرِ وَتَقْبِيلُهُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ ، اكْتَفَى بِالإْشَارَةِ إِلَيْهِ بِيَدِهِ أَوْ بِعُودٍ ، وَعِنْدَ غَيْرِ الْمَالِكِيَّةِ يُقَبِّل مَا أَشَارَ بِهِ إِلَيْهِ ، وَيُكَبِّرُ ، وَلاَ يُؤْذِي غَيْرَهُ لأِجْل أَنْ يَصِل إِلَيْهِ وَيُقَبِّلَهُ ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَال لِعُمَرَ ﵁: «**يَا عُمَرُ : إِنَّكَ رَجُلٌ قَوِيٌّ لاَ تُزَاحِمْ عَلَى الْحَجَرِ فَتُؤْذِي الضَّعِيفَ ، إِنْ وَجَدْتَ خَلْوَةً فَاسْتَلِمْهُ ، وَإِلاَّ فَاسْتَقْبِلْهُ فَهَلِّل وَكَبِّرْ**» (٢). وَهَذَا كُلُّهُ مُسْتَحَبٌّ ، وَمَحَل اتِّفَاقٍ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ (٣).

الرفق بالأهل والأولاد:

وهو الرفق في البيت بشكل عام، ومع الزوجة والأولاد بشكل خاص، وهذه نقطة اجتماعية حساسة وخطيرة، ولا بد من الانتباه إليها، يقول رسول

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٤٨ ، رقم ٦٧١) ، ومسلم (١/ ٣٤١ ، رقم ٤٦٧).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٨ ، رقم ١٩٠) قال الهيثمي (٣/ ٢٤١) : فيه راو لم يسم . والبيهقي (٥/ ٨٠ ، رقم ٩٠٤٣) .

(٣) حاشية ابن عابدين ٢ / ١٦٥ - ١٦٦ ط المصرية، جواهر الإكليل ١ / ٣٧٨ - ط المعرفة، روضة الطالبين ٣ / ٨٥ - ط . المكتب الإسلامي، كشاف القناع ٢ / ٤٥٨ ط . النصر، المغني ٣ / ٣٧١ ط . الرياض .

الله ﷺ: «**ما أعطي أهل بيت الرفق إلا نفعهم**»[١].

وقال ﷺ: «**إذا أراد الله بأهل بيت خيراً، أدخل عليهم الرفق**»[٢]، قال شارح الحديث: يعني أدخل عليهم الرفق بحيث يرفق بعضهم ببعض، فيرفق الزوج بالزوجة، ويرفق الرجل بأبيه وأمه، ويرفق الأب والأم بالولد، ويرفق الإخوة بعضهم ببعض، وهم يرفقون بجيرانهم، وهكذا وعامة البيوت التي تفوح منها روائح المشاكل والخلافات والنعرات والشتات والفرقة، إذا تأملت فيها وجدت السبب عدم الرفق في علاقة أفراد البيت بعضهم ببعض، وفيما يلي جوانب مهمة من الرفق بالأهل والأولاد.

أولا: الرفق بالنساء:

أردأ الرجال هو الرجل الذي لا تشعر المرأة بالأنس معه، وقد كان الرسول ﷺ يجلس لأزواجه ويستمع شكايتهن، ويحل المواقف العصيبة جداً بكل راحة واطمئنان، ولو تعلمنا من النبي ﷺ صفة الزوج الصالح لانتهت مشاكل البيوت.

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت صانعة طعام أجود من صفية ، ففي يوم من الأيام أرسلت صفية رضي الله عنها إناء فيه طعام إلى بيت عائشة، وكان رسول الله ﷺ عندها ومعه ضيوف، فأخذت عائشة الإناء وكسرته، فتبسم النبي ﷺ وقال لأصحابه: «**غارت أمكم**»، ثم أخذ إناءها

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وأرسله إلى صفية، وقال: «**طعام بطعام وإناء بإناء**»(١)، فانتهت المشكلة، وحُلت بابتسام، وهكذا إذا عز أخوك فهُن، فإذا كانت المرأة متعصبة ومتصلبة فهُن، ولا يأخذ الرجل العناد والأنفة ويبادر بالطلاق، فيصرح به في وقت، ويكني في وقت آخر، كما لو كان الطلاق سيسحب منه، فيريد أن يستخدمه قبل أن يسحب منه.

والرسول ﷺ يقول في الحديث الصحيح: «**استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**»(٢).

ثانيا: الرفق بالأبناء:

أما بالنسبة للرفق بالأولاد، فقد كان النبي ﷺ يرفق بالصبيان كثيراً، **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ الله** (٣).

وعنه ؓ أن النبي ﷺ كان يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم، ويمسح رءوسهم(٤)، وعن جابر ؓ قال : دخلت على النبي ﷺ والحسن والحسين على ظهره وهو يقول: «**نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما**» (٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٠٣ ، رقم ٤٩٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٢١٢ ، رقم ٣١٥٣) ، ومسلم (٢/ ١٠٩١ ، رقم ١٤٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٠٨ ، رقم ٢٣١٦).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٠٧، رقم ٤٥٩)، والنسائي في سننه الكبرى (٦/ ٩٠، رقم ١٠١٦١).

(٥) أخرجه الرامهرمزي (١/ ١٢٨ ، رقم ٩٨) .

والرجل الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ وقال: إنكم تقبلون صبيانكم، إن عندي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم، فقال ﷺ: «**أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟**»[١].

الرفق في التعامل مع الخصوم:

الرفق علاج فعال لكثير من الأمور حتى التعامل مع الخصوم، ولذلك شرعه ربنا لنا في مجال الدعوة مع الخصوم، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٢].

الرفق بالمملوك :

عن أبي مسعود رضي الله عنه أنه ضرب عبداً له فقال النبي ﷺ: «**اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**»، قلت: هو حر لوجه الله تعالى. فقال: «**أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار**[٣] **أو لمستك النار**»[٤].

هذا الحديث فيه الحث على الرفق بالمملوك والوعظ والتنبيه على استعمال العفو وكظم الغيظ والحكم كما يحكم الله على عباده .

الرِّفْقُ بِالْخَدَمِ :

والرِّفْقُ بِالْخَدَمِ وَحُسْنُ مُعَامَلَتِهِمْ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّسُول ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٥ ، رقم ٥٦٥٢) ، ومسلم (٤/ ١٨٠٨ ، رقم ٢٣١٧).

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٤.

(٣) لفحتك: لفح النار : حرها ووهجها ، وكذلك لفعها ، بالحاء والعين.

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٢٨٠ ، رقم ١٦٥٩) .

وَالَّتِي جَرَى عَلَيْهَا عَمَل الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهَّ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ، فَقَدْ أَمَرَ الرَّسُول ﷺ بِأَنْ نُحْسِنَ مُعَامَلَتَهُمْ ، وَنَرْفُقَ بِهِمْ فِي الْمُطْعَمِ وَالْمُلْبَسِ وَالْعَمَل ، فَنُطْعِمَهُمْ مِنْ طَعَامِنَا وَنُلْبِسَهُمْ مِنْ لِبَاسِنَا وَلاَ نُكَلِّفَهُمْ بِالأَْعْمَال الَّتِي يَشُقُّ عَلَيْهِمُ الْقِيَامُ بِهَا ، فَإِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ فَعَلَيْنَا أَنْ نُعِينَهُمْ.

وأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ الْمَعْرُورِ قَال : لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ ﵁ بِالرَّبْذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ فَسَأَلْتُهُ ، عَنْ ذَلِكَ فَقَال ﵁: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقَال لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهَّ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُل وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»**(١).

الرفق بالحيوان(٢):

وأدلة الرفق بالحيوان كثيرة، ومن ذلك:

عن عبد الله بن جعفر قال: دخل رسول الله ﷺ حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا جملٌ في البستان، فلما رأى النبي ﷺ الجمل حن الجمل وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ، فمسح سراته إلى سنامه، يعني: مسح ظهره إلى سنامه،

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٠ ، رقم ٣٠) ، ومسلم (٣/ ١٢٨٢ ، رقم ١٦٦١).

(٢) كشاف القناع ٥ / ٤٩٣ - ٩٥ ط . النصر، الإنصاف ٩ / ٤١٤ - ٤١٥ ط . التراث، القواعد لابن رجب ص٣٢ ق ٢٣ ، ص ١٣٨ ق ٧٥، المبدع ٨ / ٢٢٨ - ٢٢٩ ط . المكتب الإسلامي، المغني ٧ / ٦٣٤ - ٦٣٥ ط . الرياض.

وزجراه، يعني: أصل أذنه، فسكن البعير، لمسح الرسول ﷺ عليه، فقال: «**من رب هذا الجمل؟**» يعني: من صاحب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله! فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه**»(١). يعني: تتعبه وتكده، وهذه من المعجزات.

ولعن رسول الله ﷺ من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً يرمى إليه (٢)، كأن يضع أحدهم دجاجة، ويتسلى عليها في الرمي، أو يضع أرنباً ويتسلى عليه.

وهذه المرأة التي حبست الهرة حتى ماتت فدخلت النار (٣). وغير هذا كثير من أحاديث النبي ﷺ التي إن ذهبنا نستقصيها لاحتاجت مؤَلَّفا منفردا.

ضرورة الحذر من انقلاب الرفق إلى ذل ومهانة:

لا بد أن نؤكد على نقطة مهمة وهي أن الرفق قد ينقلب أحياناً إلى ذلٍّ ومهانةٍ، فبعض الناس يخطئون في المكان الذي يرفقون فيه، فينقلب الرفق في حقه إلى ذل ومهانة، إذن لا بد من التوسط في الأمور، ولذلك قال بعض السلف: لا تكن رطباً فتعصر، ولا يابساً فتكسر، وقال بعضهم: لا تكن حلواً فتبلع، ولا مراً فتلفظ إلى الخارج.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ١٠٩، رقم ٢٤٨٥) وقال: صحيح الإسناد. وأبو عوانة (١/ ١٦٨، رقم ٤٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٤٩، رقم ١٩٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٠٥، عقب رقم ٣١٤٠)، ومسلم (٤/ ٢١١٠، رقم ٢٦١٩).

وفرقٌ بين أن يكون الرفق وسيلة إلى تحصيل المقصود، وبين أن يكون الرفق هو الهدف، المهم أنه يصل إلى اللين حتى لو كان الوضع لا يسمح.

الرفق يجب أن يكون وسيلة يحقق المقصود، فإذا كان المقصود لا يتحقق بالرفق، وإنما يتحقق بالشدة والغلظة، فلا يجوز استخدام الرفق في هذه الحالة، ولا يعني الرفق الذلة للكفار، والذلة للذين يستهزئون بالمسلمين كالصور التي يطبقونها، وكالذين يسبون الله ﷻ، فهؤلاء ليس لهم الرفق، إذا دعوا إلى الله، ودين الله والحكمة، ووعظوا، وأصروا، فليس لهم إلا الغلظة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1].

هذا التنبيه مهم جداً حتى لا تنقلب الأمور، وحتى لا تخرج عن إطارها الصحيح.



(١) سورة التحريم: الآية ٩.

أدب الزهد

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن القرآن يخبرنا في مواضع كثيرة عن دناءة الدنيا ويحضنا على الزهد فيها، والإخبار عن خستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها، والترغيب في الآخرة والإخبار بشرفها ودوامها.

فيقول المولى جل في علاه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(١)].

ويصف الله سبحانه وتعالى الدنيا فيقول: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[(٢)].

وعن المستورد الفهري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **والله ما الدنيا في الآخرة**

---

(١) سورة يونس: الآية ٢٤.

(٢) سورة الكهف: الآيتان ٤٥ – ٤٦.

إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم فلينظر بم يرجع »[١].

إن لله عبـــــاداً فطنـــــا	طلقـوا الـدنيا وخـافوا الفتنا
نظـروا فيهـا فلـما علمـوا	أنهـا ليـست لحـي وطنـا
جعلوهـــا لجـــة واتخـــذوا	صـالح الأعـمال فيهـا سـفناً

تعريف الزهد:

الزهد لغة[٢]:

زهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا الزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة، والزهد هو القلة في كل شيء، والشيء الزهيد هو القليل، وإنسان مُزهد أي قليل المال، والزهيد هو قليل المطعم، ومنه قول الله ﷻ: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾[٣].

ومنه حديث رسول الله ﷺ: «**أفضل الناس مؤمن مزهد**»[٤].

والزهد ضد الرغبة، ففلان يزهد في الشيء أي يرغب عنه، قال ابن تيمية رحمه الله: «الزهد خلاف الرغبة»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٣، رقم ٢٨٥٨).

(٢) لسان العرب (٣/ ١٩٦)، وتاج العروس (٨/ ١٥١)، ومختار الصحاح (١/ ١١٦).

(٣) سورة يوسف: الآية ٢٠.

(٤) أخرجه الديلمي (١/ ١/ ١٢٦)كما في السلسلة الضعيفة للألباني (٦/ ٢٨، رقم ٢٥٢٠).

(٥) الزهد والورع والعبادة (١/ ٥٠).

الزهد اصطلاحًا:

قيل: «الزهد هو بغض الدنيا والإعراض عنها، وهو ترك راحة الدنيا طلبًا لراحة الآخرة» ، وعرفه الجرجاني فقال: «هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك»(١).

ويعرفه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول: «الزهد ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة وهو فضول المباح فيما يستعان به على طاعة الله»(٢).

ويعرفه ابن الجوزي فيقول: «هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه»(٣).

ومثال ذلك ترك الدنيا لحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة ومكانتها، ومعنى ذلك أن من رغب عن شيء ليس مرغوبًا فيه ولا مطلوبًا في نفسه لا يسمى زاهدًا، في الحقيقة، إلا أن يكون زهده في مطلوب مرغوب.

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ معرفًا له: «الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه منازل الآخرة» (٤).

---

(١) انظر الفروق مع هوامشه (٤ / ٣٦٦)، والتعريفات (١/ ١٥٣)، وسبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام (٤/ ١٧٠).

(٢) التحفة العراقية (١/ ٤٤)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٢١)، وأمراض القلوب له أيضًا (١/ ٤٤).

(٣) إحياء علوم الدين (٤/ ٢١٦)، ونهاية الأرب في فنون الأدب (٥/ ٢٣٠)، والموافقات في أصول الفقه (١ / ١٢٣).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ١٢).

متعلق الزهد:

ومتعلقات الزهد خمسة أشياء وهي:

الزهد في المال:

وليس المراد من الزهد في المال رفضه، فقد قال ﷺ: «**نعم المال الصالح للعبد الصالح**» (١)، فالمال قد يكون نعمة إذا أعان صاحبه على طاعة الله سبحانه وتعالى وأنفقه في رضوان الله، فعلى سبيل المثال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان من أصحاب الأموال وكان يستخدم ذلك المال في طاعة ربه، أما المال الذي يفسد صاحبه فيدفعه إلى الطغيان، فإن ذلك المال يكون نقمة على صاحبه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ (٢).

الزهد في الملك والرياسة:

ليس المراد من الزهد أيضًا رفض الملك والرياسة، فسليمان وداود عليهما السلام كانا من أزهد الناس في زمانهما، ولهما من الملك ما أخبرنا الله سبحانه وتعالى، كذلك يوسف عليه السلام قال: ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ (٣).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٩) ، وأحمد (٤/ ١٩٧ و٢٠٢ - ٢٠٣) ، وابن حبان (١٠٨٩) ، والبغوي في شرح السنة (١٠/ ٩١) ، وغيرهم .والحاكم (٢/ ٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم ؛ ووافقه الذهبي . ووافقهما الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٥ / ٦٢).

(٢) سورة العلق: الآيتان ٦ - ٧.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠١.

وإنما الملك الذي يطغى صاحبه هو الذي نهى الله عنه، يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾[١]، فجعله يطغى ويحاج في دين الله ﷻ، أو كفرعون كما قال: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٢].

الزهد في الصورة:

فليس من الزهد أن يكون الرجل أشعث أغبر، لا يحسن ما يلبس، ففي الحديث قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**». قال رجل: يا رسول الله، إني أحب أن يكون ثوبي نظيفًا ونعلي نظيفةً أذاك من الكبر! قال: «**لا، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»[٣].

الزهد فيما في أيدي الناس:

ويقصد بذلك الزهد عما في أيدي الناس وعدم استشرافه أو التطلع إليه، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «**ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**»[٤]، فإن جاء من الناس للعبد شيء بدون استشراف نفس فلا بأس به.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٥١.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٩٣، رقم ٩١).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٧٣، رقم ٤١٠٢). قال البوصيري (٤/ ٢١٠): هذا إسناد ضعيف. والطبراني (٦/ ١٩٣، رقم ٥٩٧٢)، والحاكم (٤/ ٣٤٨، رقم ٧٨٧٣) وقال: صحيح الإسناد.

الزهد في النفس:

ويقصد بذلك عدم عجب المرء بنفسه فيظن أنه سيخرق الأرض، أو يبلغ الجبال طولاً، فيتكبر بمنصبه أو بما أعطاه الله من صورة على خلق الله ﷻ، وإنما يتواضع ويخفض جناحه للمؤمنين، كما أمر الله نبيه ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

حقيقة الزهد:

وبالإجمال فإن الزهد هو تطويع المباحات في كل ما يرضي الله ﷻ، وأن يجعل المسلم همه الآخرة ورضى الله ﷻ، قال ﷺ: «**الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**»[(٢)].

وكان النبي ﷺ يخاف علينا من الالتفات إلى الدنيا وزخرفها فتصرفنا عن الآخرة والسعي لها، فقال ﷺ: «**اتقوا الدنيا واتقوا النساء**»[(٣)]، يحذرنا من الافتتان بهما والتعلق بهما.

والزهد في الدنيا وتوابعها ليس مقصوداً لنفسه ، بل مقصوداً لغيره ، فإن كان ذلك مما يستعان به على طاعة الله وقيام دينه والنفع المتعدي والقاصر ، كان محموداً ، وإن كان لا يتوسل به إلى شيء من ذلك ، أو

---

(١) سورة الحجر: الآية ٨٨ .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٨ ، رقم ٥٢) ، ومسلم (٣/ ١٢١٩ ، رقم ١٥٩٩).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٩٨ ، رقم ٢٧٤٢) .

يتوسل به إلى أمراض نفسية وشهوات دنية ، أو يطلب به الراحة الحاضرة فقط ، لم يكن محموداً ، فهو وسيلة محضة لا غاية مقصودة ، وإنما الغايات المطلوبة تتبع أوامر الله ورسوله ﷺ، وعلمها وتنفيذها في نفسه وفي غيره بكل وسيلة وطريقة توصل إليها (١).

وقال أحمد بن أبي الحواري: قلت لسفيان بن عيينة: من الزاهد في الدنيا؟ قال: من إذا أنعم عليه شكر وإذا ابتلي صبر، فقلت: يا أبا محمد قد أنعم عليه فشكر وابتلي فصبر، وحبس النعمة، كيف يكون زاهداً؟ فقال: اسكت، من لم تمنعه النعماء من الشكر، ولا البلوى من الصبر، فذلك الزاهد (٢).

وقال ربيعة: «رأس الزهادة جمع الأشياء بحقها ووضعها في حقها»(٣).

فليس الزهد في الدنيا بأن تحرّم على نفسك ما أحله الله لك من الطيبات، إذ الحلال نعمة من الله على عبده، وقد قال نبينا محمد ﷺ: « **كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير مخيلة ولا سرف؛ فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**» (٤)، فشكره على نعمته والاستعانة بها على طاعته واتخاذها طريقاً إلى

---

(١) مجموع الفوائد – السعدي – ٨٢.

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (١/ ٤٤٩)، والزهد وصفة الزاهدين (١ / ٢٣)، وتاريخ مدينة دمشق (٣٣ / ٣٦٢)، وجامع العلوم والحكم (١ / ٢٩١).

(٣) الزهد لابن أبي الدنيا (١ / ٣٩٢)، والمجالسة وجواهر العلم (١ / ٢٤٣)، وجامع العلوم والحكم (١ / ٢٩١).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٢ ، رقم ٦٧٠٨) ، والحاكم (٤/ ١٥٠ ، رقم ٧١٨٨) ، وقال :

جنته أفضل من الزهد فيها، والتخلي عنها، لأن الزهد في نعم الله زهد مخالف لهدي النبي ﷺ وسنته، لا خير فيه، يظلم القلوب ويعميها ويشوه جمال الدين الذي اختاره الله لعباده، وينفر العباد من دين الله ﷻ ويهدم الحضارة، ويمكن أعداء الله من أمة الإسلام وينشر الجهل.

علامات الزهد الحقيقي:

وقد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك، فإن ترك المال وإظهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد، بل لا بد من الزهد في حظوظ النفس. وينبغي أن يعول الزاهد في باطنه على ثلاث علامات:

أحدهما: أن يكون العبد بما في يد الله أوثق منه بما في يد نفسه، وهذا ينشأ من صحة اليقين وقوته، فإن الله ضمن أرزاق عباده، وتكفل بها، كما قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[(١)]، وقال ﷻ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[(٢)]، وقال ﷻ: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾[(٣)].

قال الحسن رحمه الله: «إنَّ من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك

صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٣٦، رقم ٤٥٧١)، وتمام (٢/ ١٠٦، رقم ١٢٦٥). وأخرجه أيضًا: الطيالسي (١/ ٢٩٩، رقم ٢٢٦١).

(١) سورة هود: الآية ٦.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٢٢.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٧.

بما في يد الله ﷻ»[١].

وقال مسروق رحمه الله: «إن أحسن ما أكون ظناً حين يقول الخادم: ليس في البيت قفيز من قمح ولا درهم»[٢].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «أسرُّ أيامي إليّ يوم أصبح وليس عندي شيء»[٣].

والثاني: أن يكون العبد إذا أصيب بمصيبة في دنياه من ذهاب مال أو ولد، أو غير ذلك، أرغب في ثواب ذلك مما ذهب منه في الدنيا أن يبقى له، وهذا أيضاً ينشأ من كمال اليقين.

وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا**»[٤].

وهو من علامات الزهد في الدنيا، وقلة الرغبة فيها، كما قال علي رضي الله عنه: «من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات»[٥].

---

(١) اليقين لابن أبي الدنيا (١ / ٣٤)، وجامع العلوم والحكم (١/ ٢٩٠).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ١٤٨)، والزهد لابن السري (١ / ٣٢٦)، وحلية الأولياء (٢/ ٩٧).

(٣) صفة الصفوة (٢ / ٣٤٥)، وجامع العلوم والحكم (١ / ٢٩٠).

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ١٤٤ ، رقم ٤٣١) ، والترمذي (٥/ ٥٢٨ ، رقم ٣٥٠٢) وقال : حسن غريب . والحاكم (١/ ٧٠٩ ، رقم ١٩٣٤) وقال : صحيح على شرط البخاري . وأخرجه أيضًا : النسائي في الكبرى (٦/ ١٠٦ ، رقم ١٠٢٣٤) ، والديلمي (١/ ٤٨٥ ، رقم ١٩٨١) . قال المناوي (٢/ ١٣٣) : فيه عبيد الله بن زحر ضعفوه ، قال في المنار : فالحديث لأجله حسن لا صحيح.

(٥) الزهد لابن أبي الدنيا (١ / ٩٣)، والمجالسة وجواهر العلم (١/ ٥١).

والثالث: أن تستوي عند العبد حامده وذامُّه في الحق، وهذا من علامات الزهد في الدنيا، واحتقارها، وقلة الرغبة فيها، فإن من عظمت الدنيا عنده أحبّ المدح وكره الذم، فربما حمله ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذمّ، وعلى فعل كثير من الباطل رجاء المدح، فمن استوى عنده حامده وذامه في الحق، دل على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه، وامتلائه من محبة الحق، وما فيه رضا مولاه، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله»[١].

أهمية الزهد:

إن الزهد في الدنيا ليس من نافلة القول، بل هو أمر لازم لكل من أراد رضوان الله سبحانه وتعالى والفوز بجنته، ويكفي في فضيلته أنه اختيار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، قال ابن القيم رحمه الله: «لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل، أو منهما معاً»[٢].

ولذا نبذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهره هو وأصحابه، وصرفوا عنها قلوبهم، وهجروها ولم يميلوا إليها، عدوها سجناً لا جنة، فزهدوا فيها حقيقةَ الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب،

---

(١) الزهد لابن السري (١/ ٣٠٤)، واليقين (١ / ٣٢)، ومعجم ابن الأعرابي (٣/ ٤٥٢)، وطبقات الصوفية (١ / ٦٩).

(٢) الفوائد (١ / ٩٤).

ولكنهم علموا أنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى آذن بالرحيل.

أقسام الزهد :

قسم ابن القيم رحمه الله الزهد إلى أقسام وهي [(١)] :

١- **زهد في الحرام**: وهو فرض عين .

٢- **زهد في الشبهات**: وهو بحسب مراتب الشبهة؛ فإن قويت التحق بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًّا.

٣- **زهد في الفضول**: وهو زهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس، حيث تهون عليه نفسه في الله .

٤- **زهد جامع لذلك كله**: وهو الزهد فما يُنسي ما عند الله، وفي كل ما يشغلك عن الله، وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحظوظ .

دعوة الإسلام إلى الزهد:

أولا : من القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [(٢)].

---

(١) انظر: عدة الصابرين (١/ ٢٢٦)، والفوائد (١ / ١١٨).

(٢) سورة طه: الآية ١٣١.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[(١)].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾[(٢)].

ثانيا: من السنة الشريفة:

١- حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة**»[(٣)].

٢- حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ: ألهاكم التكاثر قال: «**يقول ابن آدم: مالي مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت**»[(٤)].

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في**

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٠.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٢٠.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٦٥، رقم ٤١٨)، ومسلم (٣/ ١٤٣١، رقم ١٨٠٥).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٣، رقم ٢٩٥٨).

الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع» [١].

٤- حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وقد كان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك [٢].

٥- حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رجل وقال له: دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**» [٣].

٦- حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر في الآخرة**»[٤].

٧- وقال رسول الله ﷺ: «**من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**» [٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٥٧ ، رقم ٢٧٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٥٨ ، رقم ٦٠٥٣) .

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٠١ ، رقم ١٥٧١) ، وقال البوصيري (٢/ ٤٢) : هذا إسناد حسن .

(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٤٢ ، رقم ٢٤٦٥) .

ما يعين على الزهد:

قسم ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع العلوم والحكم ما يعين على الزهد إلى:

١- **علم العبد أن الدنيا ظل زائل وخيال زائر:** فهي كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[١].

٢- علم العبد أن وراء الدنيا دارًا أعظم منها قدرًا وأجل وهي دار البقاء.

٣- معرفته وإيمانه الحق بأن زهده فيها لا يمنعه شيئاً كتب له منها وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها فمتى تيقن ذلك ثلج له صدره وعلم أن مضمونه منها سيأتيه .

فحيَّ على جنات عدن فإنها — منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى — نعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى — وشطت به أوطانه فهو مغرم
وأي اغتراب فوق غربتنا التي — لها أضحت الأعداء فينا تحكم

زهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وقد كان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمام الزاهدين وله تسع نسوة، وكان سليمان وداود

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٠.

عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما، ولهما من الملك والمال والنساء ما لهما، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم كانوا من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال والنساء والبنين، ما هو معروف.

كان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا ، وأقلهم رغبة فيها ، حتى كان الزهد خلقاً من أخلاقه الفاضلة ، وإليك المواقف التالية :

١- **قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: «لو كان لي مثل أحد ذهبا لسرني أن لا يمر علي ثلاث وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين»** [(١)]، فهذا أكبر مظهر للزهد الصادق الذي كان الحبيب صلى الله عليه وسلم يعيش عليه ويتحلى به .

٢- قوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه وقد دخل عليه فوجده على فراش من أدم حشوه ليف، فقال: إن كسرى وقيصر ينامان على كذا وكذا ، وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام على كذا وكذا فقال له صلى الله عليه وسلم: «**ما لي وللدنيا يا عمر ، وإنما أنا فيها كراكب أستظل بظل شجرة ثم راح وتركها** » [(٢)].

٣- وأكبر مظهر لزهده صلى الله عليه وسلم في الدنيا سؤاله المتكرر : « **اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا** » [(٣)]، وفي لفظ قوتا أي بلا زيادة ولا نقصان.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٦٨ ، رقم ٦٠٨٠) ، ومسلم (٢/ ٦٨٧ ، رقم ٩٩١).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٩١ ، رقم ٣٧٠٩) ، وهناد (٢/ ٣٨٢ ، رقم ٧٤٤) ، والترمذي (٤/ ٥٨٨ ، رقم ٢٣٧٧) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (٢/ ١٣٧٦ ، رقم ٤١٠٩) ، وابن سعد (١/ ٤٦٧) ، والطبراني (١٠/ ١٦٢ ، رقم ١٠٣٢٧) ، والحاكم (٤/ ٣٤٥ ، رقم ٧٨٥٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣١١ ، رقم ١٠٤١٥) .

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨١ ، رقم ١٠٥٥) .

٤- قول عائشة رضي الله عنها: «مات رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي» [١]، وقد قبض رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير [٢].

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في الزهد :

دخل رجل على أبي ذر رضي الله عنه فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر! أين متاعكم؟ فقال: «إن لنا بيتاً نتوجه إليه!!» فقال: إنه لا بد من متاع ما دمت ها هنا. فقال: «إن صاحب المنزل لا يدعنا ها هنا» [٣].

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل» [٤]. وعنه أيضا رضي الله عنه أنه قال: «طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة، أولئك قوم أخذوا أرض الله بساطاً وترابها فراشا وماءها طيبا والكتاب شعارا والدعاء دثارا ورفضوا الدنيا رفضاً » [٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٤ / ٢٢٨٢، رقم ٢٩٧٣)

(٢) أخرجه البخاري - (٣/ ١٠٦٨، رقم ٢٧٥٩).

(٣) جامع العلوم والحكم ج ١ ص ٣٨٠.

(٤) الزهد لابن المبارك (١ /٨٦)، والزهد لأبي داود (١/ ١١٢)، وتاريخ مدينة دمشق (٤٢/ ٤٩٣).

(٥) الزهد (١ / ٨٨)، والتواضع والخمول (١/ ٥٢)، وحلية الأولياء (١/ ٧٩)، وشعب

وقال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز: «إن الدنيا ليست بدار قراركم، كتب الله عليها الفناء، وكتب الله على أهلها منها الظعن، فكم من عامر عما قريب يخرب، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فأحسنوا - رحمكم الله - منها الرحلة» (١).

هـي الـدنيا تقـول بمـلء فيهـا ... حذار حذار من بطشي وفتكي
فـلا يغـرركم منـي ابتـسام ... فقولي مضحك والفعل مبكي

الزهد في الدنيا :

قال تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال: «**إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**» (٣).

وقد وصف رسول الله ﷺ الدنيا في أحاديث كثيرة، منها حديث جابر رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس

الإيمان (٧ / ٣٧٢)، وتاريخ بغداد (٧/ ١٦٢).

(١) الزهد لابن حنبل (١ / ٣٧٢)، وحلية الأولياء (٥ / ٢٩٢)، وإحياء علوم الدين (٤/ ٤٥٦)، وجامع العلوم والحكم (١/ ٣٨٠).

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٤.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٥٣٢، رقم ١٣٩٦)، ومسلم (٢/ ٧٢٨، رقم ١٠٥٢).

كنفيه - أي بجانبيه - فمر بجدي أسكّ ميت، أي صغير الأذن فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «**أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟**»، فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ ثم قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً أنه أسك، فكيف وهو ميت؟! فقال: «**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**» (١).

وكان الرسول ﷺ يقول: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء**» (٢).

وقال ﷺ: «**ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى وما والاه، وعالماً ومتعلماً**» (٣).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٤):

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت … أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها … إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه … وإن بناها بشر خاب بانيها

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٢، رقم ٢٩٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٠، رقم ٢٣٢٠)، والطبراني (٦/ ١٥٧، رقم ٥٨٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٢٥، رقم ١٠٤٦٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦١ رقم ٢٣٢٢) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٢/ ١٣٧٧ رقم ٤١١٢).

(٤) ديوان علي بن أبي طالب ج ١ ص ١٧٦.

أين الملوك التي كانت مسلطنة ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

كم من مدائن في الآفاق قد بنيت ... أمست خراباً وأفنى الموت أهليها

لا تركنن إلى الدنيا وما فيها ... فالموت لا شك يفنينا ويفنيها

واعمل لدار غداً رضوان خازنها ... الجار أحمد والرحمن بانيها

قصورها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها



آداب الشفاعة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن هذا الدين بروعته وسموه، وجلاله وجماله، وتمامه وكماله، يقوم على أساسين، ويعتمد على دعامتين، وهما: حق الله، وحق العباد، فإن الله تعالى بفضله وكرمه وجوده وإحسانه، ولطفه ورحمته، وجلاله وعظمته، لم يقصر هذا الدين على القيام بحقه ﷻ فقط، ولم يجعله لأداء حقوقه ليس إلا، بل جعل من الدين القيام بحقوق المخلوقين، ومثلما رتب الأجر وأجزل العطاء لمن أدى حقه وقام بواجبه، رتّب الأجر وأعظم العطاء وأسبغ الثواب لمن أدى حقوق عباده، وأحسن إليهم، وقام بواجبهم، ومن هذه الحقوق الشفاعة.

تعريف الشفاعة:

الشَّفَاعَةُ: لُغَةً مِنْ مَادَّةِ شَفَعَ، وَيُقَال: اسْتَشْفَعْتُ بِهِ: طَلَبْتُ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ. وَقَال الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِيُّ: الشَّفَاعَةُ الاِنْضِمَامُ إِلَى آخَرَ نَاصِرًا لَهُ وَسَائِلاً عَنْهُ، وَشَفَّعَ وَتَشَفَّعَ: طَلَبَ الشَّفَاعَةَ، وَالشَّفَاعَةُ: كَلاَمُ الشَّفِيعِ لِلْمَلِكِ فِي حَاجَةٍ يَسْأَلُهَا لِغَيْرِهِ، وَالشَّافِعُ: الطَّالِبُ لِغَيْرِهِ، وَشَفَعَ إِلَيْهِ فِي مَعْنَى: طَلَبَ إِلَيْهِ قَضَاءَ حَاجَةِ الْمَشْفُوعِ لَهُ[١].

---

(١) لسان العرب (٨/ ١٨٣)، وتاج العروس (٢١/ ٢٨١)، والأفعال (٢/ ١٩٧)، والعين

شفعت له إلى فلان وأنا شافعه وشفيعه ونحن شفعاؤه وأهل شفاعته وتشفعت له إليه فشفعني فيه واللهم اجعله لنا شفيعا مشفعا واستشفعني إليه فشفعت له واستشفع بي وإن فلانا ليستشفع به [١].

وَفِي الِاصْطِلَاحِ: الضَّرَاعَةُ وَالسُّؤَال فِي التَّجَاوُزِ عَنْ ذُنُوبِ الْمَشْفُوعِ لَهُ، أَوْ قَضَاءِ حَاجَتِهِ [٢].

الشفاعة للغير في الأمور الدينية والدنيوية :

من توسط لغيره أو شفع له في أمر من الأمور الدينية أو الدنيوية ، كالوظائف والعطايا ونحوها ، كان حكم ذلك تابعًا للأمر المتوسط فيه إن كان مأموراً به بأن كان المتوسط له مستحقاً لتلك الوظيفة أو ذلك العطاء ، فالتوسط محمود بل قد يكون واجباً ، وإن كان المتوسط فيه منهياً عنه بأن كان المشفوع له لا يستحق العطاء أو لا يستحق الولاية أو غيره خيراً منه وأنفع ، كان التوسط مذموماً غشاً لله ورسوله ، لأن ذلك معصية ، وغشاً للمتوسط [٣].

مشروعية الشفاعة في الإسلام:

أجاز الله ﷻ الشفاعة الحسنة، وجعل عليها أجرًا، فقال ﷻ: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ

(١/ ٢٦٠)، والمعجم الوسيط (١/ ٤٨٧).

(١) أساس البلاغة (١/ ٣٣٣).

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ١٠ / ص ٦٩).

(٣) مجموع الفوائد – السعدي – ص ٥٧.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ (١).

كما حض عليها النبي ﷺ، فعن أبي موسى ؓ أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل، أو طُلبت إليه حاجة، قال: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ، ما شاء**» (٢).

ومعنى الحديث المتقدم: فيه استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة سواء كانت الشفاعة إلى سلطان أم إلى واحد من الناس وسواء كانت الشفاعة إلى سلطان في لحق ظلم أو إسقاط تعزير أو في تخليص عطاء المحتاج أو نحو ذلك وأما الشفاعة في الحدود فحرام وكذا الشفاعة في تتميم باطل أو إبطال حق ونحو ذلك فهي حرام .

أهمية مبدأ العدل والمساواة:

إنَّ النِتاج الإيجابيَّ للمجتمعات المسلمة التي تَنشُد الرقيَّ والسموَّ بطاقاتها وثروَاتها مرهونٌ بمدَى تحقيقها لمبدأ العدلِ والمساواة والأولويّة للتفوُّق والامتياز وعَدمِ إهدار الفرص عن ذوي الكفاءات، ناهيكم عن الاحتكار فيها والجثُوم على ثغراتِ النهوض ببُسَطاء الأهلية على حسابِ ذوي الكفاءاتِ والمواهب الظاهرة.

وإنَّ مِن سمات المجتمع المسلم الرشيدِ الواعي انتشارَ العدل والمساواة وخفوتَ الظلم والأنانيّة والأثرة وحبِّ الذات.

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٥.

(٢) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٢١٩، رقم ٦٦٧)، وابن عساكر (٥٩/ ٥٦)، وأبو داود (٤/ ٣٣٤، رقم ٥١٣٢)، والنسائي (٥/ ٧٨، رقم ٢٥٥٧).

وقد راعى الإسلام مبدَأ الأحقِّيَّة والكفاءَةِ والامتياز في المجتمعِ المسلم، وقدَّم ذويها على من دونهم تقديرًا لتفوُّقهم واعترافًا بأهليّتهم، فقد جاء في الصحيحِ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يؤمُّ القوم أقرَؤُهم لكتابِ الله**»[(١)].

وصحَّ من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه في قصّة مشروعيّة الأذان أن النبيَّ ﷺ قال له: «**ألقِه على بلال؛ فإنّه أندى منك صوتًا**»[(٢)].

وقد كانَ ﷺ يمتحِن الصحابةَ في القوّةِ والرمي حالَ تجهيز الجيش للغزوِ، فيقدِّم الكفءَ القويَّ، ولذلك ردَّ رافع بن خديج يومَ بدر لعدم كمال الأهلية[(٣)].

إذًا فالإسلام جعَل للكفاءةِ والأهلية من المحلِّ والعناية والاعتبار ما يكفل به لكلِّ مجتمع واعٍ أن يحيَا حياةَ الجدِّ والاستقرار والتوازُن في الاحتياج والإنتاج؛ ولأجل ذلك فإنَّ المجتمعَ الذي يسودُه احترامُ بعضه بعضًا وتقديرُ أصحابِ الكفاءات والاعتبار بالأولويّة للأهلية وذوي الامتياز ليُعَدّ مجتمعًا متكامِلَ الرؤى متحِدَ المضامين، قد بنَى أسُسَه على شِرعةٍ من الحقّ والعدل والالتزام بالقِيَم والمُثُل المرعية.

أنواع الشفاعة:

جعل أهلُ العلم للشفاعة وجهين اثنَين:

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١١٨، رقم ١٧١٠٤)، ومسلم (١/ ٤٦٥، رقم ٦٧٣).

(٢) أحمد (٤/ ٤٢، رقم ١٦٥٢٣)، وأبو داود (١/ ١٤١، رقم ٥١٢)، والدارقطني (١/ ٢٤٥، رقم ٥٦)، والطحاوي (١/ ١٤٢)، والبيهقي (١/ ٣٩٩، رقم ١٧٣٨).

(٣) أخرجه ابن عساكر (٣١/ ٩٦)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٢، رقم ٣٣٨٦٥).

الوجه الأول: الشفاعة الحسنة:

وهو ما كان لوجه الله ﷻ، وكان من باب الإرفاق، ولم يكن فيه حرمانُ من هو أولى وأحقّ من جهة الكفاءة التي تتعلّق بها القدرة على تحمّل الأعباء، أو النهوض بأعمال الأمر المشفوعِ فيه، على أحسنِ وجه، فهذه شفاعة محمودةٌ، حثَّ عليها الشارع الحكيم، كما في قول الله ﷻ: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾[1].

يقول القرطبي ﵀ في تفسير هذه الآية: «قال مجاهد، والحسن، وابن زيد، وغيرهم: هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم، فمن يشفع شفاعة لينفع فله نصيب، ومن يشفع ليضر فله الكفل، والكفل الوزر والإثم، وقيل: الشفاعة الحسنة في البر والطاعة، والسيئة في المعاصي، فمن شفع شفاعة حسنة ليصلح بين اثنين استوجب الأجر، ومن سعى بالنميمة والغيبة أثم»[2].

قال ابن عباس ﵄: «الشفاعة الحسنة: هي الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة: هي المشي بالنميمة بين الناس ، وقيل: هو في كل الشفاعات، فالشفاعة الحسنة : هي أن يقول قولا حسنا ؛ ينال به الخير ، والشفاعة السيئة: هي أن يقول قولا قبيحا ؛ يلحق به سوء»[3].

وهي المقصودة في السنة النبوية، كما في قولِه ﷺ: «**اشفَعوا تؤجَروا**»[4].

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٥.

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٢٩٥).

(٣) تفسير السمعاني (١/ ٤٥٥).

(٤) سبق تخريجه.

كما تدل عليها عموم الدعوة للنفع بين المسلمين وقضاء حوائجهم، كما في قوله ﷺ: «**والله في عونِ العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[١].

الوجهُ الثاني: الشَّفَاعَةُ السَّيِّئَةُ :

وهِيَ أَنْ يَشْفَعَ فِي إِسْقَاطِ حَدٍّ بَعْدَ بُلُوغِهِ السُّلْطَانَ، أَوْ هَضْمِ حَقٍّ، أَوْ إِعْطَائِهِ لِغَيْرِ مُسْتَحِقِّهِ، وَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ، لأَنَّهُ تَعَاوُنٌ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٢].

وَلِلشَّفِيعِ فِي هَذَا كِفْلٌ مِنَ الإِثْمِ. قَال تَعَالَى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[٣] الآيَةَ. وَالضَّابِطُ الْعَامُّ: أَنَّ الشَّفَاعَةَ الْحَسَنَةَ هِيَ: مَا كَانَتْ فِيمَا اسْتَحْسَنَهُ الشَّرْعُ، وَالسَّيِّئَةَ فِيمَا كَرِهَهُ وَحَرَّمَهُ[٤].

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في الشفاعة :

قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى لتلميذه مهنا لما سأله: رجل ظلمني، وتعدى عليّ، ووقع في شيء عند السلطان، أُعين عليه عند السلطان. قال أحمد رحمه الله: «لا. بل اشفع فيه إن قدرت»، قال: سرقني في المكيال والميزان، أدس إليه من يوقعه على السرقة؟ قال أحمد رحمه الله: «إن وقع في شيء فقدرت أن تشفع له

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٢ ، رقم ٧٤٢١) ، ومسلم (٤/ ٢٠٧٤ ، رقم ٢٦٩٩) ، وأبو داود (٤/ ٢٨٧ ، رقم ٤٩٤٦) ، والترمذي (٥/ ١٩٥ ، رقم ٢٩٤٥) ، وابن ماجه (١/ ٨٢ ، رقم ٢٢٥) ، وابن حبان (٢/ ٢٩٢ ، رقم ٥٣٤) .

(٢) سورة المائدة: الآية ٢.

(٣) سورة النساء: الآية ٨٥.

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ٢٦ / ص ١٣٢).

فاشفع له» [١].

قال ابن عبد البر رحمه الله: «لا أعلم خلافا أن الشفاعة في ذوي الذنوب حسنة جميلة، ما لم تبلغ السلطان، وأن على السلطان أن يقيمها إذا بلغته» [٢].

من فوائد الشفاعة:

من نعم الله على العبد المسلم نعمة الجاه والمكانة بين الناس، إذا قام بشكرها كانت نعمة، وإذا قام بكفرها فحجب هذا الجاه عن أهله المستحقين له كانت نقمة ووبالاً عظيماً. قال ﷺ: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**» [٣].

وقد رصدت الشريعة الحنيفة جوائز قيمة لأهل الشفاعات للمسلمين، ما دامت في الحق، كما يلي:

حث الشريعة عليها:

قال ﷺ: «**لأن أمشي في حاجة أخي أحبُّ إليَّ من أن أعتكف شهراً**» [٤].

وقال الشافعي رحمه الله: «الشفاعات زكاة المروءات» [٥].

---

(١) الآداب الشرعية (٢/ ١٩١).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٩٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (ج٤ ص١٧٢٦، رقم ٢١٩٩).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج (ص ٤٧ ، رقم ٣٦) عن بعض أصحاب النبي ﷺ، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٠٦، رقم ٨٦١).

(٥) كشف الخفاء ١/ ١٢٩.

وجاء رجلٌ إلى الحسن بن سهل يستشفع به في حاجة، قضاها، فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن بن سهل: «علام تشكرنا، ونحن نرى أن للجاه زكاة، كما أن للمال زكاة؟ ثم أنشأ يقول [(١)]:

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي ... وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا

فإذا ملكت فجد فإن لم تستطع ... فاجهد بوسعك كله أن تنفعا

دوام نعمة الله سبحانه وتعالى على العبد:

إن هنالك أناساً اختصهم الله سبحانه وتعالى بقضاء حوائج عباده، والسعي في مصالحهم، وجعلهم للمعروف أهلاً، وللإحسان مقصداً، حببه إليهم وحببهم إليه، مفاتيح للخير، مغاليق للشر، «**إن لله أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحوّلها إلى غيرهم**» [(٢)].

فتلك سُنّة ماضية، فمن لم تُنزع منه نُزعت منه بركتها، وذهب عنه أجرها، وثبت عليه وزرها. وكما أن للمال زكاة يزيد بها وينمو، ويعظم ويزكو، فإن للجاه زكاة أيضاً، وربما كان أعظم نفعاً من المال، والبخيل بجاهه أعظم

---

(١) تاريخ بغداد (٧ / ٣٢٢)، وشرح أدب الكاتب (١ / ٦)، وتاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، (٣٨ / ١٤٣)، وبغية الطلب في تاريخ حلب (٥/ ٢٣٨٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (١/ ٢٤ ، رقم ٥) ، والطبراني في الأوسط (٥/ ٢٢٨ ، رقم ٥١٦٢) ، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١١٥) ، والخطيب (٩/ ٤٥٩) . قال المنذري (٣/ ٢٦٣): رواه ابن أبي الدنيا ، والطبراني في الكبير والأوسط ولو قيل بتحسين سنده لكان ممكنا .

من البخيل بماله، والجاه نعمة عظمى، وهبة كبرى تستحق الشكر، وتستوجب الثناء لمسديها ومعطيها ﷻ، ومن شُكرها بذلها لعباد الله ابتغاء موعوده، وطمعاً في أجره، ورغبة في رضاه.

الأجر العظيم يوم القيامة:

ففي يوم القيامة؛ يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت، يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، يوم يبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، يوم تدنو الشمس من العباد قدر ميل، يوم تعظم الحسرة، وتفيض العبرة، ويعظم الخوف، ويزداد الجزع، ويدلهم الخطب، ويتطاول الهم، ويشتد الكرب، هنالك يفرج الهم، وينفس الكرب لمن كان يفرج هموم المسلمين، وينفس كربات المكروبين.

قال ﷺ: «**من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**» (١).

أنها تندرج تحت باب حقوق الأخوة الإسلامية:

ويقول ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج على مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٢ ، رقم ٧٤٢١) ، ومسلم (٤/ ٢٠٧٤ ، رقم ٢٦٩٩) ، وأبو داود (٤/ ٢٨٧ ، رقم ٤٩٤٦) ، والترمذي (٥/ ١٩٥ ، رقم ٢٩٤٥) ، وابن ماجه (١/ ٨٢ ، رقم ٢٢٥) ، وابن حبان (٢/ ٢٩٢ ، رقم ٥٣٤) .

كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» (١).

وقال ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**» (٢).

فمن أراد أن يفرّج الله همه، وينفّس كربه، فليجتهد في تفريج هم المهمومين، وتنفيس كرب المكروبين واعلموا أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة.

الشفاعة من أبواب البر:

إن دروب الخير كثيرة، وأنواع البر متعددة، ومجالات الإحسان متنوعة، ومن أعظم ذلك السعي في حوائج المسلمين، والإحسان إلى المؤمنين؛ من إطعام للجائع، وكسوة للعاري، وعيادة للمريض، وتعليم للجاهل، وإنظار للمعسر، وإعانة للعاجز، وإسعاف للمنقطع وكفالة لليتيم، وتفريج للهم، وتنفيس للكرب، وشفاعة في الخير. ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، وخير الناس أنفعهم للناس.

وقال ﷺ: «أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن المسلم سروراً،

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٩١ ، رقم ٥٦٤٦) ، والبخاري (٢/ ٨٦٢ ، رقم ٢٣١٠) ، ومسلم (٤/ ١٩٩٦ ، رقم ٢٥٨٠) ، وأبو داود (٤/ ٢٧٣ ، رقم ٤٨٩٣) ، والترمذي (٤/ ٣٤ ، رقم ١٤٢٦) وقال : حسن صحيح غريب .

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٨٨ ، رقم ٦٣٦) ، وأحمد (٥/ ٢٠٤ ، رقم ٢١٨٢٤) ، وأبو داود (٣/ ١٩٣ ، رقم ٣١٢٥) ، والنسائي (٤/ ٢١ ، رقم ١٨٦٨) ، وابن ماجه (١/ ٥٠٦ ، رقم ١٥٨٨) ، وابن حبان (٢/ ٢٠٨ ، رقم ٤٦١) .

أو تقضي له ديناً، أو تطعمه خبزاً» [(١)].

فيجب على المسلم أن يسعى في حاجة إخوانه، وأن يجتهد في نفع المحتاج، ومساعدة الضعيف، ومؤازرة الفقير، وإغاثة الملهوف، ويجب على كل ذي منصب أو جاه أو قرار، أن يؤدي حقه خير أداء، وأن يقوم ببذله في وجوهه المشروعة، وأن يصدق في إعطاء كل ذي حق حقه - **وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** – و«**اشفعوا تؤجروا**» [(٢)].

وينضم إلى هذه الفضائل أيضا، أن الشفاعة [(٣)]:

١- من دلائل كمال الإيمان، وحسن الإسلام .

٢- دليل حب الخير للآخرين، وحسن الظن بهم .

٣- دليل رقة قلب الشافع ورحمته بغيره .

٤- تزيد من الألفة والترابط والمودة بين الأفراد في المجتمع الإسلامي.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج (ص ٩٥ ، رقم ١١٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٢٣ ، رقم ٧٦٧٨) . وأخرجه أيضاً : الديلمي (١/ ١/ ١٢٣) من طريق ابن لال كما في السلسلة الضعيفة للألباني (٣/ ٤٨١ رقم ١٤٩٤) . قال المناوي (٢/ ٢٦) : فيه الوليد بن شجاع ، قال أبو حاتم : لا يحتج به . وعمار بن محمد مضعف . والحاصل أنه حسن لشواهده . وقال الحسيني في البيان والتعريف (١/ ١١٧) : شواهده تبلغ مرتبة الحسن.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) نضرة النعيم ج ٦-٢٣٦٥.

آداب الشفاعة:

عدم تضييع من له حق:

فكم من الناس يشفع ويتوسط ويتوسل في أمور يضيع بها حقوق المسلمين لنفع صاحبه أو قريبه ،وهذا من المحرمات ،ومن البلايا التي ابتلي بها أهل الزمان ،تضيع حقوق وتهدر أحوال وأوقات وجهود بسبب مكالمة أو ورقة صغيرة: إثمها كبير، ووزرها خطير ،ويظن الجاهل أن هذا من الشفاعة الحسنة ،وما علم أنها من الشفاعة المحرمة: ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كِفل منها وكان الله على كل شيء مقيتاً.

ومن علامات سوء المجتمع. أنك لا تستطيع إنجاح حاجة من حوائجك بدون أن تكلم فلان أو تتصل على فلان أو تستخرج ورقة من علان، لتسجيل أحد أولادك في الجامعة أو أحد بناتك في الكلية ،أو حتى تسجيل بعض أولادك الصغار في المدارس. أو لكي تعين في المنطقة الفلانية أو تنقل من جهة إلى جهة. وتدخل الشفاعات السيئة عندما يصل الأمر إلى نقل المدرسات من منطقة إلى منطقة بل قد يتعدى الأمر إلى الرشاوى، هذا والنظم موجودة والباب مفتوح. فإلى الله المشتكى. وهذا إن حصل فكما قلت علامة سوء المجتمع.

أن لا يشفع في حد من حدود الله:

من أسباب النكبات التي تمر بها بلدان المسلمين تعطيل الحدود الشرعية، بسبب شفاعات السوء، وجاهات الضرار التي تحاد شرع الله، فإذا تعطل الحد الشرعي حلت عقوبة قدرية كونية تشمل المجتمع كله، كما قال ﷺ: «**حد يقام**

في الأرض خير لأهلها من أن يمطروا أربعين صباحاً» [(١)].

لذا فقد كان ﷺ حازما في أمر الحدود، ولا يقبل شفاعة في حد، ويعنف من يتشفع فيه، ولو كان من أحب الناس إليه، فعن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ قالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «**أتشفع في حد من حدود الله؟**» ثم قام فاختطب ... إلى آخر الحديث» [(٢)].

- يزني الزاني فيشفع فيه من يشفع فلا يقام عليه الحد.
- ويشرب الخمر من يشربها فيشفع فيه من يشفع.
- ويسرق من يسرق فيشفع فيه من يشفع فلا يقام عليه الحد.
- ويسبُّ الدين والشرع ويستهزأ به ولا يقام الحد.

ويرتد من ارتد عن دينه فلا يقام حد الردة.

وكل ذلك بسبب شفاعات السوء ،التي تحارب حكم الله وحدوده.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٢) قال : حدثنا زكريا بن عدي. وفي (٢/ ٤٠٢) قال : حدثنا عتاب. وابن ماجة (٢٥٣٨) قال : حدثنا عمرو بن رافع. والنسائي (٨/ ٧٥) قال : أخبرنا سويد بن نصر. والنسائي (٨/ ٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٨٢ ، رقم ٣٢٨٨) ، ومسلم (٣/ ١٣١٥ ، رقم ١٦٨٨) ، وأبو داود (٤/ ١٣٢ ، رقم ٤٣٧٣) وأخرجه أيضًا : الترمذي (٤/ ٣٧ رقم ١٤٣٠) وقال : حسن صحيح .

عدم قبول الهدية بعد الشفاعة :

إذا شفع المسلم شفاعة حسنة فلا يجوز له أن يأخذ مقابلًا على هذه الشفاعة والواسطة. والدليل ما رواه الإمام أحمد رحمه الله عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: «**من شفع لأحد شفاعة ،فأهدى له هدية (عليها) فقبلها (منه) فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا**» (١).

وظاهر الحديث يشمل الأخذ ولو بدون شرط مسبق، كما يقوله الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله، فلو شفع لأخيه وجاءه بهدية - بدون أن يشترطها - فلا تأخذها، وأجرك على الله، ولا تجعل باباً للشيطان يُفسد عليك أعمالك الصالحة التي تبتغي بها وجه الله، لا تقبل هدية، ولا مالاً، ولا خدمة أخرى مقابل شفاعتك وواسطتك، فإن «الشفاعات زكاة المروءات» (٢).

ألا تكون من الواسطة الضارة بالمجتمع:

فالواسطة ظاهرة التبس على كثير من الناس مفهومُها، فأصبحت بارزة الخطورة؛ حيث إنها تؤدِّي بالمجتمع إلى تفشِّي روح الانتهازية ليصبحَ التعامل مع الفردِ بمقدارِ ما يحمِله من معرفةٍ وصِلة ومصلحةٍ شخصيّة، لا بما يحمله من كفاءةٍ وقُدرة وأولوية، وكلُّ ذلك منتجٌ للتراجعِ الإيجابيّ ومولِّدٌ للغَبن والتردُّد في العمل والأداء وحاجبٌ للابتكارِ والإبداع والتطوّر الذي ينعَكس على المصلحةِ العامّة للمجتمع بالسلب والفشل دون أدنى شكٍّ أو مماراة.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦١ ، رقم ٢٢٣٠٥) ، وأبو داود (٣/ ٢٩١ ، رقم ٣٥٤١) ، والطبراني (٨/ ٢٣٨ ، رقم ٧٩٢٨) .

(٢) كشف الخفاء ١/ ١٢٩.

بل لقد وصلتِ الحال ببعض المجتمعاتِ إلى أن يشعرَ الفرد أنه لن يحيا حياةً متكامِلة بدون الواسطة، فلن يستطيع العملَ إلاّ بها، ولا السفرَ إلا بها، ولا الدراسةَ إلا بها، ولاَ التجارةَ إلاّ بها، ولا العلاجَ إلا بها، ولا تخليصَ الأعمالِ إلا بها.

وإنَّ مما يزيد الأمرَ عِلّةً والطين بِلّة أن يراها البعض من الناس بسبَب تفشِّيها مبرِّرًا للّجوء إليها وممارستها في كلِّ نواحي الحياة كيفَما اتَّفق، في حِينِ إنَّ حقيقتَها حالةٌ منَ الإفلاسِ تعترِي أصحابَها، كما أنَّ الظّروفَ الاجتماعيّةَ ليست مبرِّرًا للّجوء إلى الواسطة التي تُؤدِّي بصاحبها إلى هضمِ حقوق الغير وحرمانهم ممّا هم أهلٌ له قبلَه.

وإنَّ مما لا شكَّ فيه أن تفشيَ مثلِ تِلكم الآفة في مجتمعٍ مَا لن يدعَ لها في نهوضِها حَلاًّ ولا عَقدًا ولا أثَرًا لكفَاءاتها في منافعها العامّة، وإنما تكون خاضعةً للمصالح الشخصيّة والعلاقات المنفعيّة؛ ليجلبَ المجتمع على نفسه غائلةَ الفاقةِ والتخلّف، ويذكيَ في أوساطه شررَ الحسد والتباغض والتغابن، وقَلبِ المعايير علَى مَبدأ المصالح الشخصيّة لا على مبدأ الصالح العام والقبول للأصلح.

غيرَ أنَّ كثيرًا من الناس قد توسَّعوا في استعمالِ هذا المبدأ وأَساؤوا فهمه، فأقحموه في غيرِ ما وضِعَ له حتى أصبحَ ظاهرة كثيرةَ التفشّي في المجتمعات المسلمة على نحو ما ذكرنا لكم آنفًا، فتحوَّل الأمر من كونِه محَلاًّ للإرفاقِ إلى كونه محلاًّ للمُضارَّة، والمضارّةُ لم تأتِ في كتاب الله إلا مذمومةً مَرفوضَة، كقوله

تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ [(١)]. وكقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾[(٢)]. وكقوله: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ [(٣)]. وقال النبيَّ ﷺ: «**لا ضررَ ولا ضرار**» [(٤)].

ألا يظن إلزامها للناس:

فالشافع يتوسط لتحقيق مصلحة، أو رفع ضرر، في حدود الشرع، ولكن ليست شفاعته إلزامية، فيمكن لمن تشفع عنده ألا يقبل الشفاعة، ولا يغير في ذلك علو مكانة الشافع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة بريرة وزوجها رضي الله عنهما. قال: قال لها النبي ﷺ: «**لو راجعته**»، قالت: يا رسول الله! تأمرني؟ قال ﷺ: «**إنما أشفع**»، قالت: لا حاجة لي فيه [(٥)].

أحكام تتعلق بالشفاعة الحسنة:

الشفاعة للميت، فالميت أحوج ما يكون للدعاء والشفاعة، تشفع فيه

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٣) سورة الطلاق: الآية ٦.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣١٣ ، رقم ٢٨٦٧) ، وابن ماجه (٢/ ٧٨٤ ، رقم ٢٣٤١) قال البوصيري (٣/ ٤٨) : هذا إسناد فيه جابر (يعني الجعفي) وقد اتهم . والطبراني (١١/ ٢٢٨ ، رقم ١١٥٧٦) .

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٢٣ ، رقم ٤٩٧٩) ، وأبوداود (٢/ ٢٧٠ ، رقم ٢٢٣١) ، والنسائي (٨/ ٢٤٥ ، رقم ٥٤١٧) ، وابن ماجه (١/ ٦٧١ ، رقم ٢٠٧٥) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (١٠/ ٩٦ ، رقم ٤٢٧٣) .

بدعائك الصالح الذي قد يقبله الله منك. «الميت» أحوج لهذه الشفاعة من ذلك الحي الذي تسعى له بكل جهدك وأعمالك لتصلح من حاله.

يقول ﷺ: «**إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**» (١). وقال ﷺ: «**ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً، لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفعهم الله فيه**» (٢).

ويموت الميت في هذا الزمان، ولا يبالي به بعض أهله، ولا يكترثون بمن يكفن، أو يصلي عليه، أو يدفن، وإذا كان النبي ﷺ يقول في شفاعة الأحياء: «**اشفعوا تؤجروا**».

فإنه يقول في الصلاة على الميت: «**من خرج مع جنازة من بيتها أو صلى عليها ،ثم تبعها حتى تدفن ،كان له قيراطان من أجر ،كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد**» (٣).

إضاءات:

أنواع شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة:

١- الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا محمد ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء

---

(١) أخرجه : أبو داود (٣١٩٩) ، وابن ماجه (١٤٩٧) .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٧ ، رقم ٢٥٠٩) ، ومسلم (٢/ ٦٥٥ ، رقم ٩٤٨) ، وأبو داود (٣/ ٢٠٣ ، رقم ٣١٧٠) ، وابن حبان (٧/ ٣٥١ ، رقم ٣٠٨٢) .

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٦٥٣ ، رقم ٩٤٥) ، وأبو داود (٣/ ٢٠٢ ، رقم ٣١٦٩) .

والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

٢- شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، ليدخلوا الجنة.

٣- شفاعته ﷺ في قومٍ آخرين، قد أُمر بهم إلى النار لا يدخلوها.

٤- شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

٥- شفاعته ﷺ في أقوام ليدخلوا الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفًا.

٦- شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه .

٧- شفاعته ﷺ أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة .

٨- شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها . وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون .

أسعد الناس بشفاعة الرسول ﷺ:

عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قيل: يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: (لا إله إلا الله)، خالصاً من قلبه، أو نفسه**» [١].

(١) أخرجه البخاري (١/ ٤٩ ، رقم ٩٩) .

قصة شفاعة:

قال ابن الجوزي رحمه الله:

كان هارون الشرقي قد عاهد الله أن لا يسأله أحد كتاب شفاعة إلا فعل، فجاءه رجل، فأخبره أن ابنه قد أُسر بالروم، وسأله أن يكتب إلى ملك الروم في إطلاقه، فقال له: ويحك! ومن أين يعرفني؟ وإذا سأل عني، قيل: هو مسلم. فكيف يقضي حقي؟ فقال له السائل : اذكر العهد مع الله تعالى، فكتب له إلى ملك الروم، فلما قرأ الكتاب قال: من هذا الذي قد شفع إلينا؟ قيل: هذا قد عاهد الله لا يُسأل كتاب شفاعة إلا كتبه إلى أيٍّ من كان، فقال ملك الروم: هذا حقيق بالإسعاف، أطلقوا أسيره، واكتبوا جواب كتابه، وقولوا له: اكتب بكل حاجة تعرض، فإنا نُشفعك فيها [1].



(١) الأدب الزبد ٢-٢٨٨.

أدب الشكر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فلقد أجزلَ الله على عباده من نعمه العظيمة، وأغدق عليهم من آلائه الجسيمة، كما قال ﷺ: «**إن يمين الله تعالى ملأى لا تغيضها نفقة، سحَّاءَ الليل والنهار**»[(١)]. يقسِم الأرزاقَ ويغدِق العطايا، ويرزق من يشاء بغير حساب، يبتلي عبادَه بالنعم كما يبتليهم بالمصائب، ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾[(٢)].

والله منعمٌ بهذا كلِّه، وفتنةُ السّرّاء أعظم من فتنة الضراء، وصاحبها يحتاج إلى صبر وشكر، والفقر والغنى مطيَّتا الابتلاء والافتتان، والصبر والشكر لازمان للعبد في أمر الربِّ ونهيه، وقضائه وقدره، والتقوى مبنيةٌ عليهما.

تعريف الشكر:

الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده، ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبةً، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٣، رقم ٨١٢٥)، والبخاري (٦/ ٢٦٩٩، رقم ٦٩٨٣)، ومسلم (٢/ ٦٩١، رقم ٩٩٣).

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٥.

أو هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وإضافة النعم إلى موليها، والثناء على المنعم بذكر إنعامه، وعكوف القلب على محبته، والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره.

الفرق بين الشكر والحمد:

الشكر كالحمد في أنهما وصف باللسان، بإزاء النعمة، إلا أن الحمد يكون باللسان، وبالقلب، بخلاف الشكر، فإنه يقع بالجوارح، والنعمة مقيدة في الشكر بوصولها إلى الشاكر، بخلافها في الحمد، ويختص الشكر بالله تعالى بخلاف الحمد.

حقيقة الشكر:

حقيقة الشكر أن ينتظم الإنسان في العلم والحال والعمل، فالعلم معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرج الحاصل بإنعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه، ويتعلق ذلك العمل بـ(القلب، والجوارح، وباللسان).

أما بالقلب: فقصده الخير، وإضماره لكافة الخلق.

وأما باللسان: فإظهار الشكر لله تعالى، بالتحميدات الدالة عليه.

وأما بالجوارح: فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته [١].

وهذا ما قسم العلماء الشكر إليه، كما يلي:

---

(١) موعظة المؤمنين في إحياء علوم الدين – الدمشقي – الجزء الأول – ٣٤٠.

أقسام الشكر:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والشكر يتعلق بالقلب، واللسان، والجوارح»[(١)].

الشكر بالقلب:

هو الاعتراف بالنعم للمنعم، وأنها منه، وبفضله. ومن الشكر بالقلب: محبة الله على نعمه.

وقال الشاعر:

إذا كنت تزداد في كل نعمة إذا	لمؤتيكها حبًّا فلست بشاكر
أنت لم تؤثر رضا الله وحده	على كل ما تهوى فلست بصابرِ

الشكر باللسان:

الثناء بالنعم، وذكرها، وتعدادها، وإظهارها، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[(٢)]. وكان عمر بن عبد العزيز يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك أن أبدل نعمتك كفراً، أو أن أكفرها بعد معرفتها، أو أنساها فلا أثني بها»[(٣)].

وقال فضيل بن عياض رحمه الله: «كان يقال: من شكر النعمة التحدّث بها»[(٤)]. وجلس ليلة هو وابن عيينة، يتذاكران النعم إلى الصباح!!

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (١ / ١٢٣).

(٢) سورة الضحى: الآية ١١.

(٣) شعب الإيمان (٤ / ١٢٩)، وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (١ / ١٠١).

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب (١٦ / ١٢٧).

الشكر بالجوارح:

ألا يُستعان بالنعم، إلا على طاعة الله ﷻ، وأن يحذر من استعمالها في شيء من معاصيه، قال الله ﷻ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [١].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**على كل مسلم صدقة، قالوا: فإن لم يجد، قال: فيعمل بيده، فينفع نفسه، ويتصدق**»، قالوا: فإن لم يستطع، أو لم يفعل؟ قال: «**يعين ذا الحاجة الملهوف**»، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «**فليأمر بالمعروف**»، قالوا: فإن لم يفعل، قال: «**فليمسك عن الشر فإنه صدقة**»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**خلق الله ابن آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن ذكر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح لله، وعزل حجراً عن طريق المسلمين، أو عزل شوكة، أو عزل عظماً، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى، أمسى من يومه، وقد زحزح نفسه من النار**» [٣].

وقال بعض السلف في قوله تعالى (اعملوا آل داود شكرا): «لما قيل لهم هذا، لم تأت عليهم ساعة إلا وفيهم مُصَلّ»[٤].

---

(١) سورة سبأ: الآية ١٣.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٩٥، رقم ١٩٥٤٩)، والبخاري (٢/ ٥٢٤، رقم ١٣٧٦)، ومسلم (٢/ ٦٩٩، رقم ١٠٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٦٩٨، رقم ١٠٠٧).

(٤) الشكر (١/ ٢٨)، وجامع العلوم والحكم (١ / ٢٤٦).

مراتب الشكر على درجتين واجب ومستحب:

الشكر على درجتين:

الدرجة الأولى: شكر واجب:

وهو أن يأتي بالواجبات، ويجتنب المحرمات، فهذا لا بد منه، عن أبي ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتا الضحى يركعهما**» [(١)]. فما من عظم، ولا عرق، ولا عصب، إلا وعليه أثر صنع الله ﷻ، فيجب على العبد الشكر على ذلك، والحمد لله.

الدرجة الثانية: الشكر المستحب:

وهو أن يعمل العبد بعد أداء الفرائض، واجتناب المحارم بنوافل الطاعات، وهذه درجة السابقين المقربين، فهذا رسول الله ﷺ، كان يجتهد في الصلاة، ويقوم حتى تتفطر قدماه، فإذا قيل له: لم تفعل هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر؟ فيقول ﷺ: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**» [(٢)].

رؤوس النعم:

إن معرفة النعمة من أعظم أركان الشكر، حيث إنه يستحيل وجود الشكر بدون معرفة النعمة، وذلك لأن معرفة النعمة، هي السبيل إلى معرفة

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٩٨ رقم ٧٢٠) والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٢٦ رقم ٩٠٢٨).

(٢) أخرجه البخاري، (٢/ ٢٢٢، رقم ١١٣٠)، ومسلم (٤ / ١٧٢٢، رقم ٢٨١٩).

المنعم، فإذا عرف الإنسان النعمة توصل بمعرفتها إلى معرفة المنعم بها، ومتى عرف المنعم بها أحبه، ومحبته ﷻ تستلزم شكره.

وليست النعم مقصورةً على الطعام والشراب فحسب، كما يظن كثيرٌ من الناس، بل هي كثيرة لا تحصى، فكل حركة من الحركات، وكل نَفَس من الأنفاس لله ﷻ فيه نعم، لا يعلمها إلا هو ﷻ.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه، فقد قلّ علمه وحضر عذابه» [(١)].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «النعم ثلاثة:

١-نعمة حاصلة يعلم بها العبد.

٢-ونعمة منتظرة يرجوها.

٣-ونعمة هو فيها لا يشعر بها» [(٢)].

فإذا أراد الله ﷻ إتمام نعمته على عبده، عرّفه نعمته الحاضرة، وأعطاه من شكره قيداً، يُقيّدها به حتى لا تشرد، فإنها تشرد بالمعصية، وتُقيّد بالشكر، ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصّره بالطرق التي تسدّها، وتقطع طريقها، ووفقه لاجتنابها، وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه، وعرَّفه النعمَ التي هو فيها ولا يشعر بها.

---

(١) الزهد لابن المبارك (١/ ٥٤٢)، والزهد لأبي حاتم الرازي (١/ ٣٧)، والشكر لابن أبي الدنيا (١ /٣٣)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١ / ٢١٠)، وشعب الإيمان (٤/ ١١٣).

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (١/ ١١٧)، والفوائد (١/ ١٧٢).

ويحكى أن أعرابيًّا دخل على الرشيد رحمه الله فقال: يا أمير المؤمنين! ثبّت الله عليك النعم التي أنت فيها بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التي ترجوها بحسن الظن به، ودوام طاعته، وعرّفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها لتشكرها. فأعجب الرشيدَ كلامُه، وقال: «ما أحسن تقسيمه» (١).

وإن من رؤوس النعم، ما يلي:

نعمة الإسلام والإيمان:

وهي والله أعظم نعمة أنعم الله بها علينا، حيث جعلنا من أهل الإسلام والتوحيد، ولم يجعلنا من اليهود، الذين سبّوا الله سبحانه وتعالى، ووصفوه بأقبح الصفات وأخسّها، أو النصارى، الذين عبدوا غير الله، ونسبوا إليه الولد، تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً.

قال مجاهد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (٢). قال: «هي لا إله إلا الله» (٣).

وقال ابن عيينة رحمه الله: «ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرّفهم لا إله إلا الله» (٤).

---

(١) الفوائد (١/ ١٧٣).

(٢) سورة لقمان: الآية٢٠.

(٣) تفسير الثوري (١/ ٢٣٨)، والشكر (١/ ٣٤)، وتفسير الطبري (٢١/ ٧٨)، والدعاء للطبراني (١/ ٤٥٧).

(٤) حلية الأولياء (٧ / ٢٧٢)، وشعب الإيمان (٤ / ١١٩)، وعدة الصابرين (١/ ١٠٦)، والطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٨٢).

نعمة الستر والإمهال:

وهي أيضاً من أعظم النعم، لأن الله ﷻ لو عاجلنا بالعقوبة لهلكنا، قال مقاتل رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، قال: «أما الظاهرة فالإسلام، وأما الباطنة :فستره عليكم المعاصي» [(١)].

وقال رجل لأبي تميمة رحمه الله: كيف أصبحت؟ قال: «أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل؟ ذنوب سترها الله، فلا يستطيع أن يُعيِّرني بها أحد؟ ومودة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها علمي» [(٢)].

نعمة التذكير:

قال ابن القيم رحمه الله: «ومن دقيق نعم الله علىٰ العبد التي لا يكاد يفطن لها، أنه يغلق عليه بابه، فيرسل الله إليه من يطرق عليه الباب يسأله شيئاً من القوت ليعرّفه نعمته عليه» [(٣)].

وقال سلام بن أبي مطيع رحمه الله: «دخلت على مريض أعوده، فإذا هو يئن، فقلت له: اذكر المطروحين على الطريق، اذكر الذين لا مأوى لهم، ولا لهم من يخدمهم. قال: ثم دخلت عليه بعد ذلك فسمعته يقول لنفسه: اذكري المطروحين في الطريق.. اذكري من لا مأوى له، ولا له من يخدمه» [(٤)].

---

(١) شعب الإيمان (٤ / ١١٩).

(٢) الشكر (١/ ١٨)، وشعب الإيمان (٤/ ١٢٢)، وعدة الصابرين (١ / ١٠١).

(٣) عدة الصابرين (١ / ١١٢).

(٤) حلية الأولياء (٦ / ١٨٩)، وعدة الصابرين (١/ ١١٢).

نعمة فتح باب التوبة:

فمن نِعم الله ﷻ على عباده أنه لم يغلق باب التوبة دونهم، مهما كانت ذنوبهم ومعاصيهم، وفي أثر إلهي يقول الله ﷻ: «**أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أُقنطهم من رحمتي، إن تابوا إليّ فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب**» (١).

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**» (٢).

نعمة الاصطفاء:

وهذه النعمة يشعر بها أهل الاستقامة والورع والإقبال على الله ﷻ دون غيرهم، فالله ﷻ ثبت هؤلاء على دينه في زمن الفتن، وصرفهم إلى طاعته في حين أنه صرف أكثر الناس عنها، وحبّبهم في الإيمان وزيّنه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وهذه من أعظم النعم التي يستحق عليها ﷻ تمام الشكر وغاية الحمد.

وقد مرّ وهب بن منبه رحمه الله ومعه رجل على رجل مبتلى، أعمى، مجذوم، مقعد، به برص، وهو يقول: الحمد لله على نعمه، فقال له الرجل الذي كان مع

---

(١) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢١٠)، ورسالة في تحقيق الشكر (١ / ١١٦)، ومجموع الفتاوى (١٤ / ٣١٩)، ومدارج السالكين (١/ ٤٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٦، رقم ٢٧٠٣)، وابن حبان (٢/ ٣٩٦، رقم ٦٢٩).

وهب: أي شيء بقي عليك من النعمة تحمد الله عليها؟ وكان هذا الرجل في قرية تعمل بالمعاصي، فقال للرجل: ارم ببصرك إلى أهل المدينة، فانظر إلى كثرة أهلها، وما يعملون، أفلا أحمد الله أنه ليس فيها أحد يعرفه غيري!! [(١)].

نعمة الصحة والعافية وسلامة الجوارح:

كان أبو الدرداء ﵁ يقول: «الصحة: الملك» [(٢)].

وحكى سلمان الفارسي ﵁: «أن رجلاً بُسط له من الدنيا، فانتزع ما في يديه، حتى لم يكن له إلا حصير بالية، فجعل يحمد الله تعالى ويثني عليه. فقال له رجل آخر قد بسط له من الدنيا: أرأيتك أنت، علامَ تحمد الله؟ فقال الرجل: أحمده على ما لو أعطيت به ما أعطي الخلق لم أعطهم إياه. قال: وما ذاك؟ قال: أرأيتك بصرك؟ أرأيتك لسانك؟ أرأيتك يدك؟ أرأيتك رجليك؟» [(٣)].

وجاء رجل إلى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله، فقال له يونس: «أيسرّك ببصرك هذا مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا. قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا. قال فبرجليك مائة ألف؟ قال: لا. قال: فذكّره نعم الله عليه، ثم قال له: أرى عندك مئين الألوف وأنت تشكو الحاجة!! [(٤)].

---

(١) حلية الأولياء (٤ /٦٨)، وشعب الإيمان (٤ /١١٨)، وعدة الصابرين (١ /١١٧)، والبداية والنهاية(٩ / ٣٠٠).

(٢) عدة الصابرين (١/ ١٠٧).

(٣) المرجع السابق.

(٤) الشكر (١/ ٣٦)، وحلية الأولياء (٣/ ٢٢)، وشعب الإيمان (٤/ ١١٢)، وصفة الصفوة (٣/ ٣٠٥)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٩٢)، وتاريخ الإسلام (٨ / ٥٧٥).

نعمة المال:

والمال هو الطعام والشراب واللباس، قال بكر المزني رحمه الله: «والله ما أدري أي النعمتين أفضل عليّ وعليكم، أنعمة المسلك؟ أم نعمة المخرج إذا أخرجه منا؟ فقال الحسن رحمه الله: «إنها لمن نعمة الطعام» [١].

وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما من عبد يشرب الماء القراح - الصافي -، فيدخل بغير أذى، ويخرج بغير أذى إلا وجب عليه الشكر» [٢].

وقال بعض السلف في خطبته يوم عيد: «أصبحتم زهراً، وأصبح الناس غبراً، أصبح الناس ينسجون وأنتم تلبسون، وأصبح الناس ينتجون وأنتم تركبون، وأصبح الناس يزرعون وأنتم تأكلون»، فبكى وأبكاهم [٣].

وقال عبدالله بن قرط الأزدي رحمه الله، وقد رأى على الناس ألوان الثياب في يوم العيد: «يا لها من نعمة ما أعظمها، ومن كرامة ما أظهرها، وإنما تثبت النعم بشكر المنعم عليه للمنعم» [٤].

---

(١) عدة الصابرين (١ / ١١٩).

(٢) مختصر تاريخ دمشق (١/ ٤٧٣)، وعدة الصابرين (١ / ١١٩)، وجامع الأحاديث (١٨/ ١٦)، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (٣ / ٢٩٧).

(٣) الطبقات الكبرى (٧ / ٤٥١)، والشكر (١ / ٣٥)، وتاريخ مدينة دمشق (٣٣ / ٢٩)، ومختصر تاريخ دمشق (٤ / ٣٩٠)، وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (١/ ١٠٦).

(٤) الشكر (١ / ٣٥)، وفضيلة الشكر لله على نعمته (١ / ٦٦)، وشعب الإيمان (٣/ ٣٤٧)، وتاريخ مدينة دمشق (٣٢ / ١١).

فضيلة الشكر والشاكرين:

الشكر مقرون بمراتب الإيمان:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[١].

ومن أدى الشكر مؤمنا بالله سبحانه وتعالى، قد صار مؤمنا، ومن لم يفعل فقد قسم سبحانه وتعالى عبادَه إلى شكور له، وكفور به فقال: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[٢]. كما أخبر سبحانه وتعالى أنه إنما يعبده من شكره، فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٣].

وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**عجباً لأمر المؤمن، أن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»[٤].

النجاة من العذاب:

قال الله عز وجل: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾، ونجَّى الله لوطًا عليه السلام من العذاب بالشكر: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤٧.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٢.

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٣، رقم ١٨٩٥٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٩٥، رقم ٢٩٩٩)، والدارمي (٢/ ٤٠٩، رقم ٢٧٧٧)، وابن حبان (٧/ ١٥٥، رقم ٢٨٩٦).

عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾ [(١)].

ولما تنكَّر قومُ سبأ لنعم الله وجحدوها، وقابلوها بالعصيان، سلبها الله ﷻ منهم، وأذاقهم ألوانًا من العذاب، ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ [(٢)].

وأصحاب الجنة (المذكورون في سورة القلم) قابلوا نعمةَ الله بالنكران وحرمان المساكين، فطاف على ثمرهم طائف، فأصبحت زروعهم هباءً منثورا كالليل البهيم.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «عليكم بملازمة الشكر على النعم، فقلَّ نعمةٌ زالت عن قوم فعادت إليهم»[(٣)]. وقال الحسن البصري رحمه الله: «إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء الله، فإذا لم يُشكر عليها قلبها عذاباً» [(٤)].

أثنى الله ﷻ على عباده الشاكرين:

ومن ذلك ثناؤه ﷻ على أوَّل رسولٍ بعثه إلى أهل الأرض بالشكر، فقال: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [(٥)]. كما أثنى على خليله إبراهيم عليه السلام بشكر نعمه: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ

(١) سورة القمر: الآيات ٣٣ – ٣٥.

(٢) سورة سبأ: الآية ١٦.

(٣) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ١٢٧.

(٤) الشكر ج ١ ص ١١، وعدة الصابرين ج ١ ص ٩٨.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٣.

ﭐلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[(١)].

الشكر يحفظ النعم ويزيدها:

من رُزق الشكرَ رُزق الزيادة، ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾[(٢)].

ويقول أبو قلابة رحمه الله: «لا تضرّكم دنيًا شكرتموها»[(٣)]. فكلُّ نعمة لا تقرِّب من الله فهي نقمة، والشكر هو الحافظ للنعم الموجودة، والجالبُ للنعم المفقودة.

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «النعمة موصولةٌ بالشكر، والشكر يتعلّق بالمزيد، ولا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر»[(٤)].

والعبد إذا كانت له عند الله سبحانه وتعالى منزلة فحفظها، وبقي عليها، ثم شكر الله على ما أعطاه، آتاه الله أشرفَ منها، وإذا ضيَّع الشكرَ استدرجه الله سبحانه وتعالى.

الشكر من تعاليم الأنبياء وصفاتهم:

وصف الله سبحانه وتعالى أنبياءه عليهم السلام بالشكر، فقال عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾[(٥)]. وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ

---

(١) سورة النحل: الآيتان ١٢٠ – ١٢١.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٧.

(٣) الشكر (١ / ٢٤)، وجامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٤)، وعدة الصابرين (١/ ٩٩).

(٤) شعب الإيمان (٤/ ١٢٧)، وعدة الصابرين (١/ ٩٨)، وجامع الأحاديث (١٥/ ٣٥٤)، وكنز العمال (٣ / ٢٩٥).

(٥) سورة الإسراء: الآية ٣.

﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [(١)]. وداود عليه السلام كان ينام نصفَ الليل، ويقوم ثلثَه، وينام سدسَه، ويصوم يومًا، ويفطر يومًا، والله سبحانه وتعالى يقول له: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [(٢)].

وبالشكر أمر الأنبياءُ أقوامَهم، فقال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [(٣)].

وهو وصية النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم، فقد قال: «**يا معاذ، أني أحبُّك، فلا تدعنّ أن تقول دبرَ كلّ صلاة: اللهم أعنِّي على ذكرك وشُكرك وحسن عبادتك**» [(٤)].

وكان نبينا ﷺ أشكرَ الخلق لربّه، خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير، وربط على بطنه الحجرَ من الجوع، وغُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، ويقوم من الليل حتى تتفطَّر قدماه، ويقول: «**أفلا أكون عبدًا شكورا؟!**» [(٥)].

الشكر سعادة نفسية:

فلو نَظرتَ إلى العَبدِ الشاكرِ؛ أَلْفَيتَه رجلاً مُطمَئنَّ القَلبِ، قَرِيرَ العينِ،

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢١.

(٢) سورة سبأ: الآية ١٣.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٧.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٤، رقم ٢٢١٧٢)، وأبو داود (٢/ ٨٦، رقم ١٥٢٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٢، رقم ٩٩٣٧)، والحاكم (١/ ٤٠٧ رقم ١٠١٠) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين.

(٥) سبق تخريجه.

فهو راضٍ عن ربِّه تَمامَ الرِّضا؛ لِما يراه مِن نِعَمِ الله تَتْرَى عليه (صباحاً وعَشياً)؛ مما يملأ قلبَه حبّاً لله ﷻ، ورجاءً فيه، ويقيناً في رحمتِه، واطمئناناً إلى لطفِه وفضلِه، وطمعاً في جُودِه وكَرَمِه. فقد قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (١).

قال القرطبي رحمه الله: «الشاكر مُعرَّضٌ للمزيدِ، كما قال «**لئن شكرتم لأزيدنكم**»، والآية نصٌّ في أنَّ الشكرَ سببُ المزيد» (٢).

وقال جعفر الصادق: «إذا سمعتَ النعمةَ نعمةَ الشكرِ؛ فتأهَّبْ للمزيد «ولئن كفرتم إن عذابي لشديد» (٣). أي جحدتم حقي، وقيل: نعمي؛ وعد بالعذاب على الكفر كما وَعدَ بالزيادة على الشكر» (٤).

بينما الجاحِدُ.. لا يهدأ له بالٌ.. ولا يرتاحُ له قلبٌ ولا ذِهنٌ؛ لأنَّه يشعرُ بألَمِ المعصيةِ، وعُقدةِ الذنبِ، ووَخزِ الضميرِ؛ ولأنه كذلك يرى نفسَه أهلاً لأن يُنعِمَ الله عليه بأكثرَ من هذه النعم! فكلُّ ذلك يُنغِّصُ عليه حياتَه، ويُفسِد عليه سَعادتَه، ويُشعره دائماً بقلةِ ما هو فيهِ، وانعِدامِ السعادة والهناء. ولو أُعطِيَ الدنيا كلَّها لم يُرضِه ذلك؛ كما قال ﷺ: «**ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع**» (٥).

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٧.

(٢) تفسير القرطبي (٧ / ٢٨٠).

(٣) تفسير القرطبي (٩ / ٣٤٣)، وتفسير النسفي (٢ / ٢٢٤).

(٤) تفسير القرطبي (٩ / ٣٤٣).

(٥) أخرجه الطيالسي (ص ١٨٧، رقم ١٣١٧)، وأحمد (٣/ ٤٣٤، رقم ١٥٦١٢)،

القواعد التي يقوم عليها الشكر:

١- خضوع الشاكر للمشكور.

٢- وحبه له.

٣- واعترافه بنعمته.

٤- الثناء عليه بها.

٥- وألا يستعملها فيما يكره.

مظاهر تناقض الشكر:

رغم كثرة نعم الله علينا، والتي لا يمكن حصرها، ورغم وجوب شكر الله ﷻ على هذه النعم، التي يسرت لنا الحياة تيسيرًا بالغًا، إلا أنه تنتشر بين الناس مظاهر عديدة تناقض مبدأ الشكر، رغم ما له من فضائل.

فهل من الشكر على نعمة الإسلام أن يتشبه المسلم والمسلمة بغير المسلمين من المغضوب عليهم والضالين؟

وهل من الشكر على النعم ما تفعله كثيرٌ من النساء اليوم من التبرج، واتباع الموضات، ولبس الملابس الفاتنة التي خرجن بها عن حدود الشرع والحياء والحشمة والعفاف؟

وهل من الشكر تضييع كثير من المسلمين للصلوات، وتركهم الجمع والجماعات، واتباعهم للبدع والضلالات؟

والطبراني (٣/ ١٩٣، رقم ٣٠٩٥)، والحاكم (٣/ ٥٥١، رقم ٦٠٤٨) وقال: صحيح الإسناد.

وهل من الشكر تهاون الكثير بصيام شهر رمضان، وتضييع نهاره في النوم، وليله في السهر أمام شاشات التلفاز؟

وهل من الشكر تأخير كثير من المسلمين لحج الفريضة، مع تمام قدرتهم واستطاعتهم؟

وهل من الشكر منع الزكاة، وقبض الأيدي عن الصدقات، وترك الإنفاق في وجوه البر والخير؟

وهل من الشكر محاربة الله ﷻ عن طريق التعامل بالربا، والعمل في مؤسساته؟

وهل من الشكر إهدار الأموال الطائلة في جلب الدخان، والمخدرات، والمسكرات، وغيرها من السموم القاتلة؟

وهل من شكر النعم ما يفعله كثير من شبابنا، من إتلاف لسياراتهم بالتفحيط والتطعيس، والسرعة الجنونية؟

وهل من الشكر استخدام نعمة الهاتف في المعاكسات، وتضييع الأوقات، وفيما يغضب الله ﷻ؟

وهل من الشكر ما يفعله كثير من الأغنياء اليوم من إهانة للنعمة، وإلقاء الأطعمة في الصناديق مع القاذورات؟

الأسباب التي يتحقق ويدوم بها الشكر:

بالطاعات وترك المعاصي:

وقد مر بنا قوله ﷺ لعائشة: «**أفلا أكون عبدا شكورا**»، وكيف أنه كان

ﷺ يجعل هذا الشكر متمثلا في الاجتهاد في العبادة، قال محمد القرظي رحمه الله: «الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح»[١].

وقال أبو عبد الرحمن الحبلي رحمه الله: «الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل عمل تعمله لله شكر وأفضل الشكر الحمد»[٢].

وقال مخلد بن الحسين رحمه الله: «الشكر ترك المعاصي»[٣]. وفي بعض الآثار الإلهية: «ابن آدم! خيري إليك نازل، وشرّك إليّ صاعد، أتحبب إليك بالنعم، وتتبغض إليّ بالمعاصي»[٤].

الاعتراف لله سبحانه وتعالى بالنعمة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا ابن آدم! حملتك على الخيل والإبل، وزوجتك النساء، وجعلتك ترْبَع، وترأس، فأين شكر ذلك؟**»[٥].

---

(١) الزهد لأبي حاتم الرازي (١ / ٨٢)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٧٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٣)، وتفسير الثعلبي (٨ / ٧٩)، وشعب الإيمان (٤ / ١٣٣)، وتفسير ابن كثير (٣ / ٥٢٩)، والدر المنثور (٦ / ٦٨٠).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٥٠٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩ / ٣٠٠٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤ / ١٣)، وتفسير ابن كثير (٣ / ٥٢٩)، وفتح القدير (١ / ٢٠).

(٣) الشكر (١ / ١١)، ومعجم ابن الأعرابي (٢/ ٢٤٩)، وعدة الصابرين (١/ ١٠٤)، وجامع العلوم والحكم (١/ ٢٤٦)، والدر المنثور (١/ ٣٧١).

(٤) أخرجه الديلمي (٥/ ٢٣٣، رقم ٨٠٤٨)، والرافعي (٣/ ٤).

(٥) مسند أحمد بن حنبل (٢ / ٤٩٢)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٩٩)، والمجالسة وجواهر العلم (١/ ٣٧٢)، والفردوس بمأثور الخطاب (٥/ ٢٣٦)، والنهاية

الشكر على النعم صغيرها وكبيرها:

فمن لم يشكرِ القليل لم يشكرِ الكثير، وكان أبو المغيرة رحمه الله إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: «أصبحنا مغرَقين بالنعم، عاجزين عن الشكر» (١)، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ (٢).

وما من الناس إلا مبتلًى بعافية، ليُنظر كيف شكرُه، أو ببليةٍ ليُنظرَ كيف صبره، وعلى المؤمن الجمع بين الصبر والشكر مع التقوى.

النظر إلى أهل الفاقة والبلاء:

فإن ذلك يوجب احترام النعمة، وعدم احتقارها، ولذلك قال النبي ﷺ: «**إذا نظر أحدكم إلى من فُضّل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فَضُل عليه**» (٣).

وفي رواية: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم**» (٤).

في الملاحم والفتن (٢ / ٢٣٩)، وتفسير ابن كثير (٤ / ٥٤٨).

(١) الشكر (١ / ٢٠)، وحلية الأولياء (٦/ ٢٤٨)، وعدة الصابرين (١ / ١٠١).

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٤، رقم ٨١٣٢)، والبخاري (٥/ ٢٣٨٠، رقم ٦١٢٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٥، رقم ٢٩٦٣).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٤، رقم ٧٤٤٢)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٥، رقم ٢٩٦٣)، والترمذي (٤/ ٦٦٥، رقم ٢٥١٣)، وقال: صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٣٨٧، رقم ٤١٤٢). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط (٣/ ٢٢، رقم ٢٣٤٣).

قال النووي رحمه الله: «قال ابن جرير، وغيره: هذا حديث جامعٌ لأنواع الخير، لأن الإنسان إذا رأى من فُضّل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها، ظهرت له نعمة الله عليه وشكرها، وتواضع وفعل فيه الخير» (١).

معرفة أن الإنسان بمنزلة العبد المملوك لسيده:

وأنه لا يملك شيئاً على الإطلاق، وأن كلّ ما لديه إنما هو محض عطاء من سيده سبحانه وتعالى، قال الحسن رحمه الله: «قال موسى: يا رب !كيف يستطيع آدم أن يؤدي شكر ما صنعت إليه؟ خلقته بيديك، ونفخت فيه من روحك، وأسكنته جنتك، وأمرت الملائكة فسجدوا له. فقال: يا موسى! علم أن ذلك مني فحمدني عليه، فكان ذلك شكر ما صنعت إليه» (٢).

الانتفاع بالنعم وعدم كنزها:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**كلوا واشربوا وتصدّقوا من غير مخيلة ولا سرف، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**» (٣).

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨ / ٩٧).

(٢) الزهد لابن السري (٢ / ٤٠٠)، وعدة الصابرين (١ / ١٠٤)، وجامع العلوم والحكم (١/ ٢٤٤)، والدر المنثور (١/ ١٢٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٢، رقم ٦٧٠٨)، والحاكم (٤/ ١٥٠، رقم ٧١٨٨)، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٣٦، رقم ٤٥٧١)، وتمام (٢/ ١٠٦، رقم ١٢٦٥). وأخرجه أيضًا: الطيالسي (١/ ٢٩٩، رقم ٢٢٦١).

فإن ذلك من علامات شكر النعم، ولذلك روي أن داود عليه السلام كان يقول في دعائه: «سبحان مستخرج الشكر بالعطاء»[(١)].

ودعي عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى قوم على ريبة، فانطلق ليأخذهم، فتفرقوا قبل أن يبلغهم، فأعتق شكراً لله، ألا يكون جرى على يديه خزي مسلم!![(٢)]. فكان شكره بالعتق.

الدعاء وذكر الله سبحانه وتعالى:

فتدعو أن يجعلك الله سبحانه وتعالى من الشاكرين، وأن يوفقك لطريق الشكر، ومنزلته العالية.

ولذلك ثبت أن النبي قال لمعاذ رضي الله عنه: «**يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[(٣)].

وكانت هذه سنة الأنبياء عليهم السلام، حيث دعا سليمان عليه السلام ربَّه أن يكون من الشاكرين، فقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾[(٤)].

---

(١) الفرج بعد الشدة (١ / ٢٣)، وحلية الأولياء (٦/ ١٢٥)، وشعب الإيمان (٤/ ١٠٦)، وتاريخ مدينة دمشق (١٧/ ٩٨).

(٢) الشكر (١ / ٤٣)، وعدة الصابرين (١ / ١١٠)، وفيض القدير (٦ / ١٤٩).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سورة النمل: الآية ١٩.

والشكر في حقيقته هو ذكر لله ﷻ، وورد عن مجاهد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ (١). قال: «لم يأكل شيئاً إلا حمد الله عليه، ولم يشرب شراباً إلا حمد الله عليه، ولم يبطش بشيء قط إلا حمد الله عليه، فأثنى الله عليه أنه كان عبداً شكوراً» (٢).

وقال النبي ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**» (٣).

شهود مشهد التقصير في الشكر:

وذلك بأن يعرف العبد أنه مهما بالغ في الشكر، فإنه لن يوفي حق نعمة واحدة من نعم الله ﷻ عليه، بل إن الشكر نفسه نعمة تحتاج إلى شكر، ولذلك قيل (٤):

إذا كان شكري نعمةَ الله نعمةً ... عليّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف وقوع الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مَسّ بالسرّاء عمّ سرورُهــــا ... وإن مَسّ بالضراء أعقبَها الأ جرُ
وما منها إلا له فيه نعمةٌ ... تضيق بها الأوهام والبرّ والبحرُ

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣.

(٢) الزهد لابن المبارك (١/ ٣٣٠)، والشكر (١ / ٧٠)، وشعب الإيمان (٤/ ١١٣)، وتاريخ مدينة دمشق (٦٢/ ٢٧٤).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٩٥، رقم ٢٧٣٤)، والترمذي (٤/ ٢٦٥، رقم ١٨١٦).

(٤) الأبيات لمحمود الوراق، في الشكر (١ / ٣١)، وفضيلة الشكر لله على نعمته (١/ ٤٧)، والصناعتين الكتابة والشعر (١/ ٢٣٢)، وزهر الآداب وثمر الألباب (١/ ١٠٢).

مجاهدة الشيطان والاستعاذة بالله منه:

قال ابن القيّم رحمه الله: «ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر وأنه من أجل المقامات وأعلاها، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[1].

ترك مخالطة أهل الغفلة:

فإن مخالطتهم تنسي الشكر، وتقطع العبد عن التفكر في النعم، قيل للحسن رحمه الله: ها هنا رجل لا يجالس الناس، فجاء إليه فسأله عن ذلك، فقال: إني أمسي وأصبح بين ذنب ونعمة، فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس بالاستغفار من الذنب، والشكر لله على النعمة، فقال له الحسن رحمه الله: «أنت عندي يا عبد الله أفقه من الحسن، فالزم ما أنت عليه!!»[2] [3].

شكر أهل الفضل من الناس:

ربُّنا متصفٌ بالشكر، وأحبُّ خلقه إليه من اتَّصف بصفة الشكر، كما أن أبغَض خلقه إليه من عطّلها واتَّصف بضدّها، فهو سبحانه شكور يحبّ الشاكرين. ومِن شكر الله سبحانه وتعالى شكرُ من أسدى إليك معروفًا من خلقه، يقول

---

(١) الأعراف: ١٦ – ١٧.

(٢) عدة الصابرين (١ / ٩٦).

(٣) التبصرة (٢ / ٣١٥)، وعدة الصابرين (١ / ١١٩)، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، (٢ / ٣٧٣).

ﷺ: «**لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناس**»[١].

❁ * ❁ * ❁

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٥، رقم ٧٩٢٦)، والطيالسي (ص ٣٢٦، رقم ٢٤٩١)، وأبو داود (٤/ ٢٥٥ رقم ٤٨١١)، وابن حبان (٨/ ١٩٨، رقم ٣٤٠٧)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٦٥)، والبيهقي (٦/ ١٨٢، رقم ١١٨١٢). وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب المفرد (١/ ٨٥، رقم ٢١٨)، والقضاعي (٢/ ٣٥، رقم ٨٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥١٦، رقم ٩١١٧).

أدب الصبر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن الصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، فلا إيمان لمن لا صبر له، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر، وبه يظهر الفرق بين ذوي العزائم والهمم، وبين ذوي الجبن والضعف والخور، والعبد يبتلى حتى يبلغ قريبًا من مقام الأنبياء والمرسلين.

قال الله ﷻ عن عباد الرحمن: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾[1].

تعريف الصبر:

الصبر لغةً: هو المنع والحبس، وهو نقيض الجزع، يقال: صبر صبراً، فهو صابر، وصبَّار، وصبِّير، وصبور. وسمي الصوم صبراً، لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح[2].

وفي الاصطلاح: هو خُلقٌ فاضلٌ من أخلاق النفس، يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٥.

(٢) لسان العرب (٤/ ٤٣٨، ٤٣٩).

وهو قوّةٌ من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها.

وقيل: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله، لأن الله تعالى أثنى على أيوب عليه السلام بالصبر، بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾(١).

مع دعائه في دفع الضر عنه بقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(٢).

منزلة الصبر:

الصبر نصف الدين، وهو بمنزلة الرأس من الجسد بالنسبة لهذا الدين، وكما أنه لا جسد بلا رأس؛ كذلك لا دين بلا صبر.

والصبر واجب بإجماع العلماء؛ وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٣). فجاء بصيغة الأمر، والأمر للوجوب. ولا يمكن للمؤمن أن يجتاز مراحل هذه الدنيا على الصراط غير صابر، ولا يرتفع إلى المقام عند ربه غير صابر شاكر.

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في القرآن في حوالي تسعين موضعاً، وذكره سبحانه وتعالى على ستة عشر نوعاً؛ لكل نوع منها فائدة، أو ذكر لها ستة عشر فائدة في كتابه العزيز أهمها: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٤).

---

(١) سورة ص: الآية ٤٤.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٨٣.

(٣) سورة هود: الآية ١١٥.

(٤) سورة الزمر: الآية ١٠.

أنواع الصبر:

الصبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها:

وذلك بالصبر على أدائها، وإصابة الحق فيها، بالتمسك بسنة النبي ﷺ، والصبر على المداومة عليها، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾(١). وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(٢).

قال الحسن البصري رحمه الله: «أمِروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لضراء، ولا شدة ولا رخاء، وحتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يفتنون دينهم، وأما المرابطة فهي المداومة في مكان العبادة والثبات على أمر الله فلا يضيع»(٣).

الصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها:

قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾(٤).

وأكثر الناس يقدر على فعل الطاعة ويصبر عليها، ولكنه لا يصبر عن المعصية، فلقلّة صبره عن المحرمات لا يوصف بأنه من الصابرين، ولا ينال

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

(٣) تفسير ابن كثير (١ / ٤٤٥).

(٤) سورة الرعد: الآية ٢٢.

درجة المجاهدين الصابرين، فلا يعصم من ورود الشهوات إلا الصبر القويّ والورع الحقيقي، والمسلم إذا لم يكن مُتّصفا بالصبر، فقد تأتي عليه ساعة تلوح له فيها لذّة عاجلة، أو منفعة قريبة، أو شهوة عابرة، أو كبيرة موبقة، فتخور عزيمته، وتضعف إرادته، ويلين صبره، ويغشى المحرّم، ويقع في الموبقات، ويشقى شقاء عظيمًا، ويلقى عذابًا أليما.

الصبر على الأقدار والمصائب حتى لا يسخطها:

وذلك الصبر لا يكون محمودًا إلا مع الاحتساب؛ بأن يعلمَ بأنّ المصيبة مقدّرة من الله ﷻ، وأنّ من صبر أُجِر وأمر الله نافذ، ومن جزع وتسخّط أثم وأمر الله نافذ، قال ﷻ: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [(١)].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نِعمَ العِدلان، ونِعمتِ العلاوة»[(٢)]. يعني: أن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾ عدلان، يشبَّهان بعدلَي البعير في الحمل، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ هي العلاوة، وهو ما يكون بين العِدلين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده خيرًا عجّل له العقوبةَ في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه، حتى يُوافَى به يومَ**

---

(١) سورة البقرة: الآيات ١٥٥ – ١٥٧.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٣٨).

القيامة»[١]. «وإنَّ عِظَم الجزاء مع عظم البلاء، وإنّ الله إذا أحبّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»[٢].

وإذا اعترتـك بليـة فاصـبر لهـا ... صـبر الكـريم فإنـه بـك أكـرم
وإذا شـكوت إلى ابـن آدم إنـما ... تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

حاجتنا إلى الصبر:

ومما يدفعنا للصبر، حاجتنا له، والتي تتمثل في أمرين:

أولا: طبيعة الحياة الدنيا:

فالدنيا دار بلاء، وهموم، وغموم، تذيب القلب، وتطحن البدن، فيعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد بصره من كثرة بكائه لفقده يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلم يجد غير الشكوى إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والصبر ملجأ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[٣].

وقد يمتحن الإنسان بالشيء وضده، كأن يكون الامتحان بالغنى والصحة، والنعمة الكثيرة، كما يكون بالفقر والأمراض وغيرها، ولهذا كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول كما حكى الله عنه في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠١ ، رقم ٢٣٩٦) ، وقال: حسن غريب. والحاكم (٤/ ٦٥١ ، رقم ٨٧٩٩). وسكت عنه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠١ ، رقم ٢٣٩٦) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٢/ ١٣٣٨، رقم ٤٠٣١). والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٤٤ ، رقم ٩٧٨٢).

(٣) سورة يوسف: الآية ١٨.

(٤) سورة النمل: الآية ٤٠.

وعلى هذا فما دامت الحياة امتحانًا كلّها سواء بالسراء، أو الضراء، فما علينا إلا أن نكرس جهودنا للنجاح في هذا الاختبار، لنكون إن شاء الله ﷻ من السعداء.

الصبر مقتضى الإيمان بالقدر:

فنحن بحاجة إلى الصبر لأن مشيئة الله نافذة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ومن الإنسان حتى يعترض على قضاء الله وأمره؟! جاء في الحديث القدسي: «**عبدي أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد فإذا رضيت عما أريد كفيتك ما تريد وإن لم ترض بما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد**»[١].

والإيمان هو صلة بين الإنسان وربه ﷻ، ولا بد من خضوع هذه الصلة الإيمانية للابتلاء، لتمحيصها، ومعرفة صدقها من كذبها، وإن كان علم الله محيطًا بظواهر الأمور وبواطنها، كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[٢].

ولكن لحكمة الله وعدله، شاء أن يكون حساب الإنسان على عمله الشخصي، الذي يثبت للشخص ولغيره صدقه من كذبه، نسأل الله ﷻ أن يعاملنا بلطفه لا بعدله، فقال الله ﷻ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[٣].

---

(١) قوت القلوب (٢ / ١٤)، وأمالي ابن سمعون (٢ / ٢٤٠).

(٢) سورة الطلاق: الآية ١٢.

(٣) سورة العنكبوت: الآيتان ٢ – ٣.

فضائل الصبر:

حث الإسلام على الصبر:

لقد اهتم الإسلام بالصبر، ورفع منزلته، وأثنى على المتحلين به، وهذا يدل على عظم أمره، لأنه أساسُ كثير من الفضائل، بل هو أصلها، فما من فضيلة إلا وهي محتاجة إليه، فالشجاعة هي الصبر على مكاره الجهاد، والعفافُ هو الصبر عن الشهوات، والحلم هو الصبر على المثيرات. لذا فالصبر من الأمور المشكورة، والأفعال الحميدة، قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[(١)].

الصبر من خلق الأنبياء:

وكان على رأس قائمة الأنبياء في هذا المجال خليل الرحمن، إبراهيم عليه السلام، الذي حكى الله ﷻ عن صبره في الدعوة إلى الله، ثم صبره وابنه إسماعيل حينما ابتلاهما الله ﷻ بالذبح: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(٢)].

وكذلك أيوب عليه السلام وقصته مع ما ناله من البلاء، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[(٣)].

---

(١) سورة الشورى: الآية ٤٣.

(٢) سورة الصافات: الآيات ١٠٢ – ١٠٥.

(٣) سورة ص: الآية ٤٤.

ثم يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام، حيث صبر يعقوب عليه السلام وقد فقد ابنه من بين يديه، فقال لهم: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (١).

ولما تكرر فقدانه لأخي يوسف الأصغر، لم يتدل موقفه، فقال عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٢).

وما زال يوسف يتبدل به الحال من ابتلاء إلى ابتلاء، وهو صابر، حتى أتته المثوبة الإلهية، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٣).

وهذا موسى بن عمران عليه السلام كم عالج من بني إسرائيل، وكم صابرهم وصبر على ما أصابه منهم، ونال ما نال، يقول في حقه المصطفى ﷺ: «**يرحم الله أخي موسى، لقد أوذي بمثل ما أوذيت به فصبر**» (٤). ولقد ضرب لنا نبينا محمد ﷺ أروع الأمثال في الصبر.

ثناء الله سبحانه وتعالى على الصبر والصابرين:

أثنى الله سبحانه وتعالى على أهل الصبر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٨.

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٣.

(٣) سورة يوسف: الآية ٩٠.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٠، رقم ٣٦٠٨)، والبخاري (٣/ ١١٤٨، رقم ٢٩٨١)، ومسلم (٢/ ٧٣٩، رقم ١٠٦٢).

﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (١). كما أوجب ﷻ للصابرين محبته، فقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (٢). وأخبر أنه خير لأهله.

وقد أخبر النبي ﷺ أنه خير ما يعطاه العبد، فقال ﷺ: «**وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر**» (٣).

الصبر مقرون بمراتب الإيمان:

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد»، وأردف ذلك بقوله: «ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له» (٤).

وذلك لأن أكثر أخلاق الإيمان لا تتم إلا بالصبر، وعن أنس رضي الله عنه مرفوعا: «**الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر**» (٥).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو: تملأ ـ ما بين السماء**

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

(٣) أخرجه مالك (٢/ ٩٩٧، رقم ١٨١٢)، وأحمد (٣/ ٩٣، رقم ١١٩٠٨)، والدارمي (١/ ٤٧٤، رقم ١٦٤٦)، والبخاري (٢/ ٥٣٤، رقم ١٤٠٠)، ومسلم (٢/ ٧٢٩، رقم ١٠٥٣).

(٤) الجامع (١١/ ٤٦٩)، ومصنف عبد الرزاق (١١/ ٤٦٩)، وحلية الأولياء (١/ ٧٦)، وشعب الإيمان (٧/ ١٢٤).

(٥) فضيلة الشكر لله على نعمته (١/ ٣٩)، وتاريخ جرجان (١/ ٤١٠)، ونوادر الأصول في أحاديث الرسول (١/ ٢٠١)، ومسند الشهاب (١/ ١٢٧)، وشعب الإيمان (٧/ ١٢٣).

والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك» (١).

وقال رسول الله ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له**» (٢).

كما يتفاضل المؤمنون فيما بينهم بمقدار صبرهم، كما قال رسول الله ﷺ: «**المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم**» (٣).

للصبر أجر عظيم:

أخبر سبحانه وتعالى أن الصابرين ينالون مزيداً من الفضل والرحمة والثواب في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ (٤).

وجاءت البشرى من الله سبحانه وتعالى، فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ (٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٢، رقم ٢٢٩٥٣)، ومسلم (١/ ٢٠٣، رقم ٢٢٣)،

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٣، رقم ١٨٩٥٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٩٥، رقم ٢٩٩٩).

(٣) أخرجه الطيالسي (ص ٢٥٦، رقم ١٨٧٦)، وأحمد (٢/ ٤٣، رقم ٥٠٢٢)، والترمذي (٤/ ٦٦٢، رقم ٢٥٠٧)، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٨، رقم ٤٠٣٢).

(٤) سورة الزمر: الآية ١٠.

(٥) سورة الحج: الآيتان ٣٤ – ٣٥.

وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[(١)].

وقد جاء في الأثر: «**يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا ينشر لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان، ويصب عليهم الحسنات صباً، فيتمنى أهل الدنيا - أهل العافية - لو كانت أجسادهم تُقرض بالمقاريض مما يرون لأهل الصبر من الخير والعافية والمنزلة**»[(٢)].

ومما نطقت به السنة النبوية من هذا الأجر:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه**»[(٣)].

الصبر راحة للنفس وزيادة في العزم:

فالصبر وحده هو الذي يعصم من التخبط، ويجعل المسلم يسير متزناً وفق منهج الإسلام في كل شؤون الحياة، فلا بد أن يوطن المسلم نفسه على احتمال المكاره دون ضجر، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، والصبر ـ كما سبق ـ ثلاثة أنواع: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على البلاء، وذلك هو الحياة كلها.

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٦.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٣ ، رقم ٢٤٠٢) وقال: غريب. والبيهقي (٣/ ٣٧٥ ، رقم ٦٣٤٥). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الصغير (١/ ١٥٦ ، رقم ٢٤١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٨٠ ، رقم ٩٩٢١).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٤ ، ١٢٤٩٠) ، والبخاري (٥/ ٢١٤٠ ، رقم ٥٣٢٩).

فالمؤمن يحتاج إلى الصبر على الطاعة لأن النفس بطبعها تنفر من العبودية، وهي شاقة على النفس مطلقاً، ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل، كالصلاة، ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة، ومنها ما يكره بسببهما جميعاً كالحج والجهاد، فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد.

الصبر من عناصر الرجولة:

فالصّبر - يا عباد الله - من عناصر الرجولة الناضجة، فإن أثقال الحياة لا يقوى عليها المهازيل وأنصاف الرجال، ومن أجل هذا كان نصيب القادة العظماء من العناء والبلاء مكافئًا لما أوتوا من صفات الرجولة وبلاء المعارك وتوجيه الناس إلى خالقهم وتجنيبهم الويلات والنكبات ومواطن العطب، ولما أدوا من أعمال عظيمة.

ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتدّ بلاؤه، وإن كان في دينه رِقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**»[1].

الصبر ضرورة حياتية:

والصبر - أيها المؤمنون - ضرورة حياتية قبل أن يكون فريضة دينية

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ٢٩، رقم ٢١٥)، وأحمد (١/ ١٧٢، رقم ١٤٨١)، وعبد بن حميد (ص ٧٨، رقم ١٤٦)، والدارمي (٢/ ٤١٢، رقم ٢٧٨٣)، والترمذي (٤/ ٦٠١، رقم ٢٣٩٨) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١٣٣٤، رقم ٤٠٢٣)، وابن حبان (٧/ ١٦١، رقم ٢٩٠١)، والحاكم (١/ ١٠٠، رقم ١٢١).

شرعية، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر، فلا تحقق الآمال ولا تنجح المقاصد ولا يؤتي عمل أُكله إلا بالصبر، فلولا الصبر ما حصد الزارع زرعه، وما جنى الغارس ثمره، ولا حصَّل الساعي قصده، فكل الناجحين في الدنيا بمقاصدهم إنما حققوا آمالهم بالصبر؛ استمرؤوا المُرّ واستعذبوا العذاب، واستهانوا بالصعاب ومشوا على الشوك، ووطنوا أنفسهم على احتمال المكاره دون ضجر، وانتظار النتائج دون ملل، ومواجهة العقبات دون كلل، مضوا في طريقهم غير وانين ولا متوقفين، حاديهم في سيرهم: «من صبر ظفر» [(١)].

وشاعرهم يهتف مرددًا [(٢)]:

إني رأيـــت وفي الأيـــام تجربـــة ... للـــصبر عاقبـــةً محمـــودةَ الأثـــر
وقـــلّ مـــن جـــد في أمـــر يحاولـــه ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

فالصبر طريق المجد وسبيل المعالي، فالرفعة في الدنيا لا تنال إلا بركوب المشقات وتجرّع الغصص، فمن اختطّ طريقًا يبلغ به أمانيه غير هذا فقد أخطأ الطريق وضلّ السبيل، وما أصدق قول القائل [(٣)]:

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكلـه ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصَّبرا

---

(١) أدب الدنيا والدين (١ / ٣٦٥)، وسراج الملوك (١ / ٧٩).

(٢) البيتان لعلي بن أبي طالب ، في الآمل والمأمول (١/ ٦)، والشعر والشعراء (١/ ١٩٤)، وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١/ ١٦١)، وشعب الإيمان (٧/ ٢٢٤).

(٣) الأمالي في لغة العرب (١/ ١١٣)، وحلية الأولياء (١٠/ ٣٠٤)، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٨ / ٤٩٩)، وتاريخ الإسلام (٢٦ / ١٣٩).

مواطن مأمور فيها بالصبر:

أمر سبحانه وتعالى بالتزام الصبر أمرًا مطلقًا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾(١).

وأمر بالصبر في أمور مخصوصةٍ لشدّة الحاجة إلى الصبر فيها:

الصبر على أذى الفاجرين:

قال تبارك وتعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾(٢).

في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى:

كما صَبَرَ صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله، والصبر على ما يترتّب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأذى والألم لما في ذلك من المشقّة، قال تبارك وتعالى: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾(٣).

الصبر في معاملة الناس:

بالصبر على مَن تتعامل معه في كلّ الأعمال لا بدّ من صبر، فالصبرُ يعينك على مصالحِ دينِك ومصالحِ دنياك، ويذلّل أمامَك الصّعاب، ويهوِّن

(١) سورة النحل: الآية ١٢٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٦

(٣) سورة لقمان: الآية ١٧.

عليك المشاقّ، ويجعلك مرتاحَ البالِ طيّبَ النفس منشرحَ الصدر، أمّا الضجَر وقلّة الصبرِ فإنّها لا تفيد خيرًا، تقضي على قوّتِك، وتملأ قلبَك همًّا وحزنًا، فتدرّع بالصّبر في كلّ الأحوال، وعسى الله أن يعينَنا وإيّاكم على كلّ خير.

ومن ذلك الأمر بالصبر لمن ولي شيئًا من أمر المسلمين قليلا كان أو كثيرًا، فقد بلغ النبي ﷺ عن قوم أنهم يؤذونه بالكلام من المنافقين، فقال ﷺ: «**لقد أوذي أخي موسى بأكثر من هذا فصبر**»(١).

ومن ذلك صبر المسؤول على من تحت يده من موظفين، فلا بد من صبر على الناس، وليس كل أحد يقوم بواجبه خير قيام، وأخلاق الناس متفاوتة، وطباعهم متغايرة، فلا بد من صبر على الجميع، ونظر في عواقب الأمور، فإن الصابر يدرك بصبره الخير الكثير، فلا بد من الصبر على الأمور كلها، ومن فقد الصبر فقد الخير في أموره كلها.

الصبر على الاتهام:

قد تُبتلَى في عِرضك، وقد يسلَّط عليك من لا حياءَ ولا إيمانَ عندَه، فصبّر نفسَك، وكُن متدرِّعًا بالصّبر، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(٢)، وقال الله ﷻ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة الشورى: الآية ٤٣.

(٣) سورة فصلت: الآيتان ٣٤ – ٣٥.

الصبر في العشرة الزوجية:

صبر الرجل على امرأته وأخطائها، وشيء من تقصيرها لا بد من ذلك، فإنك إن أردت المرأة كاملة في كل الصفات لن تستقيم لك، والمرأة خلقت من ضلع أعوج، وأعوج ما في الضلع أعلاه، فلا بد من الصبر عليها، ورضاً بشيء من أخلاقها، قال رسول الله ﷺ: «**لا يَفرك مؤمن مؤمنة، إن سخط منها خلقاً رضي منها آخر**»(١).

وكذلك صبر المرأة على زوجها، فلا بد للمرأة أن تصبر على زوجها، ولا تعاتبه في كل الأخطاء، بل تتحمل ما يمكنها تحمله، فذاك أدعى لدوام المحبة والمودة.

الصبر في تربية الأبناء:

فقد ترى مِن أولادك نَكدًا عليك، وقد يضجِرونك، وقد يكدّرون حياتَك، وقد يكون منهم طلباتٌ كثيرة إلى آخره، فصبرُك عليهم وحلمُك عليهم وعلاجك الأمرَ الحاضِر بالصبر والتحمّل هذا يعينك، وأمّا ضجرُك وقلّة صبرِك والتسلّط عليهم بالدّعاء، فربّما تُستَجاب دعوة، فتمحقهم تلك الدّعوة.

ولذا يقول ﷺ: «**لا تَدعوا على أنفسِكم ولا على أهليكم ولا على أموالِكم فتوافقوا مِن الله ساعةَ إجابة**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٩، رقم ٨٣٤٥)، ومسلم (٢/ ١٠٩١، رقم ١٤٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣٠١، رقم ٣٠٠٦).

الصبر على من لك عنده حقوق:

فصبرك على الغريم والمدين لا بد منه، سيما إن كان معسراً، فإن الصبر مطلوب، قال الله ﷻ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(١)].

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله**»[(٢)].

من آداب الصبر:

الصبر عند الصدمة الأولى:

فمن السنة ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصبر عند الصدمة الأولى**»، وفي رواية: أنه ﷺ أتى على امرأة تبكي على صبي لها، فقال: «**اتقي الله، واصبري**» فقالت: وما تبالي بمصيبتي، فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله، فأخذها مثل الموت، فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله! لم أعرفك. قال: «**إنما الصبر عند أول الصدمة**»[(٣)].

الصبر على المفقود لأنه ملك لله ﷻ:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت بنت النبي ﷺ إليه: أن ابناً لي

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣٠١، رقم ٣٠٠٦)، وابن حبان (١١/ ٤٢٣، رقم ٥٠٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٤٣٠، رقم ١٢٢٣)، ومسلم (٢/ ٦٣٧ رقم ٩٢٦)، وأبو داود (٣/ ١٩٢ رقم ٣١٢٤)، والترمذي (٣/ ٣١٣، رقم ٩٨٨) وقال: حسن صحيح.

قبض، فائتنا، فأرسل يقري السلام، ويقول ﷺ: «**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمىً، فلتصبر ولتحتسب**»(١).

التخلق بالصبر لمن لا يطيقه:

أمر الله ﷻ المسلم أن يستعين بالله في التخلّق بالصبر، والتمسّك بالطاعة، فقال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾(٢).

وأمر الله ﷻ المسلم أن يعوّد نفسه على خلُق الصبر في كلّ حالةٍ، فأمره بذلك، فإنّ العادةَ تساعد على الخُلُق، ففي الصحيحين قال ﷺ: «**ومن يتصبّر يصبِّره الله، ومن يستغن يُغنه الله**»(٣).

أيا صاحبي إن رمت أن تكسب العلا	**وترقى إلى العلياء غير مزاحم**
عليك بحسن الصبر في كل حالة	**فما صابر فيما يروم بنادم**

من الأسباب المعينة على الصبر:

التفكر في فضائل الصبر:

بأن يتذكر المرء المصاب ما في مصابه من فوائد ولطائف منجية له، فربما

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٠٤، رقم ٢١٨٢٤)، والبخاري (١/ ٤٣١، رقم ١٢٢٤)، ومسلم (٢/ ٦٣٥، رقم ٩٢٣)، وأبو داود (٣/ ١٩٣، رقم ٣١٢٥)، والنسائي (٤/ ٢١، رقم ١٨٦٨)، وابن ماجه (١/ ٥٠٦ رقم ١٥٨٨)، وابن حبان (٢/ ٢٠٨، رقم ٤٦١).

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٥.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٥٣٤، رقم ١٤٠٠)، ومسلم (٢/ ٧٢٩، رقم ١٠٥٣)، وأبو داود (٢/ ١٢١، رقم ١٦٤٤)، والترمذي (٤/ ٣٧٣، رقم ٢٠٢٤).

كان على ذنب عظيم، أوجب سخط الله، فَرَقّ قلبه بعد مصابه، وتاب، وأناب إلى الله، ورجع إلى نفسه، فعالج تقصيرها في ذات الله، وربما لم يتحقق له ذلك إلا بوقوعه في المصيبة.

ومن فضائله ما يلقاه الصابر من جزاء، عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع، وإني أتكشف، فادع الله تعالى لي، قال ﷺ: «**إن شئتِ صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**»، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها[(١)].

معرفة أن الابتلاء من علامات حب الله للعبد:

وذلك سر قوله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يصب منه**» [(٢)]. وذلك أن المتعرّض لآلام الحياة يدافعها وتدافعه، وهو أرفع عند الله تعالى درجات من المنهزم القابع، بعيدًا لا يخشى شيئًا، ولا يخشاه شيء.

ولهذا ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل في المؤمن الصابر السارب في الحياة والكافر العاجز الهارب من الأعباء، فقال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح، تصرمها مرة وتعدلها أخرى حتى يأتيه أجله، ومثل الكافر كمثل الأرزة المجذية على أصلها، لا يصيبها شيء حتى يكون**

---

(١) أخرجه: البخاري ٧/ ١٥٠ و١٥١ (٥٦٥٢)، ومسلم ٨/ ١٦ (٢٥٧٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٧، رقم ٧٢٣٤)، والبخاري (٥/ ٢١٣٨، رقم ٥٣٢١)، وابن حبان (٧/ ١٦٨، رقم ٢٩٠٧).

انجعافها [١] مرة واحدة» [٢].

توطين النفس على الابتلاء:

فآدم عليه السلام سجدت له الملائكة، ثم بعد بُرهة يُخرج من الجنة. وما الابتلاء إلا عكس المقاصد وخلاف الأماني، والكل حتمًا يُتجرّع مرارته، ولكن ما بين مقِلٍّ ومستكثر، يُبتلى المؤمن ليهذَّب لا ليعذَّب، فتن في السراء، ومحن في الضراء، ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٣].

والمكروه قد يأتي بالمحبوب، والمرغوب قد يأتي بالمكروه، فلا تأمن أن توافيك المضرة من جانب المسرة، ولا تيأس أن تأتيك المسرة من جانب المضرة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٤].

التأمل، والتدبر، والنظر في كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه:

ففيهما ما تقرّ به الأعين، وتسكن به القلوب، وتطمئن إليه النفوس، ولو قارن المصاب بين ما أخذ منه وما أعطي فلا مقارنة فإنه سيجد أن ما أعطي من

---

(١) ومن غريب الحديث : «**الخامة**»: اللينة من الزرع . «**انجعافها**»: انقلاعها . جامع الأحاديث - (ج ١٩ / ص ٣٧٧)

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٨٦ ، رقم ٢٧٢١٥) ، والبخاري (٥/ ٢١٣٧ ، رقم ٥٣١٩) ، ومسلم (٤/ ٢١٦٤ ، رقم ٢٨١٠) .

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٦٨.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

الأجر، والثواب، أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة، وقِفُوا مع آية عظيمة في كتاب الله كفى بها واعظة ومسلية، عند وقوع المصائب: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (١).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلفه خيرا منها**»، قالت: ولما توفي أبو سلمة؛ قلت: ومن خير من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ؟! ثم عزم الله علي فقلتها، قالت: فتزوجت رسول الله ﷺ (٢).

تذكر المصيبة العظيمة بموت الرسول:

إن كل مصيبة دون مصيبتنا بموت النبي ﷺ تهون، فبموته عليه الصلاة والسلام انقطع الوحي من السماء إلى يوم القيامة، وبموته انقطعت النبوّات، وبموته ظهر الفساد في البر والبحر، وتذكر ذلك تسلية وعزاء للمصائب يقول في الحديث الصحيح: «**إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب**» (٣).

---

(١) سورة البقرة: الآيات ١٥٥ – ١٥٧.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٣، رقم ٢٨١٠).

(٣) أخرجه الطبراني (٧/ ١٦٧، رقم ٦٧١٨). قال الهيثمي (٣/ ٢): فيه أبو بردة عمرو بن يزيد، وثقه ابن حبان وضعفه غيره.

ويقول فيما صح عنه في سنن ابن ماجه: «**يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعزّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإن أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي**»(١).

فاصبر لكل مصيبة وتجلد — واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فإنها — نوبُ اليوم تُكشَف في غدِ
من لم يصب ممن ترى بمصيبة؟ — هذا سبيل لستَ عنه بأوحد
فإذا ذكرت مصيبة ومصابها — فاذكر مصابك بالنبي محمد

أن يعلم المصاب علم اليقين أن كل مصيبة بقدر:

قال الله ﷻ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(٢).

فيا أيها المصاب، المصيبة واقعة، فوطن نفسك على أن كل مصيبة تأتي إنما هي بإذن الله عز وجل وقضائه وقدره فإن الأمر له، فإنه كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك أو يضروك فلن يحصل ذلك إلا بشيء

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥١٠ ، رقم ١٥٩٩) قال البوصيري (٢/ ٤٩): فيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف.

(٢) سورة الحديد: الآيتان ٢٢ – ٢٣.

قد كتبه الله لك أو عليك.

العلم بأن الجزع من المصيبة لا يردها بل يضاعفها:

فالمصاب إذا جزع فجزعه مصيبة ويغضب ربه، ويحبط أجره، كما في حديث النبي ﷺ، حيث مر بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «**اتقي الله واصبري**»، فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي فأتت باب النبي فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، وسوف أصبر يا نبي الله، فقال لها: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[(١)].

فإذا ابتليت بمحنة فاصبر لها ... صبر الكريم فإن ذلك أسلم
وإذا ابتليت بكربة فالبس لها ... ثوب السكوت فإن ذلك أسلم
لا تشكونّ إلى العباد فإنما ... تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

العلم بتفاوت المصائب في الدنيا:

ومن حصل له الأدنى من المصائب يتسلى بالأعلى والأعظم من المصائب التي أصيب بها غيره، من فقد للدين وإهمال وتقصير فيه، فهذا أعظم المصيبة، ويجب أن تعلم أيها المصاب أن هذا هو حال الدنيا إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا، وإن سرت يوما أحزنت شهورا، وإن متعت يسيرا قنعت طويلا.

حسن التعزية للمصاب:

فإن الكلمة الطيبة للمصاب يثبت بها بإذن الله ويعان، ويعود الصبر عليه سهلا يسيرا، والمؤمن قليل بنفسه كثير بإخوانه، فإذا وجد هذا يعزيه، وهذا

---

(١) سبق تخريجه.

يسليه، سهلت عليه الأمور العظام، وكشف ما به من مصيبة، وفي الحديث الحسن أن النبي ﷺ قال: «**ما من مؤمن يعزي أخاه بها به إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة**» (١).

ولا بد من أن تكون التعزية في محلها مناسبة، فإن من الناس من إذا عزى ذكر باللوعة والمصيبة، من وفاة أو مرض ونحوهما، وما أروع الهدي النبوي والأدعية النبوية الكريمة في العزاء للمصيبة، أما كثرة الأسئلة عن المصيبة فمما يؤجج الأحزان ويؤدي إلى الشكوى إلى الخلق، وهم عاجزون عن تقديم الشفاء، فعليك أيها المصاب بكثرة الأدعية واللجوء إلى الله تعالى في كل حالك.



(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥١١ ، رقم ١٦٠١) قال البوصيري (٢/ ٥٠): هذا إسناد فيه مقال. وأخرجه أيضًا: الديلمي (٤/ ٢٧ ، رقم ٦٠٨١) ، والرافعي (٢/ ٢٥٠) قال المناوي (٥/ ٤٩٥): قال النووي في الأذكار: إسناده حسن.

الصدق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن الصدق مطلوب من الإنسان ، وواجب عليه أن يكون صادقاً في أقواله وأفعاله وعقيدته، والمرء إذا تعلق بشيء وتخلق به حقاً كان أو باطلاً عرف به وصار ممدوحاً به أو مذموماً ، وخير ما يمدح به المسلم ويتصف به الصدق ، وتجنب الكذب ، لأن الصدق يجعل الإنسان في منزلة عالية عند الله وعند خلقه، والرسول ﷺ أمرنا بالصدق وحضنا عليه، ونهانا عن الكذب وحذرنا منه، وأوضح لنا منزلة الصدق والصادقين والكذب والكذابين.

قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إِلَى البرِّ ، وإنَّ البر يَهدِي إِلَى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقاً، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ الله كَذَّاباً**»(١).

تعريف الصدق:

الصدق لغةً: هو الصدق في القول ماضيا كان أو مستقبلا، وعدا كان

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٣٠ ، رقم ٦٠٩٤) ، ومسلم (٨/ ٢٩ ، رقم ٢٦٠٧).

أوغيره، ولا يكون في القول إلا في الخبر دون غيره من أصناف الكلام، كما من معانيه القوة، والنقاء [(١)].

وهو اصطلاحًا: مطابقة القول -أو الفعل- الضمير والمخبر عنه، ومتى انخرم شرط في ذلك لم يَعُد صدقا تاما، بل إما ألا يوصف بالصدق، وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين [(٢)].

ومن خير ما عرف به كذلك: أنه استواء السر والعلانية، والظاهر والباطن، بألا تكذب أحوالُ العبد أعمالَه، ولا أعمالُه أحوالَه [(٣)].

درجات الصدق :

ثم درجات الصدق لا نهاية لها ، وقد يكون للعبد صدق في بعض الأمور دون بعض فإن كان صادقاً في الجميع فهو الصديق حقاً [(٤)]. ومن أظهر درجات الصدق ما يلي:

الدرجة الأولى : صدق اللسان:

وهذه المرتبة من الصدق من أعظم المراتب، وتكميلها من أعظم الأمور وأشقها على النفس، لكن ليس الصدق منحصرًا فيها كما يظن كثير من الناس، وهذا النوع من الصدق يستلزم أمورًا ثلاثة:

---

(١) المفردات للراغب (٢٧٧)، ولسان العرب لابن منظور (١٠/ ١٩٢).

(٢) المفردات (٢٧٧).

(٣) موسوعة روضة النعيم (٦/ ٢٤٧٤).

(٤) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (١/ ٣٦١٢).

١. الصدق في نقل الأخبار: كما قال الله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾[1].

٢. واجتناب الظنون والأوهام: كما قال النبي ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**»[2].

٣. والحذر من التحدث بكل ما يسمع: كما قال النبي ﷺ: «**كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع**»[3].

الدرجة الثانية: الصدق في النية والإرادة:

فيستلزم أن تكون بواعث الأعمال والسكنات كلها لله ﷻ، وأن يكون الظاهر معبرًا عن الباطن، فإن تكلم العبد بلسانه خلاف ما في قلبه فهذا يدل على عدم الصدق في النية كما قال الله ﷻ في وصفه المنافقين: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[4].

ومن ذلك حديث الثلاثة أول من تسعر النار بهم يوم القيامة، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ:**

رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ؛

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٧٦ ، رقم ٤٨٤٩) ، ومسلم (٤/ ١٩٨٥ ، رقم ٢٥٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ١٠ ، رقم ٥) .

(٤) سورة الفتح: الآية ١١.

ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ؛ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[(١)].

الدرجة الثالثة: الصدق في العمل:

وهذا يستلزم أن يجاهد الإنسان نفسه لتكون سريرته وعلانيته واحدة، وألا تدل أعماله الظاهرة على أمر باطن لا يتصف به حقيقة كمن يتظاهر بالخشوع في الظاهر، والقلب ليس كذلك.

ولذا كان أبوهريرة ﷺ يقول: تعوذوا بالله من خشوع النفاق قالوا: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعا والقلب غير خاشع [(٢)].

وقال يزيد بن الحارث: إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥١٣، رقم ١٩٠٥).

(٢) الزهد لابن المبارك (١ / ٤٦)، ومصنف ابن أبي شيبة (٧ / ٢٤٣)، وقوت القلوب (١/ ٣٩١)، والزهد لابن حنبل (١/ ١٤٢)، وشعب الإيمان (٥ / ٣٦٤).

النصف، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور [(١)].

الدرجة الرابعة: الصدق في الوعد والوفاء به:

سواء كان هذا الوعد على مكان معين، أو في زمان معين، أو على أعطية، أو زواج، أو أي أمر آخر يعد به الرجل أخاه، فالصدق في القول يستلزم الوفاء بها وعدم إخلافها مهما كانت الظروف، وللأسف الشديد فإن هذا النوع من الصدق في القول لا زلنا نفتقده كثيرًا في واقعنا، وقل من يحرص عليه، ومن ذلك:

الوفاء بعهد الله سبحانه وتعالى:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [(٢)].

فالوفاء بعهد الله سبحانه وتعالى يقتضي توحيده وإفراده بالعبادة، كما يقتضي التحاكم إلى شرعه وحده والكفر بالطاغوت، وهذا هو مقتضى الصدق في شهادة أن لا إله إلا الله التي يرددها الإنسان بلسانه.

الوفاء بعهد النبي صلى الله عليه وسلم:

إن الوفاء بعهده صلى الله عليه وسلم يقتضي إحياء سنته والذب عنها وتقديم قوله على

---

(١) شعب الإيمان (٥/ ٣٦٧).

(٢) سورة النحل: الآية ٩١.

قول كل أحد، وهذا مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله، فمن أخل بشيء من ذلك المقتضى فهو كاذب في هذه الشهادة كما قال الله ﷻ مكذبا المنافقين عندما قالوا: نشهد إنك لرسول الله فقال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[1].

الوفاء بعهد الناس:

وقد جعل الشرع إخلاف عهد الناس والغدر فيه من أشد أنواع الكذب، بل جعله من أركان النفاق وآيات المنافقين، كما قال ﷺ: «**آية المنافق ثلاثة وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤْتُمِنَ خان**»[2].

وقال ﷺ: «**أَرْبَعٌ من كُنَّ فيه كان مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَنْ كانتْ فيه خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانت فيه خصلةٌ من النفاقِ حتى يدعَها: إذا حدَّث كذَب، وإذا وعد أخلفَ، وإذا عاهد غَدَرَ، وإذا خاصم فَجَرَ**»[3].

الدرجة الخامسة: الصدق في مقامات الدين:

وهو كما يقول صاحب الإحياء: أعلى الدرجات وأعزها، وهو صدق أحوال القلب من الصدق والرجاء والحب والتوكل والرضا واليقين وسائر

(١) سورة المنافقون: الآية ١.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢١، رقم ٣٣)، ومسلم (١/ ٧٨، رقم ٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢١، رقم ٣٤)، ومسلم (١/ ٧٨، رقم ٥٨).

هذه الأمور التي لها مبادئ ينطلق الاسم بظهورها، وغايات لمن نال حقيقتها، والناس يتفاوتون فيها تفاوتا عظيما؛ ولنضرب أمثلة لذلك.

الخوف -مثلا-: ما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر إلا وهو خائف من الله خوفًا ينطلق عليه الاسم، ولكنه خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة، ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه!! في حين أنه إذا خاف حاكما ظالما أو قاطع طريق فإنه يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه.

انظر إلى أولئك الذين يتخلفون عن الجمعة، وعن الصلاة، أو ربما لا يصلون بالمرة، ألا يزعم كل واحد منهم أنه يخاف الله رب العالمين؟!

وهذا الذي يفطر في نهار رمضان من غير عذر، ألا يزعم أنه يخاف الله رب العالمين؟!

وذلك الذي يسرق ويغش ويزني ويرابي، ألا يزعم كل واحد منهم أنه يخاف الله رب العالمين؟!

وهؤلاء النسوة المتبرجات السافرات الكاسيات العاريات، ألا يزعمن أنهن يخفن الله رب العالمين؟!

مثال آخر محبة الله ﷻ: كم من مدع لها وهو كاذب في دعواه، وواقعه يناقض هذه الدعوىٰ ويكذبها، وقد فضح الله هؤلاء بآية واحدة فقال لهم: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾(١).

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١.

النصوص تأمر بالصدق:

بالإضافة إلى أن الصدق هو أساس الفضائل النفسية، فهو ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية، بل هو أكبر أبواب السعادة للأفراد وللأمة، فحسبك مثلا في المعاملات المادية أن ترى نفسك مسوقا حين تريد ابتياع سلعة أن تفتش عن التاجر الذي عرف بالصدق.

ولعل أصدق ميزان لرقي أمة من الأمم صدق أفرادها في أقوالهم وأعمالهم، وإنها لأزمة كبيرة تلك التي يعاني منها الناس في تعاملهم عندما يفقدون الثقة فيما بينهم لأنهم يفقدون خلق الصدق، وينتشر بينهم خلق الكذب: الكذب في الأقوال، والكذب في الأعمال، والكذب في النيات، فليس غريبًا إذن أن تقف الشرائع كلها مشددة في خلق الصدق، منكرة رذيلة الكذب.

والإسلام هو أشد الشرائع وطأة على الكذب والكذابين، وأكثرها تنويها بالصدق والصادقين، فالله تعالى جعل الصدق قرين التقوى، فمن فقد الصدق فقد التقوى، حيث يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[١].

ويعتبر الإسلام الصدق مفتاح البر، والكذب مفتاح الإثم والفجور، فيقول رسول الله ﷺ: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وان البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار**»[٢].

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٩.

(٢) سبق تخريجه.

والكذب خيانة كبرى، يقول ﷺ: «**كبرت خيانة أن تحدث أخالك حديثا هو لك مصدق وأنت له كاذب**»[(١)].

وقد حرص الأدب العربي على الدعوة إلى الصدق مهما كانت عواقبه، كما في قول الشاعر [(٢)]:

عليك بالصدق ولو أنه … أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولىٰ، فأغبى الورى … من أسخط المولى وأرضى العبيد

الصدق في أقوال السلف والحكماء:

أخي الكريم، للصالحين والفضلاء في الصدق أقوال جميلة وعبارات سديدة أذكر لك فيما يلي بعضها:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عليك بالصدق وإن قتلك»[(٣)].

وقال أيضاً: «لأن يضعني الصدق ـ وقلّ ما يفعل ـ أحب إليَّ من أن يرفعني الكذب وقلّ ما يفعل»[(٤)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «أربع من كن فيه فقد ربح: الصدق والحياء

---

(١) خرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ١٤٢ ، رقم ٣٩٣) ، وأبو داود (٤/ ٢٩٣ ، رقم ٤٩٧١) ، وابن سعد (٧/ ٤٢٣) ، وابن قانع (١/ ٣١٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٠٩ ، رقم ٤٨٢٠) .

(٢) المستطرف من كل فن مستظرف (٢/ ٧).

(٣) أنساب الأشراف (٤/ ٢٢٣)، والتدوين في أخبار قزوين (١ / ٢١٧).

(٤) أدب الدنيا والدين (١ / ٣٢٥)، وغرر الخصائص الواضحة (١ / ٢٥)، وإعانة الطالبين (٣/ ٢٤٧).

وحسن الخلق والشكر»[١].

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «ما كذبت مُذْ علمت أن الكذب يشين صاحبه»[٢].

وقال يوسف بن أسباط رحمه الله: «لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب إلي من أن أضرب بسيفي في سبيل الله»[٣].

وقال الشعبي رحمه الله: «عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك»[٤].

فضل الصدق:

إن الأعمال الصالحة تتفاضل في الثواب، والصفات الحميدة يزيد بعضها على بعض في الأجر والمنازل، بحسب عموم نفعها لصاحبها وللخلق، كما أن الأعمال السيئة والأفعال والصفات القبيحة يعظم عقابها وجزاؤها الأليم بحسب ضررها، وثوران شررها لصاحبها وللخلق، قال الله تعالى: ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾[٥].

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٨٧).

(٢) الصمت وآداب اللسان (١/ ٢٥٣)، إحياء علوم الدين (٣/ ١٣٧).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢٧٨).

(٤) المحاسن والأضداد (١ /٢٨)، والبيان والتبيين (١/ ٣١٥)، والمحاسن والمساوئ (١/ ٢٨٣).

(٥) سورة الأحقاف: الآية ١٩.

الصدق خلق كريم:

فالصدق خلق كريم، ووصف حسن عظيم، لا يتصف به إلا ذو القلب السليم، أمر الله به في كتابه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[(١)].

وقد قيل: «الصدق عمود الدين، وركن الأدب، وأصل المروءة، فلا تتم هذه الثلاثة إلا به»[(٢)].

الصدق خلق الأنبياء:

النبوة رسالة من الله ﷻ على يد رجل من الناس ليبلغ عن الله تعالى ما أرسل به، فإذا كان كذلك فإن أول ما يجب أن يتصف به النبي هو الصدق، سواء قبل البعثة أو بعدها، إذ يستحيل أن يبعث الله ﷻ كذابا، فيستحيل على الرسول أن يكذب؛ فتأييد الله ﷻ له بالآيات البينات دليل على صدقه، كما أن اتباع الناس له وظهور أمره كل ذلك يدل على صدقه.

قال الله ﷻ في إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[(٣)].

وقال في إدريس عليه السلام مثل ذلك[(٤)].

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٩.

(٢) المستطرف من كل فن مستظرف (٢/ ٧).

(٣) سورة مريم: الآية ٤١.

(٤) سورة مريم: الآية ٥٦.

وقال في وصف إسحاق ويعقوب ابني إبراهيم الخليل عليهما السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[1].

وقال في إسماعيل عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[2].

وقد كان العرب في جاهليتهم قبل بعث النبي ﷺ يلقبونه بالصادق الأمين، فما كانوا يؤثرون عليه كذبًا قط .

الصدق طمأنينة:

من يتحلى بهذه الفضيلة على مراتبها فإنه يرزق بإذن الله تعالى طمأنينة القلب، ففي حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلى ما لا يَرِيبُكَ**[3]؛ **فإِن الصِّدْقَ طُمأنينة والكذبَ رِيبَة**»[4].

الصدق يهدي إلى الجنة:

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ**

---

(١) سورة مريم: الآيتان ٤٩ – ٥٠.

(٢) سورة مريم: الآية ٥٤.

(٣) **يريبك** : الريب : الشك والتهمة ، أي :دع ما يوقعك في التهمة والشك ، وتجاوزه إلى ما لا يوقعك فيهما.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥١٨) ، وقال: حديث صحيح، والنسائي (٨/ ٣٢٧) وفي «الكبرى»، له (٥٢٢٠) .

وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[(١)].

الصدق محمودة عواقبه في الدنيا:

كما في حديث كعب بن مالك ﵁ في قصة تخلفه عن غزوة تبوك، قال: قلت: يا رسول الله، إني - والله - لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، لقد أُعطيت جدلاً، ولكني - والله - لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله يسخطك علي، وإن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عقبى الله ﷻ[(٢)].

الصدق محمودة عواقبه في الآخرة:

ثواب الصدق في الآخرة رضوان الله ﷻ، والدرجات العلى في الجنة، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ففي القرآن العظيم قال الله ﷻ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[(٣)].

التحذير من الكذب:

إن الكذب من علامات النفاق، وما اجتمعت في مسلم إلا كان منافقًا

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠١٣، رقم ٢٦٠٧)، وله لفظ مختصر سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٣، رقم ٤٤١٨)، ومسلم (٨/ ١٠٥، رقم ٢٧٦٩).

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٩.

خالصًا، كما سبق في الحديث.

ومـا شيء إذا فكـرت فيـه   بأذهـب للمـروءة والجمـال
مـن الكـذب الـذي لا خير فيـه   وأبعـد للبهـاء مـن الرجـال

الكذب دليل سوء النفس:

إن الكذب رذيلة محضة، تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك ينشِّئ الشرّ تنشئة، ويدفع إلى الإثم دفعًا؛ والطباع التي تتأثر بالجبن أو البخل غير الطبائع التي تُقبل على الموت في طمأنينة، وتبعثر المال بغير حساب، وقد تكون هناك أعذار لمن يشعرون بوساوس المرض أو الخوف عندما يقفون في ميادين التضحية والفداء في سبيل الله والإنفاق من الأموال المكتنزة، ولكنه لا عذر أبدًا لمن يتّخذون الكذب خلقًا، ويعيشون به على خديعة الناس والتحايل عليهم بشتى الطرق الشيطانية، معتقدين بأن في ذلك الخير، مع أنه يحمل الشر والهلكة لو كانوا يعقلون.

فيجب على المسلم أن يلتزم بالصدق وإن رأى فيه الهلكة، فإن مضمونه النجاة بإذن الله ﷻ، قال رسول الله ﷺ: « **المؤمن يطبع على كل خلق إلا الكذب والخيانة**»(١).

وسئل رسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: «**نعم**»، قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: «**نعم**»، قيل له: أيكون المؤمن كذابًا؟ قال: «**لا**»(٢).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٦، رقم ٢٥٦٠٤)، والبزار (٣/ ٣٤٠، رقم ١١٣٩).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٠، رقم ١٧٩٥).

لا يكـذب المـرء إلا مـن مهانتـه | أو فعلة السوء، أو من قلـة الأدب
لـبعض جيفـة كلـب خـير رائحـة | مـن كذبـة المـرء في جـد وفي لعـب

الكذب مذمومة عواقبه في الآخرة:

سوف يجد الكذاب في الآخرة عاقبة كذبه وجزاءه، وله الويل والعذاب الأليم، وفي حديث الإسراء والمعراج قال النبي ﷺ: «[أما الرجل] **الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ ، يُحَدِّثُ بِالكِذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ ، فَيُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ**»(١).

أقبح أنواع الكذب:

الكذب في دين الله من أقبح المنكرات، وأول ذلك نسبة شيء إلى الله أو إلى رسوله ﷺ وهو لم يقله، يقول: قال الله ﷻ، قال رسوله ﷺ، وهو بذلك كاذب. وهذا الضرب من الافتراء فاحش في حقيقته، وخيم في عاقبته، ومع ذلك نجد بعض المسلمين لا يتورع من الوقوع في ذلك يقول: قال الله، مع أن ذلك ليس في القرآن الكريم، ويقول: قال رسول الله ﷺ، وليس ذلك بحديث عنه ، وما أشبه ذلك من الفتوى.

قال الله ﷻ محرما مثل هذا الفعل: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٢٥ - ١٢٧ ، رقم ١٣٨٦).

(٢) سورة النحل: الآية ١١٦.

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

وقال أيضًا ﷺ: «**يَكُونُ فِى آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنَ الأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لاَ يُضِلُّونَكُمْ وَلاَ يَفْتِنُونَكُمْ**»(٢).

حالات جواز الكذب:

إذا كان الإسلام قد حرم الكذب لما فيه من الضرر، فقد يكون للضرورة مباحًا في بعض المواطن التي ترجح فيها المصلحة، فقد أباح الإسلام الكذب لإنقاذ نفس بريئة من القتل، كما أباحه في الحرب مع الأعداء لخداعهم، وفي الإصلاح بين الناس، وفي حديث الرجل لزوجته، وهذا ما يقوله ﷺ: «**لا يصلح الكذب إلا في ثلاث يحدث الرجل امرأته ليرضيها والكذب فى الحرب والكذب ليصلح بين الناس**»(٣).

وفي رواية: «**لاَ أَعُدُّهُ كَاذِبًا الرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ يَقُولُ الْقَوْلَ وَلاَ يُرِيدُ بِهِ إِلاَّ الإِصْلاَحَ وَالرَّجُلُ يَقُولُ فِى الْحَرْبِ وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٤٣٤، رقم ١٢٢٩)، ومسلم (١/ ١٠، رقم ٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٠٥، رقم ٦٧٠٤)، ومسلم (٤/ ٢٢١٤، رقم ١٥٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٣١، رقم ١٩٣٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٨١، رقم ٤٩٢١)، والبيهقي (١٠/ ١٩٧، رقم ٢٠٦٢٢).

تحريم الكذب في المزاح.

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام حرم الكذب حتى في حال المزاح، وكان من أوصافه أنه كان يمزح ولا يقول إلا حقًّا [١].

تربية الأبناء على الصدق.

يوصي الإسلام أن تغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال، حتى يشبّوا عليها وقد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلّها، ولننظر إلى حال بعض المسلمين اليوم، كيف يعوّد الشخص أولاده بنين وبنات على الكذب وتعلمه منذ الصغر، فمثلاً لو طرق أحد عليه الباب أو دق جرس الهاتف قال للابن أو البنت: قل: أبي غير موجود! مع أنه موجود، وهو الذي لقّنه الكذب، ثم يطلب من أولاده أن يصدقوا ولا يكذبوا.

فهل ترى إذا الأب عوّد أولاده على الكذب من حيث يشعر أو لا يشعر، هل يستجيبون لتربيته ولطلبه الصدق منهم وعدم التعامل بالكذب؟!

الجواب: لا، لن يستجيبوا لنداءاته بأن يكون الصدق سَجِيّة لهم وعلامة واضحة في حياتهم، وإن استجابوا وصدقوا مرة فسوف يقولون الكذب مرات ومرات؛ نظرًا لما طُبعوا عليه وتعودوا.

وكذلك الحال يُرغَمُ أولادنا جميعًا على الكذب سواءٌ ممن عوّدهم الصدق أو ممن لم يعوّدهم، وذلك من خلال الاستماع إلى المسلسلات أو قراءة

وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/ ٤٧٩ ، رقم ٣١٧٥) ، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٥١ ، رقم ٩١٢٤) ، والقضاعي (٢/ ٢١٠ ، رقم ١٢٠٥) .

(١) انظر «أدب المزاح» من هذا الكتاب.

القصص الكاذبة أو الخيالية البعيدة عن الواقع أو سرد القصص الواهية باسم التخيلات التائهة، والتي تثري فكر الطفل على حدّ زعمهم، والتي لا تمتّ إلى الإسلام بصلة، بل هي مفسدة ودعوة للكذب.

وعن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله قاعد في بيتنا فقالت: تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما أردت أن تعطيه؟**» قالت: أردت أن أعطيه تمرًا، فقال لها ﷺ: « **أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ: تَعَالَ هَاكَ، ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ**»(٢).

فلننظر كيف يعلّم الرسول ﷺ الأمهات والآباء أن ينشّئوا أولادهم تنشئة يحترمون فيها الصدق ويتنزهون عن الكذب، ولو أنه تجاوز عن هذه الأمور وعدّها من التوافه الهيّنة كما يظنها بعض المسلمين، لو تجاوز عنها لخشي أن يكبر الأطفال وهم يعتبرون الكذب ذنبًا صغيرًا، وهو عند الله عظيم.



---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٧ ، رقم ١٥٧٤٠) ، وأبو داود (٤/ ٢٩٨ ، رقم ٤٩٩١) والبيهقي (١٠/ ١٩٨ ، رقم ٢٠٦٢٨) ، والضياء من طريق الطبراني (٩/ ٤٨٣ ، رقم ٤٦٦) . وابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٦ ، رقم ٢٥٦٠٩)؛ وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه (٢ / ٤٥٢، رقم ٩٨٣٥)، وصححه الأرنؤوط.

صلة الأرحام

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن صلة الرحم من العبادات الجليلة والأخلاق النبيلة التي ينضبط بها المجتمع، ولو لم يكن في الدين أمرٌ بالصلة والبر للأرحام لكان في الطباع السليمة والأخلاق الكريمة ما يدلّ عليه، فكيف وهو من أول ما بعث به النبي ﷺ؟! فعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ: بأي شيء أرسلك الله؟ قال: «**أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحَّد الله لا يشرك به شيء**»[(١)].

بيان الأرحام:

والأرحام درجات، فأعظمها عمودا النسب، وهما الأم والأب ثم ما تفرّع عنهما، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول! من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال ﷺ: «**أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك**»[(٢)].

وقال الإمام النووي رحمه الله: «اختلفوا في حدّ الرحم التي يجب وصلها، فقيل: كل رحم مَحرَم بحيث لو كان أحدهما أنثى والآخر ذكرا حرمت

---

(١) أخرجه مسلم: (١/ ٥٦٩، رقم ٨٣٢).

(٢) أخرجه مسلم: (٤/ ١٩٧٤، رقم ٢٥٤٨).

مناكحتهما، وقيل: هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث، يستوي فيه المحرم وغيره، وهذا هو الصحيح»[(١)].

حثّ الإسلام على صلة الأرحام.

حثت شريعة الإسلام الحنيفة على رعاية جانب الرحم، وأمرت بصلتها، وذلك من جوانب عدة، منها:

أمر الله ﷻ بصلتها:

فإنَّ الله ﷻ يقول في كتابه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[(٢)]، فأمر بتقواه، وأمَر بتقوى الرّحم بصلتِها وعدَم القطيعة.

وقال ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[(٣)].

مدح الله ﷻ الواصلين:

وذلك كما في قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾[(٤)].

اشتق لها ﷻ اسما من اسمه:

لقد خلق الله الرحمَ، وشقَقَ لها اسمًا من اسمِه، ووعَد ربُّنا ﷻ بوصلِ مَن

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١١٣).

(٢) سورة النساء:الآية ١.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٣.

(٤) سورة الرعد: الآية ٢١.

وصلَها، قال النبيّ ﷺ: «**قال الله للرّحم : أما ترضينَ أن أصلَ من وصلك وأن أقطعَ من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذاك لك**»(١)، ومَن وصَله الرحيمُ وصلَه كلُّ خير ولم يقطَعه أحد، ومن بَتَره الجبّار لم يُعلِه بشرٌ وعاشَ في كَمَد ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾(٢).

مراعاة جانب الرحم عند الحساب:

يقول ﷺ : «**لمَّا خلق الله الخلقَ قامتِ الرحم فقال: مه، قالت: هذا مقامُ العائذِ بك من القطيعة، قال: أما ترضَين أن أصلَ من وصلك وأقطعَ من قطعك؟! قالت: نعم، قال: فذلك لك**»(٣).

وصية النبي ﷺ بصلة الرحم:

فقد أوصى النبي ﷺ بالرحم في أمور كثيرة، ومواقف عدة، منها: أنه ﷺ قد أمر بصلتها وحذر من قطيعتها، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**اتقوا الله وصلوا أرحامكم**»(٤).

وفي حديث آخر يوصي ﷺ ويؤكد على ذلك، كما جاء عن أنس رضي الله عنه قال:

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٠ ، رقم ٨٣٤٩) ، والبخاري (٥/ ٢٢٣٢ ، رقم ٥٦٤١) ، ومسلم (٤/ ١٩٨٠ ، رقم ٢٥٥٤) ، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٦١ ، رقم ١١٤٩٧) ، وابن حبان (٢/ ١٨٤ ، رقم ٤٤١) ، والحاكم (٢/ ٢٧٩ ، رقم ٣٠٠٥) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢١٤ ، رقم ٧٩٣٤) .

(٢) سورة الحج: الآية ١٨.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه ابن عساكر (٥٦/ ٣١٧). وأخرجه أيضًا : والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٢٠ ، رقم ٧٩٥٠) .

قال ﷺ: «**أرحامكم أرحامكم**»(١)، وقال القاضي عياض: «ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة»(٢).

حقيقة الصلة:

قال الإمام النووي رحمه الله: «صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل، فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك. ومعنى صلة الله لمن وصل رحمه فهي عبارة عن لطفه بهم ورحمته إياهم وعطفه عليهم بإحسانه ونعمه، أو صلتهم بأهل ملكوته الأعلى وشرح صدورهم لمعرفته وطاعته»(٣).

ويبين رسول الله ﷺ حقيقة صلة الرحم بقوله: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها**»(٤).

ولا أدفع ابن العم يمشي على شفا ... ولو بلغتني من أذاه الجنادع

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢/ ١٧٩، رقم ٤٣٦) أن النبي ﷺ قاله في مرضه.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١١٣)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، (١٩ / ١٧٣)، وشرح سنن ابن ماجه (١ / ٢٧٤)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩ / ١٤١).

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٢ / ٩٩).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٣، رقم ٦٥٢٤)، والبخاري (٥/ ٢٢٣٣، رقم ٥٦٤٥)، وابن حبان (٢/ ١٨٨، رقم ٤٤٥)، وأبو داود (٢/ ١٣٣، رقم ١٦٩٧)، والترمذي (٤/ ٣١٦، رقم ١٩٠٨) وقال: حسن صحيح. والبيهقي (٧/ ٢٧، رقم ١٢٩٩٨). وأخرجه أيضًا: الحميدي (٢/ ٢٧١، رقم ٥٩٤)، والبزار (٦/ ٣٥٩، رقم ٢٣٧١).

ولكـن أواسـيه وأنـسى ذنوبـه | لترجعـه يومًـا إليَّ الرواجـع
وأفرشـه مـالي وأحفـظ عيبـه | وأرعـاه غيبًا بالـذي هـو سـامع
وحسبك من جهل وسوء صنيعة | مُعاداة ذي القربى وإن قيل: قاطع [(١)]

فالواصل حقًّا ليس هو الذي يكتفي بأن يبادل الصلة بمثلها، فيصل من وصله ويقطع من قطعه، وإنما الواصل حقا الذي يعرف واجب الرحم حق المعرفة، هو الذي يصل أقاربه جميعًا حتى من قطع صلته به منهم، لأنه بهذه الصلة لمن قطعه يجعل من نفسه قدوة حسنة لسائر أقاربه، فإن النفوس مجبولةٌ على التأثر بفعل المعروف، فتستيقظ في النفوس دوافع الرغبة في بلوغ الكمال، والتنافس في الاتصاف بأحسن الصفات.

ويبشر النبي ﷺ واصل رحمه التي قطعته بالظفر بإعانة الله تعالى له في جهاده مع ذوي رحمه، وذلك فيما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول الله! إني لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي؟ قال ﷺ: «**لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهم المَلّ، ولن يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك**»[(٢)].

وقوله ﷺ: «**فكأنما تسفهم الملّ**» يعني فكأنما تطعمهم الرمل الحار الذي يكون تحت النار، وفي هذا بلاغة عظيمة في التعبير عن المكابدة التي يعانيها

---

(١) الأمالي في لغة العرب (٢ / ٢٣٦)، وأدب الدنيا والدين (١ / ١٩٠)، والتذكرة الحمدونية (١/ ٣٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٢ ، رقم ٢٥٥٨) ، وابن حبان (٢/ ١٩٥ ، رقم ٤٥٠) .

الواصل الملحّ في وصل قرابته مع نفورهم منه وكراهيتهم لجوانب الصلة التي يمنحهم إياها، فصعوبة ذلك تشبه صعوبة إطعام الناس الرمل الشديد الحرارة.

فهذا الذي يصل من قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه، ويحلم على من جهل عليه من قرابته إنما يريد أن يعدِّل موازين الحياة من حوله، ويريد أن يرفع من شأن قرابته نحو الرقي والكمال، لأن الحياة القويمة لا تتم إلا بتواصل الرحم، فهو من أجل أن يوجد الحياة السعيدة في مجتمعه الصغير قد غامر في محاولات تكلفه المتاعب وتحمله الأذى.

فضائل صلة الرحم:

صلة الله ﷻ لمن وصلها:

كما أن الأرحام تقوّي المودة، وتزيد المحبة، وتطرد الوحشة، وتشدّ عرى القرابة، وتزيل العداء، فلفظها يدلّ على الرقة والعطف والرأفة، فإنها سبب لصلة العبد بربه ﷻ، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرحم شجنة من الرحمن، معلقة بالعرش تقول: يا رب! إني قطعت يا رب، إني أسيء إلي يا رب، فيجيبها ربها فيقول: أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك**»[1].

وعن عبد الرحمن بن عوف ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فيما

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٥٥ ، رقم ٩٨٧١) ، وابن حبان (٢/ ١٨٥ ، رقم ٤٤٢) ، والحاكم (٤/ ١٧٩ ، رقم ٧٢٨٧) وقال : صحيح.

رواه عن ربه ﷻ: « **قال الله أنا الرحمن أنا خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ومن بتها بتته** »[١].

في صلة الأرحام رغد العيش:

ففي صلتها الهناء والسعادة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سرَّه أن يُبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[٢]. وأينا لا يسره بسط الرزق وبركة العمر؟! وهذا جزاء عاجل يحصل عليه واصل الرحم في الحياة الدنيا ، إلى جانب ما أعده الله تعالى له من الثواب الجزيل في الآخرة .

صلة الرحم من الإيمان:

يقول النبي ﷺ: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرِم ضيفَه، ومَن كان يؤمن بالله واليومِ الآخر فليصِل رحمَه، ومَن كان يؤمن بالله واليَوم الآخِر فليقُل خيرًا أو ليصمُتَ**»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٩٤ ، رقم ١٦٨٠) ، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٣ ، رقم ٥٣) ، وأبو داود (٢/ ١٣٣ ، رقم ١٦٩٤) ، والترمذي (٤/ ٣١٥ ، رقم ١٩٠٧) ، وقال : صحيح . وابن حبان (٢/ ١٨٦ ، رقم ٤٤٣) ، والحاكم (٤/ ١٧٤ ، رقم ٧٢٦٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢١٦ ، رقم ٧٩٤١) . وأخرجه أيضا : عبد الرزاق عن معمر في الجامع (١١/ ١٧١ ، رقم ٢٠٢٣٤) ، والبيهقي (٧/ ٢٦ ، رقم ١٢٩٩٤) ، والضياء (٣/ ٩٢ ، رقم ٨٩٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٧٢٨ ، رقم ١٩٦١) ، ومسلم (٤/ ١٩٨٢ ، رقم ٢٥٥٧) ، وأبو داود (٢/ ١٣٢ ، رقم ١٦٩٣) .

(٣) أخرجه البخاري ٨/ ٣٩ (٦١٣٨) ، ومسلم ١/ ٤٩ (٤٧) (٧٤) .

صلة الرحم تنجي من المهالك:

فصلةُ الرّحم تدفَع بإذن الله نوائبَ الدّهر، وترفع بأمرِ الله عن المرء البَلايا، فلمَّا ابتَدأ الوحيُ بمحمّد ﷺ في أوَّل الوحي خشِي ممَّا رَأى، فأتَى لخَدِيجة فحدَّثَها بما رَأى، فقالت: «كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا؛ إنّك لتصِل الرّحِم، وتقري الضَّيف، وتكسِب المعدومَ، وتَعين على نوائبِ الحق»(١).

مضاعفة أعمال البر في حقهم:

فإنَّ صلةَ الرحم أفضلُ الصدقات وأعظمها، فقد أعتقَت أمّ المؤمنين ميمونة رضي الله عنها جاريةً لها فأخبرتِ النّبيّ، فقال ﷺ: «**فعلتِ ذلك؟**» قالت: نعم، قال ﷺ: «**لو أنَّك أعطيتِها أخوالَك كان أعظمَ لأجرك**»(٢)، مع أنَّ العتقَ فيه فضلٌ عظيم، ومَن أعتق مملوكًا له أعتق الله من كلِّ جزءٍ منه جزءًا من النار.

صلة الرحم من موجبات الجنة:

فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله! أخبرني بما يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، فقال النبي ﷺ: «**لقد وفق**» أو «**لقد هدي**»، ثم قال: «**كيف قلت؟**» قال: فأعاد، فقال النبي ﷺ: «**تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل ذا رحمك**»، فلما أدبر قال النبي ﷺ: «**إن تمسك بما أمر به دخل الجنة**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٦١، رقم ٦٥٨١)، ومسلم (١/ ١٣٩، رقم ١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٩١٥ ، رقم ٢٤٥٢) ، ومسلم (٢/ ٦٩٤ ، رقم ٩٩٩) .

(٣) أخرجه ابن عساكر (١٦/ ٥٦).

تعجيل ثواب الصلة وعقاب القطيعة:

أخبر النبي ﷺ عن عقوبة قطيعة الرحم وثواب صلتها وأنهما يعجلان للعبد حسبما يستحق، حيث يقول ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب، وإن أعجل الطاعة ثوابًا لَصِلةُ الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا**»(١).

وهذا يعني أن صلة الرحم تدفع العقوبة وتجلب المثوبة، ويمثل رسول الله ﷺ لثواب صلة الرحم في الدنيا بنمو أموال المتواصلين وتكاثر عددهم وإن كانوا فجرة فكيف إذا كانوا أتقياء ؟!

صلة الرّحم أُسُّ بناء الحياة:

فهي محبّةُ الأهل، وبَسطُ الرّزق، وبركةُ العُمر، يقول ﷺ: «**صِلة الرّحم محبّةٌ في الأهل، مثراة في المالِ، منسَأَة في الأثر**»(٢).

قال ابن التّين : «صلةُ الرّحم تكون سببًا للتوفيقِ والطاعةِ والصيانةِ عن المعصيةِ، فيبقى بعدَه الذكرُ الجميل فكأنّه لم يمُت»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٨/ ١٥١) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٤ ، رقم ٨٨٥٥) ، والترمذي (٤/ ٣٥١ ، رقم ١٩٧٩) وقال : غريب . والحاكم (٤/ ١٧٨ ، رقم ٧٢٨٤) وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه الطبراني (١٨/ ٩٨ ، رقم ١٧٦) . قال الهيثمي (٨/ ١٥٢) : رجاله قد وثقوا .

(٣) سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام (٤/ ١٦٠)، وفتح الباري (١٠/ ٤١٦).

صلة الحرم عبادةٌ جليلة مِن أخصِّ العبادات:

يقول عمرو بن دينار : «ما مِن خَطْوةٍ بعد الفريضةِ أعظمُ أجرًا من خَطوةٍ إلى ذي الرّحم»(١)، وثوابُها معجَّل في الدنيا ونعيمٌ مدَّخرٌ في الآخرة، قال ﷺ: «**ليس شيء أُطِيعَ اللهُ فيه أعْجَل ثوابًا من صِلةِ الرحم**»(٢).

صلة الرحم الكافرة:

ومما يبين عظم شأن صلة الرحم أن النبي ﷺ قد بقي على صلة أقاربه من الكفار من ناحية المعروف والإحسان، ومما يدل على ذلك ما أخرجه الشيخان من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ جهارًا غير سرٍّ يقول: «**ألا إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي إنما وليي الله وصالح المؤمنين**»، زاد مسلم في رواية له: «**ولكن لهم رحم سأبلها ببلالها**»(٣)، يعني أصلها بصلتها.

وقوله ﷺ: «**أبي فلان**» قال النووي رحمه الله: «هذه الكناية من بعض الرواة، خشي أن يصرح بالاسم فيترتب عليه مفسدة؛ إما في حق نفسه، أو في حق غيره»(٤).

وهذا الحديث دليلٌ على وجوب البراءة من الكفار وإن كانوا من الأقارب، فلا تجوز محبتهم ولا نصرتهم، ولكن قد استثنى النبي ﷺ صلة

---

(١) مكارم الأخلاق (١/ ٨٢)، وجزء أبي الطاهر (١/ ٣٨).

(٢) أخرجه البيهقي (١٠/ ٣٥ ، رقم ١٩٦٥٥)، والخطيب (٥/ ١٨٣) .

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٣ ، رقم ٥٦٤٤) ، ومسلم (١/ ١٩٧ ، رقم ٢١٥) . وأخرجه أيضًا : أحمد (٤/ ٢٠٣ ، رقم ١٧٨٣٧) ، وأبو عوانة (١/ ٩٠ ، رقم ٢٧٦) .

(٤) فتح الباري (١٠/ ٤٢٠).

الرحم، وهذا الاستثناء له أثره الكبير في إبقاء حبل الوصل مع أقاربه، وهذا إضافة إلى أنه من صلة الرحم فإن له فائدة جليلة بالنسبة للدعوة، فإن بقاء هذا الخيط الذي يعرفونه ويقدرونه وهو البر والإحسان قد يكون سببًا في إيمانهم بما أنكروه من دعوته.

وإذا كان النبي ﷺ قد أبقى على صلته مع أقاربه وهم كفار فمن باب أولى لعموم المسلمين أن يبقوا على صلتهم بأقاربهم المسلمين وإن أنكروا منهم بعض السلوك، فالمسلم مأمور بإبقاء صلته مع أقاربه وإن كانوا كفارًا، وذلك بالإحسان إليهم والبر بهم.

وقد جاء هذا المعنى واضحا في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [1].

وقد طبق الصحابة رضي الله عنهم هذا التوجيه في معاملتهم مع أقاربهم من الكفار.

ومما جاء في ذلك ما أخرجه الإمام البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأى عمر حلة على رجل تباع فقال للنبي ﷺ: ابتع هذه الحلة تلبسْها يوم الجمعة وإذا جاءك الوفد، فقال: «**إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة**»، فأُتِي رسول الله ﷺ منها بحُلَل، فأرسل إلى عمر منها بحلَّة، فقال عمر: كيف ألبسها وقد قلتَ فيها ما قلت؟ قال ﷺ: «**إني لم أكسكها لتلبسها،**

(١) سورة الممتحنة: الآيتان ٨ – ٩.

تبيعها أو تكسوها»، فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم[(١)].

عظم ذنب القطيعة:

إن خطر قطع الرحم عظيم، وذنبَها جسيم، وعقوبتها معجلة، واقرؤوا إن شئتم قول ربكم: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ** ﴿٢٢﴾ **أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ** ﴾[(٢)]، وقد ذكر ﷺ عقوبات القطيعة وخطرها، ومن ذلك:

تعجيل العقوبة:

ويقول النبي ﷺ: **«ما من ذنب أجدر أن يُعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم»**[(٣)].

قطيعة الرحم تحبط الأعمال:

فمما بينه لنا رسول الله ﷺ من خطر قطيعة الرحم أنها تمنع من قبول العمل الصالح، حيث يقول ﷺ: **«إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة ، فلا يُقبل عمل قاطع رحم»**[(٤)]. وهذا وعيد شديد على قاطع الرحم،

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩١٧ ، رقم ١٦٣٧) ، والطيالسي (ص ٢٦٢ ، رقم ١٩٣٧) ، وأحمد (٢/ ٢٤ ، رقم ٤٧٦٧) ، والبخاري (٥/ ٢١٩٤ ، رقم ٥٤٩٧) ، ومسلم (٣/ ١٦٣٩ ، رقم ٢٠٦٨) ، وأبو داود (٤/ ٤٦ ، رقم ٤٠٤٠) ، والنسائي(٨/ ٢٠١ ، رقم ٥٣٠٧) ، وابن ماجه (٢/ ١١٨٧ ، رقم ٣٥٩١) .

(٢) سورة محمد: الآيتان ٢٢ – ٢٣.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٤٨٣، رقم ١٠٢٧٧)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٥، رقم٦١)،

مما يدل على عظم هذا الذنب.

الحرمان من نظر الله ﷻ يوم القيامة:

ففي الحديث أنه ﷺ قال: «**ثلاثةٌ لا يكلّمهم الله يومَ القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذابٌ أليم: مدمِن خمرٍ، وقاطعُ الرحِم، والمصدِّق بالسّحر**»(١).

قاطع الرحم محروم من الجنة:

وأشد الوعيد على قاطع الرحم قول رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**»(٢).

قطيعة الرحم سببٌ للذِلّة والصّغار:

فهي سبب للذلة والصغار والضّعفِ والتفرّق، ومجلَبةٌ للهمّ والغمّ، فقاطعُ الرّحم لا يثبُت على مؤاخاة، ولا يُرجَى منه وفاء، ولا صِدقٌ في الإخاء، يشعر بقطيعةِ الله له، ملاحَقٌ بنظراتِ الاحتِقار، مهما تلقَّى من مظاهِر التبجيل، لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستوحِشون مِن الجلوس مع قاطِع الرّحم، فيقول أبو هريرة رضي الله عنه: «أُحرِّجُ على كلِّ قاطعِ رحمٍ لَمَا قام من عندنا»(٣).

وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٢٥٣٨).

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٩٩ ، رقم ١٩٥٨٧) ، والطبراني كما في مجمع الزوائد (٥/ ٧٤) قال الهيثمي : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات . والحاكم (٤/ ١٦٣ ، رقم ٧٢٣٤) وقال : صحيح الإسناد .

(٢) أخرجه الطبراني (٢/ ١١٨ ، رقم ١٥١٠) ، وأحمد (٤/ ٨٠ ، رقم ١٦٧٧٨) ، والبخاري (٥/ ٢٢٣١ ، رقم ٥٦٣٨) ، ومسلم (٤/ ١٩٨١ ، رقم ٢٥٥٦) ، والترمذي (٤/ ٣١٦ ، رقم ١٩٠٩) وقال : حسن صحيح . وابن حبان (٢/ ١٩٩ ، رقم ٤٥٤) .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١ / ٣٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٢٤).

وكان ابن مسعود ﵁ جالسًا في حلقةٍ بعدَ الصبح فقال: «أُنْشِدُ الله قاطعَ رحمٍ لَمَا قام عنَّا فإنّا نريدُ أن ندعوَ ربَّنا، وإنّ أبوابَ السماء مُرتَجَةٌ ـ أي: مغلقة ـ دونَ قاطِعِ الرّحم»(١).

من حقوق الأقارب:

١-**الزيارة**: والزيارة نوع من التقدير، تذهب ما في النفس، وتقوي التواصل، ولا تكلف الشخص مالاً ولا جهداً.

٢- **الدعاء لهم بظهر الغيب**: فهل رفعت يديك يوماً من الأيام تدعو لأقاربك، عندما دعوت لنفسك؟

٣- **من كان منهم فقيراً فيوصل بالمال**: والله جل شأنه بدأ في ترتيب مستحقي الصدقات بالأقارب قبل المساكين والفقراء، فقال ﷻ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾(٢)، فالأقربون ـ إن كانوا فقراء ـ أحق بالصدقات من اليتيم والمسكين. أما إن كان القريب غنياً فلا تنس الهدية، فإنها تشعر بالاحترام والتقدير، وتنمي الود، وتبقى الهدية تذكر بصاحبها أبداً.

٤- **الأقارب لهم حق الإكرام إذا قدموا من سفر**: والتهنئة إذا نالوا خيراً،

---

(١) الجامع (١١/ ١٧٤)، ومصنف عبد الرزاق (١١ / ١٧٤)، وشعب الإيمان (٦/ ٢٢٤)، وكتاب الأمالي وهي المعروفة بالأمالي الخميسية (٢/ ١٧٨).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٥.

وهم الحق في الدعوة في المناسبات، وكلها تفيد في التواصل بين الأقارب.

٥- **الأقارب لهم حق خاص في التغاضي عن أخطائهم:** ويتحمل منهم ما لا يتحمل من غيرهم. فتحمل من أقاربك ما لا تحتمله من الناس، وإياك أن تحاسب أقاربك وتقاطعهم لخلاف وقع.

٦- **من حقوق الأقارب النصيحة لهم ودعوتهم:** نافعاً لهم، كافاً شرّك عنهم.

من صور الصلة:

الدعوة إلى الخير:

إن من أعظمِ صوَر صلة الأرحام: الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، يقول الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[١]، وإنما خصهم الله بالذكر لتأكيد حقهم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو في قبة من أدمٍ حمراء، في نحو من أربعين رجلاً فقال ﷺ: «**إنه مفتوح لكم، وأنتم منصورون ومصيبون، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر وليصل رحمه، ومثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل البعير يتردّى فهو يمدّ بذنبه**»[٢].

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٦، رقم ٤١٥٦)، والترمذي (٤/ ٥٢٤، رقم ٢٢٥٧)، والبيهقي (٣/ ١٨٠، رقم ٥٤٠٩).

الرّأفة بهم كما نرأف بالمسكين:

قال ﷻ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [(١)]، حقُّهم في البذلِ والعطاء مقدّمٌ على اليتامَى والفقراء، والسخاءُ عليهم ثوابٌ مضاعفٌ من ربِّ العالمين، قال ﷺ: «**الصدقةُ على المسكين صدقة، وعلى القريب صدقةٌ وصِلة**»[(٢)].

وأوّلُ مَن يُعطَى مِن الصدقة هم الأقربون مِن ذوي المَسكنَة، تصدّق أبو طلحة ﷺ ببستانِه ، فقال له النبيّ ﷺ: «**أرَى أن تجعلَها في الأقربين**»، فقسمَها أبو طلحة على أقاربِه وبني عمّه[(٣)]، فالباذلُ لهم سخيُّ النّفس كريم الشّيَم.

يقول الشعبيّ رحمه الله: «ما ماتَ ذو قرابةٍ لي وعليه دينٌ إلاّ وقضيتُ عنه دينه»[(٤)].

من الأسباب المعينة على الصلة :

الاحتساب عند الله ﷻ في الصلة:

إن أعظم ما يبعث على تعاهد الأرحام وصلتهم هو خوف الله وخشيته،

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤١٣ ، رقم ١٠٥٤١) ، وأحمد (٤/ ١٨ ، رقم ١٦٢٧٨) ، والدارمي (١/ ٤٨٨ ، رقم ١٦٨١) ، والترمذي (٣/ ٤٦ ، رقم ٦٥٨) ، وقال : حسن . والنسائي (٥/ ٩٢ ، رقم ٢٥٨٢) ، وابن ماجه (١/ ٥٩١ ، رقم ١٨٤٤) ، وابن خزيمة (٤/ ٧٧ ، رقم ٢٣٨٥) ، وابن حبان (٨/ ١٣٢ ، رقم ٣٣٤٤) ، والطبراني.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٥٣٠ ، رقم ١٣٩٢) ، ومسلم (٢/ ٦٩٣ ، رقم ٩٩٨) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٨).

وهذا لا يكون إلا عند أهل الإيمان، قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[1]، وفي الناس من تموت عواطفه وتضعف خشيته، فيجوب الأرض ولا يفكر في زيارة أقاربه أو السلام عليهم، قال عمرو بن دينار رحمه الله: «تعلَمُنّ أنه ما من خطوة بعد الفريضة أعظم أجرًا من خطوة إلى ذي رحم».

وقال المرّوذي: أدخلتُ على أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله فقال الرجل: لي قرابة بالمراغة ترى لي أن أرجع إلى الثغر أو ترى أن أذهب فأسلم عليهم؟ فقال له: استخِرِ الله واذهب فسلّم عليهم[2].

وإنه لن ييأس من بذل المحاولات وتكرارها ما دام يشعر بأن الله ﷻ معه بنصره وإعانته، فإن الله ﷻ سيلين له قلوب أقاربه، فيسعد بذلك بنتيجة أعماله الطيبة معهم.

معرفة المرء أنسابه:

ومن أجل صلة الرحم حثنا رسول الله ﷺ على تعلم الأنساب، حيث يقول: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر**»[3].

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢١.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٤٧٨)، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب (١ / ٢٧١).

(٣) سبق تخريجه.

فقد يكون للإنسان أقارب لا يعرفهم، وذلك مثل الأعمام الأباعد الذين يلتقي معهم في النسب بأحد أجداده، فإذا عرفهم عرف ذريَّاتهم، وبهذا تتسع دائرة الرحم، وكلما زاد عدد الأقارب فإن الأجر يتضاعف بصلتهم.

من أسباب القطيعة:

الوساوس الشيطانية:

كما أن من الناس من يتغلب عليه شيطانه، فيقطع رحمه بسبب خلاف أقصى ما يُقال عنه: إنه ليس مستحيلَ الحل، ولكنها العزة بالإثم والمكابرة بالباطل.

وفي استطلاع للرأي حول وجود خصومات بين الأقارب على عيّنة من الناس أجاب خمس وستون بالمائة منهم: نعم توجد خصومة، وأجاب خمس وثلاثون بالمائة بالنفي، فنحن أمام ظاهرة خطيرة، يقول النبي ﷺ: «**لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»[(١)].

وقد مر بنا قوله ﷺ لمن يصل أقاربه ويقطعونه: «**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٠٦، رقم ١٦١٤)، والطيالسى (ص ٨١، رقم ٥٩٢)، وعبد بن حميد (ص ١٠٣، رقم ٢٢٣)، وأحمد (٥/ ٤١٦، رقم ٢٣٥٧٥)، والبخاري (٥/ ٢٢٥٦، رقم ٥٧٢٧)، ومسلم (٤/ ١٩٨٤، رقم ٢٥٦٠)، وأبو داود (٤/ ٢٧٨، رقم ٤٩١١)، والترمذي (٤/ ٣٢٧، رقم ١٩٣٢) وقال: حسن صحيح.

(٢) سبق تخريجه.

الحسد بين الأقارب:

ومن أسباب قطيعة الرّحم الحَسَد بين الأقارب، فقد يحسد الإنسان ذا رحِمِه، ذلك الحسَد المذموم الذي يتمنَّى زوال تلك النعمة عنه، لماذا؟ لأنَّه يريد أن ينفردَ بالجاه والمكانَة، وينفردَ بالسّؤدد عن سواه، فلا يرضَى لرحمٍ له أن يصلَ إلى خيرٍ، ولا أن يبلغَ خيرًا، .فالحسَد يحمِله على قطيعةِ رحمه، وقد بيَّن الله لنا قضيةَ ابنَي آدم وما جرى بينهما فيقول ﷺ: «**لا تُقتل نفسٌ ظلمًا إلا كان على ابنِ آدم الأوّل كفلٌ من دمها؛ لأنه أولُ من سنَّ القتل**»[1]، قتَل أخاه حسَدًا، فنال ما نال.

الأنانية وحب الذات:

ومِن أسباب قطيعة الرحم الأنانيةُ ومحبّة الذات، فبعض الناس أنانيٌّ في نفسه، لا يحبّ الخيرَ لأحد، ولا يرضَى بخير لأيّ إنسان، همُّه نفسُه فقط، وما عدا نفسه فلا يرى لأحدٍ قدرًا ولا مكانَةً، ولهذا فهو لو رأى أحدًا من رحمِه نال خيرًا لكان أشدَّ عليه من كلّ شيء، فهو يحسد، وهو يبغِض، وهو يتمنّى كلَّ شرّ لرحمه، ويودّ لنفسه كلَّ شيء وأن لا يكون في الميدان له منافِس مهمَا بلغ حالُ ذلك الإنسان.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٣ ، رقم ٣٦٣٠) ، وابن أبي شيبة (٥/ ٤٣٥ ، رقم ٢٧٧٥٩) ، والبخاري (٣/ ١٢١٣ ، رقم ٣١٥٧) ، ومسلم (٣/ ١٣٠٣ ، رقم ١٦٧٧) ، والترمذي (٥/ ٤٢ ، رقم ٢٦٧٣) وقال : حسن صحيح . والنسائي (٧/ ٨١ ، رقم ٣٩٨٥) ، وابن ماجه (٢/ ٨٧٣ ، رقم ٢٦١٦) ، وابن أبي عاصم في الديات (١/ ٥) . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (٩/ ١١٠ ، رقم ٥١٧٩) ، وابن حبان (١٣/ ٣٢١ ، رقم ٥٩٨٣) ، والبيهقي (٨/ ١٥ ، رقم ١٥٦٠٢) .

النمامون يقطعون ما بين الأرحام:

فمِن الأسبابِ أيضًا السعيُ بالنميمة بينَ الأرحام على قصدِ الإفساد بينهم، فينقل كلامَ هذا لهذا، وكلامَ هذا لهذا، لأجل الإفساد وضرب بعضِهم ببعض، فهو يفرَح على أن ينقلَ كلامًا؛ قال فيك قريبُك كذا، وقال فيك ابنُ عمّك كذا، وتحدَّث عنك ابنُ عمّك بكذا، حتّى يفسِد بينَ الأرحام، ويحدِث القطيعةَ بينهم، ويجعلهم خصماءَ متباغضين.

فالنمام مفسِد يسعى بالإفساد بين الناس، فليكن المسلمُ على حذرٍ من أولئك، فَما قصدوا بك خيرًا، وما أرادوا لك خيرًا، واجعل صلةَ الرحم فوقَ هذا كلّه، واستعِن بالله على المهمّات، ومَن كانت ثقتُه بالله لن يضرَّه أيّ مخلوق، في الحديث: «**واعلم أنَّ الأمةَ لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمَعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلا بشيءٍ قد كتبَه الله عليك**»[(١)].

رد السيئة بالسيئة:

فكم من امرئ قابل إساءة ذوي رحمه له بالهجران والقطيعة، فأسعد بذلك الشيطان، وقطع الرحم التي هي صلة الرحمن، ألم يكن له أن يسامح، ويقابل أي خطأ صدَر من رحِمِه بالغفران، وسعة الصدر، محتسبا بذلك ثوابه

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣ ، رقم ٢٦٦٩) ، والترمذي (٤/ ٦٦٧ ، رقم ٢٥١٦) وقال : حسن صحيح . والحاكم (٣/ ٦٢٣ رقم ٦٣٠٢) وقال : عال من حديث عبد الملك بن عمير عن ابن عباس . والضياء (١٠/ ٢٥ ، رقم ١٥) . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (٤/ ٤٣٠ ، رقم ٢٥٥٦) .

عند الله ﷻ، ألم يكن قادرًا على العفو عن زلاتهم، وتحمّل أخطائهم، فلعلَّ الله أن يثيبه على ذلك، كما أنه سيجلبهم إليه بدلا من العداوة ليصيروا أولياءه، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (١).

إضاءات شعرية:

قال معن بن أوس (٢):

رأيت انثلامًا بيننا فرقعته ... برفقي وإحيائي وقد يرقع الثلم
فداويته حتى أرفأنَّ نفارُه ... فعدنا كأنا لم يكن بيننا جرم
وأطفأ نار الحرب بيني وبينه ... فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

يقول الشاعر الجاهلي المقنع الكندي (٣):

يعاتبني في الدَّين قومي وإنما ... ديوني في أشياءَ تُكسبهم حمدًا
أسدّ به ما قد أخلّوا وضيّعوا ... ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدّا
ولي جفنة لا يغلق الباب دونها ... مكلّلة لحمًا مدفقة ثردا

---

(١) سورة فصلت: الآية ٣٤.

(٢) الحلم (١ /٤٢)، والأمالي في لغة العرب (٢/ ١٠٤)، وزهر الآداب وثمر الألباب (٢/ ٢٠٩)، وتاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل (٥٩/ ٤٣١)، ومنتهى الطلب من أشعار العرب (١/ ١٢٧)، ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٧٤).

(٣) الأمالي في لغة العرب (١/ ٢٨٤)، والأغاني (١٧/ ١١١)، والصداقة والصديق (١/ ٥٠)، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (٢/ ١٦٢)، والحماسة البصرية (٢/ ٣٠)، والتذكرة السعدية (١/ ٢٦)، وديوان الحماسة (٢/ ٣٨)، والوافي بالوفيات (٣/ ١٤٨).

وإن الــذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدًّا
إذا أكلوا لحمي وفَرتُ لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجدًا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم ... وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا
وليسوا إلى نصري سراعًا وإن همُ ... دعوني إلى نصر أتيتهم شدًّا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جلّ مالي إن تتابع لي غنى ... وإن قلّ مالي لم أكلفهم رِفدا



العدل

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن العدل صفة من صفات الله تبارك وتعالى ، ولهذا أهاب القرآن بنا أن نعدل فيما بيننا، بل حتم علينا أن نأخذ أنفسنا بالعدل حتى مع عدونا، وحذرنا أن نميل عن العدل انصياعاً لعاطفة، أو تشفِّيًا من خصم، أو طواعية لمصلحة أو تكسب، والله ﷻ يأمرنا بالعدل، فيقول ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾(١).

ويقول ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾(٢)

تعريف العدل:

الْعَدْل : خِلاَفُ الْجَوْرِ ، وَهُوَ فِي اللُّغَةِ : الْقَصْدُ فِي الأُْمُورِ ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الأَْمْرِ الْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ طَرَفَيِ الإِْفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَالْعَدْل مِنَ النَّاسِ: هُوَ

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨ .

الْمَرْضِيُّ . قَوْلُهُ وَحُكْمُهُ ، وَرَجُلٌ عَدْلٌ : بَيِّنُ الْعَدْل ، وَالْعَدَالَةُ وَصْفٌ بِالْمَصْدَرِ مَعْنَاهُ : ذُو عَدْلٍ (١) .

العدل ومكانته في الشرائع وأثره في عز الأمم وبقائها :

احترام العدل تقليدٌ تتوارثه الأمم المحترمة، وتقيم له الضمانات، وتبني له الحدود والتشريعات، من أجل أن يرسخ ويستقرَّ.

وإن الحضارات الإنسانية لا تبلغ أقوى وأعلى عزها، ولا ترقى إلى عز مجدها إلا حين يعلو العدل تاجها، ويتلألأ به مفرقها. تبسطه على القريب والغريب، والقوي والضعيف، والغني والفقير، والحاضر والباد.

فقد تواطأت على حسنه الشرائع الإلهية، والعقول الحكيمة، والفطر السوية، وتمدح بادعاء القيام به ملوك الأمم وقادتها، وعظماؤها وساستها.

لقد دلت الأدلة الشرعية وسنن الله في الأولين والآخرين أن العدل دعامة بقاء الأمم، ومستقر أساسات الدول، وباسط ظلال الأمن، ورافع أبنية العز والمجد، ولا يكون شيء من ذلك بدونه.

فالعدل هو غاية الرسل جميعًا، كما قال الله ﷻ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢) .

---

(١) لسان العرب، المصباح المنير، التعريفات للجرجاني، والمغرب في ترتيب المعرب، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ومغني المحتاج (٤ / ٤٢٧) ، كشاف القناع (٦/ ٤١٨)، القوانين الفقهية (ص٣٠٣).

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٥.

فبالعدل قامت السموات والأرض، وللظلم يهتز عرش الرحمن. العدل مفتاح الحق، وجامع الكلمة، ومؤلف القلوب، وبه تعمر الدول وبدونه يبيدها الخراب.

مكانة العدل في الإسلام والأمر به وسعته وشموله:

إن أمة الإسلام هي أمة الحق والعدل، والخير والوسط، نصبها ربها قوامةً على الأمم في الدنيا، شاهدةً عليهم في الآخرة، خير أمةٍ أخرجت للناس، يهدون بالحق وبه يعدلون، يتواصون بالحق والصبر، ويتنافسون في ميادين الخير والبر، ويتسابقون إلى موجبات الرحمة والأجر.

العدل في كتاب الله ﷻ:

أمة الإسلام أمةٌ أمرها ربها بإقامة العدل في كتابه أمرًا محكمًا وحتمًا لازمًا، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[2].

وقال ﷻ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ

(١) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٢) سورة النساء: الآية ١٣٥.

ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[١].

فضل العدل:

أن الله أمر به:

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[٢].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي»[٣].

أن الله يحب أهله :

قال ﷻ: ﴿ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾[٤].

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٥.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٣) تفسير السعدي (١ / ٤٤٧).

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٢.

يسبقون لظل الرحمن يوم القيامة:

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَنْ السَّابِقُونَ إِلَى ظِلِّ الله ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» قَالُوا: الله ﷻ وَرَسُولُهُ ﷺ أَعْلَمُ. قَالَ: «**الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا الْحَقَّ قَبِلُوهُ، وَإِذَا سُئِلُوهُ بَذَلُوهُ، وَحَكَمُوا لِلنَّاسِ حُكْمَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ**»(١).

قال الملا علي القاري: «حكموا للناس أي للأجانب ولو كان حقيرا كحكمهم لأنفسهم أي لذواتهم وقراباتهم»(٢).

على منابر من نور:

قال ﷺ: «**إنّ المُقْسِطِينَ عِنْد الله يَوْمَ القيَامَةِ على منَابِرَ مِنْ نُورٍ عنْ يَمينِ الرَّحمن، وَكِلتا يَدَيْهِ يَمينٌ، الذينَ يَعْدِلونَ في: حُكْمِهِمْ، وأَهْلِيهِمْ، وما وُلُّوا**»(٣).

قال النووي: «والمقسطون هم العادلون»(٤).

العادلون أقرب الناس لله ﷻ يوم القيامة:

قال ﷺ: « **إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ**

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٦٧، رقم ٢٤٤٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦، ٢/ ١٨٧)، وقال: غريب، تفرد به ابن لهيعة. وأخرجه أيضًا البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٥٠٤، رقم ١١١٣٩)، والديلمي (٢/ ٥٩، رقم ٢٣٣٤).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ج ١١ / ص ٣٤٦).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٥٨، رقم ١٨٢٧).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٢ / ٢١١).

عَادِلٌ، وَأَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى الله وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ جَائِرٌ» [(١)] .

أقسام العدل:

إن الإسلام صدقٌ كله، وحكمه عدلٌ، قال الله ﷻ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [(٢)] .

وعدل الإسلام يسع الأصدقاء والأعداء، والأقرباء والغرباء، والأقوياء والضعفاء، والمرؤوسين والرؤساء.

وقال ﷺ: «**ما من أحد يكون على شيء من أمور هذه الأمة فلم يعدل فيهم إلا كبه الله في النار**» [(٣)] .

وإن من أولى ما يجب العدل فيه من الحق حق الله ﷻ في توحيده وعبادته، وإخلاص الدين له كما أمر وشرع خضوعًا وتذللاً، ورضًا بحكمه وقدره، وإيمانًا بأسمائه وصفاته. وأظلم الظلم الشرك بالله ﷻ، وأعظم الذنب أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك.

ثم العدل في حقوق العباد تُؤدى كاملة موفورة، ماليةً أو بدنية، قولية أو عملية. يؤدي كل والٍ ما عليه مما تحت ولايته في ولاية الإمامة الكبرى ثم نواب الإمام في القضاء والأعمال في كل ناحية أو مرفق.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢ ، رقم ١١١٩٠) ، والترمذي (٣/ ٦١٧ ، رقم ١٣٢٩) وقال : حسن غريب . والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٤ ، رقم ٧٣٦٦) ، وفى السنن الكبرى (١٠/ ٨٨ ، رقم ١٩٩٥٦) . والبغوي في الجعديات (١/ ٢٩٥ رقم ٢٠٠٤) .

(٢) سورة الأنعام: الآية ١١٥ .

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ١٠٢ ، رقم ٧٠١٤) وقال : صحيح الإسناد .

أولا: العدل مع الله ﷻ في توحيده وتنزيهه عن الشريك:

فهو أعظم العدل، وهو توحيد الله ﷻ لا شريك له، وهو الحق الذي قامت به السماوات والأرض، ومن أجله خلق الله الخلق، كما قال ﷻ: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾[1].

ويقابل هذا القسم من العدل أعظم الظلم، وهو الإشراك بالله ﷻ والكفر به، والتحاكم إلى غير شرعه ومنهجه القويم، وهو مصداق قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]، ومثل قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[3]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[4].

العدل مع النفس:

ويدخل في ضمن العدل مع الله ﷻ قيام الإنسان بالأمانة التي كلفه الله ﷻ بها، والعمل على خلاصها ونجاتها مما لا تطيقه من عذاب الله وغضبه، مصداق قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[5].

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ٣.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٣.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٨٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٤.

(٥) سورة التحريم: الآية ٦.

ويقابل هذا النوع من العدل ظلم الإنسان لنفسه بترك ما أمر الله به، أو بفعل ما حرم الله ﷻ عليه مما هو دون الشرك، وما لا يتعدى ضرره إلى غيره، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١).

العدل مع العباد:

وهذا القسم من الأهمية بمكان وهو ثمرة القسمين السابقين، ولا يمكن أن يتحقق هذا القسم أو غيره من الأقسام إلا بتطبيق شرع الله سبحانه وتعالى، واتباع منهجه الذي أمرنا به، وبيّنه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وإلا فلا عدل ولا قسط ولا استقامة، وإنما كفر وظلم وفسوق، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (٣)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (٤).

فحيث حُكّم في حياة الناس منهجٌ آخر من وضع البشر لازمه جهل البشر، وقصور البشر، كما لازمه الظلم والتناقض، ظلم الفرد للجماعة، أو ظلم الجماعة للفرد، أو ظلم طبقة لطبقة، أو ظلم أمة لأمة، أو ظلم جيل لجيل، وعدل الله سبحانه وتعالى وحده هو المبرأ من الجهل والهوى والميل لأي من هؤلاء.

---

(١) سورة يونس: الآية ٤٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٥.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٧.

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١).

وهذا القسم الأخير من أقسام العدل له لوازم ومقتضيات كثيرة لا يتحقق إلا بها.

لوازم ومقتضيات للعدل مع العباد.

١- التثبت من الأمر قبل الحكم عليه:

فمن العدل والإنصاف أن يتثبت المسلم من كل خبر أو ظاهرة قبل الحكم عليها، وإن من الظلم والاعتداء الحكم على أمر بمجرد الظنون والأوهام، والله ﷻ يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(٢).

فالإنسان مسئول عن سمعه وبصره وفؤاده أمام الله ﷻ، فلا تتبع ما لم تعلمه علم اليقين، وما لم تتثبت من صحته من قول يقال أو رواية تروى أو غير ذلك، والله ﷻ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾(٣)، ويقول ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٤) سورة الحجرات: الآية ٦.

٢- العدل في النقد ومعالجة الخطأ:

وفي هذا الجانب موقفه ﷺ من صنيع حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه في فتح مكة، ومعالجته ﷺ لهذا الخطأ رغم شناعته وخطورته.

فعن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود، قال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة** [١]**، ومعها كتاب فخذوه منها**». فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنقلبن الثياب. فأخرجته من عقاصها.

فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب ما هذا؟**».

قال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت أمرأً ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرًا ولا ارتدادًا ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد صدقكم**».

قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «**إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم**

---

(١) **الظعينة**: المرأة، وهي في الأصل: ما دامت في الهودج، ثم صارت تطلق على المرأة وإن لم تكن في هودج.

فقد غفرت لكم» [(١)] .

فهذا هو النبي ﷺ لم يحكم على حاطب ﷺ نتيجة خطأ واحد جرى منه ساعة خوف على أهله، بل احتسب ﷺ لحاطب حظه في السبق للإسلام وجهاده يوم بدر.

٣- الفرح بإصابة الغير للحق والحزن على مجانبتهم له:

ولعل هذا اللازم من أصعب لوازم الحق تحقيقًا، لأنه يمثل قمة العدل والتقوى والورع، حيث نرى الكثير من دعاة المسلمين اليوم فضلًا عن عامتهم إذا رأوا غيرهم قد أخطأ فإنهم يفرحون بذلك حتى يحسبونه غلبة، في الوقت الذي لو وجدوا خلاف ذلك - من إصابة غيرهم للحق - فإنهم يحزنون لهذه الإصابة، وهذا والعياذ بالله هو الظلم والحقد والحسد الذي لا يلتقي مع العدل وحب الخير للناس.

٤- الشهادة للمحسن بإحسانه وللمسيء بإساءته:

فإننا نرى اليوم كثيرا من الناس يفرطون في محبتهم أو كرههم، فإذا أحبوا شخصًا أو طائفة ما فإنهم يفرطون في هذا الحب ولا يعدلون فيه، فلا يرون إلا الحسنات، ويتجاوزون عن الأخطاء والسيئات، ويبررونها ويؤولونها، وكأن من أحبوه لا يجوز عليه الخطأ، وهذا غلو واعتداء في الحب قد يؤدي إلى الغلو في الرجال وتقديسهم، وفرق شاسع بين التقدير والتقديس، وفي مقابل ذلك إذا أبغضوا شخصًا أو هيئة ما فإن هذا الكره ينسيهم كل الحسنات

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩٥ ، رقم ٢٨٤٥) ، ومسلم (٤/ ١٩٤١ ، رقم ٢٤٩٤).

والإيجابيات، وهذا عين الظلم، فلا بد من ذكر المحاسن مقابل المساوئ ليعتدل ميزان الحكم، فالاعتدال في الحب والكره من لوازم قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[1].

٥- الابتعاد عن النجوى:

فمما يفرضه العدل على المسلم أن يبتعد عن النجوى التي من شأنها إحزان المسلمين وإثارة العداوة والبغضاء بينهم، وهي عامل مهم في ترويج الإشاعات، يقول ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[2].

والنجوى لا تأتي بخير إلا في أحوال ثلاثة ذكرها الله ﷻ في قوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[3].

٦- الصدق والوضوح:

فالصدق يؤدي إلى العدل كما أن العدل يستلزم الصدق والوضوح في الأقوال والأفعال، بعكس ما يحدث في زماننا من الأساليب الغامضة في تعامل المسلمين مع بعضهم البعض، وهذا الغموض وعدم الوضوح وسوء الظن

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨.

(٢) سورة المجادلة: الآية ١٠.

(٣) سورة النساء: الآية ١١٤.

بالمسلمين من الأمراض الخطيرة التي تؤدي إلى إذكاء العداوة والفرقة بين المسلمين وعدم اطمئنان بعضهم إلى بعض، والأصل أن يفترض الصدق في المسلم وألا يساء الظن به، ورأينا كيف قال ﷺ عندما سمع من حاطب عذره قال: «**صدق ولا تقولوا إلا خيرا**»[١].

العدل في الأقوال:

وكما يكون العدل في الأعمال والأموال فهو مطلوب في الأقوال والألفاظ: قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ**﴾[٢]. ولعل العدل في الأقوال أدق وأشق.

وصاحب اللسان العدل يعلم أن الله يحب الكلام بعلم وعدل، ويكره الكلام بجهلٍ وظلم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٣].

وتأملوا هذا الإنصاف النبوي في القول حينما أعلن النبي ﷺ حكمه على كلمة قالها شاعر حال كفره حين قال ﷺ: « **أَصْدَقُ كلمة قالها الشاعر كلمة لَبِيد (أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ ما خَلاَ الله بَاطِلُ)، وكاد أُمَيَّةُ بن أَبِي الصَّلْتِ أن يُسْلِمَ** »[٤].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٢.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٩٥، رقم ٣٦٢٨)، ومسلم (٤/ ١٧٦٨، رقم ٢٢٥٦).

وهذا علي ﷺ يقاتل من خرج عليه، فلما سئل عنهم: أمشركون هم؟ قال: هم من الشرك فروا. قيل: أفمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟ قال: هم إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم [(١)].

ويقول النووي رحمه الله: «ينبغي أن يذكر فضل أهل الفضل ولا يمتنع منه لسبب عداوة ونحوها» [(٢)].

التحذير من اتباع الهوى:

إن إقامة العدل في الأرض لا يمكن أن تتم إلا حين تتجرد النفوس لله سبحانه وتعالى، وتتخلى عن رغباتها، ويكون هدفها الأسمى هو ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، ونعيمها النفسي هو العمل لإرضاء الله، ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [(٣)]، لله فقط وتعاملا مباشرا مع الله، لا لحساب أحد، ولا لمصلحة فرد أو جماعة أو أمة.

والهوى صنوف شتى ذكر الله بعضا منها: حب الذات هوى، وحب الأهل والأقربين من الهوى، والعطف على الفقير في موطن الشهادة والحكم هوى، ومجاملة الغني هوى، ومضارته هوى، والتعصب للعشيرة والقبيلة

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٣٥)، وتعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٤٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٧٩)، وسنن البيهقي الكبرى (٨/ ١٧٣)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٣٢٤).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢ / ٢١٢).

(٣) سورة النساء: الآية ١٣٥.

والأمة والوطن في موضع الشهادة والحكم هوى، وكراهية الأعداء ولو كانوا أعداء الدين، في موطن الشهادة والحكم هوى، وأهواء شتى كلها مما ينهى الله الذين آمنوا عن التأثر بها والعدول عن الحق والصدق تحت تأثيرها.

من مواقف العدل في حياة النبي ﷺ:

كان ﷺ عادلاً في قوله وفعله وحكمه. لا يجور ولا يحيف، وكان العدل من أخلاقه وأوصافه اللازمة له ، فقد عرف به في الجاهلية قبل الإسلام؛ وهذه مواقف له ﷺ يتجلى فيها هذا الخلق النبوي الكريم:

حكمه في قضية الحجر الأسود:

وهي قصة تحكيم قريش له ﷺ في وضع الحجر الأسود بعد خلاف شديد بينهم كاد يفضي بهم إلى الاقتتال. فقالوا بتوفيق من الله سبحانه وتعالى نحكم أول قادمٍ علينا. فكان ﷺ، فقالوا: هذا الأمين، هذا الحكم، رضينا به. فحكم بأن يوضع الحجر في ثوب، وتأخذ كل قبيلة بطرف، ثم أخذ الحجر بيديه ووضعه في مكانه من جدار البيت، فحكم فعدل، وكان مظهرًا من مظاهر عدله ﷺ[(١)].

قوله في قضية المخزومية:

لما سرقت المخزومية، وشق على المسلمين إقامة الحد عليها فتقطع يدها،

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٢٠٥)، والكامل في التاريخ (١/ ٥٧٣)، وآثار البلاد وأخبار العباد (١/ ٤٥)، والمختصر في أخبار البشر (١/ ٧٤)، وتاريخ الإسلام (١/ ٦٧)، وفصول من السيرة (١/ ٨٣)، وتاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف (١/ ١٠٨)، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (١/ ٩).

فتوسطوا له بحِبه وابن حِبه أسامةَ بنِ زيد، فرفع إليه القضية، فقال ﷺ: «أفي حد من حدود الله تشفع يا أسامة والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها »[(١)].

عدله بين زوجاته ﷺ:

كان ﷺ تحته تسع نسوة، وكان يعدل ويتحرى العدل، ثم يعذر إلى ربه وهو مشفق خائف فيقول: « **اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمي فِيمَا أملك ، فَلَا تلمني فِيمَا تملك وَلَا أملك**»[(٢)] . يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه، وسائر نسائه يعرفن ذلك وكان يطاف به محمولا في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهن[(٣)] .

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في العدل والمساواة :

قال ابن حزم رحمه الله: «أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبه ، وعلى الحق وإيثاره »[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٩١ ، رقم ٦٤٠٦) ، ومسلم (٣/ ١٣١٥ ، رقم ١٦٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٤٤، رقم ٢٥١٥٤)، وأبو داود (٢/ ٢٤٢، رقم ٢١٣٤)، والترمذي (٣/ ٤٤٦، رقم ١١٤٠)، والنسائي (٧/ ٦٣ ، رقم ٣٩٤٣)، وابن ماجه (١/ ٦٣٣، رقم ١٩٧١)، والحاكم (٢/ ٢٠٤، رقم ٢٧٦١)، وإسحاق بن راهويه (٣/ ٧٥٦، رقم ١٣٧٠)، وابن أبي شيبة (٤/ ٣٧ ، رقم ١٧٥٤١)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٢٩٨، رقم ١٤٥٢٢).

(٣) إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي - (ج ٢ / ص ٣١٩).

(٤) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص ٩٠).

قال ابن تيمية رحمه الله: «إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى: الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة، ولو كانت مؤمنة»[١].

قال ابن القيم رحمه الله: «التوحيد والعدل هما جماع صفات الكمال»[٢].

مجالات العدل:

مر بنا قول النبي ﷺ: «**إنّ المُقْسِطِينَ عِنْد الله يَوْمَ القيَامَةِ على منَابِرَ مِنْ نُورٍ عنْ يَمينِ الرَّحمن، وَكِلتا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الذينَ يَعْدِلونَ في: حُكْمِهِمْ، وأهْلِيهِمْ، وما وُلُّوا**»[٣]. وفي ذلك من مجالات العدل التي يمدح بها هؤلاء ويستحقون هذه المنزلة في الآخرة ما يلي:

أولا: العدل في الحكم:

فهم في حكمهم عادلون، لا يجورون، ولا يميلون، يقولون الحقَّ ولو على أنفسِهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْ**﴾[٤]، فلا تتّبعوا الهوى فتتركوا العدلَ، فإنّ العدلَ إنّما يكون ممّن سَلِم من الهوى، أمّا صاحب الهوى فالهوى يميل به يمينًا ويسارًا،

---

(١) مجموع الفتاوى (ج ٢٨ / ص ٦٣).

(٢) مدارج السالكين (ج ٣ / ص ٤٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٥٨، رقم ١٨٢٧).

(٤) سورة النساء: ١٣٥.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [(١)].

والذين يعدِلون في حكمِهم يجعَل الله لهم محبّة في القلوب وطمأنينَة لقولهم وثقةً بهم، لأنّهم حكموا فعدلوا وقضَوا بين النّاس بالعدل، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [(٢)].

وفي مثل هؤلاء صح الخبر عنه ﷺ أنه قال: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجلٌ رحيمٌ رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال**» [(٣)]. كما أن الإمام العادل سابع سبعةٍ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله [(٤)].

ومن ثمرات العدل في الحكم :

من ثمرات العدل في الحكم إشاعة الطمأنينة في النفوس، روي أن قيصراً أرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسولاً لينظر أحواله ويشاهد أفعاله ، فلما دخل المدينة سأل عن عمر رضي الله عنه وقال : أين ملككم ؟ فقالوا : ما لنا ملك ،

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٢) سورة ص: الآية ٢٦.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٧ رقم ٢٨٦٥).

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٢٣٤ ، رقم ٦٢٩) ، ومسلم (٢/ ٧١٥ ، رقم ١٠٣١).

بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة ، فخرج في طلبه فرآه نائماً فوق الرمل، وقد توسد درته (وهي عصا صغيرة كانت دائما بيده يغير بها المنكر)، فلما رآه على هذه الحال وقع الخشوع في قلبه . وقال: رجل يكون جميع الملوك لا يقر لهم قرار من هيبته، وتكون هذه حالته، ولكنك يا عمر عدلت فنمت وملكنا يجور، فلا جرم أنه لا يزال ساهراً خائفاً ! [1].

العدل في الأهل:

فالممدوحون بالعدل الموعودون بمنابر النور يوم القيامة أهلُ عدل في أهليهم، فليس عندهم جورٌ في أهليهم، بل يعاملون أهليهم بالعدلِ في كلّ الأحوال، وأهلوهم هم أولادهم وأزواجهم.

العدل في الأولاد:

فالمسلم أمَام أولادِه ذكورًا وإناثًا يلزَم العدلَ بينهم، ويتّقي الله فيهم، ويظهِر لهم أنّه أبوهم الرّحيم بهم الشفيق عليهم، لا يطمع هذا في ظُلمه، وهذا في حَيفه، لا يطمَع أحدٌ فيه، فيطمع في ظلمِه لإخوانِه وميلِه معه دون غيره، وإنّما الكلّ مطمئنّون إليه، ولهذا فإن النبي ﷺ أرشد الآباءَ إلى أن يتّقوا الله في أولادِهم، فلا يفضِّلوا بعضًا على بعض، ولا يقدّموا أحدًا على أحد.

ففي عهدِه ﷺ جاءَه بشير بن سعد الأنصاريّ رضي الله عنه ليشهِدَه على أنّه وهب لابنِه النّعمان بن بشير رضي الله عنه غلامًا، وأمّ النعمان أبَت إلاّ أن توثّق تلك العطيّةَ بشهادةِ محمّد ﷺ فقالت: لا أقبل أن تعطيَ ابني هذه العطيّة إلاّ أن يكونَ

(١) الأنساب للصحاري (١/ ١٣٣)، والتراتيب الإدارية (٢/ ٣٧٦).

رسول الله ﷺ شاهدًا عليها، وأيّ شهادةٍ أعظم من شهادة محمد وأصدق منها وأوثق منها؟! فلمّا جاءه وأخبره قال: إنّ أمّ هذا طلبت منّي أن أنْحل ابنَها غلامًا وأن أشهِدَك عليه، فقال ﷺ: «**أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ ذَا؟**» قال: لا، قال: «**أَيَسُرُّك أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً**» قال: نعم، قال: «**إذًا فلا**»، وفي لفظ أنّه قال له: « **أشهد عَلَى هَذَا غَيْرِي**» [١]، ففهِم منه أنّ هذا الأمرَ الذي امتنع محمّد أن يكونَ شاهدًا عليه دليل على أنّه مخالف للحقّ، وفي بعض الألفاظ أنّه ﷺ قال: «**لا تُشهِدني على جَور**» [٢]، وفي لفظ أنّه ﷺ قال: «**اتَّقُوا اللهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**» [٣].

العدل بين الزوجات:

ومِن العدل في الأهلِ، عدلُ الرّجل بين زوجاتِه إن يكن عنده أكثرُ من واحدة، فإنّ العدلَ بين الزوجات واجب شرعيّ أمر الله سبحانه وتعالى به، وأمر به نبيّه ﷺ، فالله سبحانه وتعالى لما أباح لعباده التعدّد قيَّد ذلك بقوله: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟** ﴾ [٤].

---

(١) أخرجه ابن حبان (١١/ ٥٠٥، رقم ٥١٠٦)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١٧٨، رقم ١١٧٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٩٣٨ ، رقم ٢٥٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٩١٤ ، رقم ٢٤٤٧) ، ومسلم (٣/ ١٢٤٢ ، رقم ١٦٢٣) .

(٤) سورة النساء: الآية ٣.

فأباح التعدّدَ وأذن فيه، لكن شريطةَ أن يكون المعدِّد يغلِب على ظنّه العدل بين الزوجات، وأن لا يقصِد بالتعدّد ظلمَ هذه لمصلحةِ هذه.

فيعدل بين الزوجاتِ في الأمور التي يمكنه العدل فيها، يعدل بينهنّ في النّفقة، فلا يفضّل تلك على أخرى بلا سبب، يعدِل في المبيت والمسكن والنّفقة، ولو كان في القلبِ حبٌّ لواحدة، لكن لا يظهر ذلك أمام الأخرى، فلا يقدح في هذه عند الأخرى، ولا يعيب هذه عند الأخرى، ولا يفشِي سرَّ هذه عند الأخرى.

وكان ﷺ أعدلَ الناس بين نسائه، وألزمهم للعدلِ في الأمور كلّها، وقد حذّر ﷺ المسلم من أن يجورَ ويظلم، فيقول أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**مَن كان عنده امرأتان فمال إلى إحداهنّ دون الأخرى جاء يوم القيامة وشقُّه مائل**»[1].

العدل في الولاية:

المسلم فيما تولّى من عملٍ يلزم العدلَ، يلزم العدلَ فيمن وُلّي عليهم ويسوسُهم السّياسة الشرعيّة ويحكم بينهم بالعدل، فلا يظلِم هذا، ولا يحقِد على هذا، ولا يحابي هذا ضدَّ هذا، إنّما يعدل بين من تولّى أمرَهم، ويسوسهم السّياسة الشرعيّة، ويقوم بهم على حسب العدلِ والقيام بالواجب، فأقرب النّاس إليه أحسنُهم أداء وأحسنهم عملاً وأنجزهم مهمّة، هذا أحبّ النّاس

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٧١ ، رقم ١٠٠٩٢) ، وأبو داود (٢/ ٢٤٢ ، رقم ٢١٣٣) ، والنسائي (٧/ ٦٣ ، رقم ٣٩٤٢) ، وابن ماجه (١/ ٦٣٣ ، رقم ١٩٦٩) ، والبيهقي (٧/ ٢٩٧ ، رقم ١٤٥١٥) . والدارمي (٢/ ١٩٣ ، رقم ٢٢٠٦) .

إليه، لا يميل مع هذا ضدّ هذا، وإنّما يلزم تقوى الله فيمن وُلّي عليهم، والله سائلٌ كلَّ راع وما استرعى؛ حفظ ذلك أو ضيَّعه.

هذا هو العدل العالمي الذي جاء به نبينا محمد ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، عدلٌ يتم فيه ضبط النفس والتحكم في المشاعر. إنه القمة العليا، والمرتقى الصعب الذي لا يبلغه إلا من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ نبيًّا ورسولاً، وبدينه دستورًا وحكمًا.

عدل الإسلام مع الأعداء:

ما من عقيدة أو نظام في هذه الأرض يكفل العدل المطلق للأعداء المناوئين كما يكفله لهم الإسلام، لقد نزلت آيات من القرآن لتنقذ رجلاً يهوديًّا من تهمة توجه إليه، مع كيد يهود للإسلام وللنبي ﷺ وأتباع دينه بكل ما في جبلتهم من الرغبة في الشر وكراهية الخير للناس، وينصفه من رجل مسلم من قبيلة الأنصار، الأنصار الذين آووا ونصروا، وقدموا أرواحهم، وأموالهم في سبيل الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴾[1].

(١) سورة النساء: الآيات ١٠٥ – ١٠٨.

عن الضحاك قال: «كان رجل من اليهود استودع رجلا من الأنصار درعا من حديد فتركها ما شاء الله أن يتركها ثم طلبها فكابره بها فخون اليهودي الأنصاري فغضب له قومه فمضوا معه إلى رسول الله ﷺ، فقالوا يا رسول الله إن اليهودي خون صاحبنا فاعذره وأزجر عنه فقام النبي ﷺ وهو لا يعلم فعذره وزجر عنه فأنزل الله ﷻ هذه الآيات كلها فيه »[١].



(١) أخبار المدينة (١/ ٢٣٠)، وتفسير الطبري (٥/ ٢٦٤)، وتفسير السمرقندي (١/ ٣٦١).

العفة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

كثرة الفتن في هذا الزمان:

لقد عَجَّ الزمن بالفتن، وكثرت دواعي الانحراف؛ ولزم المسلم الاستعفاف عن مواقعة الحرام، والاستعلاء عن مقارفة الفواحش، والاستعصام عن الرغبات الجَامِحَةِ والإرادات المهلكة، ومجاهدة النفس وصونها عن الأقذار، وكَبْتها عمَّا لا يَحِلّ.

ومتى استسلم المرء لنوازع الشهوة والغريزة واللذة المحرمة فقد تردَّى في مستنقع البؤس والخيبة، وخَرَّ في دركات الضياع والقلق والتوتر والحيرة، وهوي في حَضِيض الانحلال والاضطراب والشقاء، ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾[1].

تعريف العِفّة:

العِفّة هي[2]: كفُّ النفس عمّا لا يحِلّ ولا يجمُل وضبطُها عن الشهواتِ

(١) سورة النساء: الآية ٣٨.

(٢) انظر جامع الأصول (٩ / ١٦٨).

المحرَّمة وقصرُها على الحلال مع القناعةِ والرِّضا.

وبهذا التعريف يتبين لنا أنّ العفة خلُق زَكِيّ، يَنبُت في روضِ الإيمان، ويُسقى بماءِ الحياء والتقوى. لما فيه من سُمُوّ النفس على الشّهواتِ الدنيئة وترفُّع الهِمّة عما لا يليق، بل يفيض هذا الخلُق بكلِّ الخصال النبيلةِ، فصاحبُه ليس بالهلوعِ ولا الجَزوع ولا المنوع، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (١).

من مظاهر مخالفة العفاف:

إن الواقع يثبت أن بعض هذا المجتمع ابتعد ابتعادًا كبيرًا عن شرع الله، وأن العفة أصبحت عند طائفة من الناس من الأمور القديمة البالية، فالفتاة كالشاب لها مطلق الحرية في مصاحبة من تشاء من الذكور، وفي الذهاب للمراقص والسهرات، وتكون النتيجة الفضيحة أو الاستغلال.

وإن من مظاهر التلوث في مجتمعاتنا والانهزام، مظهران أقتصر عليهما:

(١) سورة المعارج: الآيات ١٩ – ٣٥.

المظهر الأول: مظهر العشق:

وهذا المظهر استشرى في بعض مجتمعنا، فترى الشباب الذين ليسوا متمسكين بالدين نرى حديثهم ما هو؟ عن الحب، أنت من تحب؟ والفتاة تقول أيضًا لصاحبتها: أنتِ من تحبين؟ من هو حبيبك؟ من تراسلين؟ فمن أين جاء هذا العشق؟

إنما جاء من وسائل الإعلام المدمّرة التي قلّ أن تكون هناك مسلسلة أو تمثيلية إلا وفيها دور للعشق والحب، كانت الأسرة في الماضي لا تعرف الغزل وأيضًا كان الأبوان لا يحبان أن ينظر أولادهما إلى غزل أو أن يتلفظا بكلمات حب أو عشق، وأصبحت ترى الأسرة بكاملها بينهما الأب والأم والفتاة والفتى يجلسون على شاشة التلفاز وأمامهم تمثيلية أو مسلسلة، وفي هذه التمثيلية أو المسلسلة رجل يقول لفتاة: أحبك، وفتاة تقول لرجل: أحبك، واسمع إلى تلك الكلمات التي تخرج منهما، والأب والأم ينظران والفتى والفتاة ينظران فأصبح المنكر معتادًا بسبب أن القلوب استشربت هذه المناظر، فأصبحت النظرة إلى الحرام غير منكرة.

وتمر على بعض الأسواق وتمر على بعض البضاعات فترى صورًا للنساء المتبرجات ، وأصبح النظر إلى هذه الصور العارية في وسائل التجارة، من وسائل ترويج البضاعات، والله ﷻ يقول: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾[1]، ولن يكون هناك حفظ للفروج إلا بعد غض الأبصار.

(١) سورة النور: الآية ٣٠.

وكذلك الغناء حدث عنه ولا حرج، كلمات الهوى، كم تسمع من كلمات تتداول بين الشباب في الأغاني من كلمات الهوى، الهوى ذمه الله في القرآن فقال: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ (١)، هؤلاء يمدحون الهوى ويمدحون الليل الذي تكون فيه المعصية.

إذن الأغاني والمسلسلات والأفلام والروايات الساقطة التي فيها العشق والغرام، ومقارفة الرذائل، أدى كل هذا إلى أن تخترم العفة، وإلى أن تكون العفة في بعض الأسر نادرة، فأصبح الإنسان الذي يريد أن يتزوج من أسرة ما يتخوف من أن تكون هذه الفتاة تراسل رجلًا ويراسلها، أو تحدث رجلًا في التليفون ويحدثها.

المظهر الثاني: العادة السرية:

أو ما يسمى بالاستمناء، وهذه عادة رذيلة ذكرها العلماء كثيرًا وذكروا الأدلة على حرمتها، وما انتشرت هذه العادة السيئة إلا لأسباب منها:

الصور الإباحية:

الصور التي تعرض للشباب صباح مساء والتي فيها ما ذكرت.

الغناء والموسيقى:

وكذلك الغناء والموسيقى الذي يؤدي إلى استفزاز النفس، وإلى أن تخضع للشيطان، كما قال تعالى عن الشيطان: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٣.

بِصَوْتِكَ ﴾[١]، أي بالغناء والمزامير[٢].

تعسير الزواج:

وكذلك بسبب معوقات الزواج والتي هي كثيرة ـ وليس المقام هنا لتعدادها إنما المقام هنا لذكرها كسبب من أسباب خرم العفة والاستعفاف ـ، فمن أسباب هذه العادة الرديئة والتي لها مضار صحية، والتي فيها إثم، والتي فيها حرمان من الوصف الذي ذكره الله عز وجل للعباد الخاشعين حين قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾[٣].

من أدلة تحريم الاستمناء:

من كتاب الله سبحانه وتعالى:

قال الشافعي رحمه الله: «يستدل بهذه الآية على تحريم الاستمناء؛ لأن الله تعالى عَممّ فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾[٤]، أي يحفظون

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٦٤.

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ١١٨)، وتفسير السمرقندي (٢/ ٣١٩)، وتفسير الواحدي (٢/ ٦٤٠).

(٣) سورة المؤمنون: الآيات ١ – ٦.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ٥.

فروجهم عن كل شيء، ثم استثنى من ذلك فقال: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾[١]»[٢].

ولذلك قال الفقهاء: «الأصل في الفروج الحرمة»[٣]، والشارع هو الذي يذكر لنا النواحي التي تباح فيها، ولذلك أباح الله ﷻ لنا الزواج وما ملكت أيماننا، واستدل العلماء كذلك على تحريم هذه العادة السيئة بقول الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[٤]، أي: فليستعف الذين لا يستطيعون الزواج، ويطلبوا العفة، ويحفظوا فروجهم عن الحرام، فلو كان هناك بديل للزواج لذكره الله ﷻ.

من السنة المطهرة:

واستدل العلماء كذلك على تحريمها بقول النبي ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[٥].

فالرسول هنا ذكر البديل لمن لم يستطع الزواج، ألا وهو الصوم؛ ولو كانت هذه العادة السيئة مرخصة لرخصها النبي ﷺ ولذكرها؛ لأنها أسهل من

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٠)، وانظر البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤).

(٣) غمز عيون البصائر (٣/ ٤٠٩)، ونيل الأوطار (٦/ ٢٩٠)، والروضة الندية (٢/ ١٩١).

(٤) سورة النور: الآية ٣٣.

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٥٠، رقم ٤٧٧٨)، ومسلم (٢/ ١٠١٨، رقم ١٤٠٠).

الصوم، -ولكنه عليه الصلاة والسلام- ما ذكرها، بل ذكر الصوم فدل ذلك على أنها داخلة في عموم الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴾ (١)، فدل ذلك على حرمتها.

وكذلك هناك قاعدة «أن ما أدّى إلى الضرر فهو حرام»، وهذه العادة ثبت بالطب أنها تؤدي إلى أمراض شتى وإلى معوقات للزواج، وهذا يؤكد على حرمتها ويؤكد على عدم حِلّيتها، فإلى الذين يتهاونون في هذه العادة السيئة نصيحتي أن يتقوا الله تعالى، ويتركوها، ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه.

فضل العفة في الإسلام:

العفّة برهان على صدق الإيمان:

كما أنها برهان على طهارة النفس وحياة القلب، وهي عِزُّ الحياة وشرفها وكرامتها، بها تحصل النجاة من مَرارات الفاحشة، وآلام المعصية، وحسرات عذاب الآخرة، الخارج عنها قَذِرُ المَشْرَبِ، خبيث المَرْكَبِ، نَتِنُ المَطْلَب، ضالّ المذهب، موصوف بأقبح الأوصاف وأسْوَء النُّعُوت، الخزي يلاحقه، والهلاك يدركه، والعذاب يهلكه، فيا خَسَارَ من وقع في حَمْأَة الخَنَث، وخاب العادون المسرفون، وشقي الظالمون المجرمون، ﴿ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ (٢).

سكروا بحب الفاحشة فلا يبالون ذَمًّا، ولا يخشون لومًا، ولا يخافون عَذْلا، ﴿ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٥.

(٢) سورة الحجر: الآية ٧٢.

﴿لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ٧٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[١].

العفة طريق للجنة:

فيا سعادة من عَفَّ، ويا فوز من كَفَّ، ويا هَنَاءَة من غضّ الطرف، طوبى لمن حفظ فرجه، وصان عِرضه، وأحصن نفسه، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من يَضْمَنُ لي ما بين لَحْيَيْهِ وما بين رِجْلَيْهِ أَضْمَن له الجنة**»[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا شباب قريش، احفظوا فروجكم، لا تزنوا، ألا من حفظ فرجه فله الجنة**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»، فعدّهم، ومنهم: «**رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله**»[٤].

وفي صحيح مسلم لما ذكَر النبيّ أهلَ الجنة قال صلى الله عليه وسلم: «**منهم عفيفٌ متعفِّف**»[٥].

---

(١) سورة الحجر: الآيات ٧٤ – ٧٧.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٦، رقم ٦١٠٩).

(٣) أخرجه الطبراني (١٢/ ١٦٥، رقم ١٢٧٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٦٥، رقم ٥٤٢٥). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط (٧/ ٦١، رقم ٦٨٥٠) قال الهيثمي (٤/ ٢٥٣): رجاله رجال الصحيح. وأخرجه الحاكم (٤/ ٣٩٨، رقم ٨٠٦٢) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٢٣٤، رقم ٦٢٩)، ومسلم (٢/ ٧١٥، رقم ١٠٣١).

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٧ رقم ٢٨٦٥).

أهل العفاف ممن يرثون الجنة:

فالعفة جُنّةٌ وكرامة؛ لأنّ العفيفَ كريمٌ على الله ﷻ، حيث أكرَمَ نفسَه في الدنيا عن الدّنَايَا، فأكرمه الله في الآخرةِ بأعلى الدرجاتِ وأحسَنِ العطايا، واستحقَّ ميراثَ الجِنان؛ لأنَّ الميراثَ للطاهرين كما في سورة المؤمنون: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]، بعد أن حقَّقَ لهم الفلاحَ في أوّلِ السورة.

أثر الصوم في العفة:

الصوم مَقْطَعة للنكاح، مَوْفَرَةٌ للماء، مَسْكَنة لداعي الزنا والفجور، به يستعين المتعفّفون، وبه يتحصّن المتحصّنون، وبه ينشغل العاجزون، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجَاء**»[2].

الآفات العظيمة المترتبة على النظر للحرام:

من تداوى بما حرم عليه تخلّفت عنه المعونة، وإطلاق البصر وإرسال النظر وتقليب الطرف في المحرمات عدو العفّة ورائد الفجور، ورسول الشرّ وبذرة الشهوة في القلب، السعادة في غضه، والنجاة في كسره، قال الله ﷻ:

---

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ١٠ – ١١.

(٢) سبق تخريجه.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[1].

والصور المحرمة تنجس النفس، وتقوي إرادتها على التمرّد والعصيان، وهل أنتجت مشاهد الإثارة ولقطات التهييج وصور العري والتفكّك إلا خرق سياج العفّة والشرف، وشيوع الجريمة الأخلاقية، وفقدان الأمن وانتشار الاعتداءات المروّعة، وهل يحمل الإلحاح الغريزي الجامح، والسُّعَار الجنسي الهائج، إلا على السَّفَه والخفّة وركوب الشر، وما عساه يُجنَى من أفلام ومجلات وقصص وروايات، وأطباق وقنوات جعلت الإثارة إحدى ركائزها، وتأجيج الغرائز أساس قيامها، ومحاربة العفة والطهارة من أولويات أهدافها؟!

فالحذر العاقل من يبادر في التخلّص من ويلها وبلائها؛ صونًا لشرفه وحفظًا لعرضه وسلامة لنفسه وذريته، فالدين يوجب رفعها، والأمانة تقتضي دفعها.

من قصص العَفاف:

وحين تُعرَض قصَصُ العفاف فإنّ أحسَنَها قصّةُ الكريم ابن الكرام، يوسف بن يعقوبَ بن إسحاق بن إبراهيم حين يكون العفافُ سيّدَ الموقِف في ظرفٍ تتهاوَى فيه عزائمُ الرّجال الأشدّاء، فضلًا عن فتًى غريب نائي الأهلِ والديار، حين راودته التي هو في بيتها عن نفسه، ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ

(١) سورة النور: الآيتان ٣٠ – ٣١.

﴿هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(١).

«مَعَاذَ الله»، إنها كلِمةٌ عظيمة في موقفٍ عصيب لا يقوَى عليه إلا صاحبُ الإيمان فيصبر عليه السلام رغمَ الوَعدِ والوعيد والسّجنِ والتهديدِ، ويتجاوَزُ المحنةَ، فآتاه الله الملكَ وعلَّمه من تأويل الأحاديث، وأعظم من ذلك أنّه من عبادِ الله المخلَصين.

وفيه من العِبَر أنّ العِفَّةَ عاقبتُها الغناءُ والاستغناء ونورُ القلب والبصيرةُ والضياء والعِلمُ والفراسة والتّوفيق؛ ذلك أنَّ العِفّةَ في حقيقتها مراقبةُ الله تعالى وخوفُه، ومَن راقب الله في خواطِره عصَمَه في حركاتِ جوارحه وأسبغ عليه رضاه، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾(٢).

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾(٣).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾(٤).

هذه القصة التي يضربها الله سبحانه وتعالى في سورة يوسف نقف فيها وقفات:

الوقفة الأولى: أن الاستعانة بالله من سبل العفاف:

وكذلك اللجوء إليه والاستعاذة به والفرار إليه، وهذا من أقوى

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢٣.

(٢) سورة البينة: الآية ٨.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٤٦.

(٤) سورة النازعات: الآيتان ٤٠ – ٤١.

الأسباب التي تنال بها العفة؛ يقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾(١).

فالله ﷻ هو الذي يحفظك من الفتنة، ويحفظك من الزنا، ولذلك فلا يغتر إنسان بنفسه، بل ينبغي عليه أن يتهم نفسه دومًا بقلة الهمة وبضعف الإرادة وأن يستعين بالله ﷻ لكي يصرفه عن السوء والفحشاء.

فالنبي الكريم يوسف عليه السلام لما طلبت منه امرأة العزيز وهمّت به قال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾(٢)، أي: أستعيذ بالله منكِ ومن شرك، قال ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

والوقفة الثانية: عدم الاغترار بالنفس:

فالمؤمن لا يعتمد على نفسه ولا يتوكل عليها، ففي قصة يوسف عليه السلام لما جاءت النسوة إلى امرأة العزيز ولُمنها على فعلتها قالت: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾(٣)، ماذا فعل يوسف عليه السلام؟ التجأ إلى الله رب العالمين قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة النور: الآية ٢١.

(٢) سورة يوسف: الآية ٢٣.

(٣) سورة يوسف: الآية٣٢.

(٤) سورة يوسف: الآية ٣٣.

إذا لم تصرف ربي أنت عني كيدهن سأصغي إليهن، وستذهب قوتي، وستخور عزيمتي، وسأستمع إلى ما تقول، فأسألك ربي أن تصرف عني كيدهن، ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١].

الوقفة الثالثة: خطر التساهل في الاختلاط:

إن التساهل من المسلمين في الخلطة بين الفتيان والفتيات في الدراسة، أو الرجال والنساء في أماكن العمل المختلطة، وكذلك دخول الرجال والخدم في البيوت، من أكثر أسباب وقوع الكثير من الحوادث التي تسببت في انتهاك الأعراض، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله وهو يذكر لنا هذا العزيز الذي كان بالفعل ديوثًا، يقول الحافظ ابن كثير: «وقد كان لين العريكة سهلا أو أنه عذرها لأنها رأت ما لا صبر لها عنه فقال لها استغفري لذنبك أي الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب»[٢].

ولذلك تجرأت المرأة على أن تطلب علانية بين النساء من يوسف عليه السلام أن يفعل فيها الفاحشة.

ولذلك فإن الإنسان ينبغي عليه ألا يدخل الخدم على النساء، فليتق الله سبحانه وتعالى هذا الذي يركب ابنته أو زوجته مع السائق، فيوصلها إلى ما تشاء.

كما أنه ينبغي منع الأجانب من أقارب الزوج من الدخول على النساء، كما يقول ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**»، قال رجل: يا رسول الله، أرأيت

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٧٧).

الحمو؟ - أي قريب الزوج أيدخل على المرأة - قال: «**الحمو الموت**»[(١)]. أي: إذا أدخلت الحمو إلى بيتك كأنك أدخلت الموت عليهم.

الوقفة الرابعة: خطر الصحبة السيئة:

يتبين لنا في هذه القصة أن الصحبة السيئة من أسباب الوقوع في الفواحش والاستهانة بها وربما تلذذ المنكر، ألا ترى أن امرأة العزيز لما انتشرت هذه الفضيحة بين النساء رجعت لمن حولها من نساء السوء، فشجعنها على ذلك، وذهبن إلى يوسف يطلبن منه أن يرضخ لكلامها، فقال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[(٢)].

صيانة الأعراض:

أيّها المسلمون، إنَّ الحديث عن صيانةِ الأعراض وتزكيةِ النفوس وتطهيرِ الطِّباع وتنمية دواعِي العِفّة والطهارة ليست شعاراتٍ عاطفيّة أو مجرَّدَ كمالاتٍ خُلُقيّة، إنها أصلُ تماسُك المجتمع، وبِنيةُ أساسٍ لبقائه، ومقصد عظيمٌ من مقاصِدِ الشرع الحنيف.

وانظر كيف جعَل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العفافَ والأمن في آيةٍ واحدة مع توحيدِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجعل إزهاقَ الأرواح وانتهاكَ الأعراض قرينَ الشرك، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٠٥، رقم ٤٩٣٤)، ومسلم (٤/ ١٧١١، رقم ٢١٧٢)

(٢) سورة يوسف: الآية ٣٣.

يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾[1].

من آداب الإسلام في الستر والعفاف:

جاءت شريعةُ الإسلام بما يكفَل هذه الحرّيّة وهذا الأمنَ الخلقيّ، بل بايع النبيُّ نُقَباء الأنصارِ ليلةَ العقبة الأولى على التوحيدِ وتركِ الزنا، كما في آخرِ الممتحنة أمر الله تعالى رسولَه أن يبايعَ المؤمناتِ على التوحيدِ والعفاف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾[2].

وفي الكتابِ العزيز والسنّةِ المطهَّرة آدابٌ شتَّى للنظرِ والاستئذان والتستُّر والتكشُّف والزِّينةِ، وسفَر المرأة، وخَلوَتها، وعودةِ الرجل إلى بيتِه، وموقف المرأةِ من أقاربها وأقاربِ زوجها.

وحيث إن أعظمَ أبوابِ الشّرّ وأوّلَ مدخلٍ للشيطان هو إطلاقُ البَصَر والاختلاط لذا صارت أحكامُ الحجابِ والقَرار في البيوت والأمر بغَضِّ البصر للرجال والنساء، قال الله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[3].

---

(١) سورة الفرقان: الآيتان ٦٨ – ٦٩.

(٢) سورة الممتحنة: الآية ١٢.

(٣) سورة النور: الآيتان ٣٠ – ٣١.

بل حتى في الحديثِ العابِر بين الرّجل والمرأة الأجنبيّة عنه: ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ (١)، إنّه سدٌّ لمنافِذِ الشيطان كما في قولِ الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ (٢).

أيّها المسلمون، وحيث جاءَ الإسلام بكلِّ ما يحفَظ ويصون هذا السياجَ فقد حرَّم كلَّ ما يهتِكه ويفسِده، وقد علِم كلُّ مسلمٍ حرمةَ ما يعارِضه ويناقضه مِن دعواتِ السّفورِ والاختلاطِ في الأعمال والجامِعات والمجالِسِ والمؤتمَرات لئلاَّ يُكسَر حاجِز الحياء وتُنبَذ الحِشمة. ولقد علِم الراشِدون أنَّ التقدّمَ والتخلّفَ له أسبابُه وعوامِله، وإنَّ إقحامَ السَّترِ والاحتشام والخُلق والالتزام والعِفّة والفضيلة وجعلَها عواملَ للتخلُّف لهو خِداع مكشوف وتمريرٌ مفضوح لا ينطلي على متبصِّر.

إنَّ الحياةَ الطاهِرة تحتاج إلى عزائِم الأخيارِ، وأمّا عيشةُ الرذيلة فطريقُها سهلُ الانحدار، والبيوتُ التي تظِلّها العفّةُ والحِشمة تورِق بالعزِّ والكرامة، أمّا البيوتُ التي يملؤهَا الفحشاء والمنكرُ فلن تنبُتَ إلاّ بالذّلّ والمهانة، ولذا أمَر الله تعالى بوقايةِ النفس والأهل من النارِ التي وقودُها الناس والحجارة وأخبر النبيُّ «**أنَّ كلَّ راعٍ مسؤول عن رعيّته**»(٣).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٣.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤٨، رقم ٢٢٧٨)، ومسلم (٣/ ١٤٥٩، رقم ١٨٢٩).

فإنَّ المسلِمَ يجب أن تكونَ له وقفةٌ لله لتجنيبِ نفسِه ومن يَليه ما جلبته وسائلُ الاتِّصال والبَثِّ مِن ذبحٍ للفضيلة ونَشرٍ للرذيلة وإماتةٍ للغيرة، وكيف يستسيغُ مسلمٌ هذا الغثاءَ المدمِّر؟! أين الحياء؟! أين المروءةُ؟! أين الحِفظُ والصِّيانة مِن بيوتٍ هيَّأت لناشِئَتها أجواءَ الفتنة وجلَبت لها محرِّضاتِ المنكَر؛ تجرُّها إلى مستنقَعات الفُحش جرًّا وتَدُعُّها إلى الخطيئةِ دَعًّا؟! ومع أنَّ شهوةَ الجِنس كشهوةِ الطّعام قد تمتلِئ المِعدة فتفتُر وقتًا عن طلَبها إلاّ أنَّ الذين يحِبّون أن تشيعَ الفاحشة في الذين آمنوا لم يَفتروا، بل ملَؤوا الفضاءَ بكلِّ أنواع المثيراتِ والمغرِيات، وتفنَّنوا في إثارةِ الشّهَوات وإيقادِ لهيبِ الغرائزِ في سُعارٍ أذهل الشيطان.

الأسس التي يتحقق بها العفاف:

هناك بعض الأسس التي لابد أن ينتبه المرء إليها إذا أراد أن يكون عفيفًا، وليست العفة لمن لم يتزوج فقط، بل العفة كذلك للمتزوج، بل إنها في حق المتزوج أبلغ، وينبغي عليه أن يكون أعف من غير المتزوج، وهذه الأسس وهذه القواعد لا بد لها من شرط هام، ألا وهو العزيمة والإرادة على التنفيذ؛ لأن هذه الأسس بغير عزيمة وبغير إرادة على التنفيذ تصبح وبالًا علينا ويسألنا الله سبحانه وتعالى عنها:

الأساس الأول: التربية الإيمانية:

أن تربي نفسك تربية إيمانية، وتقوي صلتك بالله رب العالمين، فتعلم أن الله سبحانه وتعالى يراك في السر وفي العلن، يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[(١)]، ويقول تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾[(٢)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: يعلم خائنة الأعين قال: «هو الرجل يكون بين الرجال فتمر المرأة فيتظاهر بأنه يغض بصره، فإذا وجد فرصة نظر إلى المرأة والله إنه ليحب أن ينظر إلى عورتها»[(٣)].

وهناك بعض الوسائل التي تقوي الإيمان والتي تحد من الشهوة، منها:

الصيام: قال ﷺ: «**فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[(٤)].

المراقبة: وذلك أن يحول معتقده الإسلامي في ذات الله وأسمائه وصفاته وكذلك في وجود الجنة والنار إلى معانٍ محسوسة في نفسه، أن يعلم أن معنى السميع أن الله تعالى يسمع كلماته، ومعنى البصير أنه سبحانه وتعالى يُبصر حركاته، وأنه شديد العقاب أي: يعاقب على المعصية، فهذه الأسماء والصفات لكي تتربى بها.

يقول الربيع بين خثيم ـ وهو من التابعين ـ: «إذا تكلمت فاذكر سمع الله لك، وإذا هممت فاذكر علم الله بك، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك، وإذا تفكرت فانظر اطلاعه عليك، فإن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[(٥)]»[(٦)].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣.

(٢) سورة غافر: الآية ١٩.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٥)، والدر المنثور (٧/ ٢٨٢)، وفتح القدير (٤/ ٤٨٧).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سورة الإسراء: ٣٦.

(٦) صفة الصفوة (٣/ ٦٨)، وجامع العلوم والحكم (١/ ١١٤).

الإكثار من ذكر الله: ليحصل لك الوجل من الله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[١].

الأساس الثاني: التربية الأخلاقية:

يقول ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا**»[٢].

الأساس الثالث: تجنب المثيرات الجنسية:

أن يتجنب الإنسان المثيرات، لا ينبغي للإنسان أن يوقع نفسه في أوساط المثيرات الجنسية وهذا يتأتى كما أسلفت بغض البصر والابتعاد عن مواطن كثرة النساء، واختلاط الرجال بهن كالأسواق مثلًا، حديث توبة قاتل المائة مشهور، وفيه حينما ذهب القاتل للعالم يسأله عن التوبة، نصحه العالم بعدة أمور تعينه على التوبة، منها أنه قال له: «**انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء**»[٣].

الأساس الرابع: الصحبة الصالحة:

فإن الصحبة الصالحة تعينه على أن يحفظ بصره وعلى أن يحفظ فرجه وإن

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٢٠ ، رقم ٤٦٨٢) ، وأحمد (٢/ ٢٥٠ ، رقم ٧٣٩٦) ، والدارمي (٢/ ٤١٥ ، رقم ٢٧٩٢) ، وابن حبان (٢/ ٢٢٧ ، رقم ٤٧٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٣٠ ، رقم ٧٩٧٦) ، والحاكم (١/ ٤٣ ، رقم ١) . وأخرجه أيضا : ابن أبي شيبة (٥/ ٢١٠ ، رقم ٢٥٣٢١) ، والبيهقي (١٠/ ١٩٢ ، رقم ٢٠٥٧٢) .

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١١٩ ، رقم ٢٧٦٦).

لم يستحي من الله فإنه سيستحي من الصحبة الصالحة الذين هم حوله والذين يذكرونه إذا نسي ويعينونه إذا ذكر، وقد سبق ذكر الأثر السيئ الذي كان لصحبة امرأة العزيز حين شجعنها على الاستمرار في مراودة يوسف عليه السلام والضغط عليه.

الأساس الخامس: الدعاء:

لقد كان النبي ﷺ يسأل الله سبحانه وتعالى في دعائه قائلا: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»[(١)].

ويقول: «**اللهم إني أسألك العفة والعافية في دنياي وديني وأهلي ومالي**»[(٢)].



---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨٧ ، رقم ٢٧٢١).

(٢) أخرجه هناد (١/ ٢٥٦ ، رقم ٤٤٥). قال الهيثمي (١٠/ ١٧٣): رواه الطبراني ، والبزار ، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وهو ضعيف الحديث ، وقد وثق وبقية رجال أحد الإسنادين رجال الصحيح . وأخرجه أيضًا : البخاري في الأدب المفرد (١/ ١١٥ ، رقم ٣٠٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣٦٤ ، رقم ٨٥٤٠) ، والديلمي (١/ ٤٥٦ ، رقم ١٨٥٢) .

القناعة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن من سنة الله تعالى في هذا الكون أن جعل الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وقدَّر أن تكون مليئةً بالمصاعب والمتاعب، دائمةَ التغيّر والتحوّل، لا تثبت على حال، ولا تدوم على شأن، ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [١]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [٢].

مفهوم القناعة:

توجد علاقة متينة بين القناعة وبين الزهد والرضى، ولذلك عرَّف بعض أهل اللغة القناعة بالرضى، والقانع بالراضي [٣].

قال ابن فارس: «قنع قناعة: إذا رضي، وسميت قناعة؛ لأنه يُقبل على الشيء الذي له راضيًا» [٤].

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٣.

(٢) سورة محمد: الآية ٣١.

(٣) لسان العرب ، مادة (قنع) (١١/ ٣٢١).

(٤) معجم مقاييس اللغة مادة (قنع) (٥/ ٣٣).

ونحا فريق من أهل الاصطلاح إلى تقسيم القناعة، وجعل أعلى مراتبها الزهد كما هو صنيع الماوردي؛ حيث قال: «والقناعة قد تكون على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن يقتنع بالبُلغة من دنياه، ويصرف نفسه عن التعرض لما سواه؛ وهذا أعلى منازل أهل القناعة، ثم ذكر قول مالك بن دينار: «أزهد الناس من لا تتجاوز رغبته من الدنيا بُلغته».

الوجه الثاني: أن تنتهي به القناعة إلى الكفاية، ويحذف الفضول والزيادة، وهذا أوسط حال المقتنع، وذكر فيه قول بعضهم: من رضي بالمقدور قنع بالميسور.

الوجه الثالث: أن تنتهي به القناعة إلى الوقوف على ما سُنح، فلا يكره ما أتاه وإن كان كثيرًا، ولا يطلب ما تعذَّر وإن كان يسيرًا، وهذه الحال أدنى منازل أهل القناعة؛ لأنها مشتركة بين رغبة ورهبة، فأما الرغبة: فلأنه لا يكره الزيادة على الكفاية إذا سنحت، وأما الرهبة: فلأنه لا يطلب المتعذر عن نقصان المادة إذا تعذرت»[1]. ا. هـ.

وبناءً على تقسيم الماوردي فإن المنزلة الأولى هي أعلى منازل القناعة وهي الزهد أيضًا، والمنزلة الثالثة هي التي عليها أكثر الذين عرّفوا القناعة وهي مقصود مقالتنا تلك.

حث الإسلام على القناعة:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**قد**

---

(١) من أدب الدنيا والدين (٣٢٨ - ٣٢٩)، باختصار.

أفلح من أسلم ، ورُزق كفافًا ، وقنعه الله بما آتاه»[١].

قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً**: أي ما يكف من الحاجات ويدفع الضرورات، **وقنعه الله بما آتاه**: فلم تطمح نفسه لطلب ما زاد على ذلك؛ فمن حصل له ذلك فقد فاز»[٢].

قال الحافظ المنذري رَحِمَهُ اللهُ: الكفاف ما كفّ عن السؤال مع القناعة لا يزيد على قدر الحاجة، وفيه الزهد: الكفاف الذي ليس فيه فضل عن الكفاية. روى أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب عن سعيد بن عبد العزيز أنه سئل: ما الكفاف من الرزق؟ فقال: شبع يوم وجوع يوم اهـ. وقال القرطبي: هو ما لم يكف عن الحاجات ويدفع الضرورات والفاقات ولا يحلق بأهل الترفهات اهـ. وإنما كان ذلك فلاحاً لكونه حاز كفايته وظفر بإقامته وسلم من تبعة الغنى وذلّ سؤال الشيء [٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس الغِنَى كثرة العرض ولكن الغِنى غِنى النفس**»[٤].

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: معنى الحديث ليس حقيقة الغنى كثرة المال، فكثير من الموسع عليه فيه لا ينتفع بما أوتي، جاهد في الازدياد لا يبالي من أين يأتيه. فكأنه فقير من شدة حرصه، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٣٠ ، رقم ١٠٥٤).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوي - (ج ٢ / ص ٣٧٩).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - (ج ٤ / ص ٤٠٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٦٨ ، رقم ٦٠٨١) ، ومسلم (٢/ ٧٢٦ ، رقم ١٠٥١).

بما أوتي وقنع به ورضي ولم يحرص على الازدياد ولا ألحّ في الطلب. وقال القرطبي: وإنما كان الممدوح غنى النفس لأنها حينئذ تكفّ عن المطامع فتعزّ وتعظم، ويحصل لها من الحظوة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله مع كونه فقير النفس لحرصه، فإنه يورّطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله وحرصه، فيكثر من يذمه من الناس فيصغر قدره عندهم فيصير أحقر من كل حقير وأذلّ من كل ذليل (١).

صور من قناعة النبي ﷺ:

لقد كان رسول الله ﷺ أكمل الناس إيمانًا ويقينًا، وأقواهم ثقةً بالله ﷻ وأصلحهم قلبًا، وأكثرهم قناعة ورضىً بالقليل، وأنداهم يدًا، وأسخاهم نفسًا، حتى كان - عليه الصلاة والسلام - يفرِّق المال العظيم: الوادي والواديين من الإبل والغنم ثم يبيت طاويًا (٢).

وكان الرجل يُسْلم من أجل عطائه ﷺ ثم يحسن إسلامه. قال أنس رضي الله عنه: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا؛ فما يمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها (٣).

وقال صفوان بن أمية رضي الله عنه: لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لمن أبغض الناس إليَّ؛ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ. قال الزهري:

---

(١) شرح صحيح البخاري ـ لابن بطال - (ج ١٠ / ص ١٦٥).

(٢) **طاويا** : خالي البطن جائعا.

(٣) لطائف المعارف (٣٠٧) .

أعطاه يوم حنين مائة من النعم ثم مائة ثم مائة [١]. وقال الواقدي: أعطاه يومئذ واديًا مملوءًا إبلًا ونعمًا حتى قال صفوان رضي الله عنه: أشهد: ما طابت بهذا إلا نفس نبي [٢].

وقال: «**وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ** [٣] **النَّاسِ إِلَيَّ فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ**» [٤].

وقال أنس رضي الله عنه: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا؛ فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة [٥].

أما تلك الصورة الرائعة من بذله - عليه الصلاة والسلام - التي جعلت أقوامًا وسادة وعتاة من أهل الجاهلية تلين قلوبهم للإسلام وتخضع للحق، فأمامها صور عجيبة لا تقل في جمالها عنها من قناعته ﷺ ورضاه بالقليل

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - (ج ١ / ص ٢٥٩).

(٢) تهذيب الكمال (٢/ ٦٠٨) ، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٤) ، تقريب التهذيب (١/ ٣٦٧) ، خلاصة تهذيب الكمال (١/ ٤٦٩) ، الكاشف (٢/ ٢٩) ، الثقات (٣/ ١٩١) ، تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٣٠٤) ، الجرح والتعديل (٤/ ١٨٤٦) ، أسد الغابة (٣/ ٢٣) ، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢٦٦) ، الإصابة (٣/ ٤٣)، (٤٦٨) ، الاستيعاب (٢/ ٧١٨) ، سير الأعلام (٢/ ٥٦٢) ، الوافي بالوفيات (١٦/ ٣١٣) ، نقعة الصديان (ت٣٠٠) ، أسماء الصحابة الرواة (ت١٦٠).

(٣) **البغض** : عكس الحب وهو الكُرْهُ والمقت.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٠٦، رقم ٢٣١٣).

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٠٦، رقم ٢٣١٢).

وتقديم غيره على نفسه وأهله في حظوظ الدنيا؛ بل وترك الدنيا لأهل الدنيا، ومن ذلكم:

أولاً: قناعته ﷺ في أكله:

روت عائشة رضي الله عنها تخاطب عروة بن الزبير رضي الله عنهما فقالت: «ابن أختي! إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أُوقِدَت في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقلت: ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر، والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح [(١)]، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم فيسقيناه»[(٢)].

وعنها رضي الله عنها قالت: «لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين»[(٣)].

وعن قتادة رحمه الله قال: كنا نأتي أنس بن مالك وخبّازه قائم، وقال: كلوا؛ فما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفًا مُرَقَّقًا حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطًا بعينه قط [(٤)].

السميط: هو ما أزيل شعره بماء سخن وشوي بجلده، وإنما يفعل ذلك بصغير السن وهو من فعل المترفهين.

---

(١) **المنائح**: جمع منيحة وهى الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلا يشرب لبنها.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٢، رقم ٦٠٩٤).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨٣ ، رقم ٢٩٧٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٢، رقم ٦٠٩٢).

قال ابن الأثير: ولعله يعني أنه لم ير السميط في مأكوله، إذ لو كان غير معهود لم يكن في ذلك تمدح وقط بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة، ظرف لما مضى من الزمان: أي لم يره في شيء من أزمنته [(١)].

ثانيًا: قناعته ﷺ في فراشه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان فراش رسول الله ﷺ من أدم[(٢)] وحشوه من ليف [(٣)]»[(٤)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثّر في جنبه، قلنا: يا رسول الله! لو اتخذنا لك وطاءً؛ فقال: ما لي وللدنيا؛ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[(٥)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لرسول الله ﷺ سرير مشبك بالبردي، عليه كساء أسود قد حشوناه بالبردي، فدخل أبو بكر وعمر عليه فإذا النبي ﷺ نائم عليه، فلما رآهما استوى جالسًا فنظر، فإذا أثر السرير في جنب رسول

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - (ج ٤ / ص ٣١٢).

(٢) **الأدم** : الجلد المدبوغ . عون المعبود ١١/ ٢٠٣ .

(٣) **الليف** : قشر النخل الذي يجاور السَّعَف.

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ١٢١، رقم ٦٤٥٦)، ومسلم (٣/ ١٦٥٠، رقم ٢٠٨٢).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٣٩١ ، رقم ٣٧٠٩) ، وهناد (٢/ ٣٨٢ ، رقم ٧٤٤) ، والترمذي (٤/ ٥٨٨ ، رقم ٢٣٧٧) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (٢/ ١٣٧٦ ، رقم ٤١٠٩)، وابن سعد (١/ ٤٦٧) ، والطبراني (١٠/ ١٦٢ ، رقم ١٠٣٢٧) ، والحاكم (٤/ ٣٤٥ ، رقم ٧٨٥٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣١١ ، رقم ١٠٤١٥) .

الله ﷺ فقال أبو بكر وعمر - وبكيا -: يا رسول الله! ما يؤذيك خشونة ما نرى من سريرك وفراشك، وهذا كسرى وقيصر على فرش الحرير والديباج؟ فقال: «**لا تقولا هذا؛ فإن فراش كسرى وقيصر في النار، وإن فراشي وسريري هذا عاقبته إلى الجنة**»[(١)].

ثالثًا : تربيته ﷺ أهله على القناعة:

لقد ربى رسول الله ﷺ أهله ﷺ على القناعة بعد أن اختار أزواجُه البقاء معه، والصبر على قلة العيش، والزهد في الدنيا وزينتها، حينما خيرهن بين الإمساك على ذلك أو الفراق والتمتع بالدنيا، كما قال الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[(٢)].

فاخترن - رضي الله عنهن - الآخرة، وصبرن على لأواء الدنيا، وضعف الحال، وقلة المال، طمعًا في الأجر الجزيل من الله ﷻ؛ ومن صور تلك القلة والزهد إضافةً إلى ما سبق:

ما روت عائشة رضي الله عنها قالت: «ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢/ ٤٧٨، رقم ٧٠٤).

(٢) سورة الأحزاب: الآيتان ٢٨ – ٢٩.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧١ ، رقم ٦٠٩٠).

وعنها رضي الله عنها قالت: «ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ»(١).

ولم يقتصر ﷺ في تربيته تلك على نسائه بل حتى أولاده رباهم على القناعة، فقد أتاه سبي مرة، فشكت إليه فاطمة رضي الله عنها ما تلقى من خدمة البيت، وطلبت منه خادمًا يكفيها مؤنة بيتها، فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها، وقال ﷺ: «**لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع**»(٢).

ولم يكن هذا المسلك من القناعة إلا اختيارًا منه ﷺ وزهدًا في الدنيا، وإيثارًا للآخرة.

نعم إنه رفض الدنيا بعد أن عرضت عليه، وأباها بعد أن منحها، وما أعطاه الله من المال سلطه على هلكته في الحق، وعصب على بطنه الحجارة من الجوع ﷺ. قال -عليه الصلاة والسلام-: «**عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا، قلت: لا يا رب؛ ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٩٧ ، رقم ٥٤١٦)، ومسلم (٨/ ٢١٧ ، رقم ٢٩٧٠).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٤١).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٤ ، رقم ٢٢٢٤٤) ، والترمذي (٤/ ٥٧٥ ، رقم ٢٣٤٧) وقال: حسن. وابن سعد (١/ ٣٨١) ، والطبراني (٨/ ٢٠٧ ، رقم ٧٨٣٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٧٢ ، رقم ١٤٦٧) . وأخرجه أيضًا: ابن المبارك (١/ ٥٤ ، رقم ١٩٦) .

الآثار وأقوال العلماء الواردة في القناعة :

عن أبي عمرو الشيباني: قال : سأل موسى عليه السلام ربه سبحانه وتعالى: أي ربِّ، أي عبادك أحب إليك؟ قال: أكثرهم لي ذكرًا. قال: يا رب. فأيُّ عبادك أغنى؟ قال: أقنعهم بما أعطيته، قال: يا رب ، فأي عبادك أعدل؟ قال: من دان لنفسه(١).

كتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه، فكتب إليه: قد رفعت حوائجي إلى مولاي، فما أعطاني منها قبلتُ، وما أمسك عني قنعتُ (٢).

فوائد القناعة (٣) :

إن للقناعة فوائد كثيرة، تعود على المرء بالسعادة والراحة والأمن والطمأنينة في الدنيا والآخرة؛ ومن تلك الفوائد:

١- تقوية الإيمان:

وذلك بامتلاء القلب بالإيمان بالله سبحانه وتعالى والثقة به، والرضى بما قدر وقسم، وقوة اليقين بما عنده سبحانه وتعالى، ذلك أن من قنع برزقه فإنما هو مؤمن ومتيقن بأن الله سبحانه وتعالى قد ضمن أرزاق العباد، وقسمها بينهم، حتى ولو كان ذلك القانع لا يملك شيئًا.

---

(١) الزهد لابن السري (١/ ٢٧٧)، والقناعة (١ / ٥١).

(٢) حلية الأولياء (٣/ ٢٣٧)، وإحياء علوم الدين (٣/ ٢٣٩)، وتاريخ مدينة دمشق (٢٢/ ٣٢).

(٣) نضرة النعيم (٨/ ٣١٦٧)، مختصرا.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «أسرُّ أيامي إليَّ يوم أُصبح وليس عندي شيء»[١].

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «أصل الزهد الرضى من الله عز وجل»[٢].

وقال أيضًا: «القُنوع هو الزهد وهو الغنى»[٣].

وقال الحسن رحمه الله: «إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله »[٤].

٢- **الحياة الطيبة:**

قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٥]، فَسَّر الحياةَ الطيبة عليٌّ وابن عباس والحسن رضي الله عنهم فقالوا: «الحياة الطيبة هي القناعة»[٦]. وفي هذا المعنى قال ابن الجوزي رحمه الله: «من قنع طاب عيشه، ومن طمع طال طيشه»[٧].

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٣٤٥)، وجامع العلوم والحكم (١/ ٢٩٠).

(٢) عيون الأخبار (١/ ٢٧٣)، والزهد (١/ ١٢٣)، والعقد الفريد (٣/ ١٢٩)، وتاريخ مدينة دمشق (٤٨ / ٣٩٩).

(٣) الزهد لابن أبي الدنيا (١/ ٢٨١)، وكتاب الزهد الكبير للبيهقي (١/ ٨٠).

(٤) اليقين لابن أبي الدنيا (١/ ٣٤)، والبداية والنهاية (٩/ ٢٧٠).

(٥) سورة النحل: الآية ٩٧.

(٦) تفسير الطبري (١٤/ ١٧١)، ومعاني القرآن الكريم للنحاس (٤/ ١٠٤).

(٧) سير أعلام النبلاء (٢١ / ٣٧٢)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٤٥)، وتاريخ الإسلام (٤٢/ ٢٩٤).

٣- تحقيق شكر المنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

ذلك أن من قنع برزقه شكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه، ومن تقالّه قصَّر في الشكر، وربما جزع وتسخط - والعياذ بالله -؛ ولذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كن ورعًا تكن أعبد الناس، وكن قنعًا تكن أشكر الناس**»[(١)].

٤- الفلاح والبُشْرى لمن قنع:

فعن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**طوبى لمن هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافًا، وقنع به**»[(٢)]. وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قد أفلح من أسلم ورُزق كفافًا، وقنّعه الله بما آتاه**»[(٣)].

٥- الوقاية من الذنوب التي تفتك بالقلب وتذهب الحسنات:

كالحسد، والغيبة، والنميمة، والكذب، وغيرها من الخصال الذميمة والآثام العظيمة؛ ذلك أن الحامل على الوقوع في كثير من تلك الكبائر غالبًا ما يكون استجلاب دنيا، أو دفع نقصها، فمن قنع برزقه لا يحتاج إلى ذلك الإثم،

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٥٣ ، رقم ٥٧٥٠) . وأخرجه أيضًا : ابن ماجه (٢/ ١٤١٠ ، رقم ٤٢١٧) ، قال البوصيري (٤/ ٢٤٠) : هذا إسناد حسن . وأبو يعلى (١٠/ ٢٦٠ ، رقم ٥٨٦٥) ، والقضاعي (١/ ٢١٥ ، رقم ٣٨٥) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ١٩٤ ، رقم ٥٥٢) ، والترمذي (٤/ ٥٧٦ ، رقم ٢٣٤٩) وقال : حسن صحيح . والطبراني (١٨/ ٣٠٥ ، رقم ٧٨٦) ، والحاكم (١/ ٩٠، رقم ٩٨) وقال : صحيح على شرط مسلم . وابن حبان (٢/ ٤٨٠ ، رقم ٧٠٥) ، وأخرجه أيضًا : أحمد (٦/ ١٩ ، رقم ٢٣٩٨٩) .

(٣) سبق تخريجه.

ولا يداخل قلبَه حسدٌ لإخوانه على ما أوتوا؛ لأنه رضي بما قسم له.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «اليقين ألا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحسد أحدًا على رزق الله، ولا تَلُمْ أحدًا على ما لم يؤتك الله؛ فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهة كاره؛ فإن الله - تبارك وتعالى - بقسطه وعلمه وحكمته جعل الرَّوْح والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»(١).

وقال بعض الحكماء: «وجدت أطول الناس غمًّا الحسود، وأهنأهم عيشًا القنوع»(٢).

٦- حقيقة الغنى في القناعة:

ولذا رزقها الله سبحانه وتعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم وامتن عليه بها فقال - تعالى -: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾(٣)، نزّلها بعض العلماء على غنى النفس؛ لأن الآية مكية، ولا يخفى ما كان فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تُفتح عليه خيبر وغيرها من قلة المال.

وذهب بعض المفسرين إلى أن الله سبحانه وتعالى جمع له الغنائيْن: غنى القلب، وغنى المال بما يسر له من تجارة خديجة.

---

(١) الزهد لابن السري (١/ ٣٠٤)، وشعب الإيمان (١/ ٢٢٢)، وتاريخ مدينة دمشق (٣٣/ ١٧٥)، وصفة الصفوة (١/ ٤١٥).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٣٩).

(٣) سورة الضحى: الآية ٨.

وقد بيّن - عليه الصلاة والسلام - أن حقيقة الغنى غنى القلب، فقال ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النفس**»(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر، أترى كثرة المال هو الغنى؟**» قلت: نعم! يا رسول الله، قال: «**فترى قلة المال هو الفقر؟**» قلت: نعم! يا رسول الله. قال: «**إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب**»(٢).

وتلك حقيقة لا مرية فيها؛ فكم من غني عنده من المال ما يكفيه وولدَه ولو عُمِّر ألف سنة؛ يخاطر بدينه وصحته ويضحي بوقته يريد المزيد! وكم من فقير يرى أنه أغنى الناس؛ وهو لا يجد قوت غده! فالعلة في القلوب: رضىً وجزعًا، واتساعًا وضيقًا، وليست في الفقر والغنى.

ولأهمية غنى القلب في صلاح العبد قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطيبًا في الناس على المنبر يقول: «إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، وإن الإنسان إذا أيس من الشيء استغنى عنه»(٣).

وسئل أبو حازم فقيل له: ما مالك؟ قال: لي مالان لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس (٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٦٣، رقم ٧٩٢٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) الزهد لابن المبارك (١/ ٢٢٣)، والزهد لوكيع (١/ ٢٠٣)، وتاريخ الطبري (٢/ ٥٧٣)، وحلية الأولياء (١/ ٥٠).

(٤) الطبقات الكبرى (القسم المتمم) (١ / ٣٣٢)، والبيان والتبيين (١/ ٤٥٥)، والمجالسة

وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك[١].

٧- **العز في القناعة، والذل في الطمع:**

ذلك أن القانع لا يحتاج إلى الناس فلا يزال عزيزًا بينهم، والطماع يذل نفسه من أجل المزيد؛ ولذا جاء في حديث سهل بن سعد مرفوعًا: «شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس»[٢].

وكان محمد بن واسع رحمه الله يبلُّ الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول: «من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد»[٣].

صور من قناعة الصحابة والسلف الصالح:

قناعة أهل الصفة:

وسار على منهج رسول الله ﷺ صحابتُه الكرام رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان؛ فقد عاشوا أول الأمر على الفقر والقلة، ثم لما فُتحت الفتوح واغتنى المسلمون بقوا على قناعتهم وزهدهم، وأنفقوا الأموال الطائلة في سبيل الله سبحانه وتعالى، وهذه نماذج من عيشهم وقناعتهم.

وجواهر العلم (١/ ٣٠٩)، وشعب الإيمان (٢/ ١٠٦).

(١) نثر الدر في المحاضرات (٢ / ٧١)، وإحياء علوم الدين (٣/ ٢٣٩)، وفوائد أبي بكر الشاشي (١/ ١٠٧)، وفيض القدير (٤/ ٢٨٢).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٦٠ ، رقم ٧٩٢١) ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي. والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٤٩ ، رقم ١٠٥٤١) ، والخطيب (٤/ ١٠) ، وابن عساكر (٢٣/ ٢١٦).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٣٩).

عن أبي هريرة ﷺ قال: «رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته»(١).

قال الحافظ ابن حجر ﷺ قوله: «لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة» يشعر بأنهم كانوا أكثر من سبعين (٢).

قناعة عائشة ﷺ:

وعن عائشة ﷺ قالت: «من حدثكم أنا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم، فلما افتتح ﷺ قريظة أصبنا شيئًا من التمر والوَدَك »(٣).

ثم فتح الله ﷺ على المسلمين، وأصبح المال العظيم يرسل إلى عائشة ﷺ فبقيت على قناعتها وزهدها، وأخذت تفرق المال على محتاجيه؛ فقد بعث إليها معاوية ﷺ بمئة ألف درهم. قال عروة بن الزبير ﷺ: «فوالله ما أمستْ حتى فرَّقتْها، فقالت لها مولاتها: لو اشتريت لنا منها بدرهم لحمًا! فقالت: ألا قلتِ لي؟»(٤).

لقد نسيت نفسها ﷺ، وفرقت مالها، واستمرت على قناعتها بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وعن أم ذرة قالت: بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين يكون مائة

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٧٠، رقم ٤٣١).

(٢) فتح الباري (١ / ٥٣٦).

(٣) أخرجه ابن حبان (٢/ ٤٦٠ ، رقم ٦٨٤)، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده قوي.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢ / ٤٧)، والحاكم في المستدرك (٤ / ١٣).

ألف، فدعت بطبق، فجعلت تقسم في الناس، فلما أمست قالت: هاتي يا جارية فُطوري، فقالت أم ذرة: يا أم المؤمنين! أما استطعت أن تشتري لنا لحمًا بدرهم؟ قالت: لا تعنفيني، لو أذكرتني لفعلت [(١)].

فهل تقتدي نساء المسلمين بعائشة رضي الله عنها بدلًا من سَرَف الإنفاق على النفس وحظوظها واللباس والزينة؟!

قناعة سلمان الفارسي:

وعن عامر بن عبد الله أن سلمان الخير حين حضره الموت عرفوا منه بعض الجزع، قالوا: ما يجزعك يا أبا عبد الله، وقد كانت لك سابقة في الخير؟ شهدتَ مع رسول الله ﷺ مغازي حسنة وفتوحًا عظامًا! قال: يجزعني أن حبيبنا ﷺ، حين فارقنا عهد إلينا قال: «**لِيَكْفِ اليوم منكم كزاد الراكب**»، فهذا الذي أجزعني، فجُمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر دينارًا، وفي رواية: خمسة عشر درهمًا [(٢)].

أسباب تحول دون القناعة:

ذكر الماوردي رحمه الله الأسباب التي تمنع القناعة بالكفاية، وتدعو إلى طلب الزيادة، وهي - على سبيل الاختصار-:

---

(١) أخرجه ابن سعد (٨ / ٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢ / ٤٧)، ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٧٤ ، رقم ٤١٠٤) ، قال البوصيري (٤/ ٢١١) : هذا إسناد فيه مقال فيه جعفر بن سليمان الضبعي ، وباقي رجال الإسناد ثقات . وابن حبان (٢/ ٤٨١ ، رقم ٧٠٦) ، والطبراني (٦/ ٢٦٨ ، رقم ٦١٨٢) .

١- **منازعة الشهوات:**

التي لا تُنال إلا بزيادة المال وكثرة المادة، فإذا نازعته الشهوة طلب من المال ما يوصله إليها، وليس للشهوات حدٌّ مُتناهٍ، فيصير ذلك ذريعةً إلى أن ما يطلبه من الزيادة غير متناهٍ، ومن لم يَتَنَاهَ طلبه استدام كدُّه وتعبه، فلم يفِ الْتذاذُه بنيل شهواته بما يعانيه من استدامة كده وأتعابه، مع ما قد لزمه من ذم الانقياد لمغالبة الشهوات، والتعرض لاكتساب التبعات، حتى يصير كالبهيمة التي قد انصرف طلبها إلى ما تدعو إليه شهوتها، فلا تنزجر عنه بعقل، ولا تنكفُّ عنه بقناعة.

٢- **أن يطلب الزيادة ويلتمس الكثرة ليصرفها في وجوه الخير:**

ويتقرب بها في جهات البِرّ، ويصطنع بها المعروف، ويغيث بها الملهوف؛ فهذا أعذر، وبالحمد أحرى وأجدر متى ما اتقى الحرام والشبهات، وأنفق في وجوه البر؛ لأن المال آلة المكارم، وعون على الدِّين، ومتألَّفٌ للإخوان. قال قيس بن سعد: اللهم ارزقني حمدًا ومجدًا؛ فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال. وقيل لأبي الزناد: لِمَ تُحبُّ الدراهم وهي تدنيك من الدنيا؟ فقال: هي وإن أدنتني منها فقد صانتني عنها. وقال بعض الحكماء: من أصلح ماله فقد صان الأكرميْن: الدِّين والعِرض.

٣- **أن يطلب الزيادة ويقتني الأموال ليدّخرها لولده:**

ويخلِّفها لورثته، مع شدة ضنه على نفسه، وكفه عن صرف ذلك في حقه، إشفاقًا عليهم من كدح الطلب وسوء المنقلب، وهذا شقي بجمعها مأخوذ بوزرها، قد استحق اللوم من وجوه لا تخفى على ذي لب، منها:

أ - سوء ظنه بخالقه: أنه لا يرزقهم إلا من جهته.

ب - الثقة ببقاء ذلك: على ولده مع نوائب الزمان ومصائبه.

ج - ما حُرِم من منافع ماله وسُلِب من وفور حاله: وقد قيل: إنما مالك لك أو للوارث أو للجائحة؛ فلا تكن أشقى الثلاثة.

د- ما لحقه من شقاء جمعه: وناله من عناء كده، حتى صار ساعيًا محرومًا، وجاهدًا مذمومًا.

هـ - ما يؤاخذ به من وزره وآثامه: ويحاسب عليه من تبعاته وإجرامه.

وقد حُكي أن هشام بن عبد الملك لما ثَقُلَ بكى ولده عليه، فقال لهم: جاد لكم هشام بالدنيا، وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما كسب، وتركتم عليه ما اكتسب، ما أسوأ حال هشام إن لم يغفر الله له!

وقال رجل للحسن رحمه الله: إني أخاف الموت وأكرهه، فقال: «إنك خلَّفت مالك، ولو قدَّمتَه لسرَّك اللحاق به»(١).

٤- أن يجمع المال ويطلب المكاثرة:

استحلاءً لجمعه، وشغفًا باحتجانه؛ فهذا أسوأ الناس حالًا فيه، وأشدهم حرمانًا له، قد توجهت إليه سائر الملاوم. وفي مثله قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾(٢).

---

(١) أدب الدنيا والدين (١ / ٢٧٦).

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٤.

السبل إلى القناعة:

١- تقوية الإيمان بالله ﷻ:

وترويض القلب على القناعة والغنى؛ فإن حقيقة الفقر والغنى تكون في القلب؛ فمن كان غني القلب نَعِم بالسعادة وتحلى بالرضى، وإن كان لا يجد قوت يومه، ومن كان فقير القلب؛ فإنه لو ملك الأرض ومن عليها إلا درهمًا واحدًا لرأى غناه في ذلك الدرهم؛ فلا يزال فقيرًا حتى يناله.

٢- اليقين بأن الرزق مكتوب:

فالرزق مكتوب للإنسان وهو في رحم أمه، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه: «**ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد..**»(١).

فالعبد مأمور بالسعي والاكتساب، مع اليقين بأن الله هو الرازق، وأن رزقه مكتوب.

٣- تدبر آيات القرآن العظيم:

ولا سيما الآيات التي تتحدث عن قضية الرزق والاكتساب. يقول عامر بن عبد قيس: أربع آيات من كتاب الله إذا قرأتهن مساءً لم أبال على ما أُمسي، وإذا تلوتُهن صباحًا لم أبال على ما أُصبح: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٤، رقم ٣٠٣٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٦، رقم ٢٦٤٣).

(٢) سورة فاطر: الآية ٢.

لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[٣].

٤- معرفة حكمة الله ﷻ في تفاوت الأرزاق والمراتب بين العباد:

فالله ﷻ خلق الناس متفاوتين في الأرزاق والمراتب حتى تحصل عمارة الأرض، ويتبادل الناس المنافع والتجارات، ويخدم بعضهم بعضًا قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[٥].

٥- الإكثار من سؤال الله ﷻ القناعة:

والإلحاح بالدعاء في ذلك؛ فنبينا محمد ﷺ، وهو أكثر الناس قناعة وزهدًا ورضىً وأقواهم إيمانًا ويقينًا، كان يسأل ربه القناعة؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ، كان يدعو: «**اللهم قنِّعني بما رزقتني، وبارك لي فيه،**

---

(١) سورة يونس: الآية ١٠٧.

(٢) سورة هود: الآية ٦ .

(٣) سورة الطلاق: الآية ٧.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٣٢.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٦٥.

واخلف على كل غائبة لي بخير»(١). ولأجل قناعته ﷺ فإنه ما كان يسأل ربه إلا الكفاف من العيش والقليل من الدنيا؛ كما قال ﷺ: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا**»(٢).

٦- العلم بأن الرزق لا يخضع لمقاييس البشر:

فالرزق لا يتقيد بمقاييس البشر من قوة الذكاء وكثرة الحركة وسعة المعارف، وإن كان بعضُها أسبابًا؛ إلا أن الرزق ليس معلقًا بها بالضرورة، وهذا يجعل العبد أكثر قناعةً، خاصةً عندما يرى من هو أقل منه خبرة أو ذكاءً أو غير ذلك، وأكثر منه رزقًا فلا يحسده ولا يتبرم من رزقه.

٧- النظر إلى حال من هو أقل منك في أمور الدنيا:

فيحسن بالإنسان أن ينظر لمن هو أقل منه في أمور الدنيا، وألا ينظر إلى من هو فوقه فيها؛ ولذا قال النبي ﷺ: «**انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله**»(٣). وفي لفظ آخر قال ﷺ: «**إذا رأى أحدكم مَنْ فوقه في المال والحسب فلينظر إلى من هو دونه في المال والحسب**»(٤).

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (٤/ ٢١٨، رقم ٢٧٢٨)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٦٢٦ ، رقم ١٦٧٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٨٢ ، رقم ٢٩٦٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٢ ، رقم ٦٠٩٥) ، ومسلم (٤/ ٢٢٨١ ، رقم ١٠٥٥) .

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٥ ، رقم ٢٩٦٣).

(٤) أخرجه ابن حبان (٢/ ٤٩٠، رقم ٧١٤)، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

وليس في الدنيا أحد لا يجد من هو أفضل منه في شيء، ومن هو أقل منه في أشياء؛ فإن كنت فقيرًا ففي الناس من هو أفقر منك، وإن كنت مريضًا أو معذبًا ففيهم من هو أشد منك مرضًا وأكثر تعذيبًا، فلماذا ترفع رأسك لتنظر من هو فوقك، ولا تخفضه لتبصر من هو تحتك؟ إن كنت تعرف من نال من المال والجاه ما لم تنله أنت وهو دونك ذكاءً ومعرفة وخلقًا، فلِمَ لا تذكر من أنت دونه أو مثله في ذلك كله، وهو لم ينل بعض ما نلت؟!

٨- قراءة سِيَر السلف الصالح:

ومن أقوى أسباب اكتساب القناعة: قراءة سير السلف وأحوالهم مع الدنيا والزهد فيها والقناعة بالقليل منها، وهم قد أدركوا الكثير منها فرفضوه إيثارًا للباقية على العاجلة، وعلى رأسهم محمد ﷺ، وإخوانه من الأنبياء عليهم السلام، ثم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان؛ فإن معرفة أحوالهم، وكيف كانت حياتهم ومعيشتهم تحفز العبد إلى التأسي بهم، وترغِّبه في الآخرة، وتقلل عنده زخرف الحياة الدنيا ومتعها الزائلة.

٩- العلم بأن عاقبة الغنى شر ووبال على صاحبه:

فالغنى إذا لم يكن اكتسابه وصرفه منه بالطرق المشروعة فهو وبال وشر، وقد قال النبي ﷺ: «**لا تزول قدما عبد حتى يُسأل: عن عمره فيمَ أفناه، وعن علمه فيمَ فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيمَ أبلاه**»[1].

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦١٢، رقم ٢٤١٦) وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين

فمشكلة المال أن الحساب عليه من جهتين: جهة الاكتساب، ثم جهة الإنفاق، وهذا ما يجعل تبعته عظيمة، وعاقبته وخيمة، إلا من اتقى الله فيه وراعى حرماته اكتسابًا وإنفاقًا.

ثم ليتفكر في أنه كلما تخفف من هذا المال وكان أقل كان حسابه أيسر وأسرع؛ وذلك كمن سافر في الطائرة وحمل متاعًا كثيرًا؛ فإنه إذا بلغ مقصده احتاج وقتًا طويلًا لاستلامه وتفتيشه، بخلاف من كان خفيفًا ليس معه شيء، وحساب الآخرة أعسر، والوقوف فيها أطول.

ولينظر أيضًا إلى من كان المال والجاه سبب شقائه وأمراضه وهمومه وغمومه؛ فهو يشقى ويتعب في جمع المال ونيل المناصب، ثم يحمل همَّ الحفاظ على المال والمنصب، فيقضي عمره مهتمًّا مغتمًّا، ثم انظر ماذا يحدث له إذا خسر ماله أو أُقيل من منصبه، وكم من شخص كان ذلك سببًا في هلاكه وعطبه! نسأل الله العافية.

١٠- النظر في التفاوت البسيط بين الغني والفقير:

فالتفاوت بين الغني والفقير مهما كان شاسعًا بمقاييس المادة، فهو على سبيل الحقيقة تفاوت بسيط وظاهري، فالغني لا ينتفع إلا بالقليل من ماله،

ابن قيس وحسين بن قيس يضعف في الحديث من قبل حفظه . وأبو يعلى (٩/ ١٧٨ ، رقم ٥٢٧١) ، والطبراني (١٠/ ٨ ، رقم ٩٧٧٢) ، وابن عدي (٢/ ٣٥٣ ، ترجمة ٤٨٢ الحسين بن قيس أبو على الرحبي) ، وقال : هو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق . والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٨٦ ، رقم ١٧٨٤).

وهو ما يسد حاجته، وما فضل عن ذلك فليس له، وإن كان يملكه، فلو نظرنا إلى أغنى رجل في العالم لا نجد أنه يستطيع أن يأكل من الطعام أكثر مما يأكل متوسط الحال أو الفقير، بل ربما كان الفقير أكثر أكلًا منه، وبعبارة أخرى: هل يستطيع الغني أن يشتري مائة وجبة فيأكلها في آن واحد، أو مائة ثوب فليبسها في آن واحد؛ أو ألف مركبة فيركبها في آن واحد؛ أو مائة دار فيسكنها في وقت واحد؟! لا؛ بل له من الطعام في اليوم ثلاث وجبات تزيد قليلًا أو تنقص، وللمستور كذلك مثله، وله من اللباس ثلاث قطع تزيد قليلًا أو تنقص، ولا يستهلك من الأرض في وقت واحد إلا مترًا في مترين، سواء كان قائمًا أو قاعدًا أو مضطجعًا.

فعلام يُحسد وهو سيُحاسب على كل ما يملك؟! وقد فهم هذا المعنى حكيم هذه الأمة أبو الدرداء ﵁ حينما قال: «أهل الأموال يأكلون ونأكل، ويشربون ونشرب، ويلبسون ونلبس، ويركبون ونركب، ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر إليها معهم، وحسابهم عليها ونحن منها برآء»[1].

وقال أيضًا: «الحمد لله الذي جعل الأغنياء يتمنون أنهم مثلنا عند الموت، ولا نتمنى أننا مثلهم حينئذ، ما أنصَفَنا إخوانُنا الأغنياء: يحبوننا على الدِّين، ويعادوننا على الدنيا»[2].

---

(١) الزهد لابن المبارك (١/ ٢١٠)، وإحياء علوم الدين (٢/ ١٤٦)، وتاريخ مدينة دمشق (٤٧ / ١٧٤)، وتهذيب الكمال (٢٢ / ٤٧٤).

(٢) المتمنين لابن أبي الدنيا (١/ ٩١)، وتاريخ مدينة دمشق (٤٧/ ١٧٤).

بل جاء هذا المعنى في السنة النبوية، قال عبد الله بن الشخير ﵁: أتيت النبي ﷺ، وهو يقرأ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ (١)، يقول: « **يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي مَالِي مَا لَكَ مِنْ مَالٍ إِلا مَا أَكَلَتْ فَأَفْنَيْتَ** (٢)، **أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ**(٣)، **أَوْ تَصَدَّقَتْ فَأَمْضَيْتَ** (٤)»(٥).

قال فضيلة الشيخ العثيمين ﵀: «هكذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- وهو كذلك؛ فالإنسان ما له من ماله إلا هذه الأشياء إما أن يأكل طعاما وشرابا وإما أن يلبس من أنواع اللباس وإما أن يتصدق والباقي له هو ما يتصدق به، أما ما يأكله وما يلبسه فإن كان يستعين به على طاعة الله كان خيرا له، وإن كان يستعين به على معصية الله وعلى الأشر والبطر كان محنة عليه والعياذ بالله»(٦).



(١) سورة التكاثر: الآية ١.

(٢) أفنى الشيء: أنهى وجوده أو أهلكه.

(٣) بَلِيَ الثوب: قَدُمَ ورثَّ وتلف.

(٤) أمضيت: أنفذت فيه عطاءك ولم تتوقف فيه، أو تصدقت فقدمت لآخرتك.

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٣، رقم ٢٩٥٨).

(٦) شرح رياض الصالحين - (ج ١ / ص ٥٤١).

الكرم والسخاء

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فالإسلام دين الكرم والسخاء، فهو لم يكتف فقط بدعوة المسلمين إلى الإنفاق الفرضي والتطوعي، بل حثهم على مراقي الكرم والجود والسخاء، لذا فالمسلم جواد بما جبل عليه بطبيعته الإسلامية، حتى أنه حين يعطي لا يبقي لنفسه شيئًا، وإنما هو يأتمر في ذلك بأمر دينه وعقيدته ، واقتداءً بنبي الإسلام ﷺ.

كما أن الكرم والسخاء يأسران القلوب ويطيبان النفوس، فعن أنس رضي الله عنه قال: « إن رجلا سأل رسول الله ﷺ فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجع إلى بلده وقال: أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة [(١)]، فانظر وفقك الله كيف أثر هذا السخاء النبوي على قلب هذا الرجل وجعل منه بعد أن كان حربًا على الإسلام أصبح داعية إليه.

وعن جابر رضي الله عنه قال: «ما سئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال لا » [(٢)]، ومن الجود الهدية وقد قال ﷺ: « **تهادوا تحابوا** » [(٣)]، فالهدية باب من أبواب كسب

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٠٦، رقم ٢٣١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٤، رقم ٥٦٨٧)، ومسلم (٤/ ١٨٠٥، رقم ٢٣١١).

(٣) أخرجه البيهقي (٦/ ١٦٩ ، رقم ١١٧٢٦) . والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٠٨ ، رقم ٥٩٤).

القلوب وتنمية التآلف بينها .

وقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(١)]، فجود الرجل يحببه إلى أضداده، وبخله يبغضه إلى أولاده. كما قيل:

وَيُظْهِر عيبَ المرء في الناس بخلُه ... ويستره عنهم جميعا سخاؤه

تَغَطَّ بأثواب السخاء فإنني ... أرى كل عيب والسخاء غطاؤه

قال ابن بطال رحمه الله: «وكذلك السخاء من أشرف الصفات؛ لأن الله ﷻ سمى نفسه بالكريم الوهاب. وأما البخل فليس من صفات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ولا الجلة الفضلاء، ألا ترى قول الرسول ﷺ يوم حنين: «لو كان عندي عدد سمر تهامة نعمًا لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً »[(٢)].

وقال ابن مسعود: لا داء أدوى من البخل، وكان أبو حنيفة لايجيز شهادة البخيل، فقيل له في ذلك: أنه يتقصى ويحمله التقصي على أن يأخذ فوق حقه».

تعريف الكرم والسخاء:

أولا: تعريف الكريم:

١-الكرم لغة:

يدلّ على شرف الشّيء في نفسه، أو شرف في خُلق من الأخلاق، يقال

---

(١) سورة الحشر: الآية ٩ .

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٣٨ ، رقم ٢٦٦٦) .

رجل كريم، وفرس كريم، ونبات كريم، أمّا الكرم في الخلق فهو الصّفح عن ذنب المذنب، وقال الجوهريّ: الكرم ضدّ اللّؤم، والتّكرّم: تكلّف الكرم، قال الشّاعر المتلمّس [(١)]:

تكرّم لتعتاد الجميل فلن ترى أخا كرم إلّا بأن يتكرّما

وتطلق صفة الكرم على من كرّم نفسه عن التّدنّس بشيء من مخالفة ربّه.

والإكرام: أن يُوصل إلى الإنسان نفعٌ لا تلحقه فيه غضاضة، أو يوصل إليه شيء شريف. وقول الله ﷻ في وصف الملائكة: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [(٢)]، أي جعلهم كراما [(٣)].

٢-الكرم اصطلاحا:

قال ابن مسكويه: الكرم إنفاق المال الكثير بسهولة من النّفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرة النّفع [(٤)].

---

(١) هو جرير بن عبد العزى - أو عبد المسيح - من بني ضبيعة، من ربيعة: شاعر جاهلي، من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد؛ وكان يكنى بأبي حزرة. [الأغاني: أول المجلد الثامن، من طبعة دار الكتب. ووفيات الأعيان (١: ١٠٢)، والشعر والشعراء (ص١٧٩) وخزانة البغدادي (١: ٣٦)].

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٦ .

(٣) لسان العرب (٧/ ٣٦٨١- ٣٦٨٤). وانظر الصحاح (٦/ ٢٠١٩- ٢٠٢١). ومختار الصحاح (٥٦٨). وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٤٣). ومقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٧٢).

(٤) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه (٣٠).

وقيل: هو التّبرّع بالمعروف قبل السّؤال، والإطعام في المحل، والرّأفة بالسّائل مع بذل النّائل.

وقيل هو: الإعطاء بالسّهولة.

وقيل: الكرم هو إفادة ما ينبغي لا لغرض، فمن يهب المال لغرض جلبا للنّفع، أو خلاصا عن الذّمّ، فليس بكريم. فالكريم من يوصل النّفع بلا عوض[١].

قال الفيروزآباديّ رحمه الله: والكرم إذا وصف الله به فهو اسم لإحسانه وإنعامه، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة الّتي تظهر منه[٢].

ثانيا: السخاء لغة:

١ - السخاء لغة:

يدلّ - كما يقول ابن فارس - على اتّساع في الشّيء وانفراج فيه، وقيل: السّخاوة والسّخاء: الجود والكرم[٣]، والسّخيّ: الجواد.

وقيل: السّخاء هو الجود والكرم، ومن ثمّ يكون السّخيّ هو الجواد الكريم[٤].

(١) التعريفات للجرجاني (١٨٤) والإحياء للغزالي (٣/ ٢٤٦).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٤٣، ٣٤٤).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٤ / ٤٠٨).

(٤) مقاييس اللغة (٣/ ١٤٦)، الصحاح (٦/ ٢٣٧٣)، المصباح المنير (١/ ١٠٣)، تاج

٢-السخاء اصطلاحا:

قال الماورديّ- رحمه الله تعالى-: حدّ السّخاء: بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة، وأن يوصل إلى مستحقّه بقدر الطّاقة [١].

وقال ابن حجر- رحمه الله تعالى-: السّخاء: بمعنى الجود، وهو بذل ما يقتنى بغير عوض [٢].

وقال الجاحظ: السّخاء بذل المال من غير مسألة ولا استحقاق، وهذا الفعل مستحسن ما لم ينته إلى السّرف والتّبذير؛ فإنّ من بذل جميع ما يملكه لمن لا يستحقّه لم يسمّ سخيّا بل يسمّى مبذّرا مضيّعا [٣].

وبتعريف كل من الكرم والسخاء يتبين لنا أنهما درجتان أعلى من الإنفاق، قد تندمجان أحيانا، وقد تفترقان في تعريفهما أحيانا، لذا فقد آثرت عرض هذين الأدبين في موضوع واحد، خشية الإطالة، خاصة وأن كثيرًا من الكلام فيهما متطابق، وقد سبقنا في ذلك القاضي عياض في الشفاء، إذ قال: «الكرم والجود والسخاء والسماحة معانيها متقاربة، وفرق بعضهم بينها بفروق فجعل الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه، وسموه أيضاً حرية وهو ضد النذالة. والسماحة: التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب

العروس (١٩/ ٥١٠)، لسان العرب (١٤/ ٣٧٣) (ط. بيروت).

(١) أدب الدنيا والدين (٢٢٦). والوابل الصيب لابن القيم (٥٣).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٤٥٧).

(٣) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٦)، وانظر تحفة الأحوذي (٦/ ٨٠).

نفس وهو ضد الشكاية، والسخاء: سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود، وهو ضد التقتير». وكذلك في المصباح: «يقال: جاد الرجل يجود جوداً بالضمّ، تكرّم»(١).

وقد جمعهم الدكتور أحمد الحوفي رحمه الله تعالى في كتابه (من أخلاق النبي ﷺ)، فقال: «الكرم والجود والسخاء: الإنفاق عن رضا فيما يعظم نفعه وخطره، أو بذل المال في سبيل من سبل الخير والبر» (٢).

ويرى بعضهم أن السخاء فرع للكرم، حيث أصل المحاسن الكرم، وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام، وسخاؤها بما يملك على الخاص والعام، وجميع خصال الخير من فروعه (٣).

أنواع السخاء ودرجاته :

قال ابن القيّم- رحمه الله تعالى-: إذا كان السّخاء محمودا فمن وقف على حدّه سمّي كريما وكان للحمد مستوجبا، ومن قصّر عنه كان بخيلا وكان للذّمّ مستوجبا.

والسّخاء نوعان: فأشرفهما سخاؤك عمّا بيد غيرك، والثّاني سخاؤك ببذل ما في يدك، فقد يكون الرّجل من أسخى النّاس، وهو لا يعطيهم شيئا لأنّه سخا عمّا في أيديهم، وهذا معنى قول بعضهم:

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٤ / ٤٣٦).

(٢) من أخلاق النبي ﷺ (ص٩٥).

(٣) أي من فروع الكرم، المستطرف من كل فن مستظرف (ص١٧٣).

السّخاء أن تكون بمالك متبرّعا، وعن مال غيرك متورّعا [١].

وقال ابن قدامة المقدسيّ- رحمه الله تعالى-:

اعلم أنّ السّخاء والبخل درجات: فأرفع درجات السّخاء الإيثار، وهو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه.

وأشدّ درجات البخل، أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة، فكم من بخيل يمسك المال، ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشّهوة فيمنعه منها البخل.

فكم بين من يبخل على نفسه مع الحاجة، وبين من يؤثر على نفسه مع الحاجة. فالأخلاق عطايا يضعها الله- عزّ وجلّ- حيث يشاء. وليس بعد الإيثار درجة في السّخاء. وقد أثنى الله- تعالى- على أصحاب رسول الله صلّى اللهّ عليه وسلّم بالإيثار، فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [٢]، وكان سبب نزول هذه الآية قصّة أبي طلحة، لمّا آثر ذلك الرّجل الجواد بقوته وقوت صبيانه [٣].

للسخاء أثرٌ في ستر العيوب، قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنْ كثرت عيوبُكَ في البرايا ... وَسرَّك أن يكون لها غطاءُ

تَسَتَّرْ بالسخاء فكلُّ عيب ... يُغَطِّيه كما قيل السخاءُ

---

(١) الوابل الصيب (٥٣).

(٢) سورة الحشر: الآية ٩.

(٣) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي (٢٠٥، ٢٠٦).

وقد عبر الله ﷻ عن قمة الكرم والسخاء في نفوس المؤمنين بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ [(١)]، يعني في العسر واليسر لا يتركون الإنفاق في كلتا الحالتين في الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال محنة وبلاء.

وسواء كان الواحد منهم في سراء أو في ضراء فإنهم لا يدعون الإحسان إلى الناس فأول ما ذكر الله من أخلاقهم الموجبة للجنة السخاء لأنه أشق على النفس.

وكانت الحاجة إلى إخراج المال في ذلك الوقت أعظم الأحوال للحاجة إليه في مجاهدة الأعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل** » [(٢)].

مجالات السخاء:

الكرم والسخاء ليسا مقتصرين على بذل المال فحسب، بل مفهومهما أوسع، وصورهما أعم وأشمل، ومن صورهما العديدة ما يلي:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٤٢، رقم ١٩٦١) وقال: غريب. وابن عدي (٣/ ٤٠٣، ترجمة ٧٢٧ سعيد بن محمد)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٢٩، رقم ١٠٨٥١). والإسماعيلي في معجمه (٣/ ٧٣٣).

١ - أن يكون للإنسان دَينٌ على آخر فيطرحه عنه، ويخلي ذمته منه وهو يستطيع الوصول إليه دون عناء ولا تعب.

٢ - أن يستحق الإنسان أجرًا على عمل، فيترك الأجر من تلقاء نفسه.

٣- سعي الإنسان في قضاء حوائج النّاس، وتنفيس كرباتهم.

٤- الكرم والسخاء بالجاه، بحيث يبذل في سبيل الخير والشفاعات الحسنة، من إحقاق الحق، ونصرة المظلوم، وإعانة الضعيف، ومشي مع الرجل إلى ذي سلطان، ونحو ذلك.

٥- الكرم والسخاء بالرياسة، بحيث يحمل الإنسان سخاؤه على امتهان رياسته، والإيثار في سبيل قضاء حاجات الملتمس.

٦- كرم الإنسان وسخاؤه براحته وإجمام نفسه؛ فيجود بها تعبًا وكدّاً في مصلحة غيره.

٧- سخاء الإنسان وكرمه بوقته في سبيل نفع النّاس أيًّا كان ذلك النفع.

٨- الكرم والسخاء بالنصح والإرشاد.

٩- الكرم والسخاء بالعلم وهو أفضل من السخاء بالمال؛ لأنّ العلم أشرف من المال.

١٠- الكرم والسخاء بالعرض، بحيث يسخو الإنسان بعرضه لمن نال منه، فيعفو ويصفح، وفي هذا السخاء من سلامة الصدر، وراحة القلب، والتخلص من معاداة الخلق ما فيه.

١١- الكرم والسخاء بالصبر، والاحتمال، والإغضاء، وهي مرتبة شريفة لا يقدر عليها إلاّ أصحاب النفوس الكبار.

١٢- الكرم والسخاء بالخلق، والبشر، والتبسم، والبشاشة، والبسطة، ومقابلة النّاس بالطلاقة؛ فذلك فوق السخاء بالصبر والاحتمال والعفو، وهذا هو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وهو أثقل ما يوضع في الميزان، وفيه من أنواع المنافع والمسار وأنواع المصالح ما فيه.

١٣- ويدخل في الكرم والسخاء حضّ النّاس على الخير، وحثهم على الجود والإنفاق.

١٤- دلالة النّاس على وجوه الخير، وتذكيرهم بطرقه؛ فالدال على الخير كفاعله.

١٥- شكر الكرام الأسخياء، والدعاء لهم، وتشجيعهم على مزيد من البذل.

١٦- سخاء النفس وكرمها بترفعها عن الحسد، وحبّ الاستئثار بخصال الحمد، وهذه الصورة من صور السخاء الخفية الجميلة؛ وذلك بأن يُحبّ المرء لإخوانه ما يحبه لنفسه، فيفتح لهم المجالات، ويعطيهم فرصة للإبداع، والحديث، والمشاركة، ونحو ذلك.

ومن ذلك: أن يفرح لنجاحهم، ويحزن لإخفاقهم، فهذه من الصور الخفية للسخاء، وقلّ من يتفطّن لها ويأخذ نفسه بها .

١٧- سخاء المرء وكرمه عمّا في أيدي النّاس؛ فلا يلتفت إليه، ولا يستشرف له بقلبه، ولا يتعرض له بحاله، ولا لسانه.

١٨- سخاء المرء وكرمه بنفسه، فذلك أروع ما في السخاء، وأروع ما في ذلك أن يكون في سبيل الله سبحانه وتعالى.

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في الكرم والسخاء:

١- قال حكيم بن حزام رضي الله عنه: «ما أصبحت صباحا قطّ فرأيت بفنائي طالب حاجة قد ضاق بها ذرعا فقضيتها إلّا كانت من النّعم الّتي أحمد الله عليها، ولا أصبحت صباحا لم أر بفنائي طالب حاجة، إلّا كان ذلك من المصائب الّتي أسأل الله سبحانه وتعالى الأجر عليها» (١).

٢- قال جويرية بن أسماء: «قطع برجل بالمدينة فقيل له: عليك بحكيم بن حزام، فأتاه وهو في المسجد فذكر له حاجته، فقام معه، فانطلق معه إلى أهله، فلمّا دخل داره رأى غلمانا له يعالجون أداة من أداة الإبل، فرمى إليهم بخرقة معه فقال: استعينوا بهذه على بعض ما تعالجون، ثمّ أمر له براحلة مقتّبة محقّبة، وزادا» (٢).

٣- قال ابن عمر رضي الله عنهما: «أهدي لرجل رأس شاة، فقال: إنّ أخي وعياله أحوج منّا إلى هذا فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتّى رجعت إلى الأوّل بعد سبعة» (٣).

٤- قال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما احتذى النّعال ولا انتعل ولا ركب المطايا،

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١٠٧).

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) الفتح (٧/ ١٢٠) وعزاه لابن مردويه.

ولا لبس الكور، من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب في الجود والكرم» [١].

٥- قال عبد الله بن جعفر رحمه الله: «أمطر المعروف مطرا، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلا، وإن أصاب اللّئام كنت له أهلا» [٢].

٦- قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «السّخاء: ما كان منه ابتداء، فأمّا ما كان عن مسألة فحياء وتكرّم» [٣].

٧- وقال أيضا: «البخل جلباب المسكنة وربّما دخل السّخيّ بسخائه الجنّة» [٤].

٨- وقال رضي الله عنه: «إذا أقبلت عليك الدّنيا فأنفق منها فإنّها لا تفنى، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنّها لا تبقى وأنشد يقول:

لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التّبذير والسّرف
وإن تولّت فأحرى أن تجود بها ... فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف» [٥].

٩- قال سلمان الفارسيّ رضي الله عنه: «إذا مات السّخيّ، قالت الأرض والحفظة: ربّ تجاوز عن عبدك في الدّنيا بسخائه، وإذا مات البخيل قالت:

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٤١٤).

(٢) الإحياء (٣/ ٢٤٧).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (٢٠٤).

(٤) الآداب الشرعية (٣/ ٣١٢).

(٥) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٤٦).

اللّهمّ احجب هذا العبد عن الجنّة كما حجب عبادك عمّا جعلت في يديه من الدّنيا»[١].

١٠- قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «سادات النّاس في الدّنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء»[٢].

١١- روى مالك رحمه الله عن مولاة لعائشة رضي الله عنها: أنّ مسكينا سأل عائشة رضي الله عنها وهي صائمة، وليس في بيتها إلّا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إيّاه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه. فقالت أعطيه إيّاه. ففعلت، فلمّا أمسينا، أهدى لها أهل بيت أو إنسان- ما كان يهدي لها-: شاة وكفنها فدعتني عائشة، فقالت: كلي من هذا. هذا خير من قرصك[٣].

١٢- قال محمّد بن عباد بن حبيب بن المهلّب رحمه الله: بعث مروان وهو على المدينة ابنه عبد الملك إلى معاوية فدخل عليه فقال: إنّ لنا مالا إلى جنب مالك بموضع كذا وكذا من الحجاز، لا يصلح مالنا إلّا بمالك، ومالك إلّا بمالنا، فإمّا تركت لنا مالك فأصلحنا به مالنا، وإمّا تركنا لك مالنا فأصلحت به مالك، فقال له: يا ابن مروان: إنّي لا أخدع عن القليل ولا يتعاظمني ترك الكثير، وقد تركنا لكم مالنا فأصلحوا به مالكم[٤].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين للمقدسي (٢٠٤، ٢٠٥).

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٢٦).

(٣) جامع الأصول لابن الأثير (٦/ ٤٥٢).

(٤) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١١٨).

١٣- قال عروة بن الزّبير رضي الله عنهما: «رأيت عائشة رضي الله عنها تقسّم سبعين ألفا وهي ترقّع ثوبها، وروى أنّها قسّمت في يوم ثمانين ومائة ألف بين النّاس، فلمّا أمست قالت: يا جارية عليّ فطوري، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أمّ ذرّة[1]: أما استطعت فيما قسّمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه؟ فقالت: لو ذكّرتني لفعلت» [2].

١٤- قال الحسن البصريّ رحمه الله: «السّخاء: أن تجود بمالك في الله- عزّ وجلّ- أي في سبيل الله» [3].

١٥- قال محمّد بن المنكدر رحمه الله: «كان يقال: إذا أراد الله بقوم خيرا أمّر عليهم خيارهم، وجعل أرزاقهم بأيدي سمحائهم» [4].

من فوائد الكرم والسخاء [5]:

١- تستغفر الأرض والحفظة لموت السّخيّ.

٢- حسن ثناء النّاس عليه.

٣- دليل الزّهد في الدّنيا وحبّ الآخرة.

---

(١) أم ذرة: خادمة عائشة- رضي الله عنها-.

(٢) مختصر منهاج القاصدين (٢٠٣). والإحياء (٣/ ٢٤٧).

(٣) الإحياء (٣/ ٢٤٦).

(٤) المنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي (١٢٥).

(٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٨/ ٣٢٣٥)، و(٦/ ٢٢٥٩).

٤- دليل حسن الظّنّ بالله تعالى

٥- دليل زهد الإنسان في الدّنيا.

٦- دليل عراقة الأصل.

٧- صاحبه محمود كريم في الدّنيا والآخرة.

٨- طريق من طرق النّبيّين والسّلف الصّالح.

٩- الكرم يزيد البركة في الرّزق والعمر.

١٠- الكريم قليل الأعداء والخصوم لأنّ خيره منشور على العموم.

١١- الكريم محبوب من الخالق الكريم وقريب من الخلق أجمعين.

١٢- الكريم نفعه متعدّ غير مقصور.

١٣- من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

١٤- هو صفة كمال في الإنسان.

١٥- هو موافق للفطرة الصّحيحة لذلك كان العرب يتمادحون به.

١٦- يبعث على التّكافل الاجتماعيّ والتّوادّ بين النّاس.

وتتحقق فضيلة الكرم والسخاء حقيقة، حين يلتحم هذا الكريم السخي بالمجتمع، فهو مُتَّصِل بفضائلَ أخرى؛ فهو في أغلب أحواله يأخذ بالعفو، ويتحلّى بالحلم، ويجري في معاملاته على الإنصاف، ويؤدي حقوقَ الناسِ من تلقاء نفسه.

ولتجدنّ الكريم السخيَّ بحق متواضعًا، لا يطيش به كبر، ولا تستخفه خيلاء، ولتجدنَّه أقربَ الناس إلى الشجاعة وعزة النفس؛ وإنما يخسر الإنسانُ الشجاعةَ والعزةَ بشدَّة حرصه على متاع الحياة الدنيا.

اكتساب الكرم والسخاء:

الكرم والسخاء صفتان من الصفات النفسية، قد تكونان جبلة كبقية الجبلات، كما قال الحسن بن علي رضي الله عنهما [(١)]: إنا بنو عبد المطلب المجبولون على الكرم والتوسع لمن حوالينا من الأهل والموالي، وقد أصبنا من هذا المال بالخلافة ما صارت لنا به عادة إنفاق وإفضال على الأهل والحاشية، فإن تخليت من هذا الأمر قطعنا العادة.

وقد يكونان مكتسبتين، كبقية الصفات الخلقية أنها قابلة للاكتساب، وينبغي على كل مسلم يطمح في الرقي والاقتراب من ربه، أن يحاول اكتساب هاتين الصفتين، ففضل الجود والكرم مما يستحق الجهد في طلب الاتصاف به.

قال الماوردي عن الحكماء: «سؤدد بلا جود كملك بلا جنود وقال الجود حارس الأعراض ومن جاد ساد ومن أضعف ازداد ، وجود الرجل يحببه إلى أضداده وبخله يبغضه إلى أولاده وخير الأموال ما استرق حرا وخير الأعمال ما استحق شكرا» قال الراغب: «البخل إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود ، والبخيل هو الذي يكثر من البخل كالرحيم من الرحمة والبخل ضربان بخل بمقتنيات نفسه وبخل بمقتنيات غيره وهو أكثره ذما»

---

(١) شرح ابن بطال (١٥ / ١٠٤).

انتهى وقيل: إنما يستحق السيادة من لا يشح ولا يشاحح فلا يصانع ولا يخادع ولا تغيره المطامع وقال الغزالي : البخل منع الواجب والواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والواجب بالمروءة ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد برئ من البخل لكن لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات»[١].



(١) فيض القدير (٢ / ٤٣٩).

أدب الكلام

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فلقد اعتنت الشريعة الإسلامية بآداب الكلام والحديث، فأمرت بحفظ اللسان ولزوم الصمت ولين الكلام، ولخطورة اللسان فقد ركزت الشريعة على آداب الكلام والمحادثة، وألف العلماء المصنفات المستقلة في هذا الباب، وبينوا آداب الحديث والمناقشات والمناظرات العلمية؛ فالإسلام يريد أن يميز المسلم بعقيدته وعبادته وأخلاقه وآدابه ومظهره.

مكانة الكلمة في الإسلام:

بين الإسلام خطورة الكلمة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[(١)].

وعن بلال بن الحارث المزني أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه**»[(٢)].

---

(١) سورة الانفطار: الآيات ١٠-١٢.

(٢) أخرجه مالك (٢/ ٩٨٥، رقم ١٧٨١)، وأحمد (٣/ ٤٦٩، رقم ١٥٨٩٠)، وعبد بن حميد

وعن أبي هريرة ﵁ أنه ﷺ قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالًا يرفعه الله بها في الجنة**»(١).

وقد يتكلم المرء كلمةً توبق دنياه وآخرته، وقد يقول كلمةً يرفعه الله بها درجات ودرجات. ومصداق ذلك قوله ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، فيزل بها في النار أبعد ما بين المشرق**»(٢).

وفي رواية: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة يُضحكُ بها جُلساءَهُ يهوي بها من أبعد من الثُّريا**»(٣).

الأمر بحفظ اللسان:

ولما كانت الكلمة بهذه الأهمية لما لها من خطورة كان ينبغي على المسلم

(ص ١٤٠، رقم ٣٥٨)، والترمذي (٤/ ٥٥٩، رقم ٢٣١٩) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى كما في التحفة للحافظ المزي (٢/ ١٠٣، رقم ٢٠٢٨)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٢ رقم ٣٩٦٩)، وابن حبان (١/ ٥٢٠ رقم ٢٨٧)، وابن قانع (١/ ٧٧)، والطبراني (١/ ٣٦٧، رقم ١١٢٩) والحاكم (١/ ١٠٦، رقم ١٣٧)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٨٧)، والبيهقي (٨/ ١٦٥، رقم ١٦٤٤٣).

(١) أخرجه البخاري ٨/ ١٢٥ (٦٤٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٨، رقم ٨٩٠٩)، والبخاري (٥/ ٢٣٧٧، رقم ٦١١٢)، ومسلم (٤/ ٢٢٩٠، رقم ٢٩٨٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٤) وقال: غريب. وأخرجه أيضًا: أحمد (٢/ ٤٠٢، رقم ٩٢٠٩)، وابن حبان (١٣/ ٢٤، رقم ٥٧١٦)، وابن عدي (٣/ ٢٢٤، ترجمة ٧١٨ زبير بن سعيد الهاشمي).

أن يعتني بلسانه غاية الاعتناء، فيجتنب القول الباطل، وقول الزور، والغيبة، والنميمة، والفاحش من القول، وجماع ذلك أن يصون لسانه عما حرم الله ﷻ ورسوله ﷺ. وفي سؤال معاذ بن جبل ﷺ لرسول الله ﷺ، عن العمل الذي يُدخل الجنة ويباعد من النار، ذكر له النبي ﷺ أركان الإسلام، وبعض أبواب الخير، ثم قال له : «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**» قلت: بلى يا نبي الله. فأخذ بلسانه، قال: «**كف عليك هذا**». فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم ـ أو مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم**»[(١)].

بل إن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فقد ضمن الرسول ﷺ الجنة لمن صان لسانه وفرجه، فقال: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[(٢)].

شروط الكلام النافع:

وقد ذكر الماوردي ﵀ شروط الكلام النافع في أربع نقاط، هي[(٣)]:

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ٧٦، رقم ٥٦٠)، وأحمد (٥/ ٢٣١، رقم ٢٢٠٦٩)، والترمذي (٥/ ١١، رقم ٢٦١٦)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١٣١٤، رقم ٣٩٧٣)، والحاكم (٢/ ٤٤٧، رقم ٣٥٤٨)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٣، رقم ٤٢٢٥)، والطبراني (٢٠/ ١٤٣، رقم ٢٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٦، رقم ٦١٠٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٣٥، رقم ٤٩١٣). وأخرجه أيضًا: في السنن الكبرى (٨/ ١٦٦، رقم ١٦٤٤٨).

(٣) آداب المجلس ـ فهد البدراني – ص٢٦.

١- أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع، أو دفع ضر .
٢- أن يأتي به في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته .
٣- أن يقتصر منه على قدر حاجته .
٤- أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به .

من آداب الكلام والحديث[1] :

أولا: المخاطبة على قدر الفهم :

وهذا من مهمات الآداب، خصوصاً للعلماء والوعاظ، فينبغي أن يكون الكلام متناسباً مع ثقافة السامعين. ففي صحيح البخاري ﵀ عن علي ﵁ موقوفاً: «**حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!**»[2].

وفي مقدمة صحيح مسلم ﵀ عن ابن مسعود ﵁ قال: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[3].

ثانيا: قل خيراً أو اصمت:

وهذا أدب نبويٌّ قولي للذين يهمون بالكلام أن يتريثوا ويتفكروا بكلامهم الذي يريدون أن يتكلموا به، فإن كان خيراً فنعم القول هو وليقله، وإن كان شراً فلينته عنه فهو خيرٌ له.كما قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم**

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع النقول السابقة من الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٦٦-٦٧) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥٩، رقم ١٢٧).

(٣) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١١).

الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا من جوامع الكلم لأن القول كله إما خير وإما شر وإما آيل إلى أحدهما، فدخل في الخير كل مطلوب من الأقوال فرضها وندبها، فأذن فيه على اختلاف أنواعه، ودخل فيه ما يؤول إليه، وما عدا ذلك مما هو شر أو يؤول إلى الشر فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت»[٢].

ثالثا: الكلمة الطيبة صدقة:

دلنا الحديث السابق على أن المرء مأمورٌ بقول الخير أو الصمت، ثم رغب الشارع في قول الخير لأن فيه تذكيرًا بالله، وإصلاحًا لدينهم ودنياهم، وإصلاحًا لذات بينهم.. وغير ذلك من وجوه النفع. ورتب على ذلك أجراً، كما قال رسول الله ﷺ: «**كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة، ويعينُ الرجلَ على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»**[٣].

وربَّ كلمة طيبة أبعدت قائلها من النار، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣١، رقم ١٦٤١٧)، والبخاري (٥/ ٢٢٤٠، رقم ٥٦٧٣)، ومسلم (١/ ٦٩، رقم ٤٨)

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩٠، رقم ٢٨٢٧)، ومسلم (٢/ ٦٩٩، رقم ١٠٠٩).

النبي ﷺ: «ذكر النار فأشاح بوجهه فتعوذ منها، ثم ذكر النار فأشاح بوجهه فتعوذ منها، ثم قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**»(١).

رابعا: فضل قلة الكلام، وكراهية كثرته:

جاء الترغيب في الإقلال من الكلام في أيما حديث، وذلك لأن كثرته يكون سبباً في الوقوع في الإثم، فلا يأمن المُكثر منه، من فلتات لسانه وزلاته، فمن أجل ذلك جاء الترغيب في الإقلال من الكلام، والنهي عن كثرته. روى المغيرة بن شعبة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله ...كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال**»(٢).

وقوله: «**وكره لكم ...قيل وقال**»، فهو الخوض في أخبار الناس وحكايات ما لا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم، قاله النووي(٣).

وكثرة الكلام مذمومة في لسان الشرع، فقد روى جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة،**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٥٦، رقم ١٨٢٨٠) والبخاري (٥/ ٢٢٤١، رقم ٥٦٧٧)، ومسلم (٢/ ٧٠٤، رقم ١٠١٦)، وابن حبان (٢/ ٢٢٠، رقم ٤٧٣). وأخرجه أيضًا: الطيالسي (ص ١٣٩، رقم ١٠٣٥)، والدارمي (١/ ٤٧٨، رقم ١٦٥٧)، والنسائي (٥/ ٧٥، رقم ٢٥٥٣)، وابن خزيمة (٤/ ٩٣، رقم ٢٤٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥٣٧، رقم ١٤٠٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤١، رقم ٥٩٣).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١١).

الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون». قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون[١] والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال: «المتكبرون»[٢].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كثر كلامه كثر سقطه»[٣].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «لا خير في فضول الكلام»[٤].

قال الشاعر[٥]:

يمـوت الفتـى مـن عثـرة بلـسانه ... وليس يموتُ المرء من عثرة الرِّجْلِ

فعثرتــه مــن فيــه ترميــه بأســه ... وعثرتـه بالرِّجـل تَـبْرَا عـلى مهـل

خامسا: البدء بالسلام قبل الكلام:

فإذا قدمت على أناس ابدأ بالسلام قبل الكلام، وهذا أدب منصوص عليه في الحديث الصحيح، قال النبي ﷺ: «**من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه**»[٦]، وقال ﷺ: «**السلام قبل السؤال، فمن بدأكم بالسؤال قبل السلام فلا**

---

(١) في اللسان: الثرثار المتشدق كثير الكلام... والثرثرة في الكلام: الكثرة والترديد... تقول رجلٌ ثرثار وامرأة ثرثارة، وقومٌ ثرثارون. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أبغضكم إلي الثرثارون والمتفيهقون. أي هم الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق. (٤/ ١٠٢) مادة (ثرر).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٧٠، رقم ٢٠١٨) وقال: حسن غريب.

(٣) البيان والتبيين (١/ ٢٥٠)، والصمت وآداب اللسان (١/ ٦٨)، والزهد لابن أبي عاصم (١/ ٣٨)، و روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١/ ٤٤).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٢٧)، والأدب المفرد (١/ ٤٤٣).

(٥) الآداب الشرعية ـ ابن مفلح (١/ ٧٩-٨٠).

(٦) أورده ابن عدي (٥/ ٢٩٠، ترجمة ١٤٢٩ عبد العزيز بن أبي رواد)، وقال: قال البخاري:

تجيبوه»[1]، تأديباً وتعليماً، فإذا دخل رجل على مجلس وقال: أين فلان؟ من رأى فلاناً؟ فلا تجيبوه، بل علموه أن يسلم أولاً ثم يسأل.

سادسا: حفظ سر المتكلم:

فتحفظ سر المتحدث إليك إذا طلب ذلك صراحة، أو صدرت منه إشارة تدل على أنه يريد أن تحفظ سره -طبعاً فيما لا يضر بالمسلمين-، كما قال النبي ﷺ: «**إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة**»[2]، ومعنى الالتفات هنا أنه يتأكد من عدم سماع أحد من الناس، فهو يتكلم ويلتفت وهذا معناه أنه سر، ولو لم يقل لك: (احفظه، ولا تخبر به أحداً)، فالتفاته وتأكده من خلو المكان يدل على أنها أمانة، قال العلماء: فإفشاء السر خيانة، وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار.

كان يرى الإرجاء، و أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٩٩) وقال: غريب.

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٩، رقم ٢٦٩٩) وقال: منكر. وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٤/ ٤٨، رقم ٢٠٥٩)، والقضاعي (١/ ٥٦، رقم ٣٤)، والصيداوي في معجم الشيوخ (١/ ٣٧٨)، والديلمي (٢/ ٣٤٠، رقم ٣٥٣٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٧٢٠، رقم ١١٩٧) وقال: هذا حديث لا يصح. وابن عدى (٦/ ٢٠٤ ترجمة ١٦٧٨ محمد بن زاذان) وقال: منكر الحديث لا يكتب. قال الحافظ في التلخيص (٤/ ٩٥): ضعيف، وله طريقان أحدهما في الترمذي عن جابر، وقال: منكر. وثانيهما عن ابن عمر أخرجه ابن عدى في الكامل، وإسناده لا بأس به.

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٢٤٢، رقم ١٧٦١)، وأحمد (٣/ ٣٧٩، رقم ١٥١٠٤)، وأبو داود (٤/ ٢٦٧، رقم ٤٨٦٨)، والترمذي (٤/ ٣٤١، رقم ١٩٥٩) وقال: حسن. وأبو يعلى (٤/ ١٤٨، رقم ٢٢١٢) والبيهقي (١٠/ ٢٤٧، رقم ٢٠٩٥٠). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط (٣/ ٥٦، رقم ٢٤٥٨).

لكن إذا كان فيه ضرر على المسلمين فلا بد من إفشائه لأهل الحسبة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لكي يغيروا المنكر، ولا يصلح أن يصير هذا سراً له حرمة؛ لأن فيه ضرراً على المسلمين.

سادسا: ترك المراء وإن كنت محقاً:

عن أبي أمامة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا زعيمٌ ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خُلقه**»(١).

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «**المراء في القرآن كفرٌ**»(٢). أي المجادلة فيه، وعن جندب بن عبد الله ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه**»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٥٣، رقم ٤٨٠٠)، والطبراني (٨/ ٩٨، رقم ٧٤٨٨)، والبيهقي (١٠/ ٢٤٩، رقم ٢٠٩٦٥). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط (٥/ ٦٨، رقم ٤٦٩٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ١٩٩، رقم ٤٦٠٣)، والحاكم (٢/ ٢٤٣، رقم ٢٨٨٢)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٢١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤١٦، رقم ٢٢٥٥). وأخرجه أيضًا: أحمد (٢/ ٢٨٦، رقم ٧٨٣٥)، وابن حبان (٤/ ٣٢٤، رقم ١٤٦٤)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٦١، رقم ٢٤٧٨)، وفى الصغير (١/ ٢٩٩، رقم ٤٩٦).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٣١٣، رقم ١٨٨٣٦)، والبخاري (٤/ ١٩٢٩، رقم ٤٧٧٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٣، رقم ٢٦٦٧)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٣، رقم ٨٠٩٨)، والدارمي (٢/ ٥٣٤، رقم ٣٣٦٠)، وأبوعوانة (٢/ ٤٧٨، رقم ٣٩٠٠).

قال النووي: «والأمر بالقيام عند الاختلاف في القرآن محمولٌ عند العلماء على اختلاف لا يجوز أو اختلاف يوقع فيما لا يجوز كاختلاف في نفس القرآن أو في معنى منه لا يسوغ فيه الاجتهاد، أو اختلاف يوقع في شك أو شبهة أو فتنة وخصومة أو شجار ونحو ذلك.

وأما الاختلاف في فروع الدين منه ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة وإظهار الحق واختلافهم في ذلك فليس منهياً عنه بل هو مأمورٌ به وفضيلة ظاهرة، وقد أجمع المسلمون على هذا من عهد الصحابة إلى الآن والله أعلم»(١).

سابعا: تقديم الأكبر في الكلام:

والأصل في ذلك حديث رافع بن خديج وسهل بن أبي حثمة أنهما قالا: أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود أتيا خيبر فتفرقا في النخل، فقُتل عبد الله ابن سهل، فجاء عبد الرحمن بن سهل وحويصة ومحيصة ابنا مسعودٍ إلى النبي ﷺ فتكلموا في أمر صاحبهم، فبدأ عبد الرحمن وكان أصغر القوم. فقال له النبي ﷺ: «**كبِّر الكُبْرَ**»(٢). قال يحيى بن سعيد يعني: ليلِ الكلام الأكبر ... الحديث.

ويستأنس أيضاً بفعل ابن عمر رضي الله عنهما حيث لم يتقدم بين يدي من هو أكبر منه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أخبروني بشجرةٍ مثلها مثل المسلم تؤتي أكلها**

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٢١٨).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢، رقم ١٦١٣٥)، والبخاري (٦/ ٢٦٣٠، رقم ٦٧٦٩)، ومسلم (٣/ ١٢٩٤، رقم ١٦٦٩)، وأبو داود (٤/ ١٧٧، رقم ٤٥٢٠).

كل حين بإذن ربها، ولا تحتُّ ورقها». فوقع في نفسي أنها النخلة، فكرهت أن أتكلم وثمَّ أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما، قال النبي ﷺ: «**هي النخلة**»، فلما خرجت مع أبي قُلتُ: يا أبتاه وقع في نفسي أنها النخلة. قال: ما منعك أن تقولها؟ لو كنت قلتها كنت أحبَّ إليَّ من كذا وكذا. قال: ما منعني إلا أني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت، وفي رواية مسلم: فجعلتُ أريد أن أقولها، فإذا أسنان القوم فأهاب أن أتكلم(١).

ثامنا: التأني في الكلام وعدم الإسراع فيه:

العجلة في الحديث مظنة عدم فهم الكلام على وجهه من لدن المستمع، ولذا كان كلام النبي ﷺ لا عجلة فيه يفهمه من جلس إليه، وفي الحديث عن عائشة ﵂ قالت: إن النبي ﷺ كان يحدث حديثاً لو عدَّه العادّ لأحصاه(٢).

تاسعا: خفض الصوت عند الكلام:

قال الله ﷻ: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾(٣).

وقوله ﷻ: «واغضض من صوتك» أدباً مع الناس ومع الله . «إن أنكر

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٥٧، رقم ٦٤٦٨)، والبخاري (١/ ٣٤، رقم ٦٢)، ومسلم (٤/ ٢١٦٤، رقم ٢٨١١)، والترمذي (٥/ ١٥١، رقم ٢٨٦٧) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد (ص ٢٥٣، رقم ٧٩٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٧١، رقم ١١٢٦١)، وابن حبان (١/ ٤٨١، رقم ٢٤٦)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٢٤، رقم ٤٥٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٠٧، رقم ٣٣٧٤)، ومسلم (٨/ ٢٢٩).

(٣) سورة لقمان: الآية ١٩.

الأصوات» أي أفضعها وأبشعها «لصوت الحمير». فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة، لما اختص بذلك الحمار الذي قد علمت خسته وبلادته، قاله ابن سعدي[١].

ولا شك أن رفع الصوت على الغير سوءٌ في الأدب، وعدم احترام للآخرين، قال الشيخ تقي الدين رحمه الله: من رفع صوته على غيره علم كل عاقل أنه قلة احترام له[٢] ... وقال ابن زيد: لو كان رفع الصوت خيراً ما جعله الله للحمير[٣].

عاشرا: ألا يخلو الكلام من ذكر الله سبحانه وتعالى:

عن مالك رحمه الله أنه بلغه أن عيسى بن مريم عليه السلام كان يقول: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد عن الله، ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد، فإنما الناس مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية»[٤].

الحادي عشر: إعادة الكلام المهم وتكراره:

إعادة الكلام المهم الذي يصعب على بعض الجالسين فهمه من أول

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٦٤٩).

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢ / ٢٦).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٦ / ٣٢٣)، والدر المنثور (٦/ ٥٢٥).

(٤) موطأ مالك (٢/ ٩٨٦)، والزهد لابن المبارك (١/ ٤٤)، ومصنف ابن أبي شيبة (٦ / ٣٤٠).

وهلة أو لأول مرة، وهذا معنى قول أنس ﵁ في حديث البخاري ﵀: «**كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه**»(١).

وهذه الإعادة لغرض التفهيم، فإذا فهمت لا يحتاج إلى إعادة، وإنما الإعادة للتفهيم. وكذلك فإن الإعادة أقصاها ثلاث مرات، وقد جاء في الشريعة في أشياء كثيرة أن الغاية ثلاث مرات، فالاستئذان ثلاثاً، والطلاق ثلاثاً، وهنا يعيدها ثلاثاً؛ لكي يبلغ بها الغاية.

وأما الإعادة الكثيرة أكثر من ثلاث قد تمل؛ ولذلك قالت جارية لابن السماك: ما أحسن كلامك إلا أنك ترده! قال: أردده حتى يفهمه من لم يكن فهمه، قالت: فإلى أن يفهمه من لم يكن فهمه يمله من فهمه، فالمسألة وسط لا إفراط ولا تفريط.

الثاني عشر: الإنصات للمتكلم:

وخصوصاً عندما يكون الشخص الآخر يقرأ كلام الله ﷻ، فقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٢).

ومن الأشياء والمواضع التي يتأكد الإنصات فيها إذا تكلم أهل العلم، وعلى رأسهم النبي ﷺ؛ ولذلك الصحابة بأدبهم مع النبي ﷺ في الإنصات لقوله؛ عظمت مكانة النبي ﷺ في نفوس الكفرة؛ نتيجة التطبيق العملي للإنصات.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٥، رقم ٥٨٩٠).

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٠٤.

الثالث عشر: الإقبال على المتحدث بالوجه:

فإن الناس في حال الخطبة يلتفتون بوجوههم إلى الخطيب كما قال الصحابة في وصف حالهم مع النبيﷺ: «**إذا خطب التفتوا بوجوههم إليه**»[١].

وهذا أمر يغفل عنه كثير من الأئمة، كان النبيﷺ إذا سوى الصفوف أقبل عليهم بوجهه فسوى الصفوف، وأمرهم بتسويتها، فيلتفت إليهم بوجهه، ولا يقول من مكانه: «**تراصوا واعتدلوا**»[٢]، وهو لا يعرف هل استووا واعتدلوا أم لا.

من منهيات الكلام والحديث:

أولا: كراهة التشدق في الكلام:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بلسانها»[٣].

ثانيا: الحذر من الغيبة والنميمة[٤]:

استفاض النقل من الكتاب والسنة في التحذير منهما، ورُتب على ذلك

---

(١) المدونة الكبرى (١/ ١٤٨)، والطبقات الكبرى (١/ ٢٥٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٥، رقم ١٢٢٧٧)، والضياء (٦/ ١٠٤، رقم ٢٠٩٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥، رقم ٦٥٤٣)، وأبو داود (٤/ ٣٠١، رقم ٥٠٠٥)، والترمذي (٥/ ١٤١، رقم ٢٨٥٣) وقال: حسن غريب.

(٤) الغيبة: بينها ﷺ بقوله: «ذكرك أخاك بما تكره»، رواه مسلم(٢٥٨٩)، وأحمد(٧١٠٦)، والترمذي(١٩٣٤)، وأبو داود(٤٨٧٤)، الدارمي(٢٧١٤).

وعيدٌ شديد، والنهي عنهما معلوم لدى عامة المسلمين، ومع ذلك تجد أن كثيراً من الناس لا يتورع عن إطلاق لسانه في أعراض الناس ولحومهم، ولكن هو تزيين الشيطان لهم، ليفرق جمعهم، وليوغر صدور بعضهم على بعض، فالشريعة جاءت بجمع الكلمة، وتأليف القلوب، وإحسان الظن بالناس، وقول الحق وطيبه ... والشيطان يسعى إلى تفريق الكلمة، وتنفير القلوب بعضها من بعض، وسوء الظن بالناس، وقول الباطل وخبيثه. فعن جابرٍ ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**»[(١)].

فالغيبة والنميمة، من أسلحة إبليس وحزبه، في التفريق بين الناس، وشحن قلوب بعضهم على بعض، وهما من الأدواء التي تهلك الفرد وتفرق الجماعة، فتجعل الفرد من الناس على خطر من أن يناله ما أعده الله للمغتاب والنمام، وهي تُنشئُ القطيعة بين الأهل والأقارب وبين الناس.

ولعلنا أن نذكر ببعض ما ورد فيهما، والموفق من خضع قلبه للحق، وصان لسانه عن الخلق. قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[(٢)].

ومن حديث أبي برزة الأسلمي ﵁ قال، قال رسول الله ﷺ: «يا معشر

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣١٣، رقم ١٤٤٠٦)، ومسلم (٤/ ٢١٦٦، رقم ٢٨١٢)، والترمذي (٤/ ٣٣٠، رقم ١٩٣٧) وقال: حسن. وابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٦٢)، وابن حبان (١٣/ ٢٦٩، رقم ٥٩٤١).

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢.

من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتَّبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»[(١)].

وعن أبي وائل عن حذيفة أنه بلغه أن رجلاً ينمُّ الحديث فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة نمام**» وفي رواية: «**قتات**»[(٢)].

ثالثا: النهي عن التحديث بكل ما سُمع:

وذلك لأن الحديث المسموع من الناس فيه الكذب والصدق، فإذا حدث الرجلُ بكل ما سمع، فإنه سيحدث بالكذب جزماً، ولذا كان المحدث بكل ما سمع كذاباً. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع**» وفي رواية: «**بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع**»[(٣)].

رابعا: الحذر من الكذب:

والكذبُ هو الإخبار بخلاف الواقع، وهو مما نهى الله ﷻ عنه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[(٤)]. ومفهوم المخالفة للآية أي: لا تكونوا مع الكاذبين.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٩، رقم ٢٢٤٥٥) قال الهيثمي (٨/ ٨٧) : رجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وهو ثقة .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢، رقم ٢٣٢٩٥)، والبخاري (٥/ ٢٢٥٠، رقم ٥٧٠٩)، ومسلم (١/ ١٠١، رقم ١٠٥).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ١٠، رقم ٥) . أبو داود (٤/ ٢٩٨، رقم ٤٩٩٢)، والحاكم (١/ ١٩٥، رقم ٣٨١)، وأخرجه أيضًا : ابن حبان (١/ ٢١٣، رقم ٣٠) .

(٤) سورة التوبة: الآية ١١٩.

وعن ابن مسعود ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون عند الله صديقاً . وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا**»(١).

قال ابن حجر ﵀: قال الراغب: أصل الفجر الشق، فالفجور شق ستر الديانة، ويطلق على الميل إلى الفساد وعلى الانبعاث في المعاصي، وهو اسم جامع للشر(٢).

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»(٣).

خامسا: النهي عن الفحش والتفحش:

فنبينا ﷺ كان أكمل الناس خلقاً، وكان أبعدهم عن بذيء القول وساقطه، وكان صلوات الله وسلامه عليه ينهى عن الفحش في القول، واللعن، وقول الخنا، وغير ذلك من الأقوال الباطلة. فقد روى ابن مسعود

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٦١، رقم ٥٧٤٣)، ومسلم (٤/ ٢٠١٢، رقم ٢٦٠٧) . وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٩/ ٧١، رقم ٥١٣٨)، وابن حبان (١/ ٥٠٨، رقم ٢٧٣)، والبيهقي (١٠/ ٢٤٣، رقم ٢٠٩٢٧) .

(٢) فتح الباري (١٠/ ٥٠٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٧، رقم ٨٦٧٠)، والبخاري (١/ ٢١، رقم ٣٣)، ومسلم (١/ ٧٨، رقم ٥٩)، والترمذي (٥/ ١٩، رقم ٢٦٣١)، وقال : حسن غريب، والنسائي (٨/ ١١٦، رقم ٥٠٢١) . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (١١/ ٤٠٦، رقم ٦٥٣٣) .

ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش البذيء**»[١].

والفحش في الكلام يأتي على معانٍ، فقد يأتي بمعنى السب والشتم وقول الخنا، كما في حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: «**لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**»[٢].

وقد يأتي بمعنى: التعدي في القول والجواب: كما في حديث عائشة ﷺ قالت: «أتى أناسٌ من اليهود، فقالوا: السَّام عليك يا أبا القاسم. قال: «**وعليكم**». قالت عائشة: قلت بل عليكم السَّام والذَّام. فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة! لا تكوني فاحشة فقالت: ما سمعت ما قالوا . فقال: أو ليس قد رددت عليهم الذي قالوا، قلت: وعليكم**»[٣].

سادسا: النهي عن إضحاك القوم كذباً:

يلجأ بعض الناس إلى تزوير واختلاق كلامٍ له أو لغيره كذباً، لإضحاك أصحاب مجلسه، وما درى ذلك المسكين أنه قد وقع في أمرٍ عظيم، فقد روى

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٥٠، رقم ١٩٧٧) وقال : حسن غريب . والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٠٧، رقم ١٠٤٨٣) . وأخرجه أيضًا : في الأوسط (٢/ ٢٢٥، رقم ١٨١٤)، وأبو يعلى (٩/ ٢٠، رقم ٥٠٨٨)، والبزار (٥/ ٢٩٦، رقم ١٩١٤) . قال الهيثمي (١/ ٩٧) : رواه البزار، وفيه عبد الرحمن بن مغراء، وثقه أبو زرعة وجماعة، وضعفه ابن المديني، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٣٠٤، رقم ٢٣١٣)، وأحمد (٢/ ٣٢٨ رقم ٨٣٣٤).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٠٦، رقم ٢١٦٥) . وأخرجه أيضًا : أحمد (٦/ ٢٢٩، رقم ٢٥٩٦٦) .

معاوية بن بهز ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ويلٌ للذي يُحدثُ فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له**»(١).

سابعا: تكره مقاطعة الحديث:

من الأدب عدم قطع حديث الناس، لأنهم قد يكونون شغوفين بمتابعة الحديث، فإذا تكلم بعضهم وبتر كلامهم، فإن ذلك يشق عليهم ويوغر صدورهم.

ويعضد ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ أنه قال: «بينما النبي ﷺ في مجلسٍ يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يُحدثُ. فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: «**أين أراه السائل عن الساعة؟**» قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «**فإذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة**». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّد الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة**»(٢).

والشاهد قوله ﷺ: «فمضى رسول الله ﷺ ولم يحدث» أي : ولم يقطع حديثه.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٥، رقم ٢٠٠٥٨)، وأبو داود (٤/ ٢٩٧، رقم ٤٩٩٠)، والترمذي (٤/ ٥٥٧، رقم ٢٣١٥) وقال : حسن . والطبراني (١٩/ ٤٠٣، رقم ٩٥١)، والحاكم (١/ ١٠٨، رقم ١٤٢) . وأخرجه أيضًا : الدارمي (٢/ ٣٨٢، رقم ٢٧٠٢)، وهناد (٢/ ٥٥٤، رقم ١١٥٠)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥٠٩، رقم ١١٦٥٥)، والروياني (٢/ ١٠٧، رقم ٩١٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨٢، رقم ٦١٣١) . وأخرجه أيضًا : أحمد (٢/ ٣٦١، رقم ٨٧١٤)، والبيهقي (١٠/ ١١٨، رقم ٢٠١٥٠)، والديلمي (١/ ٣٣٥، رقم ١٣٢٢) .

ثامنا: ممنوع أن يتناجى اثنان دون الثالث:

فلا يتناجى اثنان دون الثالث، وهذا معلوم كما قال النبي ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس؛ فإن ذلك يحزنه**»(١)، فالعلة: حتى لا يحزن؛ لأنه قد يظن أنه دون مستوى الكلام، ومعناها احتقاره بطريقة غير مباشرة، أو أن يظن أنكما تتآمران عليه، فاختص الكلام بينكما وتركتماه، فكأنكما تدبران شيئاً ضده، ولأجل ذلك قال: «**فإن ذلك يحزنه**».



(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٥، رقم ٤٠٣٩)، والبخاري (٥/ ٢٣١٩، رقم ٥٩٣٢)، ومسلم (٤/ ١٧١٨، رقم ٢١٨٤)، والترمذي (٥/ ١٢٨، رقم ٢٨٢٥) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١٢٤١، رقم ٣٧٧٥).

المروءة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فقد جاء الإسلام بتهذيب السلوك، والدعوة إلى مكارم الأخلاق بعد تحقيق التوحيد، ومن ذلك حضه على كل ما يحفظ المروءة، وتحذيره من كل ما ينقصها، ولقد كان أسوتنا وقدوتنا نبينا محمد ﷺ على خلق عظيم، ومروءة لا يصل إليها مخلوق، كما شهد له ربه ﷻ بذلك حيث قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

تعريف العلماء للمروءة:

ولقد عرف كثير من أهل العلم المروءة بقولهم: هي كمال الإنسان من صدق اللسان، واحتمال عثرات الإخوان، وبذل الإحسان إلى أهل الزمان، وكف الأذى عن الجيران[2].

وقيل: هي التخلق بأخلاق أمثاله وأقرانه، في لبسه وحركاته وسكناته وسائر صفاته[3].

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

(٢) شرح شرح نخبة الفكر للقاري (٢٤٧)، وتوضيح الأفكار (٢/ ١١٨).

(٣) المرجع السابق.

وقال آخرون: هي صيانة النفس عن الأدناس وما يشينها عن الناس[(١)].

وقيل: هي السمت الحسن وحفظ اللسان والاجتناب من السخف وأن لا يأتي الشخص ما يعتذر منه مما يبخسه من مرتبته عند العقلاء والمروءة هي من الأدلة التي يُستدل بها على أهل الفضل ومقامهم ووجوب إقالة عثراتهم، ولا يتسع المقام لذكر كل ما قيل عن المروءة وأهلها وفضلها ولكن بالضد تتبين الأشياء[(٢)].

وقال الماوردي: «الْمُرُوءَةُ مُرَاعَاةُ الْأَحْوَالِ الَّتِي تَكُونُ عَلَى أَفْضَلِهَا حَتَّى لَا يَظْهَرَ مِنْهَا قَبِيحٌ عَنْ قَصْدٍ وَلَا يَتَوَجَّهُ إلَيْهَا ذَمٌّ بِاسْتِحْقَاقٍ»[(٣)].

قال بعضهم: حد المروءة رعي مساعي البر، ورفع دواعي الضر والطهارة من جميع الأدناس، والتخلص من عوارض الالتباس، حتى لا يتعلق بحاملها لوم، ولا يلحق به ذم.

لَقَدْ أَسْمَعُ الْقَوْلَ الذي كَادَ كُلَّمَا
تُذَكِّرُنِيْهِ النَّفْسُ قَلْبِى يُصَدَّعُ
فَأُبْدِي لِمَنْ أَبْدَاهُ مِنِّى بَشَاشَةً
كَأَنِّي مَسْرُورٌ بِمَا مِنْه أَسْمَعُ[(٤)]

---

(١) التقرير والتحبير (٢/ ٣٢٢)، وتيسير التحرير (٣/ ٤٤)، وتاج العروس (١/ ٤٢٧).

(٢) شرح فتح القدير (٧/ ٤١٥)، والتقرير والتحبير (٢/ ٣٢٢)، والبحر الرائق (٧/ ٩٢)، وتيسير التحرير (٣/ ٤٤)، وتاج العروس (١/ ٤٢٧)، وحاشية ابن عابدين (٧/ ١٦٠).

(٣) أدب الدنيا والدين - (٤٠١).

(٤) من أبيات غير منسوبة، الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٢٦)، وروضة العقلاء (١/ ١٧١)، والصداقة والصديق (١/ ٢٩)، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ (١/ ٩٣)، ونهاية الأرب في فنون الأدب (٦/ ٥٠).

ولاشتمالها على جملة الفضائل يقتصر بعض الأدباء عليها في مقام إيجاز المدح، كما قال سعيد بن حميد يعاتب صديقا له:

ولئـن سـبقت لتبكـين بحـسرة ... وليكثـرن عـليَّ منـك عويـلُ
ولئن سبقت ولا سبقت لتمضين ... مـن لا يـشاكله لـديَّ خليـلُ
وليـذهبن بهـاء كـل مـروءة ... وليفقـدن جمالهـا المـأهول [(١)]

مجالات المروءة:

ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته» [(٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وحقيقة المروءة تجنب الدنايا والرذائل من الأقوال والأخلاق والأعمال، فمروءة اللسان حلاوته وطيبه ولينه، واجتناء الثمار مِنْه بسهولة ويسر، ومروءة الخلق سعته وبسطه للحبيب والبغيض. ومروءة المال الإصابة ببذله مواقعه المحمودة عقلاً وعرفًا وشرعًا. ومروءة الجاه بذله للمحتاج إليه، ومروءة الإحسان تعجيله وتيسيره وتوفيره وعدم رؤيته حال وقوعه ونسيانه بعد وقوعه، فهذه مروءة البذل.

---

(١) المروءة وخوارمها (ص ١٤).

(٢) قوت القلوب (٢ / ٣٧٣)، وتاريخ اليعقوبي (٢/ ٢٠٧)، ونثر الدرر (١/ ١٢٥)، وأخبار أصبهان (٨/ ٤٢٧)، وأدب الدنيا والدين (١/ ٤٠١)، ومسند الشهاب (١/ ٣٢٢)، والكفاية في علم الرواية (١/ ٧٨)، وفي بعضها مرفوعًا.

وأما مروءة الترك ، فترك الخصام والمعاتبة والمماراة ، والإغضاء عن عيب مَا يأخذه من حقك وترك الاستقصاء فِي طلبه والتغافل عن عثرات الناس ، وإشعارهم أنك لا تعلم لأحد مِنْهُمْ عثرة ، والتوقير للكبير ، وحفظ حرمة النظير ، ورعاية أدب الصغير قال : وهي عَلَى ثلاث درجات الدرجة الأولى مروءة الإنسان مع نفسه ، وهي أن يحملها قسرًا عَلَى مَا يجمل ويزين وترك مَا يدنس ويشين ، ليصير لها ملكة فِي جهره وعلانيته » (١) .

أهمية المروءة :

قال الله ﷻ: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ (٢)، ومن تُرتضى شهادته فإنه لا يخالف الآداب الحسنة، ولا يخرج عن أعراف الناس، ولا يُزري على نفسه، ولا يتعاطى ما فيه خسة أو دناءة.

وقال ﷺ: «**إنّما بُعِثْتُ لأُتَمّمَ صالِحَ الأَخْلاقِ**» (٣).

ولأهمية المروءة جعلها كثيرٌ من المحدثين شرطًا في الراوي حتى يُقبل حديثه ، فمتى ما انخرمت مروءته تركوا حديثه .

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٣٥٢).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٢ .

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٨١ ، رقم ٨٩٣٩) ، وابن سعد (١/ ١٩٢) ، وأخرجه بنحوه الحاكم (٢/ ٦٧٠ ، رقم ٤٢٢١) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقي (١٠/ ١٩٢ ، رقم ٢٠٥٧٢) . والديلمي (٢/ ١٢ ، رقم ٢٠٩٨) ، وصححه الأرنؤوط، والألباني (٢٨٣٣) في صحيح الجامع .

وإذا الفتــى جمــع المــروءة والتقــى
وحوى مع الأدب الحياء فقد كمل

قيل لسفيان بن عيينة رحمه الله: قد استنبطت من القرآن كل شيء فأين المروءة في القرآن؟ قال: في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(١)، ففيه المرءوة وحسن الآداب ومكارم الأخلاق.

درجات المروءة:

للمروءة ثلاث درجات:

مروءة المرء مع نفسه:

وهي أن يحملها قسراً على ما يجملها، وترك ما يدنسها ... فلا يفعل ما يستحيى منه حتى ولو كان خاليًا إلا ما لا يحظره الشرع .. كالجماع والتخلي، وقد سقط أقوام في هذا الباب، فمالت نفوسهم مع شهواتهم إذا اختلوا بها، فضيعوا أجورهم بأوزارهم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بَيْضَاءَ فَيَجْعَلُهَا الله هَبَاءً مَنْثُوراً أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كما تَأْخُذُونَ وَلكِنَّهُمْ قَوْمٌ إِذَا خَلوْا بِمَحَارِمِ الله انْتَهَكُوهَا**»(٢).

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤١٨ ، رقم ٤٢٤٥) ، قال المنذري (٣/ ١٧٠) : رواته ثقات . وقال البوصيري (٤/ ٢٤٦) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . وأخرجه أيضًا : الروياني

المروءة مع الخلق:

بأن يستعمل معهم شروط الأدب والحياء والخلق الجميل ولا يظهر لهم ما يكرهه هو لنفسه، فلا تسقط مروءته بينهم، قال ﷺ: «**إن شَرَّ النّاسِ مَنزِلَةً عِنْدَ الله يَوْمَ القِيامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النّاسُ اتِّقاءَ فُحْشِهِ**»(١).

المروءة مع الحق سبحانه وتعالى:

بالاستحياء منه، واستشعار مراقبته بالنظر إلينا واطلاعه علينا في كل لحظة ونفس، قال ﷺ: «**اسْتَحْيُوا مِنَ الله تَعالى حَقَّ الحَياءِ، مَنَ اسْتَحْيا مِنَ الله حَقَّ الحَياءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وما وَعَى، ولْيَحْفَظِ البَطْنَ وما حَوَى، ولْيَذْكُرِ المَوْتَ والبِلاَ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الحَياةِ الدُّنْيا؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيا مِنَ الله حَقَّ الحَياءِ**»(٢).

أركان المروءة وكيفية تحصيلها:

اعلم أن للمروءة وجوهًا وآدابًا لا يحصيها عدد ولا حساب، وقلما

(١/ ٤٢٥ ، رقم ٦٥١) ، وصححه الألباني في الروض النضير (١٨١)، والتعليق الرغيب (٣ / ١٧٨) ، والصحيحة (٥٠٥).

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٤ ، رقم ٥٦٨٥) ، ومسلم (٤/ ٢٠٠٢ ، رقم ٢٥٩١).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧ ، رقم ٣٦٧١) ، والترمذي (٤/ ٦٣٧ ، رقم ٢٤٥٨) وقال : غريب . والطبراني (١٠/ ١٥٢ ، رقم ١٠٢٩٠) ، والحاكم (٤/ ٣٥٩ ، رقم ٧٩١٥) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٤١ ، رقم ٧٧٣٠) . وأخرجه أيضًا : ابن أبي شيبة (٧/ ٧٧ ، رقم ٣٤٣٢٠) ، والبزار (٥/ ٣٩١ ، رقم ٢٠٢٥) ، وأبو يعلى (٨/ ٤٦١ ، رقم ٥٠٤٧) ، والطبراني في الصغير (١/ ٢٩٨ ، رقم ٤٩٤) .

اجتمعت شروطها قطُّ في إنسان، ولا اكتملت وجوهها في بشر إلا في الأنبياء عليهم السلام.

وأما الناس فهم على مراتب بقدر ما أحرز كل واحد منهم من خصالها واحتوى من خلالها، ومن شروطها العفة والنزاهة والصيانة والمعاونة والمياسرة، وقد أشار الإمام الشافعي رحمه الله إلى ذلك بقوله: «للمروءة أربعة أركان: حسن الخلق والسخاء والتواضع والشكر»(١).

ثم قال: أما العفة فتكون إما عن المحرمات وهي ضبط الفرج وكف اللسان، وإما عن المأثم وهي كالكف عن الظلم وعن الخيانة والنزاهة تكون إما عن المطامع الدنيئة أو عن مواقف الريبة، والصيانة تكون إما بالاقتصاد أو بالاستغناء عن الناس، والمعاونة والمعونة تكون بالجاه والمال والبدن وأما المياسرة فهي العفو عن الهفوات والمسامحة في الحقوق والواجبات ولا يكون ذلك إلا لأهل الفضل فقط»(٢).

شروط المروءة وحقوقها:

تنقسم شروط المروءة إلى قسمين:

أحدهما: شروط المروءة في النفس.

والثاني: شروط المروءة في الغير.

---

(١) سنن البيهقي الكبرى (١٠ / ١٩٥)، وتهذيب الأسماء (١/ ٧٦).

(٢) المرجع السابق.

شروط المروءة في النفس:

العفة:

وهي نوعان:

عفة عن المحارم: وتكون بكف الفرج عن الحرام، وكف اللسان عن الأعراض، قال النبي ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»(١) . والعفة عن المآثم.

النزاهة:

وتعني النزاهة عن المطامع الدنيوية، ومواقف الريبة والتهمة.

أما حسم المطامع الدنيوية فيكون باليأس مما في أيدي الناس، والقناعة بما قسم الله تعالى، قال ﷺ: «**ازهدْ في الدنيا يحبَّك اللهُ وازهدْ فيما في أيدي الناسِ يحبَّك الناسُ**» (٢).

وأما النزاهة عن مواقف الريبة: فلنا في رسول الله ﷺ – وهو أبعد الخلق عن الريب – أسوة حسنة؛ وقف ذات ليلة يحادث أم المؤمنين صفية ﵂ على باب المسجد، فمر به رجلان من الأنصار، فلما رأياه أسرعا، فقال لهما: «**على رسلكما، إنها صفية**»، فقالا: أوَفيك شك يا رسول الله؟ قال: «**إن الشيطان**

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٦ ، رقم ٦١٠٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٧٣ ، رقم ٤١٠٢) . قال البوصيري (٤/ ٢١٠) : هذا إسناد ضعيف . والطبراني (٦/ ١٩٣ ، رقم ٥٩٧٢) ، والحاكم (٤/ ٣٤٨ ، رقم ٧٨٧٣) وقال: صحيح الإسناد .

يجري من أحدكم مجرى الدم، فخشيت أن يقذف في قلبيكما سوءًا» [1].

الصيانة:

وهي نوعان:

- صيانة النفس بالتماس ما يكفيها.
- صيانتها عن تحمل المنن من الخلق.

شروط المروءة في الغير:

أما شروط المروءة في الغير فثلاثة:

المعاونة والمؤازرة:

وهي تعني: الإسعاف بالجاه، والإسعاف في النوائب.

وقد قيل: لم يسُدْ من احتاج أهله إلى غيره. وقال الأحنف عن المروءة: صدق اللسان، ومواساة الإخوان.

المياسرة:

وهي السماحة والسهولة وهي على نوعين: **العفو عن الهفوات، والمسامحة في الحقوق.**

أما العفو عن الزلات والهفوات: فلأنه لا مُبَرَّأ من سهو أو زلل، وقد قال الحكماء: لا صديق لمن أراد صديقًا لا عيب فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٩٥، رقم ٣١٠٧)، ومسلم (٤/ ١٧١٢، رقم ٢١٧٥).

وقال بعض الأدباء: ثلاث خصال لا تجتمع إلا في كريم: حُسْنُ المحضر، واحتمال الزلة، وقلة الملال.

وقال ابن الرومي:

فعـذرك مبـسوطٌ لـذنب مقـدم ... ووُدُّك مقبـول بأهـل ومرحـب
ولـو بلغتنـي عنـك أذني أقمتُهـا ... لـديَّ مقـام الكاشـح المتكـذِّب
فلستُ بتقليـب اللسان مصارمًا ... خليـلاً إذا مـا القلـبُ لم يتقلـب

وأما المسامحة في الحقوق والأموال: فتتنوع إلى إسقاط الحق أو تخفيفه.

الإفضال:

فذو المروءة يجود بماله، فهو إما يجود بماله على من أدَّى إليه معروفًا ولو كان يسيرًا، كما جاد الشافعي رحمه الله على غلام ناوله سوطه حين سقط منه فأعطاه سبعة دنانير، وقد يجود لتأليف قلبٍ، أو صيانة عرضٍ من الحساد والحاقدين والسفهاء.

من المروءة:

١. لزوم الحياء والتواضع والحلم وكظم الغيظ وصدق اللهجة وحفظ الأسرار والإعراض عن الجاهلين .

٢. الشوق للإخوان والتودد لهم والحذر من إيذائهم أو جرح مشاعرهم بقول أو فعل أو إشارة مع الحرص على إدخال السرور على نفوسهم .

٣. صيانة العرض والبعد عن مواطن الريب والسخرية والغيرة على الدين والمحارم والعفة في النفس وعما في أيدي الناس .

٤. البر والصلة للوالدين وذات الرحم مع قبول إساءتهم بالإحسان وخطئهم بالعفو والغفران .

٥. نشر الجميل وستر القبيح مع ملازمة التقوى والعمل الصالح فهي جماع المروءة وأعلاها .

٦. تَجَنُّبُ المنةِ واستكثار القليل من المعروف .

٧. نظافة البدن وطيب الرائحة والعناية بالمظهر بلا إسراف ولا مخيلة مع الاهتمام بالباطن وإصلاحه .

٨. تجنب الفضول ومراعاة العادات والأعراف ما لم تخالف الشرع الحكيم .

٩. القيام بحقوق الجيران من إكرام وإحسان وحماية ونصرة وكف للأذى مع احتمالهم وقبولهم على ما هم عليه .

١٠. ألا يفعل المرء في السر ما يستحيي من فعله في العلانية .

خوارم المروءة:

لقد ذكر أهل العلم أصنافاً وأفعالاً شتى من خوارم المروءة، فمثلاً اعتبروا كل تشبه من الخوارم للمروءة، سواء التشبه بالنساء أو بالإفرنج أو بأي ملة من غير المسلمين ... فحلق اللحية وإطالة الأظافر ولباس الكفار، والميوعة في الكلام أو المشية إلى غير ذلك كله من خوارم المروءة.

فكل ما ينافي الرجولة وينافي الإسلام فهو من خوارم المروءة، وكذلك كل ما يشرخ الأخلاق فهو من الخوارم مثل الكذب ولو بالمزاح، والسباب

واللعان والظلم والتعدي بجميع أنواعه وأشكاله - إلى غير ذلك، وفيما يلي بيان بعض ذلك:

اتباع الهوى من خوارم المروءة:

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن أغزر الناس مروءة أشدهم مخالفة لهواه. قال معاوية: ترك الشهوات وعصيان الهوى، فاتباع الهوى يزمن المروءة ومخالفته ينعشها»[(١)].

قال الشافعي رحمه الله: «لو علمت أن الماء البارد يثلم مروءتي لما شربته إلا حارًّا حتى أفارق الدنيا»[(٢)].

الرطانة بالأعجمية من خوارم المروءة:

وقد عدها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من خوارم المروءة حيث قال: «ما تكلم رجل الفارسية إلا خب (أي صار خداعاً)، ولا خب إلا نقصت مروءته»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه العظيم اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم: «وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله أو لأهل الدار، للرجل مع صاحبه أو السوق أو للأفراد أو لأهل الديوان أو

---

(١) روضة المحبين (٤٧٧).

(٢) ربيع الأبرار (١/ ٣٨٢)، وروضة المحبين (٤٧٠).

(٣) كتاب الأدب لابن أبي شيبة (١/ ١٥٣).

لأهل الفقه فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبه بالأعاجم»[(١)].

الرقص والغناء من خوارم المروءة:

ومن خوارم المروءة الرقص والغناء والصفق بالأكف، وفي كتاب ابن القيم رحمه الله إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان نقلٌ عن جماعة من العلماء في حرمة ذلك والرد على من تساهل فيه ونُقل عن ابن عبد السلام قوله في الرقص والتصفيق أنه خفة ورعونة مشبهة برعونة الإناث، لا يفعلها إلا أرعن أو متصنع كذاب[(٢)].

سوء عشرة الأهل والجيران من خوارم المروءة.

ومن خوارم المروءة سوء العشرة مع الأهل أو الجيران وشتم الناس والبخل والشح، ومما يدخل في إيذاء الناس شرب الدخان والشيشة بينهم ورفع الصوت والقهقهة وكشف ما جرت العادة بتغطيته من البدن، ويدخل فيه أيضاً استعمال المنبهات التي في السيارات تحت البيوت والسرعة في القيادة داخل الحواري وقفل الطريق بالسيارات دون مراعاة لحقوق الآخرين.

اللهو المحرم:

ومن خوارم المروءة اللعب بالنرد وبالحمام وما شابه ذلك والمزاح مع السفهاء ومد الرجلين بغير عذر في مجمع الناس ومصارعة الثيران وصراع الديكة ومصارعة النساء.

---

(١) اقتضاء الصراط (١/ ٢٠٦).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٢٤٥).

تضييع الفروض الشرعية:

ومن خوارم المروءة عدم المحافظة على الصلوات والاعتياد على عدم الجلوس في المساجد بعد الصلوات للذكر والتسبيح والمداومة على ذلك وعلى ترك السنن الرواتب والوتر ومخالطة تاركي الصلاة ومرتكبي الفواحش والكبائر.

التشبه بالكفار والنساء من خوارم المروءة.

واعلم أيها العبد أن عليك إصلاح عيوب نفسك جهد الإمكان لأن الله قد اشتراها منك وأنت ساع في تسليم المبيع وتقاضي الثمن، وليس من المروءة تسليمه على ما فيه من العيوب وتقاضي الثمن كاملاً، قال بعض الحكماء: اتق مصارع الدنيا بحبل المروءة، واتق مصارع الأخرى بالتعلق بحبل التقوى تفز بخير الدارين وتحل أرفع المنزلتين. وقال آخرون: صُن عقلك بالحلم، ومروءتك بالعفاف، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [١].

كفى حزنا أن المروءة عطلت
وأن ذوي الألباب في الناس ضُيّعُ
وأن ملوكًا ليس يحظى لديهم
من الناس إلا من يُغنِّي ويُصفَع

❁ ❋ ❁ ❋ ❁

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٣.

الورع

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن من السهولة بمكانٍ أن يكون المسلم مصليًا أو صوّامًا أو قوّامًا أو داعيةً أو خطيبًا أو معلمًا أو حتى عالمًا، ولكن من الصعوبة بمكان أن يكون وَرِعًا فإن الورع رتبةٌ عزيزة المنال، ومتى ما ارتقى الإنسان إلى مرتبة الورع فقد نال أسمى المراتب، وتحلى بأجمل المناقب التي تؤهله جوار الرحمن، فأكثر الناس اليوم إنما يهمه أن يحقق مآربه في الدنيا وشهواتها وملذاتها دون تريث في الأمر والتفات للشرع وسؤال عن الحكم، وبعضهم قد امتلأ بطنه، وعظم رصيده، وغذي بالحرام جسمه، وما ذلك وما نلاحظه من قلة البركة وانتشار الفساد لهو نتيجة لغياب مفهوم الورع.

تعريف الورع:

الوَرَع في الشرع ليس هو الكف عن المحارم والتحرُّج منها فقط، بل هو بمعنى الكف عن كثيرٍ من المباح، والانقباض عن بعض الحلال خشية الوقوع في الحرام.

وقد وردت تعاريفُ كثيرة عند السلف والعلماء للورع، ومنها قولهم: الوَرَعُ: ترك ما يريبُك، ونفي ما يعيبك، والأخذ بالأوثق، وحمل النفس على الأشق.

وقيل: هو تجنب الشبهات، ومراقبة الخطرات.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو ترك ما يُخشى ضرره في الآخرة[١].

وقيل: هو عبارة عن ترك التسرع إلى تناول أعراض الدنيا[٢].

وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو ترك كل شبهة[٣].

وقال يحيى بن معاذ: الورع على وجهين: ورع في الظاهر وورع في الباطن. فورع الظاهر: أن لا يتحرك الإنسان إلا لله، وورع الباطن: هو أن لا تدخل قلبك سوى الله[٤].

وقال يونس بن عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الورع هو الخروج من كل شبهة، ومحاسبة النفس في كل طرفة عين[٥].

فانظر لهذه التعريفات، ثم لنعرض أنفسنا وأحوالنا وأعمالنا على مفهوم الورع، أظنه في وادٍ ونحن في واد - إلا من رحم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -.

أنواع الورع ودرجاته:

١- **واجب**: وهو الإحجام عن المحارم، وذلك للناس كافة.

٢- **مندوب**: وهو الوقوف عن الشبهات، وذلك للأواسط.

---

(١) الفوائد (١/ ١١٨).

(٢) مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٦٩).

(٣) حلية الأولياء (١٠/ ٨٤)، والرسالة القشيرية (١/ ١٤٦).

(٤) الزهد الكبير (١/ ٣١٨)، ومدارج السالكين (٢/ ٢٢).

(٥) الزهد الكبير (١/ ٣١٦)، ومدارج السالكين (٢/ ٢٢).

٣- **فضيلة:** وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على أقل الضرورات، وذلك للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو – أحسبه قال – إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس**»[١].

وعن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك... الحديث، وفي آخره. «وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: يا زينب، ما علمت؟ ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمتُ عليها إلا خيرًا. قالت: وهي التي كانت تساميني[٢]، فعصمها الله بالورع»[٣].

فضائل الورع[٤]:

أنه أساس التقوى:

فعن عطية بن عروة السعدي الصحابي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذارًا لما به بأس**»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٣٨، رقم ١٤١٠)، والنسائي (٥/ ٩٦، رقم ٢٥٨٩).

(٢) تساميني: تقترب مني في المنزلة.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٩٢، رقم: ٢٤٤٢).

(٤) وانظر نضرة النعيم (٨/ ٣٦١٦).

(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٤، رقم ٢٤٥١) وقال: حسن غريب. وابن ماجه

الورع من أعلى مراتب الإيمان وأفضل درجات الإحسان:

فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة! كن ورعًا تكن أعبد الناس، وكن قنعًا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلمًا، وأقل الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب**»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «**فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة، وخير دينكم الورع**»[(٢)].

وعن معاوية بن قرة: دخلت على الحسن وهو متكئ على سريره، فقلت: يا أبا سعيد: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: الصلاة في جوف الليل والناس نيام. قلت: فأي الصوم أفضل؟ قال: في يوم صائف. قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال أنفسها عند أهلها وأغلاها ثمنًا. قلت: فما تقول في الورع؟ قال: ذاك رأس الأمر كله.

يحقق للمؤمن راحة البال، وطمأنينة النفس:

فالورع يطهر دنس القلب ونجاسته كما يطهر الماء دنس الثوب

(٢/ ١٤٠٩، رقم ٤٢١٥)، والطبراني (١٧/ ١٦٨، رقم ٤٤٦)، والحاكم (٤/ ٣٥٥، رقم ٧٨٩٩) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٥/ ٣٣٥، رقم ١٠٦٠٢).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٥٣، رقم ٥٧٥٠). وأخرجه أيضًا: ابن ماجه (٢/ ١٤١٠، رقم ٤٢١٧)، قال البوصيري (٤/ ٢٤٠): هذا إسناد حسن.

(٢) أخرجه الشاشي (١/ ١٣٧، رقم ٧٥)، والحاكم (١/ ١٧٠، رقم ٣١٤)، والضياء (٣/ ٢٦٤، رقم ١٠٦٨).

ونجاسته وهو صون النفس وحفظها وحمايتها عما يشينها ويعيبها ويزري بها عند الله ﷻ وملائكته وعباده المؤمنين وسائر خلقه، فإن من كرمت عليه نفسه وكبرت عنده صانها وحماها، وزكّاها وعلاها، ومن هانت عليه نفسه وصغرت عنده، ألقاها في الرذائل، وأطلق عنانها وحل زمامها.

أن من حصله فلا خسارة عليه:

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة**»(١).

التعويض بالخير:

وهذه بشارة جِدّ عظيمة، يعقلها من كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد، فعن أبي قتادة وأبي الدهماء رضي الله عنهما قالا: أتينا على رجلٍ من أهل البادية، فقلنا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا؟ قال: نعم، سمعته يقول: «**إنك لن تدع شيئًا لله عز وجل. إلا أبدلك الله به ما هو خير لك منه**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٧، رقم ٦٦٥٢)، والطبراني (١٣/ ٥٧ ، رقم ١٤١)، وحسن إسنادهما المنذري (٢/ ٣٤٥)، والهيثمي (٤/ ١٤٥ ، ١٠/ ٢٩٥). وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٧٠، رقم ١٦٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٢١، رقم ٥٢٥٨)، وقال: هذا الإسناد أتم وأصح. وحديث عبد الله بن عباس : أخرجه ابن عدي (١/ ١٦٧) .

(٢) أخرجه أيضًا : ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٤٢٥ ، رقم ١٢١٧) ، والقضاعي (٢/ ١٧٩ ، رقم ١١٣٨) .

وفي رواية: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني مما علمه الله تبارك وتعالى، وقال: «**إنك لن تدع شيئًا اتقاء لله عز وجل، إلا أعطاك الله خيرًا منه**»(١).

الكف عن الحرام والبعد عما لا ينبغي:

وهذا من تمام التقوى، أن يتقِي العبدُ ربه ﷻ حتى يتقيه من مثقال ذرة، وقال الحسن رحمه الله: مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرًا من الحلال مخافة الحرام، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إني لأحب أن أدعَ بيني وبين الحرام سترةً من الحلال لا أخرقها.

الورِع يستجاب دعاؤه:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾(٢). وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾(٣). **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب**

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٧٨، رقم ٢٠٧٥٨)، قال الهيثمي (١٠/ ٢٩٦): رواه أحمد بأسانيد ورجالها رجال الصحيح. والبيهقي (٥/ ٣٣٥، رقم ١٠٦٠٣).

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٢.

لذلك؟»[١]، أي كيف يستجاب له. فتأمل العقوبة العظيمة لمن ترك الورع، فرغم أن كل هيئة الرجل وعمله غاية في القوة والتعبد إلا أن عدم تورعه عن الحرام رد كل هذه العبادات، وضيع دعاءه سدىً.

اتقاء عذاب الله ﷻ، والفوز برضوانه يوم القيامة:

قال رسول الله ﷺ: «سيأتي أناس من أمتي يوم القيامة نورهم كضوء الشمس»، قلنا من أولئك يا رسول الله؟ فقال: «**فقراء المهاجرين، والذين تتقى بهم المكاره، يموت أحدهم وحاجته في صدره، يحشرون من أقطار الأرض**»[٢].

من قصص أهل الورع:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**اشترى رجل من رجل عقارًا له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرةً فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني، إنما اشتريتُ منك الأرضَ ولم أبتع منك الذهب، وقال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولدٌ؟ قال أحدهما: لي غلامٌ، وقال الآخر: لي**

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٣، رقم ١٠١٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٨، رقم٦٥٧٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٤٧). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (١٦/ ٤٣٨، رقم ٧٤٢١)، وعبد بن حميد (ص ١٣٨، رقم ٣٥٢)، والبزار (٦/ ٤٢٦، رقم ٢٤٥٧) قال الهيثمي (١٠/ ٢٥٩): رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجالهم ثقات. أخرجه أحمد (٢/ ١٧٧، رقم ٦٦٥٠) قال الهيثمي (١٠/ ٢٥٩): رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير وله في الكبير أسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح. وأخرجه أيضًا: ابن المبارك (١/ ٢٦٧، رقم ٧٧٥).

جاريةٌ. قال: أنكحوا الغلامَ الجاريةَ، وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدقا»[١].

كان هذا في أهل الأمم ممن كانوا قبلنا، وإليك نماذج أخرى سريعة تطبيقية من حال سيد الورعين ﷺ ومن حياة صاحبيه رضي الله عنهما.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن علي رضي الله عنهما أخذ تمرةً من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال له النبي ﷺ بالفارسية: «**كخ كخ، أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**إني لأنقلب على أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي ثم أرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها**»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبي بكر غلامٌ يخرج به الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنتُ تكهّنت لإنسان في الجاهليةِ وما أُحسِن الكهانةَ إلا أنني خدعتُه فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ منه. فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٦، رقم ٨١٧٥)، والبخاري (٣/ ١٢٨١، رقم ٣٢٨٥)، ومسلم (٣/ ١٣٤٥، رقم ١٧٢١)، وابن ماجه (٢/ ٨٣٩، رقم ٢٥١١).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥٤٢، رقم ١٤٢٠)، ومسلم (٢/ ٧٥١، رقم ١٠٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٨٥٧، رقم ٢٣٠٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٩٥، رقم ٣٦٢٩).

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ كان فرض للمهاجرين الأولين أربعةَ آلاف، وفرضَ لابن عمر ﷺ ثلاثة آلاف وخمسمائة. فقيل له: هو من المهاجرين، فلم نقصتَه من أربعة آلاف؟ فقال: إنما هاجرَ به أبواه، يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه[١].

وكذلك قصة الصحابة ﷺ الذين لم يشيروا إلى الصيد وهم حُرُمٌ، فيقول أبو قتادة ﷺ: كنا مع النبي ﷺ في القاحة ومنا المحرم ومنا غير المحرم، فرأيت أصحابي يتراءون شيئًا فنظرت - وفي رواية: أنهم ضحكوا، ولكن لم يشيروا، ولم يعينوا- فإذا حمارُ وحش فوقع سوطه، فقالوا: لا نعينك عليه بشيء إنا محرمون، فتناولتُه فأخذتُه ثم أتيتُ الحمار من وراء أكمة فعقرتُه، فأتيتُ به أصحابي، فقال بعضهم: كلوا. وقال بعضهم: لا تأكلوا، فأتيت النبي ﷺ وهو أمامنا، فسألته، فقال: «**كلوه فهو حلال**»[٢]، فانظر كيف تورعوا عن الإشارة والمعاونة وعن الأكل منه.

وكذلك كان عبد الله بن عمر ﷺ سمع صوت زمارة راعٍ، والإنسان غير مكلّف بما يسمع، ولكن بما يستمع إليه، فلا يجوز تقصّد السماع والتلذُّذ به، فمشى في الطريق بسرعة ووضع إصبعيه في أذنيه، وعدل راحلته عن الطريق، وهو يقول: يا نافع! أتسمع؟ فيقول: نعم، فيمضي على حاله واضعًا إصبعيه في أذنيه، حتى قلت: لا، فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٤٢٤، رقم ٣٧٠٠).

(٢) القصة أخرجها مسلم (٢/ ٨٥١، رقم ١١٩٤.

(٣) أخرجه ابن عساكر (٢٦/ ١٦٩).

وعن ابن شهاب: قال ثعلبة بن أبي مالك: إن عمر بن الخطاب ﵁ قسم مروطًا بين نساءٍ من نساء المدينة، فبقي مرطٌ جيد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين! أعطِ هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك، يريدون أم كلثوم بنت علي، لأن عمر تزوجها فتكون حفيدة النبيﷺ، فقال عمر: أم سليط أحقّ، وأمُّ سليط هي من نساء الأنصار، ممن بايع رسول اللهﷺ، قال عمر ﵁: فإنها كانت تزفر -تخيط- لنا القرب يوم أحد(١).

وصية النبيﷺ بالورع في مجالات عدة:

جاءت وصايا النبيﷺ بمعنى الورع دون لفظه، وهي كثيرة في كتاب الله ﷻ، وسنة نبيهﷺ، ومما جاءت به السنة:

النهي عن المتشابهات:

حيث قَالَ رَسُولَ الله ﷺ: «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ**»(٢).

فسّر الإمام أحمد ﵀ الشبهة بأنها منزلةٌ بين الحلال والحرام، وقال: من اتقاها فقد استبرأ لدينه، وفسرها تارة باختلاط الحلال والحرام(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٩٤، رقم ٣٨٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٨، رقم ٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩، رقم ١٥٩٩)، وغيرهما.

(٣) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل صالح (١/ ٣٠٥)، وبدائع الفوائد (٤/ ٨٧٤).

وكذلك فإن الاستبراء للدين مهم جدًّا في حياة المرء المسلم، والإنسان قد لا يشبع من الشبهة وقال الثوري رحمه الله في الرجل يجد في بيته الأفلس والدراهم: أحب إليّ أن يتنزّه عنها إذا لم يدر من أين هي.

ترك ما لا تطمئن له نفس المؤمن:

كقوله ﷺ عَنْ الْبِرِّ وَالْإِثْم: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**»[(١)].

وحين جاء وابصةُ بن معبد رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال له ﷺ: «**جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ... اسْتَفْتِ نَفْسَكَ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ يَا وَابِصَةُ ثَلَاثًا الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ**»[(٢)].

وذلك التوجيه للإنسان المؤمن، أما الفاسق والفاجر فإن الإثم لا يحوك في صدره، بل ربما يتلذذ بالمعاصي، ويستمتع بالآثام، وهي متع ظاهرة، وتلذذ مغشوش، ولكن المسلم يجد لصدره انفساحًا، ولفؤاده انشراحًا مع البر ودروبه، ويجد في صدره ضيقًا، وفي قلبه حرجًا حين التلبس بالإثم ودواعيه.

ومن ذلك قوله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٠، رقم ٢٥٥٣).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٨، رقم ١٨٠٣٠) واللفظ له، وأبو يعلى (٣/ ١٦٠، رقم ١٥٨٦)، قال الهيثمي (١/ ١٧٥): فيه أيوب بن عبد الله بن مكرز، قال ابن عدي: لا يتابع على حديثه، ووثقه ابن حبان.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣ ، رقم ١٢٥٧٢) قال الهيثمي (١٠/ ١٥٢): فيه أبو عبد الله

ترك المؤمن ما لا يعنيه:

قال ابن القيم رحمه الله(١): «وقد جمع النبي ﷺ الورع كله في كلمة واحدة، فقال: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»(٢). فهذا يعم الترك لما لا يعني من الكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي، والفكر، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة، فهذه الكلمة كافية شافية في الورع.

التعفف عن الحرام:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس: اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل، ودعوا ما حرم**»(٣).

الورع درجات حسب الناس:

وهناك مسائل من الورع الدقيق لا تليق بكل الأشخاص، قال ابن رجب رحمه الله: «وهاهنا أمر ينبغي التفطّن له، وهو أن التدقيق في التوقف عن

الأسدي لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح، وأخرجه النسائي (٨/ ٣٢٧ ، رقم ٥٧١١)، وغيرهم.

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢١).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٥٨، رقم ٢٣١٧) وقال: غريب، وابن ماجه (٢/ ١٣١٥، رقم ٣٩٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٥٥، رقم ٤٩٨٧)، وابن حبان (١/ ٤٦٦ ، رقم ٢٢٩)،وأحمد (١/ ٢٠١، رقم ١٧٣٧)، والطبراني (٣/ ١٢٨ ، رقم ٢٨٨٦) قال الهيثمي (٨/ ١٨): رجالهما ثقات.

(٣) أخرجه ابن الجارود (ص ١٤٤، رقم ٥٥٦)، والحاكم (٢/ ٥، رقم ٢١٣٥).

الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها، وتشابهت أعماله في التقوى والورع، -فهذا لو دقق يقبل منه التدقيق-، أما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة، ثم يريد أن يتورّع عن شيء من دقائق الشبه، فإنه لا يحتمل له ذلك بل ينكر عليه»[١].

كما قال ابن عمر لأهل العراق لما جاءوا يسألونه عن دم البعوض، وفيهم ممن قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، قالوا: المحرم إذا قتل بعوضة يجوز أم عليه فدية؟ فقال رضي الله عنه: «يسألوني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين، وقد قال ﷺ: «**هما ريحانتاي من الجنة**»[٢]؟!!»[٣].

وسُئِل الإمام أحمد عن رجل يشتري بقلًا ويشترط الخوصة، فقال الإمام أحمد: ما هذه المسائل؟ قالوا: إنه إبراهيم بن أبي نعيم. فقال: إن كان إبراهيم بن أبي نعيم فنعم، هذا يشبه ذاك (هو من كبار الزهاد العابدين)[٤].

ولذلك لما جاء رجل إلى الإمام أحمد يقول إن أمه تأمره بطلاق زوجته، قال: إن كان برّ أمه في كل شيء ولم يبق من برها إلا طلاق زوجته فليفعل[٥]!

---

(١) جامع العلوم والحكم (١ / ١١١).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٥٧، رقم ٣٧٧٠) وقال: صحيح. والحديث أصله عند البخاري (٥/ ٢٢٣٤، رقم ٥٦٤٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٧٩، رقم ٣٢١٩٠)، وأحمد (٢/ ١١٤، رقم ٥٩٤٠)، والبخاري (٥/ ٢٢٣٤، رقم ٥٦٤٨).

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ١١١)

(٥) المصدر السابق.

فالخلاصة أن الورع منه دقائق لا تليق بأي أحد، بل ينكر على من تورّع فيها إذا كان من أولئك الفسقة أو المتساهلين، وعلى أية حال فإن الورع هو من العبادات العظيمة، وملاك الدين الورع، والفقيه الورع الزاهد المقيم على سنة النبي ﷺ له أجره العظيم يوم الدين، والإنسان ينبغي أن يضع نفسه في الموضع الصحيح في مسألة الورع، كما قال الأوزاعي: «كنا نمزح ونضحك فلما صرنا يُقتدى بنا خشيت أن لا يسعنا التبسُّم»(١).

أمور ليست من الورع:

إن طلب الحلال فرض على كل مسلم، وقد ادعى بعض الجهّال أن الحلال في الأرض انتهى، وبعضهم قال: لم يبق إلا الحشيش والكلأ في البر والأراضي التي ليس لها أحد ونهر الفرات؛ وهذا تضييقٌ على عباد الله، ومن الجهل، وقلة العلم، فإن النبي ﷺ قال هذه القاعدة المهمة جدًّا: «**الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات**»(٢).

والحلال كله طيب، ولكن بعضه أطيب من بعض، والحرامُ كله خبيث، ولكن بعضه أخبث من بعض، والإنسان المسلم قد يكون عنده الحلال معلومًا من قبل، ثم يقع في شك، فلا يلتفت لهذه الوسوسة إذا لم يكن لها دليلٌ ولا قرينةٌ، وكذلك قد يكون يعرف الحرام من قبل، فيأتي في نفسه وسوسة أن هذا ليس حرامًا بدون علم، ولا خبر ثقة أفتاه به أهل العلم، فلا يلتفت إليه. وقد

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ١٤٣)، ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٢).

(٢) سبق تخريجه.

يعرف الإنسان الحِلَّ ويشك في المحرم، فيكون الأصل الحِل كما تقدم.

وقد يدخل الشك على بعض الناس في قضايا لا يشرع لهم أبدًا السؤال فيها، فهل يجوز لإنسان دخل على بيت مسلمٍ مستورٍ ما يعرف عنه أي ريبة، وُضِع له الطعام، أن يقول له: المال الذي اشتريت به هذا العشاء من أين أتيت به؟ فهل هذا من الورع..؟!!، وفي ذلك إيذاءٌ للمسلم لأن سؤالك هذا اتهام له، واتهام المسلم ووضعه في موضع الشك بدون قرينة ولا دليل ولا بينة لا يجوز، فهو من سوء الظن المنهي عنه، وإيذاء للمسلم، فهو حرامٌ.

أحيانًا تأتي أشياء تستدعي التورع مثل أن يدخل حلال قليل في حرام كثير، فعند ذلك تكون هذه القضية مما يدفع الإنسان إلى الورع فعلًا، وكأن يكون هناك امرأة ثقة وجئتَ لتخطب فتاةً فقالت المرأة أنا أرضعتك وأرضعتها أو أرضعت أختها، أنا متأكدة أني أرضعت إحدى الأختين، ولكن لا أدري أيهما، فالورع أن تترك الزواج من كلتيهما، وكمثل أن يكون اثنان ذبحا ذبيحتين، إحداها ذبحها هندوسي والأخرى ذبحها مسلم، وجئت لتشتري وأنت تعلم ذلك، ولكن لا تدري أيتهما التي ذبحها هذا؟ وأيتهما التي ذبحها الآخر؟ فلا تشتري.

فمسألة اللحوم والأبضاع شديدة في الشرع ولذلك يحتاط فيها في أشياء أكثر من غيرها، ولكن بشرط أن لا يصل إلى الوسوسة أيضًا، فلو أن هذه ذبيحة مسلم لا يجوز لك أن تشك فيها، إذًا هناك وسوسة في هذه القضايا لا يجوز الالتفات إليها، ومن ينشغل به فإنما فعله هو ورع الموسوسين.

قال ابن حجر رحمه الله: «ورع الموسوسين كمن يمتنع من أكل الصيد خشية أن يكون الصيد كان لإنسان ثم أفلت منه، وكمن يترك شراء ما يحتاج إليه من مجهول لا يدري أمالُه حلالٌ أم حرامٌ؟ وليست هناك علامة تدل على الثاني»[١].

فمن القواعد في الورع ما نبه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: «الواجبات والمستحبات لا يصلح فيها زهدٌ ولا ورع، وأما المحرمات والمكروهات فيصلح فيها الزهد والورع»[٢].

وقال رحمه الله أيضًا: «أما الورع فإنه الإمساك عما يضر- عن المحرمات- أو قد يضر-الشبهات-، فتدخل فيه المحرمات والشبهات، لأنها قد تضر، فإنه من اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه.

وأما الورع عما لا مضرة فيه أو فيه مضرة مرجوحة لما تقترن به من جلب منفعة راجحة أو دفع مضرة أخرى راجحة فجهلٌ وظلمٌ.

وذلك يتضمن ثلاثة أقسام لا يُتَورَّع عنها: المنافع المكافئة والراجحة والخالصة، كالمباح المحض، أو المستحب، أو الواجب، فإن الورع عنها ضلالة»[٣].

---

(١) فتح الباري (٤ / ٢٩٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦١٩).

(٣) الزهد والورع والعبادة (١/ ٥٠).

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في الورع:

قال الحسن البصري رحمه الله[١]: أفضل العلم الورع والتوكل.

وقال[٢]: مثقال ذرة من الورع خيرٌ من ألف مثقال من الصوم والصلاة.

قال سفيان الثوري رحمه الله[٣]: عليك بالورع يخفف الله حسابك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك.

قال الشافعي رحمه الله[٤]: زينة العلم الورع والحلم.

وقال إسحاق بن خلف رحمه الله[٥]: الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه[٦]: جلساء الله غدًا أهل الورع والزهد.

وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم[٧]: كنا ندع سبعين بابًا من الحلال مخافة أن نقع في باب الحرام.

قال حبيب رحمه الله (يعني ابن أبي ثابت رحمه الله)[٨]: لا يعجبكم كثرة صلاة

---

(١) كتاب العلم (١/ ٢٩)، والزهد لابن حنبل (١ / ٢٦٥).

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٢٢).

(٣) الورع لابن أبي الدنيا (١/ ١١٢)، وحلية الأولياء (٧/ ٢٠).

(٤) المدخل إلى السنن الكبرى (١/ ٣٢٥).

(٥) الزهد الكبير (١/ ٣١٩).

(٦) مدارج السالكين (٢/ ٢٢).

(٧) الرسالة القشيرية (١/ ١٤٦)، وإحياء علوم الدين (٣/ ٢٦٨).

(٨) الورع لابن أبي الدنيا (١/ ٦٠)، وغريب الحديث لابن الجوزي (١ / ٥٥٢).

امرئ ولا صيامه، ولكن انظروا إلى ورعه، فإن كان ورعًا مع ما رزقه الله من العبادة فهو عبد لله حقًّا.

وعن طاووس رحمه الله أنه قال[١]: مثل الإسلام كمثل شجرة، فأصلها الشهادة، وساقها كذا وكذا، وورقها كذا ـ (شيء سماه) وثمرها الورع، لا خير في شجرة لا ثمر لها، ولا خير في إنسان لا ورع له.

إضاءة:

إن الورع مما يُتَعَلَّم، كما قال الضحّاك بن عثمان رحمه الله[٢]: «أدركت الناس وهم يتعلمون الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام».



(١) مصنف عبد الرزاق (١١/ ١٦١)، والزهد الكبير (١ / ٣١١).

(٢) الزهد لابن المبارك (٢/ ١١)، والرقائق (١/ ١١)، وذم الكلام وأهله (١/ ١٢٩).

الوفاء

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن الوفاء خُلقٌ حميدٌ، تفاخر به العرب قديماً، وأكده الإسلامُ أيما تأكيد، يقول الله ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[2].

وفي السنة النبوية وصايا كريمة تحض على الوفاء، وتأمر به، وتعيب من اتصف بضده، قال النبي ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[3].

وقد قال رسول الله ﷺ: «.. **ولا دينَ لمنْ لا عهدَ له**»[4]؛ ولذا كان

---

(١) سورة النحل: الآية ٩١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢١، رقم ٣٤)، ومسلم (١/ ٧٨، رقم ٥٨).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥، رقم ١٢٤٠٦)، وعبد بن حميد (ص ٣٦١، رقم ١١٩٨)، وأبو يعلى (٥/ ٢٤٦، رقم ٢٨٦٣)، وابن حبان (١/ ٤٢٢، رقم ١٩٤)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٩٨، رقم ٢٦٠٦)، والبيهقي (٦/ ٢٨٨، رقم ١٢٤٧٠)، والضياء (٥/ ٧٣، رقم ١٦٩٩). والقضاعي (٢/ ٤٣، رقم ٨٤٨)، والبيهقي في شعب الإيمان

الرسول ﷺ فيه بالمحل الأفضل، والمقام الأسمى، فوفاؤه، وصلته لأرحامه كان مضرب المثل، وحق له ذلك وهو سيد الأوفياء.

مكانة الوفاء بالوعد في الإسلام:

إن الإسلام جاء ليعلي وليشيد إشادة كريمة بهذا الخلق، وليشن حملة ضارية على نقيضها، ألا وهي إخلاف الوعد؛ وهذه الصفة العالية وهذا الخلق النبوي الكريم امتدح الله بها عباده المؤمنين الذين صدقوا عهودهم مع الله وعهودهم مع الناس، ورعوا الأمانات المختلفة الدينية والدنيوية، وثبتوا على هذه الحال حتى لقوا ربهم سبحانه وتعالى.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[1].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[2].

(٤/ ٧٨، رقم ٤٣٥٤). قال الهيثمي (١/ ٩٦): رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني في الأوسط، وفيه أبو هلال، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي.

(١) سورة المؤمنون: الآيات ١ – ٨.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

وجعل الإسلام نقيض هذه الصفة من صفات المنافقين، كما في قوله ﷺ: «**وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ**»[١]. وهذا يدل على أن إخلاف الوعد محرم ، لأنه من صفات المنافقين .

النصوص الشرعية تأمر بالوفاء:

جاء عدد من نصوص الكتاب والسنة تحض على الوفاء بالعهد، ومن ذلك:

أمر القرآن الكريم بالوفاء:

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[٢]، فقد أمر الله تعالى في هذه الآية بالوفاء بالعهد، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾[٣].

وقد أمرنا الله تعالى بالوفاء في كل أمورنا، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾[٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾[٦]، وغير ذلك كثير من الآيات في كتاب الله سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢١ ، رقم ٣٣) ، ومسلم (١/ ٧٨ ، رقم ٥٩).

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

(٣) سورة النحل: الآية ٩١.

(٤) سورة البقرة: الآية ٤٠.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٥٢.

(٦) سورة النحل: الآية ٩١.

ودعا الناس إلى الوفاء بالعهود والعقود حتى مع الأعداء، ولم يكونوا كاليهود؛ إنّ اليهود قالوا لا حرج علينا في حبس أموال العرب قد أحلّها الله لنا؛ لأنّهم ليسوا على ديننا ، وكانوا يستحلّون ظلم من خالفهم في دينهم يقولون لم يجعل الله لهم في كتابنا حرمة[١]، فبلّغ عن ربه ﷻ قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[٢].

الوفاء بالعهد صفة لأولياء الله ﷻ:

فقال في أولي الألباب: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾[٣].

حث السنة على الوفاء بالعهد:

قال ﷺ: «**ثلاثٌ لَيْسَ لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فِيهِنَّ رُخْصَةٌ بِرُّ الوَالِدَيْنِ مُسْلِماً كان أَوْ كافِراً والوَفاءُ بالعَهْدِ لِمُسْلِمٍ كانَ أَوْ كافِرٍ وأداءُ الأَمانَةِ إلى مُسْلِمٍ كانَ أَوْ كافِرٍ**»[٤].

الإسلام ينهى عن الخيانة:

وقد كان النهي عن الخيانة من الأحكام التي جاء بها الإسلام، حتى من يُخشى خيانته من الأعداء؛ فلا ينبغي خيانتهم؛ لأن الخيانة خلق ذميم والله لا

---

(١) تفسير الثعلبي (٣ / ٩٦)، وتفسير البغوي (١ / ٣١٧).

(٢) سورة المائدة: الآية ١.

(٣) سورة الرعد: الآيتان ١٩ – ٢٠.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٨٢ ، رقم ٤٣٦٣) ، وابن عساكر (٤/ ٥٤) .

يحب الخائنين. قال الله ﷻ: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (١)؛ فإذا خاف الرسول ﷺ أو أتباعه من قوم عاهدوهم خيانةً بإمارة تلوح أو ترشد إلى ذلك، فلا ينبغي للمسلم أن يخون بناء على ما ظهر من إقدام العدو على الخيانة، ولكن عليه أن يبين لهم أن العهد الذي بيننا وبينكم قد ألغي.

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم، وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء، أي: تستوي أنت وهم في ذلك»(٢).

الوفاء بالعهد خلق نبوي كريم:

وسلوك إسلامي نبيل، جعله الله صفة لأنبيائه، فقال الله ﷻ في إبراهيم: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ (٣)، وحين ابتلاه ربه بكلمات وأوامر ونواه؛ فأتمّهن، وقام بهن، وفى حين قدم ولده إسماعيل قربانًا تنفيذًا لأمر الله، وفى حين صبر على النار ابتغاء مرضاة الله.

الوفاء بالوعد في سيرة الأنبياء:

وكما اتصف إبراهيم عليه السلام بالوفاء، كان الوفاء أيضا من صفات غيره من الأنبياء، نذكر منهم ما يلي:

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٥٨.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢١).

(٣) سورة النجم: الآية ٣٧.

الوفاء في قصة إسماعيل عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (١)، ونلحظ في هذه الآية ملحظًا جميلًا، ألا وهو أن الله أقدم صدق الوعد على الرسالة والنبوة وهو يثني على إسماعيل؛ وإن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على أن هذا الخلق الكريم الغالي إنما هو بمثابة المقدمة الضرورية للرسالة والنبوة.

وفي هذه الآية الكريمة إشارة صريحة إلى شرف وقدر ومكانة صدق الوعد وتوفيَته وعدم الإخلال به.

الوفاء في قصة موسى عليه السلام:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (٢).

روى البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير رحمه الله قال: جاءني رجل يهودي فسألني: أي الأجلين قضى موسى عليه السلام؟ فقلت له: لا -أي: لا أجيبك- حتى آتي حبر العرب - ابن عباس رضي الله عنهما- قال: فجئت ابن عباس فسألته عن أي الأجلين قضى موسى؟ فقال: أفضلهما وأطيبهما، وإن رسول الله

---

(١) سورة مريم: الآية ٥٤.

(٢) سورة القصص: الآيات ٢٦ – ٢٨.

ﷺ إذا قال فعل [١].

من هديه ﷺ في الوفاء وترك الغدر:

إن الوفاء بالعهد، وعدم نسيانه أو الإغضاء عن واجبه خلق كريم، ولذا كان رسول الله ﷺ فيه بالمحل الأفضل والمقام الأسمى، والمكان الأشرف، فوفاؤه كان مضرب المثل، وحق له ذلك وهو سيد الأوفياء والأولياء والأوصياء، والأنبياء من بني آدم .

وفاء النبي ﷺ قبل البعثة:

وحديث عبد الله بن أبي الحمساء إذ قال: بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يُبعث، وبقيت له بقيةٌ فوعدته أن آتيه بها في مكانه، فنسيت ثم تذكرت بعد ثلاث، فجئت فإذا هو في مكانه، فقال: «**يا فتى لقد شققت عليّ [٢] أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك**»[٣].

قال في عون المعبود: « كان انتظاره ﷺ لصدق وعده لا لقبض ثمنه؛ قال النووي: أجمعوا على أن من وعد إنسانا شيئا ليس بمنهي عنه فينبغي أن يفي بوعده وهل ذلك واجب أو مستحب فيه خلاف ذهب الشافعي وأبو حنيفة والجمهور إلى أنه مستحب فلو تركه فاته الفضل وارتكب المكروه كراهة

(١) أخرجه البخاري: (٢/ ٩٥٣ ، رقم ٢٥٣٨).

(٢) شق عليه : صعَّب عليه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٩٩ ، رقم ٤٩٩٦) ، وابن سعد (٧/ ٥٩) . وأخرجه أيضًا : الضياء (٩/ ٢٦٠ ، رقم ٢٢٦) ، والبيهقي (١٠/ ١٩٨ ، رقم ٢٠٦٢٤) .

شديدة ولا يأثم يعني من حيث هو خُلْف وإن كان يأثم إن قصد به الأذى»[١].

دعوته ﷺ للوفاء في بداية البعثة:

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، في الحديث الطويل لما حدثت مناظرة بين هرقل وأبي سفيان في أمر النبي ﷺ: « فقال هرقل لأبي سفيان: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال له: لا. قال: فهل يغدر؟ قال له: لا. قال: فبم يأمركم؟ قال: يأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف [٢]، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة»[٣].

وفاء النبي ﷺ لخديجة:

نظرت خديجة إلى النبي ﷺ فرأت فيه رجلًا أمينًا صادقًا وفيًّا، وكان كثير الثناء عليها بعدما ماتت، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «ما غرت على امرأةٍ قط غيرتي من خديجة لكثرة ما كان يذكرها ويثني عليها، وقد كان عليه الصلاة والسلام يذبح الذبيحة فيقطع الأعضاء، ثم يرسل إلى صديقات خديجة، فقلت له يومًا: كأن ليس في الدنيا امرأةٌ إلا خديجة، فقال لي: «إنها كانت وكانت [٤]، وكان لي منها الولد»[٥].

---

(١) عون المعبود (١٣ / ٢٣٢).

(٢) العفاف: الكف عن المحارم وخوارم المروءة. (دليل الفالحين ١/ ٢٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٥ ، رقم ٧) ، ومسلم (٥/ ١٦٣ – ١٦٦ ، رقم ١٧٧٣) .

(٤) **كانت وكانت**: أي يذكر صفاتها وفضائلها.

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٨٩ ، رقم ٣٦٠٧).

وذات يوم استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة -وكان صوتها يشبه صوت خديجة، واستئذانها يشبه استئذان خديجة، وذلك بعد موت خديجة رضي الله عنها بزمان- استأذنت هالة بنت خويلد، فلما سمع صوتها ارتاع لذلك [١]. فقال: اللهم هالة [٢]، قالت عائشة: فغرت، فقلت له: وما تفعل بعجوزٍ حمراء الشدقين هلكت في الدهر أبدلك الله خيرًا منها؟ فقال لها النبي ﷺ: «**لا والله، ما أبدلني الله خيرًا منها، آمنت بي إذ كذبني الناس، وأعطتني إذ حرمني الناس، وواستني بمالها عندما منعني الناس، ورزقني الله منها الولد إذ حرمني أولاد النساء**»[٣].

من فوائد الوفاء [٤]:

١- من أوفى بعهد الله من توحيده وإخلاص العبادة له ، أوفى الله بعهده من توفيقه إلى الطاعات وأسباب العبادات .

٢- الذين يوفون بعهد الله ، هم أولوا الألباب وهم الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله فوعدهم أن لهم الجنة ومن أوفى بعهده من الله .

٣- مدح الله الموفين بعهودهم كثيرًا في القرآن الكريم .

---

(١) ارتاع أي: فزع، وهذا فزع الشوق واللهفة، وفي رواية أخرى: ارتاح لذلك.

(٢) يعني: اللهم اجعلها هالة.

(٣) أخرجه الطبراني (٢٣/ ١٣ ، رقم ٢١) قال الهيثمي (٩/ ٢٢٤) : رواه الطبراني وأسانيده حسنة . والخطيب (١٢/ ١٣٧) .

(٤) نضرة النعيم ج ٨ ، ٣٦٣٨.

٤- الوفاء صفة أساسية في بنية المجتمع الإسلامي حيث تشمل سائر المعاملات إذ كل المعاملات والعلاقات الاجتماعية والوعود والعهود تتوقف على الوفاء ، فإذا انعدم الوفاء انعدمت الثقة وساء التعامل وسادالتنافر .

٥- من أهم الوفاء ، الوفاء بالعهود من بيعةٍ وبيع ودين، تتعلق بالمعاملات المالية والاجتماعية .

٦- المسلم المتمسك بالوفاء في كل أحواله يجد في نفسه سعادة عظيمة عندما يوفي حقوق الله عز وجل كاملة وحقوق إخوانه المسلمين ولا ينسى حق أهله ونفسه عليه فيعطي كل ذي حق حقه .

أنواع العهود باعتبار المعاهدة:

والعهد ينقسم إلى قسمين: عهد بين الله وبين الناس، وعهد بين الناس بعضهم بعضًا.

فأما العهود التي بين الله وبين الناس؛ فهي كثيرة، منها:

الإيمان بالله ﷻ:

فالإيمان بالله ﷻ عهد؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ (١).

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

الإحسان بالقول والفعل:

والإحسان بالقول والفعل عهد، بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾[1].

والمعرضون هم أولئك الذين نكثوا عهدهم مع الله، وارتكبوا الإساءة، وابتعدوا عن الإحسان، وتهاونوا بشرع الله ﷻ، بل وتركوا الصلوات بعد أن أبرموا عهدًا مع الشيطان.

نشر العلم وبيانه عهد:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[2]، قال قتادة: هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم؛ فمن تعلم علمًا؛ فليعلمه للناس، وإياكم وكتمان العلم؛ فإن كتمان العلم هلكة، فيا سعادة عالم ناطق ومستمع داع! هذا تعلم علمًا فبلغه، وهذا سمع خيرًا فقبله.

وبيع النفس والمال بالجنة عهد:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٧.

لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [١].

قال شمر بن عطية: «ما من مسلم؛ إلا ولله ﷻ في عنقه بيعة؛ وفى بها، أو مات عليها»، ثم تلا هذه الآية [٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «**تكفل[٣] الله لمن جاهد في سبيله؛ لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته؛ بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، مع ما نال من أجر وغنيمة**»[٤].

والمعنى: أن الله تقدَّست أسماؤه يخبرنا أن من خرج من عباده مجاهدًا في سبيله، قاصداً بذلك مرضاة الله ﷻ ورضاه، لا أمرًا آخر، يضمن له إن رجع وعاش أن يرجعه إلى وطنه بها؛ أي: بالذي أصاب من أجر أو غنيمة، وإن لم يرجع بأن قبضه الله تعالى وتوفاه شهيدًا في ميدان القتال، أو حتف أنفه، أن يغفر له جل ذكره ذنوبه -إن كانت له ذنوب- ويرحمه، ويدخله جنته؛ لجوده بنفسه، وبذله إياها في رضا الذي خلقه، وهذا غاية ما يرجوه العبد، ففيه الحَثُّ على الجهاد بأقسامه كلها، وأن تكون نيته خالصة لإعلاء كلمة الله جل ذكره، وانتشار الإسلام، وهدم الكفر وأهله. والله أعلم [٥].

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٣٥)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٢)، والدر المنثور (٤/ ٢٩٦).

(٣) تكفل : ضمن.

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧١٥ ، رقم ٧٠٢٥) ، ومسلم (٣/ ١٤٩٦ ، رقم ١٨٧٦).

(٥) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية (١ / ١٠٧).

وأما العهود التي بين الناس بعضهم بعضًا:

والعقود والعهود التي يجب الوفاء بها كثيرة متنوعة، من أهمها:

عقد الزوجية:

فهو العقد الذي يجمع الزوجين في بيت واحد، ويبيح لهما ما كان حراماً قبل عقد النكاح، فللعقد حرمته ومكانته، وفي ذلك يقول ﷺ: « **إِنَّ أَحَقَّ الشُّرُوطِ أَنْ يُوَفَّى بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ** [١]»[٢].

وعن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر ووعظ فقال: «**ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن**»[٣].

---

(١) إن أحق الشرط الخ: أي أليق الشروط بالإيفاء شروط النكاح. والظاهر أن المراد به كل ما شرطه الزوج ترغيبا للمرأة في النكاح مالم يكن محظورا.(تعليقات الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ، سنن ابن ماجه: ج ١ / ص ٦٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٩٧٠، رقم ٢٥٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٩٧٠ ، رقم ٢٥٧٢) ، ومسلم (٢/ ١٠٣٥ ، رقم ١٤١٨).

فعقد الزواج عهد؛ ولابد للمسلم أن يؤدي ما التزم من الشروط على عقد الزواج؛ لأنه استحل بها الفرج؛ فأيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر، ليس في نفسه أن يؤديها حقها؛ فقد خدعها، ووقع تحت طائلة العقاب.

وتربية الأولاد عهد:

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾(١)، فمن أهملهم؛ لم يوف بما عهد إليه.

ومن العهود حقوق الجار:

فإنها حقوق يلتزم بها الجار لجاره، فطرةً ودينًا وخلقًا؛ يقول الله ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾(٢).



(١) سورة التحريم: الآية ٦.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٦.

ثبت بأهم المراجع

١- **أحكام القرآن**: أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، دار الفكر للطباعة والنشر، تحقيق محمد عبد القادر عطا.

٢- **أحكام أهل الذمة**: الإمام ابن قيم الجوزية، دار رمادي للنشر، الدمام، ودار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٨، تحقيق يوسف البكري، وشاكر العاروري.

٣- **الإحكام في أصول الأحكام**: علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ، ط١، تحقيق د. سيد الجميلي.

٤- **الآداب الشرعية والمنح المرعية**: الإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام، مؤسسة الرسالة - بيروت، سنة النشر ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٥- **الآداب**: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

٦- **أسرار العربية**: الإمام أبو البركات الأنباري، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م. تحقيق: د. فخر صالح قدارة.

٧- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥)، تحقيق مكتب البحوث والدراسات.

٨- **البحر المحيط أبو حيان الأندلسي**: طبعة مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ، وطبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

٩- **البداية والنهاية**: الإمام ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت.

١٠- **تاج العروس شرح القاموس**: السيد مرتضى الزبيدي، طبعة المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ.

١١- **التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور**: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٢- **تفسير البغوي**: للإمام البغوي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق خالد بن عبد الرحمن العك.

١٣- **تفسير السلمي وهو حقائق التفسير**: لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ٢٠٠١م ـ ط١، تحقيق سيد عمران.

١٤- **تفسير العياشي**: محمد بن مسعود بن عياش المعروف العياشي، صححه وعلق عليه هاشم الرسولي المجلاني، وطبعة المطبعة العلمية، قم، إيران.

١٥- **تفسير القرآن العظيم**: لابن كثير، مكتبة النهضة الحديثة بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ، وطبعة المطبعة التجارية، مصر، ١٣٥٦هـ، وطبعة دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، تحقيق سامي السلامة.

١٦- **تفسير القرآن الكريم المعروف «بتفسير المنار»**: لمحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، وطبعة دار المنار، مصر، الطبعة الرابعة، ١٣٧٣هـ.

١٧- **تفسير القرآن**: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى : ٣١٩هـ)، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار المآثر - المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.

١٨- **تفسير القرآن**: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، المكتبة العصرية، صيدا، تحقيق أسعد محمد الطيب.

١٩- **تفسير الماوردي (النكت والعيون)**: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان : تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

٢٠- **تهذيب اللغة**: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ط١، تحقيق محمد عوض مرعب.

٢١- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٢٢- **الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبي»**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة.

٢٣- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتخريج محمود وأحمد شاكر، دار المعارف، بمصر.

٢٤- **الجامع الصحيح**: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٥- **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٢٦- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**: لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ. تحقيق د. محمود الطحان.

٢٧- **جمهرة أشعار العرب**: أبو زيد القرشي، دار الأرقم، بيروت، تحقيق عمر فاروق الطباع.

٢٨- **الدر المنثور**: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

٢٩- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت : (٩١١هـ)، تحقيق مركز هجر للبحوث، الناشر : دار هجر – مصر، سنة النشر : ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

٣٠- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**: أحمد بن الحسين البيهقي أبوبكر، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣١- **دلائل النبوة**: إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٩، تحقيق محمد محمد الحداد.

٣٢- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: لأبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي، دار الفكر، بيروت، وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة.

٣٣- **زاد المسير**: جمال الدين ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ودار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ.

٣٤- **سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام**: محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٧٩، ط٤،تحقيق محمد عبد العزيز الخولي.

٣٥- **السلسلة الصحيحة**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض.

٣٦- **سنن ابن ماجه**: الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

٣٧- **سنن أبي داود**: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية.

٣٨- **سنن الدارمي**: دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٨.

٣٩- **سنن النسائي (المجتبى)**: بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٤٠- **سير أعلام النبلاء**: للإمام محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٠هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون.

٤١- **السيرة النبوية**: لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ، ط١، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد.

٤٢- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٤٣- **صحيح البخاري**: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ت ٢٥٦هـ)، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٤- **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٤٥- **صحيح مسلم**: تحقيق وتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠هـ.

٤٦- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**: محمد سميع الحق العظيم آبادي، دار الباز، مكة، ودار الكتب العلمية، بيروت.

٤٧- **غذاء الألباب شرح منظومة الآداب**: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، الطبعة الثانية، تحقيق : محمد عبد العزيز الخالدي.

٤٨- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ)، تصحيح عبد العزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت.

٤٩- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: محمد بن علي الشوكاني، مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ.

٥٠- **القاموس المحيط**: مجد الدين محمد الفيروزآبادي، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة.

٥١- **لباب الآداب**: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، الطبعة الأولى، تحقيق : أحمد حسن لبج.

٥٢- **لسان العرب**: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، مؤسسة الكتب الثقافية، دار صادر، بيروت.

٥٣- **مباحث في علوم القرآن**: د. مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٥٤- مجلة المنار: (١٠/ ٢٧)، محمد رشيد بن علي رضا، وغيره من كتاب المجلة، القاهرة.

٥٥- **مجمع الأمثال**: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٥٦- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**: للإمام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق عامر الجزار، أنور الباز، دار الوفاء، وطبعة مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، وطبعة مطابع الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨١.

٥٧- **محمد عبده**: تأليف د. عبد الغفار عبد الرحيم، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٤٤م.

٥٨- **مختار الصحاح**: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، تحقيق محمود خاطر.

٥٩- **مختصر السيرة**: محمد بن عبد الوهاب، مطابع الرياض، الرياض، ط١، تحقيق عبدالعزيز بن زيد الرومي، ود. محمد بلتاجي، ود. سيد حجاب.

٦٠- **المستقصى في أمثال العرب**: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ط٢.

٦١- **مسند الإمام أحمد**: للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، دار صادر بيروت، مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية ١٣١٣هـ. وطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٠هـ، تحقيق أحمد شاكر. وطبعة الاعتصام، تحقيق عبدالقادر عطا، والدكتور محمد أحمد عاشور.

٦٢- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**: للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

٦٣- **مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش**: للدكتور زاهر بن عواض الألمعي، الطبعة الخامسة، بدون بيانات.

٦٤- **المعجم الصوفي**: تأليف د. عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٧هـ.

٦٥- **معجم المفسرين**: د. عادل النويهض، طبعة مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٦٦- **المعجم الوسيط**: د. إبراهيم أنيس، وعبد الحليم منتصر وغيرهما، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

٦٧- **المعجم الوسيط**: لإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات وآخرين، دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية.

٦٨- **المغرب في ترتيب المعرب**: ناصر الدين المطرزي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

٦٩- **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ .

٧٠- **المفردات في غريب القرآن**: الراغب الأصفهاني، المطبعة الميمنية، بمصر، سنة ١٣٢٤هـ، وطبعة دار القلم، دمشق، تحقيق صفوان داودي.

٧١- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ .

٧٢- **الموافقات أبو إسحاق الشاطبي**: مطبعة المكتبة التجارية، الطبعة الأخيرة.

٧٣- **الموطأ للإمام مالك**: طبعة دار إحياء التراث، مصر، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

٧٤- المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مع تعليقات الذهبي في التلخيص.

٧٥- **الأدب المفرد:** محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

٧٦- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان:** محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

٧٧- **مجموع الفتاوى:** أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المحقق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

٧٨- **فيض القدير شرح الجامع الصغير:** عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة الأولى ، ١٣٥٦.

٧٩- **البحر الرائق شرح كنز الدقائق:** زين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة، بيروت.

٨٠- **إحياء علوم الدين:** محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت.

٨١- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٨٢- **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد:** محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م، الطبعة الثانية، تحقيق: د.عاصم إبراهيم الكيالي.

٨٣- **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل:** أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، طبعة دار الفكر، ١٩٩٥، بيروت.

٨٤- **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ:** عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة.

٨٥- **جامع العلوم والحكم:** أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.

٨٦- **موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين:** محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى : ١٣٣٢هـ)، المحقق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٨٧- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥ .

٨٨- **شرح صحيح البخاري ـ لابن بطال**: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة الثانية، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

٨٩- **شعب الإيمان**: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى : ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه : مختار أحمد الندوي ، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٩٠- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**: علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م.

٩١- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**: عبد القادر بن عمر البغدادي، محمد نبيل طريفي/ اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، بيروت.

٩٢- **المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها**: أبي بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي، تحقيق أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني، دار الفكر، ١٩٨٦م، دمشق - سورية.

٩٣- **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**: إعداد: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر : الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٩٤- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**: محمد بن حبان البستي أبو حاتم، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٣٩٧ – ١٩٧٧، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٩٥- **زاد المعاد في هدي خير العباد**: محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبو عبد الله، طبعة مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – الكويت، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٠٧ – ١٩٨٦، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط.

٩٦- **المصنف في الأحاديث والآثار**: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، طبعة مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩، تحقيق : كمال يوسف الحوت.

٩٧- **المعجم الوسيط**: إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، طبعة دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٩٨- **المعجم الأوسط**: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، طبعة دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

٩٩- **المعجم الكبير**: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، طبعة مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

١٠٠- **مجمع الأمثال:** أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، طبعة دار المعرفة – بيروت، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد.

١٠١- **أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العي وتعليم الإعراب:** يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري أبو يوسف، طبعة دار الصحابة للتراث – طنطا، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ – ١٩٨٩، تحقيق: سمير حلبي.

١٠٢- **كشف المشكل من حديث الصحيحين:** أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، طبعة دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، تحقيق: علي حسين البواب.

١٠٣- **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان:** محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥، تحقيق: محمد حامد الفقي.

١٠٤- **الشرح الممتع على زاد المستقنع:** محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، طبعة دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ – ١٤٢٨ هـ.

فهرس الموضوعات

